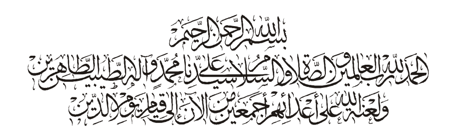

الفاحشة
الوجه الآخر لعائشة



الطبعة السادسة

١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م



هيئة خدام المهدي عليه الصلاة والسلام

هيئة تثقيفية إسلامية تطوعية هدفها تنمية المجتمعات إيمانيا
وفق رسالة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

مكتب لندن: 00442084510007 - 00447930888699

KMO
PO Box 864
Wembley - London
HA9 1BL
UK

www.fadak.tv



مكتب الشيخ الحبيب في لندن

The Office of Sheikh al-Habib in London

www.alqatrah.net



ياسر الحبيب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ
مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ
يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ
ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ
عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا

صَدَقَ اللَّهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الحَمْدُ للهِ كَمٰا هُوَ أَهْلُهُ، وَأَفْضَلُ الصَّلاٰةِ وَأَزْكَىٰ السَّلامِ عَلىٰ خَيْرِ بَرِيَّتِهِ سَيِّدِنٰا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِيْنَ، وَاللَّعْنَةُ وَالعَذٰابُ عَلىٰ أَعْدٰائِهِمْ مِنَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِيْنَ

الإهـــداء

إلى الرجل الغيور على دين الله عز وجل..

إلى المؤمن الشريف والفارس البطل والمجاهد الصنديد..

إلى الصاحب الوفي لرسول الله صلى الله عليه وآله..

إلى الناصر المخلص لأمير المؤمنين صلوات الله عليه..

إلى المضحي بنفسه لإحقاق الحق وإزهاق الباطل..

إلى الباذل دمه وروحه حتى نال الشهادة في سبيل الله..

إلى صاحب الثفنات التقي الزاهد والولي العابد ذو القدر الرفيع والمقام العظيم..

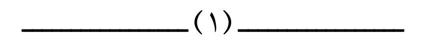
إلى سيّدنا **حُكَيْم بن جبلة العبدي**(١) رضوان الله تعالى عليه..

نهدي هذا الكتاب علّه يشفي صدره ممن تسبّبت في سفك دمه ظلماً وعدواناً..

---

(١) أنظر ترجمته في الفصل الثاني من هذا الكتاب ص٢٦٧ وما يليها.

توطـئة لتنشيــط العقــل



لماذا أشغلنا الله بمخازي الأمم الماضية؟! ألسنا أبناء اليـوم؛ فـما شـأننا بأبنـاء الأمـس؟! ولماذا يتوجب علينا أن نستذكر بل ونتذاكر موبقاتهم بـدلا مـن أن ننـصرف فقـط إلى شـؤون عصرنا ومتطلبات مستقبلنا؟!

وفي وحيه الذي أوجب على البشر تلاوته في كل عـصر ومـصر؛ لمـاذا يـضطرنا الله إلى أن نقرأ بل ونردد «فضائح» شخصيات ماتت وقُبِرت منذ مئات بل ألوف السنين؟!

أي ضرورة في أن يعرّي الله لنا قابيل، ونمرود، وفرعون، وهامان، وقارون، وعاقر ناقـة صالح، وابن نوح الفاسد، وأشباههم؛ فيحكي لنا - وبتكرار في عشرات الآيات - عصيانهم وطغيانهم مع أنهم جميعا قد لقوا حتفهم وانتهت أحقابهم وولّت إلى غير رجعة؟!

وأي مُلحّة في أن يقصّ الله في أعظم كتبه المنزلة قصص فساد أقوام مثل قوم ثمود، وقـوم عاد، وبني إسرائيل، وأصحاب الأيكة، وغيرهم، مع أنهم جميعا قد هلكوا وانقرضوا؟!

ولماذا لم يتكتّم الله على فضائح قوم لوط فلم يُعزب عنا قذارات شذوذهم وانحـرافهم؟! ولمَ أشار إلى «خيانة» زوجته التي كانت تصعد فوق سطح بيته لتصفّق وتصفّر داعية الرجـال إلى ممارسة فحشاء اللواط مع ضيوفه؟! ألم يكـن الأحـسن أن يحجـب الله عنّـا هـذه الـصورة القبيحة صيانة لسمعة بيت نبيّه فلا يُقال أن زوجته كانت قوّادة؟!

وإذا قيل أن هؤلاء جميعا كانوا فسقةً فجرةً ظَلَمةً ولم يتوبوا فلذا فضحهم الله في كتابه؛ فلماذا لم يتستّر الله على زليخا التي راودت يوسف عن نفسه وحاولت إغواءه واستدراجه إلى الزنا، فكشف لنا عن أدق تفاصيل أفعالها الشائنة مع أنها قد تابت في ما بعد وزوّجها الله نبيّه يوسف؟! ألم يكن الأجدر أن يخفي الله عنّا هذه التفاصيل «الحرجة» إكراما لنبيّه على الأقل إذ أصبحت هذه المرأة زوجته؟!

لماذا لا نتجاوز كل هذه القضايا التي أكل عليها الدهر وشرب ونتطلع فقط لحاضرنا ومستقبلنا؟! هل نحن مجبورون على البقاء أسرى للماضي وشخصياته باستحضار تلك الأحداث وحساسياتها دوما وأبدا في قرآن يُتلى ليلا ونهارا؟! إلى متى؟!

والجواب: إلى يوم يُبعثون! فإنك إن أردت لحاضرك أن يكون منيراً ولمستقبلك أن يكون مشرقاً فلا بد لك من أن تستفيد من ماضيك وماضي من سبقك في الحياة، إذ من ذلك تستخلص العبر والدروس فيكون بناؤك لحاضرك ومستقبلك بناءً سليماً.

وإذا أغمضت عينيك عن الماضي بما فيه من سلبيات وجرائم؛ فإنك بذلك ترتكب خطئاً فادحاً، إذ لن تتعلم وستوقع نفسك لا محالة في أخطاء من سبقوك! سواء كان ذلك الخطأ دينياً أم دنيوياً، فهو على كل حال يوردك المهالك. وعلى هذا ينبغي الانفتاح دائما على الماضي، لا الانزواء عنه.

والله الحكيم إنما أورد هذه القصص والوقائع والأحداث في كتابه المجيد كي يستخلص منها البشر أعظم الدروس، فإنه لا يؤثر في الإنسان شيء أكثر من تجربة مثيله الإنسان، لهذا سلّط الله الضوء على تجارب الأمم السابقة، علّ هذه الأمة وسائر الأمم الأخرى تعتبر فتصحّح مسارها وعلاقتها بالخالق جلّ وعلا.

وإنما جاء التركيز في القرآن العظيم على الشخصيات المنحرفة، فـأبرز الله تعـالى جرائمهـا ومخازيها بأدق التفاصيل، كي يكون ذلك تحصينا للمؤمن من جهات عـدّة، مـن أهمهـا عـدم اغتراره بالظالمين والفاسدين والمنحرفين، مهما كان مظهـرهم، ومهـما كـان مـوقعهم، فلـيس التمظهر بالدين والورع بكافٍ لاكتساب صاحبه الاحترام شرعا، وليست مصاحبة نبـي مـن الأنبياء كافية لتبجيل صاحبها، كما أن مجرّد زواج النبي من امرأة ما؛ لا يعني أنه يـسبغ عليهـا ثوب القداسة ويوجب على الناس تعظيمها.

إنما اللازم دائما أن يُعمل الإنسان عقله فيبحث ويحقّق وينظر ويتفكّر، ليكـون عـلى بيّنـة تصحّح موقفه من هذه الشخصية أو تلك، لا أن يكتفي فقط بوجهها الظاهري فيبنـي عليـه، وإنما عليه أن يبحث عن «وجهها الآخر» الذي هو الباطن، فإذا وجد الباطن يطـابق الظـاهر في الصلاح، فإن عليه واجب احترام هذه الشخـصية، وإن لم يجـد، أي وجـد وجهـا آخـر في الفساد، كان عليه أن يتخذ موقف العداء من هذه الشخصية.

والقرآن الكريم إنما يخاطب في الإنسان عقله بقصد تنشيطه وإيقاظه، ولذا فـإن الله تعـالى عندما يركز آياته على «أدق التفاصيل» حتى ولو كانت حرجة وحساسة، وتتعلق بما يـدور في بيوت الأنبياء عليهم الـصلاة والـسلام، فإنـه يقـصد مـن وراء ذلـك إيقـاظ عقـول البـشر، وإفهامهم أن الإنسان مهما بلغ من مرتبة دينية ظاهرية، ومهما ارتبط بنبي أو رسول، فإنه يبقى معرّضا للانزلاق والوقوع في حبائل الشيطان. و«التفاصيل» وحدها هي القادرة على ترسـيخ هذا الاعتقاد في أذهان بني البشر، إذ الإجمال لا يكفي. كما أن «التصريح» في مثل هذه المـوارد هو المطلوب لا «التلميح» إذ إن هذا الأخير يفتح باب التأويل إلى أن يُحرّف المعنى كليّةً.

لهذا أراد الله سبحانه أن ينبّه عباده – بصراحة تفصيلية – إلى خطورة الانزلاق في مسالك الشيطان والهوى والنفس الأمارة بالسوء، وأن هذا الانزلاق قد يصيب حتـى أولئـك الـذين

توفرت لهم أجواء دينية مثالية وبلغوا في مراتب الإيمان ما بلغوا، إلا أنهم في نتيجة الأمر سقطوا!

فهذا بلعم بن باعوراء امتلك بإيمانه وعلمه اسم الله الأعظم، وحاز على ما يغبطه به الأولون والآخرون، لكن الشيطان استزلّه بعد ذلك فاتبع هواه وأصبح مثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث! كما حدّث الله تعالى في فرقانه.

وهاتان امرأتا نوح ولوط عليهما السلام؛ حازتا على شرف تتمناه نساء العوالم أجمع وهو الاقتران بنبيّين عظيمين مع ما تنطوي عليه الحياة المشتركة معهما من أجواء إيمانية مثالية، ومع ذا استدرجهما الشيطان إلى خيانة زوجيهما بالكفر والعصيان وإشاعة الفحشاء والمنكر والبغي! كما نصّ عليه الله سبحانه في كتابه.

وهؤلاء أبناء يعقوب عليه السلام، وُلدوا من صلب الأنبياء وضمّهم بيت نبي عظيم ربّاهم وأدّبهم فأحسن تربيتهم وتأديبهم، ومع ذلك أوقعهم الشيطان في مهلكة الحسد لأخيهم يوسف عليه السلام، وتآمروا على قتله فألقوه في غيابة الجب! كما ذكر الله جل وعلا في تنزيله.

ولا يصح حجب أمثال هذه الحقائق وتفاصيلها والادعاء بأن في الحجب مراعاة لكرامة الأنبياء! إذ إن بيانها لا يخلّ بكرامتهم (عليهم السلام) إطلاقا، فإن على العقل أن يفرّق مثلا بين النبي – أي نبي – وبين قومه وأصحابه، فلا يقول: «إن الطعن في قومه يلازم الطعن فيه لأننا بذلك ننسب إليه الفشل في أداء رسالته وتربية أصحابه»! فأي شيء على النبي إذا بلّغ رسالة ربّه وأرشد قومه إلى الهدى فآمنوا به أولا ثم من بعده كفروا وارتدّوا وضلّوا وأضلوا وحرّفوا الكتاب الذي أنزله الله تعالى على نبيّه؟! وهو الذي حصل بعد رحيل كل الأنبياء.

وكذا على العقل أن يفرّق بين النبي – أي نبي – وبين أبنائه، فلا يقول: «إن كل ابن للنبي هو بالضرورة صالح عادل ولا يصح القدح فيه وإلا لاستلزم ذلك قدحا في والده النبي لأنـه لم يُحسن تربيته»! فأي شيء على النبي إذا ما أدّى واجبه في تربية أبنائه على أكمل وجه إلا أنهـم مع هذا انحرفوا وعصوا؟! كما حصل مع ابن نوح، وأبناء يعقوب عليهما السلام.

وكذا على العقل أن يفرّق بين النبي – أي نبي – وبين زوجاته، فلا يقول: «إن كل زوجـة للنبي تكون بالضرورة مؤمنة صالحة شريفة عفيفة محفوظة من كل دنس وإلا لاستدعى ذلك تدنيس وتلويث سمعة زوجها النبـي»! فـأي شيء عـلى النبـي إذا مـا تـزوّج امـرأة وبـالغ في نصحها وإرشادها ومع ذلك أبت إلا الكفر والفسق والعصيان والفُحش؟! كـما حـصل مـع زوجتي نوح ولوط عليهما السلام.

هذا والقرآن الكريم كتاب العقل، يلهمنا فيه ربّنا سبحانه إلى القواعد العقلية التي ينبغي علينا الاستناد إليها، ومن بين أهمّ تلك القواعد قاعدة تقديم الأهم على المهم، فعلى افـتراض أن في ذكر قصة ما – كقصة يوسف مع امرأة العزيز زليخا – حرجا من باب أن المرأة أضحت بعد ذلك زوجة لهذا النبي الكريم بعد توبتها، إلا أنه لا بد من ذكر مـا فعلتـه قبـل ذلـك مـن أفعال شائنة، تغليبا للأهم وهو التبليغ والإرشاد بقصد تحقق الهداية وأخذ العبرة؛ عـلى المهـم وهو صون سمعة زوجة نبي قد تابت من أفعالها. وهذا ما فعله الله تعالى في قرآنه إذ ذكر هـذه القصة بكل تفاصيلها الحساسة والحرجة.

نعم.. هو استدعاء للماضي، لكنه ضروري لبناء المستقبل على أسس سـليمة. ثـم نعـم.. هو إشغال للعقل بما جرى في سالف الزمان، إلا أنه مهـم لإرشـاده نحـو التفكـير الـصحيح الذي يقوده إلى الصراط المستقيم، فينجو ويفوز برضوان الله تعالى يوم الحساب.

إذا عرفت هذا؛ فستزول التساؤلات التي دارت في ذهنك عن الغرض من تأليف هذا الكتاب!

لا تقل: لماذا لا نتناسى ما وقع في الأزمان الغابرة لنمضي قدما معا نحو المستقبل؟ إذ يُقال لك: لا مستقبل صافيا على ماضٍ مشوب وهكذا علّمنا القرآن إذ استحضر كل تلك الوقائع!

لا تقل: لماذا نثير حساسيات الماضي؟ إذ يُقال لك: هو أسلوب الله تعالى في التبليغ والإرشاد كما في القرآن!

لا تقل: لماذا لا نحجب تلك التفاصيل الحرجة؟ إذ يُقال لك: لم يحجبها الله تعالى في القرآن مع أنها تخصّ زوجة نبي تائبة فلماذا نحجبها نحن عمّن لم تتب ولم يدخل الإيمان قلبها أصلا!

لا تقل: لماذا نسيء إلى نبينا بفضح زوجته؟ إذ يُقال لك: وهل أساء الله إلى النبيَّيْن نوح ولوط عندما فضح زوجتيهما؟!

(٢)

قد تقول: شئنا أم أبينا؛ فإن عائشة أهل رسول الله صـلى الله عليـه وآلـه، وحرمتهـا هـي حرمته، أفلا يكون من الأدب والمروءة أن نحفظ رسول الله في أهله فلا نذكرها بسوء حتى لو أخطأت؟! ألم يمرّ عليك قول الشاعر:

فيا حميـرا سبُّــكِ محـرَّمُ   لأجـلِ عينٍ ألـفُ عينٍ تُكـرَمُ

فلماذا نتكلف ونُقحم أنفسنا في ما بين النبي وأهله ولعلنا بـذلك نؤذيـه؟! إن كانـت قـد أخطأت فحسابها على الله، والنبي هو المعني بأمرها يوم القيامة لا نحن. ومـا يـدرينا لعـلّ الله يغفر لها ما ارتكبته إكراما لرسوله صلى الله عليه وآله! أفـلا يجـدر بنـا أن نكـفّ ألـسنتنا عـن الخوض في شأنها؟!

والجـواب: كلا! إنها لم تعد أهلا لرسول الله صلى الله عليه وآلـه! ذلـك لأن التـي تخـون زوجها لا يظل لها هذا الاعتبـار، وقـد تحققـت خيانـة عائـشة لـه في كثـير مـن المـوارد التـي سيوافيك تفصيلها، كمشاركتها في سـمّه وقتلـه، وإيـذائها لابنتـه، وخروجهـا عـلى وصـيه، وتسبّبها في رشق جنازة سبطه، وتحريفها لأحكام دينه، وإدخالها الرجال الأجانب في بيته.

وإذا تحققت خيانة المرأة لبعلها، انقطعت بينهما تلك العلقة الاعتبارية، فلا تكون حرمتها من حرمته، ولا تعدّ من أهله. وقد أكّدت النصوص الدينية المأثورة عن الرسـول وأهـل بيتـه (صلوات الله عليهم) ذلك في شأن عائشة خاصة، وسيأتيك بيانها، فترقّب.

ثم على فرض أنها ظلّت أهلاً له، فإن ذلك ليس بمانع شرعي من توجيه التهمة لهـا إذا مـا أجرمت، ومحاسبتها على ما ارتكبت، ولا يكون في ذلـك هتكـا لحرمـة زوجهـا، فـإن الـشرع

والعرف يفرّقان بين المرء وزوجه في هذه الموارد، فإنما هي وصلة مستعارة تجري مجرى المنفعة المستأجَرة كالأَمَة المسترقَّة، وعلقتها بزوجها إنما قد حصلت بالسبب لا بالنسب، والسبب منقطع بخلاف النسب.

بل وحتى مع النسب الذي لا ينقطع، فلا حرج في توجيه التهمة إلى البنت أو الابن ولا يسوء ذلك الأب في شيء إذا أحسن التربية ومع ذلك أصرّت البنت أو أصرّ الابن على سلوك سبيل الضلال والفساد والغواية، فيكون ذلك سببا لانقطاع العلقة الاعتبارية بينهما، فهذا كتاب الله تعالى يحكي أن نوحا (عليه السلام) نادى ربّه قائلا: «**رَبِّ إِنَّ ابنِي مِنْ أَهْلِي**» فأجابه الله تعالى: «**يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ**»! وعلّل ذلك بقوله: «**إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ**».[(١)]

وهكذا الحال بالنسبة لعائشة، فإنها وإن كانت زوجة لرسول الله صلى الله عليه وآله، إلا أنها ليست من أهله وفق هذا الاعتبار، لأنها «عمل غير صالح»، سيما وأنها ارتبطت برسول الله (صلى الله عليه وآله) بالسبب المنقطع، لا بالنسب غير المنقطع. مضافا إلى أن ما نجرّمها به إنما وقع بعد استشهاده ورحيله (صلى الله عليه وآله) فتكون العلقة بينهما أكثر انقطاعا. فتدبّر.

ولو أنّا أوجبنا حفظ المرء في أهله على معنى عدم توجيه التهمة لهم وعدم بيان جرائمهم؛ لوجب أن نحفظ آدم في ابنه قابيل، ونوح في زوجته وابنه، ولوط في زوجته، بل وأن نحفظ كل من آمن واتقى في أهله وإن كانوا كَفَرةً فَسقةً فَجَرةً ظَلَمةً! وأن نردّد كالببغاء: لأجل عين ألف عين تُكرم! فلا نقتص من القاتل إذا كان أبوه صالحا! ولا نجري الحد على الزانية إذا كان زوجها تقيّا! ولا يقول عاقل بهذا.

ثم إن عائشة بنفسها لم تحفظ رسول الله (صلى الله عليه وآله) في أهله المقرّبين فانتهكت حرمتهم رغم أنه أوصى بهم وأبلغ عن الله عز وجل وجوب مودّتهم وطاعتهم وذلك قوله

(١) هود: ٤٦ – ٤٧.

سبحانه: «**قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**».[١] فكان من أفعالها النكـراء بحقهـم ما سوّد وجهها إلى يوم القيامة! ويصحّ إذ ذاك أن تُقابَل بالمثل، فلا تُحفظ حرمتها إن كانت لهـا حرمة، لأن الحرمات قصاص كما قال الله تعالى: «**وَالْحُرُمَـاتُ قِـصَاصٌ فَمَـنِ اعْتَـدَى عَلَـيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ**».[٢]

وها نحن نردّ عليها اعتداءها على رسول الله وأهل بيته الأطهار صلوات الله عليهم، فـلا نكفّ ألسنتنا لأنها لم تكفّ لسانها، على أننا إنما نذكر عنها ما هو حق، وما يجعل النـاس تحـذر من الاغترار بها واتباعها وتطبيق تعاليمها المخالفة لشريعة سيد الأنام صلى الله عليه وآلـه، لا كما فعلت هي من إطالة لسانها بالباطل على سادتها من أهل بيت النبوة عليهم أفـضل التحيـة والسلام، المعصومين بنص الكتاب الكريم.

ودعوى أن الله قد يغفر لها إكراما لنبيّه غير مسموعة، فإنه لا يـنقض الـشكُّ اليقـينَ، بـل إنها لو تمّت لأبطلت أصل العدل الإلهي، إذ يحق لأخرى أجرمت ولم يغفـر الله لهـا أن تـصيح يوم القيامة: «إلهي! عجباً غفرت لعائشة ولم تغفر لي مع أننا اشـتركنا في الـذنب نفـسه! وقـد غفرت لها لأنها زوجة نبيّك فحسب وحرمتني أنا من الغفران لأني لم أكن إلا زوجة أحد مـن خلقك! فلمَ لمْ تزوجني نبيك لكيلا تُحتسب جرائمي وتغفر لي؟! إن هذا لظلم»!

فلا يكون لإثبات العدل الإلهي بعد هذا الفرض إلا أن يغفر الله تعالى لتلك المـرأة أيـضاً ولكل من أجرم وأجرمت حتى لا يكون لأحد من الخلق حجة على الله تعالى في أنه ميّز امـرأة عن سائر المذنبين وغفر لها لمجرّد كونها قد تزوجت في الدنيا رسوله. فـإذا قلنـا بـذلك لبطـل العقاب! ولأبطلنا وجود جهنم إذ لن يعذّب فيها أحد! سيما وأن المخـالفين يقولـون بغفـران

---

(١) الشورى: ٢٤.

(٢) البقرة: ١٩٥

ذنوب كل من يسمونهم بالصحابة، فيصح أن يعترض سائر الخلق على ذلك أيضا يوم القيامة لأنهم أجرموا مثل جرائمهم وحرُموا من الغفران لمجرّد أنهم لم يصحبوا النبي وكان ذلك قضاء من الله وقدرا لا دخل لهم فيه!

وإذ عرفت سخافة هذه الدعوى فلا يكون أمامك لإثبات العدل الإلهي إلا الإقرار بأن زوجة النبي (صلى الله عليه وآله) تُعاقَب وتعذَّب يوم القيامة على ما ارتكبته من ذنوب وجرائم وفواحش كسائر النساء، بل إنها تعذَّب عذابا مضاعفا دونهن! وهذا صريح ما أخبرنا به الله تعالى إذ قال: «**يَا نِسَاء النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا**».(١)

أفهل تعترض الآن على كلام الله عز وجل؟! اصحُ يا هذا وأخرج من ذهنك وهم تقديس امرأة لمجرّد كونها زوجة لنبي، فإنما المعيار عند الله هو التقوى، فإذا كانت التقوى في تلك المرأة فأنعم بها وأكرم، وإن لم تكن فبُعدا لها وتعسا. أليس الله يقول: «**ضَرَبَ اللهُ مَثَلا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَاِمْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ**».(٢)

فلتدخل عائشة النار مع الداخلين لخيانتها رسول الله صلى الله عليه وآله! فما شأنك أنت لتحتجّ وتعترض؟!

---

(١) الأحزاب: ٣١.

(٢) التحريم: ١١.

(٣)

قد تقول: سلّمنا أن لعائشة بعض المعايب والعثرات، لكن مع هذا؛ كيف نسوّغ لأنفسنا كشفها وإذاعتها؟ ألم تأمرنا الشريعة بالستر على الناس في أخطائهم التي اطلعنا عليها؟ فلماذا نفضحها بذكر معايبها ونخالف أخلاقيات الإسلام؟ وأي فائدة في هذا كلّه؟

والجواب: إن في تعبيرك بأن لها «بعض المعايب والعثرات» استهانة واستخفافا بحجم وكمّ ما أحدثته على مرّ تاريخها الأسود! فإنك لو اطلعت على تاريخها لوجدتها مزبلة ليس ثمة أنتن منها وقد جمعت كل الأوساخ والرذائل والموبقات التي عرفتها البشرية في امرأة!

فهي في الإجرام مصّاصة دماء! وفي الغدر حيّة رقطاء! وفي المكر سحليّة حرباء! وفي العهر محترفة بغاء! ومثل هذه لا يصح لك أن تقول أن لها فقط «بعض المعايب والعثرات» وكأنها كانت بالأصل ذات دين واستقامة! هذا أولا.

وأما ثانيا؛ فإن الشريعة المقدسة وإن كانت أمرتنا بالستر على معايب الناس إلا أنها قيّدت ذلك بأن يكون المتسترّ عليه مسلما مؤمنا، أما الكافر والمنافق فخارجان عن ذلك، ويجوز بل يجب في حالات فضحهما وإذاعة معايبهما.

ولو أنك دقّقت في النصوص الشرعية لعرفت هذا الحكم، فقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على ما روته العامة: «**من ستر مسلما ستره الله يوم القيامة**».[1] فالتفت إلى كلمة (**مسلماً**) أي أنه يجب أن يكون مسلما حتى يشمله حكم الغضّ والستر.

---

(١) صحيح البخاري ج٣ ص٩٨.

وقال الإمام الصادق (صلوات الله وسلامه عليه) على ما روته الخاصة: «**من ستر على مؤمن عورة يخافها ستر الله عليه سبعين عورة من عورات الدنيا والآخرة**».[١] وكذا قوله عليه السلام: «**من اطلع من مؤمن على ذنب أو سيئة فأفشى ذلك عليه ولم يكتمها ولم يستغفر الله له؛ كان عند الله كعاملها وعليه وزر ذلك الذي أفشاه عليه، وكان مغفورا لعاملها، وكان عقابه ما أُفشيَ عليه في الدنيا، مستور عليه في الآخرة، ثم يجد الله أكرم من أن يثنّي عليه عقابا في الآخرة**».[٢] فالتفت إلى كلمة (**مؤمن**) أي أنه يجب أن يكون مؤمنا حتى يشمله حكم الغضّ والستر.

وعائشة لم تكن مسلمة ولا مؤمنة! وإنما هي كافرة منافقة! فلا يشملها هذا الحكم. فإن قلت: ما الدليل على كونها كافرة منافقة؟ قلنا لك: إن مطالبتك إيانا بالدليل تستلزم جواز عرض مثالبها وذكر معايبها لأنها هي الأدلة المطلوبة! فهل لك أن تتراجع عن ذلك لتثبيت قولك السابق أم تستمر معنا؟! فإنه ليس أمامك إلا قولا من قولَيْن؛ إما أن تقول بحرمة كشف المعايب حرمة مطلقة، وإما أن تقول بالحرمة المقيّدة بما لو كان المكشوف عن معايبه مسلما مؤمنا.

فإن قلت بالأوّل؛ لخالفت في ذلك اتفاق المسلمين أجمع، فإنهم بمختلف مذاهبهم ومشاربهم لا يتورّعون عن كشف معايب عبد الله بن أبيّ بن سلول[٣] مثلا مع أنه كان ممن يُظهر الإسلام وكان مصاحبا للنبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) حتى إذا مات صلّى عليه!

---

(١) الكافي ج٢ ص٢٠٠، و(العورة) في الحديث كل ما يسوء الإنسان ظهوره، كمعاصيه مثلا.

(٢) الاختصاص للمفيد ص٣٢.

(٣) أحد كبار المنافقين في المدينة المنورة زمن رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان (لعنة الله عليه) قد تآمر غير مرّة على النبي وآذاه. ومع ذلك صلّى عليه رسول الله (صلى الله عليه وآله) حينما هلك تأليفا لقلوب قومه وترغيبا لهم بالتزام الإسلام.

فإذا اعترضت قالوا لك: إنما نكشف معايبه ونذيع فضائحه لثبوت أنه كان منافقا غير مـسلم باطنا، ومثل هذا يكون خارجا عن حكم التستّر على معايبه. وهذا الثبوت تحصّل اسـتنادا إلى أدلّة سمعية تورّث اليقين والاطمئنان، وهـي ذاتهـا التـي نـذيعها ونكـشفها ليعـرف النـاس حقيقته.

وإن قلت بالثاني؛ رددنا الكلام عليك في المصاديق فطالبناك بـأن تـستمع لتقـف عـلى أن هذا المصداق من الناس هل هو مسلم مؤمن حتى يحرم فضحه أم لا، فلا بدّ لك من الإذعـان بجواز كشف معايبه حينها لتراها وتنظر فيها. وعلى هذا فيصّح كشف معايب عائشة ولو من باب المقدّمة.

وأما ثالثا؛ فإن علماء المسلمين تراهم قـد أفـردوا علـما خاصـا يـتفحّص أحـوال النـاس ويفتّش عن مثالبهم ونواقصهم ومعايبهم وكل ما يقدح في تديّنهم! ومع ذلك لم يكـن لأحـد أن يعترض بأن ذلك مخالف لأخلاقيات الإسلام، أو أنه غيبة لا تجوز، أو أنه مخالف للحديث الشريف: «**اذكروا محاسن موتاكم وكفّوا عن مساويهم**».[1]

هذا العلم هو «علم الرجال» كما هو الاصطلاح عندنا، أو «علم الجـرح والتعـديل» كـما عند مخالفينا، وغرضه بيان أحوال الرواة والمحدّثين لتمييز الثقة العدل منهم عن غـيره، وفيـه تجد ذكر ما لا يُحصى من المعايب المنسوبة لأشخاص بعينهم! فهذا كذاب وذاك مدلّس، وهـذا وضّاع وذاك مخلّط، وهذا فاسق وذاك خبيث، وهذا دجّـال وذاك منكَـر، وهـذا هالـك وذاك تالف.. إلى آخر تلك النعوت المقرونة ببيان ما ارتكبـه هـؤلاء مـن الجـرائم والموبقـات التـي

(١) الحديث منسوب تارة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله كـما في سـنن أبي داود ج٢ ص٤٥٦، وأخـرى إلى أمير المؤمنين عليه السلام كما في البحار ج٧٢ ص٢٣٩ عن طريق المخالفين أيضا.

كانت سببا لجرحهم وإسقاط وثاقتهم وعدالتهم، ومنها مثل القتل وشرب الخمر وفعل الفاحشة وغيرها.

وتبرير العلماء لتوغّلهم في هذا المضمار مع ما يلازمه من فضح الناس والأموات منهم تحديدا؛ هو أن هؤلاء الرواة ينقلون لنا أحكام الدين في أحاديثهم، فلا بد من إحراز وثاقتهم وعدالتهم حتى يصحّ التعبّد بأحاديثهم ورواياتهم. ولو أننا أغضينا الطرف عن ذلك وقبلنا بكل ما رواه هؤلاء لنا لوقع الفساد في الدين، ولتغيّرت أحكام الشريعة، وعليه فلا جرم إن تذاكرنا معايب هؤلاء وأذعناها لأن أحكام الشريعة المقدّسة أولى بالتحفّظ من سمعة بعض الناس، وحفظ أحكام الشريعة إنما يكون بالتثبّت من الرواة الثقات العدول الذين يُطمئن إلى نقلهم. ولكي نميّز منهم الفسقة والفجرة والكَذَبة، وكذا الضعاف والمهمَلين، لا مناص من الفحص في أحوالهم وتواريخهم وسيَرهم والوقوف على أفعالهم، وهذا هو التبيُّن وقد أمرنا الله تعالى به في قوله: «**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**».[1]

هذا التبرير هو ذاته الذي نسوقه هنا، فإن عائشة هي على أقل تقدير من جملة الرواة، بل الرواة المكثرين حيث إن ما وصلنا من رواياتها يتجاوز الألفيْن! وهو عدد مهول لا يمكننا أن نُهمله أو نُهمل صاحبته، سيّما وأننا نجد في تلكم الروايات ما يؤسس لممارسات «مخزية» باسم الدين كرضاع الكبير مثلا! فلا بد إذن من تفحّص وتبيّن حال هذه المرأة والوقوف على سيرتها في حياتها لنعرف إن كانت ممن يصح الأخذ عنه أم لا يصحّ، وإذ وجدنا بعد البحث

---

(١) الحجرات: ٧. ومدلول الآية وجوب التبيُّن في النبأ والمنبئ، أي الخبر والمخبر، وردّ خبر الفاسق بل كل من ليس بثقة في النقل أو مجهول الحال لأنه قد يصيب القوم بجهالة وهو التعليل الوارد في ذيل الآية، هذا إلا إذا تبيّن صدقه في هذا المورد بقرينة أو مؤيّد خارجي مثلا.

والتحقيق أنه لا يـصّح فـلا بـد مـن أن نعـرض رذائلهـا ومثالبهـا ومخازيها حتـى يتحاشـى المسلمون الأخذ عنها، وفي ذلك حفظ للدين من الانحراف وضمان لبقائه نقيا بـلا شـوائب، وهو الهدف الأسمى والأهم الذي يضطرنا إلى هذا العرض، أو سمّه الفضح إن شئت، تمامـا كما اضطر علماء الرجال إليه.

وكما أمرتنا الشريعة المقدسة بأن نستر على المؤمن عيوبه؛ كذلك أمرتنا في المقابل بأن نذيع وننشر عيوب المبتدع، بل وأمرتنا بأن نكثر الوقيعة فيه ولو بالسبّ والشتم حتى يحذره النـاس ولا يتعلّمون من بدعه، فقد قال رسول الله الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: «**إذا رأيتم أهل الريب والبدع من بعدي فأظهروا البراءة منهم، وأكثروا من سبّهم والقـول فـيهم والوقيعـة، وباهتوهم كيلا يطمعوا في الفساد في الإسـلام ويحـذرهم النـاس ولا يتعلمـون مـن بـدعهم، يكتب الله لكم بذلك الحسنات ويرفع لكم به الدرجات في الآخرة**».[1]

وهكذا تجد أن الشريعة حكيمة، فهي وإن حرّمت الغيبة وإفـشاء معايـب النـاس تحـريما غليظا إلا أنها استثنت من ذلك ما هو ضروري لحفظ نفس الشريعة أو حفظ حقوق النـاس، ولذا تجد أن الفقهاء يذكرون موارد كثيرة لهذا الاستثناء مثل جرح شاهد المدّعي بذكر معايبـه حين الترافع إلى القاضي دفاعا، وكذا عند طلب المستشير النصيحة، وعنـد شـكاية المـتظلّم في صورة ظلمه. كما خرج بالاستثناء الفاسق المتجاهر بفسقه، والذي يتوقف امتناعـه عـن فعـل المنكر على شيوع ذلك عنه في الناس ليتحقق ذمّه.. إلى غيرها مـن المـوارد المبحوثـة في المتـون الفقهية.

---

(١) الكافي ج٢ ص٣٧٥. و(الريب) بمعنـى الـشك والمقـصود بأهلـه أولئـك الـذي يـشككون المـؤمنين في عقائدهم وأحكام دينهم. و(باهتوهم) بمعنى أوقعوهم في الدهشة والتحيّر بمخاصمتهم بالحجـة وكـسرهم بالبرهان حتى يُفحمون ولا يجدون جوابا كما قال سبحانه: «فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ». البقرة: ٢٥٩.

وإذا تأملت ما ذكرناه جيدا؛ تعرف الفائدة من وراء طرح شخصية عائشة على بساط البحث وبيان مخازيها ورذائلها، فإن هذه المرأة الخبيثة قلبت دين الإسلام رأسا على عقب تحريفا وتزويرا!

ــــــــــــــــــــ (٤) ــــــــــــــــــــ

لربما تستنكر موضوع هذا الكتاب قائلا: لتكن عائشة أم الـشرور؛ إلا أنهـا اليـوم – وإن كرهنا – رمز مقدّس عند المخالفين، لا يعظّمون امرأة في الوجود مثل تعظيمهم إياها! فلـماذا نستفزّهم ونضع الحواجز النفسية بيننا وبينهم بثلبنا لها؟ بل يجب أن نتغاضى عن ذلك ونكفّ عنه حفاظا على تماسك المجتمع ودرءاً للإحن الطائفية، كما أن نـشرنا مثالبهـا قـد يتـسبب في تطاول القوم على سادتنا من أهل بيت العصمة (صلوات الله عليهم) مـن بـاب الـردّ بالمثـل، وقد قال الله تعالى: «**وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَـدْعُونَ مِـن دُونِ اللّهِ فَيَـسُبُّواْ اللّهَ عَـدْوًا بِغَـيْرِ عِلْـمٍ**».[1] فالصواب إذن أن نطوي هـذه الـصفحات التاريخيـة وأن نبقيهـا مكتومـة في بطـون المراجـع والمصادر.

والجـواب: إن استنكارك هذا مردود من جهات عدة.

الجهة الأولى؛ إنما صارت عائشة عند المخالفين اليوم رمزا مقدسا لمجهولية مثالبها وعـدم انكشاف «الوجه الآخر» لها، فلو سقط عنها ما دُثِّرَت به لبانت عوراتها ولأدى ذلك إلى تنفّـر الناس منها، فاللازم عليك أن تحثّ على ذلك لتتلاشى هذه القداسة الزائفة، لأنها إذا تلاشت لتصالح المجتمع مع نفسه ولتحقق فيه الوئـام والانـسجام والتماسـك التـام لـزوال أسـباب الخلاف في ما بين فئاته وطوائفه، وهذا أجدى نفعا من الكبت لأنه لن يؤدي إلى ما تنشده من التماسك والوحدة، ودونك الواقع التاريخي الذي أثبت أنـه مهـما حاولـت بعـض الطوائـف إخفاء أو مواراة أسباب الخلاف فإنها تعود لتطفو عـلى الـسطح مـن جديـد مؤديـة إلى أسـوأ

---

(١) الأنعام: ١٠٩.

الكوارث، ذلك لأن التاريخ لا يمكن إلغاؤه، وما حوته الكتب والمصادر لا يمكن طمسه، ومع أدنى احتكاك طائفي تُستعار أسباب الخلاف التاريخية وتُستخرج من بطون الكتب من جديد لتستعر بها النار! والخلل هو في أن أرباب الطوائف لا يفكّرون في إخماد تلك النار جذريا وإنما يعمدون إلى تطويقها فقط، فلا يطرح كلٌّ منهم ما لديه من أسباب الخلاف بصراحة وجرأة تنزع الحساسية الجماهيرية منها ومن مناقشتها؛ وإنما يمنعون الحديث عنها بذريعة المحافظة على وحدة المجتمع فيبقونها في الأفئدة والصدور مشتعلة لتنفجر بعد ذلك خارجها انفجارا لا يمكن أن يُسيْطر عليه!

إنما الصواب والصلاح هو في أن تُتاح حرية طرح ومناقشة المسائل الدينية الخلافية بكل صراحة، فإن هذه الصراحة هي التي تجعل كل طرف يستوعب ما لدى الآخر دون شعور بالمخادعة أو المجاملة، فتوضع النقاط على الحروف وتتضح الصورة كما هي أمام المجتمع، وحينها يمكن للمجتمع أن يتخذ قراره بعد وقوفه على الحقائق. ثم إن كشف الغطاء عن التناقضات الدينية وطرحها للعلن هو الذي يؤدي إلى نزع الحساسية عنها وعن مناقشتها، لأن المجتمع سيتقبّل واقع هذا التناقض وسيعتاد عليه، وسيؤطره مع مرور الوقت بأطر قانونية تضمنه.

نعم، قد يكون البدء بالسير في هذه الطريق صعبا، وقد ينطوي على بعض المخاطر، وقد يتسبب في وقوع بعض الاشتباكات أو حتى الخسائر البشرية، إلا أنه في نهاية المطاف يكون في صالح المجتمع، لأن المجتمع سيعرف الحقائق الدينية المرتبطة بكل طرف وسيقف على التناقضات والخلافات كما هي، ومع تنامي الوعي وتطوّر العلم فإنه شيئا فشيئا يقتنع ويصطف إلى جانب المُحِقِّ وصاحب الحجة الأقوى من تلك الأطراف، فيتوحّد من جديد على هذا الأساس. وحتى إذا افترضنا عدم توحّده فإن مجرّد طرح التناقضات الدينية

للمناقشات العلنية وإتاحة الحرية للناس في تداولها يجعل المجتمع يعتـاد عليهـا ولا يتحـسّس منها كما أسلفنا، ولا يخفى أن في هذا الصالح العام.

وإذا أردت مثالا واقعيا فخُذ المجتمعات الغربية، فإنك تجد فيها اليهـودي يحـارب جنبـا إلى جنب النصراني في الجيش الوطني الواحد، مع أن الأول يعلم بأن الثاني يراه كافرا مخلّدا في النار لعدم اتّباعه عيسى المسيح عليه السلام، والثاني يعلم أن الأول يراه كـذلك لاتبّاعـه بـل ويطعن في (إلهه) قائلا أنه ابن زنا والعياذ بالله! فما الذي أوصل المجتمعـات الغربيـة إلى هـذا المستوى من المشاركة الوطنية والانسجام رغم هذه التناقضات الدينية والمذهبية الهائلـة؟ إنـه ما أسلفناه.

أما في مجتمعاتنا الشرقية المتخلفة فلأن حق الإنسان في التعبير عن معتَقَـده ومـا يتنـاقض فيه مع غيره محظور؛ فإنك تجد هذا التنافر الشديد ما بين طوائف المجتمـع وفئاتـه وشرائحـه. فالمطلوب إذن هو رفع هذه السدود، وذلك لا يكون إلا على أساس المصارحة.

وما في هذا الكتاب يصبّ في هـذا المـصبّ، وهـو المـصارحة والتبـصير بالحقـائق حتـى يستوعب الآخر ما عندنا، فإن المخالفين جميعا يعلمون بـأن الـشيعة يكرهـون امـرأة اسـمها عائشة بنت أبي بكر، ويلعنونها ويتبرأون منها، لا تكاد تجد أحدا من المخالفين لا يعـرف هـذه الحقيقة عن الشيعة، إلا أن الذي لا يعرفونه هـو أسـباب موقـف الـشيعة المتـشدد هـذا مـن عائشة، وعلى ماذا استندوا لاتخاذه؟ وما هي مبرّراتهم الشرعية فيه؟

ولأن معظم من ينطق باسم التشيع اليوم مريض بمـرض الانهزاميـة ويفتقـد الـشجاعة المطلوبة؛ فإن تساؤلات المخـالفين عـن أسـباب بغـض الـشيعة لعائـشة تبقـى بـلا جـواب، والإنسان بطبعه عدوّ ما يجهل، لذا تجد المخالفين بسبب جهلهم وعدم اطلاعهم على مبرّرات الشيعة في هذه المسألة من واقع ما ارتكبته عائشة من عظائم الجرائم؛ تجـدهم يمتلئـون غيظـا

وحقدا على كل شيعي، إذ هم يتصوّرون أن عداءه لعائشة مرجعه الأهواء مثلا، لا أنـه مبنـي على صميم التعاليم الإلهية التي توجب على المرء معاداة أعداء الله ورسوله وأهل بيتـه علـيهم السلام.

والذي يطلب كـتمان هـذه الحقـائق والأدلـة والمـبرّرات بـدعوى المحافظـة عـلى وحـدة وتماسك المجتمع؛ إنما يغذّي موجة الحقد على الشيعة دون أن يدري! وإلا فماذا يتوقّـع؟ هـل يتوقع أن المخالفين بسبب هذا الكتمان سيُكذِّبون أنفسهم وسيعتقدون بأن الشيعة لا يكرهون عائشة بل يحبّونها؟! أم أنهم عـلى العكـس مـن ذلـك سـيتيقّنون مـن أن الـشيعة يخـادعونهم بكتمانهم لحقيقة مشاعرهم تجاه عائشة؟! خاصـة وأن بعـض المتملقـين مـن المحـسوبين عـلى الشيعة لا يستحون أمامهم من التفوّه بعبارة من مثل: «أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها» فـيما هم من ورائهم لا يذكرون اسمها إلا متبوعا باللعنات!

الجهة الثانية؛ لا كلام في ضرورة أن نتحاشى خلق حاجز نفسي بيننا وبين أتباع أية ملّة بما فيها ملة البكريين، بيد أن ذلك التحـاشي يجـب أن يكـون حـسب الـضوابط الـشرعية، فـإذا استدعى الإرشاد والصدع بالحق تكوّن هذا الحاجز فلا بد من القبول، أمـا أن نـضحّي ببيـان الحق من أجل الحيلولة دون تكوّن هذا الحاجز؛ فذلك أمر مرفوض شرعا.

وبعبارة أخرى؛ إن الحرص على عدم تنفير الناس هو أمر مهـم، إلا أنـه لا يـستلزم تـرك بيان الحق والتخلي عن وظيفة التبليغ الديني والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فـذلك أمـر أهم، والقاعدة العقلية التي يصحّحها الشرع هي «تقـديم الأهـم عـلى المهـم». وإنـما يمكـن تحاشي التنفير وخلق الحواجز النفسية بالمخالطة بالمعروف والأخلاق الرفيعة وما إلى ذلك ممـا لا يستدعي تنازلا عن الحق أو ثوابته، أو تراجعا عن إعلانه وبيانه. فالمؤمن بقدر ما يكون ليّنا

في تعامله مع الآخرين؛ فإنه يكون حازما في كل ما يتصّل بالدين، ولذا قال مولانا أمير المؤمنين (صلوات الله وسلامه عليه) أن من علامات المؤمن: «**حزمٌ في لين**».[(١)]

وإذا أردت مزيدا من الإيضاح فتمعّن في هذه الأمثلة:

● مع أن الله تعالى نهى عن مجادلة أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن كما في قوله سبحانه: «**وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**»[(٢)] إلا أنه في مواضع كثيرة أخرى وصف أهل الكتاب بالكفر والفسق والبغي والعصيان وقسوة القلب! ولعنهم ولعن أسلافهم! وأوعدهم نار جهنّم! وعبّر عنهم بأنهم شرّ البرية! بل وشبّه علماءهم بالحمير!

فكان مما قال جل وعلا: «**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ**»[(٣)] وقال تعالى: «**وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ**»[(٤)] وقال تعالى: «**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ**»[(٥)] وقال تعالى: «**وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ**»[(٦)] وقال تعالى: «**وَإِذَ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاء ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْاْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ**»[(٧)] وقال تعالى: «**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ**

(١) البحار ج٧٥ ص٢٥.

(٢) العنكبوت: ٤٧.

(٣) البينة: ٧.

(٤) التوبة: ٣٠.

(٥) المائدة: ٦٥.

(٦) آل عمران: ٢٠.

(٧) آل عمران: ١٨٨.

آمِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً»(١) وقال تعالى: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَؤُلاء أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ سَبِيلاً * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ وَمَن يَلْعَنِ اللهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا»(٢) وقال تعالى: «أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ»(٣) وقال تعالى: «مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللهِ وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ».(٤)

ولا يخفى أن اليهودي أو النصراني يرى هذه الآيات شديدة الوقع على نفسه، فهو يُتَّهم بأنه كافر! وملعون! وباغٍ! وفاسق! وظالم! وقاسي القلب! ومن شرّ البرية! ويتبع علماء كالحمير! ويتوعّده قرآن المسلمين بأن الله سيقاتله ثم يخلّده في النار!

فكلّ هذه «الاتهامات» ألا تشكل حاجزا نفسيا بينه وبين الإسلام والمسلمين؟ بالطبع نعم، غير أنها من مقتضيات تعريفه بالحق ونصحه بسلوك سبيل الرشاد وترك سبيل الكفر والضلال والفساد، وإلا فكيف يمكن إبلاغه بأن عقيدته باطلة وأن عليه أن يعتنق الدين الحنيف؟! كيف يمكن ذلك دون أن نصارحه بأنه كافر وضال ويتبع شخصيات قامت

---

(١) النساء: ٤٨.

(٢) النساء: ٥٢ - ٥٣.

(٣) الحديد: ١٧.

(٤) الجمعة: ٦.

بتحريف دين الله وإفساد البلاد والعباد؟! كيف يمكن ذلك دون أن نحذّره من مغبة مآلـه في النار إن هو أصرّ على التشبث بدينه الباطل؟!

نعم هي صدمة قد تكوّن نفورا أو حاجزا نفسيا عنده، إلا أنها ضرورية لتسمية الأشـياء بمسمّياتها، ووضع النقاط على حروفها، فـالأولى والأهـم دائـما هـو الـصدع بـالحق وبيانـه، ودعوة البشر إلى دين الله الذي ارتضاه لهم، والمنصف سرعان ما تزول الـصدمة عنـه ويرتفـع ذلك الحاجز من شعوره تجاه الإسلام والمسلمين، عنـدما يعـرف أنهـم عـلى الحـق وأنـه عـلى الباطل، وأن الحجة معهم وهي عليه، وأنهم كشفوا له الحقيقـة وبـصّروه بـما ينجيـه في الـدنيا والآخرة، وكان هذا خيرا له من مجـاملتهم إيـاه وإخفـائهم هـذه الحقـائق عنـه ليمـوت عـلى اعتقاده بالأساطير والخرافات ويجد نفسه تاليا في قعر جهنّم العذاب!

● أنزل الله تعالى تلك الآيات الـصاعقة في شـأن أبي لهـب لعنـة الله عليـه، ذلـك الرجـل الخبيث الذي استغل كونه عمًّا لرسول الله (صـلى الله عليـه وآلـه) في التحـرك والتـآمر ضـدّه لإحباط دعوته بل والتخلص منه. فقال سبحانه: «**بِسْمِ اللهِّ الـرَّحْمَنِ الـرَّحِيمِ * تَبَّـتْ يَـدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَـبِ * فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ**».[١]

وما زال المسلمون يتلون هذه الآيات حتـى في صـلواتهم المفروضـة، فيتـذكرون جـرائم أبي لهب وأذاياه لخاتم الأنبياء (صلى الله عليه وآله) حتى استحق نزول هذه الآيـات الـشديدة في شأنه وفي شأن امرأته النذلة.

---

(١) سورة المسد.

ولكن! لنجعل أنفسنا في موضع أبناء أبي لهب وأحفاده وذريته، ماذا سيكون شعورنا ونحن نرى فضيحة أبينا وأمنا قد ثُبِّتت في نصّ تعبّدي يتلوه الناس إلى الأبد؟! ماذا سيتولّد في نفوسنا ونحن نسمع تعيير الناس لنا بأننا من أبناء رجل كافر فاجر هالك معذَّب بالنار هو وامرأته؟!

لا شك أننا لو كنّا في هذا الموضع وكنا منتسبين إلى أبي لهب لشعرنا بضيق لا يُطاق، ولأحاطت بنا الكآبة، إذ إن هذه السورة تمثّل إهانة شديدة وصريحة لوالدينا، والمرء لا يتحمل عادة أن يُهان في آبائه وإن كانوا مستحقين.

فالسؤال هنا: هل نتوقّع أن أحدا من أبناء أبي لهب يمكن أن يتقبّل الإسلام مع نزول هذه السورة الصاعقة وبقائها غير منسوخة؟ فإن هذه السورة من أعظم الحواجز النفسية التي تمنعه من الدخول في دين يتعبّد أهله بذم أبيه وأمّه! فلماذا إذن أنزلها الله تعالى وأثبتها في كتابه؟! ألم يكن الأولى أن لا تنزل مثل هذه الآيات لئلا يُخلق حاجز نفسي بيننا وبين أبناء أبي لهب وذريته فيمكن أن يرغبوا في ما بعد بالإسلام؟!

والجواب على هذا السؤال يتلخّص في أن الله الحكيم حكى الواقع في كتابه ليكون درسا للأجيال، فأبو لهب كافر ملعون خبيث، وكذلك امرأته حمالة الحطب، وعلى أبنائهما أن يتقبّلوا هذه الحقيقة وإن كانت مؤلمة، لأنها حقيقة! وليس من الصواب أن تُراعى مشاعرهم على حساب الدين والحق، وعلى حساب تبصير الأجيال بما تحمّله رسول الله (صلى الله عليه وآله) في بدء دعوته من الأذايا والمحن حتى من بعض أقاربه.

فإذا كان أبناء أبي لهب مستعدين لدخول الإسلام فعليهم أن يذعنوا لهذه الحقيقة، وهي أن والديْهم كانا محاربيْن لله ورسوله، وعليهم أن يتبرأوا منهما وإن كانوا من نسلهما، فإذا

فعلوا وآمنوا واتقوا احترمهم الإسلام واحترمهم المسلمون، وفرّقـوا بيـنهم وبـين والـديهم، فإنه «مَّنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى».[١]

وهكـذا كـان بالفعـل؛ فـإن كثـيرا مـن النـاس اليـوم لا يعلمـون بـأن بعـض أبنـاء أبي لهب وأحفاده قد أسلموا وآمنوا رغم ما نزل في أبيهم وأمهم مـن قـوارع الآيـات! فكـان منهم عتبة بن أبي لهب، ومعتب بن أبي لهـب، وقـد أسـلما يـوم الفـتح ثـم شـاركا في معركـة حنين حتى إذا انهزم الجمع وولّوا الدبر وخذلوا رسول الله (صلى الله عليه وآلـه) كـان هـذان ممن ثبت في أرض المعركة مدافعين منافحين![٢] ومن أحفاده المسلمين العباس بـن لهـب ابـن أبي لهب[٣] وابنه الفضل صاحب الأبيات المشهورة في الانتصار لأمير المؤمنين (عليه الـسلام) حين أُزيح عن مقامه الشرعي في الخلافة بعد مؤامرة سقيفة بني ساعدة، والتي يقول فيها:

مـا كُنـت أحـسبُ أن الأمـرَ منـصرفٌ	عـن هاشـمٍ ثـم منهـا عـن أبي حَـسنِ
البَـــرُّ أوَّلُ مـــن صلّـــى لقبـــلتهِ	وأعلـــمُ النـــاسِ بالقـــرآنِ والـسُّنَنِ
وآخِـرُ النـاسِ عهـداً بـالنبي ومَـنْ	جبريـلُ عـونٌ لـه في الغُـسلِ والكفـنِ
مَـــن فيـــه مـــا فيـــه لا تَمْـــترونَ بـــهِ	ولـيسَ في القـومِ مـا فيـه مِـنَ الحَـسَنِ[٤]

---

(١) الإسراء: ١٦.

(٢) لاحظ ترجمتها في الإصابة لابن حجر برقم ٥٤٢٩ ورقم ٨١٣٨

(٣) لاحظ ترجمته في الإصابة برقم ٤٥٢٦ وقد سمّاه (العباس بن عتبة بن أبي لهب) وهو غلط فإنـه ابـن لهـب المقتول بدعاء الرسول (صلى الله عليه وآله) في قصة الأسد، لا ابن عتبة الذي أسلم يوم الفتح.

(٤) أُسْد الغابة لابن الأثير ج٤ ص٤٠، وثمة قول بنسبة الأبيـات إلى أبي سـفيان بـن حـرب، وقـول ثالـث بنسبتها إلى العباس بن عبد المطلب. والمظنون أنها من الأوّل أعني الفضل بن العباس بن لهب بـن أبي لهـب إلا

فها أنت ترى كيف أن هؤلاء قد أسلموا وحسن إسلامهم وقد تجاوزوا الحواجز النفسية التي خلقتها تلك الآيات الواردة في شأن أبيهم وأمهم، وهكذا هو شأن هذا الكتاب مع من يعتقدون بأن عائشة أمهم، فوإن كان الكتاب مسبّبا لشيء من الصدمة أو التنفير في بادئ الأمر أو خالقا لحاجز نفسي إلا أن كل ذلك يزول في ما بعد عند المنصفين ممن هدى الله، والأهم والأولى هو تبيان الحق وعرض الحقيقة، فإذا اعترضت علينا وجب أن تعترض على الله سبحانه إذ أنزل سورة أبي لهب! فهل تفعل؟!

ثم إن عليك أن تعلم بأن الإسلام لا يعترف بتعاظم مكانة شخصية من الشخصيات المنحرفة، فمهما امتلكت تلك الشخصية من الأتباع والأنصار، ومهما تسربلت بسربال القداسة؛ فإن ذلك لا يمنع المسلم من الجهر بكلمة الحق في وجهها وفي وجه أتباعها، فالمعيار ليس هو العظمة الدنيوية للشخصية بحيث أنه إذا غدت بالباطل رمزا مقدسا عند قوم ما امتُنِع عن ثلبها وفضحها! بل المعيار هو العظمة الأخروية للشخصية، فإذا كانت مؤمنة مطيعة لله تعالى وجب احترامها حتى وإن لم يكن لها في الدنيا أنصار أو أتباع كحال كثير من أنبياء الله تعالى الذين ناصبهم أقوامهم العداء وارتحلوا إلى جوار ربّهم شهداء مظلومين غرباء!

● إن الأنبياء (عليهم السلام) جميعا عندما يعلنون دعوتهم فإنهم يتسبّبون واقعا في زلزال يفرّق المجتمع وينسف وحدته وتماسكه نسفا![1] وانظر نظرة عابرة إلى التاريخ وسترى أن

أنها سُمعت من الآخرين ترديدا آنذاك، فإن الأشعار كانت تسري بين الناس سريان النار في الهشيم.

(١) تأمل قوله تعالى: «**كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللهُ يَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**» البقرة: ٢١٤، نعم.. كان الناس أمة واحدة فلما بعث الله النبيّين اختلفوا وتنازعوا!

أي مجتمع قبل ظهور نبي فيه يكون متحدا متماسكا متآلفا متحابا، فإذا ظهر فيه نبي؛ وقع فيـه الإنقسام والتفرّق والتنازع والتباغض إلى درجة أن الابن يرفـع الـسيف في وجـه أبيـه وكـذا الأخ في وجه أخيه! ويصاحب هذا في الغالب اشتباكات داخلية وحروبا أهلية تمتد آثارهـا في بعض الأحيان إلى قرون!

فلمَ يحصل كل هذا؟ والجواب معلوم؛ فإن النبي بإظهـاره دعوتـه إنـما يطـرح مـشروعا إبطاليا لما هو سائد اجتماعيا عند قومه من معتقدات وأفكار وأساليب حياة، فيسبح هو ومـن يؤمن به عكس التيّار، وينظر إليهم قومهم نظرة المتطـاولين عـلى المقدّسـات، الـساعين لهـدم أسس المجتمع، الزارعين بذور الفتنـة والـشقاق، المفـرّقين للجماعـة والـشارخين «للوحـدة الوطنية»!

وهذا كلّه صحيح! فإن النبي ومن معه «يتطاولون» على تلك المقدّسات الزائفة من أوثان وأصنام ويسفّهونها، ويسعون لهدم الأسس الباطلة التي قام عليها المجتمع من الكفر والشرك والضلال والفساد، ويخلقون «فتنة»[1] بين الناس ليتميّز المـؤمن عـن الكـافر فيهـا، ويـشقّون المجتمع إلى نصفين أحدهما أخذ بـالحق والآخـر بقـي عـلى الباطـل، ويـشرخون مـا يـسمى بالوحدة الوطنية التي تكون على حساب إحقاق الحق، ويحلّون محلّها «الوحدة الإيمانية».

أجل؛ إن النبي عندما يظهر في مجتمع ما فإنه يفرّقه ويقسّمه، محاولا إعـادة توحيـده عـلى أسس سليمة، فإن المجتمع الذي يكون متوحدا على أساس الكفر والفساد لا ينفعه توحده في شيء، لأنه يقوده إلى الهاوية وإن كانت صورة «الوحدة» في الظاهر جميلة برّاقة.

---

(١) بمعنى الاختبار، كما قال تعالى: «**قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ**» طه: ٨٦، وكما قـال تعالى: «**وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَـيَعْلَمَنَّ الْكَـاذِبِينَ**» العنكبـوت: ٤، وكـما قـال تعالى: «**وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ**» الدخان: ١٨.

ولكي تكون على بيّنة أكثر في هذا الصدد؛ تأمل في نموذج النبي العظيم إبراهيم (عليه وعلى نبينا وآلهما السلام) فإنه حينما انطلق في دعوته عمد إلى أكثر الأساليب «استفزازا» للمجتمع! عندما قام بتكسير أصنامهم التي هي عندهم أقدس مقدساتهم إذ هي آلهتهم التي يعبدونها! وأنت عالم بردة فعلهم العنيفة على هذا العمل. فهل أن إبراهيم (صلوات الله عليه) كانت تنقصه الخبرة بالأساليب الدعوية الكثيرة الأخرى أو أنه كان يجهلها – والعياذ بالله – حتى عمد إلى هذا الأسلوب الاستفزازي السافر؟! قطعاً لا؛ وإنما كان في لجوئه لهذا الأسلوب حكيماً، ففي أحيان لا يمكن إيقاظ المجتمع من وهم المقدسات الزائفة والخرافات والأباطيل إلا بكسرها وسحقها وتدميرها بشكل مباشر على نحو يصعق المجتمع ويجعله يصحو من غيبوبته! تماما كالمغشي عليه الذي نضطر أحيانا إلى أن نصفعه صفعة قوية على وجهه حتى يفيق!

لقد حاول معهم إبراهيم (عليه السلام) بأسلوب التمثيل التدريجي، عندما أشار إلى الكوكب والقمر والشمس قائلا لكلٍّ منها: «**هذا ربي**»! عسى أن ينبّه أذهان الناس إلى أنه ما من إله إلا الله وحده، وفي ختام هذا المشهد أعلنها بعد ذلك: «**قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**».[١]

واستخدم معهم إبراهيم (عليه السلام) أسلوب الحوار، فجادلهم مرارا على أمل أن يهتدوا، إلا أن كل هذه المحاولات لم تنفع ولم تحقق النتيجة المرجوّة، فكان لا بد حينها من «صعقة الإنقاذ» وإن كانت استفزازية أو مؤلمة. أراد خليل الله (صلوات الله عليه) أن يُشهدهم واقعيا كيف أن الآلهة التي يعكفون على عبادتها لم تستطع حتى حماية نفسها من الكسر! فكيف تكون آلهة تُعبد؟!

---

(١) الأنعام: ٧٩ – ٨٠

لهذا خَطى إبراهيم (عليه السلام) هذه الخطـوة الـصعبة وتحمّـل نتائجهـا الخطـيرة التـي هانت في سبيل هدف تكوين النواة الإيمانية في ذلك المجتمع الوثني الكافر، فبعد هذه الخطوة الشجاعة راجع بعض القوم أنفسهم وأدركوا ما هم عليه من ضلال فـآمنوا بـدعوة إبـراهيم عليه السلام، وقد أمرنا الله تعالى بأن نقتدي بهؤلاء ونجعلهـم أسـوة حـسنة لنـا في أسـلوب تعاملهم مع قومهم، فبأي أسلوب تعاملوا؟

إنه أسلوب يحمل كثـيرا مـن التحـدي والجـرأة والإصرار عـلى نـسف الرمـوز المقدسـة للآخرين وإعلان البراءة منهم والتعبير بصراحة عن عداوتهم وبغضهم لهم إلى الأبد ما داموا لا يتخلَّوْن عن عقيدتهم الفاسدة! وذلك هو ما حكاه الله تعالى لنا إذ يقول عزّ من قائـل: «**قَـدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَاؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّـا تَعْبُـدُونَ مِن دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ**».[1]

لقد اتخذوا أشد المواقف واستخدموا أقسى العبارات، فقد قـالوا لقـومهم: «**إِنَّـا بُـرَءَاؤُاْ مِنكُمْ**»! ولم يكتفوا بذلك بل أردفوه بما هو أشد حين قالوا: «**كَفَرْنَا بِكُمْ**»! ولم يكتفـوا بـذلك أيضا فزادوا قائلين: «**وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَدًا**»! ومع هـذا فـالله تعـالى يأمرنـا بالاقتداء بهم في صنيعهم هذا إذ يقول: «**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ**»!

نعم لقد خرق إبراهيم والذين معه هذه الوحدة الأهلية المبنية على الباطل، وانـشقوا عـن مجتمعهم، وتخندقوا ضده، وتمرّدوا على رموزه المقدسة، ولم يقبلوا بأي نوع من أنـواع التوافـق أو الانسجام معه للحفاظ على تماسكه أو الإبقاء عـلى وحدتـه. وهـذه صـورة جليـة لـصراع طائفي أهلي حقيقي أحدثه إبراهيم والثلة المؤمنة به! فلو أنهم سكتوا وتغاضوا لما حـصل كـل هذا ولما تمزّق المجتمع إلى طائفتيْن متحاربتيْن تحفر الأولى حفر النـيران لتحـرق الثانيـة فيهـا!

---

(١) الممتحنة: ٥

فهل لنا أن نعترض على ما فعله أبو الأنبياء إبراهيم (عليه السلام) ومن معه من المؤمنين مدّعين أنه كان الأولى بهم أن يحافظوا على وحدة المجتمع وتماسكه ويتغاضوا عن «إهانة» رموزهم المقدسة؟! معاذ الله، فإن هذا الاعتراض يخرجنا من الإسلام!

بل الواجب علينا أن نستفيد من هذا النموذج ونفهم أن أي سعي للحفاظ على وحدة المجتمع إذا كان مبنيا على أساس التنازل عن إحقاق الحق والتخلي عن إبطال الباطل هو سعي مرفوض في الإسلام، لأن نتيجته بقاء الكفر والضلال والفساد والانحراف، فلا أحد يجهر بالدعوة إلى سبيل الله تعالى ونبذ سبيل الشيطان وحزبه بذريعة الحفاظ على وحدة المجتمع وتماسكه وتآلفه وما إلى ذلك من الشعارات الرنّانة التي يُضحك بها على ذقون السُذَّج من الناس!

وفي المقابل؛ فإن كل سعي لهداية الناس إلى الحق وتعريفهم بالباطل وبالرموز المقدسة التي خُدعوا بها هو سعي مبارك يحثّ عليه الإسلام حتى ولو استلزم - اضطرارا - تمزيق المجتمع وتشطيره وتحمّل تبعات ذلك على خطورتها والتضحيات الجمَّة التي ستتطلبها! وقد بشّرنا الله تعالى إذ قال: «**وَلا تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبيلِ اللهّ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ * وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ**».[1]

وصحيح أن السعي لهداية الناس يلازم عادةً شق وحدة الصف؛ بيد أنه يقع عرضا وفي مرحلة البداية فقط، والهدف هو إعادة توحيد المجتمع وجمعه على أساس إيماني سليم خالٍ من الباطل والانحراف، وهذا كان هدف إبراهيم وسائر الأنبياء عليهم أفضل الصلاة وأزكى السلام؛ أن تتوحد المجتمعات على أساس الحق لا الباطل، فإن التوحد على أساس

---

(١) البقرة: ١٥٥- ١٥٦

الباطل لا نفع فيه بل فيه الضرر في العاجلة والآجلة. لذا فالمأمول بعد تجـاوز مرحلـة البدايـة وصدماتها أن يستنير المجتمع بنور الحق فيتوحّد من جديد ارتكازا عليه، والتجارب التاريخيـة أثبتت صوابية هذا المسعى.

وعلى ما تقدّم؛ فنحن مأمورون شرعا بهداية المنحرفين عن ديـن الله تعـالى، ومـن هـؤلاء طائفة البكريين الذين بسبب إفراطهم في هوى عائشة يكـادون أن يتخـذوها – عمليـا – إلهـاً يُعبد من دون الله! كما قال سبحانه: «**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ**».[١]

وتحوّل عائشة إلى رمز مقدس أو حتى إلى إله لا يجب أن يجعلنا نتراجع عن بيان حقيقتهـا التي تنطق بها الأدلة من أنها امـرأة كـافرة ناصـبة قاتلـة فاسـقة مجرمـة عـاهرة! بـل إن ذلـك يضاعف علينا الوجوب في العمل على تبصير أهل العامة بهذه الحقيقة ليهتدوا وليعرفوا أنهـم باتباعهم لتعاليم هذه المرأة الخبيثة فإنهم يسيرون في درب الشيطان لا درب الرحمن!

وعملنا في هذا الكتاب «إبطالي نسفي» على الطريقة الإبراهيمية، ولا يهمّنا ما قد نُتَّهَم بـه من إحداث الفتنة وشق وحدة الأمة، فإنما هي – عـلى فـرض وجودهـا – وحـدة مبنيـة عـلى باطل وانحراف، ولا خير في وحدة كهذه! وموقفنا هنا هو موقف إبراهيم والذين معه، فمـن أراد الاعتراض فليعترض على أولئك أولا ثم يأتينا!

الجهة الثالثة؛ إن محاولة الاستقواء بآية النهي عن سب آلهـة المـشركين[٢] لإحبـاط جهـود تعرية أئمة ورموز الباطل والضلالة والمناوأة لأهل البيت عليهم السلام؛ هـي محاولـة فاشـلة محكوم عليها بالسقوط.

---

(١) الجاثية: ٢٤

(٢) «**وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ فَيَسُبُّواْ اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ**». الأنعام: ١٠٩.

أما أولا؛ فلأن ما نُهي عنه في الآية إنما هو خصوص السب وذلك قوله تعالى: «**وَلاَ تَسُبُّواْ**» وهذا غير ما نحن بصدده من بيان مساوئ وجرائم تلك الشخصيات بمنهجية علمية بغية إثبات عدم جواز موالاتها أو الاقتداء بها. فإن قيل: إنكم أحيانا تلعنون صراحةً؛ قلنا: اللعن غير السب، فإن الأول دعاء مشروع لله تعالى بطرد وإبعاد هذا الملعون من رحمته، أما الثاني فهو استخدام مفردة لغوية وصفية مغايرة لواقع الموصوف بقصد الإهانة والانتقاص. ولا يُقال: فأنتم تستخدون أوصافا من قبيل (خونة، أنذال، سفلة، خبثاء.. إلخ)؛ إذ يُقال: هي وإن كانت أوصافا إلا أنها لا تغاير الموصوف وذكرها ليس لقصد إهانته والانتقاص الشخصي منه وإنما لبيان حاله الواقعية وفق الأدلة والوقائع. وهذا نظير قوله تعالى: «**وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**».[1]

وأما ثانيا؛ فلأن النهي الوارد في الآية هو عمّا يتوجّه من سب إلى آلهة المشركين لا أنه يعمُّ جميع الأفراد، وعلى فرض عمومية الحكم في الآية فإن ما نحن بصدده يكون خارجا عنه تخصّصا لأنه ليس بسب، وعلى فرض أنه كذلك فيكون خارجا عنه تخصيصا لما مرّ عليك من قوله صلى الله عليه وآله: «**وأكثروا من سبّهم**».[2]

فإن قيل: بل إن الحكم يعمّه لقول الرضا عليه السلام: «**يا ابن أبي محمود.. إن مخالفينا وضعوا أخبارا في فضائلنا وجعلوها على ثلاثة أقسام، أحدها الغلو وثانيها التقصير وثالثها التصريح بمثالب أعدائنا، فإذا سمع الناس الغلو فينا كفّروا شيعتنا ونسبوهم إلى القول**

---

(١) الأعراف: ١٧٧

(٢) الكافي ج٢ ص٣٧٥

بربوبيّتنا، وإذا سمعوا التقصير اعتقدوه فينـا، وإذا سـمعوا مثالـب أعـدائنا بأسـمائهم ثلبونـا بأسمائنا وقـد قـال الله عـز وجـل: ولا تـسبوا الـذين يـدعون مـن دون الله فيـسبوا الله عـدوا بغير علم».[١]

قلنا: الخبر في مقام الحث على التمييز بين الروايات المنسوبة إليهم (عليهم الـسلام) عنـد المخالفين لئلا يؤخذ بتلك المكذوبة عليهم من قبلهم، فإنه (عليه الـسلام) قـال: «**إن مخالفينـا وضعوا**»، وقد كان جوابا منه (عليه السلام) على سؤال إبراهيم ابن أبي محمـود وهـو: «**يـابن رسول الله.. إن عندنا أخبارا في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام وفضلكم أهل البيـت وهـي من رواية مخالفيكم ولا نعرف مثلها عندكم أفندين بها**»؟[٢] ومنه تعرف أن التحذير إنما هو مما رُوي منسوبا إليهم عن طريق المخالفين فحسْب مما يظهر منه أنهم قد اختلقوه لأجـل تـشويه سمعتهم (عليهم السلام) سواء كـان مـن بـاب الغلـو أو التقـصير أو الثلـب، أمـا مـا رُوي منسوبا إليهم عن طريق ثقاتهم وأصحابهم وشـيعتهم ورواة حـديثهم فـلا يـشمله، وكـذا لا يشمله ما هو غير منسوب إليهم وإن كان من طرق المخالفين كروايـاتهم القادحـة في أئمـتهم وخلفائهم والتي تكون حجة عليهم، وعلى هذا فالاستدلال بالخبر على تحـريم مطلـق الثلـب غير تام بل هو أجنبي عما نحن بصدده من نقل رواياتهم التي يشهدون بهـا عـلى أنفـسهم، أو نقل رواياتنا عن أئمتنا عليهم السلام.

ولا يُقال: إنما مطلوبنا ذيل الخبر إذ فيه اندراج ذكر مثالب أعدائهم بأسمائهم تحت حكـم النهي عن السب في الآية. إذ يُقال: لا يتم مطلوبكم لتعدية الحكم بالنهي عن السب على ذكر المثالب مطلقا إذ التعليق في الخبر يجاري التعليق في الآية فتكون الحرمة على تقدير ما لـو كـان

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ج٢ ص٢٧٢

(٢) المصدر نفسه.

ذكر تلك المثالب مستلزما لأن يرتدّ على الأئمة (عليهم السلام) فيُثلبون والعياذ بالله، ولا يخفى ارتفاع الملازمة اليوم إذ لا يجسر أحد منهم على الإساءة إلى أئمتنا (صلوات الله عليهم) علناً كما كان أسلافهم يفعلون، ولا يُعتنى بالشاذ منهم، فلا محذور من هذه الجهة. وبذا تقف على أن الخبر منصرف إلى قضية خارجية بحسب ظروف ذلك الزمان، كما هو الحال في سبب نزول الآية، إذ كان قيام المسلمين في بدء الدعوة بسب آلهة المشركين يستدعي تجاسر هؤلاء على الذات الإلهية، فنهاهم الله تعالى عن ذلك، ثم لمّا ارتفع هذا المحذور نزلت آيات عدة في ذم هذه الآلهة ووقع ما كان أشدّ وأوقع على قلوب المشركين من سبّها وهو تحطيمها يوم الفتح.

هذا والحاصل من ملاحظة سبب نزول الآية الكريمة أن غايتها نهي المؤمنين عن الانفلات العصبي في ما يقابل الكافر بحيث يُشتم إلهه جزافا دون أن يكون لذلك أدنى فائدة أو مصلحة بل يترتّب عليه ارتداد الشتم على الرب تبارك وتعالى وتعميق التضاد بين المؤمنين والكافرين بما لا يُرجى معه هدايتهم، فهذا هو المنهي عنه، أما المناقشة والطرح العلمي وإن اقتضى إهانة إله الكافر في نظره فليس بمنهي عنه، بل هو مستحب ومطلوب شرعا لإثبات بطلان عقائده السخيفة. وهذا الذي قلناه هنا نقوله هناك في ما يقابل المخالف لوحدة المناط.

فإن قيل: سلّمنا لكن قد صدر النهي الخاص عن سب أعداء الأئمة حيث يسمعون في رسالة الصادق (عليه السلام) لشيعته، وفيها: «.. **وإياكم وسب أعداء الله حيث يسمعونكم فيسبوا الله عدوا بغير علم، وقد ينبغي لكم أن تعلموا حد سبهم لله كيف هو؟ إنه من سب**

أولياء الله فقد انتهك سب الله، ومن أظلم عند الله ممن استسب لله ولأولياء الله، فمهلا مهـلا، فاتبعوا أمر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله».[١]

قلنا: الجواب أولا على ما قرّرناه آنفا من أن النهي متعلق بما لو ارتد السب على أولياء الله تعالى، ومع عدمه – كما في زماننا – فلا نهي. وثانيا أن ما نحن بصدده من تعرية أئمـة الباطـل والجور بالدليل والبرهان ليس سبا ولا يتوجه إليه النهـي، ويؤكـده جريـان ذلـك في زمـانهم (عليهم السلام) من قبل أصحابهم كهشام بن الحكم وغيره في مجالس المنـاظرة والكـلام مـع حصول تأييد الأئمة (عليهم السلام) لهم فيها. وثالثا أن النهي في الخبر لقضية خارجية وهـو مقيّد بظروف ذلك الزمان لا أنه مطلق يشمل كل حين، ونظيره صدور النهي آنذاك حتى عن ذكر فضائلهم بل ذكر أسمائهم المباركة! كما في رواية عنبسة عن أبي عبد الله الصادق صـلوات الله عليه: «**إياكم وذكر علي وفاطمة عليهما السلام فإن الناس ليس شيءٌ أبغض إليهم من ذكر علي وفاطمة عليهما السلام**».[٢]

فهل يُعقل أن يمتنع أحد الآن عن ذكر علي وفاطمـة (علـيهما الـسلام) باعتبـار صـدور النهي عن ذلك؟! بالقطع لا.. فإن النهي مؤقت ومتعلق بظروف الاضطهاد والتقية الشديدة التي يكون فيها ذكرهما (صلوات الله عليهما) معرّضا الإنسان المؤمن لخطـر القتـل أو الـضرر الشديد، أما في عصرنا حيث لا يتهدد الإنسان مثل هذا الخطر فلا إشـكال في قيامـه بواجـب ذكرهما وإحياء أمرهما صلوات الله عليهما.

وكذلك فإنه لا يجب في عصرنا الامتناع عن ثلب أعداء عـلي وفاطمـة (علـيهما الـسلام) وذكر مساوئهم وجرائمهم ومخازيهم، ودفع الناس إلى الـبراءة مـنهم ولعـنهم وسـبهم، فـإن

---

(١) الكافي ج٨ ص٧

(٢) الكافي ج٨ ص١٥٩

النهي عن ذلك إنما كان مؤقتا ومتعلقا بظروف الاضطهاد والتقية الشديدة، وقد ولّت تلك الظروف مع حصول التقدم العالمي الذي نشهده باتجاه الحريات وحقوق الإنسان والمعلوماتية بحيث يمكن للإنسان المؤمن أن يصرّح بجرائم أعداء الله - ولو عبر شبكة الإنترنت مثلا - دون أن يتهدده أدنى خطر.

فلنشعلها ثورة إذن! نجعل فيها الناس تثور على الباطل بكل صوره وأشكاله ومعانيه وشخصياته، فذلك مما ربّانا عليه أئمتنا (عليهم السلام) وهو من أعظم القربات إلى الله تعالى.

وحتى تعرف كيف كان أئمتنا (صلوات الله عليهم) يقومون بتربية شيعتهم على فضح أئمة الضلالة كأبي بكر وعمر وعثمان عليهم اللعنة؛ تأمل في هذه الرواية الشريفة التي تحكي ما صنعه إمامنا الحسن الزكي العسكري صلوات الله عليه وأرواحنا فداه:

«اجتمع قوم من الموالين والمحبين لآل رسول الله صلى الله عليه وآله بحضرة الحسن ابن علي عليهما السلام، فقالوا: يابن رسول الله.. إن لنا جارا من النُصّاب يؤذينا ويحتجُّ علينا في تفضيل أبي بكر وعمر وعثمان على أمير المؤمنين عليه السلام، ويورد علينا حججا لا ندري كيف الجواب عنها والخروج منها؟

فقال الحسن عليه السلام: أنا أبعث إليكم من يفحمه عنكم، ويصغِّر شأنه لديكم. فدعا برجل من تلامذته وقال: مُرْ بهؤلاء إذا كانوا مجتمعين يتكلمون، فتسمع إليهم، فيستدعون منك الكلام فتكلّم، وأفحم صاحبهم، واكسر عزّته، وفُلَّ حدَّه، ولا تُبْقِ له باقية!

فذهب الرجل وحضر الموضع وحضروا، وكلّم الرجل فأفحمه وصيَّره لا يدري في السماء هو أو في الأرض! قالوا: ووقع علينا من الفرح والسرور ما لا يعلمه إلا الله تعالى، وعلى الرجل والمتعصبين له من الحزن والغمِّ مثل ما لحقنا من السرور.

فلما رجعنا إلى الإمام قال لنا: إن الذي في السماوات من الفرح والطرب بكسر هذا العـدو لله كان أكثر مما كان بحضرتكم، والذي كان بحضرة إبليس وعتاة مردتـه مـن الـشياطين مـن الحزن والغمِّ أشد مما كان بحضرتهم. ولقد صلّى على هـذا العبـد الكـاسر لـه ملائكـة الـسماء والحُجُب والكرسي، وقابلها الله بالإجابة، فأكرم إيابه وعظَّم ثوابه. ولقد لعنت تلك الأمـلاك عدوّ الله المكسور، وقابلها الله بالإجابة فشدَّد حسابه وأطال عذابه». (١)

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام ص٣٥٣ والاحتجاج للطبرسي ج١ ص١٢

(٥)

يغيب عن كثير من المسلمين أنه لما بدأ خاتم الأنبياء (صلى الله عليه وآله) دعوته بالتوحيد ودين الإسلام، لم يلقَ مجابَهةً من قومه ولا محاربة جدِّية منهم في أوائل أمره، وإنما تطوَّرت الأمور إلى تلك الصدامات العنيفة بعد خطوة تصعيدية قام بها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

تلك الخطوة تمثَّلت بتحويل لهجة الخطاب الدعوي إلى اتجاه يتعدى على الرموز المقدسة للطرف الآخر! ففي بادئ الأمر؛ أعلن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه صاحب دين جديد اسمه الإسلام، مبيّنا بعض أساسياته وأركانه كالتوحيد والمعاد، مُظهرا ما فيه من خير للبشر إن هم آمنوا به وطبّقوه. إلا أن هذا الخطاب بما يقتصر عليه وبمستوى نبرته لم يكن كافيا لتحقيق الغاية، وهي محو الكفر وإحلال الإسلام، لأن قريشا تعاملت مع النبي (صلى الله عليه وآله) في البداية كتعاملها مع أي مدَّعٍ آخر لنزول خبرٍ من السماء عليه، إذ لم تجد في دعوته ما يستفزّها أو يهدد أعرافها السائدة ومصالحها القائمة، ولذا فإنها قابلت هذه الدعوة المحمدية باللامبالاة ولسان حالها يقول: «لنا آلهتنا، ولمحمد إلهه»! وبسببها – أي اللامبالاة – لم تحقق الدعوة تقدما ونموا بالمستوى المطلوب.

وهنا غيّر المصطفى (صلى الله عليه وآله) لهجة الخطاب وقواعد التعاطي مع قومه، إذ أراد أن يستدرج قريشا إلى المواجهة لأن سياسة اللامبالاة التي اتبعتها كانت ستسبب خمول ذكر هذه الدعوة الجديدة وضمورها، والمواجهة هي التي تتيح الفرصة لاستيقاظ المجتمع، عندما يرى ويسمع كلا الطرفيْن المتواجهيْن، فيعرف أيهما على حق وأيهما على باطل، كما أن

المواجهة بما تُحدِثه من دويٍّ في أرجاء المجتمع تُبقي الدعوة حيَّةً وتمنع خمولها، بل هي التي ستؤدي إلى انتصارها لاحقا بما تملكه من عناصر القوة الذاتية.

وهكذا شرع رسول الله (صلى الله عليه وآله) بهذه الخطوة التصعيدية بكل شجاعة وجرأة، متحدِّيا قومه في أقدس مقدساتهم، فعاب آلهتهم واستهزأ بها! وسفَّه عقائدهم وطعن فيها! ولمّا أقدم على ذلك؛ لم يحتمل قومُه الأمر فعاتبوه وطلبوا منه الكفّ عن إهانة رموزهم الدينية فلم يقبل! وساوموه على ذلك فلم يقبل! وهددوه أيضا فلم يقبل! فأعلنوها بعد ذلك حربا شرسة عليه.

وكصورة تاريخية إليك ما يرويه الطبري عن المؤرخ الشهير محمد بن إسحاق قال: «**فصدع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر الله وبادى قومه بالإسلام، فلما فعل ذلك لم يبعد منه قومه ولم يردُّوا عليه بعض الرد في ما بلغني حتى ذكر آلهتهم وعابها، فلما فعل ذلك ناكروه وأجمعوا على خلافه وعداوته**».[١]

ويروي أيضا: «**فلما رأت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعتبهم من شيء أنكروه عليه من فراقهم وعيب آلهتهم ورأوا أن أبا طالب قد حدب عليه وقام دونه فلم يسلمه لهم؛ مشى رجال من قريش إلى أبي طالب.. فقالوا: يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سبّ آلهتنا! وعاب ديننا! وسفّه أحلامنا! وضلّل آباءنا! فإما أن تكفّه عنّا وإما أن تُخلِّي بيننا وبينه.. ومضى رسول الله على ما هو عليه يُظهر دين الله ويدعو إليه، ثم سرى الأمر بينه وبينهم حتى تباعد الرجال وتضاغنوا! وأكثرت قريش ذكر رسول الله بينها وتذامروا فيه وحضَّ بعضهم بعضا عليه، ثم إنهم مشوا إلى أبي طالب مرة أخرى فقالوا: يا أبا طالب إن لك سنا وشرفا ومنزلة فينا وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا، وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم**

(١) تاريخ الطبري ج٢ ص٦٤

آبائنا! وتسفيه أحلامنا! وعيب آلهتنا! حتى تكفّه أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين.. ثم إن أناسا من قريش اجتمعوا.. فقال بعضهم لبعض: انطلقوا بنا إلى أبي طالب فنكلمه فيه فلينصفنا منه فيأمره فليكف عن شتم آلهتنا وندعه وإلهه الذي يعبد!.. فلما دخلوا عليه قالوا: يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا فأنصفنا من ابن أخيك، فمُرْهُ فليكفَّ عن شتم آلهتنا وندعه وإلهه»![١]

ولم تجد كل هذه الوفود التفاوضية الثلاث إلى أبي طالب (عليه السلام) سوى موقف حازم رافض من رسول الله صلى الله عليه وآله، الذي رفض رفضا قاطعا أن يكفَّ عن التعرّض لآلهتهم قائلا مقولته الشهيرة لعمّه أبي طالب: «**يا عمِّ، والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر حتى يُظهره الله أو أهلك فيه ما تركته»!**[٢] فما كان من زعماء قريش بعد هذا الجواب إلا أن «**غضبوا وقالوا: والله لنشتمنَّك وإلهك الذي يأمرك بهذا»!**[٣]

جاء هذا الموقف النبوي الصلب رغم ما سبّبه ذلك من تباعد وتضاغن واحتقانات داخلية أوشكت أن توقد بين أهالي مكة حربا أهلية طاحنة! وقد وقعت في ما بعد بينهم بالفعل حتى سالت الدماء في بدر وأحد والأحزاب وغيرهن!

وفي مقاييس كفار قريش؛ فإن الذي قام به رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان سبا وشتما وتعديا على الرموز المقدسة وانتهاكا للملة المتوارثة وهدما للنظم الاجتماعية القائمة. وفي منطق كفار قريش أيضا؛ فإن العرض الذي قدّموه للنبي (صلى الله عليه وآله) كان منصفا

---

(١) المصدر نفسه ج٢ ص٦٥

(٢) السيرة النبوية لابن كثير ج١ ص٤٧٤

(٣) المصدر نفسه ج٢ ص٦٦

وعادلا! فكل ما عاتبوه فيه وطلبوه منه هو أن يكفَّ عن شتم آلهتهم مقابل أن يـدَعوه وإلهـه! فهو حرٌّ في الدعوة إلى إلهه ودينه كما يحلو له، إلا أنه لا يحق لـه أن يطعـن في آلهـة الآخـرين أو يسفّه عقائدهم أو يهين رموزهم المقدسة!

إلا أنه في المقاييس المحمدية؛ فإن ما قام به النبي الأكرم (صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم) لم يكن سبا وشتما، بل كان نقدا للموروثات الباطلة وإسقاطا للقداسـات الزائفـة اعـتمادا عـلى الحجة والبرهان. وفي المنطق المحمدي أيضا؛ فإن الامتناع عن الطعن في تلك الآلهـة الخرافيـة لا يؤدي سوى إلى تثبيت وجودها المقدس في الواقع والشعور العام، وهذا يتنـافى مـع تثبيـت عقيدة التوحيد لأنها لا يمكن أن تقوم إلا على هدم وإبطـال عقيـدة الـشرك، ولـذا فـإن أول شعار بدأ به رسول الله (صلى الله عليه وآلـه) كـان شـعار «لا إلـه إلا الله»، وهـو مكـوّن مـن جزئين؛ الأول (**لا إله**) وهو هادمٌ لكل إلهٍ ومعلنٌ للبراءة منه، والثاني (**إلا الله**) وهو مؤسـسٌ لوحدانية الله تعالى والولاية له.

وعلى هذا لم يكن للنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسـلم) أن يقبـل بـالعرض القـرشي فيدعو لإلهه فقط ويترك آلهة المشركين وقداساتهم الزائفة عـلى حالهـا! لأن الـدعوة لإلهـه إنـما تنبني على إسقاط بل نسف تلك الآلهة والقداسات الوهمية.

بعدما عرفت هذا؛ فاعرف الآن أن المنطق الذي نلتزم به في جهودنا - ومنها هذا الكتاب - هو المنطق النبوي المحمـدي، بيـنما منطـق خـصومنا هـو منطـق كفـار قـريش! ذلـك لأن خصومنا قالوا لنا منذ الأيام الأولى لتحركاتنا الدعوية ومازالوا يقولـون: لكـم أن تـدعوا إلى أئمتكم وأن تنشروا دينكم، لكن ليكن ذلك بتمجيد أئمتكم وبيان تعاليمكم الشرعية وما إلى ذلك، أما أن تعتدوا على الرموز المقدسة لمخالفيكم فذلك ليس لكم ولا هو من حقّكم!

وبعبارة أخرى؛ اذكروا محمدا وعليا وفاطمة والحسن والحسين وسائر الأئمة عليهم السلام، وذكّروا الناس بسِيَرهم وتواريخهم وأقوالهم ووصاياهم وفضائلهم ومناقبهم وبطولاتهم وتضحياتهم، ولكن لا شأن لكم بأبي بكر وعمر وعثمان وعائشة وحفصة وسائر «الصحابة»، فلا تعيبوهم ولا تجرّموهم ولا تفضحوهم ولا تذكروا لهم مثلبة ولا منقصة!

وكان ردنا على هذه المقايضة ولا يزال هو الرفض القاطع، إذ لا يمكن لنا أن ندعو إلى أئمتنا أئمة الحق إلا بإسقاط أئمتهم أئمة الباطل، ولا يمكن تأسيس الولاية لأهل البيت (عليهم السلام) إلا على قاعدة البراءة من قتلتهم وأعدائهم عليهم اللعنة والعذاب. وقد روى إمامنا الباقر (عليه السلام) عن جده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليهما السلام) قوله: «**لا يجتمع حبنا وحب عدونا في جوف إنسان، إن الله لم يجعل لرجل من قلبين في جوفه فيحب هذا ويبغض هذا! فأما محبنا فيُخلص الحب لنا كما يخلص الذهب بالنار لا كدر فيه، فمن أراد أن يعلم حبنا فليمتحن قلبه، فإن شاركه في حبنا حب عدوِّنا فليس منا ولسنا منه! والله عدوهم وجبرئيل وميكائيل، والله عدو للكافرين**»![١]

وفي موقف لافت؛ جاء أحدهم إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال له: «**إني أتولاك وأتولى أبا بكر وعمر**»! فأجابه عليه السلام: «**أنت اليوم أعور! فانظر تعمى أو تبصر**»![٢]

إذن؛ فليس هناك ازدواجية في دين الإسلام تسمح بأن يؤمن الإنسان بالله مع احتفاظه بالإيمان بهُبَل مثلا! فإما أن تكفر بهُبَل لتؤمن بالله وإما فلا. وكذا ليس في الإسلام ازدواجية تسمح بأن يوالي الإنسان محمدا وعليا مع احتفاظه بموالاة أبي بكر وعمر مثلا! فإما أن تتبرّأ من أبي بكر وعمر (عليهما اللعنة) لتوالي محمدا وعليا (عليهما وآلهما السلام) وإلا فلا. وكذا

(١) تفسير القمي ج٢ ص١٧١

(٢) الصراط المستقيم للبياضي العاملي ج٣ ص٧٤

ليس في الإسلام ازدواجية تسمح بأن يحب الإنسان فاطمة مع احتفاظه بحـب عائـشة مـثلا! فإما أن تبغض عائشة (عليها اللعنة) لتحب فاطمة الزهراء (عليها السلام) وإما فلا. وهكـذا فالنقيضان لا يجتمعان.

وهذا هو المنهج الذي تبنّيناه منذ البداية وأصررنا عليه كلما قوبلنا بالترغيب أو الترهيب، لأنه ببساطة منهج رسول الله صلى الله عليه وآله. وقد تعمّدنا كما تعمّد هو أن نصعَّد من لهجة الخطاب الدعوي باتجاه تعرية رموز الباطل وأعلام الضلالة، مـصاحبين ذلـك كلّـه بالحجـة والدليل والبرهان. ولم نكن نقبل بالتنازل إلى أن تقتصر جهودنا على بيان فضائل أهـل البيـت (عليهم السلام) فقط دون بيان مـساوئ أعـدائهم ومنـاوئيهم، لإدراكنـا أن ذلـك يُـسهم في تثبيت قداسة هؤلاء عند المخدوعين من العامة، كما أنه يعرقل التمدد الشيعي السريع ويجعلـه يسير ببطء، فـإن العامـة تريـد جوابـا صريحـا لتـساؤلاتها عـما يعتقـده الـشيعة في خلفـائهم وصحابتهم، وقد سئمت المجاملات.

وما يؤسف له أن كثيرا من الناطقين باسم التشيع اليوم قد وقعوا في فخ تلك المقايضة مع المخالفين، أعني اقتصار التبليغ على تعظيم الأئمة والسكوت عن أعدائهم، وأصبح هناك من يناصرها داخل إطار التشيع إلى حد التأصيل لها شرعا حتى غدت اليوم هي السليقة الـسائدة عند جمهور الخطباء والمبلغين والعاملين! فترى ألسنة هؤلاء تلهج ليـل نهـار في ذكـر فـضائل ومناقب أهل البيت (عليهم السلام) إلا أنها في مسألة ذكر مثالب ومخازي أعدائهم تنعقد فلا ينبس أصحابها ببنت شفة! مـع أن الإسـلام والتـشيع ولاءٌ وبـراءٌ في الآن نفـسه ولا يمكـن الاقتصار والأخذ بأحدهما دون الآخر.

وقد تمخّض عن ذلك مع شديد الأسف نشوء اختلالات عقائدية في أذهان بعض شباب الشيعة، فترى بعضا منهم لا يعرفون وجها لمعاداة أمثال أبي بكر وعمر وعائشة لأن أحدا على

المنابر لا ينطق ولا يبيّن حقيقة الأمور بصراحة! وإن كان هناك أحد فلا يفعل ذلك في العلن ليصل إلى الجماهير كلّها وإنما يفعله في الخفاء ليصل إلى عدد محدود من الناس وهو بذلك يظن أنه يبرئ ذمته أمام الله تعالى!

وما هو أسوأ من ذلك هو تمادي بعض المنحرفين من المحسوبين على الشيعة في محاولات التوفيق والتوأمة بين العقيدة الإسلامية والعقيدة البكرية في عملية مزجية خبيثة حتى بدأنا نشهد بوادر عودة «الطائفة البترية» من جديد![1] وهؤلاء بما يملكونه من إمكانات يسعون سعيا شيطانيا حثيثا لإفساد نقاوة التشيع من الداخل، فإن أسيادهم من المخالفين وحكوماتهم أدركوا أنه ليس بإمكانهم القضاء على التشيع من الخارج فاتخذوا لهم عملاء أغدقوا عليهم بالمال للقضاء عليه من الداخل وباسم الولاية لأهل البيت عليهم السلام!

---

(١) «البترية» طائفة انشقت عن التشيع في عهد الإمام الباقر (عليه السلام) عندما خلطت بين ولاية علي (عليه السلام) وولاية أبي بكر وعمر (عليهما اللعنة) بدعوى أن الإمامة وإن كانت نصا على أمير المؤمنين (عليه السلام) إلا أن انتزاع أبي بكر وعمر إياها منه كان عن خطأ اجتهادي لا يكفَّران ولا يفسَّقان بسببه! وقد رد الأئمة (عليهم السلام) على هؤلاء وذمّوهم وحكموا بضلالهم إلى أن انقرضوا وانمحق وجود هذه الطائفة المنحرفة. واليوم فإن المنحرفين من المحسوبين على الشيعة يكررون نفس آراء هذه الطائفة ويطبقونها عمليا وسلوكيا، لهذا فهم «البتريّون الجُدد» الذين يجب عزلهم وإقصاؤهم عن الأمة الشيعية بخطوة شجاعة، تماما كما عزل الشيعة الأوائل أسلاف هؤلاء حتى انقرضوا، لأن بقاءهم داخل جسد هذه الأمة يبدو كأنه إقرار بكونهم من الشيعة وهذا يجعلهم كالغدة السرطانية التي تنخر في هذا الجسد من الداخل لإفساده.

ومع الأسف فإن بوادر نشوء «البتريين الجدد» قد طفت على السطح هنا وهناك، وقد وردت الروايات عن أهل بيت العصمة (عليهم السلام) بأن البترية ستظهر من جديد وسيلاقي القائم (صلوات الله عليه وعجل الله فرجه) ستة عشر ألف مسلح منهم في الكوفة وهم يقولون له: «**يابن فاطمة! ارجع لا حاجة لنا فيك**»! كما رواه الطبري الإمامي في دلائل الإمامة ص٤٥٥ عن أبي جعفر الباقر صلوات الله عليه.

والشرع يوجب علينا جميعا التصدي لهؤلاء بكل قوة، ولا يكون ذلـك إلا بإعـادة إحيـاء التشيع الأصيل من جديد، وتثبيت مواقفه المبدئية، وتدعيم أركان بنيانـه، وبـث روح الـولاء المطلق في نفوس أبنائه. وهذا الكتاب يأتي ضمن هذا السياق.

أما غيرنا من الغافلين فنسأل الله تعالى له أن ينتشله من فخ القبول بمنطق كفار قـريش في هذا العصر! وأن يعيده إلى المنطق النبوي المحمدي في العمل الإسلامي.

(٦)

قد تقول: كل هذه الجهود المبذولة لتعرية عائشة أو أبي بكر وعمر لن تفضي إلى شيء! لأن القوم الذين يتبعونهم ويوالونهم مصرّون على ذلك لا يقبلون التنازل عنه حتى وإن جئت لهم بألف دليل وبرهان، فلماذا نتعب أنفسنا في هذا الميدان؟ لنتركهم على حالهم ولا نوجع رؤوسنا بأمر هدايتهم! أليس الله يقول: «**لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**»؟[١]

والجواب: إن ادعاءك هذا غير صحيح لأن الواقع يشهد بأن هذه الجهود قد حققت ولا تزال النتيجة المؤمَّلة، ودونك دليلا كل هذه الآلاف المؤلفة من أهل العامة الذين اهتدوا وعرفوا الحق ووالوا الأئمة الطاهرين (عليهم السلام) وعادوا أعداءهم. وإنّا حين نظرنا في الموجب لتشيّع هؤلاء وجدناه في المقام الأول سقوط قداسة أئمة الكفر والجور كأبي بكر وعمر وعائشة، ولهذا تجد هؤلاء المهتدين حين يدوِّنون تجاربهم في كتبهم ومؤلفاتهم يفردون فصلا رئيسيا حول موضوع هذه الشخصيات ذاكرين مطاعنهم فيهم بأسلوب يفوق غالبا أسلوب غيرهم من الشيعة جرأة وحدِّية! ذلك لأنهم يشعرون بمرارة أن يكون الإنسان أسيرا للجهل ومخدوعا بشخصيات هي في منتهى الإجرام.

ولو لم تفضِ هذه الجهود إلا إلى هداية إنسان واحد فقط؛ فذلك يكفي ويعتبر نجاحا، فهذا رسولنا الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لأميرنا المعظم عليه السلام: «**لئن يهدي الله بك رجلا واحدا خيرٌ لك مما طلعت عليه الشمس**».[٢] فكيف وقد أفضت هذه الجهود إلى هداية الآلاف المؤلفة كل عام؟

---

(١) الكافرون: ٧

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ج٤ ص١٣

ثم على فرض أن هذه الجهود لا تفضي إلى شيء إطلاقا؛ فإن وظيفتنا الشرعية تحتِّم علينا بذلها مهما كان، وتلك الوظيفة الواجبة هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي لا تسقط في حال عدم احتمال التأثير على الغير، وحتى القائل بسقوطها في هذه الصورة إنما يسقط الوجوب لا الندب.

وتعرف هذه المسألة من التدبّر في كتاب الله تعالى، إذ يقول سبحانه في ما حكاه عن أصحاب السبت: « **وَإِذَ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ * فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ** ».[(١)]

وموضوع هاتين الآيتين الكريمتين هو بيان ما جرى للفاسقين من بني إسرائيل، حيث حرّم الله عليهم صيد البحر في يوم السبت لكنهم كانوا يفعلونه بالمكر والحيلة، فانعزل عنهم المؤمنون من بني إسرائيل، إلا أن هؤلاء المؤمنين انقسموا إلى طائفتين؛ طائفة أصرَّت على وعظ الفاسقين بأداء وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأخرى تخلّت عن ذلك ولامت أختها عليه باعتبار أن هؤلاء الفاسقين لا يُحتمل التأثير عليهم أو هدايتهم فهم معاندون وسيهلكهم الله ويعذبهم عذابا شديدا، فلا حاجة لأن يوعظوا أو أن يؤمروا بالمعروف ويُنهوا عن المنكر، فإن هذه الجهود لن تفضي إلى شيء!

إلا أن الطائفة العاملة بهذه الجهود أصرَّت على موقفها قائلة أن هذا الإصرار دافعه تحصيل الإعذار من قبل الله تبارك وتعالى بأنهم قد أدوا ما عليهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولم يقصِّروا فيه حتى وإن لم يستجب القوم، وكذلك يدفعهم إليه رجاء أن يتقّون

---

(١) الأعراف: ١٦٥ – ١٦٦

وإن كان الرجاء بعيدا جدا. وهكذا حصل بالفعل، فالفاسقون الظالمون لم يستجيبوا، فأهلكهم الله وأخذهم بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون.

والمثير للدهشة أن الله ينص على أن الطائفة التي نجت هي وحدها التي كانت تعظ وتنهى عن السوء! حيث قال سبحانه: «**أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ**» وهذا يعني أن الطائفة الأخرى من المؤمنين التي امتنعت عن أداء هذه الوظيفة هلكت أيضا وإن لم تعذَّب عذاب الذين ظلموا، فتوانيها عن أداء وظيفتها الشرعية عرّضها للعقوبة وإن كانت مؤمنة، لأن هذا التواني بحد ذاته عصيان.

وبهذا يتبيَّن لك أن الذين يقومون بأداء هذه الوظيفة الشريفة وبذل هذه الجهود العظيمة هم الذين ينجيهم الله تعالى فقط، فيفوزون حتى وإن لم يهتدِ أحد بسببهم، فإنهم قد أدوا ما عليهم أمام رب العالمين سبحانه وتعالى، أما الآخرون فيخسرون وإن آمنوا لتقصيرهم وتوانيهم.

وهكذا نرغب نحن، أن نؤدي ما علينا لئلا يهلكنا الله، فنأمر بالمعروف وهو ولاية أهل البيت عليهم السلام، وننهى عن المنكر وهو ولاية أبي بكر وعمر وعائشة وأضرابهم عليهم اللعنة. وهذا في حقيقة الأمر لبُّ هذه الوظيفة، وقد أوضحه إمامنا الصادق (صلوات الله عليه) لأبي حنيفة عليه اللعنة. فقد روى شيخنا المفيد (رضوان الله تعالى عليه) بسنده أنه لما قدم الصادق (عليه السلام) العراق نزل الحيرة فدخل عليه أبو حنيفة وسأله عن مسائل وكان مما سأله أن قال له: «**جُعلت فداك.. ما الأمر بالمعروف؟ فقال عليه السلام: المعروف يا أبا حنيفة؛ المعروف في أهل السماء؛ المعروف في أهل الأرض، وذاك أمير المؤمنين علي بن أبي**

طالب عليهما السلام. قال: جُعلت فداك.. فما المنكر؟ قال عليـه الـسلام: اللـذان ظلـماه حقّـه وابتزّاه أمره وحملا الناس على كتفه»!(١)

أما الآية الكريمة: «**لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**» فلا تعني سقوط تكليف أمر الكافر أو المخالف بالمعروف ونهيهما عن المنكر، ولا تعني أن نقعد في بيوتنا فلا نجاهـد بـإعلاء كلمـة الإسـلام والتشيّع بالسعي لهداية الناس! وإنما تعني في جملة ما تعنيه عدم إكراه الكافر أو المخالف عـلى الدين، فله أن يحتفظ بدينه ويتحمّل نتائج ذلك في الآخرة، كما أن عليه أن لا يكرهنا على دينـه أيضا. ولا يصحّ أن يأخذ الإنسان آية من القرآن ويفسّرها بهـواه ويهمـل البـاقي، فـإن آيـات الذكر الحكيم وإن كانت ضمنت حق الإنسان بالاحتفـاظ بدينـه المخـالف للإسـلام وعـدم إكراهه عليه؛ فإنها كذلك أوجبت على المسلمين العمل على هدايته وتبصيره بالحق.

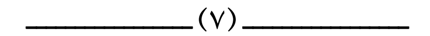
وأنت أيها المعترض على أدائنا لهذه الوظيفة الجليلة غافل! فإنـك لا تـدري مـا فيهـا مـن الثواب العظيم، فقد قال رسول الله الأعظم صلى الله عليه وآله وسـلم: «**مـن أمـر بـالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في الأرض وخليفة رسوله»!**(٢)

فأي مقام عظيم تريد حرماننا منه! إنه مقام أن نكون خلفاء الله ورسوله في هـذه الجنبـة، فإن أردت أن لا تكون أنت من هؤلاء، فشأنك!

---

(١) البحار ج١٠ ص٢٠٨ ولاحظ كيف أن الصادق (صلوات الله عليه) صفع أبا حنيفة النعمان بهـذا القـول والطعن الصريح في إماميْه أبي بكر وعمر! وليت الشيعة في هذه الأيام يتعلمون مـن إمـامهم الـصادق كيـف يقولون كلمة الحق بشجاعة أدبية في وجوه المخالفين والنواصب.

(٢) مستدرك الوسائل ج١٢ ص١٧٩



ما إن تنهض في الأجواء الشيعية فئة ترمي إلى تحرير الإنسان الشيعي من قيود الجهل المقنَّع والخوف والخضوع والاستسلام للواقع؛ حتى يحاربها الجبناء والانهزاميون والمتكالبون على حطام الدنيا والمتملقون للمخالفين من أرباب المصالح واللاهثين وراء السلطة والزعامة والشهرة والمال!

وقد استخدم هؤلاء في حربهم القذرة ضد المؤمنين الشجعان - ومازالوا يستخدمون - شتى صنوف التسقيط المبرمج لإبعاد الجماهير الشيعية عن الالتفاف حولهم وتغيير المعادلات القائمة، فهذا التغيير وإن كان سيحقق المجد والعزة لأمة التشيع إلا أنه سيكنس معه كل تلك الزعامات الفاسدة وسيؤدي بكل ما بنته من مصالح إلى الانهيار التام!

هؤلاء هم طفيليات وطحالب المجتمعات الشيعية، هم الذين لا يقتاتون إلا على حالة الضعف والانكسار فيها، لذا فإنهم يستميتون للإبقاء على هذه الحالة ويحشدون لأجل ذلك كل طاقاتهم البشرية وإمكاناتهم المادية، فبات لهم الصوت العالي واليد المتنفذة وخلت لهم الساحة يستغفلون فيها السواد الأعظم من بسطاء الناس ويخدعونهم.

وكان من مكرهم ودهائهم أن أصابوا الإنسان الشيعي بداء عضال أضحى مزمنا تنتقل عدواه من جيل لآخر، فيورثه الآباء للأبناء، والأبناء لأبنائهم، وهكذا حتى استفحل وطال أمده وانتشر نطاقه فشلَّ قدرة الناس على التفكير في الثورة على الواقع المزري، وعطَّل إرادتهم في النهوض وبلوغ العلياء، وجعل مبلغ همّهم وغاية أملهم أن يعيشوا منزوين لا لهم ولا عليهم!

هذا الداء العضال الذي جمّد ونوّم الأمة الشيعية وجعلها تعيش الذل والهوان؛ وضـع لـه نافثوه عنواناً منتزَعاً من الشرع المقدس، فأصبح الداء يحمل هـذا العنـوان مـع أنـه بعيـد كـل البعد عنه.

ذلك العنوان هو.. **التقيـة!**

يكون الشيعي جالسا في مجلس عام فيسمع فيه إهانة لمعتقداته؛ فيغضب ويتهيـأ للـرد إلا أن صاحبه ينهره قائلاً: اسكت.. اصمت.. تقية!

يتعرض الشيعي لظلم ذي دوافـع طائفيـة؛ فيتهيـأ للأخـذ بحقـه إلا أن ذويـه يوبّخونـه قائلين: اصبر.. تحمّل.. تقية!

يُذبح أب الشيعي أو طفلـه فينـتفض للقـصاص العـادل؛ فيقـف أقرانـه أمامـه قـائلين: استرجع.. احتسب.. تقية!

تُنتهك وتُهدم أقدس مقدسات الشيعي - كما في البقيع وسامراء - فتأخذه الغيرة الدينيـة ويتهيأ لصد الحرب المفروضة عليه؛ إلا أن «قياداته» تصمّ أذنيه بقولها: الجم الغضب.. اضبط النفس.. تقية![١]

(١) الشيعة هم وحدهم من بين كل أهل الملل الأخرى في العالم يفرطون في مقدساتهم ويقبلون ببقائهـا في يـد أعدائهم! فالحرم العسكري الشريف في سامراء المقدسة - مثلا - كان تحت نظارة النواصب منذ زمـن قـديم، وحتى بعد سقوط نظام الطاغية البعثي صدام التكريتـي لم يحـرك الـشيعة ولا مرجعيـاتهم سـاكنا لاسـترداده وأبقوه هكذا في يد أعدائهم إلى أن وقع ما وقع ثم هم اليوم يتباكون عليـه! وكنـا شخـصياً قـد تحركنـا بعـض الشيء ابان وجودنا في العراق مع عدد من الأصدقاء من طلبة العلم باتجاه الضغط على بعض المرجعيات ذات النفوذ في النجف الأشرف للمطالبة بإرجاع الحرم إلى الوقف الشيعي، وكان ذلك قبل وقـوع الفاجعـة بفـترة طويلة إلا أننا لم نجد أذنا تصغى! وكان التبرير.. التقية أيضا! فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

يتوجه الشيعي إلى أداء مناسك الحج والعمرة فيقف في ساحة الحرم ليؤدي الصلاة وحده بالكيفية الصحيحة التي أمر الله تعالى؛ فيأتيه معمَّم حزبي أخرق ليصده قائلا: صل معهم.. التحق بهم.. تقية![١]

يكون الشيعي في محفل عام يحضره بعض المخالفين فيحل وقت الصلاة فيؤذِّن؛ فإذا أوشك على ذكر الشهادة بالولاية جاءه أحدهم ناهرا: احذف.. تجاوز.. تقية![٢]

يقرأ الشيعي زيارة عاشوراء ويُنقل ذلك على الهواء مباشرة في إحدى القنوات الفضائية؛ فلما يصل إلى موضع لعن الظالمين يفزع إليه المسؤولون قائلين: قف.. اعبر.. تقية![٣]

يتشيّع أحد المخالفين حديثا فيغدو متحمسا للدفاع عن حق أهل البيت عليهم السلام؛ فلما يتجهّز للصعود إلى المنصة لنقل قصته أمام الجمهور يأتيه المنظمون قائلين: تحاشى عمر.. تحاشى أبا بكر.. تقية![٤]

---

(١) يحصل هذا فعليا كل سنة على فتاوى فقهاء البترية الجدد، فيصلي الشيعي المخدوع خلف إمام وهابي يكفّره! وعندما يسجد يضع جبهته على السجاد كما في الحرم النبوي الشريف!

(٢) حصل هذا بالفعل في ما يسمى بدار الإسلام التابع لحزب الدعوة في لندن، وقد أخبرنا بالأمر أحد من كان هناك من المؤمنين حين استحضروا مقرئا مصريا للقرآن، فمن أجله وحده ومراعاة لمشاعره أذّنوا وأقاموا تلك الليلة دون ذكر الولاية لأمير المؤمنين عليه السلام! ويجري مثل هذا كرارا في بعض مساجد لبنان البترية.

(٣) وما هو أسوأ ما نقله لنا أحد المؤمنين من الإمارات وقد كان عاكفا على متابعة قناة المنار التابعة لحزب الله في لبنان في أوائل انطلاقتها، فذكر أنهم في الأشهر الأولى كانوا يبثون دعاء كميل وكان من جملة ما يُعرض في اللقطات التصويرية أسماء الأئمة المعصومين (عليهم السلام) المنقوشة في قبة إحدى المساجد، إلا أنهم حذفوها بعد ذلك وجعلوا عوضا عنها صورا لبحار وأنهار وطيور! هذا مع أن هذه الأسماء المقدسة لا تزال منقوشة في الحرم النبوي الشريف.

(٤) حصل هذا بالفعل في إيران مع أحد المهتدين المصريين، وقد أخبرنا بالأمر بنفسه مبديا تعجبه من أن =

وهكذا تتعدد صور المأساة وتختلف مستوياتها باختلاف ظروف المناطق التي يعيش فيها الشيعة في العالم، وحجم الضغط الذي يتعرضون له من قبل الحكومات، فما لا يكون متاحا هنا قد يكون متاحا هناك، بيد أن عدم نيل الشيعة حقوقهم لا يمكن إلقاء تبعته على الحكومات فقط، وإنما على الشيعة أنفسهم، فإنهم بإبدائهم الاستسلام أفسحوا المجال للآخرين للتسلط عليهم والجور عليهم حتى في بلدان يبلغون فيها أكثرية ساحقة! كالعراق والبحرين.

إن جوهر المعضلة ليس في الحكومات وجورها على الشيعة، وإنما في النفسية الشيعية المصابة بداء الخنوع المعنون بعنوان التقية زورا، وهذا هو ما يفسر عدم وثوب الشيعة بشجاعة لمقابلة تحدي المخالفين لهم على مختلف الأصعدة في بلدان يكاد ينعدم فيه الضغط الحكومي عليهم، كالبلدان الغربية مثلا، فمع كل ما توفّره هذه البلدان من أجواء حرية التعبير والعمل الديني والاجتماعي؛ مع ذلك يبقى الشيعي فيها آسرا لنفسه حاجزا إياها عن الانطلاق بقوة في مشروع كسر شوكة المعادين للتشيع ودحض باطلهم وإعلاء راية الولاية لآل محمد عليهم السلام.

ذلك لأن أية خطوة ناهضة يقوم بها شجعان الشيعة تحارَب فورا من قبل الجبناء والانهزاميين وطابور البتريين، ويساعدهم على ذلك قطاع عريض من الجماهير الشيعية المخدوعة التي تحسب من كلام الواحد منها أنه «فقيه» في التقية بينما هو لا يُحسن أداء صلاته المفروضة!

= يُدعى في بلد شيعي تحكمه حكومة شيعية ويوصى بترك مثل هذا مع أنه لا ينتهي عنه في بلد بكري تحكمه حكومة بكرية – وهو وطنه مصر – ومع أنه تعرض هناك بسببه للسجن سابقا.

إنك لا تكاد تجد أحدا من الشيعة لا يعرف حديث «**التقية من ديني ودين آبائي، ولا دين لمن لا تقية له**» ولا يحفظه عن ظهر قلب رغم عدم علمه بمعناه! لقد أصبحت التقية بمثابة علاّقة تُعلَّق عليها كل التثبيطات والتنويهات، فكلها مبرَّرة بالتقية.. ثم التقية.. ثم التقية!

ولهذا فنحن بحاجة لأن نعالج جماهيرنا ونخلصها من هذا الداء العضال المزمن، ليتضح لها المعنى الشرعي الصحيح للتقية، ولتعرف أن هذا الذي تسميه التقية وهي مستمرة عليه ليس هو إلا الخنوع والانهزام! وأن هذا هو الذي أدى بنا إلى كل هذه الانكسارات التي نعيشها حتى تجرّأ علينا أبناء الأدعياء من النواصب والوهابيين فانتهكوا مقدساتنا وسفكوا دماءنا واستولوا على أوطاننا! وأن هذا هو الذي يجعل التمدد الشيعي يسير بوتيرة بطيئة لا تنهض أمام التحديات العالمية، في حين أن الشيعة الأوائل كانوا يحققون انتصارات ونجاحات هائلة في اختراق المجتمعات البكرية وهداية أبنائها إلى الإسلام الحقيقي أي التشيع، وفي زمن قياسي.

والحاجة إلى التعرض لمسألة التقية أكثر إلحاحا في هذا الكتاب، إذ إن كثيرين سيشنون حربهم عليه من هذا الباب بالذات، وهو أن ما في الكتاب يعتبر مخالفا للأمر بالتقية، لذا نحن مضطرون لأن نفصل الكلام في التقية بما يتناسب مع هذه الشبهة حتى لا تنطلي على أذهان العوام من الناس. ويقع الكلام في مقامات:

المقام الأول: التقية بالأصل رخصة لا عزيمة، وهي تبيح للمكلّف ارتكاب أمر محرّم مخالف للحق التكليفي في الشارع اتقاءً للضرر المحتمل وقوعه عليه إن امتنع عن المخالفة. والآيتان المشتملتان على تشريعها لا تدلان على أكثر من كونها رخصة استثنائية.

ففي الأولى قوله تعالى: «لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُوْنِ الْمُـؤْمِنِينَ وَمَـن يَفْعَـلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُـواْ مِـنْهُمْ تُقَـاةً وَيُحَـذِّرُكُمُ اللهُ نَفْـسَهُ وَإِلَى اللهِ الْمَـصِيرُ»(١) ومفادها تغليظ حرمة اتخاذ الكافرين أولياء والتحذير منه إلا أن يكـون الاتخـاذ اتقـاءً مـنهم، فهنا رخصة تبيح هذا المحرَّم إن كان في ترك فعلـه ضرر بـالغ، لأن التقيـة هنـا بمعنـى اتقـاء الضرر، وليس عقلائياً إباحة هذا المحرم الشديد بالضرر اليسير، فلا بد أن يكـون بالغـاً، وإلا فإن العرف لا يرى لفاعل ذلك المحرم مع الضرر اليسير عذراً.

وفي الثانية قوله تعالى: «مَن كَفَرَ بِاللهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَـنْ أُكْـرِهَ وَقَلْبُـهُ مُطْمَـئِنٌّ بِـالإِيمَانِ وَلَكِن مَن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِـيمٌ»(٢) ومفادهـا تغلـيظ حرمة الردة إلى الكفر بعد الإيمان والوعيد عليه بالغضب والعذاب إلا أن يكون ذلك إظهـاراً فقط في مورد الإكراه عليه، فهنا رخصة تبيح هذا الكفر الظاهري غير القلبي إن كان في تركـه تحمّل الضرر البالغ الشديد، لأن الإكراه معناه الإجبار على فعل هو دون رغبـة المجبَر عليـه، ولا يتحقق هذا بالإضرار اليسير الذي لا يُعتد به. ومراجعة سبب نزول الآية الكريمة يؤكـد خروج الضرر اليسير موضوعا.

وليس في الآيتين أمر وجوبي أو إلزامي بالعمل بالتقية، بل الأمر فـيهما الجـواز فحـسب، وعليه فهي بالأصل رخصة لا عزيمة.

---

(١) آل عمران: ٢٩

(٢) النحل: ١٠٧

المقـام الثانـي: يختلف حكم التقية باختلاف الموضـوع، فينقـسم إلى الأحكـام الخمـسة، فالواجب ما كان لدفع الضرر الواجب دفعه ولم يترتب عليه مفسدة أقوى، كالتعرض للقتل. والمستحب ما كان للتحرز عن معارض الضرر ولو آجلا، كترك الصلاة معهم جماعة فـيما لـو أدى ذلك تدريجاً إلى تضرره منهم لاحقاً. والمباح ما تعادل فعله مـع تركـه في ميـزان الـشرع، كإظهار كلمة الكفر وتركه تعرضا للضرر في بعض الموارد. والمكروه ما كـان تركـه والتـضرر لذلك أرجح من فعله، كشرب من يُقتدى به الخمر بحيث يجرُّ ذلك التباس حكـم الحرمـة في أذهان الناس. والمحرم ما كان لا ضرر يعتد به في تركه أو كان إلا أن المفسدة المترتبة على فعلـه أقوى من تلك المترتبة على تركه، كقتل النفس المحترمة وإضرار الغير.

وعليه فالتقية تدور مدار توقع حـصول الـضرر عـلى الـنفس أو الجماعـة، ويتأكـد ذلـك بملاحظة معناها اللغوي إذ هي اسم مصدر من «اتّقى يتّقي شرا أو ضررا». ويختلف حكمها باختلاف مصاديقه وما يترتب عليه. وينضم إلى التقية غيرها من قواعد حاكمة على الأحكـام الأولية في مثل هذه الصور، كقاعدة لا ضرر، وقاعدة الاضطرار.

وعليه فلو لم يكن هناك مورد للضرر؛ فلا تقية مطلقا، ومـا توهمـه بعـضهم مـن شـمول التقية لغير موارد الضرر استنادا إلى ظاهر بعض الأخبار مدفوع أولا بوجـود قـرائن داخليـة وخارجية على أنها في مورد الضرر، وثانيا بمعارضتها لغيرها فتُحمل عليه، وثالثا بأن بعـضها وارد في باب حُسن المعاشرة ومكارم الأخلاق لا في باب التقية، فيكون خارجاً تخصـصاً عـن حكم التقية المجوِّز لفعل الحرام اضطراراً. وهاك تفصيل التوهم والدفع:

قيل أن المستفاد من بعض الأخبار شـمول التقيـة لغـير مـوارد الـضرر، كـما عـن هـشام الكندي عن أبي عبد الله عليه السلام: «**إياكم أن تعملوا عملا يعيِّرونا به، فإن ولد السوء يعيَّر والده بعمله، وكونوا لمن انقطعتم إليه زينا ولا تكونوا عليه شينا. صلوا في عشائرهم وعـودوا**

مرضاهم، واشهدوا جنائزهم، ولا يسبقونكم إلى شيء من الخير فأنتم أولى به مـنهم، والله مـا عُبد الله بشيء أحب إليه من الخبء. قلت: وما الخبء؟ قال: التقية».(١)

يلاحظ عليه: لو تنزلنا عن القرينة الداخلية في ذيل الخبر الدالة عـلى أنـه في مـورد توقـع حصول الضرر وهي تنصيصه (عليه الـسلام) عـلى التقيـة وقـد عرفـت معناهـا وأنهـا اتقـاء الضرر؛ فإن في بعض ألفاظ الحديث ونظائره قرينة واضحة في صدره على ذلك، وهو ما رواه البرقي عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام: «**أوصيكم بتقـوى الله، ولا تحملـوا الناس على أكتافكم فتذلوا. إن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه: وقولوا للناس حسنا. ثم قال: عودوا مرضاهم، واشهدوا جنائزهم، واشهدوا لهم وعليهم، وصلوا معهم في مساجدهم. ثم قال: أي شيء أشد على قوم يزعمون أنهم يأتمّون بقوم فيأمرونهم وينهوْنهم فلا يقبلون مـنهم، ويذيعون حديثهم عند عدوّهم، فيأتي عدوّهم إلينا فيقولـون لنـا: إن قومـا يقولـون ويـروون عنكم كذا وكذا، فنحن نقول: إنا براء ممن يقول هذا، فيقع عليهم البراءة**».(٢)

والقرينة قوله عليه السلام: «**ولا تحملوا الناس على أكتافكم فتذلوا**»، وهو ظاهر في توقع الضرر الموجب للمذلة حال ترك المخالطة معهم بالنحو الذي ذُكر. وفي مفاد الخـبر أيـضا أن الضرر إذ يقع على الشيعة يقع تاليا على أئمتهم (عليهم السلام) فيأتيهم أعداؤهم ناكرين مـع ما يستتبع ذلك من الآثار الخطيرة.

ولحن جميع الأخبار في هذا المضمار وعلى الخصوص الآمرة بالصلاة معهم هـو في ظرفيـة عدم المندوحة، وأن المترتب على ترك ذلك معرفة المخالفين بحـال الـشيعي فيتعـرض بـسببه

---

(١) الكافي ج٢ ص٢١٩

(٢) محاسن البرقي ج١ ص١٨، والرواية أصح سـندا مـن سـابقتها. وهاهنـا نُعمـل الترجـيح الـسندي لأن المستنبَط حكم تكليفي.

لخطر الهلاك أو الضرر. ففي خبر إسحاق بن عمار الذي رواه الشيخ وذكر فيه إجازة الصادق (صلوات الله عليه) له في أداء الصلاة معهم، قال إسحاق: «.. **ثم صليتُ بعد الانصراف أربع ركعات ثم انصرفت، فإذا خمسة أو ستة من جيراني قد قاموا إليَّ من المخزوميين والأمويين فأقعدوني، ثم قالوا: يا أبا هاشم جزاك الله عن نفسك خيرا، فقد والله رأينا خلاف ما ظننا بك وما قيل فيك. فقلت: وأي شيء ذلك؟ قالوا: اتبعناك حين قمت إلى الصلاة ونحن نرى أنك لا تقتدي بالصلاة معنا وقد وجدناك قد اعتددت بالصلاة معنا وصليت بصلاتنا، فرضي الله عنك وجزاك خيرا. قلت: سبحان الله! أ لمثلي يُقال هذا؟! قال: فعلمت أن أبا عبد الله عليه السلام لم يأمرني إلا وهو يخاف عليَّ هذا وشبهه**».[1]

وعليه لا بد من حمل جميع الأخبار الآمرة بالصلاة معهم على أنها في مورد التقية ووقوع الضرر عاجلا أم آجلا، ويؤكد هذا الحمل معارضتها بأخبار أخرى تمنع من الصلاة حتى خلف المحب لأمير المؤمنين (عليه السلام) أكثر من محبته لمن خالفه ما دام لا يتبرّأ من هذا المخالف والعدوّ. فقد روى الشيخ عن إسماعيل الجعفي قال: «**قلت لأبي جعفر عليه السلام: رجلٌ يحب أمير المؤمنين عليه السلام ولا يتبرّأ من عدوه، ويقول: هو أحبُّ إليَّ ممن خالفه. قال عليه السلام: هذا مخلِّط وهو عدوٌّ فلا تصل وراءه ولا كرامة! إلا أن تتقيه**».[2]

وبهذا القول الفاصل لمولانا الباقر (صلوات الله عليه) تعرف أن جميع ما ورد في الأخبار الحاثة على الصلاة معهم من قبيل أن المصلي معهم في الصف الأول كان كمن صلى خلف

---

(١) التهذيب ج٣ ص٣٨، وعبّر الحر العاملي عن هذا الصنف من الأخبار الظاهرة في الإجزاء بورودها مورد **شدة التقية** كما في تسميته الباب ٣٤ من الوسائل: باب سقوط القراءة خلف من لا يُقتدى به مع تعذرها والاجتزاء بإدراك الركوع مع شدة التقية.

(٢) المصدر نفسه ج٣ ص٢٨

رسول الله صلى الله عليه وآله، وأمثال ذلك مـن روايـات إنـما وردت مـورد تحـصين الـشيعة المؤمنين من الوقوع في الضرر بتركهم الصلاة معهم. أما إذ ارتفع هذا المحذور اليوم فلا تجوز الصلاة معهم بحال، بل حتى لو لم يرتفع وعرضـت عليـه عنـاوين ثانويـة كتـوهين التـشيع وزلزلة عقيدة المؤمنين فإنه يحرم. وليس من دواعي الصلاة معهم إلا التقية حصرا، فما يدعيـه بعض القاصرين والزائغين من أن ثمة داعيا بعنـوان «التـآلف وإظهـار الوحـدة الإسـلامية» ليس إلا ابتداعا لا أصل له في تعاليم أهل بيت النبوة صلوات الله عليهم أجمعين.

هذا ولا كلام في خروج بعض ما أُمر به في الأخبار من المخالطة معهم عـن مـورد التقيـة تخصصا، فإن التقية على ما أسلفنا ليست حقيقتها الشرعية إلا ارتكاب محـرَّم بـالعنوان الأولي في صورة الاضطرار واتقاء الضرر وإن آجلا، وليس في عيادة مرضـاهم أو شـهود جنـائزهم شيئا من ذلك. ويدل عليه ورود كثير من هذه الوصايا في بـاب المعـاشرة بـالمعروف ومكـارم الأخلاق،[1] فحمل هذه الأخبار على أنها جارية مجرى التقية لنزع اشتراط توقع الضرر فيهـا؛ هو غلط فاحش.

والأمر بحسن المعاشرة لا يقتصر على المخالفين، بل يـشمل غـيرهم مـن الكفـار وأهـل الكتاب، تحبيبا للكل في الإسلام والمسلمين. فقد روى الصدوق عن إسحاق بن عمار عـن أبي عبد الله عليه السلام: «.. **وإن جالسك يهودي فأحسن مجالسته**».[2]

---

(١) لاحظ مثلا ما رواه الكليني في الكافي ج٢ ص٦٣٦ في باب ما يجب من المعاشرة عن زيد الشحام عـن أبي عبد الله عليه السلام: «.. **صِلوا عشائركم واشهدوا جنائزهم وعودوا مرضاهم وأدوا حقـوقهم فـإن الرجـل منكم إذا ورع في دينه وصدق الحديث وأدّى الأمانة وحَسُن خُلقه مع الناس قيل: هذا جعفـري فيـسرني ذلـك ويدخل عليَّ منه السرور، وقيل: هذا أدب جعفر. وإذا كان على غير ذلك دخل عليَّ بلاؤه وعـاره وقيـل: هـذا أدب جعفر**».

(٢) أمالي الصدوق ص٧٢٧

على أن حُسن المعاشرة للمخالفين له ضوابط أيضاً، فقد نطقت الروايات بتحريم إكرامهم أو حتى الضحك في وجوههم! وهو ما رواه الصدوق عن ابن فضّال قال: «**سمعت الرضا عليه السلام يقول: مَن.. أكرم لنا مخالفاً فليس منا ولسنا منه**»![1] وما رواه المجلسي عن صاحب رياض الجنان بسنده عن الأصبغ بن نباتة قال: «**سمعت مولاي أمير المؤمنين عليه السلام يقول: من ضحك في وجه عدو لنا، من النواصب والمعتزلة والخارجية والقدرية ومخالف مذهب الإمامية ومن سواهم؛ لا يقبل الله منه طاعة أربعين سنة**»![2]

ووجه الجمع بين هذه الطائفة من الروايات والتي سبقتها الآمرة بحُسن معاشرتهم هو حمل هذه على المخالفين بالأصالة، أي كبراؤهم وعلماؤهم ممن يكون في إكرامهم والضحك في وجوههم تقوية لباطلهم وخلافهم لأهل بيت النبوة صلوات الله عليهم. وعليه فما يجري الآن من بعض القاصرين والزائغين في ما يسمى بمؤتمرات التقريب والوحدة الإسلامية إذ يُكرمون زعماء المخالفين وعلماءهم ويعانقونهم ويصلّون وراءهم.. إنما هو مروق عن تعاليم آل محمد عليهم الصلاة والسلام.

أما ما يلاحظ في الروايات من الحث المؤكد على التزام التقية؛ فجلّه صادر للقضايا الخارجية في ذلك الزمان، حيث الإمرة لصبيان بني مروان.

والحاصل أن التقية لا كما يظنه الجهال من أنها في كل شيء وشيء بلا ضرورة ولا اضطرار، وإنما هي في مورد توقع الضرر وتدور مداره، فإذا أُحرز جازت التقية وكانت إما واجبة أو مستحبة أو مباحة أو مكروهة، لا أنها تكون واجبة دائما.

---

(١) صفات الشيعة للصدوق ص٨

(٢) مستدرك الوسائل للميرزا النوري ج١٢ ص٣٢٢ وبحار الأنوار للمجلسي ج١٠٢ ص٢١٦

المقـام الثالـث: يسقط الحكم بوجوب التقية إذا كـان في تركهـا مـصلحة أولى أو كـان في فعلها مفسدة أشد، فيحرم في هذه الصورة العمل بالتقية ويجـب تعـريض الـنفس للـضرر أو الهلاك. وفي بعض الصور يسقط الحكم بالاستحباب وينقلب إلى الكراهة، أو الإباحة فيما لـو تعادلت المصلحتان في العمل والترك، كما مرّ عليك. ويدل على ذلك أمور:

● **منها**؛ ما قام به سيد الشهداء أبو عبد الله الحسين (صلوات الله عليه) في نهضته الخالدة ضد حكومة يزيد بن معاوية (لعنة الله عليهما) إذ لا يختلف اثنان على أن موضوع التقيـة كـان متحققا في زمانه، وأنه كان يجوز له العمل بها اتقاءً لضرر القتل المحتَّم، فيصالح يزيد ويبايعـه وينزل على حكمه، وقد كان ذلك مطلب ابن زياد (لعنه الله) حين احتشدت جيوشه في أرض كربلاء. ومع أن المعركة كانت محسومة سلفا لعدم التكافؤ في ميزان القوة بين معسكر الإيـمان ومعسكر الكفر، إلا أنه (عليه السلام) آثر أن يضحي بنفسه وبأهل بيته وأصحابه ويعرّضهم جميعا للقتل والهلاك على أن يبايع أبناء البغايا والطلقاء وأن يعطـيهم الدنيَّـة مـن نفـسه، فقـد أعلنها روحي فداه: «**هيهات منا الذلة**».

وما قصد إيراد النفس مورد القتل وتعريض الأهل والنـساء والأصـحاب للـضرر عـلى اختلاف أنواعه من قتل وتعذيب وسبي ونهب ونحو ذلك؛ إلا لأنـه كانـت هنـاك مـصلحة أَوْلى في ترك العمل بالتقية، وتلك المصلحة تمثَّلت بما ذكره الإمام (بأبي هو وأمي) حـين قـال: «**أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر**»، ومؤدّاها حفظ الـدين وعـزل الحـاكم الظـالم عنـه وتمييز الحق من الباطل على مرّ الزمان لئلا يختلطا فينحرف الناس، وقد تولَّد هذا التمييـز مـن خلال واقعة الطف التي تركت في النفوس صورة معبِّرة لا تنمحي عن صراع الخـير والـشر، كما تركت أثراً شعورياً لا يفنى، والصورة والأثر ينعكسان على فكر الإنسان وسلوكه، فينبـذ الشر والظلم والباطل، ويأخذ بالخير والعدل والحق.

والمتأمِّل في ما انطوت عليه مدرسة عاشوراء يلمس بجلاء كيف أن الإمام (عليه السلام) تعمَّد ترك التقية حتى في أحلك وأشد مراحل المعركة على الأرض مع علمه القطعي بما يجرُّه ذلك من استثارة القوم للإقدام على قتله وتسريع ذلك، كل هذا لأن حفظ الدين وإعلاء كلمته يتوقف عليه، وهذه هي المصلحة الأَوْلى التي أسقطت حكم وجوب التقية رغم تحقق الموضوع الضرري بأشد مصاديقه.

● **ومنها**؛ ما قام به مولى الموحدين وأمير المؤمنين (صلوات الله عليه) حين كان جالسا مع أناس في الكوفة كان من بينهم الموالون لأبي بكر وعمر عليهم اللعنة، وقد صرَّح (عليه السلام) ببيان ظلمهم وجورهم في مقالة مفصَّلة ردا على سؤال استنكاري من الملعون الأشعث بن قيس الكندي، كاشفا للغطاء تاركا للتقية رغم ما سبَّبه ذلك من غضب وضيق في صدور المخالفين الذين كانوا في واقع الحال أكثر أهل عسكره، ورغم أن ذلك يعرِّضه لخطر الاعتداء عليه من قبلهم، وهو ما حصل بالفعل لاحقا حين أقدم الشقي عبد الرحمن ابن ملجم (لعنه الله)[1] باغتياله وهو ساجد في محراب الصلاة.

وقد وصف ما جرى بسبب كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) سُليم بن قيس الهلالي (رضوان الله تعالى عليه) الذي كان حاضرا في المجلس، فقال: «**فلم يبقَ يومئذ من شيعة علي عليه السلام أحد إلا تهلَّلَ وجهه وفرح بمقالته، إذ شرح أمير المؤمنين عليه السلام الأمر وباح به وكشف الغطاء وترك التقية**.

---

(١) لا يخفى أن الخوارج – ومنهم ابن ملجم – إنما تبتني عقيدتهم على تعظيم وتفضيل أبي بكر وعمر، وهم أهل فتك وغدر. وهذا البيان الذي صدر منه (صلوات الله عليه) إنما صدر بسبب سؤال استنكاري يتعلق بأبي بكر وعمر من الأشعث الخارجي، وقد قال فيه مغضباً: «**فما يمنعك يابن أبي طالب حين بويع أخو تيم** (أي أبو بكر) **وأخو بني عدي بن كعب** (أي عمر) **وأخو بني أمية بعدهما** (أي عثمان) **أن تقاتل وتضرب بسيفك**»؟ كتاب سُليم ص٦٦٣

ولم يبقَ أحد من القُرّاء[١] ممن كان يشك في الماضين[٢] ويكفُّ عنهم ويـدع الـبراءة مـنهم ورعاً وتأثُّماً إلا استيقن واستبصر وحَسُن رأيه وترك الشك يومئـذ والوقـوف. ولم يبـقَ حولـه ممن أبى بيعته إلا على وجه ما بويع عليه عثمان والماضون قبله[٣] إلا رُئِيَ ذلك في وجهه وضاق به أمره وكره مقالته. ثم إنه استبصر عامّتهم وذهب شكهم.

فما شهدت يوما قطُّ على رؤوس العامة كان أقرَّ لأعيننا من ذلك اليـوم، لمـا كـشف أمـير المؤمنين عليه السلام للناس من الغطاء وأظهر فيه من الحق وشرح فيه من الأمر وألقى فيه من التقية.

وكَثُرت الشيعة بعد ذلك المجلـس مـن ذلـك اليـوم وتكلمـوا[٤] وقـد كـانوا أقـل أهـل عسكره، وسائر الناس يقاتلون معه على غير علم بمكانه من الله ورسـوله، وصـارت الـشيعة بعد ذلك المجلس أجَلَّ الناس وأعظمهم.

وذلك بعد وقعة أهل النهروان وهو يأمر بالتهيئة والمسير إلى معاوية، ثم لم يلبـث أن قُتـل صلوات الله عليه، قتله ابن ملجم لعنه الله غيلةً وفتكاً، وقد كان سيفه مسموماً قد سـمّه قبـل

---

(١) القُرّاء جمع قارئ القرآن، وهو كناية عن العلماء آنذاك أو مَن لهم نصيب من العلم فيتقدّمون به أقوامهم.

(٢) أي يشك في أمر الحكام الماضين أبي بكر وعمر وعثمان هل أنهم كـانوا عـلى الحـق أم عـلى الباطـل، فيـدع البراءة منهم ورعا وتأثما لعدم وقوفه القطعي على حالهم.

(٣) أي الطائفة البكرية، فهؤلاء كانوا الأكثرية ولم يبايعوا أمير المؤمنين (عليه السلام) ولم يقاتلوا معه باعتقـاد أنه حجة الله المنصوص عليه بالخلافة كما بايعه الشيعة، وإنما بايعوه كما بايعوا الثلاثة قبله كحاكم دنيوي فقط.

(٤) أي بدأوا بالكلام والتعبير عن عقيدتهم في أمير المؤمنين (عليه الـسلام) بـصراحة، وكـانوا قبـل ذلـك لا يستطيعون بسبب ظروف الحروب الثلاثة، الجمل وصفين والنهروان، فضلا عن كونهم أقلية.

ذلك. وصلى الله على سيدنا أمير المؤمنين وسلّم تسليماً».[(١)]

فتأمل في قول سُليم: «**شرح أمير المؤمنين عليه السلام الأمر وباح به وكشف الغطاء وترك التقية.. وأظهر فيه من الحق وشرح فيه من الأمر وألقى فيه من التقية**» تعرف أن موضوع التقية كان متحققا آنذاك، إلا أن مولانا الأمير (صلوات الله عليه) تركها رغم ذلك تقديما للأهم على المهم، فالأهم هو تبصير أكثرية الناس – وهم من المخالفين – بحقّه ومكانه من الله ورسوله صلى الله عليه وآله، وتعرية من سبقه من الحكام الظالمين وكشفهم على حقيقتهم ليتبرَّأ الناس منهم، وليعرفوا دينهم الذي ارتضاه الله تعالى لهم، ذلك الدين الذي لا تجوز فيه موالاة الظالمين.

وقد أثمر ذلك عُقبى حسنة تمثَّلت في استبصار عامة الناس وذهاب شكهم، وإن أدّى إلى عُقبى أخرى سيئة تمثَّلت بزيادة نفور كثير من الناس عنه وهمّتهم في قتله وقتل شيعته، إذ لا يخفى أن هذه الكلمات وأمثالها كانت مثار استجلاب سخط المخالفين على اختلاف مشاربهم، كما أن معاوية (لعنه الله) كان يستغل صدور أمثال هذه الخطب والكلمات من أمير المؤمنين (عليه السلام) ليحرّض الناس ضده ويؤلِّبهم عليه، ولم يكن ذلك يخفى على أمير المؤمنين عليه السلام، فقد ورد في كتاب أرسله إليه رجل من شيعته في الشام: «**إن معاوية استنفر الناس ودعاهم إلى الطلب بدم عثمان، وكان في ما يحضّهم به أن قال: إن عليا قتل عثمان وآوى قتلته، وإنه يطعن على أبي بكر وعمر، ويدّعي أنه خليفة رسول الله وأنه أحق بالأمر منهما. فنفرت العامة والقُرّاء واجتمعوا على معاوية إلا قليلا منهم**»![(٢)]

---

(١) كتاب سليم بن قيس الهلالي – الحديث الثاني عشر ص٦٧٠. هذا وفي كتاب سُليم كثير من الأحاديث عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في بيان باطل أعدائه المتقدمين والمتأخرين. فلاحظها.

(٢) كتاب سليم بن قيس الهلالي – الحديث السابع والستون ص٩١٧

فهاهنا ورغم كل تلك الظروف الحرجة تـرك الأمـير (عليـه الـسلام) التقيـة، مـا يعنـي سقوط حكمها الوجوبي رغم تحقق موضوعها الضرري لأن في تركها مصلحة أولى راجحـة. ولا يُقال: أن احتمال الضرر كان منتفيا لأن الأمير (عليه السلام) كان حاكم الوقت؛ إذ يُقال: حتى وإن كان فإن ذلك لا يجعله بمعزل عن وقوع الضرر عليه والدليل اغتياله عليه الـسلام، ثم إن الضرر لا ينحصر توجّهه إليه فقط وإنما يشمل أصحابه وشيعته، فيكـون إضرارا وهـو محرَّم أيضا، وقد سقطت حرمته لما بيّناه من وجود المصلحة الأهم. على أن سُليم نفسه قد عبّر عن فعل الأمير بأنه ترك للتقية، ما يعني أن موضوعها كان متحققا وإلا لما كان للترك معنى.

● **ومنها؛** محاورة أمير المؤمنين (عليه السلام) مع ميثم التمار (رضوان الله تعـالى عليـه) إذ قال له: «**يا ميثم.. كيف أنـت إذا دعـاك دعـيٌّ بنـي أميـة إلى الـبراءة منـي؟ فقلـتُ: يـا أمـير المؤمنين.. أنا والله لا أبرأ منك. قال عليه السلام: إذن والله يقتلـك ويـصلبك! قلـتُ: أصـبر، فإن ذلك في الله قليل. قال عليه السلام: يا ميثم.. إذن تكون معي في درجتي**».[1]

والرواية تدل على استحباب ترك التقية حتى مـع التـيقن مـن وقـوع ضرر بـالغ كالقتـل والصلب، إذا كان الترك تأكيدا لولاية أهل البيت (عليهم السلام) خاصة ممن يكون في مقـام مَن يُقتدى به والأنظار شاخصة إليه، ولذا أقدم ميثم على ذلك فعلا في ما بعـد، وكـذا رُشـيد الهجري وحجر بن عدي وكُميل بن زياد وقنبر (عليهم جميعا رحمة الله ورضوانه) فإنهم جميعا قُتلوا وصُلبوا وقُطعت أيديهم وأرجلهم وألـسنتهم، ولم يختـاروا الـبراءة مـن مـولاهم أمـير المؤمنين (عليه السلام) لأنهم لو فعلوا لزلزل ذلك نفوس كثير من الـشيعة آنـذاك، إذ كانـت أنظار الشيعة شاخصة نحو هؤلاء المقدّمين المبرّزين من أصحاب أمير المؤمنين عليه الـسلام،

---

(١) الوسائل ج١٦ ص٢٢٧ عن رجال الكشي والخرائج والجرائح للراوندي.

ولا شك أن رضوخهم للتهديد وقبولهم بإعلان البراءة يحطُّ من العزائم ويضعف القلوب، وهو ما تكون له آثار سلبية كثيرة لاحقا، أسوأها اضمحلال التشيع أو ضعفه.

هذا وثمة نكتة في ذيل الرواية وهي أن الذي يضحي في سبيل الدين بنفسه مستقبلا الضرر وتاركا التقية يكون له مقام عظيم عند الله تعالى، كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام) لميثم: «**إذن تكون معي في درجتي**».

لكن أُشكل على المستفاد من الرواية بالقول: إنه لا يُستفاد منها رجحان ترك التقية في مثل هذا المورد لمعارضتها برواية أخرى في الموضوع نفسه رواها الكليني عن محمد بن مروان قال: «**قال لي أبو عبد الله عليه السلام: ما مَنع ميثمَ رحمه الله من التقية؟ فوالله لقد علم أن هذه الآية نزلت في عمار وأصحابه: إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمانِ**».[1] وهي تدل على اعتراضه (عليه السلام) على ميثم وأنه كان ينبغي له العمل بالتقية لا تركها.

ويُرد الإشكال بالقول: إن اسم (ميثم) ليس ممنوعا من الصرف، فلو كانت العبارة في مقام الاعتراض لوجب أن يكون منصوباً لسبوقه بفعل (مَنَع) فتكون العبارة (ما مَنع ميثماً)، إلا أن العبارة على خلاف ذلك في جميع النسخ حيث ورد اسم (ميثم) مرفوعا، فلا بد من أن يكون فعل (منع) مبنيا للمجهول، فتُقرأ العبارة (ما مُنِع ميثمٌ رحمه الله من التقية) وبذلك تكون الرواية في مقام المدح، ومعناها أن ميثما (رضوان الله تعالى عليه) مع أنه لم يُمنع شرعا من العمل برخصة التقية لتحقق موضوع الضرر في حقّه، ومع علمه بهذا الحكم ووقوفه عليه في آية عمّار وأصحابه رحمة الله عليهم؛ إلا أنه آثر ترك التقية وعدم إظهار براءته من أمير المؤمنين صلوات الله عليه. فيثبت رجحان ترك التقية في مثل هذه الموارد.

---

(١) الكافي ج٢ ص٢٢٠

ولعل قوله عليه السلام: «**ما مُنِع ميثمٌ رحمه الله من التقية**» كان جوابا على من ظنَّ أن ميثما كان ممنوعا من قبل أمير المؤمنين (عليه السلام) من إظهار البراءة منه تقيةً، وذلك لما رُوي عن الأمير عليه السلام: «**ستُدعوْنَ إلى سبي فسبوني! وتُدعوْنَ إلى البراءة مني فمُدُّوا الرِّقاب فإني على الفطرة**».[1] فكان كلام الصادق (عليه السلام) في معرض تفنيد أن ميثما لم يكن ممنوعا لا بمقتضى هذا الحديث ولا بمقتضى غيره، فكان يجوز له إظهار البراءة تقيةً إلا أنه لم يفعل احتسابا للأجر عند الله تعالى. زد على ذلك أن الصادق (عليه السلام) نفى في رواية أخرى أن يكون الأمير (عليه السلام) قد نهى عن إظهار البراءة منه مطلقا حتى في مورد التقية، فقد روى الكليني عن مسعدة بن صدقة قال: «**قيل لأبي عبد الله عليه السلام: إن الناس يروون أن عليا عليه السلام قال على منبر الكوفة: أيها الناس.. إنكم ستُدعوْنَ إلى سبّي فسبوني! ثم تُدعوْنَ إلى البراءة مني فلا تبرؤوا مني. فقال: ما أكثر ما يكذب الناس على علي عليه السلام! ثم قال: إنما قال: إنكم ستدعون إلى سبي فسبوني، ثم ستدعون إلى البراءة مني وإني لعلى على دين محمد صلى الله عليه وآله، ولم يقل: لا تبرؤوا مني. فقال له السائل: أرأيت إنْ اختار القتل دون البراءة؟ فقال: والله ما ذلك عليه، وما له إلا ما مضى عليه عمار بن ياسر حيث أكرهه أهل مكة وقلبه مطمئن بالإيمان، فأنزل الله عز وجل فيه: إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ**

---

(١) أمالي الشيخ الطوسي ص٢١٠، ويمكن اعتبار الحديث من جملة ما يُستدل به على جواز ترك التقية ومدّ الرقاب للسيف في مورد إعزاز ونصرة الأئمة الطاهرين عليهم السلام؛ لولا أن الاستدلال مخدوش بورود معارض له وهو تاليه أعلاه، ولا تنفع عندنا محاولة طرح المعارض بتضعيف سنده بمسعدة بن صدقة، إذ هذا الذي يروي عنه هارون بن مسلم والواقع في أسناد كامل الزيارات وتفسير القمي ثقة على الأقرب، وهو غير مسعدة بن صدقة العامي أو البتري الذي يروي عن الباقر (عليه السلام) فقط.

مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمانِ. فقال له النبي صلى الله عليه وآله عندها: يا عمار.. إن عادوا فعُد، فقد أنزل الله عز وجل عذرك وأمرك أن تعود إنْ عادوا».[1]

فإن قلت: ها قد أوجب الصادق (عليه السلام) في رواية مسعدة بن صدقة التقية وحرّم عدمها. قلنا: إنما نفى الإمام (عليه السلام) وجوب ترك التقية بقوله: «**والله ما ذلك عليه**» أي ليس واجبا عليه اختيار القتل، لا أنه أوجب عليه العمل بالتقية، والفرق شاسع. فإن قلت: فإنه قد رجّح التقية على عدمها بقوله: «**وما له إلا ما مضى عليه عمار..**» قلنا: ستفهم في زبدة المخض أنه لو كانت المصالح المترتبة على العمل بالتقية أعظم وأولى من تلك المترتبة على تركها، كان العمل بها راجحا، والعكس بالعكس، فلو كانت المصالح المترتبة على ترك التقية أعظم وأولى من تلك المترتبة على العمل بها، كان تركها راجحا، وعليه فهذا الحديث وأمثاله مما ينص أو يُستشعر منه رجحان التقية على عدمها إنما هو ناظر إلى الظروف الموضوعية لذلك الزمان حيث كانت المصالح المترتبة على التزام التقية أعظم وأولى، أما مسألتنا فهي في العكس، كما في مثال ميثم التمار (عليه الرحمة والرضوان) على ما ذكرناه من فلسفة تركه للتقية، فحينئذ في مثل هذه الموارد حيث يتوقف إعلاء اسم الإسلام والتشيع والولاء لآل محمد (عليهم السلام) على ترك التقية فإنه يكون الراجح والأولى والأثوب عند الله تعالى، وفي بعض الصور يجب.

● **ومنها**؛ ما رواه الكليني (عليه الرحمة) عن عبد الله بن عطاء قال: «**قلت لأبي جعفر عليه السلام: رجُلان من أهل الكوفة أُخِذا، فقيل لهما: ابرئا من أمير المؤمنين! فبَرِئَ واحدٌ**

---

(١) الكافي ج٢ ص٢١٩

منهما وأبى الآخر، فخُلِّيَ سبيل الذي بَـرِئَ وقُتل الآخر؟ فقال عليه الـسلام: أمـا الـذي بـرئ فرجلٌ فقيه في دينه، وأما الذي لم يبرأ فرجلٌ تعجَّل إلى الجنة».[1]

ومفاد الحديث أن اثنين من شيعة أمير المؤمنين (عليه الـسلام) قـد اعتقلـتهما الـسلطات الظالمة في الكوفة وأمرتهما بالبراءة منه، فاستجاب أحدهما تقيةً ودفعاً لخطر القتـل عـن نفـسه فنجى، وامتنع الآخر وأبى غيرةً ووفاءً فقُتل. وقد صوَّب الإمام البـاقر (عليـه الـسلام) كِـلا الفعليْن ممتدحا الذي لم يبرأ بأنه قد تعجّل إلى الجنة، فيما الذي برئ تأخر.

ودلالة الحديث استحباب ورجحان ترك التقية حتى مع إحراز وقوع الـضرر إذا كـان في الترك إعزاز لمقام الأئمة الطاهرين (عليهم السلام) وتوطين للنفس وللجماعة عـلى التـضحية في سبيل ولايتهم. فإن قيل: إن وصفه (عليه السلام) للذي برئ بأنه فقيه في دينه مُـشعرٌ بـأن فعله كان أرجح؛ قيل: بل إن وصفه (عليه السلام) للـذي لم يـبرأ بأنـه تعجَّـل إلى الجنـة هـو المشعر بأن فعله كان أرجح، إذ مجرد السبق إلى الجنة أفضل «**وَالسَّابِقُونَ الـسَّابِقُونَ * أُوْلَئِـكَ الْمُقَرَّبُونَ**»[2] وليس وصفه (عليه السلام) للذي برئ بأنه فقيه إلا بيانا لعلم هذا الأخير بحكم التقية الذي بمقتضاه صنع ما صنع اضطرارا. ولا يُقـال: فـإن مـا يقابـل الفقيـه هـو الجاهـل فيُحمل الذي لم يبرأ على كونه جاهلا قاصرا لم يعلم بحكم التقية؛ إذ يُقال: الحـديث لـيس في مقام المقابلة، ودعوى عدم علمه تحتاج إلى دليل، وسـياق الحـديث يـدل عـلى علمـه إذ كـان صاحبه المأخوذ قد برئ قبله وخُلِّي سبيله، ثـم إن الإمـام (عليـه الـسلام) قـد امتدحـه بـما لا ينطوي على إعذاره لجهله.

---

(١) الكافي ج٢ ص٢٢١

(٢) الواقعة: ١١ - ١٢

وبالنتيجة؛ فلو تنزلنا عن رجحان ترك التقية في مثل هذا المورد على فعلها، فلا مندوحة عن القول بتساوي الأمرين في ميزان الشرع، ما يعني جواز ترك التقية حتى مع التيقن من وقوع الضرر، وهو المطلوب.

• **ومنها**؛ ما رواه ابن أبي جمهور الأحسائي من أن «**مسيلمة الكذاب أخذ رجلين من المسلمين،**[1] **فقال لأحدهما: ما تقول في محمد؟ فقال: رسول الله. قال: فما تقول فيَّ؟ قال: أنت أيضا.**[2] **فخلّاه. وقال للآخر: ما تقول في محمد؟ فقال: رسول الله. قال: فما تقول فيَّ؟ قال: أنا أصم! فأعاد عليه ثلاثا، فأعاد جوابه الأول، فقتله! فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: أما الأول فقد أخذ برخصة الله، وأما الثاني فقد صدع بالحق، فهنيئا له**».[3]

والكلام في دلالة الحديث كالكلام في دلالة سابقه، من رجحان ترك التقية في مثل هذه الموارد حتى مع تيقن وقوع الضرر، مع ما أشار إليه الحديث من أن تارك التقية هاهنا أعظم أجرا من الفاعل، فإن الأول مدحه رسول الله (صلى الله عليه وآله) بأنه قد صدع بالحق «**فهنيئا له**» أما الثاني فقد أعذره فحسب بأنه قد أخذ برخصة الله أي التقية، ولم يمتدحه بشيء. فتدبَّر.

• **ومنها**؛ ما رواه الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) من أن سلمان الفارسي (رضوان الله تعالى عليه) مرّ بقوم من يهود المدينة فجعلوا يعذّبونه ويضربونه بسياطهم قائلين: «**لا نزال نضربك بسياطنا حتى تزهق روحك أو تكفر بمحمد! فقال سلمان: ما كنت**

---

(١) أي أسرهما، وكان ذلك في أواخر حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله) حيث بدأ مسيلمة (لعنه الله) دعوته الباطلة وبدأ يعتدي فيها على المسلمين.

(٢) يعني أنت أيضا يا مسيلمة رسول الله!

(٣) غوالي اللئالي ج٢ ص١٠٤

لأفعل ذلك، فإن الله قد أنـزل عـلى محمـد: الَّـذِينَ يُؤْمِنُـونَ بِالْغَيْـبِ؛ وإن احـتمالي لمكـارهكم لأدخل في جملة من مدحه الله بذلك؛ سهلٌ عليَّ يسيرٌ. فجعلوا يضربونه بسياطهم.. فقالوا لـه: يا سلمان ويحك! أوليس محمدٌ قد رخَّص لك أن تقول كلمة الكفر بما تعتقد ضـده للتقيـة مـن أعدائك؟ فما بالك لا تقول ما يفرّج عنك للتقية؟ فقال سلمان: إن الله تعالى رخَّص لي في ذلـك ولم يفرض عليَّ، بل أجاز لي أن لا أعطيكم ما تريـدون وأحتمـل مكـارهكم وأجعلـه أفـضل المنزلتيْن، وأنا لا أختار غيره».[1]

وفي الحديث دلالة بيِّنة على رجحان ترك التقية وتحمّل المكاره والأضرار التماسا للفـضل والأجر وعلوِّ المنزلة، وأن التقية في مثل هذا المورد رخصة لا عزيمة وفرض، فمن يطلـب مـا طلبه سلمان (عليه الرحمة والرضوان) من أفضل المنزلتيْن؛ يختار ترك التقية.

والظاهر أن سبب امتناع سلمان عن التقية رغم جوازها له؛ هو حرصه عـلى أن لا يفـرح اليهود بإذلالهم لواحد من أكابر المسلمين بقهره على إظهار الكفر، فينعكس ذلـك تاليـا عـلى عـزائم الكفـار إيجابـاً في حـربهم للإسـلام والمـسلمين، ويظنـون أن بمقـدورهم كـسرهم والانتصار عليهم لما أبداه سلمان – وهو من هو – من الرضوخ والضعف، فكيف بالباقين.

وعليه تتأكد مطلوبية قياس المصالح والمفساد المترتبة على فعـل التقيـة وتركهـا، فـما كـان طرفه أرجح وجب أو استحب العمل به.

● **ومنها**؛ ما رواه الكليني عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبد الله الصادق (عليه الـسلام) قال في حديث: «**وتفسير ما يُتَّقى مثل أن يكون قوم سوء ظـاهر حكمهـم وفعلهـم عـلى غـير**

(١) تفسير العسكري عليه السلام ص٦٨ وفي آخر الخبر أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد امتدح سـلمان (عليه الرضوان) لفعله وتضحيته، ثم انتقم من اليهود الذين عذبوه.

حكم الحق وفعله، فكل شيء يعمل المؤمن بينهم لمكان التقية مما لا يؤدي إلى الفساد في الدين فإنه جائز».[(١)]

ومحل الشاهد قوله عليه السلام: «**مما لا يؤدي إلى الفساد في الدين**» فإنه صريح في حرمة التقية إذا ترتّب عليها فساد في الدين، ولهذا ذكروا أنه يحرم على الفقيه في هذه الصورة الإفتاء بما هو خلاف الحق تقيةً، كالإفتاء بجواز ما ابتدعه لهم عمر كالتكفير في الصلاة وشرب النبيذ وقول الصلاة خير من النوم في أذان الصبح وتحريم المتعتين وتجويز التراويح وما إلى ذلك من بدع ومستحدثات، فيجب على الفقيه وقتئذ أن يوطّن نفسه على تحمّل الضرر حتى وإن بلغ مبلغ القتل لئلا يقع الفساد في الدين حين يفتي بخلاف الحق فيشتبه ذلك على العوام ولا يمكن الرجوع عنه.

ولهذا نجد في تاريخ فقهائنا العظام سلوك كثير منهم سبيل الشهادة والتضحية بالنفس والأهل والذرية، كمحمد بن الحسن بن علي القتال النيسابوري، والفضل بن الحسن الطبرسي، والحسين بن محمد بن علي الميكالي، ومحمد بن مكي العاملي المعروف بالشهيد الأول، وزين الدين بن علي العاملي المعروف بالشهيد الثاني، والقاضي نور الله المرعشي التستري المعروف بالشهيد الثالث، والفقيه شهاب الدين عبد الله بن محمود بن السعيد التستري الخراساني، وغيرهم من علمائنا المتقدمين والمتأخرين، قدس الله أرواحهم الزكية.

● **ومنها**؛ ما رواه المفيد عن أبي الحسن الكاظم (صلوات الله عليه) أنه قال: «**قُل الحق وإن كان فيه هلاكك فإن فيه نجاتك، ودع الباطل وإن كان فيه نجاتك فإن فيه هلاكك**».[(٢)]

---

(١) الكافي ج٢ ص١٦٨

(٢) الاختصاص ص٣٢

وجه الاستدلال بالخبر أمره (عليه السلام) بقول الحق وإن كان موجبا للتعرض لضرر الهلاك، وعدم قول الباطل وإن كان موجبا لحفظ النفس. وبعد الجمع بينه وبين الأحاديث الواردة في رخصة التقية يُتَحصَّل جواز تركها والتعرّض للضرر بل الهلاك إذا ما توقّفت إقامة الحق على ذلك، وعلى هذا يكون محمول الخبر، إذا لا يبدو أن المراد هو فقط التلفظ بلفظ الحق، فهذا بمجرَّده لا يرجح على التقية لحفظ النفس من الهلاك، وإنما المراد إقامة الحق والحفاظ عليه، فلو كان عمله بالتقية مسببا لضياع الحق كليةً أو اختلاطه بالباطل كان الواجب عليه – أو الراجح حسب الفرض – ترك التقية وتحمّل الضرر ولو بلغ مبلغ القتل، فإن في ذلك النجاة في الآخرة.

● ومنها؛ ما رواه الكليني عن أبي جعفر الباقر (صلوات الله عليه) أنه قال: «**يكون في آخر الزمان قومٌ يتبع فيهم قومٌ مراؤون،**[1] **يتقرَّؤون ويتنسَّكون، حدثاء سفهاء، لا يوجبون أمراً بمعروفٍ ولا نهياً عن منكرٍ إلا إذا أَمِنوا الضرر! يطلبون لأنفسهم الرُّخَص والمعاذير، يتبعون زلات العلماء وفساد عملهم! يُقبلون على الصلاة والصيام وما لا يَكْلِمُهُم في نفسٍ ولا مالٍ،**[2] **ولو أضرَّت الصلاة بسائر ما يعملون بأموالهم وأبدانهم لرفضوها كما رفضوا أسمى الفرائض وأشرفها! إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة عظيمة بها تُقام الفرائض، هنالك يتم غضب الله عز وجل عليهم فيعمُّهم بعقابه، فيهلك الأبرار في دار الفُجَّار، والصغار في دار الكبار. إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء ومنهاج الصلحاء، فريضة عظيمة بها تُقام الفرائض وتأمن المذاهب**[3] **وتحِلُّ المكاسب وتُرَدُّ المظالم، وتُعمَّر**

(١) أي يُظهرون التزامهم بالدين ظاهرا لكنهم في الواقع غير ملتزمين.

(٢) أي ما لا يصيبهم في أنفسهم أو أموالهم، فلا يتعرضون للضرر.

(٣) أي تصبح الطرق إلى التزام الدين آمنة.

الأرض ويُنتَصَف من الأعداء[1] **ويستقيم الأمر، فأنكروا بقلوبكم والفظوا بألسنتكم وصكُّوا بها جباههم! ولا تخافوا في الله لومة لائم، فإن اتعظوا وإلى الحق رجعوا فلا سبيل عليهم، إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ أُوْلَئِكَ لَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ.**[2] **هنالك فجاهدوهم بأبدانكم وابغضوهم بقلوبكم غير طالبين سلطاناً ولا باغين مالاً ولما مريدين بظلم ظفراً، حتى يفيئوا إلى أمر الله ويمضوا على طاعته».**[3]

وفي الحديث ذم صريح لأولئك الذين «**لا يوجبون أمراً بمعروفٍ ولا نهياً عن منكرٍ إلا إذا أَمِنوا الضرر**» فقد سمّاهم الإمام (عليه السلام) بالمرائين الحدثاء السفهاء الذين يطلبون لأنفسهم الرُّخَص والمعاذير ويتبعون زلاّت العلماء. ومفهومه جواز التعرض للضرر وترك التقية أداءً لوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن التقية تكون حاكمة على هذه الوظيفة في بعض الموارد والصور لا فيها كلها، فإن أمر إقامة الدين والتصدي للظالمين والمنحرفين أولى وأهم، ولا يتأتّى ذلك إلا بأداء وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على أكمل وجه.

ولعل الحديث ناظر إلى تلك المرتبة العليا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، التي التي عُبِّر عنها بأن بها «**تُقام الفرائض وتأمن المذاهب وتَحِلُّ المكاسب وتُرَدُّ المظالم وتُعمَّر الأرض ويُنتَصَف من الأعداء ويستقيم الأمر**» فإن هذه الأمور لا تتحقق بالمراتب الدنيا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وفي تلك المرتبة العليا - والتي تعني إقامة الدين والحق والعدل ومنع اندثار ذلك - تسقط التقية لمنافاتها لتحقق الأمر والنهي في الواقع الخارجي،

---

(١) أي يُعاقب الأعداء الظالمون ويُقتص منهم.

(٢) الشورى: ٤٣

(٣) الكافي ج٥ ص٥٥

فيكون الذي يرجِّحها مذموما مستحقا لغضب الله تعالى وعقابه، إذ هو من أولئـك الـذين لا يوجبون أمرا بمعروف ولا نهيا عن منكر إلا إذا أمنوا الضرر.

ومن الإشارات المهمة في هذا الحديث الشريف أن التقية ستنقلب مع تـوالي الزمـان مـن رخصة شرعية إلى مرض عضال يعطِّل أشرف الوظائف الدينية كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهؤلاء الجبناء الذين ذمّهم الإمام الباقر (عليه السلام) يظهرون في آخر الزمان، وهـم يتنازلون عن دينهم حتى لا يتعرضوا للضرر، بل إنهم - كما قـال الإمـام عليـه الـسلام - لـو وجدوا الصلاة تضرّهم في مصالحهم وأموالهم وأبدانهم لرفضوها أيضا!

هؤلاء مستعدون للالتزام بالصلاة والصيام والحج وغير ذلك من أحكـام لا يتعرضـون بسببها للضرر؛ إلا أنهم غير مستعدين للالتزام بحكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأنـه يعرضهم للضرر! فيفلسفون جُبنهم وخوارهم باسم التقية!

ومما يؤكـد اسـتفحال هـذه الحالـة المرضـية في آخـر الزمـان أن المـولى صـاحب العـصر (صلوات الله عليه وعجل الله فرجه الشريف) عندما يظهر ويطالب المنتحلين للتشيع بنصرته والجهاد معه فإن ردّهم سيكون الخذلان بذريعة التزام التقية! ففي ذلك الزمان ستكون التقية بالنسبة للناس أحبَّ إليهم من آبائهم وأمهاتهم!

وهذا هو ما كشفه الإمام الصادق (عليه السلام) إذ قال: «**إنما جُعِلَت التقيـة لـيُحقَن بهـا الدم، فإذا بلغت التقيةُ الدمَ فلا تقية! وأيْمُ الله لو دُعيتم لتنصرونا لقلتم: لا نفعل! إنـما نتَّقـي! ولكانت التقية أحبَّ إليكم من آبائكم وأمهاتكم! ولو قد قام القائم ما احتـاج إلى مـساءلتكم عن ذلك ولأقام في كثيرٍ منكم من أهل النفاق حدّ الله**»![1]

---

(١) التهذيب ج٦ ص١٧٢ عن أبي حمزة الثمالي رضوان الله عليه، وليت الشيعة في هـذا الزمـان يحفظـون هـذا الحديث ويتدبّرون فيه ليدركوا المصيبة التي يوقعون أنفسهم فيها باسم التقية!

المقام الرابع: تشخيص الضرورة الموضوعية المبيحة لارتكاب الحرام تقيةً هو بيد المكلَّف، لقول الباقر عليه السلام: «**التقية في كل ضرورة، وصاحبها أعلم بها حين تنزل به**».[1]

بَيْد أنه ينبغي للمكلَّف أن لا يتساهل في تسويغ التقية لنفسه، فإنْ لم يكن ثمة محذور ضرري معتد به، أو كان إلا أن استقباله أوجبه الشرع؛ فإن التقية تكون وقتذاك حراما عليه ويترتب على فعلها العقاب، تماما كالذي يعمل بالتيمم ويصلي مع حضور الماء بغير عذر. ولذا فإن على المكلَّف أن يعي موارد جواز التقية وأن يتأمَّل جيدا في ما يُبتلى به لئلا تقع التقية في غير موضعها الذي رخّصها فيه الشارع.

وقد جاءت في هذا الشأن تحذيرات متعددة من قِبَل الأئمة الأطهار عليهم السلام:

فمنها؛ ما رواه الكليني عن مسعدة بن صدقة قال: «**سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول وسُئل عن إيمان من يلزمنا حقه وأُخُوَّته كيف هو وبما يثبت وبما يبطل؟ فقال: إن الإيمان قد يُتخذ على وجهين؛ أما أحدهما فهو الذي يظهر لك من صاحبك، فإذا ظهر لك منه مثل الذي تقول به أنت حقّت ولايته وأخوّته، إلا أن يجيء منه نقضٌ للذي وصف من نفسه وأظهره لك، فإن جاء منه ما تستدل به على نقض الذي أظهر لك خرج عندك مما وصف لك وأظهر، وكان لما أظهر لك ناقضا إلا أن يدّعي أنه إنما عمل ذلك تقيةً، ومع ذلك يُنظر فيه، فإنْ كان ليس مما يمكن أن تكون التقية في مثله لم يُقبل منه ذلك، لأن للتقية مواضع من أزالها عن مواضعها لم تستقم له**».[2]

---

(١) الكافي ج٢ ص٢١٩ عن زرارة رضوان الله تعالى عليه.

(٢) الكافي ج٢ ص١٦٨، وبمقتضاه فإن الذين نسمعهم اليوم ينقضون عقيدة التشيع ممالأةً للنواصب هم عندنا خارجون عنه إلا أن يثبتوا لنا أن الذي صدر منهم كان تقيةً مقبولةً شرعاً. وأنّى لهم سوَّد الله وجوههم!

ومنها؛ ما رواه الإمام أبو محمد العسكري (عليه السلام) في تفسيره عن الإمـام عـلي بـن الحسين زين العابدين (عليه السلام) أنه قـال في حـديث: «**هـذه أحـوال مـن كـتم فـضائلنا وجحد حقوقنا وسمّى بأسمائنا ولقّب بألقابنا وأعان ظالمنا على غـصب حقوقنـا ومـالأَ علينـا أعداءنا، والتقية لا تزعجه والمخافة على نفسه وماله وحاله لا تبعثه. فاتقوا الله معاشر شـيعتنا، لا تستعملوا الهُوَيْنا ولا تقية عليكم، ولا تستعملوا المهاجرة والتقية تمنعكم**».[(١)]

ومنها؛ ما رواه أيضا الإمام أبو محمـد العـسكري (عليـه الـسلام) في تفـسيره عـن أمـير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال: «**سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: مـن سُـئل عـن علم فكتمه حيث يجب إظهاره ويزول عنه التقية؛ جاء يوم القيامة مُلجَماً بلجامٍ من النار**»![(٢)]

---

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام ص٤٦٣، والهوينا تصغير مؤنث للهـون وهـي هنـا بمعنـى التـذلل والخضوع، والمهاجَرة هنا بمعنى التخاصم والمعاداة في القـول والفعـل. هـذا وقـد لاحظنـا في هـذا التفـسير الشريف تحذيرات من التقية الباطلة وتعزيزات للهمة الدينية في كسر الناصب المخالف، ونستشف من هذا أن الإمام (عليه السلام) كان قلقا على ما سوف يستشري بعده – وخاصة مـع بـدء زمـن الغيبـة الطويـل – مـن مرض الخنوع والذل والانهزام باسم التقية، لذا صدرت منه تلك التحذيرات وحدّث بتلـك الأحاديـث عـن آبائه الطاهرين (عليهم السلام) لكي لا يقع الشيعة في الهوان تحت عنوان التقية، وليكونوا دائما في عـزة نفـس وإباء أمام الكفار والنواصب والمخالفين، فلا يتوانوا عن بيان الحق خوفا من أحد.

وأما الكلام في اعتبار هذا التفسير المروي عن مولانا العسكري (عليه السلام) فليس هاهنا محلّه، وقد تعرّضنا إليه مفصّلاً في المحاضرات.

(٢) المصدر نفسه ص٣١٩، وإنّا لنشمئز من بعض هؤلاء المعممـين الـذين يعيـشون مـثلا في بلـدان الغـرب متذرعين بالتقية لكتمان الحق حين يُسألون المسائل الحرجة في موضوع أبي بكر أو عمر أو عائـشة، والحـال أن التقية هناك منعدمة تماما! بل إنها منعدمة حتى في معظم بلدان الشرق ولذا نحن لم نجوّز لأنفـسنا العمـل بهـا حينما كنا هناك، وقد ثبت أنها منعدمة حتى مع تعرضنا للسجن والاعتقال إذ لم يكن هذا القدر من الضرر مـن المعتدِّ به، فضلا عما بيّناه من أن الصدع بالحق أولى وهو يُسقط وجوب التقية. ربما يفضل هؤلاء الجبنـاء أن =

ومنها؛ ما رواه أيضا الإمام أبو محمد العسكري (عليه السلام) في تفسيره من حديث حجب الإمام الرضا (عليه السلام) لبعض شيعته وجفائه لهم، فقالوا: «**يابن رسول الله.. ما هذا الجفاء العظيم والاستخفاف بعد الحجاب الصعب؟ أي باقية تبقى منا بعد هذا**»؟! فكان مما أجابهم به عليه السلام: «**لدعواكم أنكم شيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ويحكم! إنما شيعته الحسن والحسين عليهما السلام وسلمان وأبو ذر والمقداد وعمار ومحمد بن أبي بكر؛ الذين لم يخالفوا شيئا من أوامره ولم يرتكبوا شيئا من زواجره. فأما أنتم إذا قلتم أنكم شيعته وأنتم في أكثر أعمالكم له مخالفون، مقصِّرون في كثير من الفرائض ومتهاونون بعظيم حقوق إخوانكم في الله، وتتَّقون حيث لا تجب التقية، وتتركون التقية حيث لا بد من التقية**» إلى تمام الخبر.[1]

وكيف كان فإن للتقية مواضعها وشروطها، ولا يجوز بحال أن تؤخذ مسوِّغاً لارتكاب المحرمات أو العمل خلافا للتكاليف، أو أن تغدو سببا لهدم الدين والتشيع والتنازل عن ثوابته العقيدية، أو هتك حرمة أهل بيت النبوة (عليهم السلام) أو حتى إذلال المؤمن نفسه، فقد ورد في الحديث عن الصادق صلوات الله عليه: «**إن الله عز وجل فوَّض إلى المؤمن أموره كلها، ولم يفوِّض إليه أن يذلَّ نفسه. ألم تسمع لقول الله عز وجل: وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ؟ فالمؤمن ينبغي أن يكون عزيزاً ولا يكون ذليلاً، يُعِزُّه الله بالإيمان والإسلام**».[2]

= نراهم يوم القيامة ملجَمين بلجام من النار! أبعدنا الله عنهم ولا جعلنا الله منهم أبدا فإنهم هم الذين سيواجهون الإمام المنتظر (صلوات الله عليه) حين يطلب منهم النصرة بقولهم: «**لا نفعل! إنما نتّقي**»!

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام ص٣١٣ ووسائل الشيعة للحرّ العاملي ج١٦ ص٢١٧.

(٢) الكافي ج٥ ص٦٣ عن سماعة، والآية من سورة المنافقون: ٩

هذا وإن على المؤمن أن يسعى لعدم الاضطرار للتقية، وأن يدعو الله تعالى كي يجنّبه مثـل هذا الاضطرار، ولذا فإننا نقرأ في الدعاء المروي عـن أبي الحـسن الرضـا صـلوات الله عليـه: «**واجعلنا يا رب.. ممن لا حاجة به إلى التقية من خلقك**».[١]

ثم إن هاهنا تنبيها:

يحلو لكثير من الجبنـاء والانهـزاميين اسـتعارة بعـض النـصوص الـشرعية والأحاديـث الشريفة التي تؤكد على التزام التقية، وأنه ليس منهم (عليهم الـسلام) مـن لم يجعلهـا شـعاره ودثاره، وأنه لا خير فيمن لا تقية له، وأن أكرمكم عند الله أشـدكم تقيـة، وأن تـسعة أعـشار الدين في التقيـة، وأن الحـسنة التقيـة والـسيئة الإذاعـة.. وغيرهـا مـن نـصوص وأحاديـث مستفيضة في الحث على هذا الالتزام. وهؤلاء إنما يستعيرون هذه النـصوص لتخـدير عقـول بسطاء الناس، وقصدهم من وراء ذلك هو الإيحاء بأن تلك الأحاديث توجب العمل بالتقيـة في كل عصر ومصر، وفي كل حين وآن، حتى تكون هي الأصل لا الاستثناء.

وقد تبيَّن لك أن هذه النصوص إنما قد صدرت في ظروفها الموضوعية في تلـك الأزمنـة، حيث الأجواء الخانقة التي تكون التقية مما لا بـد منـه للتعـايش معهـا والحفـاظ عـلى الـدين وأهله. وحيث قد ارتفعت بحمد الله تعالى تلـك الأجـواء الخانقـة فإنـه لا تقيـة، كـما أكدتـه النصوص الأخرى التي مرّت عليك.

إلا أن الجبناء يحلو لهم غسل أدمغة الناس بعرض وجه واحد دون الوجـه الآخـر، فهـم ينتقون من النصوص ما يشاؤون ويحجبون منها ما يشاؤون، ثـم يؤسـسون عـلى هـذا الـذي

---

(١) مصباح المتهجد للشيخ الطوسي ص٤١٥ في الدعاء لصاحب الأمر صلوات الله عليـه. وعنـه في مفـاتيح الجنان في أدعية زمن الغيبة.

انتقوه القواعد والأحكام خلافا للأصول العلمية، فإننا لو أخذنا كل حديث ورتّبنا على ظاهره أحكاما دون النظر في دواعي صدوره لقلبنا دين الله رأسا على عقب!

وكمثال على ذلك؛ فقد ورد في الحديث الذي مرّ عليك عن الصادق صلوات الله عليه: «**إياكم وذكر علي وفاطمة فإن الناس ليس شيءٌ أبغض إليهم من ذكر علي وفاطمة عليهما السلام**».(١)

أفهل يصح أن نأخذ هذا الحديث على ظاهره وإطلاقه فنحرّم على الناس ذكر علي وفاطمة (عليهما السلام) ونمنع كل مجلس يُعقد وكل خُطبة تُلقى وكل كتاب يُكتب وكل جُهد يُبذل لبيان فضائل المرتضى والزهراء صلوات الله عليهما وآلهما؟! قطعا لا.. فإن هذا الحديث الشريف قد صدر في أجواء الضغوط الخانقة التي تطلّبت أن يأمر الأئمة شيعتهم بالتزام التقية المشددة حتى في مجرد ذكر علي وفاطمة عليهما السلام، أما الآن حيث ارتفع ذلك المحذور بحمد الله تعالى فلا نهي عن ذكرهما (صلوات الله عليهما) فيعود الحكم للاستحباب.

فكذلك هو الأمر في روايات التقية والنهي عن الإذاعة أو ذكر مخازي الظالمين، إنها مقيّدة بظروف تلك الأزمنة العصيبة، فلا يصح ترتيب حكم دوام وجوبها عليها كما يفعله هؤلاء الذين في قلوبهم مرض الانهزامية والخوف!

فإن قيل: إن التقية لا ترتفع بل تشتد مع مرور الزمن لما رواه الكليني عن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «**كلما تقارب هذا الأمر كان أشدَّ للتقية**».(٢)

---

(١) الكافي ج٨ ص١٥٩ عن عنبسة، وعنه الوسائل في أبواب التقية.

(٢) الكافي ج٢ ص٢٢٠، والمقصود من (هذا الأمر) هو ظهور المولى صاحب العصر صلوات الله عليه.

قلنا في الجواب: المقصود في الرواية هـو اشـتداد الحاجـة إلى التقيـة بلحـاظ المجمـوع لا بلحاظ زمن متأخر عن زمن متقدم بالضرورة، ففي أزمان – كزماننا هـذا – لا يكـون للتقيـة مسوغ شرعي ولا حاجة على نحو الإجمال، وقد يأتي زمان بعده تتحقق فيه المسوغات، وقـد يأتي بعده زمان آخر تنتفي فيـه، وهكـذا، إلا أنـه بلحـاظ المجمـوع تكـون ظـروف الأزمـان الأخيرة القريبة من زمن الظهور المقدّس أدعى للتقية، لا أن التقية لا يمكن ارتفاعهـا مطلقـا في كل زمان، فليس هذا من معنى الرواية في شيء. على أنه في زمان التوطئـة للظهـور المبـارك تكون التقية إجمالا منتفية أيضا، ولذا يخـرج الخراسـاني واليـماني مجـاهريْن ومطـالبيْن بـالحق، وخروجهما علامة انتفاء التقية إذ لو كانت غير منتفيـة لمـا خرجـا إذ يكـون الخـروج حرامـا، ولاستحقا الذم في الروايات بدل المدح والتأييد والنعت بالهـدى، وبـضميمة هـذا تعـرف أن المقصود من الرواية ليس اشتداد التقية على نحو الطردية الاستمرارية، بل المتقطعة.

ثم إن هذه الرواية إنما هي في الغيبيات لا في الأحكام، فلا تفيد حكـما، ونحـن ملزَمـون بالروايات التي تذكر حكم التقية ومقيَّدون بالشرائط المذكورة فيها، فإن تحققت وجبت علينا التقية وإن لم نرَ لها تحققا حرمت علينا، وهذا هو تكليفنا فحسب.

ومحاولة منع ترك التقية استنادا إلى هذه الرواية أشبه بمحاولة منع إقامة العدل استنادا إلى رواية أن الظهور لن يقع إلا بعد امتلاء الأرض ظلما وجورا! وبطلانهما لا يحتاج إلى كلام.

فإن قيل: قد روى الصدوق عن أبي الحسن الرضا عليه السلام: «**لا دين لمـن لا ورع لـه، ولا إيمان لمن لا تقية له، إن أكرمكم عند الله أعملكم بالتقيـة. فقيـل لـه: يـابن رسـول الله إلى متى؟ قال: إلى يوم الوقت المعلوم وهو يوم خروج قائمنا أهل البيـت، فمـن تـرك التقيـة قبـل خروج قائمنا فليس منا**»[1] ومعناه وجوب التقية مطلقا قبل خروج القائم عليه السلام.

---

(١) كمال الدين وتمام النعمة ص٣٧١

قلنا: إن دعوى وجوب التقية مطلقا ليس إلى إثباتها سبيل مع ما بان لك من حرمتها في بعض الموارد وكراهتها أو إباحتها في أخرى، فيُحمل هذا الخبر وأمثاله على معنى أن تارك التقية الواجبة قبل خروج القائم (صلوات الله عليه) ليس منهم، لا تارك التقية المستحبة أو المباحة أو المكروهة. وبعبارة أخرى؛ إن موضوع التقية إذا تحقق وبلغت فيه المفسدة حد وجوب الدفع فإن التقية حينئذ تكون واجبة ويكون تركها حراما، فهذا الذي يتعمّد تركها في هذه الصورة يكون مرتكبا للفعل المحرّم، ولا شك أنه بذلك ليس منهم عليهم السلام.

والظاهر أن الخبر في مقام التحذير من خصوص الخروج قبل ظهور صاحب الأمر (عليه السلام) فإن مَن وقف على أحاديثهم (عليهم السلام) وتذوّق معانيها يلحظ اقتران ذكرهم للتقية بأمر الخروج على نحو المقابلة، حيث كان الدخلاء يجنّدون الجنود ويكتّبون الكتائب بشعار الدعوة إلى الرضا من آل محمد، ولم يكن هدفهم إسقاط الحكومات القائمة لتسليم السلطة إلى أصحابها الشرعيين من أهل البيت (عليهم السلام) وإنما كان هدفهم إسقاطها لينالوها بأنفسهم، كما فعل بنو العباس في بني أمية، وكان كثير من الشيعة ينخدعون بتلك الشعارات ويظنون أن أصحابها ممن نصبهم الأئمة (عليهم السلام) لأداء تلك المهمات، وكان بعض أولئك الدخلاء يدّعون المهدوية أيضا كمحمد بن عبد الله المحض، وإزاء ذلك كان الأئمة (عليهم السلام) يحذرون شيعتهم من هؤلاء مفنّدين مزاعمهم ومبطلين دعاواهم بالتأكيد على أن صاحب الأمر لم يظهر بعد وأن التقية في شأن الخروج على هذه الحكومات القائمة ستبقى إلى حين ظهوره وهؤلاء الدخلاء إنما يخرجون خلافا لأمرهم. وعلى هذا فيكون معنى هذا الخبر وأمثاله أن من ترك التقية في خصوص القيام بجهد عسكري ضد السلطات القائمة وانضوى تحت لواء مَن خرج بغير أمرهم (عليهم السلام) فليس منهم. أما لو كان خارجا وثائرا بإذن منهم فليست التقية واجبة عليه ولا تحذير منه ولا ذم له، وإلى هذا يتوجّه معنى ما رواه ابن ادريس عن الصادق عليه السلام: «**لا أزال أنا وشيعتي بخير ما**

خرج الخارجي من آل محمد صلى الله عليه وآله، ولوددت أن الخارجي من آل محمد (صلى الله عليه وآله) خرج وعليَّ نفقة عياله»[(١)] وبهذا يمكن مثلاً تصويب ثورة زيد بن علي بن الحسين (عليهما السلام) عند مَن صَوَّب. كما يمكن تصويب تصدي الفقهاء العدول الجامعين للشرائط في زمن الغيبة لتأسيس الدولة باعتبار مأذونيتهم من قبل ولي العصر (أرواحنا فداه) على القول بعموم وظيفتهم لهذا المورد. فتأمّل.

وعلى أية حال فإنه لا شك عند أهل العلم والفضل والتحقيق أن معنى قولهم عليهم السلام: «**لا دين لمن لا تقية له.. لا إيمان لمن لا تقية له**» هو أنه لا دين ولا إيمان لمن لا يعتقد بوجود حكم التقية شرعا، لا أنه لا دين ولا إيمان لمن لم يعمل بالتقية حتى مع عدم تحقق موضوعها الضرري. وبهذا يتأكد أن قوله عليه السلام: «**فمن ترك التقية قبل خروج قائمنا فليس منا**» معناه أن من ترك التقية الواجبة بدعوى ارتفاع حكمها قبل خروج القائم فليس منهم، وذلك بضميمة صدر الرواية حيث قوله عليه السلام: «**ولا إيمان لمن لا تقية له**»، وبضميمة التقييد بما قبل الخروج في قوله عليه السلام: «**قبل خروج قائمنا**»، لأن حكم التقية يرتفع عند خروج القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف ونحن معه.

فالخبر إذن ناظر إلى الحكم لا الموضوع، ولا شك في بقاء الحكم متى ما تحقق موضوعه. على أننا ذكرنا أن حمل الخبر على خصوص التحذير من الخروج والثورة بغير إذن منهم (عليهم السلام) لا يخلو من قوة. وكيف كان؛ فإن دعوى أن التقية واجبة مطلقاً في كل الموارد وعلى سبيل الدوام إلى ما قبل قيام قائم آل محمد (صلوات الله عليهم) هي دعوى باطلة لا يشفع لها خبر ولا يساندها استدلال.

---

(١) الوسائل ج١١ ص٣٩ عن السرائر لابن ادريس.

زبـدة المخـض:

قد عرفت مما سبق أن التقية رخصة لارتكاب عمل محرَّم اتقاءً لوقوع الـضرر العاجـل أو الآجل، وأنها لا تكون واجبة دائما بل يختلف حكمها بـاختلاف الموضـوع، وأن الـذي يحـدد ماهية حكم التقية في هذا الموضوع أو ذاك هو مقارنة ما يترتـب عـلى فعلهـا بـما يترتـب عـلى تركها من المصالح والمفاسد، فإذا كانت الكفّة تميل لجهة التقية فبها، وإلا فلا.

وغير خفي – طبقا لدلالة الروايات – أن الحكمة الأساسية من تشريع التقية هـي حفـظ حياة الإمام المعصوم (عليه السلام) وحفظ جماعة المؤمنين من الفناء كي لا ينـدرس ديـن الله سبحانه وتعالى.

وعلى ما تقدّم؛ فإنّا لا نرى مانعا شرعيا من جهـة التقيـة لإظهـار هـذا الكتـاب، إذ هـي بالنسبة إليه سالبة بانتفاء الموضوع، حيث لا نحتمل ضررا معتدا به يتوجّـه إلينـا، ولا إضراراً معتدا به يتوجه إلى غيرنا، سيما مع صيرورة العالم بفعل آليـات التواصـل وتقنيـات الاتـصال قرية حرة واحدة ذات فضاء واسع تضيع فيه أخطر الآراء وأكثرها حساسية واسـتفزازا، فـلا يستجلب طرحها من ردود الفعل سوى بعض الفزع هنا وبعض الجَلَبة هناك، وما بينهما مـن بيانات وتصريحات هجومية، وعلى أسوأ التقادير مظاهرة صارخة تنتهي بحرق أعلام وصور وتمزيق دُمى، ثم تطوي ذلك كله حركة التفاعل البـشري اليـومي بـما فيهـا مـن مـستجدات سريعة تجعل ما وقع بالأمس غابرا وكأنه قد وقع قبل قرن. هذا هو قانون عـالم اليـوم، ومعـه يكون من المبالغة دعوى أن صدور مثل هذا الكتاب سيؤدي إلى كارثة!

ومن الواضح لنا أن الموضوع الضرري منتفٍ من جهات عدّة، منها أن المعلومة الإجمالية لهذا الكتاب إنما هي اليوم عند جمهور المخالفين من قبيل تحصيل الحاصل، فـإن جلّهـم قـاطع بأن «الشيعة يطعنون في شرف عائشة» وهذا مـا يـتردد بيـنهم كواحـدة مـن المـواد الرئيـسية

للشحن العدائي المتكرر، فهذا الكتاب لن يفاجئ في عنوانه ومعلومته الإجمالية أحدا منهم، بل سيبدّد ما علق في أذهانهم من شبهات تجاه هذه المسألة، ليعرفوا الفرق بين ما يتهموننا به وبين ما نقول به، وهو فرق مهم سيتبيّن لك في محلّه. وبهذا؛ ليس الكتاب بمجرده كفيلا لإثارتهم ودفعهم إلى العنف والإجرام، إذ هو ليس إلا تفصيلا لمعلومة إجمالية راسخة في أذهانهم عن اعتقاد الشيعة في الحميراء.

ومن جهات انتفاء الضرر أن هذا الكتاب هو في واقع الحال ينزع الحساسية عن مناقشة هذه المسألة وغيرها من المسائل الخلافية، فإنها لو بقيت محاطة بالسرية والكتمان دون تقديم الدليل والبرهان؛ فإنها تجعل المخالف أكثر عداءً وعنفاً، لاشتباه الأمر عليه، أما مع اتضاحه له فإنه قد يهديه الله فيصحِّح موقفه واعتقاده، أو إنْ لم يهتدِ ويصحّح فإن مجرَّد عرض الدليل والبرهان ومناقشة الأمر بصراحة ينقل الصراع إلى حلبة المناقشة العلمية، ومع اعتياد النقاش تُنزع الحساسية عن هذه المسائل فلا تكون موجبة لإثارة نزعات العنف الفعلي، فينتفي الضرر.

ومن جهات انتفاء الضرر أن واقع الحرب المؤسفة القائمة اليوم بين الشيعة ومخالفيهم - سيما في العراق وباكستان حيث تُراق الدماء - أثبت أن الإقدام والإحجام في ميدان الطرح العقيدي والفكري كلاهما سيّان، فإذا أحجم الشيعة وسكتوا عن التعرض لأولياء القوم ما كان ذلك بمانع هؤلاء عن الاعتداء والقتل، بل إن الإحجام والسكوت يجعلهم يتمادون أكثر في الإجرام، وكذلك إذا أقدم الشيعة فإن ذلك لا يمنع القوم عن الاعتداء والقتل، إلا أنه في كثير من الأحيان يفرض عليهم مراجعة حساباتهم لشعورهم باستعداد الشيعة للتحدي والمجابهة بالمثل فيكون ذلك ردعا. وعلى أية حال فإن الحرب الحالية يعلم الجميع بأنها لم تبدأ «لأن الشيعة يطعنون في أبي بكر وعمر» وإنما بسبب معادلات

سياسية إقليمية معقدة أفرزتها ثورة إيران وسقوط الشاه، فالحرب العراقية الإيرانية، فالحرب الأهلية اللبنانية، فغزو الكويت، فالتدخل الأميركي، فالانتفاضة الشعبانية، فالانتفاضة البحرانية، فهيمنة حزب الله في لبنان بعد الانسحاب الصهيوني، فالبروز الشيعي في سورية، فسقوط طالبان في أفغانستان، فتمرد الحوثيين في اليمن، فسقوط البعث في العراق، فالتمدد الشيعي في بلدان المغرب العربي.. تلك هي المحطات الفارقة للتحولات الهائلة التي جرت في المنطقة. والهدف من الحرب على الشيعة واضح، وهو قطع الطريق أمام وصولهم للحكم في دول وأقاليم هم فيها أكثرية وتحت أرجلهم أكبر وأهم حقول النفط في العالم، فإن ذلك لو تحقق لأصبح الشيعة سادة العالم ولعاشوا في قمة العزة والرفاهية ولحُرم مخالفوهم من كل ما بنوه على أشلاء ودماء الشيعة طوال قرون.

وفي خضم هذا المعترك، يكون الشيعي مستهدَفا ومشروعا للتصفية في كل الأحوال، نطق أم سكت، أقدم أم أحجم، ولا أدلّ على ذلك مما جرى ويجري في العراق منذ سقوط النظام البكري البعثي الصدامي حتى الآن، إذ إن من المعروف والمشهود به أن شيعة العراق بالذات كانوا أبعد الشعوب الشيعية عن إثارة مخالفيهم، وأكثرهم مراعاة لهم وتنازلا لهم، وبعد سقوط النظام التزموا بضبط النفس والأعصاب إلى حد لم يسبقهم أحد فيه في هذه العصور المتأخرة، فمع كل اعتداء مهول ومنذ الأشهر الأولى للسقوط تحاشى الشيعة في العراق الشروع في الانتقام أو اللجوء إلى منطق القوة، وحافظوا على هدوئهم حتى في الميدان العقيدي، وتنازلوا لغيرهم في الميدان السياسي أملا في استيعاب الكل وبناء وطن مشترك، وقدّموا كثيرا من التضحيات التي وقف لها منصفو العالم إجلالا، ومع كل ذلك، ومع خسارتهم لعتباتهم المقدسة، ولأكثر من نصف مليون شهيد حتى الآن.. مع كل ذلك لم يؤثر ذلك في مخالفيهم ليتوقفوا عن إبادتهم وتصفيتهم، ذلك لأن الهدف استراتيجي عسكري ديموغرافي سياسي على مستوى المنطقة، لا يتوقف - لا سلبا ولا إيجابا - على كتاب شيعي

هنا أو محاضرة شيعية هناك! وبذا فإن هذا الكتاب صدر أم لم يصدر فإن مشروع إبادة الـشيعة سارٍ يمضي فيه المخالفون على قدم وساق. فالضرر الذي يتمخض عن صـدور هـذا الكتـاب بمجرده منتفٍ في الحقيقة، ويكون حالنا كأصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام)[1] مـن بعـده الذين وجدوا أنهم إن صدعوا بحق أمير المـؤمنين قُطعـت ألـسنتهم وقُتلـوا وصُـلبوا، وإن لم يصدعوا وأخذوا بالتقية فكذلك أيضا، فاختاروا الأول ومدّوا رقابهم للسيف.

وحتى لو افترضنا أن ثمة ضررا، فإن حمل وجوب التقية عليه هاهنا لا يتم، لما عرفت من أنه لو كانت المصالح المترتبة على تركها أعظم وأولى وجب تركها أو استحب، وكذا لو كانـت المفاسد المترتبة على فعلها أشد. ونحن واثقون وعلى يقين أمام الله تعالى أن المـصلحة في طـرح هذا الكتاب أعظم، والمفسدة في عدم طرحه أشد، فإنّا وجدنا أن الأمة قد انخـدعت بعائـشة خدعة كبرى، وبسبب صمتنا عن بيان حقيقتها فقد سَرَتْ هذه الخدعة في أجواء المؤمنين بـآل محمد (عليهم السلام) حتى انطلت على بعضهم! فتراه يـتردّد في الـبراءة مـن عائـشة أو ذكـر مساويها باعتبارها كانت زوجة للرسول الأكرم صلى الله عليـه وآلـه وسـلم، وهـذه لعمـري طامة كبرى.

وعلى أية حال فإنّا نكرر وصيتنا من أن هذه فرصة تاريخية قد لا تتكرر مـستقبلا، فإنّـا لا نعلم الغيب ولاندري ماذا يخبئ لنا القدر، وقبـل أن تتغـير ظـروف العـالم فلنـستثمر أجـواء الحرية المتاحة اليوم ولنبث ما عندنا من علوم ومعارف وحقائق ولنجهر بالحق ولا نخـاف في الله لومة لائم لنثبت كل ذلك للأجيال، حتى يبقى هذا تراثا سالكا بهم طريق الرشاد ومبعـدا إياهم عن طريق الفساد، فإن كلمة الحق تبقى ولا تفنى.

---

(١) ميثم ورُشيد وحجر وغيرهم.

ونحن اليوم إنما استقامت عقيدتنا وعرفنا ولاية الطيبين من آل أحمد (صلوات الله عليهم) وأنكرنا ولاية الخبيثين من آل أبي بكر وعمر وعثمان وبني أمية وبني العباس وأضرابهم (لعنات الله عليهم).. إنما استقامت عقيدتنا وعرفنا ذلك بتضحيات علمائنا الأبرار ودمائهم التي بذلوها حتى أوصلوا لنا هذا التراث مستغلين كل فرصة زمنية متاحة يمكن استغلالها لأداء هذه المهمة العظيمة.

فلنحتذي إذن بحذوهم، ولا نتذرعنَّ بالتقية فنقصِّر في أداء وظيفتنا تجاه الأجيال البشرية القادمة، فإن علماءنا المتقدّمين لو كانوا تذرَّعوا بالتقية لما كنا اليوم نعرف حقا لآل محمد (عليهم السلام) ولربما كنا ككثير من أسلافنا.. نواصب بكريين عمريين والعياذ بالله![(١)]

وهكذا نحن؛ إنْ تذرّعنا بالتقية وكتمنا هذه الحقائق فقد نكون مسؤولين عن انحراف الأجيال اللاحقة، فأنّى لها أن تعرف الحق ونحن قد كتمناه باسم التقية؟! وأنّى للشاب الشيعي أن يعرف المبررات الشرعية لموقفنا ممن يسمونهم صحابة ونحن لا نبيّنها؟![(٢)]

إن الذين يستمرئون اليوم العمل بالتقية فراراً من الصدامات والمشاكل وإيثاراً للدعة والراحة سيندمون غداً! فعندما يحين أجلهم وتتكشَّف لهم أحوالهم سيتحسرون على تفريطهم في أداء وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تلك الوظيفة التي هي من أشرف

---

(١) ماتن هذا الكتاب كان أجداده الأوائل من النواصب البكريين العمريين! والحمد لله الذي هدانا.

(٢) نقل لنا سماحة الشيخ صالح المجاهد أنه فوجئ خلال حلقته التدريسية الحوزوية في كربلاء المقدسة بعد سقوط نظام البعث أن بعضا من تلامذته وقف محتجا على لعنه عمر بن الخطاب حين تعرّض لذكره أثناء الدرس! وكان الأكثر دهشة من ذلك أنه عندما تحاور معهم تبيَّن أنه ليست في أذهانهم أية فكرة عن جرائم عمر بحق الصديقة الزهراء (صلوات الله عليها) فكانوا يقولون: «**إنها المرة الأولى التي نسمع فيها أن عمر بن الخطاب هجم على دار الزهراء وأسقط جنينها وقتلها**»! فمن يتحمل مسؤولية هذا الحجب والإخفاء وما يترتب عليه من آثار الانحراف العقيدي؟! من يتحمل مسؤوليته غير الجبناء من المعتمرين بالعمائم؟!

الوظائف الدينية وأعظمها وأهمها سيندمون كثيرا على إسـقاطهم إياهـا بحجـة التقيـة خوفـاً وجُبناً ليس إلا!

وليت هؤلاء يتّعظون من قـصة المحـدِّث الجليـل الـشيخ عبـاس القمـي (قـدس سره) صاحب الكتاب الشهير (مفاتيح الجنان)، وهي قصة لها ارتباط وثيق بموضوع هذا الكتاب، وقبل أن نذكر تفصيلها؛ نلفت إلى أن الشيخ القمي كان بحق من أولياء الله تعـالى، وقـد بلـغ من التقوى والورع والإخلاص والولاء لأهل بيت النبوة (عليهم السلام) مقاما غبطه عليـه أهل عصره، وقد أجرى الله تعالى على يده الكرامات وحباه بأنواع المكرمـات، ويكفيـه فخـرا أن كتابه (مفاتيح الجنان) أصبح قرينا لكتاب الله تعالى، فلا تكاد تجد بيتا من البيوت إلا وفيـه نسخة من المصحف الشريف وإلى جوارها نسخة من المفاتيح، ولا تكاد تجد أحـدا لا يعـرف من هو الشيخ عباس القمي، فاسمه وذكره أشهر عنـد النـاس مـن معظـم العلـماء الـسابقين واللاحقين!

ورغم أن فطاحل العلماء وأكابر الأتقياء كانوا يتمنّون لو يصلوا إلى مثـل مـا وصـل إليـه الشيخ من التمسك والالتزام بالدين؛ إلا أنه رُئِيَ في أواخـر أيـام حياتـه حزينـا كئيبـا ينهمـر الدمع من عينيه، وهو يتأسَّف على ما صنع ويستغفر الله تعالى منـه مـرارا وتكـرارا! فـما هـذا الذي صنعه الشيخ وقد ندم عليه كل هذا الندم؟

أحد علماء طهران وهو المرحوم الحاج أحمد الروحـاني (قـدس سره) كـان يعـرف الـسرّ، وقد باح به في ما بعد، فقال: «**ذهبت إلى عيادة المرحوم الشيخ عباس القمي (رضوان الله تعالى عليه) في مرضه الذي توفي فيه، فسألته: لمَ كل هذا الحزن الظاهر عليـك يـا شـيخنا؟ ومـن أي شيء تخشى وأنت تُقبل على ربٍّ كـريمٍ وشـفيعٍ مُطـاعٍ وبـين يـديك كـل هـذا الـذي قدّمتَـه وأجهدت نفسك فيه من الحسنات والأعمال الصالحة؟**

فقال: إني نادم أشد الندم على شيء صنعته في حياتي ليتني لم أصنعه، وحزني هو لهذا الشيء، ففي إحدى السنوات تشرفت بالحج إلى بيت الله تعالى في مكة المكرمة، فأردت انتهاز الفرصة لآخذ إجازة رواية من بعض علماء المخالفين عن طرقهم، فذهبت لأحدهم وطلبت منه ذلك، فلما عرف أنني من علماء الشيعة قال لي: إنكم تلعنون وتسبّون أم المؤمنين عائشة! فرأيت أن الإقرار بذلك خلاف الصلاح فأنكرته تقيةً، إلا أنني اليوم نادم على ما صنعت، فليتني لم أعمل بالتقية ولم أنكر بل أقررت وجهرت بالحق، وإني أفكر الآن بماذا أجيب ربي عما فعلتُ عندما أقف بين يديه للحساب»![1]

أجل.. لا يعرِّضنَّ أحدٌ نفسه إلى مثل هذا الموقف الذي ندم عليه الشيخ عباس القمي (قدس الله نفسه) قبل أيام من رحيله عن الدنيا، وليكن الجميع كأمير المؤمنين (عليه السلام) في إخماد الباطل، قاذفا بالنفس في لهوات محاربته، فلا ينكفئ حتى يطأ سماكها بأخمصه، ويخمد حرّ لهبها بحدّه.[2]

هذا أمير المؤمنين وأسد الله الغالب علي بن أبي طالب (صلوات الله وسلامه عليهما) جاهر بالحق وذكر فضائح ومخازي عائشة لإخماد باطلها في مجلس ممتلئ بأصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) وفيهم من أهل بدر نحو سبعين رجلا، فقال له عمار بن ياسر رضوان الله عليه: «**يا أمير المؤمنين كُفَّ عنها فإنها أمك! فترك ذكرها وأخذ في شيء آخر، ثم عاد إلى ذكرها فقال أشدَّ مما قال أولاً! فقال عمار: يا أمير المؤمنين كُفَّ عنها فإنها أمك!**

---

(١) القصة شهيرة يتناقلها بعض الخطباء في إيران على المنابر، وتجد إشارة إليها في مقدمة كتاب (منتهى الآمال) تحت عنوان: لمحة عن حياة المؤلف، الطبعة الثانية لمؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة.

(٢) هكذا وصفت الزهراء (عليها السلام) أمير المؤمنين (عليه السلام) في خطبتها الاحتجاجية على أبي بكر لعنه الله.

فأعرض عن ذكرها ثم عاد الثالثة فقال أشدَّ مما قال! فقال عمار: يا أمير المؤمنين كُفَّ عنها فإنها أمك! فقال عليه السلام: كلا! إني مع الله على من خالفه! وإن أمكم ابتلاكم الله بها ليعلم أَ مَعَهُ تكونون أم معها»؟![(١)]

ولنا أن نتخيّل كيف كان وَقْعُ هذا الحديث من أمير المؤمنين (عليه السلام) على جمهور الناس آنذاك، وكيف استقبلوا حديثه هذا بامتعاض وهم الذين أُشربت قلوبهم هوى عائشة، ومع هذا لم يخشَهم أمير المؤمنين (عليه السلام) ولم يُقم لهم أدنى اعتبار، لأن الله تعالى يحذّرنا بقوله: «**وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ**».[(٢)]

والمؤمن الموالي اليوم يقتدي بسيرة حيدر الكرار (صلوات الله عليه) فقد وضع لنا هذه القاعدة التي تحضّنا على المضي بشجاعة في نهج إخماد الباطل والتضحية في سبيل ذلك بكل غالٍ ونفيس وتحمّل الأضرار والمشاق والمشاكل التي تأتينا لأجله.. فليكن إذن جواب كل فردٍ منّا على كل من يعترض ويطالبنا باسم التقية بالتوقف والنكوص:

كلا! إني مع الله على من خالفه!

---

(١) كتاب سُليم بن قيس الهلالي رضوان الله تعالى عليه، الحديث السابع والستون ص٩١٩، ولا يخفى أن عمارا (عليه الرحمة) لم يكن معترضا على إمامه وإنما أراد أن يحاكي قول القوم حتى يكون ذلك بمثابة المقتضي لردّ أمير المؤمنين (عليه السلام) واستمراره في كلامه، وحالهما كحال موسى وهارون (عليهما السلام) فإن كثيرا من المواقف يتطلب إيصال المعلومة فيها تصوير الأمر أمام الناس وكأنه اعتراض أو نقض أو رد.

(٢) الأحزاب: ٣٨، والآية خطاب للنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) لكنه من قبيل: إياك أعني واسمعي يا جارة، فنحن المقصودون به لا هو (صلى الله عليه وآله) فإنه معصوم عصمة مطلقة.

(٨)

من سيتلقّى هذا الكتاب يكون غالبا واحدا من اثنين: إما هو من المفتونين بعائشة، وإما هو من غيرهم. أما المفتونون فقسمان؛ متعصّب أعمى البصيرة لا يقبل التشكيك في مسلّماته، فهذا لن ينفعه الكتاب في شيء ولن يزيده إلا حنقا. وعاقل منصف يؤمن بحرية البحث العلمي حتى إن لم يتمخض عنه ما يوافق رأيه، فهذا يُرجى أن يساعده الكتاب في الوصول إلى حقائق كان يجهلها فيصحح على أساسها موقفه فعقيدته.

أما غير المفتونين فثلاثة أقسام؛ الأول جبان مريض بمرض الرعب من المخالفين النواصب، فهذا سيدفعه جبنه إلى أن يعادي الكتاب مفلسفا ذلك بالشعارات الوهمية المعهودة كالحرص على الوحدة ونبذ الفرقة ودرأ الفتنة والتزام التقية وما إليها. والثاني جاهل ضعيف الإيمان همّه دنياه ومصالحه فيها، فهذا لن يستمرئ الكتاب وسيهاجمه بدعوى أنه ضرب من ضروب تغذية التخلف والرجعية. والثالث متحرّج فقط من النيل من عرض عائشة – رغم اعتقاده بكفرها وزندقتها – بتوهّم أن النيل من عرضها يستدعي النيل من عرض رسول الله صلى الله عليه وآله، فهذا بسبب اللبس الحاصل عنده قد يستوحش من مبدأ الكتاب وعنوانه، ويُرجى له أن يتخلص من هذا اللبس عندما يُتمُّ قراءته قراءةً علمية دقيقة.

فكلامنا وخطابنا في هذا الكتاب إنما هو متوجه إلى الثاني من الأول، والثالث من الثاني، ومن يكون غيرهما ننصحه سلفاً بأن يتحاشى كتابنا ويتحاشانا وأن يوفّر على نفسه عناء التوتّر العصبي والانهيار النفسي! فإنما المقام مقام العلماء، أو المتعلمين على سبيل النجاة، أو الواعين المثقفين. ليس هو مقام الجهلة، ولا الأغبياء، ولا المتعصبين، ولا أنصاف أو أرباع أو أخماس المتعلمين، ولا أشباه الرجال من الجبناء والانهزاميين!

هذا وقد ارتأينا أن نُعَنْوِنَ الكتاب بعنوان (**الفاحشة.. الوجـه الآخـر لعائـشة**) لـدواعيَ ثلاثة:

أولها؛ أن الأصل اللغوي للفاحشة هو كلُّ ما تجاوز الحدّ، وسيتبيَّن لك أن عائشة (عليهـا لعائن الله) كانت تتجاوز كل حدّ، فلا يمنعها شرع أو قـانون أو عُـرف أو نظـام اجتماعـي أو حتى مبدأ أخلاقي عن فعل ما تشاء لنيل طموحاتها وإشباع رغباتها.

ثانيها؛ أن معنى الفاحشة في لسان الشرع والمتشرعة هو الزنا، وسيتبيَّن لـك أن عائـشة لم تتورع عن ارتكابه بعد قتلها للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله، فقد كانت امرأة شـهوانية نهمـة ذات نفس مريضة معقدة تحوم حول العهر والفساد.

ثالثها؛ أن الوجه الذي تعرفه هذه الأمة المخدوعة لعائشة هو أنهـا امـرأة طـاهرة مطهـرة مبرَّأة تقية نقية شريفة عالمة زاهدة فاضلة، ولا شك أن عائشة حرصت على إظهار نفسها بهذا الوجه أو القناع الكاذب، فـيما أن الوجـه الآخـر أو الحقيقـي ينـاقض تلـك الـصفات تمامـاً، وستتبيَّن لك الأكاذيب والتزويرات والاختلاقات التـي نُـسِجَت مـن قبـل عائـشة وحزبهـا لتجميل وجهها الحقيقي البشع.

«**انظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم ما كَانُواْ يَفْتَرُونَ**».[1]

---

(١) الأنعام: ٢٥

الفصل الأول

بيئة الانحطاط وأسـرة الانحـراف

الإنسان بطبعه يتأثر سلبا وإيجابا بالبيئة التي يولد ويعيش فيها أولى مراحل حياته، فتترك آثارها البالغة على شخصيته أكثر من أية بيئة أخرى قد ينتقل إليها - أو تنتقل إليه - بعد الكبر. وكثيرا ما تُعزى الصفات النفسية أو السلوكية لشخصيةٍ ما إلى ما عاشته في ظروف نشأتها وطفولتها وصباها، لأن الباحثين يلاحظون في دراساتهم أن تلك الظروف هي التي تكوِّن هذه الصفات عادةً، ولذا فحين يدرسون شخصية معينة؛ فإنهم يركِّزون أنظارهم على مراحل حياتها الأولى لتفسير ما اتَّسمت به من طباع وما أحدثته من أفعال بعد البلوغ.

من هنا فإننا بحاجة إلى أن نسلط الضوء على الأجواء التي نشأت فيها عائشة لنستكشف جذور تكوِّن نفسيتها التي دفعتها نحو الكفر والإجرام والفحش.

■ القبيلة الأذل الأرذل في المجتمع القرشي!

لعل أخصر تعبير عن المجتمع القرشي هو أنه كان عبارة عن «مزبلة» بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى، فقد كان مجتمعاً جاهلياً موبوءاً بأرذل الرذائل وأقذر الأقذار، يبدأ أفراده نهارهم بالذبح والقتل وسفك الدماء ويختمونه بالزنا والاغتصاب واحتساء الخمور! ويئدون بناتهم ويدفنوهن أحياءً دون رحمة أو حتى دمعة! ويغيرون على بعضهم بعضا فيقتلون حتى

النساء والأطفال ويسرقون وينهبون ويحرقون ثم يتبجحون بهذه الوحشية وتكون عنوان افتخارهم في أشعارهم! ويدخل الواحد منهم على أخته لأمه فيسافحها أو امرأة أبيه فينكحها بعده بلا حياء أو استحياء!

أما عن المستوى العلمي فيكفيك أن تعرف أنه لم يكن في كل مكة عشرة أشخاص يعرفون القراءة والكتابة! بل كانوا جميعا أميّين جَهَلة إلا مَن هم دون أصابع اليديْن عددا![1]

أما عن المستوى الحضاري فقد كانت قريش أخسَّ الأمم، ليس لها أدنى إنجاز حضاري في أي مجال، وذلك تابع لانحطاطها الفكري الذي قادها لأن تعبد الحجر الأبكم الأصم الذي ليس فيه روح أو حياة! في حين كان بعض الأمم الأخرى يعبد الله تعالى ولو بنحو مشوب بالتحريفات، وبعضها يعبد الأنبياء، وبعضها يعبد الملائكة، وبعضها يعبد الإنسان، وبعضها يعبد الحيوان، وبعضها يعبد النبات، وبعضها يعبد الكواكب، وبعضها يعبد النار.. أما هذه الأمة ففاقت كل تلك الأمم في انحطاطها الفكري حتى عبدت جماداً لا روح ولا

---

(١) لم يكن النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) أميًّا كما يزعم البكريّون بجهلهم، بل كان يعرف القراءة والكتابة إلا أنه لم يكن يُظهر ذلك لحكمة أن لا يرتاب المبطلون في نبوته فيقولون أنه قد تعلّم القرآن من غيره. وأما وصفه في القرآن الحكيم بالأمي فقد شرح معناه الإمام النقي الجواد (صلوات الله عليه) مفنِّدا أكذوبة البكريين والأمويين، إذ روى المفيد عن جعفر بن محمد الصوفي قال: «**سألت أبا جعفر محمد بن علي ابن الرضا عليهما السلام قلت له: يابن رسول الله.. لمَ سُمِّيَ رسول الله صلى الله عليه وآله الأُمِّي؟ فقال: ما يقول الناس؟ قلت: جُعلت فداك، يقولون: إنما سُمِّيَ الأمي لأنه لم يكن يكتب. فقال عليه السلام: كذبوا عليهم لعنة الله! أنّى يكون ذلك ويقول الله عز وجل في كتابه: هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ. فكيف كان يعلمهم ما لا يُحسن؟! والله لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقرأ ويكتب باثنين وسبعين - أو ثلاث وسبعين - لسانا، وإنما سُمِّيَ الأميَّ لأنه من أهل مكة، ومكة من أمهات القرى وذلك قول الله في كتابه: لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا**». الاختصاص ص٢٦٣

حياة ولا حتى حركة فيه! وقد عبدته بطقوس مخزية كان من جملتها تعرّي الرجال والنساء وتجردهم عن ثيابهم تماماً حين الطواف بأصنام الكعبة!

في وسط هذه «المزبلة» نشأت عائشة، وما زاد الطين بلّة أنها نشأت في قبيلة هي من أحقر القبائل، وفي عائلة هي من أرذل العوائل. تلك القبيلة هي (**بنو تَيْم**) وتلك العائلة هي (**بيت أبي قحافة**).

كان القرشيون ينظرون إلى هذه القبيلة نظرة الازدراء، لا لأنها لم تُعرَف بشيءٍ من المناقب كالشجاعة والجود والصدق والكرم.. لا لهذا فحسب؛ بل لأنها قبيلة «هجينة» أي غير أصيلة، حيث استنكحت العبيد والإماء من سودان الحبشة، واستلحقت كثيرا من هؤلاء على عادة أهل الجاهلية في استلحاق العبيد وإلصاقهم بأنسابهم، لذا غدا معظم أبناء هذه القبيلة من أصل حبشي أفريقي، لا قرشي عربي.

لأجل ذلك كان القرشيون يستخِفُّون ببني تيْم فلا يشاورونهم ولا يشركونهم في أمورهم إذ هم عندهم من طبقة العبيد والخدم الأذلاّء ولا يستحقون أن يؤخذ برأيهم كباقي قبائل قريش وأشرافها، وفي هذا قال جرير:

ويُقضى الأمرُ حينَ تغيبُ تَيْمٌ ... ولا يُستأذنونَ وهُمْ شُهودُ!

وإنَّك لوْ رأيتَ عبيدَ تَيْمٍ ... وتَيْماً قلتَ: أَيُّهُمُ العبيدُ؟![1]

---

(١) ديوان جرير التميمي ص١٦٠، والمعنى أن الأمور والقرارات تُقضى وتُبرَم مع تجاهل بني تيم، فلا يُستأذنون حتى مع شهودهم أي حضورهم إذ لا قيمة لهم، وأنك لو نظرت إلى عبيدهم وحاولت أن تميّز بينهم وبين سادتهم لما وجدت فرقا ولتساءلت في نفسك: أيُّهم العبيد؟! فكلهم سود وبالصفات نفسها!

هذا وقد تمثَّل بالبيت الأول البكريُّ المعاصر **يوسف القرضاوي** في خطبة الجمعة في قطر بتاريخ ٩ فبراير ٢٠٠٢ في معرض كلامه عن الذل والهوان الذي تعيشه الأمة، فقال: «فيا أيها الأخوة المسلمون، لعل الأمة =

وكانت وضاعة قبيلة تيم معروفة عند العرب حتى عند أولئك الذين كانوا في مرحلة ما من أنصارها أو المتحالفين معها، فقد صرّح بعض هؤلاء بحقيقة كونها قبيلة هجينة غير أصيلة وأن أهلها إنما هم من العبيد الأدعياء. من هؤلاء الذين صرّحوا **عمير بن الأهلب الضبّي** الذي كان من أنصار عائشة في معركة الجمل، ولمّا أُصيب في المعركة وسقط أرضا وبدأ يحتضر قال ندماً:

لقدْ أوردَتْنا حَوْمةَ الموتِ أُمُّنا ... فَلَمْ نَنصرفْ إلاّ ونحنُ رِواءُ!

لقدْ كانَ عنْ نَصْرِ ابنِ ضُبَّةَ أُمَّهُ ... وشيعتَها مندوحَةٌ وغَناءُ

أَطَعْنا بني تَيْمِ بنِ مُرَّةَ شَقْوَةً ... وهلْ تَيْمٌ إلاّ أَعْبُدٌ وإِماءُ؟![1]

وحسب الترتيب الطبقي في المجتمع المكي فإن قبيلة تيْم كانت هي الأذل، إلى حدٍّ أن مثل أبي سفيان بن حرب الذي ينتمي إلى بني أمية – وهم أيضا من الأدعياء – لم يتحمّل في بادئ الأمر أن يبايع الناس أبا بكر بن أبي قحافة التيمي ويجعلونه حاكما عليهم، فجاء إلى أمير

= الإسلامية لن تمر بمرحلة هوان ومحنة ومذلة كالمرحلة التي تعيشها اليوم... أرأيتم هواناً مثل هذا الهوان، لقد قال الشاعر قديماً في قبيلة (تيم): ويُقضى الأمر حين تغيب تيم، ولا يُستأذنون وهم شهود. نحن الآن قبيلة تيم، بل أذلُّ من تيم»!

(١) تاريخ الطبري ج٣ ص٥٣٢، والمعنى أن أمنا وهي عائشة قد أوردتنا حومة الموت أي القتال العظيم، فلم ننصرف من عندها إلا ونحن رِواء أي مربوطون بحبل غليظ كالذي يُشدّ على متاع البعير فعائشة كانت هي التي تتحكم بنا ونحن لا إرادة لنا. ثم يلوم عمير نفسه فيقول أنه – وهو ابن قبيلة ضبّة – كان غنيا عن نصر أمّه عائشة وشيعتها وكانت له مندوحة أي سعة عن القيام بذلك فكان يتمكن من تركها لئلا يقع في الموت بسببها. ثم يعترف بأنه وقومه قد أطاعوا عائشة شقاوةً لا من أجل الدين مع أن بني تيم بن مرة الذين تنتمي إليهم عائشة ليسوا سوى أعبد وإماء أي عبيد وجواري أدعياء أراذل!

المؤمنين علي بن أبي طالب (عليهما السلام) وإلى العباس بن عبد المطلب مستنكراً بقوله: «**بايعتم رجلا من أذلِّ قبيلة في قريش**»![1]

وقد عبّرت سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء (صلوات الله عليها) عن الأصل القبلي الوضيع لأبي بكر بتعبير بليغ قالت فيه: «**إنه من أعجاز قريش وأذنابها**».[2]

■ سيد القبيلة.. صاحب دار الدعارة!

لئن كانت تيم قبيلة ذليلة حقيرة فقيرة فإن سيدها لم يكن كذلك حيث برز من بين أفرادها كأحد أثرياء مكة، والسرّ في ارتفاعه عن مستوى قومه الحقراء إلى مستوى الأغنياء هو عمله على ما يبدو في مهنة البغاء! فقد كان أشهر قوّاد في مكة، يشتري الجواري ويبيعهن ويستعملهن في داره للدعارة، فإذا حَبَلْنَ ووَضعْنَ كان يبيع أولادهنَّ على الزناة من رجال قريش ليتبنّوهم، أو يستملكهم ويستخدمهم لنفسه وتجارته، وفي بعض الأحيان كان يعتقهم ويستلحقهم بقبيلته. وبذلك كان يوفّر لأبناء قبيلته الوظائف من جهة، ويحقق ثراءاً سريعا لنفسه من جهة أخرى، خاصة وأن داره لا يقتصر عملها على الدعارة بل يمتد ليشمل لوازمها كتقديم الخمور والأطعمة للضيوف، وتوفير المبيت للزناة وحتى للحجاج والمسافرين.

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري ص٥٨٨ ونحوه في تاريخ دمشق لابن عساكر ج٢٣ ص٤٦٥ وكنز العمال ج٥ ص٦٥٧.

(٢) بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج٣٠ ص٥١٩، والأعجاز جمع العَجُز أي المؤَخِّرَة، والأذناب جمع الذَّنَب، والمعنى أن أبا بكر بن أبي قحافة ينتمي إلى قبيلة هي بمثابة مؤخرة قريش وذَنَبها وضاعةً وسفالة.

ذلك الرجل هو **عبد الله بن جُدعان التَّيْمي** الذي يصفه ابن كثير في بدء حياته بقوله: «**كان شريراً يُكثِر من الجنايات حتى أبغضه قومه وعشيرته وأهله وقبيلته وأبغضوه حتى أَبَوْه**».[1] إلا أن هذه البغضاء انقلبت لاحقاً وبطبيعة الحال إلى مودّة ومحبّة مع جريان المال واختلاف العواهر بين يديه.

وكان ابن جُدعان مُغرَماً باحتساء الخمر وقد أفرط فيه إلى حدٍّ أثّر سلباً على وضعه وتجارته فأبدى امتناعه عنه، وقال شعراً:

شربتُ الخمرَ حتى قال صَحْبي: ألستَ عن السَّفاهِ بمُستفيقِ؟!

وحتى ما أُوَسَّدُ في منامٍ أنامُ به سوى التُّرْبِ السَّحيقِ

وحتى أغلقَ الحانوتَ رَهْني وأنكرتُ العدوَّ من الصَّديقِ[2]

ومهما تكن صفاته الشخصية القبيحة فإن المؤرّخين ذكروا أنه «**كان نخاساً يبيع الجواري**»[3] وأنه «**أمرهنّ أن لا تدفضن كفّ لامس، فكانت رجالات قريش يقعن عليهن**»[4] ومنهن اثنتان كانتا تغنّيان عند باب داره، أطلق عليهما اسم **(جرادتيْ عاد)**.[5]

ومن جواريه أيضا **سلمى بنت حرملة** الشهيرة **بالنابغة**، وهي المومس التي اشتراها ابن جُدعان من **الفاكه بن المغيرة** عمّ **خالد بن الوليد** بعدما بيعت في سوق عكاظ. وكان رجال

(١) البداية والنهاية ج٢ ص٢٧٦

(٢) المحبر لمحمد بن حبيب البغدادي ص٢٤٠

(٣) تحفة الحبيب على شرح الخطيب لسليمان البجيرمي ج٤ ص٢٢٩ عن بصائر القدماء للتوحيدي، وكذا عنه حياة الحيوان الكبرى للدميري ج١ ص٢٧٥

(٤) مثالب العرب لهشام بن الكلبي ص٣٩، ولا تدفضن: لا تكسرن، كناية عن قبول الزناة.

(٥) الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني ج٨ ص٣٤٠

قريش يتناوبون عليها إلى أن حبلت، فولدت **عمرو بن العاص** وتخاصم فيه أولئك الرجال الخمسة الذين زنوا بأمّه، كلٌّ يقول: أنا أبوه**!** قال الزمخشري: «**كانت النابغة أم عمرو بن العاص أمةً لرجل من عنزة، فسُبِيَت، فاشتراها عبد الله بن جدعان التَّيْمي بمكة، فكانت بغِيّاً، ثم أعتقها فوقع عليها أبو لهب بن عبد المطلب، وأمية بن خلف الجمحي، وهشام بن المغيرة المخزومي، وأبو سفيان بن حرب، والعاص بن وائل السهمي؛ في طُهرٍ واحد! فولدت عَمْراً، فادّعاه كلّهم! فحكمت فيه أمُّه فقالت: هو من العاص بن وائل، وذاك لأن العاص بن وائل كان ينفق عليها كثيرا. قالوا: وكان أشبه بأبي سفيان! وفي ذلك يقول أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب في عمرو بن العاص:**

أبوكَ أبو سفيانُ لا شكَّ قد بَدَتْ لنا فيكَ منهُ بيِّناتُ الشمائلِ!» [1]

وبسبب ما وفَّره ابن جُدعان من القيِّنات والبغايا وكثرة وقوع رجال قريش عليهن في ماخوره أصبح عنده بمكة «**مئة مملوكٍ مولَّد**»[2] أي مئة ابن زنا جعلهم عبيدا وخدما له**!**

■ الجدّ.. عبدٌ لوّاط عضروط يطرد الذُّبّان ثم يأكله!

أحد أولئك العبيد الذين كانوا في دار عبد الله بن جُدعان هو **أبو قحافة** الذي هو جدّ عائشة لأبيها، واسمه **عثمان بن عامر**. وكانت مهنته في الدار حقيرة جداً، إذ لم يكن موكولا إليه غير مهمة الوقوف على موائد الضيوف لطرد الذُبّان عنها**!** وفي بعض الأحيان كان يتولّى مهمة النداء من فوق الدار. وأما الأجر الذي كان يحصل عليه من وراء ذلك فكان بخساً

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج٦ ص٢٨٤ عن ربيع الأبرار للزمخشري. ونحوه في مثالب العرب لهشام ابن الكلبي – باب تسمية ذوات الرايات.

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر ج١٠ ص٤٣٦

جداً، إذ لم يكن يتقاضى مالاً، بل يقوم بوظيفته لِقاءَ حصوله على ما يستر عورته من خِرَق اللباس ويُشبع بطنه من فضل الطعام! هذا فحسب!

ويُطلق على مَن هذه مهنته «**العضروط**»، وهو الذي يخدم الناس بطعام بطنه. (١)

ومهنة أبي قحافة هذه مشهورة عند أرباب السيرة، كما حكاه ابن أبي الحديد عن شيخه أبي جعفر الإسكافي إذ قال: «**إن أرباب السيرة ذكروا أنه - أي أبو بكر - لم يكن ينفق على أبيه شيئا، وأنه كان أجيراً لابن جُدعان على مائدته يطرد عنها الذُّبّان**»!(٢)

وقال السيد المرتضى (رضوان الله عليه) عن أبي بكر: «**إن أباه كان معروفا بالمسكنة والفقر، وإنه كان ينادي في كل يوم على مائدة عبد الله بن جدعان بأجر طفيف، فلو كان أبو بكر غنياً لكفى أباه**».(٣)

وقال الشيخ المفيد (رضوان الله عليه) مفندا أكذوبة ثروة أبي بكر: «**ولو كان له من السعة ما يتمكن به من صلة رسول الله صلى الله عليه وآله، والإنفاق عليه ونفعه بالمال، كما ادعاه الجاهلون، لأغنى أباه ببعضه عن النداء على مائدة عبد الله بن جدعان بأجرة على ذلك بما يقيم رمقه ويستر به عورته بين الناس**».(٤)

---

(١) لسان العرب - مادة عضرط.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ج١٣ ص٢٧٥. وقد جاء كلام الإسكافي ردا على الجاحظ في كتابه «العثمانية» وزعمه ما يزعمه المخالفون اليوم من أن أبا بكر بن أبي قحافة كان ذا مال وثروة، وهي الكذبة التي أشاعتها عائشة وحزبها لإثبات فضيلة لأبي بكر حيث ادّعوا أنه قد أنفق ثروته المزعومة هذه على نصرة الإسلام! وسيوافيك بطلان ذلك إن شاء الله تعالى.

(٣) الشافي في الإمامة للمرتضى علم الهدى ص٢٢١

(٤) الإفصاح للمفيد ص٢١٣

وقد كان ثمة زميل لأبي قحافة يتولّى أمر دعوة الضيوف لدار ابن جُدعان، وهو **سفيان بن عبد الأسد**، وإليهما كان يشير **أمية بن الصلت** في قصيدته التي يمدح بها ابن جُدعان، حيث يقول:

لــهُ داعٍ بمكـةَ مُـشَمعِلٌ	**وآخـرُ فـوقَ دارَتِـهِ يُنـادي**
إلى رُدُحٍ مِـنَ الـشِّيزى عليهـا	**لُبـابُ الـبَرِّ يُلَبَّـكُ بالـشِّهادِ**[١]

وفي بيان المقصودَيْن من البيتَيْن؛ قال النسّابة الشهير هشام بن الكلبي: «**المشمعل هو سفيان بن عبد الأسد، والآخر هو أبو قحافة**»[٢] وقال السيوطي: «**يُقال أن الداعي هو أبو قحافة والد الصدِّيق**».[٣]

وقد ذكَّر ابن عبّاس عائشة بمهنة جدّها الوضيعة حين وقع الاشتباك اللفظي بينهما بعد هزيمتها في معركة الجمل، إذ قالت له بعد العويل والنشيج: «**أَخرجُ والله عنكم، فما في الأرض بلدٌ أبغض إليّ من بلد تكونون فيه**»! تقصد بني هاشم، فقال لها ابن عباس: «**فَلِمَ؟! والله ما ذا**[٤] **بلاؤنا عندك ولا بصنيعنا إليك أنّا جعلناك للمؤمنين أمّاً وأنت بنت أم رومان! وجعلنا أباك صدِّيقا وهو ابن أبي قحافة حامل قصاع الودك لابن جدعان إلى أضيافه**»![٥]

---

(١) الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني ج٨ ص٤، والسيرة النبوية لابن كثير ج١ ص١١٧، والمعنى أن لابن جدعان داعٍ بمكة مشمعل أي مبادر في الخارج، وآخر ينادي فوق داره، وهما يدعوان إلى رُدُحٍ أي إلى أجفانٍ عظيمة من الشيزى أي القصاع عليها لُباب البَرِّ أي خالص القمح، ملبّكٌ بالشّهاد أي مخلوط بالعسل.

(٢) الغدير للعلامة الأميني (قدس سره) ج٨ ص٥١ عن مثالب العرب لابن الكلبي.

(٣) الوسائل إلى مسامرة الأوائل ص٨٨، والصدِّيق لقب يطلقه المخالفون على سيدهم أبي بكر لعنه الله.

(٤) أي: ليس هذا.

(٥) بحار الأنوار للعلامة المجلسي عليه الرضوان ج٣٢ ص٢٦٩ عن الكشي عليه الرحمة. والودك هو اللحم الدسم بعظمه.

إلى هنا عرفنا أن أبا قحافة كان عضروطاً ينشُّ الذبان عن موائد ضيوف سيّده ابن جدعان، أو يحمل تلك الموائد إليهم، أو ينادي الناس للإقبال على دار الدعارة هذه، كل هذا مقابل أن ينال شيئا من الطعام واللباس فيقيم رمقه ويسترعورته.

غير أن هناك ما هو أسوأ في حال أبي قحافة، وهذا الأسوأ يتعلق بميوله الشاذة التي كشفتها سيرته قبل أن يستأجره ابن جُدعان، إذ ذكر النسّابون: «**إن أبا قحافة كان أجيرا لليهود يعلّم لهم أولادهم، فاشتُهِر عنه أنه كان يلوطهم! فطردوه، فاستأجره ابن جُدعان ينادي له الأضياف بأعلى صوته ويوقد النيران، فاتفق ذات ليلة شتوية ذات مطر فلم تتّقد النار في الحطب، فمسحوا الحطب بالسَّمْن فجَمُد على الحطب، فكان يقحفه! فبلغ الخبر إلى ابن جدعان فأَنِف من ذلك فطرده! فسُمِّيَ من أجل ذلك أبا قحافة، لقحفه السمن**»![1]

ويدعّم حقيقة كون أبي قحافة لوّاطا ما ذكره عماد الدين الطبري إذ قال: «**اسم أبي قحافة عثمان بن عامر، وكان يُعرف في قريش باللِّواطة! وكان ينادي على طعام عبد الله بن جدعان فيعطيه على فعله هذا في كل يوم درهماً واحداً، ويملأ جوفه من فضلات طعام الأضياف. وكان أبو قحافة صائداً يصيد الطيور، فصاد طيراً في الصحراء وباعه بذي الحليفة، وكان له شريك يقطن بذي الحليفة ويُدعى سعد الغاري من الغارة بن الهون بن خزيمة بن مدركة ابن إلياس بن مضر، وقال بعضهم: اسمه سعيد. وحاصل الكلام أن سعيداً هذا خان أبا قحافة حين أخذ طائره الذي اصطاده، فكتمها أبو قحافة في نفسه ولم يبدها لأحد، وصبر على مضض وكان يبالغ في التكتّم، فدعاه شريكه ذات يوم إلى بيته فأجلسه فيه وخرج لحاجة عُرِضت له، فعمد أبو قحافة إلى بيته في غيابه فانتهبه وأخذ منه ما قدر على أخذه! ومن هذه**

---

(١) كتاب الأربعين لمحمد طاهر القمي الشيرازي ص٥٣٢ عن مشارق الأنوار عن الملل والنحل والنسّابين. والقحف والاقتحاف: الشرب الشديد. راجع لسان العرب لابن منظور - مادة قحف.

الجهة سُمِّيَ أبا قحافة، يُقال: اقتحف اقتحافا أي شرب شرباً شديداً وجمع ما في الإناء من الماء. وكان لا يقول الشعر ولكنّه قال شعرا في هذه الواقعة:

أَسعدٌ جزاك الله شرّ جزائهِ — بما نلتَ منّي في الخيانة والظُّلمِ

وثقتُ به حياً وقلتُ: لعلّهُ — يكون على أمرٍ بعيدٍ من الظُّلمِ

فلمّا رأيتُ المرءَ ينوي خيانتي — شددت عليه شدّة الليث ذي الضّغمِ

وقلت له: هذا جزاؤك ظالماً — لما قدّمتْ منك اليدان مع الفمِ»[١]

وكسائر المنقولات التاريخية فإنها لا تخلو من اختلافات وتباينات في بعض جزئياتها وتفاصيلها، ومن تلك ما ورد في هاتيْن الروايتيْن عن سبب تسمية أبي قحافة بهذا الاسم، وعن طبيعة عمله قبل أن يشتغل لدى ابن جُدعان. ولا يُقال: أن ما في الرواية الأولى مستبعد لأنه لم يكن هناك يهود في مكة كما لا يُحتمل أن يكون مثل أبي قحافة متعلّماً حتى يعلِّم غيره القراءة والكتابة؛ لأنه يقال: لم تذكر الرواية أنه كان يعلّمهم في مكة، فلعله كان يعلّمهم في يثرب مثلا أو في غيرها من القرى حيث يتواجدون، كما أن الرواية لم تبيّن ماهية ما كان يعلّمهم إياه فلعلّه كان يعلّمهم حرفة من الحِرَف كالصيد أو الخياطة وليس هذا بغريب عن أبي قحافة.

أما عن التباين في كونه معلّما أو صيّادا قبل عمله عند ابن جدعان فيمكن الجمع بفرْض أنه قد عمل فترة بهذا وأخرى بذاك، وهذا أمر معهود في سيرة البشر من تعدّد المهن حسب الحاجة والطلب. وكذا يمكن الجمع بين حادثتيْ اقتحافه للسمن واقتحافه لبيت شريكه بأن كلتيهما قد وقعتا وكانت لهما مدخلية في تكنيته بكنية أبي قحافة.

---

(١) كامل البهائي لعماد الدين الطبري ج٢ ص٤٠

وأياًّ كان فإن الروايتيْن تتفقان على أن أبا قحافة كان لوّاطاً، ولا شك في أن عمله في دار ابن جدعان في ظلّ أجواء العهر والفساد كان أمرا باعثا على السرور بالنسبة له، إلا أن الرياح لا تجري دائما بما تشتهي السفن، فلئن كان أبو قحافة مرتاحا من عمله من جهة ميوله الشاذة؛ إلا أنه لم يكن مرتاحاً من جهة قوت يومه.

ويبدو أن ما كان يناله من الطعام لم يكن يشبعه ولا يُشبع عائلته الفقيرة، فاضطر إثر ذلك لأن يأكل الذبان نفسه! وكذا كانت تفعل امرأته **سلمى بنت صخر التيمية** والدة أبي بكر!

ويتضّح هذا الجانب من حياة أبي قحافة وامرأته من خلال بعض الشواهد التاريخية، ومن أبرزها مجابهة أبي طالب (عليه السلام) لأبي بكر (لعنه الله) بهذا الأمر، فقد روى الدولابي وابن عساكر عن أبي السفر سعيد بن أحمد الثوري قال: «**بعث أبو طالب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أطعمني من عنب جنّتك. وأبو بكر الصدّيق جالس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال أبو بكر: حرّمها الله على الكافرين! فقال أبو طالب: فلأبي قحافة آكل الذبان تدّخرها**»؟![1]

ومن الشواهد أيضا ما ذكره مولى لأبي ذر (رضوان الله تعالى عليه) في مجلس معاوية بن أبي سفيان لعنة الله عليهما، إذ قال معاوية لذلك المولى: «**أتدري متى قامت القيامة**»؟ فأجاب:

(١) الكنى والأسماء لأبي بشر الدولابي ج١ ص٢٠٢ وتاريخ دمشق لابن عساكر ج٦٦ ص٣٢٧، ولا يخفى أن أبا طالب (عليه السلام) كان مؤمنا يكتم إيمانه بأمر الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، وطلبه للعنب الذي كان يأتي من الجنة هو شأن يخصّه ويخصّ النبي صلى الله عليه وآله، فعندما حشر أبو بكر أنفه في ما لا يعنيه واتهم أبا طالب بالكفر والعياذ بالله؛ جبهه أبو طالب بهذه الكلمة على سبيل التقريع والاستهزاء قائلا له ما معناه: أفهل تريد أنت الحصول على العنب لتبعث بها إلى أبيك أبي قحافة حتى يأكل منها بدلا من أكله الذبان؟!

«نعم، حين هدموا بيت النبوة والبرهان، وسلبوا أهل العزة والسلطان، وأطفأوا مصابيح النور والفرقان، وعصوا في صفوة الملك الديّان، ونصبوا ابن آكل الذُّبّان، شرّ كهول الورى والشُّبّان»![1] يعني تنصيب أبي بكر بن أبي قحافة خليفة بعد انقلاب السقيفة.

وفي إحدى قصائد **السيد الحميري** التي يهجو فيها أبا بكر وعمر؛ ذكر أصليهما الدنيئيْن وأشار إلى حقيقة أن أبا قحافة كان آكلا للذبان، إذ قال:

أَتَرى صُهاكا وابنها وابنَ ابنِها ... وأبا قُحافَةَ آكلِ الذُّبّانِ

كانوا يروْنَ وفي الأمورِ عجائبٌ ... يأتي بهنَّ تصرُّفُ الأزمانِ

أنَّ الخلافةَ مِنْ ذُؤابةِ هاشمٍ ... فيهمْ تصيرُ وهيبةَ السلطانِ![2]

أما امرأة أبي قحافة سلمى بنت صخر؛ فكانت هي الأخرى آكلةً للذبان، وقد أماط اللثام عن ذلك أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ونقله عنه الرواة في حادثتيْن.

أما الأولى ففي يوم حاول أبو بكر وعمر وعصابتهما (عليهم لعائن الله) إجبار أمير المؤمنين (عليه السلام) وأصحابه على البيعة في المسجد، وهو اليوم نفسه الذي جرت فيه وقائع الهجوم على دار بضعة النبي فاطمة الزهراء صلوات الله عليها. ففي ذلك اليوم وقعت مشادات كلامية كثيرة كان من بينها ما رواه **سُليم بن قيس** من قول أبي ذر الغفاري (رضوان

---

(١) الصراط المستقيم للبياضي عليه الرحمة ج٣ ص٤٩، ولاحظ جرأة وشجاعة هذا الرجل في مجلس معاوية، ولا عجب فقد تعلّمها من مولاه المجاهد العظيم أبي ذر الغفاري رضوان الله تعالى عليه.

(٢) ديوان السيد الحميري عليه الرحمة ص٧٩٢، والمعنى هل ترى أن صهاكا وهي جدة عمر الزانية المشهورة وابنها الخطاب وابن ابنها عمر، وكذلك أبا قحافة الذي كان يأكل الذبان، هل تراهم - وهم سفلة الناس - كانوا يتوقعون أن تصل إليهم الخلافة من ذؤابة بني هاشم - وهم أشراف الناس - ويحصلون على هيبة سلطانهم!

الله عليه) لعمر عليه اللعنة: «**يا عمر! أ فتعيّرنا بحب آل محمد وتعظيمهم؟ لعن الله - وقد فعل - من أبغضهم وافترى عليهم وظلمهم حقهم وحمل الناس على رقابهم وردّ هذه الأمة القهقرى على أدبارها**». فقال عمر متهكّماً ومنكرا حقّ آل محمد (عليهم السلام) في خلافة النبي صلى الله عليه وآله: «**آمين! لعن الله من ظلمهم حقّهم! لا والله ما لهم فيها من حق وما هم فيها وعرَض الناس إلا سواء**»! وعندها انبرى له أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فقال: «**يابن صهاك! فليس لنا فيها حق وهي لك ولابن آكلة الذبان**»؟![1]

أما الحادثة الثانية فبعد إلقائه (عليه السلام) خطبته **الطالوتية**[2] في المدينة المنورة بعدما بويع أبو بكر (عليه اللعنة) بأيام، وهي الخطبة البليغة التي رواها الكليني عن **أبي الهيثم بن التيّهان** عليه الرحمة والرضوان، وقد وصف أبو الهيثم ما فعله أمير المؤمنين (عليه السلام) بعدها فقال: «**ثم خرج من المسجد فَمَرَّ بصيرةٍ فيها نحوٌ من ثلاثين شاةً، فقال: والله لو أنّ لي رجالاً ينصحون لله عزّ وجلّ ولرسوله بعدد هذه الشياه لأزلْتُ ابنَ آكلة الذبان عن ملكه**»![3]

والظاهر من ثنايا النصوص السابقة أن أبا قحافة إذ كان يعمل على طرد الذبان عن مائدة ابن جدعان فإنه كان يضطر إلى قتلها ثم يجمعها ليأكلها هو وامرأته، وليس هذا الأمر مستبعدا، فإن المؤرخين ذكروا أن الفقراء من أهل الجاهلية كانوا يضطرون لأكل الخبائث وما لا يُستساغ حتى يسدّوا جوعهم الشديد، فكانوا يأكلون **العِلْهَزْ** الذي هو عبارة عن أوبار الإبل يخلطونها بالدماء! وكانوا يشربون **الفَصيد** وهو دم الناقة بعدما يصفدون عِرقها! كما

---

(١) كتاب سُليم بن قيس الهلالي رضوان الله عليه ص١٦١، والاحتجاج للطبرسي ج١ ص١١٢

(٢) سُمِّيَت بذلك لقوله (صلوات الله عليه) في آخرها مخاطبا أبا بكر وعمر وحزبهما الظالمين: «**أما والله لو كان لي عدة أصحاب طالوت أو عدة أهل بدر وهم أعداؤكم، لضربتكم بالسيف حتى تؤولوا إلى الحق وتنيبوا للصدق، فكان ارتق للفتق وآخذ بالرفق. اللهم فاحكم بيننا بالحق وأنت خير الحاكمين**».

(٣) الكافي ج٨ ص٣٣، والصِّيرة أي الحظيرة.

كانوا يشربون **الطَّرَق** وهو الماء الذي بالت وبعرت فيه الإبل والبهائم! وكانوا يأكلون **القَدَّ** وهو سير من جلد غير مدبوغ! كما كانوا يأكلون **الهَبيد** وهو ما يصنعونه من الحنظل! ويحدثنا ابن كثير أنهم حين دعا عليهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أكلوا **العظام ولحم الكلاب!**[١]

كانت هذه حال فقراء مكة وأراذلها، وكان أبو قحافة وامرأته من هؤلاء، فليس مستبعدا أن يكونا قد اضطرا لأكل الذبان كما اضطر غيرهم لأكل غيرها من القذارات كالكلاب والعلهز والفصيد وما إلى ذلك. بيد أن هناك احتمالا آخر غير الاضطرار وسدّ الجوع، وهو أن يكون أبو قحافة قد جرّب أكل الذبان فاستلذّ به واعتاد عليه، ونقل التجربة إلى امرأته فاستلذّت هي الأخرى واعتادت، وهذا الاحتمال قائم لما تقدّم من أن عمله لدى ابن جُدعان كان لِقاءَ الحصول على ما يُشبعه ويكسوه، فكان عضروطا، ومعناه أنه كان يحصل على ما يُشبعه من فضل الطعام فلمَ يضطر إلى أكل الذبان؟ إلا إذا قيل أن ابن جُدعان لم يكن يعطيه ما يُشبع بطنه وبطن امرأته وبطون أبنائه.

وكيف كان فإن اشتهار أبي قحافة وامرأته بأكل الذبان لا شك أنه ينبئ عن حالٍ وضيعة خسيسة لهذه العائلة في مكة، حيث لم ينقل لنا التاريخ نبأً عن غير هؤلاء اشتهروا بأكله.

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج٦ ص١٠١، والمذكورات السابقة مشهورة في كتب التأريخ فراجع. وقد أشارت الزهراء (صلوات الله عليها) في خطبتها الاحتجاجية الشريفة إلى ذلك في معرض كلامها عن أحوال أهل الجاهلية قبل بعثة أبيها المصطفى صلى الله عليه وآله، فقالت: «**وكنتم على شفا حفرة من النار، مذقة الشارب، ونهزة الطامع، وقبسة العجلان، وموطئ الأقدام، تشربون الطرق، وتقتاتون القدّ، أذلّة خاسئين، تخافون أن يتخطّفكم الناس من حولكم، فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد صلى الله عليه وآله**». راجع الاحتجاج للطبرسي ج١ ص١٣٥

ونقول: (هؤلاء) بقصد شمل أبنائهما معهما، إذ إن ذلك غير بعيد لما جرت عليه عادة بني البشر من أن يأكل الأبناء ما اعتاد عليه الآباء.

هذا ويحدّثنا التاريخ أن أبا قحافة كان كافراً معادياً للإسلام، وكان يسمّي المسلمين **(الصُّباة)** أي الذين صبوا عن دين الجاهلية، وكان يتّهمهم بإفساد ابنه![١]

وقد ظلّ كافرا حتى فتح مكة، حيث أسلم عندذاك في جملة مَن أسلَم كرهاً، وقد روى مسلم عن **جابر بن عبد الله قال:** «**أُتِيَ بأبي قحافة يوم فتح مكة ورأسه ولحيته كالثغامة بياضاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: غيَّروا هذا بشيء واجتنبوا السواد**».[٢]

وقد عاش أبو قحافة في مكة إلى ما بعد استشهاد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، ولمّا سمع أن ابنه صار حاكما تعجّب من ذلك لما يعلم من مهانة قبيلته ووضاعتها مقابل أشراف قريش كبني عبد مناف وبني المغيرة، قال ابن حجر: «**وأخرج الحاكم أن أبا قحافة لمّا سمع بولاية ابنه قال: هل رضي بذلك بنو عبد مناف وبنو المغيرة؟! قالوا: نعم. قال: لا واضع لما رفعت ولا رافع لما وضعت**»![٣]

(١) لاحظ ترجمته في الإصابة لابن حجر برقم ٥٤٨٥

(٢) صحيح مسلم ج٦ ص١٥٥، والثغامة نبت جبلي أبيض، والمراد تشبيه شعر رأس أبي قحافة ولحيته به من شدة البياض، فأمر النبي (صلى الله عليه وآله) على ما رواه مسلم أن يخضّبوه بلون آخر غير السواد، كالحناء مثلا، حتى يذهب لون شعره الأبيض.

(٣) الصواعق المحرقة لابن حجر ج١ ص٣٧، ونحوه في الاستيعاب ج٢ ص٢٥٦، ولم نعثر على الرواية في مستدرك الحاكم كما قال ابن حجر، ولعلّ ذلك من جهة ما طال مصادر المخالفين من التحريفات على مرّ التاريخ لإخفاء الحقائق كما هو ملموس في غير موضع.

وهلك ابنه أبو بكر وهو حي فورث من تركته، وعاش إلى عهد عمر ثم هلك في سنة أربع عشرة وله سبع وتسعون سنة.

■ الجدّة.. عاهرة من ذوات الرايات تزوّجت عمّها!

عرفنا مما سبق أن سلمى بنت صخر – وهي الملقبّة **بأم الخير**[1] – والدة أبي بكر وجدّة عائشة كانت آكلة للذبان كزوجها أبي قحافة، غير أن التاريخ لم يقتصر على بيان هذا الجانب من شخصيتها، فبيّن جانبيْن آخريْن أشنع وأفظع.

الجانب الأول؛ كونها من ذوات الرايات، وهنّ العاهرات اللائي كنّ يضعن على سطوح منازلهن رايات وأعلاماً يُعرفنَ بها ليقصدهنّ طالبو الزنا. وقد صرّح النسّابون بذلك في معرض ذكرهم لأبي بكر حيث قالوا: «**وأمه سلمى من ذوات الأعلام في مكة، وكانت لها راية في الأبطح، لأن العرب كانوا يأنفون من أن تنازلهم البغايا، فكانوا يبعدونها عن قرب منازلهم، وكانت رايتها حمراء**».[2]

الجانب الثاني؛ أنها تزوّجت عمّها أبا قحافة سفاحاً! وهذا ما ينطق به نسب كل واحد منهما، فإن أبا قحافة هو: **عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة**، وزوجته هي: **سلمى بنت صخر بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة.**

---

(١) الظاهر أن هذا اللقب قد اخترعته عائشة لجدّتها بغرض تحسين سمعتها.

(٢) كتاب الأربعين لمحمد طاهر القمي الشيرازي ص٥٣٢ عن مشارق الأنوار عن الملل والنحل والنسابين.

فسلمى هي ابنة أخ عثمان أبي قحافة، وقد ذكر نسبها هذا جمهرة العلماء، منهم الطبراني في المعجم[١] وأبو نعيم في معرفة الصحابة[٢] ومحمد بن حبيب البغدادي في المحبر[٣] وابن مندة في الكنى والألقاب[٤] وابن عبد البرّ في الاستيعاب[٥] وغيرهم كثير.[٦]

ولم يتفطّن البكريّون إلى هذه القضية الشائكة جيداً، فإنهم كانوا يذكرون نسب أبي قحافة وامرأته دون أن يلتفتوا إلى أنهما يشتركان في **عامر فمن علاه!** وكانوا إذ ذاك يرسلون إرسال المسلّمات قولهم: **إن أبا قحافة تزوّج ابنة عمّه سلمى**، والحال أنه تزوّج ابنة أخيه لا ابنة عمّه!

ومن الذين تفطّنوا ابن الأثير، فحاول إنقاذ أم أبي بكر وأباه من معابة نكاح المحارم، فحذف من نسب سلمى اسماً ليكون اشتراكها مع أبي قحافة في **كعب** بدلاً من **عامر ابن عمرو**، وحاول إسقاط أقوال العلماء والنسّابين مرجعاً ذلك إلى أن العرب لم تكن تنكح بنات الأخوة. وإليك كلامه بتمامه حيث قال في ترجمة أبي بكر: «**عبد الله بن عثمان بن عامر ابن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي التيمي، أبو بكر الصديق ابن أبي قحافة، واسم أبي قحافة عثمان، وأمّه أم الخير سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب ابن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، وهي ابنة عمّ أبي قحافة. وقيل اسمها ليلى بنت صخر ابن**

(١) المعجم الكبير ج١ ص٢

(٢) معرفة الصحابة ج٢٤ ص١٥١

(٣) المحبر ج١ ص١٢

(٤) الكنى والألقاب ج١ ص٨٧

(٥) الاستيعاب ج٢ ص١٣

(٦) وحتى في المناهج الدراسية الحديثة فإن هذا النسب هو المعتمد، وكمثال على ذلك فإنه ورد في مقرّر السيرة للصف الثالث الإعدادي في المعهد الديني بقطر ج١ ص٣، وهو من تأليف الدكتور علي محمد جماز، ومحمد عبد الله الأنصاري، ومحمد رياض المراكبي، ومن مراجعة عبد المعز عبد الستار.

عامر، قاله محمد بن سعد. وقال غيره: اسمها سلمى بنت صخر بن عامر بن عمرو بن كعب ابن سعد بن تيم، وهذا ليس بشيء فإنها تكون ابنة أخيه! ولم تكن العرب تنكح بنات الأخوة، والأوّل أصح».(١)

وكما ترى فإن استبعاد ابن الأثير للقضية ليس مبنيا إلا على دعوى أن العرب لم تكن تنكح بنات الأخوة، وهذا مع التسليم به إلا أنه لا يصلح بمجرّده ناقضاً لأصل وقوع القضية، فإن لكل قاعدة شواذا، وإن التاريخ حين يسجّل أن هذه المرأة قد نكحت عمّها إنما يسجّله لكونه قد وقع خارقاً للمتعارَف، ولو أنه كان اعتياديا لَمَا أشار إليه البتّة، فلا يصحّ الاستدلال بالمعتاد على نقض خوارقه، وإلا لصحّ مثلا أن نقول: إن قضية أكل **هند بنت عتبة** لكبد **حمزة بن عبد المطلب** (عليهما السلام) ليست صحيحة، لأن العرب لم تكن تأكل أكباد قتلاها! مع أن القضية ثابتة ولا يشكك أحد في وقوعها.

إن من الواضح أن محاولة ابن الأثير وغيره لنفي قضية نكاح أم الخير سلمى لعمّها أبي قحافة عثمان إنما مردّها التعصّب لأبي بكر والمغالاة فيه إلى حدّ تنزيه نَسَبه عن النقائص والعيوب. هذا هو السبب الحقيقي وإلا فالقضية ثابتة عندنا لا ريب فيها لعدّة دلائل:

منها؛ أن ابن جرير الطبري يذكرها بصراحة في كتابه المسترشد، حيث قال عن أبي بكر: «**أبوه عثمان بن عامر، وأمه أم الخير بنت صخر، وكان عثمان متزوجا بابنة أخيه**».(٢)

---

(١) أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ج٣ ص٢٠٥

(٢) المسترشد لابن جرير الطبري الإمامي ص٣٢٦، وقد حاول ابن أبي الحديد الردّ عليه بقوله: «**أما قول ابن جرير الآملي الطبرستاني في كتاب المسترشد: إن عثمان والد أبي بكر الصديق كان ناكحا أم الخير ابنة أخيه؛ فليس بصحيح، ولكنها ابنة عمّه لأنها ابنة صخر بن عامر، وعثمان هو ابن عمرو بن عامر. والعجب لمن اتبعه من فضلاء الإمامية على هذه المقالة من غير تحقيق لها من كتب الأنساب، وكيف تُتَصوَّر هذه الواقعة** =

ومنها؛ أن النسب الذي ادّعاه ابن الأثير لأم أبي بكر هو عينه الذي ذُكر لابنة خالته أم **مُسَطَّح ابن أثاثة!** [(١)] فإنها هي سلمى التي تكون ابنة **صخر بن عامر بن كعب**، أما التي هي أم أبي بكر وزوجة أبي قحافة فهي سلمى ابنة **صخر بن عامر بن عمرو بن كعب**.

وقد أوضح ذلك ابن عبد البرّ في ترجمة مُسطّح إذ قال: «**مُسطَّح بن عباد بن عبد المطلب ابن عبد مناف بن قصي القرشي المطلبي، يُكنّى أبا عبّاد، وقيل: أبا عبد الله. وأمه سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرّة، وهي ابنة خالة أبي بكر الصديق**».[(٢)]

وقال خليفة بن خياط: «**مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف، أمّه سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي، وهي خالة أبي بكر الصديق**». [(٣)]

= **في قريش ولم يكن أحد منهم مجوسيا ولا يهوديا، ولا كان من مذهبهم حِلُّ نكاح بنات الأخ ولا بنات الأخت**». شرح النهج ج١١ ص٦٩.

وكان يجدر بابن أبي الحديد أن يتعجّب – بل يسخر – من نفسه لا من فضلاء الإمامية لأنه عدا عن أن نفيه للواقعة مبني على عادة قريش وقد بيّنا عدم تمامية الاستدلال بذلك؛ فإنه قد قد انفرد بذكر نسب آخر لسيّده أبي بكر لم يذكره غيره! فقد زعم أن أبا قحافة هو **عثمان بن عمرو بن عامر!** والإجماع على أنه **ابن عامر ابن عمرو!** فقلب ابن أبي الحديد الوالد إلى ولد والولد إلى والد! وخلط بذلك بين الحابل والنابل! كلّ هذا لتبرئة سيّده مما يخدش في نسبه وأصله!

(١) وهو أحد من اتهمتهم عائشة بأنه خاض في الإفك واتهمها بالفاحشة! وسيأتيك دحض ذلك.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البرّ ج١ ص٤٦٣

(٣) طبقات ابن خياط ج١ ص٩، ولعل سهوا وقع أسقط كلمة (ابنة) قبل خالة لأن هذا هو المشهور، وقد أكده ابن حجر العسقلاني في الإصابة برقم ٧٩٥٣ في ترجمة مسطّح بن أثاثة.

ومنها؛ أن نكاحها لعمّها يتناسق مع ما تقدّم من كونه لوّاطا وكونها بغيّة، فمثل هـذين لا يجدان حرجاً في نكاح المحارم. كما أن ذلك يتناسق مع ما عُرف عن قبيلة بني تـيْم عـلى وجـه الخصوص من كونها قبيلة الفواحش والرذائل، فهذا نسّابة العرب الأقدم **دغفـل بـن حنظلـة** حين دخل على معاوية بن أبي سفيان معدّداً له القبائل وما عُرفت به؛ سـأله معاويـة عـن تـيْم فقال: «**أهل فُحشٍ فاشٍ! أحلام الفراش! إن شبعوا بخلوا! وإن افتقروا ألّحوا**»![1]

وقد كان لدغفل موقف تحدٍّ مشهور في عهد النبي الأكرم (صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم) كسر به أبا بكر بن أبي قحافة في نسبه وأصله، فلمّا اجتذب أبو بكـر زمـام ناقتـه منـسحباً يجـرّ أذيال الخيبة قال له دغفـل: «**والله لـو ثَبَـتَّ لأخبرتـك أنـك مـن زمعـات قـريش! أَوَمـا أنـا بدغفل؟! فتبسّم النبي صلى الله عليه وسلم**».[2]

ومعنى قوله: «**زمعات قريش**» أي أراذلها وسَفَلتها، وتبسّمُ النبي (صـلى الله عليـه وآلـه) هو إسنادٌ لكلام دغفل يثبته ويؤكّده. كما يُستفاد من تبسّمه (صلى الله عليه وآله) أن أبا بكر لا حُرمة ولا كرامة له في الإسلام، فإن دغفلا قد أهانه أشد الإهانة، ولم يوبّخه النبـي بـل تبـسّم لكلامه مؤيّدا له ومُبدياً رضاه عنه! فلا ندري كيف يروق للمخالفين بعد هـذا الادعـاء بأنـه يجب احترام أبي بكر بينما صاحب الشريعة (صلى الله عليه وآله) قد أسقط حُرمته كليّـةً بفعلـه وتقريره؟!

وقد وصل الكلام بنا إلى هنا من باب أن الشيء بالشيء يُذكر.

---

(١) كامل البهائي لعماد الدين الطبري ج٢ ص٤٠

(٢) الأنساب للسمعاني ج١ ص٣٧، تاريخ دمشق لابن عساكر ج١٧ ص٢٩٨، السيرة النبوية لابن كثير ج٢ ص١٦٥، وغيرهم كثير.

■ الأب.. عبدٌ أسود أُعتق فعمل خيّاطاً!

أحد أبناء أبي قحافة هذا هو أبو بكر، واسمه **عَتيق**، وله أخوان هما: **مُعتَق وعُتَيْق**. فقد روى الطبري عن عمارة بن غزية قال: «**سألت عبد الرحمن بن القاسم عن اسم أبي بكر الصديق؛ فقال: عَتيق، وكانوا إخوةً ثلاثة بني أبي قحافة؛ عَتيق ومُعتَق وعُتَيْق**».[1]

مع هذا فإن البكريّين قد حرصوا على أن يشيعوا أن اسم أبي بكر هو **عبد الله!** وقصدهم من وراء ذلك هو نفي عبودية أبي بكر، أي نفي أنه كان أحد عبيد عبد الله بن جدعان من أولاد عبده وخادمه أبي قحافة الذين أعتقهم ابن جدعان ونَحَلهم هذه الأسماء المتشابهة والمؤدية إلى معنى واحد هو العتق من العبودية.

إلا أن البكريّين اصطدموا بالرواية السابقة المروية عن عبد الرحمن بن القاسم، والتي تؤكد أن اسم أبي بكر هو عتيق، وأنه واحد العتقاء الثلاثة من وُلْدِ أبي قحافة. ولا يمكن للبكريّين أن يسقطوها بسهولة، لسبب بسيط هو أن **أهل البيت أدرى بما فيه**، فعبد الرحمن هذا هو حفيد أبي بكر، فهو عبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر، وهو أدرى باسم جدّه الحقيقي من غيره، وعلاوة على ذلك فإنه أحد الفقهاء والمحدّثين الموثقين في المذهب البكري، فلا يمكن إذن تكذيبه أو إهمال قوله وتغليب قول آخر عليه.

وأمام هذا المأزق؛ عمد البكريّون لاختلاق تأويلات مضحكة تجمع بين القولَيْن؛ أي كون الاسم عتيقا وكونه أيضا عبد الله، وذلك بغية تنزيه سيّدهم أبي بكر عن العبودية ولو بقلب صفاته وأحواله رأسا على عقب! ومن المناسب أن نناقش هذه التأويلات لأن لها ارتباطا بما نحن فيه من بيان أحوال أبي بكر والد عائشة، وبها سنلاحظ كم وحجم التزييف الذي طرأ على حقائق التاريخ.

---

(١) تاريخ الطبري ج٢ ص٦١٦

● **قالـوا:** سُمِّي أبو بكر عتيقا لقول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) له: «**أنت عتيـق الله من النار**»![(١)]

ونقـول: من الواضح أن هذا الحديث موضوع، أما أولا فلأنه مروي عن عائشة ولم يُـروَ عن غيرها ممن يعوَّل على أمانته وحياديّته،[(٢)] فشهادتها مجروحة إذ إن أبا بكر هـو أبوهـا، ولـو أن هذا الحديث قد صدر فعلا عن النبي الأعظم (صلى الله عليـه وآلـه وسـلم) لاشـتهر بـين أصحابه ولتناقله المحدّثون عن طريق غير عائشة، أما أن نزعم أن هذا الحديث لم يسمعه أحد سوى عائشة في بيتها ومع ذلك سمّى الناس أبا بكر بعتيق بسببه ففي ذلك استغباء للعقـول! فمن أين علم الناس بالحديث حتى يغيّروا اسم أبي بكر من عبد الله إلى عتيق في زمـن رسـول الله (صلى الله عليه وآله) وما تلاه؟! إلا أن نقول أن أبا بكر نفسه أو عائشة نفـسها قـد أشـاعا هذا الحديث بين الناس، وعندئذ يثبت المطلوب لأن إشاعتهما لهذا الحديث علامة أنـه مختَلَـق إذ لا يُقدِم المؤمن على مثل هذا مما يصبّ في خانة الغرور وحبّ الشهرة.

وأما ثانيا؛ فإن عائشة قد ناقضت نفسها بنفـسها، ومـا أكثـر تناقـضاتها! والتنـاقض آيـة الكذب والاختلاق! ففي حديث آخر اعترفت بأن أبناء أبي قحافة كـانوا هـم الثلاثـة عتقـاء أحدهم أبوها! فقد روى الزمخشري عن عائشة قالـت: «**كـان لأبي قحافـة ثلاثـة مـن الوُلْـدِ؛ فسمّاهم عَتيقا ومُعتَقا ومُعيْتقا**»![(٣)] كما أنها اضطربت وناقضت نفسها عندما واجههـا القاسـم

---

(١) سنن الترمذي ج٥ ص٢٧٨

(٢) نعم رُوي في صحيح ابن حبّان عن عبد الله بن الزبير، إلا أنه لا يخفى أنـه نقلـه عـن خالتـه عائـشة وإنْ لم يسمّها، إذ هي مصدر الحديث، وقد كان في حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله) صغير السن لم يتجاوز عمره عند استشهاده تسع سنين. فالقول بأنه سمع الحديث مباشرة من رسول الله (صلى الله عليه وآله) مع ملاحظـة أن كل طرق الحديث تنتهي إلى عائشة ما عدا هذا الحديث اليتيم؛ هو قول تافه لا يُلتفت إليه.

(٣) الفايق للزمخشري ج٢ ص٣٣٠

ابن محمد – والد عبد الرحمن – في هذه المسألة، إذ يروي عنه الطبراني: «**سألت عائشة عن اسم أبي بكر فقالت: عبد الله! فقلت: إنهم يقولون: عتيق! فقالت: إن أبا قحافة كان له ثلاثة فسمّى واحدا عَتيقا ومُعيتقا ومُعتقا**»![(١)]

ولا يحمل الحديث الأخير سوى دلالة واحدة وهي أن أبا بكر كان اسمه الأصلي عَتيقا، ثم تغيّر اسمه – أو غيّرته عائشة – إلى عبد الله، لأنها صرّحت بأن أبا قحافة كان له ثلاثة أولاد قد سمّاهم بهذه الأسماء، ولم تقل مثلا بأن أباها كان رابعهم فاشتبه الناس في اسمه وأطلقوا عليه اسم أحد إخوته الثلاثة. وعلى هذا فلا بدّ إذن من أن يكون أبو بكر هو أحد هؤلاء الثلاثة، فيثبت أن اسمه هو عَتيق وأن هذا الاسم هو اسمه الأصلي الذي سمّاه به أبوه حين ولادته، لا أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد سمّاه به بعد ذلك!

وأما ثالثا؛ فعلى فرضِ أن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) سمّى أبا بكر عتيقا، فما لنا نجد أخويه قد تسمّيا باسميْن مشابهين متفرّعين من أصل واحد؟! فأحدهما عُتيْق والآخر مُعتَق أو مُعَيْتق؟! هل أن النبي قد أعتق هذيْن أيضا من النار فأخذا هذيْن الإسميْن؟! أم أن الأمر محض صدفة؟!

إن هذه التساؤلات تكشف حقيقة أن الثلاثة كانت أسماؤهم الأصلية متشابهة، لا أن أحدهم كان اسمه عبد الله والآخران مُعتَق وعُتَيْق فجاء رسول الله (صلى الله عليه وآله) وغيّر اسم الأول منهم إلى ما ينسجم مع الآخَرَيْن! فهذا مما يأباه اللبيب.

وأما رابعا؛ فعلى فرض أن الحديث قد صدر فعلا عن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) فما العلّة في أن يتّخذه الناس دون سواه سببا لتغيير اسم شخص من عبد الله إلى عتيق! فإن الحديث – لو سلّمنا جدلا بصحته – إنما يحكي منقبة من المناقب تتمثل بأن أبا بكر قد أعتقه

(١) المعجم الكبير للطبراني ج١ ص٥٣

الله من النار، وهناك أحاديث أخرى تحوي مناقبه المزعومة عند البكريّين فلماذا لم يسمِّهِ الناس بما ورد فيها من ألفاظ؟! لماذا لم يسمّونه مثلا (**سمعاً**) نظرا لحديث: «**أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى أبا بكر وعمر فقال: هذان السمع والبصر**»؟![1] وما هي خصوصية هذا الحديث بالذات حتى يغيّر الناس اسم أبي بكر من عبد الله إلى عَتيق لأجله؟! ولِمَ لم يجعلوا (**عَتيق**) لقبا لأبي بكر لا اسما له كما اختاره بعضهم بعد التردد؟! ولِمَ لمْ يؤثر عن أبي بكر أنه كان يفضّل هذا الاسم على غيره وكان أحبّ الأسماء إليه ما دام رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد أطلقه عليه؟! فإنّا وجدنا أنه قد أُثر عن علي (عليه السلام) أن أحبَّ الأسماء إليه كان (**أبا تراب**) إذ أطلقه عليه النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) في حادثة مشهورة مدحاً له.

وأما خامسا؛ فإنّا وجدنا أن النبي المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يغيّر أسماء الناس للأحسن والأخْيَر لا العكس، والفرض أن اسم أبي بكر كان **عبد الله** وهو خير الأسماء لقوله صلى الله عليه وآله: «**إن خير الأسماء عبد الله**»[2] وكثيرا ما كان يغيّر النبي أسماء بعض الناس إلى عبد الله، ولم يُعهد أنه غيّر اسم واحدٍ من الناس من عبد الله إلى غيره، فلماذا يغيّر اسم أبي بكر إلى عتيق ما دام اسمه بالأصل هو عبد الله وهو خير الأسماء؟! وهذا جواب على من زعم أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان قاصدا لذلك.[3]

بل ونعضِّد الجواب بما نقله المحب الطبري عن **جمهور أهل النسب** بأن النبي (صلى الله عليه وآله) هو الذي غيَّر اسم أبي بكر إلى عبد الله بعدما أسلم حيث كان اسمه في الجاهلية

(١) سنن الترمذي ج٥ ص٢٧٥

(٢) المعجم الكبير للطبراني ج٧ ص١١٨

(٣) ومنهم عبد الله بن الزبير حيث قال: «**كان اسم أبي بكر عبد الله بن عثمان فسمّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عتيقا من النار**»! المعجم الكبير للطبراني ج١ ص٥٣، وهي رواية تفوح منها رائحة عائشة كما أشرنا.

عبد الكعبة! فقد قال: «**وكان اسمه رضي الله عنه: عبد الله، وقيل: عبد الكعبة، فلما أسلم سمّاه النبي صلى الله عليه وسلم: عبد الله، قاله جمهور أهل النسب**».[١]

والنتيجة بعد ملاحظة ما تقدّم أن النفس لا تطمئن إلى هذا الحديث، فإن من الواضح أنه موضوع، وضعته عائشة لترفع من قدر أبيها ولتخلّصه مما هو ثابت عليه من العبودية زمن الجاهلية، ولتجعل مما هو معروف عند الكل من أن اسمه (عَتيق)؛ رِفعةَ شأنٍ عوضاً عن كونه دُنوَّ قدْرٍ! وعائشة ذات تخصّص في هذا المجال؛ أعني قلب الحقائق، كما ستلحظ.

وحيث تتضح أمام الباحث المحقّق هذه النتيجة؛ فإن البكريّين لجأوا إلى محاولات فاشلة أخرى على أمل إسعاف حديث عائشة في وجه تسمية أبيها بعتيق وإنقاذه من التضعضع والسقوط، وتمثَّلت إحدى محاولاتهم المثيرة للسخرية باختلاق حديث منسوب لأمير المؤمنين (عليه السلام) جاء فيه: «**عن أبي تحيى حكيم بن سعد قال: سمعت علي بن أبي طالب يقول: إن الله هو الذي سمّى أبا بكر عتيقا على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم**»![٢]

ويكفي في وهن هذا الحديث - فضلا عن ضعفه وإرساله - أنه لو صحَّ لما وجدنا أبا بكر يستعمل لنفسه اسم (عبد الله) في مكاتباته ومخاطباته، إذ الفرض أن الله تبارك وتعالى قد سمّاه بعتيق، وهل يعدل مؤمنٌ عن اسم سمّاه ربّ العالمين به إلى غيره؟! إلا إذا قيل أن أبا بكر لم يكن مؤمناً!

إن التاريخ واضح في مؤشراته، فهو يشير إلى أن اسم (عتيق) كان هو مكمن العار الذي يفرّ منه أبو بكر وابنته وحزبهما، وأنه هو الاسم القديم الأصلي الذي حلّ محلّه اسم (عبد الله) لاحقاً، إما بأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) وإما بغير ذلك، لا أنّ اسم (عتيق) هو الاسم

---

(١) الرياض النضرة في مناقب العشرة للمحب الطبري ج١ ص٣١، وهو تناقض آخر في الاسم الأصلي!

(٢) تهذيب الكمال للمزي ج١٥ ص٢٨٤

المتأخر أو أنه الذي قد حُبِيَ به بأمر الله جل جلاله، إذ لو كان هذا لبانَ واشتهر بأكثر من طريق وأكثر من حديث، والحال أن هذا الحديث غريب شاذ مصنوع.

وغير خافٍ عليك أن اختلاقهم لهذا الحديث بنسبته إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) هو أمر مقصود، فهم يريدون إيهام العوام بأن الإمام (صلوات الله عليه) كان مقرّا بفضل أبي بكر بل ومحدّثا بمناقبه! ويريدون إعماء عيون الناس عمّا فاضت به مصادر الحديث والسيرة والتاريخ من شكايات أبي الحسن (عليه السلام) من ظلم أبي بكر (لعنه الله) وغدره وخيانته!

ومن ذلك ما رواه مسلم عن عمر بن الخطاب من إقراره بأن عليا (عليه السلام) كان يرى أبا بكر «**كاذباً آثماً غادراً خائناً**»! وأنه كان يراه - أي يرى عمر - كذلك أيضا![1]

وعودةً إلى الحديث المكذوب، فإن له نظيراً بالسند نفسه إلا أن في محلّ اسم (عتيق) اسم (الصديق)! وزادوا فيه أن أمير المؤمنين (عليه السلام) قد حلف على ذلك! فقد روى الطبراني: «**عن أبي يحيى حكيم بن سعد قال: سمعت عليا رضي الله تعالى عنه يحلف لله أُنزل اسم أبي بكر من السماء الصدّيق**»![2]

وهذا الحديث لا يحتاج إلى أدنى عناء في تفنيده بعدما تواتر في كتب الفريقين أن عليّاً (صلوات الله عليه) وصف نفسه بالصديق الأكبر، مكذِّباً من يدّعيها غيره، ولا يُعقل أن

---

(١) صحيح مسلم ج٥ ص١٥٢ في حديث لا يخلو من علل ليس هاهنا محل عرضها، والمهم هو الشاهد وهو حجة عليهم. ومن الحريّ ذكر أن البخاري قد روى الحديث نفسه لكنه تلاعب به وحذف منه موضع الشاهد المحرج!

(٢) المعجم الكبير للطبراني ج١ ص٥٥، وقد تعمّدوا أن يجعلوا الحديثيْن مرويّيْن عن أحد أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) المخلصين وهو الثقة الجليل حكيم بن سعد الكوفي (رضوان الله تعالى عليه) وهم يظنون بذلك أنها حيلة سديدة والحال أنها لم تَزِد الأمر إلا وهناً وضعفاً كما هو جليّ!

يكون علي (عليه السلام) نفسُه مكذِّباً لنفسه! فقد قال عليه السلام: «**أنا عبد الله وأخو رسوله، وأنا الصدِّيق الأكبر، لا يقولها بعدي إلا كاذب**»![١]

وفي حديث آخر صرّح أمير المؤمنين (عليه السلام) بأن المقصود في حديثه هو أبو بكر (لعنه الله) الذي سرق هذا اللقب الشريف! مؤكدا أنه قد آمن وأسلم قبله، فقال عليه السلام وهو يخطب على منبر البصرة: «**أنا الصدّيق الأكبر، آمنت قبل أن يؤمن أبو بكر، وأسلمت قبل أن يُسلم**»![٢]

وعلى هذا فلا شك بأن أبا بكر كان كاذبا حيث ادّعى أنه هو الصدّيق! ولا شكّ أن عائشة كذلك، وكلّ مَن يزعم أن ابن أبي قحافة هو الصدّيق؛ هم جميعا كَذَبةٌ مفترون! أما محاولة حفظ ماء الوجه بنسبة ذلك الزعم إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) نفسه فدونها خرط القتاد!

كيف وقد نصَّ الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) بنفسه على أن أخاه عليا (عليه السلام) هو الصدّيق والفاروق؟! فقد قال (صلى الله عليه وآله) لعلي عليه السلام: «**أنت الصدِّيق الأكبر، وأنت الفاروق الذي يفرّق بين الحق والباطل، وأنت يعسوب الدين**».[٣]

---

(١) رواه الحاكم في مستدركه عن عبّاد بن عبد الله ج٣ ص١١٢ وصحّحه، وابن ماجه في سننه ج١ ص٤٤ وحكى عن الهيتمي تصحيحه وحكمه بوثاقة رجاله، والنسائي في سننه ج٥ ص١٠٧، والطبري في تاريخه ج٢ ص٥٦، وغيرهم كثير.

(٢) رواه البخاري في تاريخه الكبير عن معاذة العدوية ج٤ ص٢٣، وابن عساكر في تاريخ دمشق ج٤٢ ص٣٣، وغيرهما كثير.

(٣) الرياض النضرة في مناقب العشرة للمحب الطبري ج١ ص٢٤٣عن الحاكمي بسنده عن أبي ذر رضوان الله تعالى عليه، سمط النجوم العوالي للعصامي ج٢ ص١٠، فرائد السمطين للجويني الشافعي ج١ =

وقال (صلى الله عليه وآله) أيضا: «**الصدّيقون ثلاثة؛ حبيب النجّار مؤمن آل يس الذي قال: يا قوم اتبعوا المرسلين، وحزقيل مؤمن آل فرعون الذي قال: أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله، وعلي بن أبي طالب وهو أفضلهم**».(١)

وإذ اتضح هذا التساقط في الروايات المكذوبة الموضوعة، فقد أسفر لك الصبح في دعواهم أن الله أو رسوله (صلى الله عليه وآله) قد سمّيا أبا بكر بعتيق، ووقفت على سخافة ما زعموه. فلنأتِ الآن إلى غير ذلك من مزاعمهم.

- **قالوا**: إنما سُمِّي أبو بكر عتيقا لجمال وجهه!(٢)

ونقول: إن هذا الادعاء جزء من ادعاءات أكبر وخيالات أخصب أرادوا بها رسم صورة حسناء شبيهة بالأساطير لوجه أبي بكر وجسمه ولونه؛ وجعل هذه الصورة ترجمةً لاسمه (عتيق) استنادا إلى أن من معاني هذه الكلمة هو الجميل! فزعموا في وصفه أنه كان أبيض أصفر لطيفا جعدا نحيفا حسن الثغر حسن القامة!(٣)

والواقع أن هذه الصفات الخيالية لأبي بكر متهافتة ولا يمكن التسليم بها. ولئن جعلت عائشة أباها أبيض نحيفا خفيفا كما سيأتي، فإن مَن جاء بعدها من أنصارها وأنصار أبيها أضافوا إلى صفاته ما راقَ لهم فأصبح بياضه مشوباً بصفرة وأصبح شعره جعداً وأصبح

= ص١٤٠ وذكر أنه (عليه السلام) مخصوص بهذه الفضيلة.

(١) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ج٢ ص٦٢٧ بسنده عن أبي ليلى، المناقب لابن المغازلي الشافعي ص٢٤٦، المناقب للخوارزمي ص٣١٠، سمط النجوم العوالي للعصامي ج٢ ص١٠، شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ج٢ ص٣٠٤ وغيرهم كثير.

(٢) المعجم الكبير للطبراني ج١ ص٥٢ عن الليث بن سعد قال: «**إنما سُمِّي أبو بكر عتيقا لجمال وجهه**»!

(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر ج٣٠ ص٢٢ عن الزهري وقيس بن أبي حازم وعاصم بن عبيد الله بن عاصم.

حسن الثغر حسن القامة! مع أن هذه الصفات ناقضت ما ذكرته عائشة أصلاً! وغفلتهم عن ذلك تدفع إلى الشك في ما ذكروه بل والقطع في كونه موضوعاً لغرض تفخيم شأن أبي بكر، مع أن الإسلام لا يفرّق بين الأبيض والأسود، والجميل والقبيح، والعربي والأعجمي، ولا يرى فضلا لهذا على ذاك إلا بالتقوى.

وحتى نعرف الصفات الحقيقية لأبي بكر؛ يتحتّم علينا أن نخطو ثلاث خطوات:

الخطوة الأولى؛ المقارنة بين الصفات التي ذكرتها عائشة وبين تلك التي ذكرها غيرها من أنصارها وأنصار أبيها، فإذا وجدنا تعارضاً أو تبايناً بين صفتيْن وجب إسقاط ما ذكره الغير وتثبيت ما ذكرته عائشة لأن مَن يقابلها من الرواة أبعد عن أبي بكر منها فهي ابنته، وكذا لو وجدنا صفة يذكرها هؤلاء ولم تذكرها عائشة فإن الواجب هو طرحها، لأنهم ليسوا بأحرص منها على بيان ملامح حُسن أبيها إنْ وُجدت. فكيف وصفت عائشة أباها؟

روى الواقدي عن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر عن عائشة: «**أنها نظرت إلى رجل من العرب مارّاً وهي في هودجها، فقالت: ما رأيْتُ رجلا أشبه بأبي بكر من هذا، فقلنا: صفي لنا أبا بكر؟ فقالت: رجل أبيض نحيف، خفيف العارضيْن، أجْنَأَ، لا يستمسك إزاره يسترخي عن حَقْوَيْه، معروق الوجه، غائر العينيْن، ناتئ الجبهة، عاري الأشاجع. هذه صفته**».[1]

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ ص١٨٨، والأجنأ أي المحدودب الظهر، والحقوان هما الخاصرتان، وغائر العينين أي أنهما داخلتان في رأسه غير بارزتيْن، وناتئ الجبهة أي هي بارزة عن وجهه، وعاري الأشاجع أي ليس على ذراعيه إلا لحم قليل.

ومع إعمال المقارنة؛ لا يبقى من الصفات التي ذكروها إلا كونه أبيض اللون ونحيفا، لأن قولهم عنه أنه كان حسن القامة مُعارَضٌ بما ذكرته عائشة من كونه أجنأ، وأما قولهم أنه كان لطيفا جعدا حسن الثغر فمطروح لعدم ذكر عائشة له.

الخطوة الثانية؛ المقارنة بين تلك الصفات التي ذكرتها عائشة وبين ما ذكره غيرها من المحايدين ممن هم ليسوا من أنصارها ولا من أعدائها، فإنْ وجدنا تعارضا أو تباينا بين صفتيْن وجب الرجوع إلى القرائن الخارجية لتغليب إحديهما على الأخرى. فكيف وصف غير عائشة من المحايدين أباها؟

روى الواقدي أن هرقل عظيم الروم لمّا طلب من أحد المتنصِّرة أن يصف له أبا بكر قال: «**هو رجل آدم اللون خفيف العارضيْن**».[1]

وروى المسعودي في صفة أبي بكر قال: «**وكان طُوالاً آدمَ نحيفا خفيف العارضيْن غائر العينين مشرف الجبهة ناتئ الوجنتيْن**».[2]

ومع إعمال المقارنة يكون هناك اتفاق في صفات أنه كان نحيفا وخفيف العارضيْن وغائر العينين ومُشرف أو ناتئ الجبهة وناتئ الوجنتيْن، إلا أننا نجد تعارضاً في صفة اللون، بين كونه أبيض أو أسود أي آدم، فعائشة ومن تَبِعها يدّعون أنه كان أبيض وغيرهم يقول أنه كان أسود، ولهذا علينا الرجوع إلى القرائن لترجيح أحد القوليْن على الآخر، فإن وجدناها – أي القرائن – تساند وتقوّي أحدهما؛ اعتمدناه.[3]

---

(١) فتوح الشام للواقدي ج١ ص٩، والآدم من الناس أي أسود اللون أو شديد السمرة، راجع لسان العرب – مادة أدم.

(٢) التنبيه والإشراف للمسعودي ج١ ص١٠٦، والطُّوال أي الطويل.

(٣) وهذا تنزّلا على اعتبار تعادل القوليْن، وليس كذلك لأن شهادة عائشة ومن تَبِعها مجروحة.

ولّما رجعنا إلى القرائن وجدناها تعاضد القول بأنه كان أسود اللون آدماً، فليس هناك أوضح مما مرَّ في أشعار الشعراء من أن بني تيْم قد بلغت ألوانهم السوداء مبلغ أن لا يتمكّن المرء من التفريق بين سادتهم وعبيدهم، وأنهم قبيلة مهجَّنة بعبيد الحبشة، فهذا قول الشاعر:

وإنَّك لوْ رأيتَ عبيدَ تَيْمٍ وتَيْماً قلتَ: أَيُّهُمُ العبيدُ؟!

وهذا قول آخر:

أَطَعْنا بني تَيْمِ بنِ مُرَّةَ شَقْوَةً وهلْ تَيْمٌ إِلاّ أَعْبُدٌ وإِماءُ؟!

فالأصل إذن سواد اللون في هذه القبيلة، ولذا ورد في صفة **طلحة بن عبيد الله** وهو ابن عمّ أبي بكر أنه كان آدماً، فقد روى الواقدي قال: «**أخبرنا محمد قال: سمعت مَن يصف طلحة قال: كان رجلاً آدمَ كثير الشعر**».[(١)]

وأبو بكر هو من أبناء هذه القبيلة المعروف أبناؤها بلونهم الأسود الآدم، فمن أين يأتيه البياض؟! فإن قلت: ربما جاءه من طرف أمه، قيل لك: إن أمّه سلمى بنت صخر هي أيضا تيمية كما مرّ عليك! فهلّا فسّر لنا البكريّون كيف أصبح أبو بكر أبيض اللون وهو من نسل هؤلاء السودان من جهتي الأب والأم معاً؟!

ثم إن من المعلوم أن العرب عموماً كانوا ومازالوا سُمراً لا بيض، وألوانهم هي إلى السواد أقرب، فلعلّنا نصدّق عائشة والبكريّين لو أنهم قالوا مثلا أن أبا بكر كانت سُمرته

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ ص٢١٩، وكما هو الحال مع عائشة ابنة أبي بكر فقد جاء ابن طلحة ليحرّف الحقائق وليصبغ أباه باللون الأبيض بدلا من الأسود! فقد روى الطبراني عن إسحاق بن يحيى بن طلحة، عن عمه موسى بن طلحة قال: «**كان طلحة بن عبيد الله أبيض**»! راجع المعجم الكبير ج١ ص٩٢، ومن الحسن أن الهيتمي وثّق الرواية عن الواقدي وضعّف رواية الطبراني، راجع مجمع الزوائد ج٩ ص١٤٧

خفيفة، أمّا أن يشطّوا كل هذا الشطط فيجعلوا أبا بكر أبيض اللون وكأن أباً رومياً قد أنجبه أو أمّاً فارسية قد ولدته؛ فهذا استخفاف بالعقول وضحك على الذقون!

وبهذا يسقط ما زعموه ويثبت ما ذكره المحايدون الذين يُطمئن إلى نقلهم من أن أبا بكر كان أسود اللون. والآن ننتقل إلى الخطوة الثالثة والأخيرة التي ستحسم أمر الجمال المزعوم لابن أبي قحافة التيمي!

الخطوة الثالثة؛ النظر في ما تحصّل لدينا من صفات أبي بكر بعد الخطوتيْن السابقتيْن، والبحث عن صفات أخرى له، ثم جمعها معاً لتصوّر منظره وشكله.

أما المتحصّل من الخطوتيْن السابقتيْن فهو أن أبا بكر كان:

(١) طويلاً نحيفا إلى درجة أن إزاره كان يسقط من حَقويه أي خاصرته.

(٢) عاري الأشاجع أي قليل اللحم في اليديْن.

(٣) أجنأً أي محدودب الظهر.

(٤) أسود اللون آدماً.

(٥) خفيف العارضيْن وهما شعر صفحتي الخدّيْن.

(٦) ناتئ الوجنتيْن أي هما بارزتان عن وجهه.

(٧) معروق الوجه أي قليل اللحم فيه.

(٨) غائر العينيْن أي هما داخلتان في رأسه غير بارزتيْن.

(٩) ناتئ الجبهة أي هي بارزة عن وجهه.

وبعد هذا لسنا نعلم كيف يوصف صاحب هذه الصفات بالحُسن والجمال! فإنها بتركُّبها واجتماعها تكون صفات القُبح والذَّمامة! ومع هذا سنغض الطرف عن الصفات الثلاث الأُوَل باعتبار أنهم زعموا أن أبا بكر سُمِّيَ عتيقا **لجمال وجهه**؛ آخذين صفات الوجه فقط،

وهي كما ترى ليس فيها مسحةٌ من جمال فضلا عن بلوغها مبلغ أن يُسمَّى صاحبها بالعتيق - أي الجميل - لأجلها!

فإنه أسود اللون آدم، وهو لون مفضول في سُلَّم الجمال! ومع أن وجنتاه بارزتان إلى خارج وجهه إلا أن شعر عارضيْه خفيف، وهذا متنافر المظهر! ووجهه معروق أي قليل اللحم ويسمّى بذلك لظهور العروق على الوجه بسبب قلة اللحم، وهو منظر بشع! ثم إن عيناه غائرتان إلى داخل وجهه فيما جبهته ناتئة إلى الخارج، وهذا شديد القُبح! فإن الناس تصف ذا العينين الواسعتيْن البارزتيْن والجبهة المعتدلة بالجمال؛ وذا العينين الصغيرتيْن الغائرتيْن والجبهة الناتئة المشرفة بالقُبح!

إن هذا هو ما جعل أبا جعفر الإسكافي يستخفُّ بمزاعم كون أبي بكر جميلا وأنه سُمِّي بالعتيق لأجل ذلك! حيث قال: «**وأما ما ذكرتم من رقّة صوته وعتاق وجهه؛ فكيف يكون ذلك وقد روى الواقدي وغيره أن عائشة رأت رجلا من العرب خفيف العارضيْن، معروق الخدّيْن، غائر العينيْن، أجنأ لا يمسك إزاره، فقالت: ما رأيت أشبه بأبي بكر من هذا. فلا نراها دلّت على شيء من الجمال في صفته**»![1]

زِدْ على ذلك ما في عينيْ أبي بكر من علَّةٍ تزيده قُبحا على قُبح وتجعله يبدو كالمسخ! وذلك لأن إحدى عينيْه كانت سوداء فيما الأخرى كانت زرقاء! ولذلك كان يوصَف (**بأَخْيَفِ بني تيْم**)! وهذا مما ذكره علماء اللغة في معاجمهم والمحدّثون والمؤرّخون في صفة ابن

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج١٣ ص٢٦٨، ومنه تعرف أن إحدى مزاعمهم قولهم أن أبا بكر كان رقيق الصوت ولذا سُمِّيَ بالعتيق! وما هذه الافتراضات السمجة إلا دليلا على أنهم يخشوْن من المعنى الحقيقي لاسم (عتيق) ويريدون إيهام الناس بمعنى آخر للمحافظة على هيبة سيّدهم ابن العضروط اللوّاط!

أبي قحافة، إذ قالوا: «في الحديث في صفة أبي بكر: (أخيَفُ بني تَيْم)، الخيف في الرجل أن تكون إحدى عينيه زرقاء والأخرى سوداء».[(١)]

وبعد هذه الخطوات الثلاث والبيان المفصَّل لا يتأتّى لأحدٍ الادّعاء بأن أبا بكر إنما سُمّي عتيقا لجمال وجهه؛ إلا إذا ابتدع القوم مقاييس جديدة مقلوبة للحُسن والجمال! ومع سقوط هذا هلمَّ إلى دحض سائر المعاني التي ابتدعها هؤلاء لصرف اسم أبي بكر (عتيق) عن دلالته.

• **قالوا:** سُمّي أبو بكر عتيقاً لأن أمّه لم يكن يبقى لها ولد، فلما ولدته استقبلت به البيت وقالت: «**اللهم إن هذا عتيقك من الموت فهَبْهُ لي**»![(٢)]

ونقول: إن هذا بالأصل هو قول **طلحة بن عبيد الله التيمي** الذي هو ابن عمّ أبي بكر، ولم يقله أحدٌ سواه، كما انحصر طريقه إليه فكان غريباً شاذاً، ولذا علّق ابن مندة عليه بقوله: «**هذا حديث غريب لا يُعرف إلا بهذا الإسناد**».[(٣)]

وطلحة متَّهم فيه إذ هو ليس من المحايدين ممن يمكن الاعتماد عليهم، لقرابته من أبي بكر وتعصّبه له. ثم إن طلحة لم يشهد ولادة أبي بكر لأنه وُلد بعده بزمن، فلا محالةَ من أن يكون قد سمع بقول أمّه المزعوم منها أو من آخَر، وإذ لم يخبرنا بمَن أبلغه به؛ فإنه يقوى أنه هو الذي اختلقه وإلا لأشار إلى مَن أبلغه به ليدرأ تهمة الوضع عن نفسه.

والقول متهافت لأن أخوَيْ أبي بكر الآخران سُمّيا (عُتيْق) و(مُعتق) أيضا كما مرَّ مستفيضاً، فهل أن أمّهم سلمى أتت بكل واحد من هؤلاء الثلاثة إلى البيت ودعت الله بأن

---

(١) لسان العرب لابن منظور ج٩ ص١٠١ والنهاية في غريب الأثر للمبارك بن محمد الجزري ج٢ ص١٩٤ وتاج العروس لأبي الفيض الزبيدي ج٢ ص٥٨٤ وغيرهم.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ج٤ ص١٤٧ عن الدولابي في الكنى والأسماء.

(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر ج٣٠ ص٢٢

يبقيه ويعتقه من الموت فعاش الولد وأخذ هذا الاسم؟ إن صحّ ذلك فقد سقط أنه لم يكن يبقى لها ولد إذ قد بقيَ لها ثلاثة كلّهم قد أعتقهم الله من الموت! وإنْ لم يصح فإن تسمية أخوَيْ أبي بكر بعُتَيْق ومُعتَق أيضا يكون بلا تفسير ويُضعف قول طلحة! فأيّهم المعتوق من الموت ولماذا أخذوا جميعاً هذه الأسماء المشتقة من معنى واحد؟!

ثم إن المؤرخين وأصحاب السيرة لم يذكروا أن أم أبي بكر لم يكن يبقى لها ولد، ولا عُرف ذلك عن بيت أبي قحافة، بل المروي خلافه لنصّهم على أنه كان له ثلاثة أولاد أحدهم عتيق أبو بكر، وقد أقرّت عائشة بذلك كما تقدّم آنفا. وعليه فلا يقاوم قول طلحة الشاذ هذا كل تلك الأقوال والأحاديث المستفيضة.

ويبدو أن طلحة أراد بوضعه هذا الخبر منافسة ما عُلم من التجاء أم أمير المؤمنين (عليهما السلام) إلى الكعبة المشرّفة حيث جاءها المخاض فدعت الله تبارك وتعالى فانشق لها جدار البيت ووضعت مولودها المبارك فيه. ومن البعيد أصلاً أن تلتجئ أم أبي بكر وهي كافرة مشركة إلى البيت فتدعو الله ويستجيب دعاءها كما استجاب للمؤمنة الموحِّدة **فاطمة بنت أسد** رضوان الله تعالى عليها.

والحاصل أن علامات الوضع والاختلاق بادية على هذا القول فهو ساقط من رأس، سيّما مع معارضته لما سبقه ولما سيلحقه من أقوال نعرضها عليك.

• **قالوا**: سُمِّي أبو بكر عتيقاً لأنه كان له أخوان: **(عِتْقٌ)** و**(عَتيقٌ)** فسُمِّيَ باسم أحدهما![1]

---

(١) الرياض النضرة للمحب الطبري ج١ ص٣١ عن البغوي.

ونقـول: ربما كان أبو قحافة يعجز عن إيجاد اسم ثالث لابنه الثالث! أو ربما كانت التسمية حينذاك تتطلب دفع ثمن من المال لم يكن للعضروط أن يوفِّره! ولذا ارتأى أبو قحافة أن يقتصر على اسميْن لأبنائه الثلاثة فيجعل ابنه أبا بكر مشتركا مع أخيه في الاسم! أو لعلّه كان يقدّس هذا الاسم ويحبّه ويعتبر له شرفاً ومنزلةً فنحله اثنين من أبنائه!

إن هذا الادعاء المضحك لا يستحق عناءً في الردّ عليه، ومهما كان فإنه ليس من المهم تفنيده لأن ثبوته يؤكد أن اسم أبي بكر الأصلي كان (عتيق) وليس عبد الله كما يزعمون! وليكن السبب في ذلك ما ذكروه من أنه سُمِّي باسم أحد أخويْه، فإن ذلك ليس بضارٍ بل هو مفيد للبحث ولثمرته.

● **قالـوا**: سُمِّي أبو بكر عتيقاً لأنه لم يكن في نسبه شيء يُعاب به! [١]

ونقـول: إن هذه حقاً أكثر أخواتها طرافة! فالقبيلة التي توصف بأنها الأذل والأرذل في قريش والتي شاع فيها نكاح العبيد واستلحاقهم وكثر فيها الزنا والفجور حتى كان ذلك ما تُشتهر به دار سيّدها؛ غَدت فجأةً قبيلة الشرف والكرم والطُّهر والعفَّة حتى لا يكون في نسب ابن العضروط اللوّاط شيء يُعاب به البتّة!

وكان الأطرف لو أنّ الذين اختلقوا هذه الأُحجِية أردفوها بزيارة مبسوطة لابن أبي قحافة يقولون فيها: «**أشهد أنك طُهْرٌ طاهرٌ مطهَّرٌ من طُهْرٍ طاهرٍ مطَهَّرٍ لم تُنَجِّسْك الجاهليّة بأنجاسها ولم تُلبِسْكَ من مُدْلَهِمّات ثيابها**»! [٢]

---

(١) المصدر نفسه عن مصعب.

(٢) وردت هذه العبارات في زيارات أهل بيت الطهارة (صلوات الله عليهم) الذين يعرف القاصي والداني أنهم وحدهم لم يتلوّث نسبهم الشريف بما تلوّث به غيرهم من عهر الجاهلية، وهذا جدّهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) يعلنها على الملأ فيقول: «**أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن** =

ولا ندري كيف يتأتّى لنا أن نكذِّب كل ما مرّ من شهادات النسّابين والمؤرّخين والمحدّثين والشعراء واللغويّين في شأن نسب أبي بكر الوضيع وقبائح قبيلته وعار أسرته لنأخذ بهذه الأحجية الغريبة التي اختلقها أحد أحفاده درءًا للمعابة وستراً للعورة!

ذلك الحفيد هو **مصعب الزبيري** الذي هو من أحفاد أبي بكر من جهة ابنته أسماء، فهو **مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير**، وهو الذي اختلق هذه الأكذوبة التي لم يدّعيها أحد قبله فتابعه عليها جمهرة من أهل النسب حين وجدوا فيها ضالّتهم لتنزيه سيّدهم من عار نسبه الدنيء ولدفع المعنى الحقيقي من تسميته بعتيق!

ولم يعلم هذا الأخرق أنه باختلاقه لأكذوبته هذه يجعل نفسه في موضع الاتهام لأن التاريخ كلّه يكذّب مدّعاه، ولأنه من أقرباء أبي بكر المجروحة شهادتهم في هذا الصدد! بل إنه بما تفوّه به يجعل المحقّق يتيقّن من أن معنى اسم (عتيق) أبعد ما يكون عن هذا المدّعى وأنه أقرب إلى معاني النقص منه إلى معاني الكمال، وأن المعنى الحقيقي يقترب من معاكسة هذا المدّعى إذ «**كاد المريب أن يقول خذوني**»!

إن الشواهد التاريخية التي مرّت معنا كلّها تؤكّد أن في حسب أبي بكر نقائص وأيّ نقائص، ومعايب وأيّ معايب، ومثالب وأيّ مثالب.. حتى صارت العرب لا ترى داعياً لإسراف الوقت في هجاء قبيلة **تيْم** لأن انحطاطها أبيَنُ من الخُرء في الكنيف!

= **قصي بن كَلاّب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة ابن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار، وما افترق الناس فرقتين إلا جعلني الله في خيرهما، فأُخرجت من بين أبَويَّ فلم يصبني شيء من عهر الجاهلية، وخرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم حتى انتهيت إلى أبي وأمي، فأنا خيركم نفسا وخيركم أبا**». راجع السيرة النبوية لابن كثير ج١ ص١٩٠، وفيه عن الصادق عن أبيه الباقر (عليهما السلام) في قوله تعالى: «**لقد جاءكم رسول من أنفسكم. قال: لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية**».

هذا الحجناء بن جرير يقول: «**قلت لأبي: ما هجوتَ قوماً قطُّ إلا فضحتَهم إلا التَّيْم؟ فقال: يا بني.. إني لم أجد بناءً فأهدمه، ولا حسباً فأضعه**»![1]

وهذا **قيس بن سعد بن عبادة** (رضوان الله تعالى عليه) يخاطب أبا بكر بقوله: «**أيتها النعجة العرجاء والديك النافش! لا عزٌّ صميم ولا حسبٌ كريم**»![2] وكان ذلك حين تلاسنا في المسجد النبوي الشريف بعدما رفض قيس فكّ قطب الحديد الذي لواه أمير المؤمنين (عليه السلام) على عنق خالد بن الوليد عقاباً له على عزمه اغتياله بأمر أبي بكر في حادثة مشهورة.

وهذا **قيس بن عاصم المنقري** الذي وصفه النبي (صلى الله عليه وآله) بأنه سيّد أهل الوبر؛ يستحقر قدر أبي بكر لحقارة قبيلته، وذلك حين دخل ذات يوم على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قائلا: «**إني وأدتُ اثنتي عشرة بنتا في الجاهلية، فما أصنع؟ قال صلى الله عليه وسلم: اعتق عن كل موءودة نسَمة. فقال أبو بكر: ما الذي حملك على ذلك وأنت أكبر العرب؟ قال: مخافةَ أن ينكحهن مثلك! فتبسّم النبي صلى الله عليه وسلم وقال: هذا سيّد أهل الوبر**».[3]

وقد مرّ علينا قول الزهراء (صلوات الله عليها) في نسب أبي بكر وحسبه، وكذا قول أبي سفيان، وقول عمير بن الأهلب الضبّي، وغير هؤلاء في شأن منزلة قبيلة تيْم، وكلّها تصبّ

(١) طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي ج١ ص٥٩، والأغاني لأبي الفرج الأصبهاني ج٨ ص٣٨

(٢) إرشاد القلوب للديلمي ص٣٨١

(٣) نثر الدر للآبي ج١ ص١٥٠، ومحاضرات الأدباء للراغب ج١ ص١٤٨، وهو دليل آخر على أنه لا مقام لأبي بكر (لعنه الله) في الإسلام ولا حظّ له من الاحترام، فإن الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) قد أسقط احترام أبي بكر بنفسه حين وجّه قيس بن عاصم إهانته الصريحة له ولأصله القبلي فلم يردّ النبي عليه بل أيّد ما فعل بتبّسمه الكاشف عن رضاه، ثم مدحه لقيس ومنحه شرف السيادة.

في مصبّ ثبوت وضاعة وخسّة هذه القبيلة لعيوبها الكثيرة التي لا تُحصى في الجاهلية والإسلام.

وبعد هذا يُراد منّا أن نتغافل عن عقولنا فنؤمن بأن أبا بكر بن أبي قحافة التيمي قد سُمِّيَ بعتيق لأنه لم يكن في نسبه شيءٌ يُعاب به! وشاهدهم على ذلك حفيد أبي بكر نفسه مصعب بن عبد الله الزبيري! فكيف يؤخذ بقول مَن يجرُّ النار إلى قرصه ومَن يحلب حَلْباً له شطره؟!

المتحصّل مما سبق

إن كلّ ما أورده القوم من علل لتسمية أبي بكر بعتيق إنما هي تمحّلات ينقض بعضها بعضاً ولا يمكن الركون إليها بحال، فتصنّعها ظاهرٌ وتهافتها بيِّنٌ. وعليه فإذا أُريدَ الوقوف على السبب الحقيقي لتسمية أبي بكر بهذا الاسم فلا بدّ من الرجوع إلى المتبادَر منه معنىً، إذ لا طريق آخر. ثم إذا وجدنا لهذا المعنى المتبادَر ما يقوّي انطباقه على خصوص هذا المورد اعتمدناه وقلنا به.

أما المعنى المتبادر من كلمة (عتيق) فهو العبد الذي أُعتِق من العبودية. قال ابن منظور: «**العِتق خلاف الرِّق، وهو الحرية، وكذلك العَتاق بالفتح والعَتاقة. عَتَق العبدَ يعتق عَتقاً وعِتقاً وعَتاقاً وعِتاقةً فهو عتيق**».(١)

وقصد هذا المعنى جارٍ على الألسن بما هو الأصل في استعمال هذه اللفظة، ولذا تُستخدم في شرح وتفسير غيرها مما يحتمل أكثر من وجه، ولولا تبادر هذا المعنى الأوّلي منها لما

(١) لسان العرب لابن منظور – مادة عتق.

استُخدمت. وكمثال؛ قد ورد في حديث عائشة: «**إن مولى لرسول الله مات وترك شيئا.. إلخ**»، وقالوا في شرحه: « **إن مولى – أي عتيقاً – لرسول الله مات وترك شيئا**».[(١)]

وأما ما يقوّي انطباق هذا المعنى على خصوص أبي بكر فأمور؛ منها ما مرّ من سيرة ابن جُدعان من أنه كان يعتق عبيده وجواريه، كسلمى بنت حرملة الشهيرة **بالنابغة** أم عمرو بن العاص، وكذا **صُهيب بن سنان الرومي** حيث قالوا أن ابن جُدعان قد اشتراه ثم أعتقه.[(٢)]

ومنها اشتراك أبي بكر مع أخويه في الاشتقاق الاسمي، فهو عَتيق، وأخوه الآخر عُتَيْق الذي هو تصغير لاسمه، وأخوه الثالث مُعتَق الذي يحمل المعنى نفسه وهو العتق من العبودية.

ومنها ما مرّ من أن تيْماً قد غلب عليها العبيد المعتَقون حتى قيل: «**وهلْ تَيْمٌ إلاّ أَعْبُدٌ وإِماءُ**»؟!

إلى غير ذلك مما يجري في مجرى أن أبا بكر وأخواه إنما كانوا عبيدا لابن جُدعان تابعين لوالدهم أبي قحافة الذي كان يعمل خادماً عنده، فمنَّ عليهم ابن جُدعان بالعتق فصاروا عتقاءه. وقد غدا هذا الأمر بعد هذا التمحيص من أوضح الواضحات.

إذن تكون النتيجة أن اسم (عتيق) الذي عُرِف به أبو بكر في الجاهلية، إنما يعني أنه كان أحد العبيد الذين منَّ عليهم سيّدهم بالعتق، لا غير هذا.

---

(١) مرقاة المفاتيح في شرح مشكاة المصابيح للقاري ج١٠ ص٩، وعون المعبود في شرح سنن أبي داود للعظيم آبادي مع شرح ابن القيم الجوزية ج٨ ص٨٠

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر في ترجمة صهيب برقم: ٤١٢٤، ولعلّ هذا ما يفسّر تفاني صهيب (لعنه الله) في موالاة أبي بكر ومن بعده عمر، إذ هم جميعاً قد تربّوا في ماخور ابن جُدعان.

■ **الثروة الخرافية!**

أشاع المغالون في أبي بكر أنه كان ذا ثروة عظيمة قد صرفها في سبيل الله تعالى، وأنه كان صاحب الفضل على الإسلام والمسلمين من هذه الجهة، وأنه قد أنقذ العبيد الذين كانوا يشهرون إسلامهم في مكة فيشتريهم من أسيادهم ويحرّرهم، وأنه كان يموّل نفقات رسول الله صلى الله عليه وآله.. إلى ما هنالك من قصص منحولة وأساطير مسطورة قد دعّموها بأحاديث مكذوبة ومناقب موضوعة.

وتفنيد كل هذا سهل؛ وذلك لأنه لا يخلو من احتمالَيْن كلاهما باطل. أما الأوّل فأن تكون هذه الثروة قد وصلت لابن أبي قحافة وراثةً من أهله، كأن يكون ابن عائلة غنيّة ثريّة مثلا، وهذا فاسد لأنك عرفت مما سبق أنه ينتمي إلى طبقة فقيرة ذليلة، حتى أن والده كان يعمل عضروطاً، وحتى أن أمّه كانت بغيّةً، وكلاهما كان يضطر لأكل الذبّان قوتاً للنفس. وهذه الحال بحد ذاتها كافية لتبديد أكذوبة غنى أبي بكر لأنه إنْ كان غنيّاً حقاً لكفى والديه شظف العيش ولرفع عنهما هذا الهوان.

وأما الاحتمال الآخر فأن تكون هذه الثروة الطائلة قد تجمّعت لأبي بكر من عمله، كأن يكون تاجراً أو ذا مهنة تدرّ عليه مالاً جمّاً، وهذا أيضا فاسد لأننا حين فتّشنا عن مهنة أبي بكر وجدناها مهنة بسيطة عادية لا يمكن أن يجني من ورائها كل هذا الثراء الفاحش.

إنهم يذكرون أنه كان **بزّازاً**،[1] والبزّاز منسوب إلى **البَزّ** وهو الثوب، فإما أن يكون المعنى

---

(١) كنز العمال للمتقي الهندي ج٤ ص٣٣ عن أنس: «**إن أبا بكر الصديق كان بزازا**»، وتحفة الحبيب على شرح الخطيب لسليمان البجيرمي ج٤ ص٢٢٩ عن بصائر القدماء للتوحيدي، وكذا عنه حياة الحيوان الكبرى للدميري ج١ ص٢٧٥: «**كان أبو بكر الصديق بزازا**»، ومثله في جواهر العقود للمنهاجي الأسيوطي ج١ ص٤٨، والأعلاق النفيسة لابن رسته ص١٩٢.

أنه كان بائعا للثياب، أو صانعا لها، أو تاجراً بها. فالأوّل لا يُتصوّر فيه أن يغدو منه ثريّا، إذ إنه لا يكون سوى بائع أجير عند غيره، والثاني كذلك إذ إنه لا يكون سوى خيّاط يخيط الثياب، فيبقى الثالث وهو مردود بأنه يحتاج فيه إلى رأس مال يبدأ به تجارته، وقد عرفنا حال أسرته الفقيرة فلا يُتصوَّر أنه قد حصل منها على رأس ماله، كما لا يُتصوَّر أن أحدا قد وهبه إياه مثلا وإلا لذكره التاريخ وسجّل اسمه، وبذا لا يُحتمل أن يكون المعنى من كونه بزّازا أنه تاجر ثياب إلا إذا قيل تهكّماً أنه قد هبطت عليه فجأةً ثروة من السماء!

والمنقولات التاريخية تصرّح بكونه خيّاطاً، فقد نصّ على ذلك البيّاضي[١] والحلبي[٢] والكراجكي[٣] وغيرهم ممّن يوثق بنقلهم لبعدهم عن التأثيرات البكريّة وأجواء الغلاة.

ثم إننا حينما تأمّلنا في صفحات التاريخ وجدنا أن أثرياء مكة وأكابرها كانوا معروفين، تذكر الأخبار اجتماعاتهم وندواتهم التي تفرضها التعاملات التجارية بطبيعتها، ويتناقل الناس أنباءهم بتفصيلاتها ودقائقها، فيظهرون على الدوام قرناء لبعضهم بعضاً في كل تفاصيل الحياة، كما هو الحال اليوم بين أهل السوق والتجارة. إلا أننا لم نجد أثراً لابن أبي قحافة هناك بينهم، ولم ينقل لنا التاريخ مخالطته لهم، ولم يُظهر لنا أنه من سلكهم، وهذا مُحال مع القول بأنه من طبقتهم وأهل تجارتهم لأن التجارة بطبيعتها تفرض هذه المخالطة إذ ليست هي إلا تبادلاً ومقايضةً وبيعاً وشراءً، وإذ ذاك عرفنا أن أبا بكر ليس تاجراً ولا ثريّاً كأولئك، فإنه لو كان لبان.

---

(١) الصراط المستقيم للبياضي ج٣ ص١٠٤

(٢) تقريب المعارف لأبي الصلاح الحلبي ص٣٨٥

(٣) التعجب للكراجكي ص١٢٦

والواقع أن أصل اختلاق أسطورة ثراء أبي بكر إنما يعود إلى ابنته عائشة! فإنها هي التي زعمت: «**أنفق أبو بكر على النبي أربعين ألفاً**»![1] وهي التي تروي كذباً على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: «**ما نفعنا مالٌ قطُّ ما نفعنا مالُ أبي بكر**»![2]

وكل من له مسكة من العقل يرفض أقوال عائشة وأحاديثها المفرطة في امتداح أبيها، بل ويعتبرها دليلاً على الواقع العكسي، إذ ما هو غرض عائشة من تزكية أبيها بهذه الصورة مع أن الله تعالى يقول: «**فَلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى**»؟![3] إن غرضها لا يكون سوى الدعاية لأبيها لرفع شأنه وإعلاء شأن أسرتها، وإلا لو كان أبو بكر قد أنفق حقاً هذا المبلغ الهائل لوجب أن لا تحدّث عائشة به الناس لأن الله تعالى أعلم بمن اتقى وهو الذي سيثيب أباها على صنعه، وليس من الإيمان والتقوى في شيء أن يروّج الإنسان ذلك بين الناس دعايةً ورياءً وافتخاراً وطلباً للسمعة والشهرة!

---

(١) صحيح ابن حبّان ج١٥ ص٢٧٤ والسيرة الحلبية ج٢ ص٣٢ ، ولا يخفى قلة أدب عائشة إذ زعمت أن أباها **أنفق على النبي!** وكأن النبي (صلى الله عليه وآله) كان محتاجاً إلى ماله يستجديه والعياذ بالله! وقد كان بإمكانها أن تعبّر في كذبتها تعبيرا آخر لا يحطّ من مقام النبوة كأن تقول: **أنفق أبو بكر على الإسلام أو أنفق أبو بكر على المسلمين**.. ونحو هذا، إلا أنها إمعاناً في الاستنقاص من قدر وكرامة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ورفع قدر وشأن أبيها (عليها وعليه لعائن الله) عبّرت بهذا التعبير الشائن.

(٢) مسند الحميدي ج١ ص١٢١ ومسند أبي يعلى ج٧ ص٣٩٢، وقد تعلّم أبو هريرة من عائشة الكذب على النبي الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم) فروى الحديث المكذوب أيضاً كي يرضيها! مع أن أي مسلم منصف مهما كان مذهبه يعلم أنه حديث باطل لأنه يستهين بأسلوب غير مباشر بما قدّمته أم المؤمنين الصدّيقة **خديجة الكبرى** (سلام الله عليها) في سبيل الله تعالى، وهي كما يعلم الجميع صاحبة الفضل الأوّل في هذا المقام وكان لمالها النفع الأكبر والبركة العظمى في توطيد أركان الإسلام.

(٣) النجم: ٣٣

ثم إننا نتساءل: إذا كان أبو بكر قد أنفق حقاً كل هذه الأموال في خدمة الإسلام والمسلمين للزم أن يشتهر ذلك بين الناس، فلا يكون ثمة داعٍ لأن تُشيعه عائشة والكلّ يعلم به! وإذ ذاك نعلم أن هذه الأقوال والأحاديث ما هي إلا أكاذيب قد اختلقتها عائشة لتنسج لأبيها فضائل ومناقب ما أنزل الله بها من سلطان بغية رفع شأنه وشأنها!

إن عائشة رأت أباها لا فضائل له ولا مناقب، ورأت في المقابل أن الفضائل والمناقب تتركّز في أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولذا عمدت إلى ما عمدت إليه من الاختلاق والوضع، وتابعها على ذلك المتعصّبون لها المغالون في أبيها المهووسون بالولاء للحكّام والسلاطين، فأضافوا إلى أحاديثها الكاذبة كل ما طاب لهم.

وكان حسد عائشة لأم المؤمنين الصدّيقة **خديجة الكبرى** (سلام الله عليها) دافعاً يدفعها إلى اختلاق أساطير تنافس فيها فضائلها ومناقبها التي من أبرزها تضحيتها العظيمة بكل تجارتها ومالها وما تملك في سبيل الله تعالى حتى قال النبي صلى الله عليه وآله: «**ما قام ولا استقام ديني إلا بشيئين: مال خديجة وسيف علي بن أبي طالب**».[١] وقال صلى الله عليه وآله: «**وأين مثل خديجة؟ صدّقتني حين كذّبني الناس وأعانتني على ديني ودنياي بمالها**».[٢] وقال صلى الله عليه وآله: «**ما نفعني مالٌ قطُّ مثل ما نفعني مال خديجة**».[٣]

هنا تمتلئ عائشة غيظاً وحسداً فتكبت حقدها حتى إذا سنحت لها الفرصة بعد استشهاد النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) قامت فحرّفت الحديث الأخير بحذف اسم خديجة ووضع اسم أبيها مكانه!

---

(١) شجرة طوبى للحائري ج٢ ص٢٣٣، وتنقيح المقال للمامقاني ج٣ ص٧٧

(٢) إحقاق الحق للتستري ج٤ ص٤٨٠

(٣) أمالي الطوسي ص٤٦٨

وعائشة بنفسها تعترف بحسدها الشديد لأم المؤمنين خديجة الطاهرة (صلوات الله عليها) إذ تقول: «**ما حسدتُ امرأةً ما حسدتُ خديجة**»![١]

وهذا الاعتراف الخطير من عائشة يثبت أنها - بناءً على القواعد العلمية - كانت ذات قلب سقيم نجس![٢] وأن فيها داءً كامناً في النفس![٣] وأنها من المغضوب عليهم![٤] وأنها أخذت بركن من أركان الكفر![٥] وأنها من أهل النار![٦]

---

(١) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ص٧٥ وسنن الترمذي ج٥ ص٣٦٦ ومستدرك الحاكم ج٣ ص١٨٦. والتفت إلى أن مفهومه أن عائشة كانت تحسد نساءً كثيرات إلا أن حسدها لخديجة (عليها السلام) كان هو الأكبر، لا أن حسدها اقتصر عليها فقط. ما يعني أن صفة الحسد كانت ملازمة لعائشة على الدوام.

(٢) حيث يقول ابن القيم الجوزية في الجواب الكافي ص٨٤: «**القلب السليم هو الذي سلم من الشرك والغل والحقد والحسد**». ويقول ابن تيمية في مجموع الفتاوى ج١٣ ص٢٤٢: «**إن القلب لا يدخله حقائق الإيمان إذا كان فيه ما ينجّسه من الكبر والحسد**». وإذ تبيّن أن عائشة كانت حاسدةً بإقرارها؛ فإن قلبها يكون سقيما ونجساً لا تدخله حقائق الإيمان.

(٣) حيث يقول ابن القيم الجوزية في هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ص١٦: «**ومن أعظم هذه الأسباب الحسد، فإنه داء كامن في النفس**». وإذ صرّحت عائشة بأنها تحسد؛ فإن ذلك كاشف عن وجود داءٍ كامن في نفسها المريضة.

(٤) حيث يقول ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ص٦: «**وقد يُبتلى بعض المنتسبين إلى العلم وغيرهم بنوع من الحسد لمن هداه الله لعلم نافع أو عمل صالح، وهو خُلقٌ مذمومٌ مطلقاً، وهو في هذا الموضع من أخلاق المغضوب عليهم**». وإذ إن من أخلاق عائشة الحسد كما اعترفت؛ فإنها تكون من المغضوب عليهم.

(٥) حيث يقول ابن القيم الجوزية في الفوائد ص١٧٧: «**أركان الكفر أربعة: الكبر والحسد والغضب والشهوة**». وإذ قد صدر الحسد من عائشة فإنها تكون قد أخذت بركن من أركان الكفر.

(٦) حيث يقول ابن تيمية في مجموع الفتاوى ج١٠ ص٤٢٣: «**وأما عمل أهل النار فمثل الإشراك بالله والتكذيب بالرسل والكفر والحسد**». وإذ إن عائشة اعترفت بحسدها فإنها تكون من أهل النار.

على أن عائشة لم تكن تحبس نفسها عن إظهار حسدها لخديجة (عليها السلام) حتى في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله، الأمر الذي أغضبه (صلى الله عليه وآله) ذات مرّة غضباً شديداً دفعه لأن يؤدِّب عائشة ويعاقبها بجرِّها من طرف فمها وتقريعها!

فقد روى المخالفون عن أبي نجيح أنه: «**أُهديَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم جزور أو لحم، فأخذ رسول الله عظماً منها، فناوله الرسول بيده فقال: اذهبْ بهذا إلى فلانة. فقالت عائشة: لم غمرتَ يدك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مغضباً: إن خديجة أوصتني بها. فغارت عائشة وقالت: لكأنّه ليس في الأرض امرأةٌ إلا خديجة!**

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم مغضباً، فلبث ما شاء الله، ثم رجع فإذا أم رومان قالت: يا رسول الله ما لك ولعائشة؟ إنها حدثة وإنك أحقُّ من تجاوز عنها، فأخذ بشدق عائشة وقال: ألستِ القائلة: كأنما ليس على الأرض امرأةٌ إلا خديجة! والله لقد آمنت بي إذ كفر قومك، ورُزِقتْ مني الولد وحُرمتموه»![(١)]

---

(١) الروض الآنف للسهيلي ج١ ص٤١٤، والمعنى أن النبي (صلى الله عليه وآله) أُهدِيَ إليه بعض اللحم فأخذ جزءاً منه بيده وأرسله مع رسولٍ من قبله إلى إحدى النساء اللاتي أوصت بهن خديجة عليها السلام، ولمّا عرفت عائشة بذلك أخذها الحقد والحسد فقالت ما قالت، فخرج النبي (صلى الله عليه وآله) غاضبا ثم عاد بعد فترة وإذا بأم عائشة (أم رومان) كانت في استقباله تلتمس العذر لابنتها بقولها: (إنها حدثة) أي صغيرة جاهلة، إلا أن النبي أبى إلا أن يؤدّبها فأخذ شدقها - أي طرف فمها - وعنّفها هذا التعنيف الشديد، مؤكّدا فضل خديجة (صلوات الله عليها) على سائر نسائه إذ آمنت به حين كفر به قوم عائشة، ورُزِقت منه بالولد وحُرِمت من ذلك الأخريات.

هذا وقد روى البخاري في ج١٣ ص١٣٢ عن عائشة: «**ما غرت على أحد من نساء النبي ما غرت على خديجة، وما رأيتها ولكن كان النبي يُكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاءً ثم يبعثها في صدائق خديجة، فربما قلت له: كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة! فيقول إنها كانت وكانت، وكان لي منها ولد**».

■ **أول القوم إسلاماً أم نفاقاً؟!**

كان تمركز الفضائل والمناقب في الإمام علي بن أبي طالب (عليهما السلام) مثار قلق الطائفة البكرية على مرّ الزمان، فعليٌّ الذي يُقرُّ أحمد بن حنبل بأنه الأكثر فضائلاً[١] كان يمثل تحدياً مباشراً ومربكاً للعقيدة البكرية المبنية على أساس تفضيل غيره عليه، وما كان ذلك التفضيل ليتحقق لاصطدامه بما حازه علي (عليه السلام) من الفضائل التي لا تُعدُّ ولا تُحصى.

إزاء هذا الواقع الصعب دخل زعماء الطائفة البكرية في سباق محموم لتتبع الفضائل العلوية ومعالجتها، إما بالتشكيك فيها، أو بالتحريف في ألفاظها، أو بصرفها عن دلالتها، أو باختلاق نظير لها في الخصوم، أو ما شاكل ذلك مما يسلب تلك الفضائل وجودها المعنوي. كل هذا لنفي أن عليا (عليه السلام) أفضل وأشرف وأكثر تفوقاً على غيره.

إحدى المحاولات التي جرت في هذا الصدد تمثّلت بنفي كون أمير المؤمنين (عليه السلام) أول القوم إسلاماً، وهي الحقيقة التي لا ينكرها إلا مكابر إذ هي فوق التواتر، ودونك ما رواه أحمد والطبراني وغيرهما من قول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لابنته الزهراء (صلوات الله عليها) حينما عادها: «**أوَما ترضيْن أني زوّجتك أقدم أمتي سلماً وأكثرهم علماً وأعظمهم حلماً**».[٢]

---

(١) روى الحاكم النيسابوري في المستدرك ج٣ ص١٠٧ بسنده عن محمد بن منصور الطوسي قال: «**سمعت أحمد بن حنبل يقول: ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفضائل ما جاء لعلي رضي الله عنه**».

وروى ابن عبد البر في الاستيعاب ج٢ ص٤٧٦ أن أحمد بن حنبل وإسماعيل بن إسحاق القاضي قالا: «**لم يُروَ في فضائل أحد من الصحابة بالأسانيد الحسان ما رُويَ في فضائل علي بن أبي طالب**».

(٢) مسند أحمد بن حنبل ج٥ ص٢٦ والمعجم الكبير للطبراني ج٢٠ ص٢٣٠ وغيرهما كثير.

حاول البكريّون مناقضة هذه الحقيقة بادّعاء أن أبا بكر بن أبي قحافة كان أوّل القوم إسلاماً. ومن أطرف ما أقدموا عليه في هذا الصدد هو سرقتهم ألفاظ الزيارة المشهورة التي زار بها الخضر (عليه السلام) أمير المؤمنين (عليه السلام) في يوم استشهاده حيث جعلوها على لسان علي يخاطب بها أبا بكر يوم هلاكه!

قد رُوَي حديث هذه الزيارة عن أُسَيْد بن صفوان قال: «**لمّا كان اليوم الذي قُبِضَ فيه أمير المؤمنين عليه السلام ارتجّ الموضع بالبكاء ودُهش الناس كيوم قُبض النبي صلى الله عليه وآله، وجاء رجل باكيا وهو مسرع مسترجع وهو يقول: اليوم انقطعت خلافة النبوة. حتى وقف على باب البيت الذي فيه أمير المؤمنين عليه السلام فقال: رحمك الله يا أبا الحسن، كنت أول القوم إسلاماً وأخلصهم إيمانا وأشدّهم يقينا وأخوفهم لله وأعظمهم عناءً وأحوطهم على رسول الله صلى الله عليه وآله وآمنهم على أصحابه وأفضلهم مناقب وأكرمهم سوابق وأرفعهم درجة** – إلى قوله – **فألحقك الله بنبيه ولا أحرمنا أجرك ولا أضلنا بعدك. وسكت القوم حتى انقضى كلامه وبكى، وبكى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم طلبوه فلم يصادفوه**».(١)

ومع تغييرات طفيفة في الألفاظ والعبارات؛ روى البكريّون هذا الحديث بعينه وهذه الزيارة بعينها بدعوى أن أمير المؤمنين (عليه السلام) هو الذي جاء ووقف على باب أبي بكر وخاطبه بها يوم هلاكه! فقد رووا عن أُسَيْد بن صفوان قال: «**لما توفي أبو بكر رضي الله عنه سجّوْه بثوب فارتجت المدينة بالبكاء ودُهش الناس كيوم قُبِضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجاء علي بن أبي طالب مسرعاً مسترجعاً وهو يقول: اليوم انقطعت خلافة النبوة.**

(١) الكافي للكليني ج١ ص٤٥٤ والأمالي للصدوق ص٣١٢، كما رواه من المخالفين القندوزي الحنفي في ينابيع المودة ج١ ص٢٠٣ باختلاف يسير مختصرا.

حتى وقف على باب البيت الذي فيه أبو بكر فقال: رحمك الله يا أبا بكر، كنت أول القوم إسلاماً وأخلصهم إيمانا وأشدهم يقينا وأخوفهم لله وأعظمهم عناءً وأحوطهم على رسوله وأحدبهم على الإسلام وآمنهم على أصحابه وأحسنهم صحبة وأفضلهم مناقب وأكثرهم سوابق وأرفعهم درجة – إلى قوله – **فألحقك الله بنبيك ولا حرمنا الله أجرك ولا أضلّنا بعدك. وسكت الناس حتى قضى كلامه ثم بكى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا: صدقت يابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم**».[(١)]

بطبيعة الحال؛ أراد البكريون من هذه المحاولة الفاشلة إثبات أن أبا بكر هو أول القوم إسلاما وأخلصهم إيمانا وأفضلهم مناقب.. بوضع كل ذلك على لسان علي (عليه السلام) وهو الحائز على ما ذُكر وأكثر باعتراف العدوّ والصديق!

غير أن مكمن الطرافة هو أن الواضع الكذاب لم يكلّف نفسه عناء صوغ عبارات وألفاظ جديدة علّها تخفي وراءها حقيقة الوضع والاختلاق؛ بل عمد إلى استنساخ إحدى الأحاديث الشيعية المشهورة والتي يحفظها الشيعة عن ظهر قلب ويتوارثونها جيلا بعد جيل إذ يزورون إمامهم بها ورد فيها من عبارات وألفاظ على الدوام! فكيف يتوقع هذا الأخرق والحال هذه أن تخفى سرقته وأن يقي نفسه الفضيحة؟! سيّما أنه استنسخ الحديث بسنده وفيه رجال الشيعة كأحمد بن زيد النيسابوري والعوام بن خوشب وعمر بن إبراهيم الهاشمي وعبد الملك بن عمر!

---

(١) مسند البزّار ج٢ ص٢٢ وتاريخ دمشق لابن عساكر ج٣٠ ص٤٣٨

لذا فإن بعض علماء البكريين لم يتحمّل فضيحة هذا الحديث فاعترف بأنه موضوع مكذوب، ومن هؤلاء الذهبي حيث علّق عليه بالقول: «**يشهد القلب بوضع ذلك**»![١] كما علّق عليه الهيثمي بالقول: «**رواه البزّار وفيه عمر بن إبراهيم وهو كذاب**».[٢]

ورغم ذلك فإن بعض حمير البكريين الذين يحملون أسفاراً مازال يستشهد بهذا الحديث الموضوع المكذوب إلى اليوم! ومن هؤلاء الوهابي المعاصر **محمد بن صالح العثيمين** في خطبة له ألقاها بعنوان: «**في حياة أبي بكر رضي الله عنه**» وقال فيها: «**وصفه علي رضي الله عنه فقال: كنتَ أول القوم إسلاما وأخلصهم إيمانا**.. إلخ».[٣]

كعادتهم؛ يسير البكريون وراء الأكاذيب بغية تفخيم أمر صاحبهم أبي بكر، ويتشبّثون بأية قشّة بالية للمحافظة على منزلته الخرافية التي وضعوه فيها عبر التاريخ، ويستمرّ كبراؤهم في خداع صغارهم برسم صور أسطورية عن أبي بكر ومن يتلوه من خلفائه وأضرابه مع أنها تناقض في حيثياتها صريح القرآن والسنة القطعية.

وواحدة من هذه الصور الكاذبة هي أن أبا بكر كان أول من آمن. فلنقم الآن بجرد سريع للحقائق والأدلة التي تفنّد ذلك:

• لا يستند الادعاء بأن أبا بكر كان أول من آمن إلى أي حديث نبوي شريف! بل هو يصطدم بالأحاديث النبوية التي تنص وتؤكد على أن الإمام علي بن أبي طالب (عليهما السلام) هو أول المؤمنين، وقد مرّ عليك إحداها وقد رواه أحمد والطبراني، وهاكَ غيرها مما رواه أعلام المخالفين.

---

(١) ميزان الاعتدال للذهبي ج٣ ص١٨٠

(٢) مجمع الزوائد للهيثمي ج٩ ص٤٨

(٣) رقم الخطبة ٤٧٠ وقد ألقيت في الجامع الكبير لمدينة عنيزة.

روى الطبراني والبزّار - بلفظين متقاربين - عن أبي ذر وسلمان قالا: «**أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد علي رضي الله عنه فقال: إن هذا أول من آمن بي، وهو أول من يصافحني يوم القيامة، وهذا الصديق الأكبر، وهذا فاروق الأمة يفرّق بين الحق والباطل، وهذا يعسوب الدين، والمال يعسوب الظالم**».[١]

وروى الحاكم عن سلمان قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أوّلكم واردا على الحوض أوّلكم إسلاما؛ علي بن أبي طالب**».[٢]

وروى ابن عساكر عن ابن عباس قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: علي أول من آمن بي وصدّقني**».[٣]

وروى ابن عساكر أيضا عن عمر بن الخطاب قال: «**ضرب النبي صلى الله عليه وسلم بيده على منكب علي فقال له: يا علي، أنت أول المؤمنين إيمانا، وأنت أول المسلمين إسلاما، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى**».[٤]

وروى أبو نعيم عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**يا علي لك سبع خصال لا يُحاجُّك فيهنَّ يوم القيامة أحد؛ أنت أول المؤمنين بالله إيمانا، وأوفاهم بعهد الله، وأقومهم بأمر الله، وأرأفهم بالرعيّة، وأقسمهم بالسويّة، وأعلمهم بالقضية، وأعظمهم مزيّة**».[٥]

---

(١) المعجم الكبير للطبراني ج٦ ص٢٦٩ ومسند البزّار ج٥ ص٣٠٤

(٢) المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ج٣ ص١٣٦

(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر ج١ ص٢٣٧٢

(٤) تاريخ دمشق لابن عساكر ج٤٢ ص١٦٧

(٥) حلية الأولياء لأبي نعيم ج١ ص٦٦

ولا شكّ أن الذي يُعرض عن هذه الأحاديث الشريفة ويقدِّم عليها أقوالاً لغير سيد المرسلين (صلى الله عليه وآله) محاولا التشكيك في صحة هذه الأحاديث؛ لا شكّ أن في قلبه مرض، سيّما أن الذي يقدّمه على هذه الأحاديث هو أقوال شاذة ضعيفة واهنة لا تستقيم، كما سيوافيك.

● ليس الدليل الذي يسوقه المخالفون في دعوى أن سيدهم أبا بكر هو أول المؤمنين إلا من قبيل ما رووه عن أبي بكر نفسه من أنه قال للتأكيد على أحقيته بالخلافة: «**ألستُ أحقّ الناس بها؟! ألستُ أوّل من أسلم؟! ألستُ صاحب كذا؟! ألستُ صاحب كذا**»؟![1]

وغير خافٍ أن شهادة المرء لنفسه مردودة، فكيف بتزكيته لنفسه في مثل هذا الشأن؟! على أننا لو تنزّلنا وسلّمنا بشهادته؛ لكانت معارَضة بالنصوص المأثورة عن علي (عليه السلام) كقوله: «**إني وُلدتُ على الفطرة، وسبقتُ إلى الإيمان والهجرة**».[2]

وكقوله: «**أنا أول رجل صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم**».[3]

وكقوله على المنبر: «**اللهم لا أعرف أن عبداً لك من هذه الأمة عَبَدك قبلي غير نبيك صلى الله عليه وسلم - ثلاث مرات - لقد صلّيتُ قبل أن يصلي الناس سبعاً**».[4]

وكقوله: «**عبدتُ الله مع رسول الله سبع سنين قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة**».[5]

---

(1) سنن الترمذي ج5 ص273

(2) نهج البلاغة - الخطبة 57

(3) مسند أحمد ج1 ص141، ومصنف ابن أبي شيبة ج8 ص332، وفي تاريخ دمشق لابن عساكر ج42 ص31: «**أنا أول رجل صلى أو أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم**».

(4) مسند أحمد ج1 ص99، وقد أضافوا له صدراً مختَلَقاً بقصد الإساءة إلى أبي طالب عليه السلام!

(5) مستدرك الحاكم ج3 ص112، وكنز العمال ج13 ص122 وغيرهما كثير.

وكقوله: «**أنا أول مَن أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم**».[(١)]

وكقوله: «**إني عبد الله وأخو رسوله، وأنا الصديق الأكبر، لا يقولها بعدي إلا كذاب، صليت قبل الناس بسبع سنين قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة**».[(٢)]

وكقوله: «**أنا الصديق الأكبر والفاروق الأول، أسلمتُ قبل إسلام أبي بكر وصلّيتُ قبل صلاته**».[(٣)]

---

(١) الكامل لابن عدي ج٥ ص٤، والبداية والنهاية لابن كثير ج٧ ص٣٧. وقد سلك ابن كثير مسلك النُّصّاب من أبناء البغايا في وقاحتهم، حيث أراد التشكيك في صحة هذا الخبر والذي سبقه بالاستهزاء براويه **حبّة بن جُويْن العرني** الذي هو أحد أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، فقال وهو يُسند الخبريْن إليه: «**وحبة لا يساوي حبة**»!

هكذا بعيدا عن المنهج العلمي والأخلاقي يستهزئ ابن كثير بهذا الرجل لمجرّد أنه روى ما يؤكد حقيقة كون علي (عليه السلام) أول القوم إسلاما، وهو ما يأباه ابن كثير الناصبي ويريده فضيلة لإمامه أبي بكر**!** فطفق يستهزئ بالرجل بهذا الأسلوب الفجّ، ولا عجب أن يفعل ذلك فهو ابن كثير، ولو كان ابن واحد لما فعل**!**

على أن هناك من علماء العامة من أنصف الرجل وإن وُصِف بالمغالاة في التشيع، فقد قال العجلي عنه: «**تابعي ثقة**»، وقال ابن عدي: «**ما رأيت له منكرا قد جاوز الحد**»، وقال الطبراني: «**يُقال له رؤية**». راجع في ذلك: القول المسدَّد في مسند أحمد لابن حجر العسقلاني ص٦٤، وقد قال عن تشيّع حبّة: «**قلتُ: هذا لا يقتضي أن يكون حديثه موضوعاً**».

(٢) مستدرك الحاكم ج٣ ص١١٢ وسنن ابن ماجة ج١ ص٤٤ وقال: «**في الزوائد: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات. رواه الحاكم في المستدرك عن المنهال وقال: صحيح على شرط الشيخين**»، وتاريخ الطبري ج٢ ص٣١٠. وبمقتضى هذا الحديث الصحيح فإن أبا بكر يكون كذابا كما مرّ عليك.

(٣) المعارف لابن قتيبة ص١٦٧ وشرح النهج لابن أبي الحديد ج٤ ص١٢٢، ومن هذا الحديث والذي قبله تعرف أن أمير المؤمنين (عليه السلام) كان أوّل من واجه أكذوبة أن أبا بكر (لعنه الله) هو أول القوم إسلاما، حتى أنه قطع طريق تأويل الأحاديث – كما فعله بعض المخالفين – إذ نصّ صراحةً على أن إسلامه كان قبل إسلام أبي بكر وصلاته كانت قبل صلاته. هذا وستعرف أن إسلام أبي بكر كان نفاقا وصلاته كذلك.

وكقوله شعرا:

«محمــدٌ النبــيُّ أخــي وصــهري وحمــزة ســيد الــشهداء عمّــي
وجعفــر الــذي يُمــسي ويُــضحي يطــير مــع الملائكــة ابــن أمّــي
وبنــتُ محمَّــدٍ ســكني وعُــرسي منــوطٌ لحمهــا بــدمي ولحمــي
وســبطا أحمــدٍ ولــداي منهــا فــأيّكمُ لــه ســهمٌ كــسهمي
ســبقتكمُ إلى الإســلام طُــرّاً صــغيراً مــا بلغــتُ أوان حُلمــي»[1]

إلى غيرها من النصوص المستفيضة التي يـصرّح فيهـا أبـو الحسن (صـلوات الله عليـه) بسبقه غيره إلى الإسلام والإيمان، وهي أصحّ وأكثر استفاضة وأقـرب للاطمئنـان مـن تلـك التي زعم فيها أبو بكر أنه الأسبق.

فإن قيل: كيف رفضتم شهادة أبي بكـر لنفـسه وقبلـتم شـهادة عـلي لنفـسه مـع أن كـلا الأمريْن واحد؟

قلنا: لأننا لو رفضنا شهادة علي (عليه السلام) كنا بذلك كافرين بكلام الله تعالى في كتابه المجيد، فإنه جلّ وعلا نفى عن علي وأهل بيت رسول الله (صلوات الله علـيهم) الـرجس في قوله: «**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**»[2] وقد اتفقت الأمة على أن الآية نزلت فيه وفي زوجته وابناهما عليهم السلام. وحيث إن الكذب من الرجس بلا خلاف؛ فإنه يكون منفيا عن علي (عليه السلام) وبذا يجـب تـصديقه في مـا يقـول لوجـوب

(١) كنز العمال ج١٣ ص١١٢، وتاريخ دمشق ج٤٢ ص٥٢١.

(٢) الأحزاب: ٣٢

تصديق القرآن، والعلم بأن ما يذكره علي (عليه السلام) من فضائل تخصّه لا يكون من باب تزكية النفس وإنما من باب: «**وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**».[١]

أما أبو بكر فلم ينفِ الله تعالى عنه الرجس أو الكذب، ولا نفاهما عنه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، فلا تقاوم شهادته شهادة الصدّيقين الصادقين من آل محمد عليهم السلام. أضف إلى ذلك أن شهادة علي (عليه السلام) تعضّدها شهادات غيره وقرائن معتبرة على خط التاريخ، أما أبو بكر فلا يعضّد شهادته لنفسه شيء، وسيأتيك التفصيل.

ثم إنّا لو غضضنا الطرف عن ذلك أيضا، فإن النصوص المأثورة عن علي (عليه السلام) تبقى مُسقطةً لشهادة أبي بكر لنفسه ولو من باب التعارض والتساقط. والنتيجة أنه لا حجية لما يرويه القوم عن أبي بكر من دعواه أنه كان أول المسلمين.

- إن الأكثرية الساحقة تقول بأن أمير المؤمنين (عليه السلام) هو أول من آمن، أما الذين زعموا ذلك لأبي بكر فليسوا سوى شرذمة قليلة لا يُعتَدُّ بها.

قال الحاكم: «**لا أعلم خلافا بين أصحاب التواريخ أن عليا أولهم إسلاماً**».[٢]

وقال ابن عبد البر: «**واختُلِف في الأوّل منهما، فرُويَ عن حسان بن ثابت وإبراهيم النخعي وطائفة: أبو بكر أول من أسلم، والأكثر منهم يقولون: علي**».[٣]

وقال ابن عبد البر أيضا: «**اتفق ابن شهاب وعبد الله بن محمد بن عقيل وقتادة وابن إسحاق على أن أول من أسلم من الرجال علي**».[٤]

---

(١) الضحى: ١٢

(٢) تفسير القرطبي ج٨ ص٢٣٦

(٣) الدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبد البر ج١ ص٤

(٤) شرح النهج لابن أبي الحديد ج٤ ص١١٨

وقبلهم قال زيد بن أرقم صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أول من أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم علي**».[(١)]

وقال القرطبي: «**وقيل: أول من أسلم علي، رُوي ذلك عن زيد بن أرقم وأبي ذر والمقداد وغيرهم**».[(٢)]

وقال ابن أبي الحديد: «**فأما الذاهبون إلى أن أبا بكر أقدمهما إسلاماً فنفرٌ قليلون (...) فدلَّ مجموع ما ذكرناه أن عليا أول الناس إسلاماً وأن المخالف في ذلك شاذٌ، والشاذ لا يُعتدُّ به**».[(٣)]

ومع كل هذه الأدلة الواضحة المفعمة بشهادات أرباب السِّيَر والتواريخ والتي تؤكد أن قول الأكثر هو أن عليا (عليه السلام) الأسبق إيمانا وأن من يخالف ذلك شاذ لا يعتد به؛ يأتي ناصبي قديم ليستحمر الناس فيعكس كفّتيْ الميزان كذباً، مدّعياً أن الأكثر يقولون بأسبقية أبي بكر دون أن يوضح لنا من هم هؤلاء (الأكثر)! رامياً بالكلام على عواهنه فقط!

ذلك الناصبي النجس هو ابن تيمية، الذي زعم زعمه هذا بلا دليل أو برهان يستقيم، فقال: «**قول القائل: علي أول من صلى مع النبي ممنوع! بل أكثر الناس على خلاف ذلك! وأن أبا بكر صلى قبله**»![(٤)]

كيف هذا وما هو الدليل ومَن قال به؟! لا يكترث ابن تيمية بالإجابة.

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة ج٨ ص٤٤٩ وغيره.

(٢) تفسير القرطبي ج٨ ص٢٣٦

(٣) شرح النهج لابن أبي الحديد ج٤ ص١٢٣ وص١٢٥

(٤) منهاج السنة لابن تيمية ج٧ ص٢٧٣.

ولم يقف ابن تيمية عند هذا الحدّ؛ بل تطاول على مقام سيد الموحدين علي بن أبي طالب (صلوات الله عليهما) بالتشكيك في صحة إسلامه من رأس! باعتبار أن عليا (عليه السلام) كان حين إسلامه صبيا صغيرا!

قال لعنه الله: «**وقيل: إن علياً أسلم قبله، لكن علي كان صغيراً وإسلام الصبي فيه نزاع بين العلماء! ولا نزاع في أن إسلام أبي بكر أكمل وأنفع**»![(١)]

كانت هذه محاولة من محاولات هذا الناصبي لخدش هذه الفضيلة الثابتة لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام، غير أنها كمثيلاتها محاولة يائسة لم يترتّب عليها سوى استفزاز المشاعر، إلى حدّ أن علماء دينه كفّروه وعزّروه.

قال ابن حجر العسقلاني عنه: «**ومنهم من ينسبه الى النفاق، لقوله في علي أنه أخطأ في سبعة عشر شيئاً ثم خالف فيها نص الكتاب! منها: إعتداد المتوفى عنها زوجها أطول الأجلين. ولقوله: إنه كان مخذولاً حيثما توجه! وإنه حاول الخلافة مراراً فلم ينلها! وإنما قاتل للرياسة لا للديانة! ولقوله: إنه كان يحب الرياسة (...) ولقوله: علي أسلم صبياً والصبي لا يصح إسلامه على قول! (...) فإنه شنّع في ذلك، فألزموه بالنفاق لقوله صلى الله عليه وسلم: ولا يبغضك إلا منافق**».[(٢)]

إن النواصب امتلأوا غيظاً من فضيلة أسبقية أمير المؤمنين (عليه السلام) والتي تجرّد أبا بكر منها، فطفقوا يشككون في صحة إسلام علي (عليه السلام) حتى لا يكون لإسلامه قبل أبي بكر أي أثر! وتثبت بذلك فضيلة أسبقية ابن أبي قحافة!

---

(١) منهاج السنة لابن تيمية ج٧ ص١٥٥

(٢) الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة لابن حجر العسقلاني ج١ ص١٥٥

وليس ههنا محل الردّ على هذا التشكيك التافه إذ ليس هذا الفصل معقودا لردّ مثل هذه التشكيكات، لذا فإننا نكتفي بردّ مختصر نقول فيه: إن إسلام الصبيّ صحيح، لأن مناط قبوله هو الإدراك والتمييز وعليهما تترتّب الآثار الشرعية الكثيرة في أبواب الفقه كما يعرفه القاصي والداني، وليس مناط القبول هو بلوغ الحلم. نعم البلوغ تترتّب عليه آثار ذات نطاق أوسع فحسْب، ولا مدخلية لوسع النطاق أو ضيقه بأصل قبول الإسلام أو كماله وتمامه، فهو كامل تام، أما الآثار والأحكام فلها شأنها الآخر، ونظير ذلك - ضيقا ووسعا - ما بين تكليف المرأة وتكليف الرجل من فروقات، وما بين تكليف الحر وتكليف العبد أيضا، غير أن الجميع مسلم مكتمل الإسلام.

وأيا كان؛ فإن صاحب الشريعة (صلى الله عليه وآله) قد قبل إسلامه، وجعله يصلّي إلى جواره، وكلّفه بأعماله وشؤونه، بل وأنذر عشيرته الأقربين ونصبه وليا لعهده وخليفة من بعده، فلا يمكن لمتخرّص أن يتخرّص بعدم قبول إسلامه وقد قبله صاحب الشريعة نفسه صلى الله عليه وآله وسلم.

على أن مثل هذا البحث في علي (صلوات الله عليه) من باب السالبة بانتفاء الموضوع، فإنه ولي الله وحجته، لم يكن غير مسلم قطّ حتى يُسلم!

● حيث لم يجد المخالفون بدّا من الإذعان لحقيقة أن عليا (صلوات الله عليه) هو أول المؤمنين؛ فإنهم جاءوا بما يُشرك سيّدهم أبا بكر بهذه الفضيلة، وذلك بتصنيف الأسبقية على حسب العمر والجنس والحالة حتى يدخل أبو بكر في إحدى هذه الأقسام والفوارز قسراً ثم تُعتمد النتيجة كصيغة دينية رسمية موحّدة!

ما أقدموا عليه بخبث ودهاء تلخّص في كلمة إسحاق بن إبراهيم بن راهويه الحنظلي إذ قال: «**أول من أسلم من الرجال أبو بكر، ومن النساء خديجة، ومن الصبيان علي، ومن الموالي زيد بن حارثة، ومن العبيد بلال، والله أعلم**»![1]

وبالفعل فإن هذه الصيغة هي الرسمية المعتمدة اليوم عند عموم الطائفة البكرية، فلا تجد أحدا من صغارها أو كبارها لم يعرفها أو يحفظها، فهم يلقّنون أبناءهم بها تلقينا منذ المراحل الدراسية الابتدائية في هذه الدول الأعرابية.

وتعمّدوا - كما ترى - أن يجعلوا أول من يذكرونه هو أبو بكر! ولهم مع ذلك المنفذ والمخرج، فإنه لو قيل لهم: كيف قدّمتموه والمشهور المستفيض أن عليا وخديجة (عليهما السلام) سبقاه في الإيمان؟ قالوا: إنما قدّمناه باعتبار أنه أول مَن آمن مِن الرجال البالغين! والرجل البالغ يقدَّم على الصبيان والنساء وإن سبقوه!

بهذه الحيلة استطاع البكريّون تمويه الحقيقة وحشر اسم أبي بكر في (السبّاقين) حشراً دون أن يظهر على وجه التحديد أيهما كان أسبق: علي أم هو؟! لأن الاعتبار قد تغيّر مع ابتداع هذا التصنيف الجديد! فذاك سبق الصبيان وهذا سبق الرجال! كما أن خديجة سبقت النساء وزيدا سبق الموالي وبلالا سبق العبيد! أما مَن مِن هؤلاء سبق الآخر؟ فليس بالأمر المهم! وبهذا يُغبَن علي (عليه السلام) وتضيع فضيلته وسط هذا التصنيف المبتدَع!

وليت أن البكريّين أكملوا القائمة لتكون أكثر سخرية! أعني لو أنهم بيّنوا لنا أول من أسلم من الأنصار! وأول من أسلم من الفتيات الصغيرات! وأول من أسلم من الإماء! وأول من أسلم من رعاة الإبل! وأول من أسلم من قابلات النساء! وهكذا إلى أن تطول القائمة وتبدو أكثر إنصافاً على الأقل! لكنهم لم يفعلوا والسبب معلوم، فإن المهم عندهم كان

---

(١) تفسير القرطبي ج٨ ص٢٣٧

حشر اسم أبي بكر بأي نحو كان، وما اقتصروا عليه كانت الكفاية به لتحقيق هذه الغاية، فلا داعي لمزيد من التوسع في القائمة المبتكرة والتصنيف المبتدع!

ولكن.. هل صحيح أن أبا بكر سبق غيره من (الرجال) باعتناق الإسلام؟!

ليس الأمر كذلك! فقد سبقه آخرون أسلموا قبله، غير أن زعماء الطائفة البكرية يتجاهلون ويستجهلون! ولعل الأتباع الصغار سيتفاجأون إذا ما علموا بأن من يسمّونهم (صحابة) كانوا من أوائل النافين لأسبقية إسلام أبي بكر ومن أوائل المثبتين لتقدّم إسلام كُثُرٍ قبله! وأن من هؤلاء النافين المثبتين ابنته عائشة نفسها! فأي سماءٍ تُظِلُّ البكريين وأي أرض تُقِلُّهم بعد هذا؟![1] لننظر:

قال الطبري: «**وقال آخرون: أسلم قبل أبي بكر جماعةٌ**».[2] لا واحد ولا اثنان؛ بل جماعة على حدّ قول أولئك الذين نقل عنهم الطبري.

وروى عن الزهري وسليمان بن يسار وعمران بن أبي أنس وعروة: «**أن زيد بن حارثة أول من أسلم من الرجال**».[3] فعلى أقلّ تقدير لم يكن أبو بكر أوّلهم.

---

(١) استعرنا المقولة من أبي بكر نفسه! فإنه حين سُئل عن معنى قوله تعالى: «**وَفَاكِهَةً وَأَبًّا**» لم يعرف ماذا يجيب وهو الجاهل بن الجاهل! فقال: «**أي سماءٍ تُظِلُّني وأي أرضٍ تُقِلُّني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم**»؟! أخرجه أبو عبيد وابن أبي شيبة وعبد بن حميد والطبري وغيرهم، كما في كنز العمال للمتقي الهندي ج١ ص٢٧٤ والأبُّ هو الحشائش وكل ما ترعاه الأغنام، وعدم معرفة أبي بكر بمعنى هذه الكلمة يثبت أن جهله كان جهلا مُدقعاً إلى أدنى المستويات فكيف مع هذا أصبح إماماً وخليفةً؟!

(٢) تاريخ الطبري ج٢ ص٦٠

(٣) المصدر نفسه.

وروى الطبري أيضا عن ابن اسحاق: «**ثم أسلم زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان أول ذكر أسلم وصلى بعد علي بن أبي طالب**».[1] فعلى أقل تقدير ليس أبو بكر بالأول ولا الثاني.

وروى الذهبي عن الحسن بن زيد: «**أن عليا أول ذكر أسلم، ثم أسلم زيد، ثم جعفر، وكان أبو بكر الرابع أو الخامس**».[2] فعلى أقل تقدير ليس أبو بكر بالأول ولا الثاني ولا الثالث، وربما لا يكون الرابع أيضاً.

وروى أبو هلال العسكري عن الشعبي عن أشياخه أن أبا بكر لما قدم مكة قال: «**ومن تبعه على مخالفة دينهم؟ قالوا: بنو أبي طالب**».[3] فعلى أقل تقدير ليس أبو بكر بالأول ولا الثاني ولا الثالث ولا الرابع، لأن أبناء أبي طالب كانوا أربعة؛ طالب وعقيل وجعفر وعلي. فإن قلنا بأن العبارة على سبيل التغليب لا الجمع والحصر؛ لم يكن أبو بكر بالأول ولا الثاني لثبوت إسلام علي وجعفر عليهما السلام.

وروى أبو هلال العسكري أيضاً عن عائشة أنها حين خطبت في البصرة تحرّض الناس على قتال أمير المؤمنين (عليه السلام) قالت في جملة ما قالته: «**وأبي رابع أربعة من المسلمين**».[4] فليس أبو بكر عند ابنته بأول المسلمين؛ بل هو رابعهم، وهي ترى ذلك أعظم ما استطاعت أن تدّعيه لأبيها آنذاك.

---

(١) تاريخ الطبري ج٢ ص٦٠

(٢) سير أعلام النبلاء ج١ ص٢١٥

(٣) الأوائل لأبي هلال العسكري ص٣٥، وعلّق عليه بالقول: «**وهذا يدل على أن عليا عليه السلام إذ ذاك بالغ، ولو كان صبياً صغيراً لما اعتُدَّ به تابعاً**».

(٤) المصدر نفسه ص٣٧

وقال أبو جعفر الإسكافي: «**إن جمهور المحدثين لم يذكروا أن أبا بكر أسلم إلا بعد عدّة من الرجال منهم: علي بن أبي طالب، وجعفر أخوه، وزيد بن حارثة، وأبو ذر الغفاري، وعمرو بن عنبسة السلمي، وخالد بن سعيد بن العاص، وخباب بن الأرت**».[١] فعلى أقل تقدير يكون أبو بكر متأخرا عن سبعة سبقوه في الإيمان.

أما سعد بن أبي وقاص فقد جعل أبا بكر من متأخري المتأخرين! فقد روى الطبري بسنده عن محمد بن سعد قال: «**قلت لأبي: أكان أبو بكر أوّلكم إسلاماً؟ فقال: لا! ولقد أسلم قبله أكثر من خمسين! ولكن كان أفضلنا إسلاماً**».[٢] لا واحد ولا اثنان؛ بل أكثر من

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج١٣ ص٢٢٤ وقال فيه: «**فأما الرواية عن ابن عباس أن أبا بكر أولهم إسلاما فقد رُوي عن ابن عباس خلاف ذلك بأكثر مما رووا وأشهر**». فكان ابن عباس مكذوبا عليه في هذا أيضا.

(٢) تاريخ الطبري ج٢ ص٦٠، والأظهر أن ذيله زيادة منحولة كما فعلوا مع حديث محمد بن الحنفية، فقد روى ابن أبي شيبة وغيره عن سالم قال: «**قلت لابن الحنفية: أبو بكر كان أول القوم إسلاما؟ قال: لا. قلت: فيما علا أبو بكر وسبق حتى لا يُذكر غير أبي بكر؟ فقال: كان أفضلهم إسلاما حين أسلم حتى لحق بالله**». راجع مصنف ابن أبي شيبة ج٧ ص٤٧٢، وقد ذكر الحديث تارة مع زيادة: «**قلت: فيما علا.. إلى آخره**» وأخرى بدونها كما في ج٨ ص٤٢، وهو ما يقوّي كونها منحولة مختلقة، وكذا حال ذيل حديث سعد بن أبي وقاص وإنْ لم يكن بعيداً صدوره عنه لموالاته لأبي بكر، إلا أن ما يظهر هو أن القوم أرادوا الفرار من ادعائهم أن أبا بكر أول القوم إسلاماً - لسقوط ذلك بالأدلة والشواهد - فزعموا هذه المرة أنه كان الأفضل إسلاماً! ثم جاء بعضهم وقال بأن معنى كونه أول القوم إسلاماً إنما هو أنه كان أول القوم إظهاراً للإسلام، أما علي (عليه السلام) فكان يكتم إيمانه خوفاً من أبيه وقومه! وليت شعري ما أسخف هذه الأقوال! ولست أدري كيف كان علي (عليه السلام) يكتم إيمانه وهو يصلي مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) وخديجة (عليها السلام) كل يوم أمام مرأى الجميع في المسجد الحرام؟!

خمسين كلّهم قد تقدّم إسلامهم على إسلام ابن أبي قحافة كما يقـول سـعد بـن أبي وقـاص في رواية صحيحة رجالها ثقات يرويها الطبري.

والنتيجـة من ضمّ ما تقدّم بعضه إلى بعض؛ انقشاع الغبار عن حقيقة أن أبا بكـر لم يكـن أول القوم إسلاما، بل ولا من أوائلهم، بل كان من الذين تأخّر إسلامهم بعد أكثر من خمسين رجلا. وبذلك تعرف أن كل ما يُروى من أن جماعةً قد أسلموا بسببه إنما هـو مـن الأكاذيـب الموضوعة في ما بعد، لأن الأسماء التي ذكروها جميعها قد ثبت أن أصـحابها قـد أسـلموا مـن قبل وقد أخذوا تعداداً ترتيبياً هو دون الخمسين بكثير.

وبملاحظة أن تعداد المسلمين لم يبلغ المئتين حتى سـنة هجـرة النبـي الأعظـم (صـلى الله عليه وآله وسلم) إلى المدينة المنورة، وهي السنة الثالثة عـشر مـن البعثـة الـشريفة؛ يـرجح أن إسلام أبي بكر تأخر عدّة سنوات لتأخره عن خمسين رجـلا هـم ربـع المـسلمين طـوال هـذه الفترة. وتعضِّد ذلك الروايات التي مرّت معنا والتي تشير إلى أن أمير المؤمنين (عليه السلام) كان أوحد الرجال المسلمين لفترة تمتدّ من ثـلاث سـنوات عـلى أقـل التقـادير إلى سـبع عـلى أكثرها، فلم يكن يصلّي إلى جوار رسول الله سواه وخديجة عليهم جميعا سلام الله.

بعد تثبيت هذا؛ يطلّ هذا السؤال برأسه وهو: **لماذا أسلم أبو بكر متأخراً ومـا هـو دافعـه إلى ذلك؟**

بَدَهيٌّ أن تأخّر إسلام شخص ما – مع أنه كان معاصرا للنبـي الأعظـم (صـلى الله عليـه وآله وسلم) وواقفا على دلائله ومعاينا لمعجزاته – يبعث الشك والريبة فيه، فالوجدان شاهد على أن معظم هؤلاء الذين يتأخّر إسلامهم إنما يُـسلمون لاحقـاً عـن غـير إيـمان، فيُظهـرون إسلامهم عن نفاق أو طمع أو اضطرار، كما هو حال مسلمة الفتح مثلا.

ولو أن أبا بكر كان في بلدة أخرى غير مكة، أو في مجتمع واسع كبير؛ لأمكن التماس العذر لتأخر إسلامه إذ يمكن أن يُقال: لعلّه لم تتسنَّ له في بادئ الأمر فرصة لقاء النبي (صلى الله عليه وآله) والوقوف على دلائله ومعاينة معجزاته، وهو ما جعل إسلامه يتأخر إلى حين.

إلا أن أبا بكر كان يعيش في مكة، ذلك المجتمع الصغير الذي يعرف كلٌ فيه صاحبه تمام المعرفة، فعلى مَ تأخر إسلامه مع وقوفه على دعوة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم؟

إن هذا التأخر يقرِّب أن وراء إظهار الرجل إسلامه دافع آخر غير التصديق القلبي والإيمان الحقيقي، ومن الجانب الآخر ينبغي أن نستبعد أيضا أن يكون هذا الدافع هو الاضطرار، أي أن يكون إسلام أبي بكر عن رهبة، ذلك لأن المرحلة التي أظهر فيها إسلامه كانت قبل اشتداد أمر الإسلام بقيام دولته في المدينة المنورة، فلا يُتصَوَّر أنه قد خاف واضطر لقبول الإسلام كرها كما فعل مسلمة الفتح والطلقاء.

فالحقّ أن حال أبي بكر لم تكن لا هذه ولا هذه، وإنما كانت تشبه إلى حدٍّ ما حال **عبد الله بن أبي بن سلول** كبير منافقي يثرب، الذي دخل الإسلام طمعاً في بادئ الأمر بأن يكون له شأن فيه بعدما فقد أمله في أن ينصَّب ملكاً على قومه، ثم لما أدرك أنه ليس بنائل شيئا من ذلك عمد إلى تخريب الإسلام والمجتمع الإسلامي من الداخل.

هذا هو ما أوضحه الإمام صاحب الزمان (صلوات الله عليه) حينما أجاب على سؤال وجّهه إليه **سعد بن عبد الله القمي الأشعري** نقلا عن ناصبي احتج عليه بقوله: «**معاشر الروافض! تقولون أن أبا بكر وعمر كانا ينافقان، وتستدلون بذلك بليلة العقبة،**[1] **فأخبرني**

(١) حادثة شهيرة أراد فيها بعض الخونة من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) قتله بالنفر بناقته من العقبة حينما كان (صلى الله عليه وآله) راجعا من تبوك. وكان على رأس المشاركين في هذه المؤامرة أبو بكر وعمر وعثمان كما رواه **الوليد بن جميع** وهو ثقة من شيوخ مسلم. راجع المحلّى لابن حزم ج١١ ص٢٢٤

عن إسلامهما؛ كان من طوع ورغبة أو كان عن إكراه وإجبار»؟ قال سعد بن عبد الله: «فاحترزت عن جواب ذلك وقلت مع نفسي: إن كنت أجبته بأنه كان عن إكراه وإجبار؛ لم يكن في ذلك الوقت للإسلام قوة حتى يكون إسلامهما بإكراه وقهر! فرجعت عن هذا الخصم على حال ينقطع كبدي، فأخذت طومارا وكتبت بضعا وأربعين مسألة من المسائل الغامضة التي لم يكن عندي جوابها، فقلت: ادفعها إلى صاحب مولاي أبي محمد الحسن بن علي عليهما السلام الذي كان في قم أحمد بن اسحاق. فلما طلبته كان هو قد ذهب فمشيت على أثره فأدركته وقلت الحال معه. فقال لي: جئ معي إلى سُرَّ من رأى حتى نسأل عن هذه المسائل مولانا الحسن بن علي عليهما السلام. فذهبت معه إلى سُرَّ من رأى ثم جئنا إلى باب دار مولانا عليه السلام فاستأذنا عليه فأَذِنَ لنا، فدخلنا الدار (...) ولما دخلنا ووقع أعيننا على أبي محمد الحسن العسكري عليهما السلام كان وجهه كالقمر ليلة البدر! وقد رأينا على فخذه غلاما يشبه المشتري في الحسن والجمال! وكان على رأسه ذوابتان (...) فنظر إليَّ مولانا أبومحمد العسكري عليه السلام وقال: ما جاء بك يا سعد؟ فقلت: شوَّقني أحمد بن اسحاق إلى لقاء مولانا. قال: المسائل التي أردت أن تسأل عنها؟ قلت: على حالها يا مولاي. قال: فاسأل قرة عيني - وأومى إلى الغلام - عما بدا لك (وكان من جملة ما أجابه الإمام صاحب الأمر عليه السلام) وأما ما قال لك الخصم: بأنهما أسلما طوعا أو كرها؟ لمَ لمْ تقل: بل إنهما أسلما طمعاً، وذلك أنهما يخالطان مع اليهود ويخبَران بخروج محمد صلى الله عليه وآله واستيلائه على العرب من التوراة والكتب المقدسة وملاحم قصة محمد صلى الله عليه وآله، ويقولون لهما: يكون استيلاؤه على العرب كاستيلاء بخت نصر على بني إسرائيل إلا أنه يدّعي النبوة ولا يكون من النبوة في شيء، فلما ظهر أمر رسول الله فساعدا معه على شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله طمعاً أن يجدا من جهة ولاية رسول الله ولاية بلد اذا انتظم أمره وحَسُن باله واستقامت ولايته، فلما أَيِسا من ذلك وافقا مع أمثالهما ليلة العقبة وتلثّما مثل مَن تلثَّم منهم،

فنفروا بدابة رسول الله لتسقطه ويصير هالكاً بسقوطه بعد أن صعد العقبة فيمن صعد، فحفظ الله تعالى نبيه من كيدهم ولم يقدروا أن يفعلوا شيئا، وكان حالهما كحال طلحة والزبير اذ جاءا علياً عليه السلام وبايعاه طمعا أن تكون لكل واحد منهما ولاية، فلما لم يكن ذلك وأيسا من الولاية نكثا بيعته وخرجا عليه حتى آل أمر كل واحد منهما إلى ما يؤول أمر من ينكث العهود والمواثيق. ثم قام مولانا الحسن بن علي عليهما السلام لصلاته وقام القائم معه».[١]

إن جواب الإمام صاحب الزمان (عليه السلام) يتلخّص في أن أبا بكر وعمر كانا يخالطان أهل الكتاب، وأن هؤلاء هم الذين أعلموهما نقلا عن كتبهم المقدسة أن محمدا (صلى الله عليه وآله) سيستولي على العرب وسيصبح ملكا عليهم، إلا أنه ليس نبيّا حسب زعمهم، وهذا هو ما دفع أبا بكر وعمر إلى أن يدخلوا في الإسلام طمعاً في أن ينالا من النبي (صلى الله عليه وآله) منصباً ما، كولاية بلد ما، إلا أنهما لمّا أيسا من ذلك تآمرا مع الآخرين على قتل النبي (صلى الله عليه وآله) في العقبة ونكثا العهود والمواثيق كما فعل طلحة والزبير في ما بعد.

لعل المخالفين سيرفضون هذا النصّ من باب أنه مروي من قبل الشيعة، غير أننا وكما نبّهنا في محاضراتنا غير مرّة أنه ما من نصّ وارد عن أئمتنا (صلوات الله عليهم) في شأن حقائق الدين والتاريخ إلا ونجد له قرائن تعضِّده في مصادر أهل الخلاف.

ومن القرائن الواضحة على أن أبا بكر كان يخالط أهل الكتاب وأنه قد علم منهم أن النبي (صلى الله عليه وآله) سيستولي على العرب هو ما رُوي في مصادر أهل الخلاف من أنه كان مع قافلة تجارية فيها رسول الله (صلى الله عليه وآله) متجهة نحو الشام، فلما توقفت

---

(١) الاحتجاج للطبرسي ج٢ ص٢٧٤

جلس النبي تحت ظل سدرة، فذهب أبـو بكـر إلى راهـب يـسأله عـن الـدين، وهنـاك سـأله الراهب: «**من الرجل الذي في ظل السدرة؟ فقال أبو بكـر: ذاك محمـد بـن عبـد الله بـن عبـد المطلب. فقال الراهب: هذا والله نبي! وما استظل تحتها أحد بعد عيسى بن مريم إلا محمد نبي الله. فوقع في قلب أبي بكر اليقين والتصديق، فلما نُبِّئَ رسول الله وهو ابن أربعـين سـنة، وأبـو بكر ابن ثمان وثلاثين سنة؛ أسلم وصدّق رسول الله**».[١]

المستفاد من هذه الرواية أن أبا بكر كان عالما بأن محمدا (صلى الله عليـه وآلـه) هـو نبـي، وذلك حين «ذهب إلى راهب يسأله عن الدين»، وكان علمه بذلك قبل سـنوات عديـدة مـن البعثة الشريفة.

هذا يدلِّل أولا على أن أبـا بكـر كـان يخـالط علـماء أهـل الكتـاب ويقـصدهم للـسؤال والتحرّي، ثم يؤيِّد ثانيا ما ورد في كلام الإمام صاحب الزمان (عليه السلام) مـن أنـه حيـث علم بحتمية ظهور هذا النبي فإنه عقد العزم على الدخول في دينه طمعاً وبقصد الانتفاع.

ومن الطبيعي أن تضفي الرواية البكرية على موقف أبي بكر حالة إيمانيـة تـصديقية، وردّ ذلك لا يعنينا بشيء إذ ما يعنينا في المقام هو إثبات مخالطته لعلـماء أهـل الكتـاب واسـتخباره منهم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فيكون ذلك شاهداً مؤيِّداً لما ورد عندنا.

وثمة رواية أخرى يرويها المخالفون تشير إلى أن راهباً أبلغ أبا بكر بأنه سـينال حظـاً مـن خلافة هذا النبي الموعود، فقد جاء: «**إن أبا بكر الصديق رضي الله عنه لما كان تـاجراً في زمـن الجاهلية كان سبب إسلامه أنه رأى يوماً في منامـه وهـو بالـشام أن الـشمس والقمـر نـزلا في حجره ثم أخذهما بيده وضمّهما إلى صدره وأسبل عليهما رداءه، فانتبه وذهب إلى راهب يسأله عن الرؤيا، فحضر عند الراهب وسأله عن الرؤيا وطلب منه التعبير. فقال الراهب:** مـن أيـن

---

(١) أسباب النزول للواحدي النيسابوري ص٢٥٥ وكنز العمال ج١٢ ص٥٠٦ وغيرهما كثير.

أنت؟ قال: من مكة. قال: ومن أي قبيلة؟ قال: من بني تيم. فقال: ما شأنك؟ قال: التجارة. فقال له: يخرج في زمانك رجلٌ يُقال له محمد الأمين، تتبعه ويكون من قبيلة بني هاشم وهو نبي آخر الزمان، وأنت تدخل في دينه وتكون وزيره وخليفته من بعده، وقد وجدتُ نعته وصفته في التوراة والزبور».(١)

ومضمون هذه الرواية كأختها تدعّم ما نطق به صاحب الأمر (صلوات الله عليه) من أن الرهبان أبلغوا أبا بكر بما وجدوه في الكتب المقدسة من صفة النبي (صلى الله عليه وآله) وما سيجري له، وليس بعيدا أن يكونوا قد أبلغوه بأنه هو الذي سيتمكن من انتزاع خلافة هذا النبي من بعده فتكون السلطة والقدرة له.

ومن نافلة القول هنا أنني شخصياً قد التقيت بأحد كبار علماء اللاهوت النصراني وهو **البروفسور توماس ماكلوين** الذي أسلم لاحقاً بعد وقوفه على حقيقية البشائر التي وردت في التوراة والإنجيل حول نبيّنا الأعظم وأهل بيته الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين، فسألته عمّا إذا كان لاحظ أيضاً في كتبهم المقدسة أية إشارات إلى أبي بكر وعمر ودورهما التخريبي والانقلابي في دين آخر الزمان، فأجابني بالإيجاب، فسألته أن يشرع بكتابة بحوث علمية حول ذلك فاستجاب لذلك جزاه الله خيراً، وكتب بحثاً باللغة الإنجليزية نشرته جريدة (شيعة نيوز) التي تصدر في لندن.(٢)

وعلى هذا فإن دافع أبي بكر للدخول في الإسلام لم يكن إلا ما أنبأه به علماء أهل الكتاب من أن المستقبل سيكون لصالح دعوة هذا النبي الجديد، فوجدها أبو بكر - بعدما استيقن

---

(١) عمدة التحقيق في بشائر آل الصديق لإبراهيم العبيدي المالكي ص٢١

(٢) راجع جريدة (The Shia newspaper) الصادرة عن هيئة خدام المهدي (عليه السلام) في لندن، العدد رقم:١ ص١٤، وعنوان البحث بالإنجليزية: Danial 7, the little horn and Omar

من الأمر على أرض الواقع بعد فترة - فرصته السانحة للتغلغل في هذا الدين طمعاً في الولاية والإمرة، وقد نالها أخيرا بتدبيره انقلاباً دموياً على الشرعية بعد استشهاد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله.

وحيث تبيّن أن أبا بكر لم يكن أوّل من أسلم وأنه قد تأخّر إسلامه، وهو ما بعث في الذهن تساؤلاً عن دافعه الحقيقي نحو إظهار إسلامه في ما بعد؛ فإن هذا التحليل الذي تؤكده النصوص والشواهد التاريخية يكون معقولاً.

ثم إذا تتبّعنا أدوار أبي بكر وسلوكه العام داخل دائرة المجتمع الإسلامي؛ فإننا نتلمس أنه كان يبحث عن شيءٍ ما يبغي التوصّل إليه، ولم يكن ذلك إلا ما انكشف لاحقاً بعد استشهاد النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) وهو سعيه وراء السلطة. تماماً كحال **عبد الله ابن أبيّ بن سلول** كبير منافقي المدينة الذي رأى ضياع فرصة أن يكون ملكاً على يثرب بعد هجرة نبي الإسلام (صلى الله عليه وآله) إليها، فألجأ نفسه إلى إظهار الإسلام أملاً في أن ينال ضمن هذا الواقع الجديد موقعاً زعامياً أو منصباً ما، فلما وجد أنه لا حظَّ له ولا نصيب طفق يتآمر على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وشارك في مخطط اغتياله في **العقبة** لإرجاع النظام السابق والوصول إلى الحكم.

هذا كلّه يجعل في النفس يقيناً من أن أبا بكر كان أوّل القوم نفاقاً لا إسلاماً، فقد أظهر الإسلام لا لشيء سوى الاستفادة من النظام الجديد وتحقيق هدفه في الانتقال من الطبقات الاجتماعية المتدنّية التي كان يعيش فيها إلى حيث القمّة باستيلائه على السلطة في أعظم دولة أقيمت على جزيرة العرب آنذاك.

وكثيرةٌ هي الأدلة التي تميط اللثام عن حقيقة كون أبي بكر منافقاً وأن الإيمان لم يدخل قلبه، فإن كُلاً من القرآن الحكيم والحديث الشريف والتاريخ ينطق بذلك، ونحن ننتقي ههنا بعضاً من تلكم الأدلة:

أما من القرآن؛ فقد قال تبارك وتعالى: «**إِلا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**».[١]

ومدلول الآية الكريمة – على خلاف ما يتوهّمه حمقى المخالفين – ينفي الإيمان عن ابن أبي قحافة، ذلك لأنه قد حُرم من السكينة في قوله تعالى: «**فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ**» حيث لم يقل: «**فأنزل الله سكينته عليهما**» مع أن النبي (صلى الله عليه وآله) وأبا بكر كلاهما محتاجان لها في ذلك الظرف إذ يطاردهما المشركون، وهذا الحرمان من السكينة يكشف عن عدم استحقاق أبي بكر لها، ولا يكون عدم استحقاقه لها إلا لعدم إيمانه، إذ لو كان مؤمناً لوجب أن يشمله نزول السكينة، ذلك لأن الله تعالى قال قبل هذا في السورة نفسها: «**ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ**»[٢] كما قال في سورة أخرى: «**فَأَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا**».[٣]

فالحاصل أن أبا بكر وفق هذه الآيات ليس من المؤمنين وإلا لكانت السكينة قد نزلت عليه كما أنزلها الله جلّ جلاله على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) التوبة: ٤٠

(٢) التوبة: ٢٦

(٣) الفتح: ٢٧

وأما من الحديث؛ فقد روى مالك بن أنس عن أبي النضر مولى عمر بن عبيد الله أنه بلغه: «**أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لشهداء أُحُد: هؤلاء أشهد عليهم. فقال أبو بكر الصديق: ألسنا يا رسول الله بإخوانهم أسلمنا كما أسلموا وجاهدنا كما جاهدوا؟! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بلى ولكن لا أدري ما تُحدثون بعدي! فبكى أبو بكر ثم بكى ثم قال: أَ إنّا لكائنون بعدك**»؟![1]

ومعنى هذا الحديث أن النبي (صلى الله عليه وآله) قد شهد على شهداء أُحُد بأنهم مؤمنون مآلهم إلى الجنة، فلمّا طلب أبو بكر أن يُشهد له وللباقين بذلك أيضاً من باب اشتراكهم مع هؤلاء الشهداء في الإسلام والجهاد؛ أقرّ النبي (صلى الله عليه وآله) باشتراكهم في تلكم الأفعال غير أنه امتنع عن الشهادة لهم بالإيمان والجنة لأنه لا يدري ما يُحدثون بعده من البدع والمحدَثات والمنكرات، ولا تكفي تلكم الأفعال وحدها للشهادة على المرء بالإيمان إذ المهم هو أن تكون صادرةً عن إخلاص ويقين، ثم العبرة هي بخواتيم الأعمال وحُسن العاقبة.

ولو أن أبا بكر كان كما يزعم المخالفون مبشَّراً بالجنة لكان اللازم على النبي (صلى الله عليه وآله) أن يقول في ذلك الحديث جواباً له: «**بلى وأنت منهم أشهد لك بالإيمان وأبشّرك بالجنة، ولكن لا أدري ما يُحدث الباقون بعدي**». فكان امتناعه (صلى الله عليه وآله) عن الشهادة لأبي بكر بالإيمان والنجاة، وإدخاله إياه في جملة من لا تُعلم عاقبة أمره ممن قد يُحدث ويبتدع ويرتدّ؛ دليلاً على أنه لم ينصّ على إيمانه ولم يبشّره بالجنة كما ورد في الأحاديث الموضوعة.

(١) موطّأ مالك ج٢ ص٤٦١

وأما من التاريخ؛ فقد وجدنا أبا بكر يعترف بقوله: «**إن لي شيطاناً يحضرني فإذا رأيتموني قد غضبت فاجتنبوني**»![١] وفي لفظ آخر: «**إن لي شيطاناً يعتريني فإذا غضبت فاجتنبوني**»![٢]

وقوله هذا دليل على عدم إيمانه، إذ لو كان مؤمناً لما حضره أو اعتراه الشيطان وتسلّط عليه حتى يجعله يغضب فيضطر الناس للاجتناب عنه! ذلك لأن الله تبارك تعالى يقول: «**إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ**» ويقول عن الشيطان: «**إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ**».[٣]

فأبو بكر قطعاً «ليس من الذين آمنوا» بل من الذين «كفروا وأشركوا وهم يتولّون الشيطان» ولذلك كان يحضره ويعتريه باعترافه!

ثم إنّا وجدنا أن أبا بكر في حادثة تاريخية أخرى يصرّح بكفره! وذلك حين خرج عن طوره بسبب السُّكر فأفصح وهو ثمل بمكنونات صدره وتطاول على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي جاءه غاضباً ورفع عليه يده قاصداً ضربه وتأديبه!

هذه الحادثة المشهورة هي التي أسميناها في محاضراتنا تهكماً «**بار خمر الصحابة**»! وحاصلها أن جمعاً من هؤلاء كانوا يجتمعون ليحتسون الخمر في دار **أبي طلحة الأنصاري**، وكان من جملة هؤلاء أبو بكر بن أبي قحافة وعمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل وسهيل بن بيضاء وأبو دجانة وأبيّ بن كعب وأبا أيوب الأنصاري فضلاً عن أبي طلحة، وكان الساقي أنس بن مالك، فكانوا عشرة رجال، وهناك مَن قال أنهم أحد عشر.[٤]

(١) المعجم الأوسط للطبراني ج٨ ص٢٦٧

(٢) كنز العمال للمتقي الهندي ج٣ ص١٣٦

(٣) الأعراف:٢٨ والنحل: ٩٨ - ٩٩

(٤) لاحظ تعدادهم وأسماءهم في فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر ج١٠ ص٣١

والروايات في شأن هذه الحادثة كثيرة متعدّدة الطرق، منها ما رواه البخاري عن أنس ابن مالك قوله: «**كنت أسقي أبا عبيدة وأبا طلحة وأبيّ بن كعب من فضيخ زهو وتمر فجاءهم آتٍ فقال: إن الخمر قد حُرِّمت! فقال أبو طلحة: قُم يا أنس فأهرقها، فأهرقتها**».(١)

ومنها ما رواه الطبري وابن كثير عن أنس قوله: «**بينا أنا أدير الكأس على أبي طلحة وأبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل وسهيل بن بيضاء وأبي دجانة حتى مالت رؤوسهم من خليط بسر وتمر! فسمعنا منادياً ينادي: ألا إن الخمر قد حُرِّمت! قال: فما دخل علينا داخل ولا خرج منا خارج حتى أهرقنا الشراب وكسرنا القِلال**».(٢)

ومنها ما رواه البزّار وابن مردويه بألفاظ متقاربة عن أنس قوله: «**كنت ساقي القوم تيناً وزبيباً خلطناهما جميعاً، وكان في القوم رجل يُقال له أبو بكر! فلما شرب قال:**

أُحيِّـــي أمَّ بَكْـــرٍ بالـــسَّلامْ وهَلْ لكِ بعدَ قومكِ من سَلامْ؟!

يحـدُّثنا الرَّسـولُ بِـأَنْ سـنَحْيا وكيـفُ حيـاةُ أصْـداءٍ وهـامْ؟!

فبينا نحن كذلك والقوم يشربون؛ إذ دخل علينا رجلٌ من المسلمين فقال: ما تصنعون؟! إن الله تبارك وتعالى قد نزّل تحريم الخمر. فأرقنا الباقية وكفأناها».(٣)

ومنها ما رواه الفاكهي بسنده عن أبي القموص قال: «**شرب أبو بكر الخمر فأنشأ يقول فذكر الأبيات، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام يجرّ إزاره حتى دخل، فتلقّاه**

(١) صحيح البخاري ج٦ ص٢٤١. وفضيخ زهو وتمر: شراب خمري يُتخّذ من البسر الملوّن والتمر بإضافة الماء.

(٢) تفسير الطبري ج٧ ص٥٠ وتفسير ابن كثير ج٢ ص٩٧

(٣) مجمع الزوائد للهيثمي ج٥ ص٥١ عن البزّار في مسنده، وفتح الباري لابن حجر ج١٠ ص٣١ عن البزّار في مسنده وابن مردويه في تفسيره.

عمر وكان مع أبي بكر، فلمّا نظر إلى وجهه محمرّاً قال: نعوذ بالله من غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله لا يلج لنا رأساً أبداً، فكان أوّل من حرّمها على نفسه».[1]

وفي لفظ آخر لرواية أبي القموص قال: «**شرب أبو بكر رضي الله عنه الخمر - يعني من قبل نزول تحريمها - فقعد ينوح على قتلى بدر ويُنشد أبياتا. فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فخرج حتى أتاه فرفع عليه شيئاً في يده! فقال أبو بكر: أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله»**![2]

---

(1) الإصابة لابن حجر ج٧ ص٣٩ عن الفاكهي في كتاب مكة.

(2) نوادر الأصول في أحاديث الرسول للحكيم الترمذي ج١ ص١٠٩، واعتبر الحديث «**مما تنكره القلوب لأن الله أعاذ الصدّيقين - يقصد أبا بكر - من فعل الخنا وأقوال أهله وإن كان قبل التحريم**»! فانظر كيف يحاولون تبرئة ساحة أبي بكر من شرب الخمر مع أن ذلك على حدّ زعمهم كان قبل تحريمها فلا إثم عليه! أما رسول الله الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) فلا يجدون حرجاً من أن ينسبوا إليه أنه قد شرب الخمر والنبيذ حتى وهو في المسجد! فقد قال الدهلوي كما في مدارج النبوة ص٨٢ عن سبب تسمية **مسجد الفضيخ** في المدينة المنورة بهذا الاسم: «**وأخرج الإمام أحمد في مسنده من حديث ابن عمر أنه قد أُتِيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الموضع بكوز فيه فضيخ فشربه! فسُمِّيَ بمسجد الفضيخ لذلك**»!

وأخرج مسلم في صحيحه ج٦ ص١٠٥ عن جابر بن عبد الله قال: «**كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستسقى، فقال رجل: ألا نسقيك نبيذا؟ فقال: بلى! فخرج الرجل يسعى، فجاء بقدح فيه نبيذ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا خمّرته ولو تعرض عليه عودا؟ قال: فشرب**»!

فانظر بالله عليك إلى هؤلاء القوم كيف انتفخت أوداجهم حين نُسب أمر شرب المُسكر إلى سيّدهم أبا بكر، فيما لم يحرّكوا ساكناً وهم يروون كذبا وزورا أن سيّد الأنبياء (صلى الله عليه وآله وسلم) قد شربه! أ فبعد هذا يقولون: إنّا مسلمون؟! كلا وحاشا.. بل هم البكريّون والإسلام منهم براء.

وإثر ذلك قال نفطويه الظاهري: «**شرب أبو بكر الخمر قبل أن تحرم ورثى قتلى بدر من المشركين**».[(١)]

يبدو أن المخالفين أحرجهم اشتراك أبي بكر في هذه الفضيحة المشهورة فحاولوا تبرئته منها والخروج من مأزق ثبوت أنه قد شرب الخمر وسكر ونطق بهذه الأبيات الكفرية، وقد تمثّلت محاولاتهم في هذا الصدد بثلاث:

الأولى؛ أنهم حاولوا تضعيف أسناد الأخبار التي تثبت اشتراك أبي بكر في جلسة السكر والعربدة هذه! وهو ما فعله الهيثمي والحكيم الترمذي مثلاً. غير أن هذه المحاولة باءت بالفشل لأن ابن حجر نصّ على أن سند ابن مردويه عن عيسى بن طهمان هو سند صحيح نظيف! ولذلك استغرب وادّعى أن هناك غلطاً قد وقع في نصّ الخبر بحسب ظنه! قال ابن حجر: «**ومن المستغربات ما أورده ابن مردويه في تفسيره من طريق عيسى بن طهمان عن أنس أن أبا بكر وعمر كانا فيهم، وهو منكر مع نظافة سنده وما أظنه إلا غلطا**»![(٢)]

الثانية؛ أنهم حاولوا اختراع مخرج آخر للقصة ولو على نحو طرح الاحتمالات التي تحفظ ماء وجه ابن أبي قحافة وصاحبه ابن الخطاب، كالذي طرحه ابن حجر من أنهما لم يتواجدا في دار أبي طلحة - أو بار أبي طلحة! - بقصد احتساء الخمر وإنما كانا يزوران أصدقاءهما فقط! قائلاً: «**ويُحتمل إن كان محفوظاً أن يكون أبو بكر وعمر زارا أبا طلحة في ذلك اليوم ولم يشربا معهم**»![(٣)]

(١) الإصابة لابن حجر ج٧ ص٣٩

(٢) فتح الباري لابن حجر ج١ ص٣١

(٣) المصدر نفسه.

الثالثة: أن الرجل الذي «يُقال له أبو بكر» وكان مشتركاً مع هؤلاء في شرب الخمر ليس هو أبو بكر بن أبي قحافة، وإنما هو **أبو بكر بن شعوب** وهو الذي نظم هذه الأبيات الكفرية وخاطب بها **أم بكر** وهي زوجة أبي بكر بن أبي قحافة السابقة فظنّ الناس أن القائل هو لاشتراكهما في الكنية ولأن هذا الثاني قد خلف على امرأة الأول!

ومرجع هذه الحكاية المخترعة ليس سوى عائشة، فهي التي نسبت الفضيحة لشخصية أبي بكر الآخر وزوّجته بزوجة أبيها السابقة – على ما زعمت – أملاً في أن تُبعد عنه هذه المنقصة!

روى البخاري عن عائشة قالت: «**إن أبا بكر رضي الله عنه تزوّج امرأة من كلب يُقال لها أم بكر، فلما هاجر طلّقها فتزوّجها ابن عمّها هذا الشاعر الذي قال هذه القصيدة، رثى كفار قريش**».[1]

ويبدو أن عائشة لم تحتمل أحداً يذكر الأبيات التي فضح أبوها بها نفسه، حتى حدا بها الأمر أن تدعو على مَن يذكرها! وذلك لأنها اجتهدت في طمس هذه الحقيقة لستر فضيحة أبيها. روى المقدسي عن عروة بن الزبير قال: «**إن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم كانت تدعو على من كان يقول هذه القصيدة:**

يحـدُّثنا الرَّسـولُ بِـأَنْ سـنَحْيا وكيـفُ حيـاةُ أَصْـداءٍ وهـامْ؟!

فتقول عائشة: والله ما قال أبو بكر بيت شعر في جاهلية ولا في إسلام قطّ، وما ارتاب في الله مذ أسلم، ولقد ترك هو وعثمان شرب الخمر في الجاهلية، ولكن قال هذه القصيدة رجل من بني كلاب بن عوف، وكان أبو بكر تزوّج امرأة من بني كلاب يُقال لها: أم بكر، فلـمّا

---

(١) صحيح البخاري ج٤ ص٢٦٣

هاجر أبو بكر طلّقها فتزوّجها ابن عمّها هذا الكلابي الذي قال هذه القصيدة رثا بها أهل بـدر حين قُتلوا. فنحلها الناس أبا بكر من أجل المرأة التي طلّق».[١]

وكعادتها؛ تستمرّ عائشة في نسج الأساطير وتلفيق الأكاذيب دون أن تـدرك أن حبـل الكذب قصير! إذ إن محاولتها لتبرئة أبيها فيها من الوهن ما يئدها قبل أن تولد! فإنها زعمـت أن أبا بكر بن شعوب هو من **بني كلاب**، وهذا يناقض ما تسالم عليه أهل الأنـساب مـن أنـه وأم بكرٍ من **بني كنانة!**[٢] فهذه واحدة.

ثم أنها زعمت أن أبا بكر **لم يقل بيت شعر في جاهلية ولا في إسلام قط**، وهذا خـلاف مـا رواه المؤرخون وما تناقلوه من أشعار لـه كثـيرة، وبعـضها وإنْ شُـكِّكَ في نـسبته إليـه إلا أن بعضها الآخر ثابت النسبة إليه بلا خلاف![٣] ومن تلكم الأشـعار مـا روتـه عائـشة بنفـسها حينما سردت قصة الإفك المحرّفة! فقد روى عنها الطبراني أنها ذكرت شعر أبيهـا في **مِـسطَح ابن أثاثة** الذي يُدعى **عوفاً** أيضا، والذي يقول أبو بكر في أوّله:

«يا عوفُ ويحكَ هـلّا قلـتَ عارفـةً ... مـن الكـلامِ ولم تَبْـغِ بـه طَمَعـا»[٤]

فكيف تزعم عائشة أن أبا بكر لم يقل شعراً قط وهذه أشعاره معروفة مشهورة ومنهـا مـا ترويه هي بنفسها؟! فهذه الثانية.

(١) أحاديث الشعر للمقدسي ص٦٧

(٢) راجع ترجمته في الإصابة لابن حجر رقم ٩٦٣٧

(٣) لأبي بكر أشعار متعددة رواها المخالفون في مصادرهم كطبقات ابن سعد وسيرة ابن هـشام وسـيرة ابـن كثير وغيرها، كشعره في الإسراء، وشعره في الهجرة، وشعره في أهـل الطـائف لمـا أبـوا الإسـلام، وشـعره في الأنصار، وشعره يوم حنين. فارجع إليها في مظانّها.

(٤) المعجم الكبير للطبراني ج٢٣ ص١١٥

ثم إن **ابن شعوب** الذي تنسب إليه عائشة هذه الأبيات هو شخص مغمور، مختلَفٌ في إسلامه أصلاً، ولم يدّعِ أحدٌ أنه هاجر إلى المدينة، فما الذي جاء به إليها ليقضي «الليالي الحمراء» مع «الصحابة الكبار» في دار أبي طلحة؟! وعجباً كيف هاجر إلى المدينة وعاش فيها دون أن يصلنا من أخباره سوى هذا الذي تدّعيه عائشة وحدها؟! إن هذا يبعث الشكّ في أصل القصة وصحّتها. فهذه الثالثة.

وأما الرابعة فنتركها لابن حجر الذي صوّب أن يكون أبا بكرٍ المذكور في القصة هو «الصدّيق» لا ابن شعوب وذلك بقرينة ذكر صاحبه عمر بن الخطاب، وذلك لما هو معلوم من أنهما كانا متلازميْن في أحوالهما لا يكاد الواحد منهما يترك أخاه كما لا يترك فرد النعل أخاه! قال ابن حجر: «**وأبو بكر هذا يُقال له: ابن شعوب، فظنّ بعضهم أنه أبو بكر الصدّيق وليس كذلك، لكن قرينة ذكر عمر تدلّ على عدم الغلط في وصف الصدّيق**»![1]

فالمتحصّل هو فشل هذه المحاولات الثلاث التي بُذلت لإنقاذ أبي بكر وتبرئة ساحته من هذا العار والشنار، فتثبت نسبة شرب الخمر إليه كما تثبت نسبة الأبيات إليه، أو على أقلّ التقادير أنه قد تمثّل بها، وهذا يكفي في نفي إيمانه وإثبات كفره، ذلك لأنه في البيتيْن محلّ الشاهد رثى قتلى المشركين في بدر، ثم إنه تطاول على النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) وكذّب بنبوّته وجحد إخباراته إذ قال:

يحدُّثنا الرَّسولُ بِأَنْ سنَحْيا ... وكيفُ حياةُ أَصْداءٍ وهامْ؟!

والمعنى أن هذا النبي يخبرنا بأننا سنُبعث من قبورنا وسنحيى، وأي فائدة في هذا إذ لن تكون حياتنا إلا حياة **أصداءٍ وهام**؟! وهي طيور الليل، إذ كان أهل الجاهلية يعتقدون بأن

---

(١) فتح الباري لابن حجر ج١٠ ص٣١

الموتى – سيّما أولئك الذين قُتِلوا ولم يؤخذ بثأرهم – يتحوّلون إلى طيور ليل. وذكر أبي بكر لهذا يكشف عن بقائه على اعتقادات أهل الجاهلية وأنه لم يؤمن لا بالبعث ولا بالنشور!

بهذا يتأكد ما رُوي عن مولانا صاحب الأمر (صلوات الله عليه) من أن أبا بكر قد دخل الإسلام طمعاً ونفاقاً بعد الذي بلغه من علماء أهل الكتاب من أن محمدا (صلى الله عليه وآله) هو الذي سيسلّط على العرب، فانتهز الفرصة ودخل في هذا الدين ظاهراً حتى يصل إلى الحكم والسلطة.

ونقول: «يتأكد» لأن المروي عن الإمام المهدي (عليه السلام) له ركنان، الأوّل أن أبا بكر كان يخالط علماء أهل الكتاب ويسألهم ويسمع منهم، وهذا قد أثبتناه من مصادرهم وفيها أنهم أخبروه بمستقبل هذا الدين الجديد ونبيّه، والثاني أن أبا بكر ما آمن حقاً وتصديقاً وإنما تظاهر بذلك، وهذا قد أثبتناه أيضاً من مصادرهم عبر شواهد كشفت عن نفاقه واعتقاده الباطني الكفري.

عائشة كانت ابنة هذا الرجل!

■ سائر أفراد الأسرة.. أمٌّ تعيَّر بها ابنتها!

أم عائشة هي **أم رومان بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب بن أذينة**،[١] وقد صارت تحت أبي بكر بعد هلاك زوجها **عبد الله بن الحارث بن سخبرة بن جرثومة الأزدي** الذي أنجبت له ابنه **الطفيل** أخا عائشة لأمها.

ولم يرد في شأن هذه المرأة ما يلفت البال، فقد كانت ذات شخصية مغمورة لم تلعب دوراً يُذكر. نعم؛ يروي المخالفون عنها قصة الإفك المحرَّفة ويجعلون لها دوراً بارزاً فيها، وسيوافيك ردّ ذلك في الفصل المتعلّق به إن شاء الله تعالى.

ويروي المخالفون لأجلها حديثاً يُضحك الثكلى! إذ ينسبون إلى النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: «**من سرّه أن ينظر إلى امرأة من الحور العين فلينظر إلى أم رومان**»![٢]

وهذا الحديث واضح الاختلاق، لا لاعتلال طريقه فحسب؛[٣] بل لاعتلال متنه أيضا، فإن من عَهِد أحاديث النبي المصطفى (صلى الله عليه وآله) لا يمكنه تصوّر صدور حديث كهذا منه، ذلك لأن تشبيه امرأة بالحور العين يغري الرجال لما وُعِدوه من جمالهنّ وحُسنهنّ حتى صاروا يحلمون بهنّ، فكيف بدعوتهم إلى النظر إليها بدعوى أنها منهنّ؟! أفهل يدعو

---

(١) هذا على ما في نسب قريش لمصعب الزبيري ج١ ص٨٩، والاختلاف في نسبها عظيم وهو كاشف عن كونها مغمورة. ويمكن أن تُلفظ أم رُومان أو أمّ رَوْمان، أي بضمّ الراء أو فتحها، هكذا قالوا. وأما اسمها فقيل زينب وقيل غير ذلك، والله العالم.

(٢) أسد الغابة لابن الأثير ج٥ ص٥٨٣

(٣) إذ هو مُرسل ضعيف عن القاسم بن محمد كما في طبقات ابن سعد ج٨ ص٢٧٧، وعن مصعب الزبيري كما في مستدرك الحاكم ج٣ ص٤٧٣

رسول الله إلى الفساد فيحضّ الرجال على أن «يُسّروا أنفسهم» بالنظر إلى امرأة أجنبية يشبّهها بالحور العين وإن كانت مُدَلّاةً في قبرها؟! سبحانك هذا بهتان عظيم.

إن هذا الحديث كغيره مما يحمل بصمات عائشة، فكما أرادت تمجيد أبيها فاختلقت لأجله الأحاديث؛ فإنها أرادت تمجيد أمها فاختلقت لأجلها الأحاديث أيضاً، وقد ذكر العُلّائي أن هذا الحديث مُدرج في مسند عائشة في رواية ابن أبي عدي عن حماد بن سلمة. [1]

ثم إن الشواهد التاريخية تُشعر بأن أم رومان هذه كانت حقيرة في نظر الناس، بحيث أن كل من ينتسب إليها كان يُعَيَّر بذلك. ومن تلك الشواهد ما مرّ من قول ابن عبّاس لعائشة بعد هزيمتها في معركة الجمل: «**والله ما ذا بلاؤنا عندك ولا بصنيعنا إليك أنّا جعلناك للمؤمنين أمّاً وأنت بنت أم رومان**»![2]

ومنها قول محمد بن الحنفية لعبد الله بن الزبير في ملاسنة وقعت بينهما بعدما تطاول الأخير على أمير المؤمنين (عليه السلام) في خطبة له: «**يابن أم رومان! ومالي لا أتكلّم**»؟![3]

بل إنّا نجد حتى أبا بكر نفسه يعيِّر عائشة بأمّها، وذلك حين سمعها ترفع صوتها على رسول الله (صلى الله عليه وآله) بوقاحة! فقد روى أحمد وأبو داود عن النعمان بن بشير قال: «**جاء أبو بكر يستأذن على النبي صلى الله عليه وسلم، فسمع عائشة وهي رافعة صوتها على**

(١) التنبيهات للعلائي المطبوع ضمن مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة العدد ٧٩.

(٢) بحار الأنوار للعلامة المجلسي عليه الرضوان ج٣٢ ص٢٦٩، والفتوح لابن أعثم ج٢ ص٣٣٣، وأخبار ا لدولة العباسية ص١٢٦، بألفاظ متقاربة.

(٣) مروج الذهب للمسعودي ج٣ ص٨٩ وشرح النهج لابن أبي الحديد ج٤ ص٦٢، ومعلوم أن ابن الزبير ليس ابنا لأم رومان ولا حفيدا لها، لأن جدّته لأمّه هي **قتيلة بنت عبد العزّى** امرأة أبي بكر الأولى، فتكون نسبته إلى أم رومان من قبل ابن الحنفية إما لكونه قد تربّى عندها أو أن أمّه أسماء كانت كذلك. والأول أظهر.

رسول الله، فأُذن له فدخل فقال: يا ابنة أم رومان! - وتناولها - أترفعين صوتك على رسول الله»؟![١]

■ الأخ القائل لوالديه أفٍّ.. همّه النساء واللهو!

كان ذاك ما يتعلّق بالأم، أما بقية أفراد أسرة عائشة فيبزل من بينهم شقيقها **عبد الرحمن ابن أبي بكر**، والذي يلفتنا من شأنه أمران:

الأول؛ أنه كان كجدّه أبي قحافة متعصبا للجاهلية ومعاندا لقبول الإسلام ولو ظاهرا، فرغم أن والديه كانا يدعوانه إلى قبول الإسلام للمصلحة التي أدركاها حيث إن مقاليد الأمور ستكون بيد هذا الدين الجديد؛ إلا أنه كان في بادئ الأمر رافضاً لذلك أشدّ الرفض حتى نزلت فيه آيات تذمّه، كما كان مناوئاً للإسلام أشد المناواة إلى حدّ أنه قاتل إلى جانب المشركين في بدر وأُحُد وأراد مبارزة والده ليقتله!

فمن الآيات التي نزلت فيه قوله تعالى: «**كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا**».[٢] فقد قال القرطبي في تفسيره: «**في رواية أبي صالح أنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، كان يدعو أباه إلى الكفر وأبواه يدعوانه إلى الإسلام، والمسلمون، فيأبى. قال أبو عمر: أمّه أم رومان بنت الحارث بن غنم الكنانية، فهو شقيق عائشة. وشهد عبد الرحمن بن أبي بكر بدراً وأُحُداً مع قومه وهو كافر**».[٣]

(١) مسند أحمد ج٤ ص٢٧٢ وسنن أبي داود ج٤ ص٣٠٠، ومعنى (تناولها) أنه ضربها أو همّ بضربها.

(٢) الأنعام: ٧٢

(٣) تفسير القرطبي ج٧ ص١٨

ومن الآيات التي روى المخالفون نزولها فيه قوله تعالى: «**وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ**».(١) فقد قال القرطبي في تفسيره: «**قال قتادة والسدي: هو عبد الرحمن بن أبي بكر قبل إسلامه، وكان أبوه وأمه أم رومان يدعوانه إلى الإسلام ويَعِدانه بالبعث، فيردُّ عليهما بما حكاه الله عزّ وجل عنه (...) قلت: قد مضى من خبر عبد الرحمن بن أبي بكر في سورة الأنعام عند قوله: لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى؛ ما يدل على نزول هذه الآية فيه**».(٢)

إلا أن عائشة – كعادتها – نافحت عن أخيها وكذَّبت نزول هذه الآية فيه**!** وذلك حين وقعت مشادّة كلامية بينه وبين **مروان بن الحكم** حين دعا الأخير لمبايعة **يزيد بن معاوية** ورفض ذلك عبد الرحمن، فأراد مروان إلقاء القبض على عبد الرحمن إلا أنه هرب إلى أخته عائشة واحتمى بها حيث تولّت هي عندئذ الدفاع عنه وتكذيب مروان.

روى البخاري عن يوسف بن ماهك قال: «**كان مروان على الحجاز، استعمله معاوية، فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يُبايَع له بعد أبيه، فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر شيئا، فقال: خذوه! فدخل بيت عائشة فلم يقدروا عليه، فقال مروان: إن هذا الذي أنزل الله فيه: وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي، فقالت عائشة من وراء الحجاب: ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن إلا أن الله أنزل عذري**».(٣)

---

(١) الأحقاف: ١٨ – ١٩

(٢) تفسير القرطبي ج١٦ ص١٩٧

(٣) صحيح البخاري ج٦ ص٤٢، وسيوافيك مفصّلاً بيان أكذوبة عائشة في أن الله أنزل عذرها في القرآن.

والبخاري – كعادته - يُلطِّف النصوص ويهذِّب الألفاظ إذا كانت «محرجة» للعقيدة البكرية، فيكتفي بقوله: «فقال له عبد الرحمن بن أبي بكر شيئا» دون أن يبيّن ما هو ذلك الشيء؟ ثم هو لا ينقل تفصيل ما قالته عائشة أيضا، كل ذلك لحجب ما جرى بين القوم من سباب وشتائم واتهامات تنسف الهالة المقدسة التي أحاطها البكريون بسلفهم الأول!

أما إذا أردت التفاصيل فهاكها عن غير البخاري:

روى النسائي عن محمد بن زياد قال: «**لما بايع معاوية لابنه؛ قال مروان: سنة أبي بكر وعمر! فقال عبد الرحمن بن أبي بكر: سنة هرقل وقيصر! فقال مروان: هذا الذي أنزل الله تعالى فيه: وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا – الآية – فبلغ ذلك عائشة فقالت: كذب والله! ما هو به، ولو شئت أن أسمّي الذي أُنزِلَت فيه لسمَّيتُه! ولكنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن أبا مروان ومروانُ في صلبه، فمروان فضضٌ من لعنة الله**»![1]

وأيّاً كان فإننا لسنا بوارد تبيين حقيقة الحال في هذا السجال الدائر بين عائشة وعبد الرحمن وبين مروان، فكلّ ما يعنينا هو رصد معلومة أن عبد الرحمن كان مناوئاً للإسلام في الجاهلية، معادياً لوالديه إذ دعواه لإظهاره.

وقد بلغ عداء عبد الرحمن لوالده أبي بكر مبلغ محاولته قتله في معركة بدر الكبرى، رغم أن عبد الرحمن **كانت فيه دعابة!** فلسنا ندري هل أنه حين برز إلى القتال يوم بدر وأراد قتل أبيه كان جادّاً أم مازحا؟!

قال ابن كثير عن عبد الرحمن: «**وهو أكبر ولد أبي بكر الصديق، قاله الزبير بن بكار، قال: وكانت فيه دعابة، وأمّه أم رومان وأم عائشة، فهو شقيقها، بارز يوم بدر وأُخِذ مع**

(١) سنن النسائي ج٦ ص٤٥٩ وعنه تفسير ابن كثير ج٤ ص١٧٢ وتفسير القرطبي ج١٦ ص١٩٧

المشركين، وأراد قتل أبيه أبي بكر»!(١)

أما الأمر الثاني الذي يلفتنا في سيرة عبد الرحمن؛ أنه كان هائماً في الجاهلية بعشق فتاة هي ابنة ملك عرب الشام من بني غسّان حتى شبّب بها في أشعاره وتغزّل بُحسنها وجمالها، وكانت حسرته في أنه لا سبيل له إليها فهي ابنة ملك وهو ابن عتيق بن أبي قحافة، عضروط بني تيْم!

ولم يكن اعتناق عبد الرحمن للإسلام في ما بعد بعاصمٍ له عن هذا الهيام، فقد ظلّت الفتاة تراود مخيِّلتَه وظلّ يهذي بها، وهذا يكشف عن أن تديّنه بالإسلام كان قشرياً لا لُبِّياً أو حقيقيّاً. وهنا جاء دور **عمر بن الخطاب** فإنه حين استولى على السلطة بعث جيشاً لفتح الشام وقد أمر بقتل ذلك الملك وسبيِ ابنته والإتيان بها إلى المدينة ليعرِّس بها العاشق عبد الرحمن ابن أبي بكر! فهي هدية عمر إليه!

إلا أن عبد الرحمن بعدما نال ما أراده من الفتاة؛ ملَّ منها فكرهها وقلب لها ظهر المجن حتى طلّقها وأرجعها إلى أهلها في الشام مكسورة الجناح! وكانت عائشة – بزعمها – تنصحه في بادئ حصوله على الفتاة أن لا يبالغ في مباشرتها إلا أنه كانَ يرفض ذلك ويُكثر من مباشرتها وتقبيلها حتى شبّه أمره وكأنه «يرشُفُ من ثناياها حَبَّ الرُّمان»! ثم بعد أن ملَّها بدأ يسيء إليها فنصحته عائشة – بزعمها – أن يُحسن إليها فكان إحسانه إليها أن طلّقها!

روى أبو الفرج الأصبهاني عن الجوهري عن ابن شبّة بسنده عن عائشة وعن الزبير ابن بكار بسنده عن عروة: «**استُهيم عبد الرحمن بن أبي بكر بليلى بنت الجودي بن عدي بن عمرو ابن أبي عمرو الغساني، فقال فيها:**

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج٨ ص٩٥

تــذكَّرتُ لــيلى والــسَّماوةُ دونهــا ... وما لابنـةِ الجـوديِّ لـيلى ومـا لِيـا؟
وأنّــىٰ تعــاطي قلبــه حارثيَّــةٌ ... تحِــلُّ ببُــصرىٰ أو تحِـلُّ الجوابيــا؟
وكيــف يُلاقيهــا؟ بــلى ولعلَّهــا ... إذا النــاسُ حجُّـوا قـابلاً أنْ تُلاقيـا

قال أبو زيد: وقال فيها:

يابنــةَ الجــودِيِّ قلبــي كئيــبْ ... مــستهامٌ عنــدها مــا يُنيــبْ
جــاورْتُ أخوالهــا حَــيَّ عَــكٍّ ... فَلِعَــكٍّ مــنْ فــؤادي نــصيبْ

قال الزبير في خبره: وكان قَدِمَ في تجارة فرآها هناك على طنفسة حولها ولائد فأعجبته. وقال أبو زيد في خبره: فقال له عمر: ما لَكَ ولها يا عبد الرحمن؟ فقال: والله ما رأيتُها قطُّ إلا ليلةً في بيت المقدس في جَوارٍ ونساءٍ يتهاديْن، فإذا عثرتْ إحداهن قالت: يابنة الجودي! فإذا حلفت إحداهن حلفت: بابنة الجودي!

فكتب عمر إلى صاحب الثَّغْرِ الذي هي به: إذا فتح الله عليكم دمشق فقد غَنِمْتُ عبد الرحمن بن أبي بكر ليلى بنت الجودي. فلما فتح الله عليهم غنموه إياها!

قالت عائشة: فكنتُ أكلِّمُه في ما يصنع بها فيقول: يا أُخَيَّةَ دعيني فوالله لكأنِّي أرشُفُ من ثناياها حَبَّ الرُّمان! ثم ملَّها وهانتْ عليه! فكُنت أكلِّمُه في ما يسيءُ إليها كما كنت أكلِّمُه في الإحسان إليها، فكان إحسانه أنْ ردَّها إلى أهلها»![1]

---

(١) الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني ج١٧ ص٣٥٨، ونحوه في نسب قريش لمصعب الزبيري ج١ ص٨٩ والبداية والنهاية لابن كثير ج٨ ص٩٧

ولسنا ندري كم عدد النساء اللائي فعل بهنّ ابن أبي بكر ما فعله بابنة الجودي، فهام بهنّ ثم لما ملّهن طلّقهن بعدما نال منهنّ ما أراد، فإنه قد اشتُهر عنه سلوكه اللهوي حتى سارت به الركبان، وأَمِنَ منه الطامحون إلى السلطة والإمرة لأنه ليس بالذي يشغل باله في شيء سوى اللهو والنساء!

ولذا ألقى **معاوية بن أبي سفيان** لابنه **يزيد** لمّا مرض مرضته التي هلك فيها ما هوّن عليه خطر عبد الرحمن بن أبي بكر وبيَّن خواره وسخافته وأنه ليس بذاك الذي يمكنه أن ينازع بني أمية سلطانهم، لا لأنه من أهل التقوى والورع والزهد في مباهج الدنيا، بل لأنه إنما يلهث وراء ما يمتِّع به نفسه ويلتذ، لا يشغل أيامه ولياليه في البطولات إلا على «الفراش»! وأما في غيره فهو ليس إلا تابعاً ذليلاً يصنع ما صنع أصحابه ويتعيَّد بحشر نفسه مع الناس!

قال معاوية لابنه يزيد: «**وأما ابن أبي بكر فهو رجلٌ إنْ رأى أصحابه صنعوا شيئاً صنع مثله، ليست له همّةٌ إلا في اللهو والنساء**»![1]

فهذا هو شقيق عائشة وتلك هي «اهتماماته» في الجاهلية والإسلام! وهي اهتمامات كانت تساعده فيها عائشة بكل جدّية وحماس إلى درجة أنها طلبت من «مخنّث» أن يدلّها على امرأة جميلة تصلح لأخيها! وقد أغضب هذا الأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) فطرد ذلك المخنّث إلى خارج المدينة ولم يسمح له بالتواجد فيها إلا في الأعياد.

روى ابن حجر عن الباوردي بسنده عن أبي بكر بن حفص: «**قالت عائشة لمخنَّث كان بالمدينة يُقال له أنّة: ألا تدلّنا على امرأة نخطبها على عبد الرحمن؟ قال: بلى. فوصف امرأة إذا أقبلت أقبلت بأربع وإذا أدبرت أدبرت بثمان! فسمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا**

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج٨ ص١٢٣

أنّة اخرج من المدينة إلى حمراء الأسد، فليكن بها منزلك ولا تدخلنَّ المدينة إلا أن يكون للناس عيد».[١]

فانظر كيف تسأل عائشة مخنّثاً عن النساء وتستعين به ليدلّها على امرأة يصف حُسنها وجمالها! وكأن المدينة عدمت النساء اللاتي يمكن أن تتوجّه إليهن عائشة وتسألهن بدلا من هذا المخنّث!

(١) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ج١ ص٢٨٤ وعمدة القاري في شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني الحنفي ج٢٠ ص٢١٥، وقوله: «**إذا أقبلت أقبلت بأربع وإذا أدبرت أدبرت بثمان**» يحتمل وجهين، إما أنه يصف أعكانها وهي الطيّات التي تكون في البطن من شدة السمنة، فتظهر أربعاً من الأمام وثمانياً من الخلف من عند الخاصرتيْن، وكان الرجال سابقاً يرغبون في المرأة السمينة.

وأما الوجه الآخر فهو أنه يقصد بالأربع اليدان والرجلان، وبالثمان معها الكتفان والإليتان، على أن الحُسن في أعضائها هذه يتفوّق على سائر النساء.

ومهما يكن فإن وصف المخنّث للمرأة على هذا النحو يُنبئ عن اطلاعه على جسدها بتفاصيله الدقيقة، فكأن عائشة حين سألته علمت بأنه من أهل الفساد والاطلاع على عورات النساء فلذا توجّهت إليه وطلبت مساعدته!

■ **الأخت ذات النطاقين.. الرقيقين الشفّافين!**

إنها أسماء بنت أبي بكر - الأخت غير الشقيقة لعائشة - التي يطلق المخالفون عليها لقب «ذات النطاقين» بدعوى أن سيد المرسلين (صلى الله عليه وآله) قد بشّرها بنطاقين في الجنة عوضاً عن نطاقها الذي شقّته نصفين لأجل ربط سُفرته وسقائه حين الهجرة إلى المدينة المنورة.

وهذه كأخواتها من الفضائل المكذوبة لآل أبي بكر، ولا يستدعي خروجُها عن دائرة التصديق أكثر من مراجعة أصلها الحديثي، فإنها لم تُروَ إلا من أسماء نفسها؛ وشهادتها لنفسها مردودة، وإلا من عائشة أختها؛ وشهادتها لأختها مخدوشة!

روى البخاري بسنده عن هشام قال: «**أخبرني أبي وحدّثتني فاطمة عن أسماء رضي الله عنها قالت: صنعتُ سفرة رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت أبي بكر حين أراد أن يهاجر إلى المدينة. قالت: فلم نجد لسفرته ولا لسقائه ما نربطهما به، فقلتُ لأبي بكر: والله ما أجد شيئا أربط به إلا نطاقي! قال: فشقّيه باثنين فاربطيه بواحدٍ السقاء وبالآخر السفرة، ففعلتُ، فلذلك سُمّيتُ ذات النطاقين**»![1]

أوّل ما يُلاحَظ في هذا الخبر أن أسماء تمتدح نفسها دون أن يكون ثمة شاهد على ما تدّعيه، ولو أن العقلاء قبلوا بمثل هذا الخبر وصدّقوه لأمكن لكل أحد أن ينسج لنفسه ما يشاء من الحوادث والقصص والبطولات بقصد الاستطالة وتعظيم الذات!

---

(١) صحيح البخاري ج٤ ص١٣، والنطاق ثوب تلبسه المرأة وتشدّ وسطه بشيء وترفعه مرسلة له على الأسفل لئلا تعثر في ذيله.

إن الفضائل من هذا القبيل لا تثبت للمرء بادّعائه لها إلا أن تُقام البيّنة فيكون هناك شهود عدول على ثبوتها بحقّه، أو أن يكون الوحي الإلهي أو النطق النبوي قد حكما بصدق هذا المدّعي، كما هو الحال في شأن أهل بيت النبوة (صلوات الله عليهم) الذين ثبتت فضائلهم بالتواتر حتى عُدَّ إجمالها ضرورة من ضروريات الدين، إذ إنك تجد العشرات بل المئات يشهدون على ثبوتها بالمعاينة أو المعاصرة، وتتناقلها عن هؤلاء جماعات من المحدّثين والرواة لا يمكن تواطئهم على الكذب. ثم إن أهل بيت النبوة (صلوات الله عليهم) قد نصّ الله تعالى على صدقهم وطهارتهم، وكذلك فعل نبيّه (صلى الله عليه وآله) فلا يعتري المسلم ريبٌ في ما يدّعونه من فضائل لأنفسهم لحكم الله ورسوله بصدقهم.

أما أسماء هذه؛ فما السبيل لتصديقها في ما تدّعيه ولا من شاهد على ذلك؟! كما لم يقل أحدٌ أن قوله تعالى: «**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**»[1] أو قوله تعالى: «**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**»[2] قد نزلتا فيها وفي أبيها وبعلها وبنيها!

ثم مَن هم هؤلاء الذين يروون عن أسماء هذه «الفضيلة العظيمة والمنقبة اللامعة»؟! هل هم من المحايدين أو المنصفين؟! فإنّا في شأن أهل بيت النبوة (عليهم السلام) وجدنا أن أعداءهم يشهدون بفضائلهم ويقرّون بمناقبهم، ناهيك عن أوليائهم، أما هنا فالرواة لهذا الخبر هم من أبناء وأحفاد أسماء نفسها! فالأول منهم **عروة بن الزبير** وأسماء أمّه! والثاني هو ابنه **هشام** وأسماء جدّته! وهو يروي الخبر بطريق آخر عن زوجته وهي **فاطمة بنت المنذر ابن الزبير** وأسماء جدّتها أيضا!

---

(١) التوبة: ١١٩

(٢) الأحزاب: ٣٤

ولا نجد لهذا الخبر نظيرا إلا عند أخت أسماء برواية ابنها! إذ روى البخاري عن عروة: «**قالت عائشة: فجهّزناهما أحث الجهاز وصنعنا لهما سفرة في جراب، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به على فم الجراب، فبذلك سُمِّيَت ذات النطاق**»![(١)]

ولو ثبتت نسبة هذا الخبر إلى عائشة، فإن استحلالها للكذب ليس بغائب ولا عزيز! وعلى أية حال فإنّا لا نجد في هذين الخبرين ما يفيد أن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) هو الذي سمّى أسماء «ذات النطاقين» أو «ذات النطاق»، وإنما ادّعى ذلك الزبير ابن بكار على ما رواه عنه ابن حجر حيث قال: «**وقال الزبير بن بكار في هذه القصة: قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: أبدلك الله بنطاقك هذا نطاقين في الجنة! فقيل لها: ذات النطاقين**»![(٢)]

والحديث كما ترى مقطوع السند ضعيف، عدا عن أن راويه هو واحد من أحفاد أسماء! فهو **الزبير بن أبي بكر (بكار) بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير**! ولئن أمكن الاعتماد على ما يرويه في مثالب قومه أو سِيَرهم الواقعية لعدم مصلحته في ذلك، فلا يمكن الاعتماد على ما يرويه لتفخيم شأنهم بحال من الأحوال.

وعلاوة على ما تقدّم؛ فإن الروايات الأخرى التي رواها المخالفون لتعليل تلقيب أسماء بهذا اللقب فيها شيء من الاضطراب والتباين، فقد رووا عنها أنها قالت للحجاج بن يوسف الثقفي: «**كان لي نطاق أغطي به طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم من النمل، ونطاق لا بدّ**

---

(١) صحيح البخاري ج٤ ص٢٥٦، فتارة يكون لقبها: (ذات النطاق) كما في هذه الرواية، وأخرى يكون: (ذات النطاقين) كما في تلك الرواية، ثم ستأتي روايات تشير إلى أن تسميتها بهذا الاسم كان لشيء آخر بعيد عن هذه الحادثة المزعومة. وكل ذلك اضطراب لا أقل أنه يبعث في النفس الشكّ في هذا المدّعى.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ج٨ ص١٣

للنساء منه»![١] بينما رووا في خبر آخر أنها سُمِّيَت بذات النطاقين لأنه: «**لما نزلت آية الخِمار، ضربت يدها إلى نطاقها فشقّته نصفين واختمرت بنصفه»!**[٢] في حين رووا في خبر ثالث: «**سُمِّيَت أسماء ذات النطاقين لأنها كانت تطارق نطاقاً فوق نطاق»!**[٣]

وهكذا تتضارب المرويات عن أصل تسمية أسماء بهذا الاسم، والتضارب هذا علامة على الاختلاق والوضع. غير أننا مع ذلك نعتبر أنه لا بدّ أن يكون لتسميتها بذات النطاقين أصلٌ ما مع هذا الاشتهار، لكنه بعيد عن كونه منقبة لها، فالأرجح أنه كان منقصة لها فعمدت هي وأختها وذووهما إلى قلبها وتحويلها إلى منقبة باختلاق تلك المرويّات المزبورة! وذلك كما فعلوا في اسم (عتيق) لأبي بكر الذي قلبوه إلى منقبة بعدما كان منقصة! على ما فصّلنا به القول آنفا.

وما قادنا إلى تبنّي ذلك، أو قُل: ما استثار فضولنا نحوه؛ هو ما سجّله التأريخ من أن **عبد الله بن الزبير** كان يُعيَّر بذكر أمّه موصومةً بذات النطاقين! وذلك ما ذكره ابن حجر إذ قال: «**كان أهل الشام ينتقصون ابن الزبير بزعمهم حيث يقولون له: ابن ذات النطاقين»!**[٤]

وما رواه البخاري عن وهب بن كيسان قال: «**كان أهل الشام يعيّرون ابن الزبير يقولون له: يابن ذات النطاقين»!**[٥]

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ج٨ ص١٣

(٢) البدء والتاريخ للمقدسي ج٥ ص٧٨

(٣) شرح مسلم للنووي ج١٦ ص١٠٠، وهذه الرواية والتي سبقتها تضعان أسماء بنت أبي بكر في قالب من الحياء والخدر بحيث أنها تبالغ في التسترّ والحجاب فتنسج نطاقا فوق نطاق! وسيوافيك من الأدلة والأحاديث الصحيحة ما يجعلك تستهزئ بمن يصدّق ذلك عن «الكاسية العارية»!

(٤) فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ج١٠ ص٤٨٥

(٥) صحيح البخاري ج٦ ص١٩٩

وما ذكره الأزهري إذ قال: «**وعيَّر رجلٌ عبد الله بن الزبير بأمّه فقال: يابن ذات النطاقين! فتمثَّل بقول الهذلي: وتلك شكاةٌ ظاهرٌ عنك عارُها**»![1]

إلى غيرها من المصادر التي نفخت الغبار عن دلالة مخفية لهذه الوصمة، فأشارت إلى أن القوم اعتبروا (ذات النطاقين) وصمة عارٍ على ابن الزبير لا منقبة له! ومن البُعد بمكان أن يكون هؤلاء - وإنْ كان جُلُّهم من أهل الشام - مغفَّلين إلى هذا الحدّ فيوهَموا بأن (ذات النطاقين) مثلبة بينما هي في الأصل منقبة، ذلك لأن حرب أهل الشام مع ابن الزبير إنما وقعت بعد نحو سبعين سنة من الهجرة الشريفة، ويُفترض خلال هذه الفترة الطويلة أن تستقرَّ معاني الألفاظ والنعوت المشهورة، وحتى إنْ لم نقل باستقرارها التام فلا أقلَّ من أن يكون المعنى دائراً في مضمونه الأوسع، فما كان منقبة يبقى منقبة إلا أن معناه الأخص يتردّد مثلا، وهكذا ما كان مثلبة، أما أن تنقلب المنقبة إلى مثلبة فيخرج اللفظ أو النعت من مضمونه الأوسع إلى النقيض منه فأمرٌ يصعب التنازل إليه وجداناً.

فإن قيل: قد وقع مثل ذلك الانقلاب حين كان أهل الشام ينتقصون عليا (عليه السلام) بتكنيتهم له **بأبي تراب** فما بال باء هذه تجرّ وتلك لا تجرّ؟ قلنا: هذا قياس مع الفارق، الزمني أولا، والموضوعي ثانيا، فإن أمير المؤمنين (عليه السلام) تولّى الحكم بعد نحو خمس وثلاثين سنة من الهجرة، وكان أهل الشام حديثي عهد بالإسلام إذ أسلموا في عهد عمر، ومنذ ذلك الحين لم يخالطوا عليا (عليه السلام) ولا أحدا من شيعته رضوان الله تعالى عليهم، وفي ظل ذلك ربّاهم **يزيد بن أبي سفيان** وأخوه **معاوية** من بعده على بغض علي وأهل بيته عليهم

---

(١) تهذيب اللغة للأزهري ج٣ ص٣٩٠، ومعنى ما تمثَّل به: أن هذا عارٌ بعيد عنه لأنه ليس بعارٍ أصلا. وسيوافيك في البحث أنه في الواقع كذلك إلا أن ابن الزبير يحاول الفرار منه بإبدائه عدم اكتراثه تمهيدا لتسويغ المعنى المحرّف والمقلوب.

السلام، وبالنظر إلى هذه الأجواء والتعتيم الأموي على فضائل أهل البيت (عليهم السلام) لا يكون مستغرَباً أن يُخدع هؤلاء ويوهَموا بأن كنية (أبو تراب) منقصة أو مثلبة.

أما ما نحن فيه فمختلفٍ عن ذاك، فإن أهل الشام بعد هذه الفترة الطويلة التي امتدّت لأكثر من سبعين عاماً اتصلوا بأهل الحجاز وأهل العراق وسائر الأمصار، ولم تكن في بيئتهم أي أجواء معادية لأسماء بنت أبي بكر أو آل أبي بكر أو حتى آل الزبير، بل على العكس من ذلك، كان التوائم والتوافق - خاصةً في عهد معاوية - هو السائد بين الطرفين على المستوى العلني العام، إلى أن جاء عهد يزيد وبدأ معه التوتّر، وهو لا يقاوم ما كان من انسجام سابق في مجموعه.

ولا يُنسى أن الزبير زوج أسماء وابنهما عبد الله كانا قد شاركا مع الأمويين ومَن والاهم في حرب الجمل جنباً إلى جنب متحالفين ضد أمير المؤمنين عليه السلام، وبالنظر إلى كل هذا التواصل والانسجام السائد طوال عقود يكون مستغرَباً أن يُستغبى أهل الشام إلى حدّ قلب المنقبة مثلبةً، فإن كانت (ذات النطاقين) منقبة حقاً لكان ذلك مشهوراً بينهم وبين الجميع، ولما تأتّى لأحدهم أن يقنع بأنها مثلبة فيعيِّر ابن الزبير بها.

ويتراءى لنا أن الحرب التي وقعت بين ابن الزبير وجيش الشام أفرزت بطبيعة حالها مثالب ابن الزبير، وكان منها أنه ابن (ذات النطاقين)! فإن الحروب هي التي تُخرج إلى العلن مثالب الخصم ومعايبه.

وفي مواجهة ذلك عمد ابن الزبير وأمّه أسماء إلى صرف هذه الوصمة عن معناها إلى معنى آخر باختلاق فضيلة شقّ النطاق للسفرة والسقاء حين الهجرة، أو تغطية طعام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) به من النمل، أو الاختمار به حين نزول آية الخِمار، أو نسجه

بنطاق آخر زيادة في الاحتشام والتستر.. إلى غيرها من الادعاءات والمزاعم المتذبذبة التي ساقتها أسماء وذووها هرباً من دلالة (ذات النطاقين) المعيبة وتحريفا لها!

وهذا ما يُستشعر بالتأمل في النصوص، من قبيل ما رواه ابن أبي شيبة عن عروة قال: «**إن أهل الشام كانوا يقاتلون ابن الزبير ويصيحون به: يابن ذات النطاقين! فقال ابن الزبير: تلك شكاة ظاهر عنك عارها. فقالت أسماء: عيّروك به؟ قال: نعم. قالت: فهو والله حسن**»![(١)]

بل إننا نجد في نفس رواية البخاري التي نقلنا صدرها ما يُشعر بأن ابن الزبير لم يكن عارفاً بمعنى (ذات النطاقين) إلى أن أخبرته أمّه بمعناه المختلَق عندما عيّره أهل الشام! فقد روى ابن راهويه عن وهب بن كيسان قال: «**كان أهل الشام يعيّرون ابن الزبير يقولون له: يابن ذات النطاقين! فقالت له أسماء: هل تدري ما كان النطاقان؟ إنما كان نطاقي شققته بنصفين، فأوكيت قِرْبَةَ رسول الله بواحدة وجعلتُ في سفرة رسول الله واحدا**».[(٢)]

وأما حين دخل عليها **الحجاج بن يوسف الثقفي** بعدما قتل ابنها وصلبه؛ فقد قالت له أسماء على ما يرويه الطبراني عن أبي نوفل بن أبي عقرب: «**وأما ما كنتَ تعيِّرُهُ بذات النطاقين؛ أجل قد كان لي نطاقان، نطاق أغطي به طعام رسول الله من النمل، ونطاق لا بدّ للنساء منه**».[(٣)]

إن هذا كلّه يوحي بأن وراء الأكمة ما وراءها، وأن مُدّعى المنقبة في معنى (ذات النطاقين) أبعد ما يكون عنه، وأن هذا المدّعى جاء متأخراً نحواً من سبعين سنة عن الحادثة المزعومة التي سُمِّيت أسماء بسببها بهذا الاسم، حيث إنها على ما يُزعم وقعت حين هاجر

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة ج٦ ص١٨٢، وفي لفظ آخر: «فهو والله أحق». المصنف ج٨ ص٦٢٧

(٢) صحيح البخاري ج٦ ص١٩٩

(٣) المعجم الكبير للطبراني ج٢٤ ص١٠٢، ونحو في صحيح مسلم ج٧ ص١٩١

النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى المدينة المنورة، وما جرى بين أسماء وابنها أو بينها وبين الحجاج من كلام حول ذلك إنما كان بعد سبعين سنة، في حرب ابن الزبير. فطوال هذه السبعين سنة لمَ لا نجد شاهداً تأريخياً واحداً مُعتدّاً به على تسميتها بهذا الاسم بفحوى المنقبة؟![١]

إذن؛ إن في الأمر سراً، وثمة حقيقة أخرى وراء (ذات النطاقين)، والحقيقة تأبى دائماً إلا أن تكشف الأسرار مهما استمات المتضرّرون منها في كتمها!

ولعل تلك الحقيقة وذلك السرّ يطلّان برأسيهما طوعاً حين نطالع هذه الروايات الخطيرة:

روى أبو داود والبيهقي عن خالد بن دريك عن عائشة: «**إن أسماء بنت أبي بكر دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب شامية رقاق! فأعرض عنها ثم قال: ما هذا**

(١) قد مرّ أن الروايات المروية في ذلك إنما رُوِيت عن أسماء نفسها، أو أختها عائشة، ورواها عنهما ابن أسماء عروة، ومَن يروي عنهم هم أحفادها المتأخرون كهشام وفاطمة. نعم قد رووا عن رجل مجهول من جيش مسلم (مُسرف) ابن عقبة: «**لما نزلنا المدينة دخلت مسجد رسول الله فصليت إلى جنب عبد الملك بن مروان، فقال لي عبد الملك: أَمِن هذا الجيش أنت؟ قال: قلتُ: نعم. قال: ثكلتك أمك! أَتدري إلى مَن تسير؟ إلى أوّل مولود في الإسلام، وإلى ابن حواريّ رسول الله، وإلى ابن أسماء ذات النطاقين، وإلى مَن حنّكه رسول الله بيده، وأما والله لئن جئته نهارا لتجدنّه صائما، ولئن جئته ليلا لتجدنّه قائما، ولو أن أهل الأرض أطبقوا على قتله لكبّهم الله جميعا في النار على وجوههم! قال ذلك الرجل: ما مضت إلا أيام حتى صارت الخلافة إلى عبد الملك ووجّهنا إليه فقتلناه**»! مصنف ابن أبي شيبة ج٨ ص٣٦. وهو خبر من الواضح أنه موضوع لغرض سياسي يتمثّل بتفخيم شأن ابن الزبير والحطّ من خصمه عبد الملك بن مروان، فلا عبرة به وبأشباهه.

يا أسماء؟! إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يُرى منها إلا هذا وهذا، وأشار إلى وجهه وكفّيه».[(١)]

غير أن هذه الرواية التي ترويها عائشة لا تتضمن كل التفاصيل عن الحادثة، فهناك تفاصيل أخرى أكثر حساسيةً وحرجاً عن طبيعة هذه «الثياب الشامية الرقاق» يبدو أن عائشة خجلت من بيانها! فجاءت السيدة الجليلة أسماء بنت عُميس (رضوان الله تعالى عليها) لتتكفّل بذلك، إذ يروي الطبراني والبيهقي عنها قولها: «**دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على عائشة بنت أبي بكر وعندها أختها أسماء بنت أبي بكر، وعليها ثياب شامية واسعة الأكمام، فلما نظر إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم قام فخرج! فقالت لها عائشة رضي الله عنها: تنحَّيْ فقد رأى رسول الله أمرا كرهه. فتَنَحَّتْ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عائشة رضي الله عنها لمَ قام؟ قال: أَوَلمْ تريْ إلى هَناتِها؟!**[(٢)] **إنه ليس للمرأة المسلمة أن**

(١) سنن أبي داود ج٢ ص٢٧٠ وسنن البيهقي ج٢ ص٢٢٦. وقد علّق عليه أبو داود بقوله: «**هذا مُرسل، خالد بن دريك لم يدرك عائشة رضي الله عنها**». غير أن الألباني قد حسّن الحديث بقوله: «**لكن له شاهد من حديث أسماء بنت عميس بنحوه، وقال: ثياب شامية واسعة الأكمام بدل ثياب رقاق. أخرجه البيهقي، فالحديث بمجموع الطريقين حسن**». على أن ابن حجر حكى قولا بأن ابن دريك قد رواه عن أم سلمة رضوان الله تعالى عليها، فلا يكون الحديث مرسلاً. راجع تلخيص الحبير لابن حجر ج١٠ ص٢٨١

ويبدو أن القوم هالهم أمر (الثياب الرقاق) فضعّفوا الحديث أولاً، ثم عمدوا إلى تخفيف صراحة ألفاظه بوضع (ثياب شامية واسعة الأكمام)!

(٢) معنى قوله صلى الله عليه وآله: «**أوَلم تريْ إلى هَناتها**» هو: **أوَلم تريْ إلى فرجها وعوراتها؟!** قال ابن منظور: «**هَنُ المرأة: فرجها (...) وتكبير تصغيره: هَنٌّ، ثم يُخفّف فيُقال: هَنٌ. قال أبو الهيثم: وهي كناية عن الشيء يُستفحَشُ ذكره، تقول: لها هَنٌ، تريد لها حِرٌ** - أي فرجٌ - والهَنُّ بالتخفيف والتشديد كناية عن الشيء لا تذكره باسمه» والجمع (هناتها) يتعدّى إلى أعضائها التي لا يُريد (صلى الله عليه وآله) ذكرها بأسمائها الصريحة لأنها مما يُستفحَش ذكره، فهي عورات. راجع لسان العرب لابن منظور ج١٥ ص٣٦٥

يبدو منها إلا هذا وهذا، وأخذ بكفّيه فغطّى بهما ظهر كفّيه حتى لم يبدُ من كفّه إلا أصابعه، ثم نصب كفّيْه عن صُدغيْه حتى لم يبدُ إلا وجهه».[1]

وفي رواية ثالثة يرويها أبو بكر الكاشاني أن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) أمر بطرد أسماء بعدما رآها على هذه الهيئة القبيحة، فقد روى عن عائشة قالت: «**دخلت على أختي أسماء وعليها ثياب شامية رقاق وهي اليوم عندكم صفاق، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هذه ثيابٌ تمجُّها سورة النور! فأمر بها فأُخرِجَتْ. فقلت: يا رسول الله؛ زارتني أختي فقلت لها ما قلت! فقال: يا عائشة؛ إن المرأة إذا حاضت لا ينبغي أن يُرى منها إلا وجهها وكفّاها**».[2]

إذن.. فذات النطاقين التي زعمت أو زُعم أنها كانت تطارق نطاقاً فوق نطاق زيادةً في التستّر وحيطةً من السفور؛ لم تكن في الحقيقة سوى (كاسية عارية) تلبس أثواباً رقيقةً شفّافة تكشف بها جسدها كلّه وتُظهر بها حتى فرجها! وذلك التعرّي الشائن من أكبر الحرام وأعظم الإثم لو كان أمام مثيلاتها من النساء، فكيف إذا كان أمام الرجال الأجانب؟! بل كيف إذا كان أمام خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله وسلم؟!

---

(١) المعجم الكبير للطبراني ج٢٤ ص١٤٣ وسنن البيهقي ج٧ ص٨٦. وفي النسخ المطبوعة اليوم تجد أنهم حرّفوا كلمة (هناتها) إلى (هيأتها)! وقد ساعدهم على ذلك تشابه الرسم في القديم. غير أنك تعرف أن الأصل هو (هناتها) بمراجعة الرواية ذاتها التي ينقلها الهيثمي عن الطبراني، وذلك في مجمع الزوائد ج٥ ص١٣٧، حيث لم تطل كتابه يد التحريف في هذا الموضع! فالحقيقة - كما قلنا - تأبى إلا أن تكشف الأسرار! وأنّى لهم أن يستروا عورة أسماء بعدما أبدتها تحت ثيابها الرقيقة؟!

ثم لو تنزلنا وقلنا بأن اللفظ الصحيح هو (هيأتها) فإن العار لا ينفكّ عن ابنة أبي بكر إذ معنى الهيئة هنا ظهور تفاصيل الجسد وعوراته، وإلا لما كان ثمة داعٍ لأن يُعرض النبي (صلى الله عليه وآله) عنها ويستقبح منظرها.

(٢) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع لأبي بكر الكاشاني الحنفي ج٥ ص١٢٣

إن هذه الحقيقة هي التي تفسِّر وصم أهل الشام لابن هذه المرأة الوقحة بابن ذات النطاقين، فالأرجح أنهم يقصدون ذات النطاقين.. الرقيقين الشفّافين! وأحرج ذلك أسماء وابنها وذويها فعمدوا إلى قلب المفهوم رأساً على عقب بادّعاء الفضائل والمناقب وعنوَنتها بتلك الوصمة!

ويبدو أن أسماء حيث كانت قبيحة لا يرغب بها الرجال - وذلك بقرينة ما عرفناه من سواد لون أهلها وقُبحهم - فإنها عمدت إلى التعرّي بنطاقيها الرقيقين أو ثيابها الشامية الشفّافة أملا في إغراء الرجال كي يصيبوا منها وتصيب منهم!

والظاهر أنها بهذه الحيلة أوقعت في حبائلها **الزبير بن العوّام** فواقعها فحبلت منه بولدها الناصبي المشؤوم عبد الله، ولا شك أنه كان ابن زنا لنُصبه، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**لا يُبغضك يا علي إلا ابن زنا أو ابن حيضة أو منافق**».[1]

وللتستّر على جريمة الزنا اضطر الزبير أن يتزوّج أسماء في العلن، إلا أنه لم يقبل أن يتزوّجها زواجاً دائمياً فتزوّجها متعةً! وهذا أمر اعترفت به أسماء نفسها، فقد روى الطيالسي عن مسلم القرشي قال: «**دخلنا على أسماء بنت أبي بكر فسألناها عن متعة النساء فقالت: فعلناها على عهد النبي**»![2]

(١) ينابيع المودّة للقندوزي الحنفي ص٢٥٢، وقد قال الحافظ الجزري في أسنى المطالب ص٨: «**وهذا مشهور من قديم وإلى اليوم، أنه ما يبغض عليا رضي الله عنه إلا ولد الزنا**».

(٢) مسند الطيالسي ج٥ ص٤٨

وروى الراغب: «**عيّر عبد الله بن الزبير عبد الله بن عباس بتحليله المتعة، فقال له: سَلْ أمّك كيف سطعت المجامر بينها وبين أبيك! فقالت: ما ولدتك إلا في المتعة**»![١]

وروى ابن أبي الحديد: «**خطب ابن الزبير بمكة على المنبر، وابن عباس جالس مع الناس تحت المنبر، فقال: إن ههنا رجلا قد أعمى الله قلبه كما أعمى بصره، يزعم أن متعة النساء حلال من الله ورسوله (...) فقال ابن عباس: يابن الزبير! (...) وأما المتعة فَسَلْ أمّك أسماء إذا نزلت عن بردي عوسجة! (...) فلما عاد ابن الزبير إلى أمه سألها عن بردي عوسجة فقالت: ألم أنْهَكَ عن ابن عباس وبني هاشم! فإنهم كعب الجواب إذا بدهوا. فقال: بلى وعصيتك. فقالت: يا بني؛ احذر هذا الأعمى الذي ما أطاقته الإنس والجنّ، واعلم أن عنده فضائح قريش ومخازيها بأسرها! فإياك وإياه آخر الدهر**»![٢]

وفي رواية ابن أعثم أن ابن عباس قال لابن الزبير: «**فإنه كان يجب عليك أن لا تذكر المتعة، فإنك إنما وُلِدْتَ من متعة! فإذا نزلت من منبرك هذا فصِرْ إلى أمك فسلها عن بردي عوسجة**»![٣]

---

(١) محاضرات الراغب ج٢ ص٩٤، ومعنى (سطعت المجامر) أي التهب الجمر في المجامر حتى سطعت، كناية عن حرق البخور ليلة الدخول لتطييب الجوّ.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ج٢٠ ص١٣٠، وتقصد أسماء من (فضائح قريش ومخازيها) فضائحها ومخازيها مع الزبير وغيره من الرجال! وأما (بردي عوسجة) فسرٌّ عن تمتّعها بالزبير، فنهت ابنها عن الخوض مع ابن عباس لأجل عدم انكشافه!

(٣) الفتوح لابن أعثم الكوفي ج٦ ص٢٥١، وفي أخبار الدولة العباسية ص١١١ قال ابن عباس له: «**فإذا نزلت عن منبرك فسَلْ أمك أسماء ابنة أبي بكر ذات النطاقين عن بردي عوسجة وهل أنت من متعة أم غير ذلك**»! وفي ذكره وصمة (ذات النطاقين) في هذا السياق ما يُشعر بما توصّلنا إليه من أنها كانت مذمة أصلا.

هذا واعلم أن المخالفين يزعمون في ترجمتهم لأسماء أن الزبير تزوّجها ثم طلّقها، لا أنه تمتّع بها، ويبتدعون أسباباً مُضحكة لقيام (الحواريّ) بتطليق (ذات النطاقين) مع ما لها من الشرف والمكانة! ولا يعنينا ذكر هذه الأسباب فإن هذا الادعاء ليس مردّه سوى خجل القوم من ثبوت نكاح المتعة بين هذيْن (الصحابيّين) عندهم، مع أن الجميع متفق على حلية هذا النكاح بالأصل إلا أن الخلاف هو على نسخ حكم الحلية بالحرمة في ما بعد. فليكن الزبير قد تمتّع بها إذن قبل التحريم المفترض، مع أن هذا التحريم باطل ولم يصدر عن النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) كما هو مقرّر في محلّه.

ومهما يكن؛ فإن تطليق الزبير لأسماء - على فرض وقوعه دون نكاحها بالمتعة - كاشفٌ عن أنه لم يُطق هذه المرأة لسوء خُلُقها ورداءة صفاتها! كيف لا وهي الكاسية العارية؟! فلئن كان الزبير قد طغت عليه نزوته حتى وقع عليها؛ فإنه بلا شك لا يطيق أن تبقى زوجة له إذ لا يأمن أن تتعرّى لغيره بثيابها الشفافة فتجلب عليه العار أبد الدهر!

فهذه هي إذن أخت عائشة، وتلك هي صفاتها!

وأولئك هم أفراد أسرتها! فلكَ أن تتخيّل كيف تكون «أخلاق» التي تتربّى بينهم و«تتخرّج» من مدرستهم!

إنها مدرسة أم رومان وسلمى؛ وبيت أبي بكر وأبي قحافة! ذلك البيت الذي يصفه **عثمان بن عفان** بأنه **أكثر بيوت قريش شراً!** على ما رواه المخالفون أنفسهم!

فقد روى أبو هلال العسكري بسنده عن أبي يعقوب السروي تفاصيل إحدى المشادات الكلامية التي وقعت بين عائشة وعثمان، وجاء فيها: «**فقالت عائشة: إنك بريء من صاحب**

هذه الحجرات! فقال عثمان: من لي بهذه الحميراء؟ إنها لمن شرِّ بيت من قريش»![١]

وبهذا جَبَه **محمد بن أبي بكر** (رضوان الله تعالى عليه) عثمان حين اقتحم عليه بيته للإجهاز عليه، إذ حاول الأخير استعطافه بمعسول الكلام أملاً في النجاة من القتل، إلا أن محمدا كان فطناً كيّساً فجبهه بمقولته السالفة ليثبت نفاقه.

فقد روى ابن شبّة بسنده عن ابن عمر: «**ودخل محمد بن أبي بكر معه مشاقص، فقال له عثمان رضي الله عنه: ابن أخي! ما كان أبوك ليدخل عليَّ. فقال: أما الآن فأنا ابن أخيك وقبلُ فأنا ابن شرِّ بيت في قريش! وضربه بمشاقص في أوداجه»!**[٢]

والحق أن عثمان قد صدق في قوله هذا، فبيت الحميراء عائشة هو حقاً شرّ بيت في قريش على الإطلاق! وإلا لما كان يُخرج لنا مثل هذه المرأة.. النموذج الشيطاني المتوحّش الماكر!

وليس خروج محمد من هذا البيت إلا من باب إخراج الحيّ من الميت، والطيّب من الخبيث، كما هو معلوم.

* * *

إلى هنا نكون قد ألقينا نظرة على المحيط الأسري والاجتماعي لعائشة، فننتقل إلى فصل نتعرّف فيه على سيرتها الذاتية لتفنيد ما حوته من أكاذيب ومناقب مصنوعة.

---

(١) الأوائل أبي هلال العسكري ص٥٦، وتقصد من: «صاحب هذه الحجرات» رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فعثمان بريء من رسول الله بنصٍّ من عائشة!

(٢) تاريخ المدينة لابن شبّة النميري ج٤ ص١٣٠، والمعنى أن عثمان استعطف محمداً بالقول أنه ابن أخيه أبي بكر، وأن أخاه هذا ما كان ليدخل عليه في مثل هذا الموقف ليقتله. فجبهه محمد بأنْ كيف تصفني الآن بابن الأخ بينما كنتُ بالأمس تصف بيتنا بأنه شرّ بيوت قريش! فالآن يبدو لسانك مهذباً بينما كان بالأمس سليطاً! لذا فإن محمداً (رضوان الله عليه) لم يمهله وضربه بمشاقصه الحادّة حتى قتله وعجّل بروحه إلى النار!

الفصل الثاني

امرأة هي رأس الكفر والكذب

الإحساس بالدونية والنقص يكون في كثير من الأحيان دافعاً نفسياً نحو سلوكيات متمادية يُراد بها الهروب من ذلك الإحساس القاتل، فترى مَن يعيش هذا الإحساس يلجأ إلى الكذب والتصنّع والمراءاة وما إلى ذلك مما يظنّ أنه به يسدّ نقصه الذاتي في نظر العامّة.

فعلى سبيل المثال؛ تجد أن مَن لا يُعرَف له نسب كريم يبتدع لنفسه نسباً كريماً كما فعل صدّام بن صبحة التكريتي حين ألحق نفسه بالسادة الأشراف! كما تجد أن مَن لا مقام علمياً له يختلق لنفسه مقاماً علمياً كالذين يشترون من جامعات بيروت وعمّان والقاهرة شهادات الدكتوراة المزيّفة! وكذا تجد المرأة القبيحة تتزيّن كل يوم بأرطال من الأصباغ التجميلية وتترقّق في صوتها وتتمايل في مشيتها علّها تعثر على مَن يرغب بها من الشباب!

عائشة كانت من هؤلاء، أي من الذين يعيشون عقدة حقارة ذاتية، وذلك راجع إلى انتمائها لأخسّ بيوت مكّة وأحطّ قبائلها على ما مرّ عليك من تفاصيل في الفصل الأول، ثم هيَ - على ما ستعلم - لم تكن تحوز أياً من المزايا الشخصية التي ترجّحها على غيرها من النساء، بل على العكس من ذلك؛ كانت طباعها وصفاتها الشخصية منفِّرةً جداً إلى حدّ أن النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يتمنّى هلاكها والخلاص من شرّها بعدما سبق منه أن وصمها «برأس الكفر»! وسيأتي تفصيل ذلك بإذنه تعالى.

لهذا لم يكن أمام عائشة وحزبها إلا محاولة الهروب من هذه العقدة ومن هذا الإحساس بالدونية والنقص والبشاعة، وذلك باختلاق الأكاذيب والأساطير التي تجمِّل أو تفخِّم شخصيتها وترفعها في نظر العامّة العمياء.

وبهذا تكوَّن هذا التراث المهول الذي تغلب عليه الخرافات والأباطيل التي تمجّد عائشة وسيرتها، وهو تراث يحتاج إلى غربلة تمحيصية واسعة لتمييز الصحيح من السقيم فيه.

وههنا في هذا الفصل نناقش بعض هذه الخرافات واضعين بصددها النقاط على الحروف في ما يتصل بعائشة ونشأتها وصفاتها الذاتية.

■ خرافة الطفلة البريئة المنتزَعة من أرجوحتها!

لطالما أخذ أعداء الإسلام من اليهود والنصارى ومَن سواهم قضية زواج النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) بعائشة مطعناً من مطاعنهم الموجهة ضدّ هذا النبي العظيم، إذ قد اعتمدوا على ما أشاعته عائشة من كونها قد تزوّجت بالنبي (صلى الله عليه وآله) وهي بنت ست سنوات وأنه قد دخل بها وهي بنت تسع فقط؛ فقالوا – وناقل الكفر ليس بكافر –: انظروا لهذا الرجل الشيخ كيف تزوّج طفلة صغيرة بريئة هي في عمر أحفاده بينما هو يتجاوز الخمسين من العمر! وكيف طابت نفسه أن يختطف طفولتها من أجل نزواته! أي نبيٍّ هذا الذي يفعل مثل هذه الفعلة غير الإنسانية!

هكذا استغل الحاقدون على سيد الأنبياء (صلى الله عليه وآله) ما أشاعته عائشة زوراً من أحاديث أرادت من خلالها إيهام الناس بأنها كانت أصغر زوجات النبي (صلى الله عليه وآله) وأنضرهنّ وأجملهنّ وأحظاهنّ عنده! ومع ذلك لم يكن أمر زواجها هذا بإرادة منها! فهي الطفلة الرقيقة البريئة البكر التي انتُزِعت من «أرجوحتها» التي كانت تلعب بها مع

«صويحباتها» حين صاحت بها أمها واقتادتها بعنف وهي لا تكاد تلتقط أنفاسها - دون أن تعلم ما يجري وماذا يُراد لها - لتذهب بها إلى بيت النبي الذي «أفزعها» بدخوله عليها!

روى البخاري عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت: «**تزوّجني النبي صلى الله عليه وسلم وأنا بنت ست سنين! فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحارث بن خزرج، فوعكتُ فتمرَّق شَعري فوَفى جُمَيْمةً،**(١) **فأتتني أمي أمّ رومان وإني لفي أُرجوحة ومعي صواحب لي، فصرخت بي! فأتيتها لا أدري ما تريد بي، فأخذت بيدي حتى أوقفتني على باب الدار وإنّي لأَنهَجُ حتى سكن بعض نَفَسي!** (٢) **ثم أخذتْ شيئاً من ماء فمسحت به وجهي ورأسي، ثم أدخلتني الدار فإذا نسوة من الأنصار في البيت، فقُلنَ: على الخير والبركة وعلى خير طائر. فأسلمتني إليهنَّ فأصلحنَ من شأني، فلم يُرِعْني إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ضُحىً!** (٣) **فأسلمتني إليه وأنا يومئذ بنت تسع سنين**»!(٤)

وفي رواية أخرى تصوّر عائشة ما جرى عليها بمشهد آخر لا يقل تراجيدية عن المشهد السابق! حيث تزعم أن أمّها أجلستها - وهي الطفلة المسكينة - في «حِجْر» زوجها الذي استرخص قدرها فدخل بها في بيت أبيها! ولم يولم على زفافها إليه بشيء! حتى أتى غيره بشيء من الطعام إليهما!

---

(١) أي أنها مرضت **فتمرّق شعرها** أي انتتف بسببه. ثم بعد ذلك تعافت من المرض فعاد شعرها **ووفى** أي كثر حتى بلغ **جُميمة** أي مجتمع شعر الناصية.

(٢) كانت **تنهج** أي تلهث وتتنفس تنفساً عالياً من شدة العنف الذي انتُزعت به من أرجوحتها وصويحباتها! وفي لفظ مسلم: «**فصرخت بي فأتيتها وما أدري ما تريد بي فأخذت بيدي فأوقفتني على الباب، فقلت: هه هه! حتى ذهب نَفَسي**»!

(٣) قولها: **لم يُرِعْني** أي لم يُفزعني إلا رسول الله (صلى الله عليه وآله) حين دخل عليها في ضحى ذلك اليوم!

(٤) صحيح البخاري ج٤ ص٢٥١، ونحوه في صحيح مسلم ج٤ ص١٤١، وأبو هشام هو عروة بن الزبير.

روى ابن حنبل عن عائشة قالت: «**فجاءتني أمي وإني لفي أُرجوحة بين عَـذْقين تـرجُح بي، فأنزلتني من الأرجوحة ولي جُمُيْمةٌ ففرّقتها ومسحت بوجهي بشيء مـن مـاء، ثـم أقبلـت تقودني حتى وقفت بي عند الباب وإني لَأَنْهَجُ حتى سكن من نَفَسي! ثم دخلتْ بي فإذا رسـول الله صلى الله عليه وسلم جالسٌ على سرير في بيتنا وعنده رجال ونساء من الأنصار فأجلـستني في حجره! ثم قالت: هؤلاء أهلك فبـارك الله لـك فـيهم وبـارك لهـم فيـك. فوثـب الرجـال والنساء فخرجوا وبنى بي رسول الله في بيتنا! ما نُحِرَت عـليَّ جـزور! ولا ذُبِحَـت عـليَّ شـاة! حتى أرسل إلينا سعد ابن عبادة بجَفنةٍ كان يُرسـل بهـا إلى رسـول الله إذا دار إلى نـسائه. وأنـا يومئذ بنت تسع سنين**»![1]

ولكي تدعِّم عائشة أنها كانت طفلة بريئة لا تفقه مـا يـدور حولهـا جـاءت بروايـة ثالثـة تزعم فيها أنها حين زُفَّت إلى النبي (صلى الله عليه وآله) كانت الدُّمى والعرائس التـي تلعـب بهنَّ معها!

روى مسلم عن عروة عن عائشة: «**إن النبي صلى الله عليه وسلم تزوّجها وهي بنت سبع سنين! وزُفَّت إليه وهي بنت تسع سنين ولُعَبُها معها! ومات عنها وهي بنت ثمان عشرة**»![2]

بل وزعمت عائشة أنها استمرّت باللهو بعرائسها حتى بعد انتقالهـا إلى منـزل الزوجيـة! وأن النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) كان مستأنساً بذلك ويساعدها على اللهـو مـع صويحباتها رغم أنهن كنّ «ينقمعن» أي يهربن منه فزعاً!

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص٢١١

(٢) صحيح مسلم ج٤ ص١٤٢. ويقول النووي في شرحه ج٩ ص٢٠٨: «**ولُعَبها معها، المـراد هـذه اللُّعَـب المسماة بالبنات التي تلعب بها الجواري الصغار**»!

روى مسلم عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة: «**أنها كانت تلعب بالبنات عند رسول الله صلى الله عليه وسلم! قالت: وكانت تأتيني صواحبي فكُنَّ ينقمعن من رسول الله! قالت: فكان رسول الله يُسِّربهنَّ إليَّ**»![١]

وروى ابن سعد عن عروة عن عائشة قالت: «**دخل عليَّ رسول الله يوماً وأنا ألعب بالبنات! فقال: ما هذا يا عائشة؟ فقالت: خيل سليمان! فضحك**»![٢]

---

(١) صحيح مسلم ج٧ ص١٣٥ ونحوه في صحيح ابن حبان ج١٣ ص١٧٤ ومعجم الطبراني ج٢٣ ص٢١. وقولها: «يسرِّبهنَ إليَّ» أي: يرسلهنَّ إليَّ.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ج٨ ص٦٢، مع أنّا لم نفهم وجه الشبه بين البنات وهنّ العرائس أو الجواري الصغار وبين خيل النبي سليمان عليه السلام! فلعلّ عائشة لم تكن حين حدّثت عروة بهذا الحديث المكذوب في كامل قواها العقلية!

غير أن عائشة لا يمكن أن توقع نفسها في ورطة كهذه دون أن تتدارك الأمر، فحدّثت أبا سلمة بن عبد الرحمن بحديث آخر فيه تفصيل ما أجملته في حديثها لعروة لتوضّح فيه أن «خيل سليمان» كان وسط البنات! فقد أخرج أبو داود في سننه ج٢ ص٤٦٢ عن عائشة قالت: «**قَدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك أو خيبر وفي سهوتها ستر، فهبّت ريح فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة لُعَب، فقال: ما هذا يا عائشة؟ قالت: بناتي. ورأى بينهنَّ فرساً لها جناحان من رقاع، فقال: ما هذا الذي أرى وسطهنّ؟ قالت: فرس. قال: وما هذا الذي عليه؟ قالت: جناحان. قال: فرس له جناحان! قالت: أما سمعت أن لسليمان خيلاً لها أجنحة؟! فضحك حتى رأيت نواجذه**»!

إلا أن الكاذب يظل دائماً متورّطاً لا يخرج من ورطة إلا وقع في أخرى! فإن روايتها الأخيرة هذه تزعم فيها أن الحادثة وقعت حين قَدِم النبي (صلى الله عليه وآله) من غزوة تبوك أو خيبر، ومعنى ذلك أن عائشة ظلّت تلعب وتمارس لهوها الطفولي حتى سنٍّ متأخرة! فإن غزوة تبوك وقعت في السنة التاسعة، ويكون عمر عائشة حينها – بناءً على دعواها أنها كانت بنت تسع حين بُني بها – مقارباً للثمان عشرة سنة! وأما غزوة خيبر فقد وقعت في السنة السابعة، ويكون عمر عائشة حينها مقارباً للست عشرة سنة! أفهل نجد فتاة بالغة في مثل هذه الأعمار تظل تلعب بالدُّمى والعرائس وتزعم أن هذا الخيل الذي له جناحان من رقاع هو خيل سليمان!

هكذا حاولت عائشة أن تحتبك هذه القصة الخيالية المرتكزة على كونها صغيرة السن حين تزوجت بالنبي الأعظم صلى الله عليه وآله، إلا أن القصص المكذوبة مهما حاول مختلقوها احتباكها فإن مآلها إلى السقوط كما هو معلوم.

والآتي من الأدلة كفيل بتفنيد ما ادّعته عائشة، إذ سيتبيَّن أنها لم تكن طفلة حين زواجها، بل كانت بالغةً يتجاوز عمرها سبع عشرة سنةً على أقلّ تقدير.

أما أولا؛ فإن عائشة لو كانت صادقة في ما تدّعيه لما تناقضت مع نفسها! وقد مرَّ عليك التباين بين قولها أنها حين الزواج كانت **بنت ست** وبين قولها أنها كانت **بنت سبع**؛ وكلا قوليها مرويّان عن ابن أختها عروة أيضاً!

وأما ثانيا؛ فإن البخاري يروي عن هشام عن أبيه قال: «**توفيت خديجة قبل مخرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بثلاث سنين، فلبث سنتين أو قريباً من ذلك، ونكح عائشة وهي بنت ست سنين، ثم بنى بها وهي بنت تسع سنين**».[1]

وهذا الحديث يحمله المخالفون على أنه مروي عن عائشة نفسها، إذ يقول ابن حجر: «**هذا صورته مرسل، لكنه لمّا كان من رواية عروة مع كثرة خبرته بأحوال عائشة يُحمل على أنه حمله عنها**».[2]

ومفاد هذا الحديث أن زواج عائشة إنما وقع في السنة الأخيرة قبل الهجرة حيث كانت بنت ست، لأن النبي (صلى الله عليه وآله) لبث لا يتزوّج بعد خديجة (صلوات الله عليها) سنتين أو قريباً من ذلك، وكانت خديجة (عليها السلام) قد توفيت قبل ثلاث سنين من

---

(١) صحيح البخاري ج٤ ص٢٥٢

(٢) فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ج٧ ص١٧٥

الهجرة. ثم إنه (صلى الله عليه وآله) قد بنى بعائشة وهي بنت تسع، ما يعني أن ذلك وقع بعد مضي سنتين من الهجرة، لأن هذا هو الفارق الزمني بين الست والتسع، فلا تبلغ عائشة تسعاً إلا بعد سنتين من الهجرة. وإذ ذاك تكون فترة مكوثها عند النبي (صلى الله عليه وآله) **لا تتجاوز ثماني سنين**، لأنه (صلى الله عليه وآله) قد استشهد في السنة العاشرة كما هو معلوم.

وهذا يباين ما زعمته عائشة كما في حديث مسلم المتقدّم من أنها قد زُفَّت - مع لُعَبها! - إلى النبي (صلى الله عليه وآله) وهي بنت تسع، وأنه مات عنها وهي بنت ثمان عشرة، ما يعني أنها مكثت عنده **تسع سنين**، وهو الذي أكّدته في حديث آخر رواه البخاري عن هشام عن أبيه عن عائشة أيضا: «**أن النبي تزوجها وهي بنت ست سنين، وأُدخلت عليه وهي بنت تسع، ومكثت عنده تسعاً**».(١)

فالحديثان يكذِّب إحداهما الآخر، فإنه لو صحّ الأول لما كانت فترة مكوث عائشة عند النبي (صلى الله عليه وآله) تبلغ تسعاً، ولو صحّ الثاني لما كان النبي (صلى الله عليه وآله) قد تزوّجها في السنة الأخيرة قبل الهجرة وبعد وفاة أم المؤمنين خديجة الكبرى (عليها السلام) بسنتين!

فهذا تناقض آخر أوقعت عائشة نفسها فيه، مع أن كلا قوليها مرويّان بالطريق نفسه، أي عن هشام عن ابن أختها عروة! والتناقض هذا كاشف عن الكذب والاختلاق كما لا يخفى، ولا يسع المخالفين الاعتذار بضعف هذه الأحاديث مثلاً، ذلك لأنهم يحكمون عليها جميعاً بالصحة فتكون إذ ذاك قطعية الصدور عندهم عن عائشة.(٢)

---

(١) صحيح البخاري ج٦ ج١٣٤

(٢) حاول ابن حجر الفرار من هذا الإشكال والتباين بتوجيه الحديث الأول إلى معنى آخر، فقال كما في فتح الباري ج٧ ص١٧٦: «**فقوله: فلبث سنتين أو قريباً من ذلك؛ أي لم يدخل على أحد من النساء، ثم دخل** =

وأما ثالثا؛ فإن عائشة زعمت أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: «**اللهم أعزّ الإسلام بعمر بن الخطاب خاصة**»![1]

ولسنا في هذا المقام بصدد تفنيد صدور هذا الحديث وإثبات أنه مجعول من قبل عائشة؛ وإنما نستشهد به على سبيل الإلزام للخصم، فنقول: إن هذا الحديث يُدَّعى صدوره قبيل إظهار عمر إسلامه، بزعم أن ذلك كان استجابة لدعاء رسول الله صلى الله عليه وآله. وهاهنا تدّعي عائشة أنها سمعته من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وترويه عنه مباشرة.

وعند المخالفين أن إسلام عمر كان في **السنة السادسة** من البعثة النبوية، أي قبل نحو سبع سنوات من الهجرة. وقد تقدّم عن عائشة أنها كانت بنت ست في السنة الأخيرة من الهجرة، ما يعني أنها قبل سبع سنوات من الهجرة كانت لا تزال في بطن أمّها أو أنها طفلة رضيعة لا تعقل! فكيف سمعت ووعت هذا الحديث المزعوم من النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله؟!

فإذا كان صحيحاً ما ادّعته من كونها صغيرة السن بنت ست حين تزوّجت؛ لما كان لها أن تروي هذا الحديث كذباً أو تدليساً عن رسول الله صلى الله عليه وآله! وإنْ لم يكن صحيحاً تمَّ

= **على سودة بنت زمعة قبل أن يهاجر، ثم بنى بعائشة بعد أن هاجر، فكأن ذكر سودة سقط على بعض رواته»**!

وهو كما تراه في ضعفه وسخافته، إذ يحاول لوي المعنى وصرفه عن ظاهره بطرح الافتراضات الواهية ليس إلا! كل ذلك لإنقاذ عائشة من ورطتها وستر عيبها حين وضعت هذه الأحاديث التي تفوح منها رائحة الكذب!

(١) مستدرك الحاكم ج٣ ص٨٣ وقال فيه: «**هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه**». وأخرجه ابن حبّان في صحيحه ج١٥ ص٣٠٦ والبيهقي في سننه ج٦ ص٣٧، والحديث عن هشام عن أبيه أيضاً.

المطلوب وهو أنها كانت أكبر من ذلك بكثير بحيث أنها - حسب الفرض - تسمع الحديث وتعيه وتحدّث به.

فهذا تناقض ثالث يُضاف إلى ما سبق من تناقضاتها الكاشفة عن كذبها واختلاقها، والأنكى للقوم أنها جميعاً مروية بأسناد صحاحٍ عن هشام عن أبيه عروة! فأين المفرّ؟!

وأما رابعا؛ فإن البخاري يروي بسنده عن يوسف بن ماهك قال: «**إني عند عائشة أم المؤمنين، قالت: لقد أُنزل على محمد صلى الله عليه وسلم بمكة وإني لجاريةٌ ألعب: بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ**».[1]

تزعم عائشة هاهنا أنها كانت **جارية تلعب** حين نزلت هذه الآية الكريمة على النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) بمكة المكرمة، إلا أن المفسّرين رووا عن ابن عباس قوله: «**كان بين نزول هذه الآية وبين بدر سبع سنين**».[2]

ويستلزم ذلك أن يكون زمان نزول هذه الآية قبل الهجرة **بخمس سنين** لأن معركة بدر وقعت في **السنة الثانية من الهجرة** كما هو معلوم.

فلو صدّقنا عائشة في مزاعمها من أنها كانت بنت ست أو سبع حين زواجها في السنة الأخيرة قبل الهجرة؛ لكان عمرها زمان نزول هذه الآية لا يتجاوز **سنة أو سنتين**، فكيف تزعم أنها كانت حينذاك **جارية تلعب**؟! إذ الجارية هي الفتاة التي تكون قد بلغت مبلغ الفتوّة من النساء وهي المرحلة التي تداني البلوغ، لا التي تكون في سنّ الرُّضَّع أو الأطفال الصغار، فلا يُقال لمن سنّها سنة أو سنتان: جارية! بل يُقال لها: رضيعة أو طفلة.

---

(١) صحيح البخاري ج٦ ص٥٤

(٢) تفسير القرطبي ج١٧ ص١٤٦ وتفسير الخطيب ج١١ ص٣٣٥ وغيرهما.

قال ابن منظور: «**الجارية: الفتيّة من النساء بيِّنة الجَراية**».[١]

وعليه؛ فلا مفرّ لتثبيت حديث عائشة هذا والاعتماد عليه سوى القول بأنها كانت حين نزول هذه الآية جارية فعلاً، أي أنها كانت فتاة كبيرة تعقل أمر نزول الآيات وتلتفت إليها وتحفظها، وإلا وجب تكذيبها في هذا الحديث أو حديثها من أنها كانت بنت ست أو سبع حين زواجها، لأنهما حديثان متنافيان وكلاهما مرويّان عند القوم بأسناد صحيحة في كتاب البخاري!

وأما خامسا؛ فإن ابن قتيبة يقول معلّقاً على حديث عائشة في زواجها وهي بنت تسع: «**وبقيت إلى خلافة معاوية، وتوفيت سنة ثمان وخمسين وقد قاربت السبعين، فقيل لها: ندفنك عند رسول الله؟ فقالت: إني أحدثتُ بعده! فادفنوني مع أخواتي. فدُفنت بالبقيع، وأوصت إلى عبد الله بن الزبير**».[٢]

وقال البرّي: «**وتوفيت سنة ثمان وخمسين للهجرة في آخر خلافة معاوية، وقد قاربت السبعين، وذلك ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من رمضان**».[٣]

---

(١) لسان العرب لابن منظور ج١٤ ص١٣٩

(٢) المعارف لابن قتيبة ص٢٩، ولا يفوتنّك شهادتها على نفسها بأنها قد «أحدثت» بعد رسول الله صلى الله عليه وآله. ثم لا يفوتنّك قوله (صلى الله عليه وآله) المشهور: «**شرّ الأمور مُحدثاتها، وكل مُحدَثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار**». صحيح ابن خزيمة ج٣ ص١٤٣. وبمطابقة هذا على ذاك تعرف أن عائشة مبتدعة ضالة وهي الآن في النار!

(٣) الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة للبرّي ج١ ص٢١٦

وقال ابن عبد ربّه: «**وعاشت بعده إلى أيام معاوية، وماتت سنة ثمان وخمسين وقد قاربت السبعين**».[١]

وقال المقدسي: «**عائشة تزوّجها (النبي) بمكة قبل الهجرة بسنة (...) توفيت عائشة في زمن معاوية وقد قاربت السبعين، فقال لها: ألا ندفنك في بيتك مع رسول الله؟ قالت: لا! لأني قد أحدثتُ بعده**»![٢]

وعليه يكون عمر عائشة في السنة الأخيرة قبل الهجرة مقارباً لاثني عشر عاماً، وهي السنة التي تزوّجها فيها النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) على ما سلف، فأين هذا من قولها أنها كانت بنت ست أو سبع؟!

وحتى لو افترضنا أن المقصود مما ذكروه من مقاربتها السبعين حين هلاكها أنها بلغت سبعا وستين سنة - كما ذكره بعضهم[٣] - فإنها تكون حين زواجها[٤] بنت تسع لا بنت ست أو سبع! إلا أن نكذّب روايتهم أنها تزّوجت في السنة الأخيرة قبل الهجرة، فيرجع بنا الكلام إلى الإشكال الذي مرّ في (ثانيا)، فيثبت التباين الذي يكذّب ادعاءها!

---

(١) العقد الفريد لابن عبد ربّه ج٢ ص٧١

(٢) البدء والتاريخ للمقدسي ج١ ص٢٦٠

(٣) ومنهم ابن كثير في في البداية والنهاية ج٨ ص١٠١، غير أنه اعتمد في ذلك على الحساب فقال: «**وكان عمرها يومئذ سبعا وستين سنة، لأنه توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمرها ثمان عشرة سنة، وكان عمرها عام الهجرة ثمان سنين أو تسع سنين، فالله أعلم ورضي الله تعالى عن أبيها وعن الصحابة أجمعين**»!

وهذا الحساب هو كما ترى أول الكلام.

(٤) لا الدخول بها.

وأما سادسا؛ فإن ابن حجر العسقلاني يقول عن أسماء بنت أبي بكر: «**هي أم عبد الله ابن الزبير، أسلمت بمكة قديماً وبايعت النبي صلى الله عليه وسلم، وهي أكبر من عائشة بعشر سنين، وماتت بعد أن قُتل ابنها بأقل من شهر، ولها من العمر مئة سنة، وذلك سنة ثلاث وسبعين**».(١)

ويروي البيهقي والذهبي عن ابن أبي الزناد قوله: «**إن أسماء بنت أبي بكر كانت أكبر من عائشة بعشر سنين**».(٢)

كما يروي النووي عن الحافظ أبي نعيم قوله: «**وُلدت أسماء قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع وعشرين سنة، وكان لأبيها أبي بكر حين وُلدت له إحدى وعشرون سنة**».(٣)

والمتحصّل من هذه الروايات أن أسماء كانت في السنة الأخيرة قبل الهجرة تبلغ من العمر سبعاً وعشرين سنة، وإذ إنّها تكبر أختها عائشة بعشر سنين؛ فيكون عمر هذه الأخيرة حينذاك **مقارباً لسبعة عشر عاماً!** وهو العام الذي تزوّجت فيه، فأين هذا من قولها أنها كانت بنت ست أو سبع؟!

وهكذا يكون النبي (صلى الله عليه وآله) قد دخل بها وهي **تناهز العشرين سنة، لا** أنها كانت بنت تسع!

وبهذا تنكشف هذه الكذبة التي أطلقتها عائشة وأرادت بها أن توهم الناس أنها كانت طفلة بريئة زُوِّجَت رغماً عنها إلى شيخ طاعن في السن! فالحق أنها كانت حينذاك امرأة بالغة

---

(١) سبل السلام لابن حجر العسقلاني ج١ ص٣٩

(٢) سنن البيهقي ج٦ ص٢٠٤ وسير أعلام النبلاء للذهبي ج٢ ص٢٨٩

(٣) تهذيب الأسماء للنووي ج٣ ص٢٢٣

مبلغ النساء، وقد حملت معها من أخلاق أهل الجاهلية ما حملته، لأنها قد وُلدت **قبل البعثة** لا بعدها كما زعمت أو زُعِم لها**!**

ثم إن ههنا أمراً متصلاً بهذا المطلب ينبغي أن نلفت الأذهان إليه، وهو أن من جملة ما يُشاع ويُروَّج في مقام مدح عائشة أنها كانت الوحيدة التي تزوّجها النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) بكراً لم يسبق لها الزواج، وتلك كانت دعوى عائشة التي طالما افتخرت بها قائلة: «**فُضِّلتُ على نساء النبي** (بأمور منها أنه) **لم ينكح بكراً قطُّ غيري**»**!**[1] ونحن نشكّك في هذا على إطلاقه، لأن عائشة سبق لها الزواج ثم طُلِّقت**!** وكان زوجها السابق اسمه **جُبير ابن مُطعِم**، وهي حقيقة خافية عن معظم الناس.

روى ابن سعد عن عبد الله بن أبي مليكة: «**أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما خطب عائشة قال أبو بكر: إني كنت أعطيتها مُطعماً لابنه جُبَيْر، فدعني حتى أسلّها منهم، فاستسلّها منهم فطلّقها، فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم**».[2]

فالمتيقن إذن أن عائشة كانت قد زُوِّجت وأُعطيت لزوجها ثم استُسِلَّت وطُلِّقت منه، وهذا يؤكد أيضاً أنها كانت قد بلغت مبلغ النساء حينذاك لا أنها كانت طفلة، وأما أنها هل افتُضَّت بكارتها في هذا الزواج؟ فالرواية ساكتة عن بيان ذلك كما أنها ساكتة عن نفيه أيضا، والمظنون القوي عندنا أنها قد نُكحت بالفعل وزالت عنها عذريتها لما يُستشعر من الرواية، إذ هي تؤكد أن أبا بكر قد «**أعطاها**» زوجها، والمعلوم من أهل الجاهلية أنهم ما كانوا يصبرون على الدخول بنسائهم، كما أن من تأمل في سيرة عائشة وكيف كانت كَرِعةً غَلِمَةً كما أبدت في أفعالها وأقوالها لا يتوقع منها الصبر أيضاً، فلهذا نحن نقوي أنها لم تكن بكرا.

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج٨ ص٦٣

(٢) المصدر نفسه ج٨ ص٥٩

ولو تنزّلنا وسلّمنا بأنها كانت بكراً فإن ذلك ليس فيه أدنى فضيلة لها، بل إن افتخارها بهذا على فرض صحّته يكشف عن ضحالة عقلها وسخافة منطقها! فإن منطق الإسلام ومعياره في التفضيل والتكريم إنما هو في توفّر صفة التقوى فيمن يُفَضَّلُ ويُكَرَّم، وذاك قوله تبارك وتعالى: «**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ الله أَتْقَاكُمْ**»[1] فالمرأة التي يتزوّجها رسول الله (صلى الله عليه وآله) إنْ كانت ذات تقوى وورع فتلك الفضيلة لها ولا ينقصها أن تكون ثيّباً، وأما إنْ لم تكن ذات تقوى وورع فلا يعوض ذلك وجود غشاء بكارتها ولا يكون ذلك الغشاء سبباً في تفضيلها على غيرها من النساء! فانظر كيف تفخر هذه الجاهلة بأمرٍ لا فخر فيه حسب منطق الإسلام! وإنما افتخرت به لأنها مهووسة بعالم الفراش والمضاجعة وتظن أن باقي الناس ينظرون إلى القضايا بمنظارها القبيح هذا! فكأنها تقول: إني خيرٌ من ضرائري لأني وحدي التي استلذّ بها النبي وذلك حينما افتضّ بكارتي!

وقد روى المخالفون أن الزهراء (صلوات الله عليها) أخرست عائشة حين افتخرت بهذه البكارة المزعومة، وذلك حين أجابتها بجواب علّمها إياه أبوها (صلى الله عليه وآله) لتردّ به على هذه الحمقاء! فقد قال الآلوسي في تفسيره: «**جاء إنه عليه الصلاة والسلام لم يتزوّج بكراً إلا عائشة رضي الله تعالى عنها، وكانت تفتخر بذلك على صواحباتها، وردّت عليها الزهراء على أبيها وعليها الصلاة والسلام بتعليم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إياها حين افتخرت على أمها خديجة رضي الله تعالى عنها بقولها: إن أمي تزوّج بها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو بكرٌ لم يره أحد من النساء غيرها، ولا كذلك أنتنّ! فسكتت**».[2]

(١) الحجرات: ١٤

(٢) تفسير الآلوسي ج٢٨ ص١٥٦

وهكذا يكون الجواب المفحم، فإنه إن كان المعيار هو البكارة فسيدة النساء خديجة بنت خويلد (صلوات الله عليها) أحقّ بالفخر وأولى، ذلك لأنها كانت أول امرأة تشرّفت بزواج سيد الخلق (صلى الله عليه وآله) بها، وأوّل امرأة لامس جسدها جسده الطاهر، وهو الذي كان بكراً لم يأتِ أحداً من النساء بعد ولا حظيت إحداهنّ به. ثم هي التقية النقية التي نصّ النبي (صلى الله عليه وآله) على أن الله لم يُبدله خيراً منها، وذلك في ردّه على عائشة حين أهانتها على ما سيوافيك إن شاء الله تعالى.

على أن الثابت عندنا أن خديجة (عليها السلام) كانت عذراء حين تزوّجها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لا كما يشيعه المخالفون من أنها عرفت رَجُليْن قبله. وذلك ما رواه ابن شهراشوب عن غير واحد كالبلاذري وأبي القاسم الكوفي والمرتضى وصاحب التلخيص قولهم: «**إن النبي صلى الله عليه وآله تزوّج بها وكانت عذراء**».[1]

وإذ ذاك تكون عائشة كاذبة في دعواها أن النبي (صلى الله عليه وآله) لم يتزوّج بكراً غيرها.

(١) مناقب آل أبي طالب لابن شهراشوب ج١ ص١٣٨

■ **خرافة التزويج الإلهي الإكرامي!**

كثيرة هي الأوهام التي يعتقد بها المخالفون ويتوارثونها بما يبلغ من الشهرة مكاناً يقلبها إلى حقائق لا تقبل المناقشة أو المراجعة. ويزيد في طين هذه الأوهام بلّة أن علماء المخالفين يعكفون ليل نهار على ترديدها وتسويقها على المنابر لغلق عقول أترابهم على الموروث المصنوع فلا يفكر أحدٌ بالانفتاح على العلم والتأريخ فيحقّق أو يدقّق فيشكّ وينقض!

كمثال بسيط على ذلك؛ ما يعتقد به المخالفون تبعاً لترويجات مشايخهم من أن **الله تعالى إكراماً لعائشة اختارها زوجة لرسوله وأمره بالزواج منها!** إذ يعدّها بدر الدين الزركشي مثلا خاتمة الفضائل الأربعين المزعومة لعائشة، ناقلاً عن أبي الفرج ابن الجوزي ما يردّ به على **زينب بنت جحش** زوج النبي (صلى الله عليه وآله) التي افتخرت على ضرائرها بأن تزويجها كان من السماء.

يقول الزركشي في كتابه الذي ألّفه لتعظيم عائشة: «**الأربعون: أن الله تعالى اختارها لرسوله. قال أبو الفرج بن الجوزي في كتاب فتوح الفتوح: افتخرت زينب على نساء النبي فقالت: كُلُّكُن زوَّجها أبوها، وأنا زوَّجني ربي. تُشير إلى قوله (زَوَّجْناكَها) وأنا أتوب. فقال: يا زينب لقد صدقت، و لقد شاركتك عائشة في أن الله تعالى بعث صورتها في سرقة من حرير مع جبريل فجلاّها فقال: هذه زوجتك! فهذا تزويج مطوي في سر القدر ظهر أثره يوم عقد العقد غير أن عائشة كانت من اختيار الله لرسوله وكنت يا زينب من اختيار الرسول لنفسه**»![1]

أما السيوطي فيصل به الغلو مبلغ أن يطلق على عائشة لقب «**سيدة نساء العالمين**» حينما يذكر هذه الفضيلة المزعومة لها ضمن تعرّضه لقصة الإفك المحرّفة! فيقول: «**الخبيثات**

(١) الإجابة لما استدركته عائشة على الصحابة لبدر الدين الزركشي ص٢٤

للخبيثين، يريد أمثال عبد الله بن أبيّ ومن شكّ في الله ويقذف مثل سيدة نساء العالمين! والطيبات للطيبين، عائشة طيّبها الله لرسوله! أتى بها جبرئيل في سرقة من حرير قبل أن تُصوَّر في رحم أمها فقال له: عائشة بنت أبي بكر زوجتك في الدنيا وزوجتك في الآخرة عوضاً من خديجة»!(١)

هكذا هي اللغة البكرية دائماً، تجنح نحو عائشة وتنحاز إليها انحيازاً مفرطاً ضد الجميع، حتى وإنْ كان من بين هذا (الجميع) رسول الله وابنته الزهراء وزوجاته الأخريات!

فيوصم النبي (صلى الله عليه وآله) بأنه «هو الذي اختار زينب» مع ما يستدعيه ذلك من إساءةٍ بالغة لمقامه الشريف وتصديقٍ للأكاذيب المروية في حقّه من أنه شاهد زينب بلا حجاب فهواها، فاستجاب الله تعالى لهواه فزوّجه إياها! (٢)

---

(١) الدر المنثور للسيوطي ج٥ ص٣٠

(٢) ومن تلك ما رواه ابن الجوزي نفسه في زاد المسير ج٦ ص٢٠١ إذ قال: «**ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى منزل زيد فنظر إليها - وكانت بيضاء جميلة من أتمِّ نساء قريش - فوقعت في قلبه! فقال: سبحان الله مقلّب القلوب**»!

ومنها ما رواه الشوكاني في فتح القدير ج٤ ص٢٨٤ عن قتادة وابن زيد وجماعة من المفسرين منهم ابن جرير الطبري وغيره قالوا: «**إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقع منه استحسان لزينب بنت جحش وهي في عصمة زيد، وكان حريصاً على أن يطلّقها زيد فيتزوّجها هو**»!

ولا يخفى أن هذه أكاذيب روّجها علماء المخالفين للطعن في النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) وتصويره بهذه الصورة المخزية، من أنه اختار زينب لنفسه بعدما عشقها إذ رأى حُسنها وجمالها مع أنها كانت في حبالة رجل آخر غيره! وقد ضاهى البكريّون اليهود في قولهم أن داود (عليه السلام) عشق زوجة أوريّا ابن حنّان بعدما رآها صدفةً تستحمّ، فقدّمه إلى الحرب حتى قُتل فضمّها إلى زوجاته! (صموئيل٢: ٢٦).

والحاصل أن هذه هي طبيعة الأديان المحرّفة، تنسب إلى أنبياء الله تعالى ما يتنزّه عنه المؤمن العادي.

أما زواج سيد الأنبياء (صلى الله عليه وآله) بزينب، فقد كان عن اختيار الله تعالى لحكمة إبطال التبنّي =

وتُخاطَب زينب بمثل هذا الخطاب من ابن الجوزي الذي غاظه افتخارها وحجّتها فانبرى ينافح عن عائشة وحدها دون سائر الزوجات وأمهات المؤمنين! مع أن زينب هي الأخرى «أم المؤمنين» عند القوم! فلمَ لم يبلع ابن الجوزي وأضرابه ألسنتهم واحترموا أمّهم وتركوا ما افتخرت به دون تعليق أو ردّ؟! سيّما أن ظاهر القرآن يوافقه إذ لم يرد فيه نص بنسبة تزويج إحداهن للنبي (صلى الله عليه وآله) إلى إرادة الله تعالى؛ سواها.

ثم يأتي السيوطي ويسلب لقباً خاصاً بالسيدة الزهراء (صلوات الله عليها) فيمنحه لعائشة قائلا: سيدة نساء العالمين! (١)

= وآثاره كما هو معلوم، ولم يكن (صلى الله عليه وآله) قد اختارها ولا رغب فيها لنفسه أصلاً. قال تعالى: **«فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولا»**. (الأحزاب: ٣٧)

(١) وهذا مخالف للأحاديث القطعية المروية عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) في أن الزهراء (عليها السلام) سيدة نساء العالمين أو سيدة نساء أهل الجنة أو سيدة نساء المؤمنين. ومنها ما روته عائشة واعترفت به كما في صحيحي البخاري ج٧ ص١٤٢ ومسلم ج٧ ص١٤٣ عن الزهراء (عليها السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «**يا فاطمة؛ أما ترضيْن أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة**».

والمخالفون يصرّون – لما ورد في بعض أحاديثهم – على أن مريم العذراء (عليها السلام) هي سيدة نساء العالمين، وأما الزهراء (عليها السلام) فسيدة نساء هذه الأمة. مستدلّين بالآية الكريمة: «**وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ**». (آل عمران: ٤٣).

وأما نحن المسلمين فنعتقد – طبقا لما علّمنا إياه أئمتنا من آل محمد عليهم السلام – أن الزهراء (عليها السلام) هي سيدة نساء العالمين وأنها مقدّمة على مريم بنت عمران (عليهما السلام) في الفضل والمقام. وأما الآية الكريمة فالمقصود بها تفضيل العذراء على نساء الأقوام في ذلك الزمان، وذلك نظير قوله تعالى: «**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ**». (البقرة: ٤٨).

فليس المقصود هنا أن الله تعالى فضّل بني إسرائيل على جميع الأمم في كل الأزمان فيكون في ذلك تفضيلاً لهم على أمة الإسلام، إذ أمة الإسلام هي خير الأمم كما قال تعالى: «**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**». (آل =

ما هو السرّ في عائشة لينحاز إليها البكري كل هذا الانحياز المفرط؟ نحن لا نرى جواباً سوى قول الشاعر:

مـا صـحَّ أنَّ المسلمين بأمَّـةٍ ... لمحمَّـدٍ؛ بـل أمَّـةٌ لعَتيـقِ!

جـاءتْ تطالـبُ فـاطمٌ بتراثِهـا ... فتقاعَـدوا عنهـا بكـلِّ طريـقِ!

وتَـسارعوا نحـوَ القِتـالِ جميعُهُم ... لمّـا دَعَـتْهم ابنـةُ «الـصدِّيقِ»!

فقُعـودهم عـنْ هـذه، ونهوضُـهم ... مـع هـذه؛ يُغنـي عـن التَّحقيـقِ![1]

والآن لو راجعنا أصل خرافة التزويج الإلهي هذه؛ لما وجدنا أحدا يقف وراءها سوى عائشة نفسها! فهي التي اخترعت قصة «خرقة الحرير» التي لُفَّت بها وجاءَ بها جبرئيل (عليه السلام) آمراً النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالزواج منها!

= عمران: ١١١). وإنما المقصود من (العالمين) الأقوام في ذلك الزمان، فيكون بني إسرائيل خير منهم. وبقرينة هذا يُعرف أن اصطفاء مريم (عليها السلام) على نساء العالمين إنما يكون معناه اصطفاؤها على نساء أقوام عالمها. وأما الزهراء (روحي فداها) فسيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين.

وكيف كان فإن سلب السيوطي هذا اللقب من الزهراء والعذراء (عليهما السلام) ومنحه إياه للحميراء لا يكون إلا عن عصبية وتحيّز وهوى!

(١) الصراط المستقيم إلى مستحقّي التقديم للنباطي العاملي ج٣ ص١٦٢، و(عتيق) هو اسم أبي بكر كما عرفت في الفصل الأول. وصدق الشاعر؛ فإن هؤلاء الذين يسمّون أنفسهم (مسلمين) يرى المرء كم هم مخلصون لابنة أبي بكر دون ابنة أبي القاسم (صلى الله عليه وآله) إذ نصروا الأولى وخذلوا الأخرى! فهم البكريّون، لا المسلمون المحمّديّون.

روى البخاري عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: «**أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها: أُريتُكِ في المنام مرّتين، أرى أنك في سَرَقَةٍ من حرير ويقول: هذه امرأتك! فأكشفُ عنها فإذا هي أنتِ! فأقول: إن يكُ هذا من عند الله يُمضِه**»![1]

وروى مسلم عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: «**قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أُريتُكِ في المنام ثلاث ليالٍ، جاءني بك الملَكُ في سَرَقةٍ من حرير فيقول: هذه امرأتك! فأكشفُ عن وجهك فإذا أنتِ هيَ! فأقول: إنْ يكُ هذا من عند الله يُمضِه**»![2]

وروى الترمذي وابن راهويه عن ابن أبي مليكة عن عائشة قالت: «**جاء بي جبرئيل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في خرقة حرير خضراء فقال: هذه زوجتك في الدنيا والآخرة**»![3]

إن أمارات الوضع على هذه الأحاديث لائحة، إذ تكفينا هذه التباينات التي صدرت من عائشة، فتارة تزعم أن النبي رآها (مرّتين) كما في رواية البخاري؛ وأخرى أنه رآها (ثلاث ليال) كما في رواية مسلم! وتارة تزعم أن خرقة الحرير كانت (بيضاء) [4] كما في رواية البخاري ومسلم؛ وأخرى أنها كانت (خضراء) كما في رواية الترمذي وابن راهويه!

---

(١) صحيح البخاري ج٤ ص٢٥٢

(٢) صحيح مسلم ج٧ ص١٣٤

(٣) سنن الترمذي ج٥ ص١٦٣ ومسند ابن راهويه ج٣ ص٦٥

(٤) السَّرَقة من الحرير هي القطعة البيضاء منه، لا مجرّد القطعة كما حاول ابن حجر في شرحه للبخاري أن يوهم الناس كي يرفع التنافي بين أحاديث عائشة المضطربة! فقد قال ابن منظور في لسان العرب ج١٠ ص١٥٥: «**إنها البيض من شقق الحرير، وأُنشد للعجّاج. ونسجت لوامع الحرور، من رقرقان آلها المسجور، سبائبا كسَرَق الحرير (...) قال أبو عبيد: سرق الحرير هي الشقق إلا أنها البيض خاصة**».

ومن أمارات الوضع على هذا الخبر؛ ذيله الذي جاء فيه: «**فأقول: إنْ يكُ هذا من عند الله يُمضِه**»! ولا معنى لهذه العبارة سوى أن النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) كان شاكاً في أن هذه الرؤيا التي رآها كانت من الله أم من الشيطان! فإن كانت من الله فإن الله سيُمضي إرادته فيتحقق الزواج بعائشة، وأما إنْ لم تكن فلا!

ومن المحال أن يشكّ النبي (صلى الله عليه وآله) بما يراه في المنام، لأن «**رؤيا الأنبياء وحي**».[1] والإجماع قائم على أن رؤيا الأنبياء (عليهم السلام) كلها حق، فلا يُعقل أن يشكّ نبي بذلك، فكيف بسيد الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم؟!

وعليه فلو صدّقنا عائشة في خبرها الركيك هذا؛ لفتحنا باب الطعن في نبوة خاتم الأنبياء (صلى الله عليه وآله) لأن النبي الذي يشكّ في ما يراه في المنام؛ ليس بنبي!

ومهما يكن فإن هذه الأحاديث فاقدة للاعتبار، كونها مروية عن المستفيدة منها، وهي في ذاتها غير صادقة، حيث شهدت على نفسها بأنها كانت تتواطأ على الكذب، كما في قصة «المغافير».

فقد روى البخاري في صحيحه عن عبيد بن عمير عن عائشة قالت: «**كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب عسلاً عند زينب ابنة جحش ويمكث عندها، فواطيتُ أنا وحفصة عن أيّتُنا دخل عليها فلتقل له: أكلتَ مغافير؟ إني أجد منك ريح مغافير! قال: لا؛ ولكني كنت أشربُ عسلاً عند زينب ابنة جحش، فلن أعود له، وقد حلفتُ، لا تخبري بذلك أحدا**»![2]

---

(١) صحيح البخاري ج١ ص٤٤

(٢) صحيح البخاري ج٦ ص٦٧، والمغافير مادة صمغية حلوة المذاق لكنها كريهة الرائحة تخرج من بعض الأشجار.

وهذا اعتراف منها بأنها كانت تكذب حتى على رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذ تعلم أنه شرب عسلاً لا غير، إلا أن غيرتها من ابنة جحش وحسدها لها أعمت قلبها فدفعتها لأن تتواطأ مع صاحبتها حفصة على الكذب على رسول الله (صلى الله عليه وآله) بأنهما يجدان منه رائحة المغافير الكريهة حتى يمتنع (صلى الله عليه وآله) عن المكوث عند زوجته زينب لشرب العسل عندها.

والتي تستحلُّ الكذب على رسول الله (صلى الله عليه وآله) دونما شعور منها بالذنب أو خوف من العقاب مع أنه من أكبر الكبائر؛ يكون هيِّناً عليها استحلال الكذب على سائر الناس دونما رادع من ورع أو تقوى!

والتي تجرّأت على أن تكذب على خاتم الأنبياء (صلى الله عليه وآله) بدافع الغيرة من زينب ابنة جحش في قصة «المغافير»؛ يكون هيِّناً عليها أن تكذب على سائر الناس بدافع الغيرة ذاتها في ادّعاء التزويج الإلهي وأسطورة «خرقة الحرير» البيضاء أو الخضراء!

إنه الدافع نفسه في كلا الأمريْن، فكما أن عائشة لم تحتمل مكوث النبي عند زينب فأقدمت على إيذائه بأكذوبة؛ فكذا لم تحتمل أن تفخر زينب بكون الله قد زوّجها رسوله ونصّ على ذلك في القرآن فأقدمت على منافستها بأكذوبة أن المَلَك جاء النبيّ بالمنام وأمره عن الله بالزواج منها!

مع أن عائشة حمقاء في اختراعها لهذا الحديث! ففضلاً عن ظهور أمارات الوضع فيه، فإنه كان يمكن لها أن توفّر على نفسها هذا العناء بالتأمّل قليلاً في الآية الكريمة التي تستشهد بها زينب لتدرك أنه ليس فيها ما يصحّ لابنة جحش الافتخار به! إذ إن قوله تعالى: «**زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا**» ظاهر في تعليله أن أمره سبحانه النبيَّ بالزواج من زينب ليس لكونها تحوز كمالات معيّنة تستحقّ

بها هذا التشريف، بل لغرض إبطال آثار التبنّي في الجاهلية ليس إلا. فكان يتأتّى لعائشة أن تردّ افتخار زينب بالقول مثلا: «وأي وجه للافتخار في هذا الاستدلال مع ظهور العلة المنصوصة في الآية الكريمة؟ فإنما قد زُوِّجتِ لذلك الغرض لا سواه». وبذا تكون قد وفَّرت على نفسها عناء اختراع الحديث والكذب على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتبوّأ مقعدها من النار! غير أن عائشة لا يمكن أن يهدأ لها بال دون ذاك.. لأنها عائشة!

والحاصل؛ أننا لا نجد أصلاً لهذه الأحاديث المكذوبة سوى عائشة نفسها، وشهادتها لنفسها مجروحة، إذ تجرّ النار إلى قرصها، ولا سبيل لتصديقها لأنها تعترف بكذبها في موارد أخرى.

فإن قيل: إن ههنا أحاديث في هذا المضمون رواها غير عائشة، وهو أبو هريرة على ما أخرجه عنه الخطيب، إذ قال أبو هريرة: «**لمّا أن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة مهاجراً من مكة أشعث أغبر! أكثروا عليه اليهود المسائل، والنبي صلى الله عليه وسلم يجيبهم جوابا مداركاً بإذن الله، وكانت خديجة قد ماتت بمكة، فلما أن دخل النبي المدينة واستوطنها، طلب التزويج فقال لهم: أنكحوني! فأتاه جبريل بخرقة من الجنة طولها ذراعان في عرض شبر! فيها صورة لم يرَ الراؤون أحسنَ منها! فنشرها جبريل وقال له: يا محمد؛ إن الله يقول لك أن تزوّج على هذه الصورة! فقال له النبي: أنا من أين لي مثل هذه الصورة يا جبريل؟ فقال له جبريل: إن الله يقول لك تزوّج بنت أبي بكر الصدّيق! فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى منزل أبي بكر فقرع الباب، ثم قال: يا أبا بكر؛ إن الله أمرني أن أصاهرك، وكان له ثلاث بنات فعرضهنَّ على رسول الله فقال رسول الله: إن الله أمرني أن أتزوّج هذه الجارية وهي عائشة، فتزوّجها رسول الله صلى الله عليه وسلم**»![1]

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب ج٢ ص١٩٠

قلنـا: إن من المضحك المُبكي الاستدلال بأمثال هذه الأخبار الـشاذة لتـصحيح مـزاعم عائشة، فعدا عن أن الخطيب نفسه قد أرجع هذا الحديث إلى اختلاق **محمد بن الحسن الـدعّاء الأصمّ** وكذا فعل ابن الجوزي[1]؛ فإن متنه شاهد على كذبه.

ذلك لأن فيه أن النبيّ (صلى الله عليه وآله) إنما قصد الزواج بعائشة في المدينة، والحال أن ذلك كان في مكة إجماعاً ورواياتٍ مستفيضة! ثم إن أبا بكر لم تكن له من البنات أوائل وروده المدينة غير عائشة وأسماء، وهذه الأخيرة كان تحـت الـزبير بـن العـوام، وأمـا أم كلثـوم فقـد وُلدت بعد هلاكه، فكيف عرض أبو بكر ثلاث بنات على النبي (صلى الله عليه وآله) ولـيس عنده سوى عائشة تصلح للزواج؟!

ثم إن أبا هريرة راوي الحديث لم يأتِ المدينة إلا متأخراً في سـنة سـبع مـن الهجـرة حـين خرج النبي (صلى الله عليه وآله) إلى خيبر، فإن بنينا على صدقه فلا يخلو ذكره لهذه القصة مـن أن يكون قد سمعها من النبيّ (صلى الله عليه وآله) أو من عائشة، وإذ لم يصرّح بـالأول تعـيّن الثاني، فتكون عائشة هي أصل الحديث ومصدره والمتهَّمة فيه، وإلا فكيف عرف أبـو هريـرة بما جرى بين النبي وجبريل؟! سيّما أنه يذكر تفاصيل عجيبة ككون الخرقة «**طولهـا ذراعـان في عرض شبر**» وكأنه قد رآها وقاسها بنفسه!

---

(١) قال الخطيب في المصدر نفسه: «**رجال هذين الحديثين كلهم ثقات غير محمد بن الحسن، ونرى الحديثين مما صنعت يداه**»! وقال ابن الجوزي في الموضوعات ج٢ ص٨: «**ما أبعد الذي وضعه عن العلم! فإن رسـول الله صلى الله عليه وسلم تزوج عائشة وهو بمكة، ولم يكن لأبي بكر حينئذ ثـلاث بنـات! مـا كـان لـه غـير أسـماء وعائشة، وإنما جاءته بنت بعد وفاته يُقال لها أم كلثوم**».

ثم من يكون أبو هريرة نفسه؟**!** إنه ليس سوى كذاب آخر كان باعترافه يضع الأحاديث «**من كيسه**»**!**[1] ولهذا كلام طويل يُترك لمجاله. على أن من المحتمل أن يكون هذا الحديث موضوعاً من غيره ثم نُسب إليه، كما مرَّ عن الخطيب وابن الجوزي.

والنتيجة؛ أن قضية التزويج الإلهي الإكرامي لعائشة ليست سوى خرافة روّجتها هي ضمن إطار غيرتها من زينب بنت جحش وحسدها لها، فابتدعت هذه الأحاديث المنكرة التي تلقّاها البكريّون بالقبول دونما تحقيق وتدقيق، كما هي عادتهم.

وإذ سقط هذا، فإنه ينقدح في الأذهان تساؤل عن سبب زواج النبي (صلى الله عليه وآله) بها، وما الحكمة من ورائه؟

ولكن قبل أن نجيب على هذا بالتفصيل؛ لا بأس بأن نعرّج على خرافة أخرى من الخرافات التي تُروَّج لصالح عائشة، وهي التي أشار إليها حديث أبي هريرة بقوله: «**فيها صورة لم يرَ الراؤون أحسنَ منها**»**!** حيث يُشعر بأن عائشة كانت ذات حُسن وبهاء وجمال حتى أن أحداً لم يرَ أحسنَ منها**!**

فهل حقاً أنها كانت على هذه الصفة الخيالية؟

(١) أخرج البخاري في صحيحه ج٦ ص١٨٩ عن أبي هريرة حديثاً في الصدقة نسبه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وورد في آخره سؤال الناس له: «**يا أبا هريرة! سمعتَ هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: لا! هذا من كيس أبي هريرة**»**!**

■ **قِرْدةٌ.. في عيون أبنائها غزالة!**

كعادة كل قوم يبالغون في تقديس الأشخاص؛ يرسم الموالون لعائشة صورة أسطورية فائقة الروعة لها، فيزعمون أنها كانت بيضاء شقراء حسناء لا يُعرف لها نظير، وكأنها ملكة جمال العرب!

يقول الذهبي في وصف عائشة: «**وكانت امرأة بيضاء جميلة، ومن ثمَّ يُقال لها الحُمَيْراء، ولم يتزوج النبي صلى الله عليه وسلم بِكْراً غيرها، ولا أحبَّ امرأة حبّها**».[(١)]

ويقول المقدسي: «**كانت بيضاء مُشرَّبة حُمرةً فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمّيها الحُمَيْراء**».[(٢)]

ويقول الأزهري: «**كانت عائشة رضي الله عنها تسمى الحميراء لغلبة البياض على لونها**».[(٣)]

ويقول الزبيدي: «**وفي حديث آخر: خذوا شطر دينكم من الحميراء. يعني عائشة، كان يقول لها ذلك، وهو تصغير الحمراء، يريد البيضاء**».[(٤)]

ويقول السيوطي: «**الحميراء تصغير الحمراء، يريد البيضاء**».[(٥)]

---

(١) سير أعلام النبلاء ج٢ ص١٤٠

(٢) البدء والتاريخ للمقدسي ج١ ص٢٦٠

(٣) مجمع الأمثال لأبي الفضل النيسابوري ج١ ص١٩٩

(٤) تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي ج١ ص٢٧١

(٥) شرح سنن ابن ماجه للسيوطي ومن معه ج١ ص١٧٨

وكما ترى؛ فإن كلماتهم في وصف عائشة بالبيضاء الجميلة لا ترجع إلى أحاديث نصّت على هذا الوصف معايَنةً، من النبي (صلى الله عليه وآله) أو غيره ممن عاشرها، وإنما هي – أي الكلمات – مبنية على تفسيرهم لمعنى كلمة (**الحميراء**) التي وردت في الأحاديث النبوية الشريفة وفي غيرها، واشتُهرت عائشة بها عند المسلمين.

وإذ ذاك فإن أوّل ما يتبادر إلى ذهن الناقد هو التساؤل عن صحة وتمامية هذا البناء، فمن ذا يقول بأن معنى (الحميراء) في هذا المقام هو التي غلب البياض على لونها، أو أنها بيضاء مشرّبة حُمرة؟

أحد مَن يقول بذلك هو القرطبي، وحجته هي: «**العرب تطلق على الأبيض الأحمر، كراهة اسم البياض لكونه يشبه البرص، ولهذا كان صلى الله عليه وسلم يقول لعائشة: يا حميراء**».[1]

وكذا يقول ثعلب: «**العرب لا تقول رجل أبيض من بياض اللون، وإنما الأبيض عندهم الطاهر النقي من العيوب، فإذا أرادوا الأبيض من اللون قالوا الأحمر**». غير أن ابن الأثير يُشكل على ذلك بقوله: «**في هذا القول نظر، فإنهم قد استعملوا الأبيض في ألوان الناس وغيرهم**».[2]

ونحن مع قطع النظر عن إشكال ابن الأثير – الذي هو في محلّه – نسلّم بأن من معاني (الأحمر) عند العرب هو (الأبيض)، إلا أنه في هذا المقام، أي قوله (صلى الله عليه وآله) لعائشة: «**يا حميراء**»؛ يستعصي علينا وعلى كلّ متتبّع تقبّل صرف كلمة (الحميراء) إلى هذا المعنى، ذلك لأننا نصطدم بجُملة من الحقائق والشواهد المانعة لهذا الصرف.

---

(١) فتح الباري لابن حجر عن القرطبي صاحب الفهم ج٧ ص١٠٦

(٢) النهاية في غريب الأثر ج١ ص١٠٤٤

فإنّا نجد أن مَن يكون من بين العرب (أبيض مشرّباً بحمرة) فإنهم يطلقون عليه وصف (**الأزهر**) إذا كان رجلاً، و(**الزهراء**) إذا كانت امرأة، ولهذا وُصف النبي (صلى الله عليه وآله) بالأزهر، ووُصفت ابنته فاطمة (عليها السلام) بالزهراء، وذلك تشبيهاً بزهر النبات.

روى البخاري عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن قال: «**سمعت أنس بن مالك يصف النبي صلى الله عليه وسلم، قال: كان رَبعةً من القوم، ليس بالطويل ولا بالقصير، أزهر اللون ليس بأبيض أمهَقَ ولا آدم**».[١]

ويقول ابن حجر في شرحه: «**قوله: (أزهر اللون) أي أبيض مشرَّبٌ بحُمرة، وقد وقع ذلك صريحاً في حديث أنس من وجه آخر عند مسلم. وعند سعيد بن منصور والطيالسي والترمذي والحاكم من حديث علي قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم أبيض مشرّباً بحمرة، وهو عند ابن سعد أيضاً عن علي، وعن جابر، وعند البيهقي من طرق عن علي، وفي الشمائل من حديث هند بن أبي هالة أنه أزهر اللون**».[٢]

وروى الحاكم عن أنس بن مالك قال: «**سألتُ أمي عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت: كانت كالقمر ليلة البدر أو الشمس كُفِّرَ غماماً إذا خرج من السحاب، بيضاء مشرَّبةً حمرة، لها شعر أسود، من أشدّ الناس برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شبهاً، والله كما قال الشاعر:**

بيضاءُ تُسْحَبُ مِنْ قِيامِ شَعْرِها ... وتغيبُ فيهِ وهو جَثْلٌ أَسْحَمُ
فكأنّها فيهِ نَهارٌ مُشرقٌ ... وكأنّهُ ليْلٌ عليْها مُظلمُ»[٣]

---

(١) صحيح البخاري ج٣ ص١٦٤. والرَّبْعة: متوسط القامة، والأمْهَق: شديد البياض، والآدم: الأسود.

(٢) فتح الباري لابن حجر ج٦ ص٤١٣

(٣) مستدرك الحاكم ج٣ ص١٦١، ومعنى (جَثْلٌ أسحَم) أن شعرها (صلوات الله عليها) كان كثيفاً مسوداً.

وقال الزبيدي: «**الزهراء: المرأة المشرقة الوجه والبيضاء المستنيرة المشرّبة بحُمرة**».[(١)]

فههنا لاحظ أن النبي «أبيض مشربٌ بحمرة» فهو **أزهر**، وفاطمة كذلك كأبيها «بيضاء مشرّبة حمرة» فهي **زهراء**. ولم يصف أحدٌ النبي (صلى الله عليه وآله) بالأحمر أو الأحيمر! كما لم يصف أحدٌ سيدة النساء (صلى الله عليها) بالحمراء أو الحميراء!

فعجباً كيف اقتصر وصف (الحميراء) على عائشة وحدها دون غيرها ممن حملوا اللون ذاته والصفة ذاتها؟! ولماذا لم توصف بالزهراء أو الزهيراء لأنها تماثل النبي أو ابنته في أن لونها أبيض مشرّب بحمرة على ما زعموا؟!

إن هذا يكشف عن أن معنى (الحميراء) بين العرب يختلف كليةً عن «البيضاء المشرّبة بحمرة» إذ تلك عندهم هي الزهراء، ولا نكاد نجد أن وصف الحميراء استُعمِل لهذا المعنى المدّعى لغير عائشة من النساء. نعم، إنه قد استُعمِل للإشارة إلى العجم لظهور ميلان ألوان أبدانهم إلى الاحمرار فضلاً عن البياض، فهو العلامة الفارقة بينهم وبين العرب، فمهما بلغ بياض العرب فإنه يظل بلا ذلك الاحمرار المميز عند العجم. قال ابن منظور: «**الحمراء: العجم، لبياضهم ولأن الشقرة أغلب الألوان عليهم، وكانت العرب تقول للعجم الذين يكون البياض غالباً على ألوانهم مثل الروم والفرس ومن صاقبهم: إنهم الحمراء. ومنه حديث علي رضي الله عنه حين قال له سراة من أصحابه العرب: غلبتنا عليك هذه الحمراء، فقال: ليضربُنَّكم على الدين عوْداً كما ضربتموهم عليه بدْءاً. أراد بالحمراء الفُرس والروم**».[(٢)]

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي ج٣ ص٢٥٠

(٢) لسان العرب لابن منظور ج٤ ص٢١٠

وتفصيل حديث علي (صلوات الله عليه) الذي استشهد به ابن منظور نجده مروياً في بعض مصادر الحديث وقد وردت فيه كلمة «الحميراء» بدلا من «الحمراء». فقد روي عن عبّاد بن عبد الله الأسدي: «**أن علي بن أبي طالب صعد المنبر يوم الجمعة فخطب، ثم قام إليه الأشعث فقال: غلبتنا عليك هذه الحميراء! فقال: من يعذرني من هؤلاء الضياطرة! يتخلّف أحدهم يتقلّب على حشاياه، وهؤلاء يهجرون إلى ذكر الله، إنْ طردتهم إني إذن لمن الظالمين. أما والله لقد سمعته** (النبي) **يقول: ليضربُنّكم على الدين عوداً كما ضربتموهم عليه بدءاً**».[1]

وهكذا نلاحظ أن (الحمراء) أو (الحميراء) لا تطلقان عند العرب على من يكون بينهم أبيض مشرّباً بحمرة، وإنما تطلقان على العجم لأن بياضهم مائل إلى الاحمرار البيّن. أما ذاك العربي الذي يكون فيه بياض مشرّب بحمرة فهو عندهم (أزهر) والمرأة (زهراء).

ولا أدلّ على عدم استعمال وصف (الحمراء) أو (الحميراء) لنساء العرب بهذا المعنى المدّعى؛ من أننا نجد نسوة أخريات حملن صفة البياض غير أنهنّ لم يوصفن أبداً بوصف (الحمراء) أو (الحميراء)، وكان من أولئك النسوة بعض نساء النبي (صلى الله عليه وآله) اشتُهر عنهنّ بياض البشرة كزينب ومارية عليها السلام، ولم يرد أن النبي (صلى الله عليه وآله) أو غيره وصفهنّ بالحمراء أو الحميراء حتى مرة واحدة، فلو كان الأمر على ما ذكره

(١) مسند أبي يعلى ج١ ص١٩٧ ونحوه في كنز العمال للمتقي الهندي ج٤ ص٦١٣. والضياطرة: الضّخام الجبناء الذين لا غناء عندهم. ومعنى الحديث أن الأشعث (لعنه الله) اعترض على أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) بأنه قد قرّب العجم (الحمراء أو الحميراء) حتى أصبحوا محظيين عنده دون العرب، فألقمه الأمير (عليه السلام) حجراً بأن هؤلاء العجم يتفانون في الجهاد ويهجرون إلى ذكر الله، أما أنتم فضياطرة ضخام لكن جبناء تتخلفون عن النصرة والجهاد وتتقلبون في فُرُشكم عند أزواجكم! فإذا طردنا هؤلاء العجم نكون من الظالمين، وقد أنبأنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) بأنهم سيضربونكم على الدين عوداً كما ضربتموهم عليه بدءاً! وهذا ما حصل ولا يزال يحصل تصديقا لنبوءة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله.

القرطبي وثعلب من أن «**العرب تطلق على الأبيض الأحمر**» لوجب أن نجد مورداً واحداً على الأقل لامرأة عربية بيضاء أخرى غير عائشة وُصفت بالحمراء أو الحميراء.

ولو كانت «**العرب لا تقول رجل أبيض من بياض اللون، فإذا أرادوا الأبيض من اللون قالوا الأحمر**» كما ذكره ثعلب لما وجدناهم يطلقون على بعضهم (الأبيض) دون حرج، ومن أولئك عائشة نفسها على ما مرّ عليك من روايتها في الفصل الأول حيث زعمت أن أباها «**رجل أبيض نحيف**»[1] إذ كان ينبغي أن تقول عنه أنه: «**رجل أحمر نحيف**» أو «**رجل أُحَيْمر نحيف**»! ولذا قلنا أن إشكال ابن الأثير على هذا القول في محلّه.

وبهذا تندفع تماماً محاولتهم لصرف وصف (الحميراء) إلى معنى (البيضاء المشرّبة بحمرة) ويتأكد أن له معناً آخر حاولوا إخفاءه والتسترّ عليه! ويبدو أن بعضهم ممن فطن إلى أن أي محاولة للصرف لن تبوء إلا بالفشل ولن تصمد أمام أدنى تحقيق لغوي تأريخي؛ عمد إلى تخليص نفسه وقومه بإنكار صدور هذا الوصف أصلاً من النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) وتكذيب كل حديث ورد فيه هذا الوصف لعائشة! ومن هؤلاء ابن القيّم الجوزية إذ قال: «**كل حديث فيه: يا حميراء، أو ذكر الحميراء؛ فهو كذب مختلَق**»![2]

هذا مع أن أحاديث «الحميراء» مستفيضة، ومنها ما هو صحيح عند القوم كرواية النسائي عن عائشة قالت: «**دخل الحبشة المسجد يلعبون، فقال لي: يا حميراء أتحبيّن أن تنظري إليهم؟ فقلت: نعم! فقام بالباب وجئته فوضعت ذقني على عاتقه فأسندت وجهي إلى خدّه**»![3] ورواية الحاكم عن أم سلمة (سلام الله عليها) قالت: «**ذكر النبي صلى الله عليه**

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ ص١٨٨، وقد أثبتنا كذبها في زعمها فراجع.

(٢) المنار المنيف في الصحيح والضعيف لابن القيم الجوزية ص٦٠

(٣) سنن النسائي ج٥ ص٣٠٧، وقد صحّحه الألباني في سلسلته الصحيحة برقم ٣٢٧٧

وسلم خروج بعض أمهات المؤمنين، فضحكت عائشة! فقال: انظري يا حميراء أن لا تكوني أنتِ! ثم التفت إلى علي فقال: إنْ وليتَ من أمرها شيئاً فارفق بها».[(١)]

وعليه لن تفلح محاولة الفرار من ثبوت ورود أحاديث (الحميراء)، كما لم تفلح محاولة صرف معناها إلى حيث يشاء المهووسون بحب عائشة!

فما معنى (الحميراء) إذن؟ وما الذي يحمله من دلالة خجل منها محبّو عائشة فحاولوا الالتفاف عليها؟

إن خير ما يمكن به استكشاف معنى أي لفظة هو مراجعة موارد ونظائر استعمالها بعينها في كلام العرب. وهكذا يتجلّى المعنى وينكشف ما وراء الستار!

قال الأزهري وابن منظور: «**وحكى الأصمعي عن بعض العرب أنه قال: الحمّى في أصول النخل، وشرّ الغبيّات غبيّة النبل، وشرّ النساء السويداء الممراض، وشرٌّ منها الحميراء المحياض**»![(٢)]

---

(١) مستدرك الحاكم ج٣ ص١٢٩، وهو ضمن ثلاثة أحاديث في تمرّد عائشة على أمير المؤمنين (عليه السلام) علّق عليها الحاكم بالقول: «**هذه الأحاديث الثلاثة كلها صحيحة على شرط الشيخين ولم يخرجاه**».
فههنا إذن أحاديث صحيحة وردت فيها كلمة (الحميراء)، فلا يخلو إنكار ابن القيّم وتكذيبه لها من أمرين: إما أنه كاذب يحاول الهروب من ثبوت هذا الوصف النبوي لأمّه عائشة مع ما يستدعيه من التوهين، وإما أنه (حُمَيْر) تصغير (حمار) إذ أطلق القول جزافاً وحكم بأن كل حديث فيه ذكر الحميراء كذب مختلَق مع أنه لم يعلم بسبب (حَمْيَرته) وجهالته أن ههنا أحاديث صحيحة ثابتة ذُكر فيها ذلك الاسم!
وعلى أية حال فإن المخالفين لو أخذوا بمقالة ابن القيّم لسقط ما يبنون عليه زعمهم بأن عائشة كانت بيضاء جميلة، إذ لا حميراء بمعنى البيضاء أو الشقراء! ورُبَّ مستجيرٍ من الرمضاء بالنارِ! ورُبَّ هاربٍ من الحميراء كالحمارِ!

(٢) تهذيب اللغة للأزهري ج٣ ص١٠٤ ولسان العرب لابن منظور ج١٥ ص١١٤

وقال ابن حيان التوحيدي والزمخشري: «**العرب تقول: شرّ النساء الحميراء المحياض، والسويداء المراض**»![1]

وذكر القالي عن الزبيري: «**أتى رجلٌ ابنة الخس يستشيرها في امرأة يتزوجها، فقالت: انظر رمكاء جسيمة، أو بيضاء وسيمة، في بيت جد، أو بيت حد، أو بيت عز. قال: ما تركتِ من النساء شيئا! قالت: بلى؛ شرّ النساء تركت، السويداء الممراض، والحميراء المحياض، الكثيرة المظالظ**»![2]

(الحُميْراء) إذن هي (المِحْياض) أي التي تحيض كثيراً فيحمرُّ بدنها ولا تنفك الدماء الحمراء عنها! وهي عند العرب (شرّ النساء) على الإطلاق فهي شرٌّ من (السويداء الممراض) أي التي تمرض كثيراً فيؤثّر ذلك في اسوداد بدنها.

وهذا هو المعنى الحقيقي للحميراء عند العرب، فلا علاقة له بالبياض والحُسن والجمال! وهذا الاستعمال الذي وجدناه في أمثال العرب وأقوالهم حجة بيّنة، فيما لا نجد حجة مثلها للذين زعموا أن الحميراء هي البيضاء المشرَّبة حمرة إذ لم يذكروا حتى مثالاً واحداً لامرأة أُطلق عليها هذا الوصف سوى عائشة مع أن النساء البيضاوات المشرّبات بحمرة كثيرات قبل أن تُولد عائشة وبعدما قُبرت! الأمر الذي يعني أنهم إنما ابتدعوا هذا المعنى لهذه اللفظة

(١) البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي ص٧٥ وربيع الأبرار للزمخشري ج١ ص٤٦١

(٢) أمالي أبي علي القالي ص٢٥١ وعنه المزهر لجمال الدين ص٣٦٧. والمظالظ: التشاتم والخصومة. ولا تغفل عن قول المرأة: «**بيضاء وسيمة**» فهو دليل من أدلة وأمثلة شتّى على أن العرب استعملت وصف الأبيض والبيضاء في ألوان الناس ولا تعدل عنه إلى الأحمر والحمراء بالضرورة، وإلا لكان على المرأة أن تقول: «**حمراء وسيمة**» سيّما وأنها في معرض كلام بليغ. فأين ما ذكروه من أن العرب تكره اسم الأبيض لأنه يشبه البرص؟! وهلاّ فسّروا لنا كيف نجد عشرات الموارد والأمثلة فيها اسم الأبيض بداعي المدح والتحسين كهذا المورد؟!

فراراً من حراجة الموقف وإنقاذاً لسمعة أمّهم عائشة وكأنهم خاطوا هذا المعنى لتلبسه عائشة حصراً!

ومما يزيد الاطمئنان بأن معنى وصف عائشة بالحميراء أنها محياض، ما جاء في نعت النبي (صلى الله عليه وآله) لها بأنها «**حمراء الساقين**» أو «**حميراء الساقين**»، إذ من المعلوم أن التي تحيض في تلك الأزمان كان يصعب عليها التحفّظ من سيلان الدم على ساقيها وإن استذفرت بالخرق، ولذا كانت النساء تعتزلن في فترة الحيض ما أمكنهنّ لئلاّ تنتشر النجاسة، وتحديد النبي (صلى الله عليه وآله) وصف ساقيْ عائشة بالاحمرار دون باقي أجزاء جسدها لا يلائم إلا معنى أن دماء الحيض كانت تسيل عليهما فتصبغهما بهذا اللون.

أما متى نعت النبي (صلى الله عليه وآله) عائشة بأنها حمراء أو حميراء الساقين؛ فإن لذلك قصة وشهادة من أم المؤمنين أم سلمة (رضوان الله تعالى عليها) حين واجهت عائشة وهي تهمّ بالخروج على أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وإيقاع الفتنة بين المسلمين في البصرة في معركة الجمل الشهيرة، فذكّرت أم سلمة عائشة بما تقدّم من النبي (صلى الله عليه وآله) من تحذير لها وكان من ضمنه قوله لها: «**ما يضحك يا حمراء الساقين**»؟!

روى الشعبي عن عبد الرحمن بن مسعود العبدي قال: «**كنت بمكة مع عبد الله بن الزبير وطلحة والزبير فأرسلا إلى عبدالله بن الزبير فأتاهما وأنا معه فقالا له: إن عثمان قُتِلَ مظلوماً وإنّا نخاف أن ينقض أمر أمة محمد صلى الله عليه وآله فإن رأت عائشة أن تخرج معنا لعلَّ الله أن يرتق بها فتقاً ويشعب بها صدعاً! قال: فخرجنا نمشي حتى انتهينا إليها فدخل عبد الله ابن الزبير معها في سترها، فجلستْ على الباب، فأبلغها ما أرسلاه به، فقالت: سبحان الله! والله ما أُمِرتُ بالخروج وما يحضرني من أمهات المؤمنين إلا أم سلمة فإن خرجت خرجت معها! فرجع إليهما فبلّغهما ذلك فقالا: ارجع إليها فلتأتِها فهي أثقل عليها منّا، فرجع إليها فبلّغها**

فأقبلت حتى دخلت على أم سلمة، فقالت لها أم سلمة: مرحباً بعائشة؛ والله ما كنتِ لي بزوّارة فما بدا لكِ؟! قالت: قَدِمَ طلحة والزبير فخبّرا أن أمير المؤمنين عثمان قُتِلَ مظلوماً! قال: فصرختْ أم سلمة صرخةً أسمعتْ مَن في الدار! فقالت: يا عائشة! أنتِ بالأمس تشهدين عليه بالكفر وهو اليوم أمير المؤمنين قُتِلَ مظلوماً! فما تريدين؟! قالت: تخرجين معنا فلعلّ الله أن يصلح بخروجنا أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم! قالت: يا عائشة! أَ تخرجينَ وقد سمعتِ من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما سمعنا؟! نشدتك بالله يا عائشة الذي يعلم صدقكِ إنْ صدقتِ أَ تذكرينَ يوماً كان يومك من رسول الله فصنعتُ حريرة في بيتي فأتيتُه بها وهو عليه وآله السلام يقول: والله لا تذهب الليالي والأيام حتى تتنابح كلاب ماء بالعراق يقال له: (الحوأب) امرأةً من نسائي في فئة باغية! فسقط الإناء من يدي، فرفع رأسه إليَّ وقال: ما لكِ يا أم سلمة؟ فقلتُ: يا رسول الله؛ ألا يسقط الإناء من يدي وأنت تقول ما تقول! ما يؤمنني أن تكون أنا هي؟! فضحكتِ أنتِ فالتفتَ إليك فقال: بما تضحكين يا حميراء الساقين؟! إني أحسبكِ هيَ»! وفي لفظ آخر: «ما يضحك يا حمراء الساقين؟! إني لأحسبكِ هيَ»![1]

(١) الاحتجاج للطبرسي ج١ ص٢٤٣ ورسائل المرتضى ج٤ ص٦٧ وبحار الأنوار للعلامة المجلسي ج٣٢ ص١٥٠، وسيوافيك في الفصل الثالث إن شاء الله أن عائشة لم تكن تشهد على عثمان بالكفر فحسب؛ بل كانت تفتي بوجوب قتله وتحرّض على ذلك! غير أنها انقلبت رأساً على عقب حين بلغها أن الخلافة عادت إلى صاحبها الشرعي أمير المؤمنين علي عليه السلام، فقد كانت الحميراء تريدها لابن عمّها وحبيبها طلحة ابن عبيد الله!

هذا وضحكة عائشة حين سقط الإناء من يد أم سلمة (رضوان الله تعالى عليها) تُنبئ عن مدى استخفافها بكلام رسول الله صلى الله عليه وآله، واستهانتها بما يُخبر عنه من أمر خطير وجلل. وشتّان بين أم سلمة التي هالها هذا الكلام وارتعدت حتى سقط الإناء من يدها خوفاً من أن تكون هي الخارجة على الوصي، وبين عائشة التي ضحكت وسخرت ولم تكترث!

إن وصفه (صلى الله عليه وآله) لعائشة بأنها: «**حميراء أو حمراء الساقين**» لا يلائم في تحديده إلا المعنى الذي قرّرته المعاجم ولا يساوق إلا ما نطق به التراث من استعمال.

وعليه؛ فإن معنى قوله (صلى الله عليه وآله) لعائشة: «**يا حميراء..**» هو أنها كانت كثيرة الحيض، توهيناً وتحقيراً لها. وليس في هذا بُعد من جهة مكارم أخلاقه صلى الله عليه وآله، فإنه لا كرامة لرموز النفاق وأعلام الضلالة والفساد، وهو (صلى الله عليه وآله) نفسه الذي أطلق على أبي هريرة كنيته، وعلى مروان بن الحكم «**الوَزَغُ بن الوَزَغ**»، وعلى معاوية «**ذا الأَسْتاه**».[1] ولا ينافي كل ذلك مكارم الأخلاق، فإن لإطلاق نعت تحقيري على رمز من رموز النفاق والضلالة أثراً في تحصين الأمة من الاغترار أو التأثر به.

ويبدو أن عائشة إذ عُرف واشتُهر عنها أنها (حميراء محياض) لا تكاد تطهر من النجاسة؛ فإنها أرادت التخلص من هذا العيب بإيهام الناس بأن النبي (صلى الله عليه وآله) لم يكن يعتبر ذلك عيباً أو منقصةً بل لم يكن يتحمّل مفارقتها جنسياً حتى وهي على هذه الحال فكان يصرّ على مباشرتها وملاعبتها وهي حائض! وهكذا اختلقت عائشة هذه الأحاديث الشائنة التي تقول في إحداها: «**كان النبي صلى الله عليه وسلم يباشرني وأنا حائض! وكان يُخرج**

---

(١) ذو الأستاه: ذو الأرداف والمؤخّرة الكبيرة! رُوي عن نصر بن عاصم الليثي عن أبيه قال: «**أتيتُ مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس يقولون: نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله! فقلت: ما هذا؟ قالوا: معاوية قام الساعة فأخذ بيد أبي سفيان فخرجا من المسجد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لعن الله التابع والمتبوع، ربَّ يومٍ لأمّتي من معاوية ذي الأستاه**»! رواه ابن أبي الحديد في شرح النهج ج٤ ص٧٩ والطبراني في المعجم الكبير ج١٧ ص١٧٦ غير أنه أضمر اسم أبي سفيان وابنه معاوية!

وكان معاوية مشهوراً باسته! فقد جاء في لسان العرب لابن منظور: «**ورأَيت رجلاً ضخم الأَرداف كان يقال له أَبو الأَسْتاهِ. وفي حديث البراء: مرَّ أَبو سفيان ومعاويةُ خلفه وكان رجلاً مُسْتَهاً**»!

رأسه من المسجد وهو معتكف فأغسله وأنا حائض»![١] وفي حديث آخر تقول: «**كان النبي صلى الله عليه وسلم يتوشَّحُني وينالُ من رأسي وأنا حائض»!**[٢] وفي ثالث تقول: «**دخل النبي فمضى إلى مسجده، فلم ينصرف حتى غلبتني عيني وأوجعه البرد، فقال: ادني مني. فقلت: إني حائض! فقال: وإنْ! اكشفي عن فخذيْكِ! فكشفت فخذي فوضع خدّه وصدره على فخذي وحنيتُ عليه حتى دَفِئَ ونام»!**[٣] وفي رابع تقول: «**كان** (رسول الله) **يأمرنا إذا حاضت إحدانا أن تتّزر بإزار واسع ثم يلتزم صدرها وثدييْها»!**[٤] وفي رابع تزعم أن النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) كان لا يفارقها وهي في حال الحيض حتى حين كان يتلو القرآن العظيم فكان يضع رأسه في حجرها دونما تأدّب مع كلام الله تعالى! تقول: «**كان النبي يقرأ القرآن ورأسه في حجري وأنا حائض»!**[٥]

فلعن الله الحميراء المحياض وقبّح وجوه أتباعها إذ قبلوا بأحاديثها المكذوبة التي تسيء إلى مقام خاتم الأنبياء (صلى الله عليه وآله وسلم) وتصوّره بهذه الصورة من الهوس الجنسي!

وأيّاً كان، فقد سقط ما بُنِيَت عليه دعوى جمال عائشة، وهو المعنى المختلَق لكلمة (الحميراء). ومما يدعم هذا السقوط ويؤكد أن عائشة لم تكن بيضاء ولا جميلة، بل إنها إلى القُبح والدمامة أقرب؛ أمور منها:

---

(١) صحيح البخاري ج٢ ص٢٥٦ ونحوه في مسند أحمد ج٦ ص٥٥، وغيرهما كثير.

(٢) مسند أحمد ج٦ ص١٨٧ ونحوه في سنن البيهقي ج١ ص٣١٢، وغيرهما كثير.

(٣) سنن أبي داود ج١ ص٦٧

(٤) سنن النسائي ج١ ص١٨٩

(٥) صحيح البخاري ج٨ ص٢١٥ ونحوه في مسند ابن ماجة ج١ ص٢٠٨

أولاً؛ قد تقدّم في الفصل الأول أن قبيلة عائشة (تيم) كان السواد هو لون أبنائها، وكذا كان والدها أبو بكر آدم اللون، وأقرباؤها كذلك قد نصّ المؤرّخون والشعراء في وصفهم على أن لونهم لون العبيد حتى أن المرء لا يمكنه التمييز بينهم وبين عبيدهم. وعائشة هي ابنة هذه القبيلة فتحمل صفاتها الوراثية قطعاً، فلا يكون احتمال كونها بيضاء إلا كاحتمال أن يجد المرء في قبيلة إفريقية عريقة تعيش في وسط الغابات الاستوائية بنتاً بيضاء شقراء مشرّبة بحمرة وكأنها بنت أوروبية بينما والداها وجميع أشقائها وأقربائها سود! فهل يقبل بهذا ذو مسكة؟!

ثانياً؛ إن **سهيل بن ذكوان** صرّح بأنه رأى عائشة وأنها كانت **سوداء أدماء!** وذلك ما رُوي عن عبّاد بن العوّام قال: «**قلت لسهيل بن ذكوان: أَ رأيت عائشة؟ قال: نعم. قلت: صفها لي. قال: كانت سوداء**»! وفي لفظ آخر: «**كانت أدماء**»![1]

غير أن القوم لم يعجبهم تصريح سهيل هذا، فاتهّموه بالكذب! مع أنه لا مصلحة له في هذا، ولا يبدو خفيف العقل إلى درجة أنه يناقض أمراً مشتهَراً عندهم - وهو كونها بيضاء - فيدفعهم إلى تكذيبه دون أن يكون صادقاً في ما يقول بينه وبين الله فيرى أن ذلك يستحق أن يتحمّل لأجله تكذيبهم إياه.

ومنشأ تكذيبهم له إنما هو تفسيرهم المغلوط للفظة (الحميراء)، لا أن أحداً منهم ادّعى رؤيته لعائشة على خلاف الصفة التي ذكرها عنها. ففي ترجمته له؛ يقول ابن حبان: «**سهيل ابن ذكوان المكي، سكن البصرة، كنيته أبو السندي، وقد قيل أبو عمرو، يروي عن عائشة (...) وكان يقول: حدثتنا عائشة وكانت سوداء. ثنا الحنبلي، سمعت أحمد بن زهير عن يحيى**

---

(١) تاريخ ابن معين ج١ ص٣٦٩ والتاريخ الكبير للبخاري ج٤ ص١٠٤ وميزان الاعتدال للذهبي ج٢ ص٢٤٣ ولسان الميزان لابن حجر ج٣ ص١٢٥

ابن معين سمعت عبّادا يقول: سهيل الذي يروي عن عائشة وابن الزبير هو سهيل بن ذكوان ليس بشيء. قالوا له: صف لنا عائشة، فقال: كانت سوداء. فقيل له: إن النبي يقول لها: يا حميراء. فقال عبّاد: فعلمنا أن سهيلاً كذاب»![1]

إذن؛ فإنهم لم يكذّبوه إلا اعتماداً على تفسيرهم المغلوط للفظة (الحميراء)، وقد عرفت أنه لا علاقة لها بمعنى البياض لا من قريب ولا من بعيد! فيتأكد قول ابن ذكوان وأنه صادق في ما يقول، سيّما وأنه يوافق ما عرفه القاصي والداني من سواد عشيرتها وأهلها، فعلى أي أساس نتّهم الرجل بالكذب؟!

على أن ابن حجر نصّ على أن ابن حبّان نفسه قد وثّق ابن ذكوان لكنه سمّاه **سهلاً!** فقال: «**ذكره ابن حبان في الثقات لكن سمّاه سهلاً بسكون الهاء**»![2]

وما عشتَ أراكَ الدهرُ عجباً!

ثالثاً؛ روى ابن أعثم الكوفي المشادة الكلامية التي وقعت بين ابن عباس وعائشة بعد أحداث معركة الجمل، وفيها قول ابن عباس لها: «**وبعد؛ فإنما كنتِ إحدى تسع حشايا من حشاياه** (رسول الله)**، لستِ بأحسنهنّ وجهاً، ولا بأكرمهنّ حسباً، ولا بأرشحهنّ عرقاً**».[3]

وهذا تصريح من ابن عباس بأن عائشة **لم تكن أحسن نساء النبي وجهاً**، فليس لها ذلك الجمال والحُسن الخيالي الذي يزعمه المخالفون لها!

---

(١) كتاب المجروحين لابن حبان ج١ ص٣٥٣

(٢) لسان الميزان ج٣ ص١٢٥

(٣) الفتوح لابن أعثم ج٢ ص٣٣٧

رابعاً؛ إن عائشة بنفسها تعترف بأنها كانت تحسد سائر زوجات النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وأنها كانت تغار منهنّ غيرة شديدة لجمالهنّ وحُسنهن. وغيرتها وحسدها يكشفان عن أنها كانت تعلم أنها قبيحة بالنسبة إليهنّ، أو على أقل تقدير أنهنّ كنّ يفُقْنَها جمالاً، وإلا لو كانت كما يُدّعى أجمل الجميلات وسيدة الحسناوات لما ظهر منها كل هذا الحسد وكل هذه الغيرة الشديدة، فإنما **مُتسافِلُ الدّرجاتِ يحسدُ مَنْ عَلا**.

وكتب الحديث والسيرة والتاريخ طافحة باعترافات عائشة في هذا المضمار، وليس يعنينا استقصاؤها كلّها، بل الذي يعنينا ذكر بعضها كأمثلة، فإليكها:

• قالت عائشة: «**لما تزوج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أم سلمة حزنت حزناً شديداً لما ذُكر لنا في جمالها! قالت: فتلطّفتُ لها حتى رأيتها، فرأيتها أضعاف ما وُصف لي في الحُسن والجمال! فقالت حفصة: والله إن هذا إلا الغيرة، فلتطفتْ لها حفصة حتى رأتها فقالت لي: لا والله ما هي كما تقولين وإنها لجميلة. قالت: فرأيتها بعدُ فكانت كما قالت حفصة**»![1]

• حين أراد رسول الله (صلى الله عليه وآله) تنفيذ الأمر الإلهي بالزواج من زينب بنت جحش؛ قالت عائشة: «**أخذني ما قَرُبَ وبَعُدَ لما يبلغنا من جمالها**»![2]

(١) الإصابة لابن حجر ج٤ ص٤٥٩، هذا مع أن أم سلمة (عليها السلام) كانت امرأة مسنة حينذاك! ومع ذلك فقد غارت عائشة من جمالها مع أنها شابة! وهذا يعني وجود تفاوت كبير في الجمال بحيث أن الشابة تغار من المسنة، وليس لذلك من نتيجة سوى أن الشابة كانت قبيحة المنظر! وما في الخبر من أنها كانت تبالغ في الغيرة ثم سكنت لا ينفع لنفي ذلك، إذ تعترف بأن أم سلمة على نحو ما وصفتها حفصة من الجمال، غير أن جمالها ليس بأضعاف ما وُصف.

(٢) طبقات ابن سعد ج٨ ص١٠٢ ومنتخب الطبري ص٩٩ وغيرهما.

• في شأن جويرية بنت الحارث قالت عائشة: «**كانت امرأة حلوة ملاحة لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه! فأتت رسول الله تستعينه في كتابتها. قالت: فوالله ما هو إلا أن رأيتُها على باب حجرتي فكرهتها وعرفتُ أنه** (رسول الله) **سيرى منها ما رأيت**»![١]

• قالت عائشة: «**ما غرتُ على امرأة إلا دون ما غرتُ على مارية، وذلك أنها كانت جميلة من النساء جعدة**»![٢]

• لمّا تزوج النبي (صلى الله عليه وآله) مليكة بنت كعب «**وكانت تُذكر بجمالٍ بارع**» غارت عائشة فعمدت إلى خداعها لكي يطلّقها النبي صلى الله عليه وآله! «**فدخلت عليها عائشة فقالت لها: أما تستحين أن تنكحي قاتل أبيك! فاستعاذت من رسول الله فطلّقها**»![٣]

• لمّا تزوج النبي (صلى الله عليه وآله) أسماء بنت النعمان «**وكانت من أجمل أهل زمانها وأَشَبِّهِ**» غارت عائشة غيرة شديدة وقالت عن النبي: «**قد وضع يده في الغرائب ويوشكن أن يصرفنَ وجهه عنا**»![٤] وعمدت إلى خداع هذه أيضا كما خدعت مليكة، فطلقها النبي صلى الله عليه وآله!

---

(١) مسند أحمد ج٦ ص٢٧٧ وسنن البيهقي ج٩ ص٧٤ وغيرهما.

(٢) طبقات ابن سعد ج٨ ص٢١٢ والإصابة لابن حجر ج٨ ص٣١١ وغيرهما. وجعدة بمعنى أن شعرها غير مسترسل.

(٣) طبقات ابن سعد ج٨ ص١٤٨ وعنه السيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٥٩٢

(٤) طبقات ابن سعد ج٨ ص١٤٥، وفيه تعترف عائشة بأن «الغرائب» بما فيهنّ من جمال يوشكن أن يصرفن النبي (صلى الله عليه وآله) عنها وعن صويحباتها، ما يعني أنها كانت قبيحة بالنسبة إليهنّ أو لا أقلّ مفضولة. فأين الجمال المدّعى والذي ليس له نظير؟!

● لمّا خطب رسول الله (صلى الله عليه وآله) شراف بنت خليفة الكلبية - وهي أخت دحية الكلبي - بعث عائشة لتنظر إليها، «**فذهبت ثم رجعت فقال لها رسول الله: ما رأيتِ؟ فقالت: ما رأيتُ طائلاً! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد رأيتِ طائلاً! لقد رأيتِ خالاً بخدّها اقشعرّت كل شعرة منكِ! فقالت: يا رسول الله ما دونك سرّ**»![1]

إن هذه صور واضحة لما كانت تشعر به عائشة من عقدة نقص في الحُسن والجمال، والأحاديث التي انتقيناها إنما هي ظاهرة في أن عائشة لم تغر منهن إلا لجمالهن، ولا نرى في مقابل ذلك أن واحدةً من نساء النبي (صلى الله عليه وآله) غارت من كل هؤلاء النسوة هكذا، وهو ما يرجّح أن تكون عائشة أقبحهنّ على الإطلاق!

ولا غرو في ذلك؛ فإنّا قد علمنا أنها كانت سوداء أدماء، وابنة رجل دميم قبيح هو «**أخيَفُ بني تَيْم**»! على ما مضى في الفصل الأول. ومعلوم أن المرأة التي تعاني من عقدة نقص في الجمال تحاول بشتى الطرق أن تعوّضه، وهذا ما يفسّر سبب كل هذا الكم الهائل من الأحاديث التي اختلقتها عائشة زاعمة فيها أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان يهواها ولا يطيق فراقها وأنه كان يفعل كذا وكذا - من التفاصيل التي يقبح ذكرها - حين يأتيها ويباشرها!

---

(١) طبقات ابن سعد ج٨ ص١٦١، والإصابة لابن حجر ج٨ ص٢٠٠ عن الطبراني وأبي نعيم، وكنز العمال للمتقي الهندي ج١٢ ص٤١٨ وغيرها كثير. ولاحظ أن عائشة اقشعرّت كل شعرة منها لغيرتها من امرأة جمالها هو في مجرّد وجود خالٍ على خدّها! وهذا يكشف عن مدى ما تشعر به عائشة من نقص حظها في الجمال. ثم التفت إلى أن عائشة كذبت حين قالت: «**ما رأيتُ طائلاً**» إذ ردّ عليها رسول الله (صلى الله عليه وآله) قائلا: «**لقد رأيتِ طائلاً**»! والكذب من الكبائر، والكاذب في النار، فعائشة في النار! ولا ينفعها أمام الله تعالى الاعتذار بالغيرة، فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**غيرة المرأة كفر، وغيرة الرجل إيمان**». نهج البلاغة - الحكمة ١٢٤.

وإذ وصل الكلام بنا إلى هنا؛ فلا بأس بأن نروّح عن القارئ بطرفتيْن مليحتيْن:

الأولى؛ أنه قد اشتهُر في أوساط المخالفين أن عائشة شقراء بيضاء! كما جاء في العلل وغيره: «**كانت عائشة يُقال: شقراء بيضاء**»![١]

وهذا الذي «**يُقال**» في أوساط المخالفين لا نكاد نجد له أصلاً سوى هذا الحديث ونظائره، وهو ما رواه ابن سعد عن عائشة قالت: «**خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا كنّا بالقاحة سال على وجهي من رأسي صُفرة مما جعلتُ في رأسي من الطيب حين خرجتُ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن لونك الآن يا شقيراء لَحَسَن**»![٢]

وعلى فرض صحة الحديث فإنّا لسنا ندري أي وجه للاستدلال به على جمال عائشة! فإن كل ما فيه أن النبي (صلى الله عليه وآله) وصفها **بالشقيراء** لسيلان الطيب الأصفر على وجهها وهو ما أدى إلى تمازج بين لونها ولونه، لا أنها بالأصل شقراء ذات أصل أوروبي كما يحلم الحالمون الغارقون في الخيال![٣]

---

(١) العلل لأحمد بن حنبل ج١ ص٤٤٢ والكامل لابن عدي ج٣ ص٤٤٦ وغيرهما.

(٢) طبقات ابن سعد ج٨ ص٧٢، والقاحة موضع بين مكة والمدينة.

(٣) ويبدو أن عائشة كانت تكرر وضع الطيب الأصفر على رأسها كما حصل حين عاد النبي (صلى الله عليه وآله) من خيبر ومعه صفية، وذلك ما رواه ابن سعد في طبقاته ج٨ ص١٢٦ عن عبد الله بن عمر قال: «**لما اجتلى النبي صلى الله عليه وسلم صفية، رأى عائشة متنقبة في وسط الناس، فعرفها فأدركها فأخذ بثوبها فقال: يا شقيراء! كيف رأيتِ؟ قالت: رأيتُ يهودية بين يهوديات**»! وفي حديثه الآخر روى فيه زيادة ورد فيها نهر النبي (صلى الله عليه وآله) لعائشة عمّا بهتت به صفية، إذ قال لعائشة: «**لا تقولي هذا يا عائشة! فإنها قد أسلمت فحسُنَ إسلامها**». ومنشأ ما صدر من عائشة ضد صفية هو الغيرة كما لا يخفى، فقد كانت صفية «**من أضوأ ما يكون من النساء**» كما جاء عن أم سنان الأسلمية في طبقات ابن سعد أيضا ج٨ ص١٢١

الثانية؛ قد ذكرنا أن القوم لم يستشهدوا في زعمهم أن عائشة بيضاء جميلة بأحدٍ ممن رآها ووصفها على هذه الصفة معاينةً، وإنما بنوا زعمهم هذا على تفسيرهم المغلوط للفظة الحميراء.

غير أنّا وجدنا في جملة رواياتهم رجلاً ادّعى رؤيته لعائشة مع أنهم يحكمون على روايته هذه بالوضع، وهو المعمّر **علي بن عثمان بن خطاب** الذي يُقال أنه عاش ما يزيد على ثلاثمئة سنة لأنه قد شرب من عين الحياة! ومهما يكن فإن هذا المعمّر قال أنه رأى عائشة وكانت **بيضاء!** فحريٌّ بالمخالفين أن يلتفتوا إلى هذه الرواية التي تفيدهم في إثبات مطلوبهم، فلعلّهم يقوّونها بنحو من المعالجات الروائية، فالرجل وحده يصرّح برؤيته لعائشة البيضاء الجميلة!

غير أنهم لو فعلوا فعليهم أن لا يبتروا – كعادتهم – رواية الرجل، وأن يتحمّلوا الأوصاف الأخرى التي وصف بها عائشة وإن كانت لا تروق لهم!

فقد قال: «**رأيتُ عائشة طويلة بيضاء بوجهها أثر جدري! وسمعتها تقول لأخيها محمد يوم الجمل: أحرقك الله بالنار في الدنيا والآخرة**»![1]

فليهنأ المخالفون بأمّهم البيضاء الطويلة! وليبتدعوا مقاييس جديدة للحُسن والجمال لأن وجود أثر الجدري في وجه امرأة مهما بلغ بياضها فإنه يقبّحها ويجعلها منفرّة بشعة كالحيّة الرقشاء المطرقة!

وقد قالت أم سلمة (عليها السلام) لعائشة ضمن كتاب أرسلته إليها تحذرها فيه من مغبة تمرّدها على أمير المؤمنين عليه السلام: «**ولو أني حدّثتك بحديث سمعتُه من رسول الله**

---

(١) لسان الميزان لابن حجر ج٤ ص١٣٦

صلى الله عليه وآله لنهشتِني نهش الحية الرقشاء المطرقة! والسلام».[١]

والنتيجة من كل ما تقدّم؛ أن عائشة لا تمتلك أياً من صفات الجمال، ولم يقم دليل واحد معتبر على كونها جميلة، بل إن القرائن التي مرّت معنا تدلّ على كونها قبيحة دميمة سوداء محياض غير ذات شأن في الحُسن والوضاءة، أما إصرار محبّيها على أنها جميلة حسناء بيضاء شقراء وما إلى ذلك من أوهام فليس مردّه إلا إلى عدم سلامة عيونهم، وليس سبيله إلا سبيل ما صدّرناه: **قِرْدةٌ.. في عيون أبنائها غزالة!**

وإذ طوينا هذا المطلب؛ نعود لنجيب على السؤال الذي سبقه وهو المتعلّق بالحكمة من وراء زواج النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) بعائشة، وما إذا كان ذلك إكراماً لها أو استحقاقاً لما بلغته من الفضل على ما يُدَّعى ويُروَّج. وقد أخّرنا الجواب إلى ههنا ترتيباً للمطالب.

■ ليَبْلُوَكم بعائشة أَتشكرون أم تكفرون؟!

يتشدّق العاشقون لعائشة بمسألة زواج خاتم الأنبياء (صلى الله عليه وآله) بها لتمرير أنها مؤمنة طيّبة طاهرة وإلا لما استحقّت هذا الإكرام والتشريف بأن يختارها أعظم رُسُل الله زوجة له، متشدّقين بقوله تعالى: «**الخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ**»[٢] للادعاء بأنه لا يمكن أن يخالف النبي (صلى الله عليه وآله) هذا التوجيه القرآني فيختار لنفسه – وهو الطيّب – امرأة خبيثة أو غير صالحة.

---

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه ج٣ ص٩٦، والحية الرقشاء هي تلك المرعبة التي فيها تلك النقط السوداء والبيضاء وكأنها مصابة بالجدري.

(٢) النور: ٢٧

بَيْد أن هذا الادعاء لا يمكن أن يمرّ مرور الكرام، إذ كل من له أدنى معرفة دينية يعلم أن المقاصد من وراء زيجات الأنبياء لا تقتصر على إكرام مَن تزوجوا بهنّ، وأن النبي إذا اختار امرأة له فهذا لا يلازم بالضرورة أن تكون امرأة طيبة طاهرة صالحة، فهناك وجوه أخرى من الحكمة والمصلحة تكون وراء مثل هذه الزيجات.

هذا رسول الله الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) نجده قد اختار نساءً وتزوّجهن ثم ما لبث أن طلّقهن لخُبثهنّ أو لعدم صلاحهنّ وأهليتهنّ لأن يكنّ زوجات لمثله، **كفاطمة بنت الضحاك الكلابية** التي اختارت الدنيا عليه![1] **وأسماء بنت النعمان** التي استعاذت منه![2] **والشنباء بنت عمرو** التي كفرت بنبوّته![3] **وليلى بنت الخطيم** التي استقالته![4] **وحفصة بنت عمر** التي آذته![5] أما **قتيلة بنت قيس الكندية** فلم يطلّقها ومع ذلك ارتدّت بعده إلى الكفر![6]

فهل كل هؤلاء النسوة اللائي اختارهنّ النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) للزواج بهنّ كنّ طيّبات وصالحات؟! كيف وفيهنّ من طُلِّقت، وفيهنّ من كفرت وارتدَّت؟!

وهذان النبيّان العظيمان نوح ولوط (عليهما الصلاة والسلام) قد أخبرنا الله تعالى في كتابه عن فساد زوجتيهما وخبثهما، فكيف اختارهما زوجتيْن إذا كان لا يجوز للطيّب أن يختار

(١) راجع الإصابة لابن حجر ج٨ ص٢٧٣

(٢) راجع المصدر نفسه ج٨ ص١٩

(٣) راجع السيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٥٨٠ وفيه أنها قالت يوم مات إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**لو كان نبياً لم يمت ابنه**»! فطلّقها وأوجب لها الصداق وحُرِّمَت على غيره.

(٤) راجع تاريخ الطبري ج٢ ص٤١٧

(٥) راجع مسند أحمد ج٣ ص٤٧٨، وقد راجعها (صلى الله عليه وآله) بعد إصرار أبيها.

(٦) راجع طبقات ابن سعد ج٨ ص١٤٧

الخبيثة مطلقاً؟! **فإن قيل**: إنما كانتا طيّبتين حينما تزوّجاهما ثم خَبُثتا بعد ذلك، وكذلك كان حال اللائي طلّقهن رسول الله أو التي ارتدّت بعده. **قلنا**: الإشكال باقٍ، إذ المعلوم أن أفعال الأنبياء (عليهم السلام) لا تكون إلا بوحي وإرادة ربّانية، والله عالم بأن فلانة ستفسد وتخبث بعدُ، فلماذا أمر نبيّه بأن يتزوّجها فيكون ذلك إكراماً للخبيثة – عاقبةً وحقيقةً – وهذا مناقض لتوجيهه بأن لا تكون الخبيثة للطيب مطلقاً حسب الفرض؟!

ولا يسع المخالفين الفرار من هذا الإشكال إلا بالتخلي عن الإطلاق والتنازل عن ادعائهم حتمية أن تكون زيجات الأنبياء منحصرة القصد في إكرام مَن تزّوجوا بهنّ، وكذا التنازل عن حتمية أن تكون الزوجة المختارة طيّبة طاهرة صالحة. وبهذا يُعلم أن قوله تعالى: «**الخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ**»[1] إنما هو توجيه عام لا يأبى التخصيص والاستثناء، فيصحّ أن ينكح الطيّب – وإن كان نبيّاً – خبيثةً إذا كان ثمة وجه من أوجه الحكمة والمصلحة في ذلك بحسب ميزان الشرع، ومن هذا القبيل كانت زيجات الأنبياء (عليهم السلام) في بعض مواردها.

---

(١) قد جاء في سبب نزول هذه الآية الكريمة وما قبلها أن مشركي قريش كانوا يرمون المرأة التي كانت تهاجر إلى المدينة في فترة الهدنة بقولهم: «**إنما خرجت لتفجر**»! كما في تفسير النيسابوري بهامش الطبري ج١٨ ص٦٩ وتفسير القرطبي ج١٢ ص٢٠٩ وفتح القدير للشوكاني ج٤ ص١٧. فنزلت هذه الآيات في الردّ عليهم وتبرئة المهاجرين والمهاجرات إذ يقول تعالى: «**إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ المُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ المُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللهُ دِينَهُمُ الحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الحَقُّ المُبِينُ * الخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ**». النور: ٢٢– ٢٥

وأما دعوى بعض المخالفين بأن الآيات هذه نزلت في تبرئة عائشة لمّا رماها أهل الإفك بالزنا فسيوافيك إن شاء الله تعالى بطلان ذلك ووجه الحق في قصة الإفك، وستعرف أن عائشة لم تكن التي اتُّهِمتْ بل التي اتَّهَمَتْ غير أنها قلبت الأمر لاحقاً! فترقّب.

وإنه لأمر واضح تنوّع العلل والمقاصد من وراء زيجات النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، فقد تزوّج **زينب بنت جحش** لإبطال آثار التبنّي في حكم الجاهلية كما مرّ، وتزوّج **سودة بنت زمعة** ليكون ملاذاً لها بعدما توفّي زوجها **السكران بن عمرو** في طريق العودة من الحبشة، وكذا كان حاله مع **زينب بنت خزيمة** التي استشهد زوجها **عبد الله بن جحش** في أُحُد، وأما **أم حبيبة بنت أبي سفيان** فقد تزوّجها بعدما تنصّر زوجها **عبيد الله بن جحش** في الحبشة فبانت عنه وتهدّدها أمر الرجوع إلى حظيرة أبي سفيان فيذيقها العذاب. ثم إنه تزوّج **جويرية بنت الحارث** ليمنّ المسلمون على قومها من **بني المصطلق** بالعتق باعتبار أنهم صاروا أصهاره فيرغبوا في الإسلام إذ رأوا سماحته، وكذا كان حاله مع **ريحانة بنت عمرو** ليرغب قومها من **بني قريظة** في دين الله، وكذا أيضا مع **صفية بنت حُيَيْ** وقومها **بنو النضير**.

فالنتيجة أن زيجات النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) كانت تتنوّع مقاصدها وأهدافها، بين ما يكون رحمة ورأفة بحالات إنسانية حرجة، أو إبطالاً لأحكام جاهلية، أو تأليفاً لقلوب الأقوام والعشائر وترغيباً لها في الإسلام العظيم.

وعليه يكون من الاستغفال للعقول الادعاء بأن كل امرأة تزوّجها النبي (صلى الله عليه وآله) لا بدّ أن يكون القصد من وراء ذلك هو إكرامها وأن تكون طيّبة طاهرة مؤمنة وفي الجنة، ذلك لما ثبت من تنوّع المقاصد، وأن هذه العلقة الزوجية ليست بعاصمة للمرأة من الكفر والفساد و الخبث وسوء المنقلب، ولا تُلازم كونها تستحق الإكرام، كما لا تُلازم وجوب أن تحظى بالجنة لزواجها من نبيّ الله، فإن الله تعالى قد ردّ على من يتوهّم ذلك صراحةً إذ قال: «**ضَرَبَ اللهُ مَثَلا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ**».[1]

---

(١) التحريم: ١١

فالعبرة إذن إنما تكون بالمرأة بما هي هي، بغض النظر عن علقتها الزوجية بالنبي، فإن كانت نفسها طيبة وأعمالها صالحة فمآلها إلى الجنة، وإن كانت نفسها خبيثة وأعمالها طالحة فمآلها إلى النار. وهي بهذا تكون كأي امرأة أخرى، غير أنها إنْ أساءت كان عذابها ضعفين! وإن أحسنت حصلت على أجرها مرّتين، وذلك مصداقاً لقول الله تعالى: «**يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا * وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ للهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا** ».[(١)]

وحيث تجلّى هذا المعنى فإنه لا يُعبَأ بمن يلقون الكلام على عواهنه فيزعمون أن زواج النبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) بعائشة إنما يكشف عن إكرامها واستحقاقها لهذه المنزلة كونها امرأة طيبة طاهرة صالحة، فإنه يقال لهؤلاء: تريّثوا حتى نبحث في ما ورد بشأنها من أحاديث ونستطلع سيرتها ونرى إن كانت تطابق هذا الذي تقولون أم لا، فإنه لا يصحّ التسرّع في الحكم قبل الوقوف على وجه الحكمة في زواج النبي (صلى الله عليه وآله) بها. ومثلكم في هذا التسرّع والتشدّق كمثل القائل: إن نوحاً ولوطاً (عليهما السلام) قد أكرما **والغة وواهلة** إذ تزوّجا بهما! وكمثل القائل: إن النبي (صلى الله عليه وآله) قد أكرم **عبد الله ابن أبي بن سلول** إذ صلّى عليه! بل هو كمثل القائل: إن الله تعالى قد أكرم إبليس بأن منحه الحياة الأبدية فلا يموت![(٢)]

---

(١) الأحزاب: ٣١ - ٣٢

(٢) تقول بهذا الطائفة الإيزدية. وهناك من الطائفة البكرية من يعتبر إبليس (لعنه الله) **سيد الموحدين!** كالواعظ الشافعي **أبي الفتوح الغزالي** حيث قال: «**إن إبليس سيد الموحدين! مَن لم يتعلم التوحيد من إبليس فهو زنديق لأنه أُمِر أن يسجد لغير سيّده فأبى**»! لسان الميزان لابن حجر ج١ ص٢٩٤

فالصواب إذن هو التريّث لا التسرّع لئلا نقع في جهالة، والمطلوب لرفعها تفحّص الأحاديث والآثار لاستجلاء وجه الحكمة في زواج النبي (صلى الله عليه وآله) بهذه المرأة.

وبعد التفحّص وجدنا أن من أوضح وأبسط ما يبيّن وجه الحكمة هذا هو حديث مولانا أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) الذي سبق ذكره في التوطئة، وفيه يقول عن عائشة: «**إن أمكم ابتلاكم الله بها ليعلم أَ معهُ تكونون أم معها**»؟!(١)

ولهذا الحديث الشريف نظير يرويه المخالفون عن **عمار بن ياسر** (رضوان الله تعالى عليه) – ويُستظهر منه أنه قد أخذه من مولاه أمير المؤمنين سلام الله عليه – وفيه يقول عمار كما في رواية البخاري: «**إن عائشة سارت إلى البصرة، والله إنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة، ولكن الله تبارك وتعالى ابتلاكم ليعلم إياه تطيعون أم هي**»؟!(٢) وفي لفظ آخر رواه المتقي الهندي: «**ولكن الله ابتلانا بها ليعلم إياه نطيع أم إياها**»؟!(٣)

---

(١) كتاب سُليم بن قيس الهلالي رضوان الله تعالى عليه، الحديث السابع والستون ص٩١٩

(٢) صحيح البخاري ج٩ ص٧٠

(٣) كنز العمال للمتقي الهندي ج١٣ ص٦٩٤، ولا يفوتنا أن ننبّه إلى أننا لا نسلّم بصدق كل ما ورد في رواية المخالفين عن عمار عليه الرضوان، أعني مقطع: «**والله إنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة**» إذ نرى أن فيه زيادةً هي: «**في الدنيا والآخرة**»، ذلك لأن الرواية عندنا بلاها، وكذا هي في بعض طرق المخالفين اقتصرت على قوله: «**والله إنها لزوجة نبيكم**» فقط، كما في رواية الحافظ أبي بكر الإسماعيلي حيث قال ابن حجر في فتح الباري في شرح صحيح البخاري ج١٣ ص٤٩: «**وفي رواية الإسماعيلي من طريق أحمد بن يونس عن أبي بكر بن عياش بعد قوله قد سارت إلى البصرة: ووالله إني لأقول لكم هذا ووالله إنها لزوجة نبيكم**».

ومن الواضح أن زيادتهم في رواية عمار إنما جاءت لغرض تلطيف كلامه الموجه ضد عائشة، والإيهام بأن عمارا نصّ على أنها ستدخل الجنة حتماً باعتبارها زوجة للنبي (صلى الله عليه وآله) في الآخرة! مع أنه لو فعل ذلك لكان راداً على حديث النبيّ (صلى الله عليه وآله) المروي في طبقات ابن سعد ج٨ ص٥٠٨ والذي قال فيه لأزواجه: «**أيّتكن اتّقَت الله ولم تأتِ بفاحشة مبيّنة ولزمت ظهر حصيرها فهي زوجتي في الآخرة**». =

وقد قال عمار مقولته هذه ضمن سياق تحريضه الناس على قتال عائشة الباغية يوم سارت إلى البصرة وتهيأت لمعركة الجمل، ويعترف بذلك المخالفون إذ رووا: «**صعد عمار المنبر فحضَّ الناس في الخروج إلى قتال عائشة**».(١)

ولئن كان بوسع المخالفين أن يكذِّبوا النص الوارد عن مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) بدعوى أنه مروي عندنا، فإنهم لا يسعهم تكذيب ما ورد بالمضمون نفسه عن عمار ابن ياسر في صحاحهم ومصادرهم المعتبرة، كما لا يمكنهم تخطئة عمار في قوله هذا أو الادعاء أنه قد جانب الحق فيه، ذلك لأنهم يروون عن النبي (صلى الله عليه وآله) قوله: «**إذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق**».(٢)

وقد أقرّت عائشة على نفسها بأن عماراً (رضوان الله تعالى عليه) دائم النطق بالحق، فقد روى الطبري عن أبي يزيد المديني يقول: «**قال عمار بن ياسر لعائشة رضي الله عنها حين فرغ**

= فعائشة لم تكن من المتقيات وقد أتت بفواحش ولم تلزم ظهر حصيرها على أقل تقدير إذ خرجت على جملها تحارب خليفة رسول الله (صلى الله عليه وآله) فكيف تكون بعد هذا زوجته في الآخرة وحديثه الشريف ينفيه؟! وكيف تكون زوجته في الآخرة وهي التي اعترفت بأنها قد أحدثت بعده فأيقنت بأنها لن تجتمع به في الآخرة ولذا أوصت بأن لا تُدفن إلى جواره؟! فقد روى ابن قتيبة في المعارف ص١٣٤ وابن عبد ربّه الأندلسي في العقد الفريد ج٤ ص٣٣١ أنه قيل لها وهي مشرفة على الهلاك: «**ندفنك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت: إني قد أحدثتُ بعده! فادفنوني مع أخواتي. فدُفنت بالبقيع**».

ومهما يكن فإن شاهدنا في كلامنا هو مضمون الرواية الذي يبيّن أن الحكمة من وراء زواج النبي (صلى الله عليه وآله) بعائشة إنما كانت ابتلاءً من الله تعالى للأمة.

(١) فتح الباري في شرح صحيح البخاري ج١٣ ص٤٩ عن الحافظ أبي بكر الإسماعيلي صاحب **الصحيح على شرط البخاري** ورواياته معتبرة جداً عند المخالفين، وهو من الأجلاء الكبار عندهم.

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر ج٤٣ ص٤٠٤ ونحوه في مستدرك الحاكم ج٣ ص٣٩١، ومعلوم أن ابن سمية الشهيدة هو عمار عليهما الرحمة والرضوان.

القوم (من معركة الجمل): **يا أم المؤمنين؛ ما أبعد هذا المسير من العهد الذي عُهد إليكِ!** (يقصد قوله تعالى: وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى) **قالت: أبو اليقظان؟ قال: نعم. قالت: والله إنك ما علمتُ قوّالٌ بالحقّ. قال: الحمد لله الذي قضى لي على لسانكِ»!**[(١)]

وما دامت الرواية عن عمار ثابتة، وما دام الحق والصواب معه؛ فإنه ينبغي التسليم بما ذكره، إذ لا يمكن تصوّر أنه قد جاء به من عندياته بغير بيّنة من مصدر الوحي.

والمستفاد مما ذكره عمار هو أن عائشة جُعلت من قبل الله تعالى **ابتلاءً وامتحاناً** للأمة التي عرّضتها إلى فتنة عظيمة كفتنة السامري وعِجْله في قوم موسى عليه السلام، إذ هي تأمر الناس بما يخالف الأوامر الإلهية وتكون إذ ذاك على طرف النقيض مع الله تبارك وتعالى، وههنا يتحقق الامتحان الإلهي للأمة التي ينبغي لأفرادها أن يختاروا؛ إما أن يطيعوا الله تعالى ويعصوا عائشة وإما أن يعصوا عائشة ويطيعوا الله! فمن يطيع الله تعالى ويعصيها نجى وفاز بالجنة، ومن يطيعها ويعصيه هلك وهوى في النار! وذلك قول عمار: «**ليعلم إياه تطيعون أم هي**»؟!

وحيث شاء الله تعالى أن تكون عائشة موردا للابتلاء والامتحان، فقد قضى على نبيّه (صلى الله عليه وآله) أن يتزوّجها لهذا السبب، إذ بغير ذلك لا يتأتّى لها أن تُشعل فتنتها في الأمة، فإنها كما هو معلوم استغلت كونها زوجة لرسول الله (صلى الله عليه وآله) في استثارة الناس وإغوائهم لمحاربة أخيه ووصيّه الشرعي أمير المؤمنين صلوات الله عليه، فوقع الناس حقاً في فتنة لم يدرِ معظمهم ما ينبغي فعله فيها، أَيقفون مع أخي نبيّهم ووصيّه ليحاربون زوجة نبيّهم؟! أم يقفون مع زوجة نبيّهم لمحاربة أخيه ووصيّه؟!

(١) تاريخ الطبري ج٣ ص٥٤٨ بسند صحيح. وأبو اليقظان كنية عمار عليه السلام.

ولولا أن عائشة كانت زوجة لرسول الله لما كان لمشاغباتها وتحريضاتها أدنى قيمة أو أثر حتى وإن ركبت فيلاً أو خرتيتاً! لذا زوّجها الله تعالى لنبيّه الأكرم (صلى الله عليه وآله) وهو عالم بأنها ستخرج على وصيّه وتفتن الأمة، كما زوّج والغة وواهلة لنوح ولوط (صلوات الله عليهما) وهو عالم بأنهما ستؤذيانهما وتفعلان المنكرات، وكما منّ على إبليس (لعنه الله) بالحياة الأبدية وهو عالم بأنه سيضلّ خلقه، فلله في كل شيء حكمة، ولا بدّ من أن تمضي مقاديره في ابتلاء وافتتان الخلق بعضهم ببعض وإلا لما كان للثواب والعقاب معنى. قال سبحانه: «**وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا**».[1]

وقال سبحانه: «**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ**».[2]

وقال سبحانه نصّاً على أنه هو الذي فتن قوم موسى (عليه السلام) بالسامريّ لعنه الله: «**وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هُمْ أُولاء عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى * قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ**».[3]

فهكذا كان الحال في شأن عائشة، أنها باب من أبواب ابتلاء هذه الأمة وافتتانها، وهذا هو وجه الحكمة في تزويج الله رسوله (صلى الله عليه وآله) بها، وهو وجه بيّنه أمير المؤمنين (عليه السلام) بكل وضوح وجلاء، وكذا فعل تلميذه عمار بن ياسر رضوان الله عليهما.

---

(١) الفرقان: ٢١

(٢) العنكبوت: ١-٤

(٣) طه: ٨٤-٨٦

ويبدو أن بعض خواصّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) كانوا واقفين على سبب كون هذه المرأة الخبيثة زوجة لأعظم الخلق، فإنا نجد مثلاً أن **حذيفة بن اليمان** رضوان الله تعالى عليه - الذي هو صاحب سرّ رسول الله - يصرّح بأن عائشة ستخرج في كتيبة سوء! وذلك ما رواه الحاكم والطبراني عن خيثمة بن عبد الرحمن وفلفة الجعفي، واللفظ للأول قال: «**كنا عند حذيفة رضي الله عنه فقال بعضنا: حدِّثنا يا أبا عبد الله ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله. قال: لو فعلتُ لرجمتموني! قلنا: سبحان الله أَ نحن نفعل ذلك؟! قال: أَ رأيتكم إنْ حدّثتكم أن بعض أمهاتكم تأتيكم في كتيبة كثيرٌ عددها شديدٌ بأسها صدّقتم به؟ قالوا: سبحان الله ومن يصدّق بهذا؟! ثم قال حذيفة: أتتكم الحميراء في كتيبة يسوقها أعلاجها حيث تسوء وجوهكم! ثم قام فدخل مخدعاً**».[1]

وحديث حذيفة هذا يومئ إلى معرفته بالحكمة من وراء زواج النبي (صلى الله عليه وآله) بعائشة لعنها الله.

بل إن الأحاديث النبوية الشريفة تومئ إلى هذا المعنى بمنتهى الصراحة، حين وُصفت عائشة برأس الكفر ومكمن الفتنة وقرن الشيطان!

وهذا هو البخاري يروي عن عبد الله بن عمر بن الخطاب قال: «**قام النبي صلى الله عليه وسلم خطيباً فأشار نحو مسكن عائشة فقال: ههنا الفتنة! ههنا الفتنة! ههنا الفتنة! من حيث يطلع قرن الشيطان**»![2]

---

(١) مستدرك الحاكم ج٤ ص٤٧١ وحكم بصحته على شرط الشيخين، والمعجم الأوسط للطبراني ج٢ ص٣٥

(٢) صحيح البخاري ج٤ ص١٠٠ وغيره كثير.

وذاك هو مسلم يروي عن عبد الله بن عمر بن الخطاب أيضاً أنه قال: «**خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيت عائشة فقال: رأس الكفر من ههنا! من حيث يطلع قرن الشيطان**»![1]

ولله درّ من قال:

عـائشُ مـا نَقـولُ في قِتالِـكْ؟ سَـلكْتِ في مَسالِكِ المهالِـكْ!

وحَـسْبكِ مـا أَخـرَجَ البُخـاري مـن الـصَّحيحِ مومِئـاً للـدّارِ![2]

ولعمري ليس بعد كلام النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) كلام، فهو قد وصف عائشة بما هو الحق، فما هي إلا فتنة للناس ورأس للكفر وقرن للشيطان! وكيف لا وهي التي بلغت جرائمها ما بلغته؟!

وهذه الأحاديث النبوية الشريفة تؤكد قول أمير المؤمنين (عليه السلام) وعمار عليه الرحمة، من أن عائشة كانت مورد الابتلاء والفتنة، ولهذا زُوِّجت النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فكان هذا الزواج بمثابة امتحان لأطراف ثلاثة:

فهو امتحان أولاً لرسول الله صلى الله عليه وآله، كما امتُحن نوح ولوط عليهما السلام، ليرى الله تعالى كيف يصبر نبيّه على امرأة خبيثة شرّيرة سيئة الخُلق كعائشة، وكيف يبذل أقصى جهده في تحمّل ما يرده منها ثم كيف يعالج ذلك بحكمته.

---

(١) صحيح مسلم ج٨ ص١٨٠ وغيره كثير. وتأويلهم إياه بأنه (صلى الله عليه وآله) يعني المشرق أسخف من أن يُردّ عليه! ولنا الظاهر وهو حجة، ثم لنا بحثاً في أن مسكن عائشة لم يكن في جهة الشرق أصلاً! وسيوافيك بإذنه تعالى.

(٢) النص والاجتهاد لشرف لدين ص٤٥٦

وهو امتحان ثانياً للأمة كما امتُحنت الأمم السابقة سيّما أمة موسى (عليه السلام) من بعده في زوجته صافوراء، ليرى الله تعالى كيف تلتزم الأمة بالتعاليم الإسلامية فلا تنساق وراء إغواءات عائشة الشيطانية ولا تزيغ بسببها عن جادة الحق فتخرج على الإمام الشرعي علي بن أبي طالب عليهما الصلاة والسلام.

وهو امتحان ثالثاً لعائشة نفسها، فقد تقدّم تحذير الله تعالى لها عندما أمرها بأن تقرّ في بيتها وضرب لها امرأتا نوح ولوط مثلاً في كتابه، كما تقدّمت تحذيرات نبيّه (صلى الله عليه وآله) لها بأن لا تنبحها كلاب الحوأب، فما لعائشة على الله حجة سيّما أنه زوّجها أفضل خلقه وكان لها أن تستصلح نفسها بذلك وتلتزم بوصاياه ولا تخونه، غير أنها أهملت تعاليم وحقوق نبي الله (صلى الله عليه وآله) وأصرّت على أن تبقى فاسدة وفيّة للشيطان وبذلك استحقّت العذاب والخسران!

إن عائشة كانت أمامها فرصة عظيمة لاستصلاح الذات، فهي وإنْ نشأت في أسوأ البيئات المنحرفة وفي أقذر البيوت وأكفرها؛ إلا أنها تزوّجت أعظم وأطهر وأشرف مخلوق على الإطلاق، فلله تعالى أن يحتجّ عليها – وله الحجة البالغة – بأنه قد منحها هذه الفرصة العظيمة، حيث كان بإمكانها أن تستفيد من معاشرتها لسيد الخلق (صلى الله عليه وآله) فتطهِّر نفسها وتستصلح ذاتها كما فعل غيرها ممن خرج من بيئات فاسدة كبيئتها غير أنه استفاد من مصاحبته وملازمته للنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) في الاقتباس من أنواره والاهتداء بهديه.

غير أن عائشة أصرّت على المضي قدماً في درب الفساد والإفساد، وظلت متمسكة بطبائعها الجاهلية ولم تقدِّر النعمة التي أنعم الله تعالى بها عليها إذ زوّجها خاتم أنبيائه (صلى الله عليه وآله) بل إنها كفرت بها حين آذته وتظاهرت عليه وطعنت بشرفه وعرضه بل بنبوّته

ثم في آخر المطاف قامت بسمّه واغتياله على ما سيوافيك بحول الله تعالى من تفاصيل وحقائق مؤلمة تجهلها هذه الأمة المخدوعة بالحميراء!

وهكذا ابتليت هذه الأمة بعائشة ليعلم الله تعالى.. أَنطيعه أم نطيعها؟! أَنشكر أم نكفر؟!

وما زال هذا الابتلاء قائماً حتى اليوم، وهذا الكتاب هو محاولة لإلفات الناس إليه وتبصيرهم بأبعاده ليتخّذوا موقفهم الشرعي الصائب فيه.

■ **ليست بأم المؤمنين ولا كرامة!**

من جملة ما يُتَذَّرع به لصيانة عائشة من الجرح والنقد قول القائل: أليست هي أمّنا؟! ألا نحترم أمّنا؟!

والمتذرِّع إنما يبني ذريعته على قوله تبارك وتعالى: «**النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ الله**».[1] فيزعم أن هذه الآية إذ سمّت أزواج النبي (صلى الله عليه وآله) بالأمهات فإنها أوجبت علينا احترامهنّ كما نحترم أمهاتنا، فلا يصحّ جرح أو نقد الواحدة منهنّ ناهيك عن نسبة النفاق والفساد والبغي إليها، إذ كيف تكون مَن جعلها الله تعالى أمّا للمؤمنين منافقة؟! فإنه إذا كان المؤمنون أبناءها فهي مؤمنة من باب أولى.

وردّنا على ذلك؛ هو أن بناء المتذرِّع غير تام، لأنه أهمل ما ينبغي ملاحظته من الآيات الأخرى المفصلّة لما أُجمِل في هذه الآية، وهذا الإهمال إنْ كان عن عمدٍ - كما هو الواقع غالبا - فصاحبه يكون مستحقاً للخزي في الدنيا ولأشدّ العذاب في الآخرة! وذلك لما نطق به الله سبحانه بقوله: «**أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**».[2]

وللوقوف على مفاد قوله تعالى: «**وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ**» ينبغي الرجوع إلى سائر الآيات الكريمة، إذ الآية بإجمالها تحتمل أكثر من معنى إنشائي وإخباري بالنسبة لنا.

---

(١) الأحزاب: ٧

(٢) البقرة: ٨٦

فلمّا رجعنا في الإنشائي وجدنا قوله تعالى: «**وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ وَلا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمًا**»[١] فعلمنا أن في المُراد من تسمية أزواج النبي (صلى الله عليه وآله) بأمهات المؤمنين هو إنشاء حُرمة نكاحهنّ بعده كحُرمة أن ينكح المرء أمّه، لا أنهنّ بمنزلة الأمّ في المحرمية فيُباح النظر إليهنّ مثلاً، وهو ما ذهب إليه بعض المخالفين.[٢]

ولمّا رجعنا في الإخباري وجدنا قوله تعالى: «**يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ**»[٣] فعلمنا أن في المُراد من تسميتهنّ بأمهات المؤمنين هو الإخبار عن أنهنّ حُزنَ شرفاً لم يَنلْه غيرهنّ من النساء لمكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) منهنّ، وهذا يستتبع على المؤمن احترامهنّ وتوقيرهنّ.

غير أن الآية نصّت على أن أصل شرفهنّ وعلوّ منزلتهنّ لا يتحقّق إلا بشرط التقوى، وهو قوله تعالى: «**إِنِ اتَّقَيْتُنَّ**»، فالتي تكون منهنّ فاقدة لصفة التقوى فإنها لا تحوز في الاعتبار الإسلامي شرفاً ولا فضيلة، بل هي وسائر النساء سواء، فلا يستتبع ذلك على المؤمن احترامها وتوقيرها.

وبعبارة أخرى؛ إن مجرّد انضمام إحداهن إلى نساء النبي (صلى الله عليه وآله) لا يستدعي تشريفاً لها وتفضيلاً على سائر النساء، فإنها تبقى كغيرها إلا إذا التزمت التقوى فغدت مَلَكَةً لها، فساعتئذ ينزّلها الاعتبار الإسلامي منزلة الأم ويوجب على المسلمين احترامها وتوقيرها وذكرها بخير.

---

(١) الأحزاب: ٥٤

(٢) حكى ذلك القرطبي في تفسيره ج١٤ ص١٢٥ في معرض ذكره لآرائهم في مفاد الآية.

(٣) الأحزاب: ٣٣

وبهذا البيان ظهر لك فساد قول المتذرّع الذي خلط ما بين المعنييْن الإنشائي والإخباري في قوله تعالى: «**وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ**» وأهمل الرجوع إلى سائر الآيات للتمييز بينهما والوقوف على شرط الإخباري منهما، فكان ما رتّبه من نتائج خاطئاً، فإنه لم يُرِدْ إثبات المعنى الإنشائي وهو تحريم نكاح الأزواج؛ بل أراد إثبات المعنى الإخباري وهو أن الله تعالى منحهنّ منزلة عظيمة إذ سمّاهنّ أمهات، ثم فرّع على ذلك وجوب الاعتقاد بإيمانهنّ ووجوب تعظيمهنّ. وهذا التفريع باطل على إطلاقه لأن للمعنى الإخباري شرطاً لا يتحقّق بدونه وهو التقوى على ما قرّرته الآية الأخرى، ومن ههنا ينبغي البحث في سيرة كل زوجة من زوجات رسول الله (صلى الله عليه وآله) على حدة، فإن وُجدت التقوى متشخّصة فيها كان التفريع صحيحاً فيُعتقد بإيمانها ويُصار إلى تعظيمها، وإن لم تكن التقوى متشخّصة فيها كان التفريع باطلاً فلا يُعتقد بإيمانها ولا يُصار إلى تعظيمها.

على أنه بالإمكان دعوى أن قوله تعالى: «**وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ**» لم يَرِدْ إلا في مقام بيان المعنى الإنشائي التشريعي، وأنه لا معنى إخبارياً فيه، وليس بتسمية الواحدة منهنّ أمّاً للمؤمنين ما يوجب عليهم تعظيمها، كأن يخاطبها المخاطِبْ أو يصفها بأم المؤمنين بقصد تعظيمها وتوقيرها، نعم هي تخاطَب وتوصَف بهذا بقصد بيان أنها محرَّمة على الرجال بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ليس إلا.

وهذه الدعوى إنما ظهرت في الواقع من عائشة نفسها! فقد روى ابن سعد والبيهقي والقرطبي وغيرهم عن الشعبي عن مسروق عن عائشة: «**أن امرأة قالت لها: يا أمّه. فقالت لها: لستُ لكِ بأمّ، إنما أنا أمّ رجالكم**».[١]

---

(١) طبقات ابن سعد ج٨ ص٦٤ وسنن البيهقي ج٧ ص٧٠ وتفسير القرطبي ج١٤ ص١٢٣، وإسناده صحيح.

ومفاد حديث عائشة هذا أن لقب «**أم المؤمنين**» لا يُقال تعظيماً وتشريفاً، فإن المرأة التي جاءتها أرادت أن تعظِّمها بمخاطبتها إياها بالأمومة، إلا أن عائشة بيّنت أنها ليست لها بأمٍّ ولا لغيرها من النساء، بل هي أم الرجال فحسب بمعنى أنه يحرم عليهم نكاحها، أي أن عائشة كانت ترى أن لقب «**أم المؤمنين**» في قوله تعالى: «**وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ**» يقتصر على بيان جهة إنشاء الحُرمة ولا يوجب على المؤمنين تعظيمها، وإلا لما منعت المرأة من مخاطبتها به إذ لا فرق بين أن يكون المخاطِب رجلاً أو امرأة لاشتراكهما في وجوب التعظيم إن كان وارداً.

وأيّاً يكن؛ يتقرّر هنا من فحوى كلام عائشة أن نيل لقب «**أم المؤمنين**» بمجرّده لا يوجب تعظيماً ولا توقيراً، وليس هو بعاصمٍ صاحبته من النقد والجرح، وإلا لو كان كذلك لما وجدنا أحداً يجرح عائشة بكلمة.

وهذا تاريخ المسلمين يشهد على تعدّد موارد الطعن والنكير على عائشة من أكابر المؤمنين منذ الصدر الأول، حتى أن بعضهم تناولها بالسباب على رؤوس الأشهاد تأكيداً لسقوط حرمتها، ومن هؤلاء الشهيد **حُكَيْم بن جبلة العبدي** (رضوان الله تعالى عليه) الذي انتفض دفاعاً عن الإسلام والمسلمين ضد عائشة حين جاءت إلى البصرة وأفتت بقتل واليها **عثمان بن حُنيف** (رضوان الله تعالى عليه) وحرّاس بيت المال ومن إليهم من المؤمنين، فهبّ حُكَيْم وجمع سبعمئة فارس ليأَدَ فتنة عائشة في مهدها، وفي هذا روى الطبري: «**وأقبل حُكَيْم ابن جبلة وقد خرج وهو على الخيل، فانشبّ القتال، وأشرع أصحاب عائشة رضي الله عنها رماحهم (...) وغدا حُكَيْم بن جبلة وهو يبربر وفي يده الرمح، فقال له رجلٌ من عبد القيس: مَن هذا الذي تسبّ وتقول له ما أسمع؟ قال: عائشة! قال: يابن الخبيثة أَ لأمِّ المؤمنين تقول هذا؟ فوضع حُكَيْم السِّنان بن ثدييه فقتله. ثم مرّ بامرأة وهو يسبّها - يعني عائشة - فقالت:**

مَن هذا الذي ألجأك إلى هذا؟ قال: عائشة! قالت: يابن الخبيثة أَ لأم المؤمنين تقول هذا؟ فطعنها بين ثدييها فقتلها».[1]

---

(١) تاريخ الطبري ج٣ ص٤٨٣ والكامل في التاريخ لابن الأثير ج٣ ص٢١٥. وحُكيم بن جبلة أحد أجلاء المؤمنين وعُبّادهم وأبطالهم، كان قد أدرك رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأسلم على يديه مع وفد أهل البحرين الذين كانوا أصلاً يرفضون عبادة الأصنام، ثم هاجر مع قومه إلى البصرة في عهد عمر، وهو الذي فتح السند في عهد عثمان، وكان من أصحاب الثفنات، أي المشهورين بكثرة السجود والعبادة، ترجمه ابن الأثير في أسد الغابة ج٢ ص٤٠ بقوله: «**كان رجلا صالحاً له دين، مُطاعاً في قومه، وهو الذي بعثه عثمان على السند فنزلها**». وترجمه الزركلي في الأعلام ج٢ ص٢٦٩ بقوله: «**حُكيم بن جبلة العبدي، من بني عبد القيس، صحابي، كان شريفا مطاعا، من أشجع الناس، ولاّه عثمان إمرة السند**».

وكان حُكَيْم (رضوان الله عليه) ممن ثار على عثمان وقتله بعد الذي أحدثه في الإسلام وأجرمه بحق المسلمين، فلم يكن من الذين يسكتون عن الحق من أجل مصالحهم فيبيعون آخرتهم بدنياهم، فإنه كان والياً لعثمان من قبلُ ومصلحته تكمن في كسب رضاه وودّه، لكنه رغم ذلك جاء مع أتباعه من البصرة وحاصره في المدينة إلى أن قُتِل.

وفي الفتنة التي أحدثتها عائشة وطلحة والزبير كان حُكَيْم من الأوفياء الباقين على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) والمخلصين لوصيّه الشرعي أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ولذلك فإنه حاول صدّ اعتداء عائشة وشيعتها على المؤمنين في البصرة واحتجازهم غدراً لواليها عثمان بن حُنَيْف وتعذيبهم إياه وقتلهم **السبابجة** حراس بيت المال واستيلائهم عليه ومنعهم أهل البصرة من أرزاقهم، فثار على المعتدين وقاتلهم حتى قُتِل شهيداً مظلوماً في يوم الجمل الأصغر.

وقد ذكر المؤرخون كيفية شهادته التي أظهرت مدى بطولته وبسالته، إذ يقول الطبري في تاريخه ج٣ ص٤٩١: «**وبلغ حُكَيْم بن جبلة ما صُنِع بعثمان بن حنيف فقال: لست أخاف الله إنْ لم أنصره. فجاء في جماعة من عبد القيس وبكر بن وائل وأكثرهم عبد القيس، فأتى ابن الزبير مدينة الرزق فقال: مالَك يا حُكيم؟ قال: نريد أن نرتزق من هذا الطعام وأن تخلوا عثمان فيقيم في دار الإمارة على ما كتبتم بينكم حتى يَقدُمَ عليّ، والله لو أجد أعوانا عليكم أخبطكم بهم ما رضيت بهذه منكم حتى أقتلكم بمن قتلتم، ولقد أصبحتم وإن دماءكم لنا حلال بمن قتلتم من إخواننا، أما تخافون الله عز وجل؟! بمَ تستحلون سفك الدماء؟! قال: بدم عثمان ابن** =

وحُكَيْم هذا ممن يثني عليه المخالفون ديناً وورعاً، فلا يُتصوَّرُ أنه يستبيح سبّ عائشة لـو كان محرَّماً بدعوى اعتصامها بوصف «أم المؤمنين».

= عفان رضي الله عنه! قال: فالذين قتلتموهم قتلوا عثمان؟! أما تخافون مقت الله؟! فقال له عبد الله بن الزبير: لا نرزقكم من هذا الطعام ولا نخلّي سبيل عثمان بن حنيف حتى يخلع عليا! قال حُكيم: اللهم إنك حكمٌ عدلٌ فاشهد! وقال لأصحابه: إني لست في شك من قتال هؤلاء فمن كان في شك فلينصرف. وقاتلهم قتالا شديدا، وضرب رجلٌ ساق حُكيم فقطعها، فأخذ حُكيم ساقه فرماه بها فأصاب عنقه فصرعه ووقذه، ثم حبا إليه فقتله واتكأ عليه، فمرّ به رجلٌ فقال: من قتلك؟ قال: وسادتي»!

وفي رواية ابن الأثير في أسد الغابة ج٢ ص٤٠: «قُطعت رجله فأخذها وضرب بها الذي قطعها فقتله ولم يزل يقاتل ورجله مقطوعة وهو يقول: يا ساقِ لن تراعي، إن معي ذراعي، أحمي بها كراعي.. حتى نزفه الدم فاتكأ على الرجل الذي قطع رجله وهو قتيل، فقال له قائل: من فعل بك هذا؟ قال: وسادتي! فما رُؤِيَ أشجع منه. ثم قتله سحيم الحداني. قال أبو عبيدة معمّر بن المثنى: ليس يُعرف في جاهلية ولا إسلام رجلٌ فعل مثل فعله»!

وقد أثنى أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) على حُكيم بن جبلة وأبدى تفجّعه بمقتله ونصّ على أنه نال منزلة رفيعة في أبيات قالها، وذلك ما رواه البلاذري في أنساب الأشراف ص٢٣٣: «فخرج علي في سبعمئة من الأنصار وورد الربذة، فقدم عليه المثنى بن محربة العبدي فأخبره بأمر طلحة والزبير، وبقتل حُكيم بن جبلة العبدي فيمن قُتل من عبد القيس وغيرهم من ربيعة، فقال علي عليه السلام:

يا لهفَ أمّاهُ على الرَّبيعةْ ربيعةُ السّامِعةُ المطيعَةْ

قَدْ سبَقَتْني بهمُ الوَقيعةْ دَعا حُكَيْمٌ دَعوةً سَميعَةْ

نالَ بها المنـزِلَةَ الرَّفيعَةْ».

هذا ولا يخفى الفارق الأخلاقي بين ما صنعه حُكيم (رضوان الله عليه) في ما نقلناه في المتن وبين ما صنعه الرجل والمرأة، فإنه لم يسبّ عائشة إلا بعد أن ألجأته إلى ذلك كما صرّح، حينما غدرت بابن حُنيف وأفتت بقتله وقتل حراس بيت المال على ما ذكره ابن الأثير في الكامل ج٣ ص٢١٦، ومثل هذه المجرمة تستحق السبّ والذم، ولا تكون لها حرمة في الإسلام. أما الرجل والمرأة فقد شتما أم حُكَيم بقولهما له: «**يابن الخبيثة**»! وهذا تعدٍّ على والدة الرجل التي ليس لها دخل بالنزاع أصلاً، فعلى أي أساس يُقحمانها فيه ويسبّانها؟!

وأما قول المتذرِّع: كيف تكون مَن جعلها الله تعالى أمّا للمؤمنين منافقة؟! فإنه إذا كان المؤمنون أبناءها فهي مؤمنة من باب أولى.

فنقول في جوابه: إنه قد تبيّن أن تسمية إحداهن «أم المؤمنين» لا يلازم الحكم بإيمانها بدْواً، بل لا بدّ من إحراز تقواها للحكم بذلك، لقوله تعالى: «**إِنِ اتَّقَيْتُنَّ**» ومفهومه احتمال أن تكون إحداهن فاقدة لصفة التقوى، والفاقدة لها ليست بمؤمنة إجماعاً.

ثم إن النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) قد نفى إيمان عائشة تحديداً! وذلك ردّاً على أبيها حين جزم بكونها مؤمنة لا تحلف على باطل، فقد روى الطبراني وعبد بن حميد عن كثير بن مرّة الحضرمي عن عائشة: «**أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها مع أبي بكر فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا عائشة أطعمينا. فقالت: والله ما عندنا طعام. فقال: أطعمينا. فقالت: والله ما عندنا طعام. فقال: أطعمينا. فقالت: والله ما عندنا طعام. فقال أبو بكر: يا رسول الله؛ إن المرأة المؤمنة لا تحلف على الشيء أنه ليس عندها وهو عندها. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وما يدريك أَ مؤمنة هي أم لا؟! إن مَثل المرأة المؤمنة في النساء كمثل الغراب الأعصم من الغربان، وإن النار خُلِقت من السفهاء، وإن النساء من السفهاء إلا صاحبة القسط والمصباح**».[١]

وهذا الحديث الشريف يكذِّب كل ما وُضع من أحاديث تنصّ على إيمان عائشة وأنها موعودة بالجنة وما إلى ذلك، إذ النبيّ (صلى الله عليه وآله) ههنا ينفي الجزم بكونها مؤمنة بعدما كذّبها في قَسَمها بأنه ليس في البيت طعام بتكرار هذا الطلب ثلاث مرات، ومعلومٌ أن

---

(١) مسند الشاميين للطبراني ج٤ ص٩١ ومسند عبد بن حميد ج٤ ص١٥٥ والمطالب العالية لابن حجر العسقلاني ج٥ ص١٠٦، وسند الطبراني صحيح، وأما سند عبد بن حميد فقد ضُعِّف فيه إبراهيم بن الأشعث لكن هذا قول البوصيري في الإتحاف وإلا فقد نصّ غير واحد على أنه ثقة.

هذا التكرار منه (صلى الله عليه وآله) ليس له وجه سوى علمه بأن في البيت طعام غير أن عائشة تدّعي خلاف ذلك، وقد أقسمت على ذلك ثلاث مرات أيضاً، وههنا جاء تدخّل أبيها الذي استغرب موقف النبي (صلى الله عليه وآله) فدافع عن ابنته بزعم أنها **مؤمنة لا تحلف على الكذب**، غير أن النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) جبهه بقوله: «**وما يدريك أ مؤمنة هي أم لا**»؟!

وعليه فلا يمكن لأحد أن يدّعي الملازمة بين التسمية بأم المؤمنين تنزيلاً لامرأة النبي (صلى الله عليه وآله) منزلة الأم في حرمة نكاحها من قبل المؤمنين بعده؛ وبين أن تكون مؤمنة واقعاً، لا سيّما بالنسبة لعائشة التي نفى رسول الله (صلى الله عليه وآله) عنها الإيمان ونهر أباها لجزمه بذلك.

ولو أن رجلاً قال لامرأته: «**أنتِ عليّ كظهر أمي**» لحرمت عليه شرعاً لأنه أنزلها منزلة أمه، وقوله تعالى: «**وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ**» يجري هذا المجرى غير أنه تنزيل إلهي، وهو أجنبي عن إثبات كونهنّ جميعاً مؤمنات واقعاً، فيُرجع للأصل وهو تقييم كلٍّ منهنّ على حدة للحكم بإيمانها من عدمه.

بقي أن نشير هنا إلى أنه قد صحّ عن النبيّ الأعظم (صلى الله عليه وآله) والأئمة من عترته (عليهم السلام) الحكم بانفساخ عصمة عائشة من النبي وبينونتها منه وإباحة الأزواج لها وسلب شرف أمومة المؤمنين منها، وذلك لمخالفتها شرط «**إِنِ اتَّقَيْتُنَّ**» وشرط «**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ**» وعصيانها عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) حين خرجت على خليفته من بعده أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) فأحدثت الفتنة بين المسلمين. فإن النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) كان قد أوكل إلى أخيه علي (عليه السلام) أمر تطليق من تخرج عليه من نسائه من بعده، وهذا التطليق حكم خاص هو من جملة مختصات النبوّة، وبإيقاعه تبين المرأة من

النبي (صلى الله عليه وآله) فلا تكون معدودة ضمن أمهات المؤمنين، وذلك كما هو حال اللاتي طلّقهن النبي في حياته، إذ هنّ جميعاً خارجات عن هذا الوصف والمقام وما يلحقهما من آثار.

والروايات في هذا المعنى عديدة من طرقنا وطرق المخالفين، وهذه طائفة منها:

● ما رواه الشيخ الطوسي بسنده عن الأئمة الأطهار عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه أملى على أمير المؤمنين (عليه السلام) وصيّته ليلة استشهاده، وجاء فيها: «**يا علي أنت وصيّي على أهل بيتي حيّهم وميّتهم، وعلى نسائي، فمن ثبَّتَّها لقِيَتْني غداً، ومن طلَّقتَها فأنا بريء منها، لم ترني ولم أرها في عرصة القيامة، وأنت خليفتي على أمتي من بعدي**».(١)

● ما رواه الشريف الرضي بسنده عن الكاظم عن الصادق (صلوات الله عليهما) قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله في وصيته لعلي عليه السلام: يا علي إن عائشة وحفصة ستشاقّانك وتعصيانك بعدي، وتخرج عليك عائشة في عساكر الحديد، وتتخلّف الأخرى تجمع إليها الجموع، هما في الأمر سواء، فما أنت صانع يا علي؟ قال: يا رسول الله؛ إنْ فعلتا ذلك تلوتُ عليهما كتاب الله وهو الحجة في ما بيني وبينهما، فإن قبلتا وإلا أخبرتهما بالسنة وما يجب عليهما من طاعتي وحقي المفروض عليهما، فإن قبلتاه وإلا أشهدتُ الله وأشهدتك عليهما ورأيت قتالهما على ضلالتهما. قال: وعقر الجمل؟ قال: قلتُ: وعقر الجمل. قال: وإن وقع؟ قال: قلتُ: وإن وقع في النار. قال صلى الله عليه وآله: اللهم اشهد. ثم قال: يا علي إذا فعلتا ما شهد عليهما القرآن فأَبِنْهُما مني فإنهما بائنتان، وأبواهما شريكان لهما في ما عملتا وفعلتا**».(٢)

---

(١) الغيبة لشيخ الطائفة الطوسي ص١٥٠

(٢) بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج٢٢ ص٤٨٨ عن خصائص الأئمة للشريف الرضي.

● ما رواه الديلمي وابن معصوم عن حذيفة بن اليمان (رضوان الله عليه) أن النبي (صلى الله عليه وآله) جمع نساءه في منزل أم سلمة (رضوان الله عليها) فقال لهنّ: «**اسمعن ما أقول لكنّ - وأشار بيده إلى عليّ بن أبي طالب - فقال لهنّ: هذا أخي ووصيي ووارثي والقائم فيكنّ وفي الأُمّة من بعدي، فأطعنه فيما يأمركنّ به ولا تعصينّه فتهلكن بمعصيته، ثمّ قال: يا علي أُوصيك بهنّ فأمسكهنّ ما أطعن الله ورسوله وأطعنَكَ، وأنفق عليهنّ من مالك، ومُرْهنّ بأمرك، وانههنّ عمّا يريبك، وخلّ سبيلهنّ إن عصينَك. فقال عليّ عليه السلام: يا رسول الله إنّهنّ نساء ومنهنّ الوهن وضعف الرأي، فقال: ارفق بهنّ ما كان الرفق أمثل، فمن عصاك منهنّ فطلّقها طلاقاً يبرأ الله ورسوله منها. قال حذيفة: وكلّ نساء النبي صلّى الله عليه وآله قد صمتن فما يقلن شيئاً، فتكلّمت عائشة فقالت: يا رسول الله ما كنّا لتأمرنا بشيء فنخالفه إلى ما سواه! فقال لها: بلى يا حميراء! قد خالفتِ أمري أشدّ خلاف، وأيْمُ الله لتخالفين قولي هذا ولتعصِينَّه بعدي، ولتخرجين من البيت الذي اخلّفك فيه متبرَّجةً، قد حفّ بك فئام من الناس، فتخالفينه ظالمة له عاصية لربّك، ولتنبحنّك في طريقك كلاب حوأب، ألا انّ ذلك لكائن. ثمّ قال: قُمنَ فانصرِفنَ إلى منازلكنّ، قال: فقمن فانصرفن**».[1]

● ما رواه الطبرسي عن الباقر (عليه السلام) أنه قال: «**لمّا كان يوم الجمل وقد رُشق هودج عائشة بالنبل؛ قال أمير المؤمنين عليه السلام: والله ما أراني إلا مُطَلِّقها، فأُنشِد الله رجلاً سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يا علي أمر نسائي بيدك من بعدي؛ لما قام فشهد. قال: فقام ثلاثة عشر رجلاً فيهم بدريّان فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعلي بن أبي طالب عليهما السلام: يا علي أمر نسائي بيدك من بعدي. قال: فبكت عائشة**

(١) إرشاد القلوب للديلمي ج٢ ص٤٢٣ والدرجات الرفيعة لابن معصوم ص٣٠٤ وعن الأول البحار للعلامة المجلسي ج٢٨ ص١٠٧ وفي هامشه عن كشف اليقين للعلامة الحلي عن حجة التفضيل لابن الأثير.

عند ذلك حتى سمعوا بكاءها، فقال علي عليه السلام: لقد أنبأني رسول الله صلى الله عليه وآله بنبأ فقال: إن الله تعالى يُمِدُّك يا علي يوم الجمل بخمسة آلاف من الملائكة مسومين». [1]

• ما رواه الصدوق عن سعد بن عبد الله الأشعري أنه سأل القائم (صلوات الله عليه وعجل الله فرجه) عن جملة مسائل كان من بينها: «مولانا وابن مولانا إنا رَوَيْنا عنكم أن رسول الله صلى الله عليه وآله جعل طلاق نسائه بيد أمير المؤمنين عليه السلام حتى أرسل يوم الجمل إلى عائشة: إنك قد أرهجْتِ على الإسلام وأهله بفتنتك! وأوردت بنيكِ حِياض الهلاك بجهلك! فإن كففت عني غربك وإلا طلقتك! ونساء رسول الله صلى الله عليه وآله قد كان طلاقهن وفاته. قال: ما الطلاق؟ قلت: تخلية السبيل، قال: فإذا كان طلاقهن وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله قد خليت لهن السبيل فلم لا يحلُّ لهنّ الازواج؟ قلت: لأن الله تبارك وتعالى حرَّم الأزواج عليهن، قال: كيف وقد خلّى الموت سبيلهنّ؟ قلت: فأخبرني يا ابن مولاي عن معنى الطلاق الذي فوض رسول الله صلى الله عليه واله حكمه إلى أمير المؤمنين عليه السلام، قال: إن الله تقدس اسمه عظّم شأن نساء النبي صلى الله عليه واله فخصّهن بشرف الأمهات، فقال رسول الله: يا أبا الحسن إن هذا الشرف باقٍ لهنّ ما دُمْنَ الله على الطاعة، فأيَّتهُنّ عصت الله بعدي بالخروج عليك فأطلق لها في الأزواج وأسقطها من شرف أمومة المؤمنين». [2]

• ما رواه أبو حنيفة النعمان المغربي بإسناده عن سالم بن أبي الجعد قال: «بعث علي عليه السلام إلى عائشة بعد أن انقضى أمر الجمل وهي بالبصرة أن ارجعي إلى بيتك، فأبت، ثم أرسل إليها ثانية، فأبت، ثم أرسل إليها ثالثة: لترجِعنَّ أو لأتكلّم بكلمة يبرأ الله بها منك

(١) الاحتجاج للطبرسي ج١ ص٢٤

(٢) كمال الدين للصدوق ص٤٥٩

ورسولُه. فقالت: أرحلوني أرحلوني! فقالت لها امرأة ممن كان عندها من النساء: يا أم المؤمنين ما هذا الذي ذعرك من وعيد علي إياكِ؟ قالت: إن النبي استخلفه على أهله وجعله طلاق نسائه بيده».(١)

• ما رواه أبو حنيفة النعمان المغربي أيضا عن عبد الله بن عباس قال: «**لما استقرّ أمر الناس بعد وقعة الجمل وأقام علي صلوات الله عليه بالبصرة بمن معه أياماً، بعث بي إلى عائشة يأمرها بالرحيل عن البصرة والرجوع إلى بيتها** – إلى أن قال: – **وتثاقلت عائشة بعد ذلك عن الخروج إلى بيتها، فأرسل إليها علي صلوات الله عليه: والله لترجِعنَّ إلى بيتك أو لألفظنَّ بلفظة لا يدعوك بعدها أحدٌ من المؤمنين أمّاً! فلما جاءها ذلك قالت: أرحلوني أرحلوني! فوالله لقد ذكّرني شيئاً لو ذكرته من قبلُ ما سرتُ مسيري هذا. فقال لها بعض خاصّتها: ما هو يا أم المؤمنين؟ قالت: إن رسول الله قد جعل طلاق نسائه إليه وقطع عصمتهنّ منه حياً وميتاً، وأنا أخاف أن يفعل ذلك إنْ خالفتُه. فارتحلت**».(٢)

• ومن طرق المخالفين ما رواه ابن أعثم الكوفي أن عائشة لّما تثاقلت عن الرحيل بعث أمير المؤمنين (عليه السلام) ابنه الحسن (عليه السلام) إليها فقال لها: «**يقول لكِ أمير المؤمنين: أما والذي خلق الحبّة وبرأ النَّسَمة لئنْ لم ترحلي الساعة لأبعثنَّ عليكِ بما تعلمين! قال: وعائشة في وقتها ذلك قد ضَفَرت قرنها الأيمن وهي تريد أن تضفر قرنها الأيسر، فلمّا قال لها الحسن ما قال وثبت من ساعتها وقالت: رحِّلوني! فقالت لها امرأة من المهالبة: يا أم المؤمنين؛ جاءك عبد الله بن عباس فسمعناكِ وأنت تجاوبيه حتى علا صوتك ثم خرج من عندكِ وهو مغضب، ثم جاءك الآن هذا الغلام برسالة أبيه فأقلقك وقد كان أبوه جاءك فلم**

---

(١) شرح الأخبار لأبي حنيفة النعمان القاضي المغربي ج١ ص٢١١

(٢) المصدر نفسه ج١ ص٣٩٢

نرَ منكِ هذا القلق والجزع! فقالت عائشة: إنما أقلقني لأنه ابن بنت رسول الله فمن أحبَّ أن ينظر إلى رسول الله فلينظر إلى هذا الغلام، وبعدُ فقد بعث إليَّ أبوه بما قد علمتُ ولا بدّ من الرحيل. فقالت لها المرأة: سألتكِ بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم إلا أخبرتني بماذا بعث إليك علي رضي الله عنه؟! فقالت عائشة رضي الله عنها: ويحك! إن رسول الله أصاب من مغازيه نفلاً فجعل يقسِّمُ ذلك في أصحابه، فسألناه أن يعطينا منه شيئاً وألححنا عليه في ذلك، فلامنا علي وقال: حسبكنَّ! أضجرتنّ رسول الله! فتجهّمناه وأغلظنا له في القول. فقال: عَسَى رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ! فأغلظنا له أيضاً في القول وتجهّمناه، فغضب النبي من ذلك وما استقبلنا به عليا، فأقبل عليه ثم قال: يا علي؛ إني قد جعلتُ طلاقهنَّ إليك فمن طلّقتَها منهنّ فهي بائنة. ولم يوقِّتْ النبي في ذلك وقتاً في حياة ولا موت، فهي تلك الكلمة وأخافُ أن أبينَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم».[1]

وهذه الأحاديث التي نصّت على أن لأمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ولاية على نساء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من بعده تتواءم مع نص حديث الإنذار يوم الدار الذي رواه المخالفون وفيه أنه (صلى الله عليه وآله) جعله خليفة له على أهله، فقد أخرج أحمد ابن حنبل وغيره أنه: «**لمّا نزلت هذه الآية: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ؛ جمع النبي صلى الله عليه وسلم من أهل بيته، فاجتمع ثلاثون فأكلوا وشربوا، فقال لهم: من يضمن عني دَيْني ومواعيدي ويكون معي في الجنة ويكون خليفتي في أهلي** - إلى أن قال: - **فعرض ذلك على**

---

(١) الفتوح لابن أعثم الكوفي ج٢ ص٤٨٤، وبعض المخالفين يرمونه بالتشيع وهي تهمة تبعث على السخرية إذ إن كتابه الفتوح طافح بالثناء على أبي بكر وعمر وعثمان بل وبني أمية فكيف يجتمع التشيّع مع هذا؟! بلى إنهم اتهموه لا لشيء سوى أنه كان منصفاً إلى حدٍّ ما في نقل هذه الأخبار والحوادث التأريخية فلم يحجب منها ما لا يوافق مذهبه البكري!

أهل بيته فقال علي رضي الله عنه: أنا»[١] وفي لفظ رواية الطبري: «**أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه، فأخذ برقبتي ثم قال: إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا**».[٢]

وكيف كان فإن مفاد هذه الأحاديث هو أن لعلي (صلوات الله عليه) وكالة خاصة من رسول الله (صلى الله عليه وآله) له بمقتضاها تطليق من تعصي الله ورسوله وتخرج عليه من نساء النبي وتجريدها من لقب «أم المؤمنين»، وهذه الوكالة لا تنفسخ بعد مضي النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) لأنها بالأصل وكالة خاصة جُعل مبدأ نفاذها من صاحب الشريعة (صلى الله عليه وآله) بعد مضيّه واستشهاده، فلا تكون كسائر الوكالات.

وإذ إن عائشة قد خرجت بالفعل على أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وسارت إلى البصرة عاصية لله ولرسوله (صلى الله عليه وآله) موقِعَةً المجازر في حق المسلمين؛ فإنها بمقتضى تلك الأحاديث تكون قد بانت من النبي (صلى الله عليه وآله) وجرَّدت نفسها من لقب «أم المؤمنين» وأسقطت حُرمتها في الإسلام.

غير أنه قد يُستشكل على ذلك بالقول: إنه مع ثبوت أن عليا (عليه السلام) له حق تطليق نساء النبي (صلى الله عليه وآله) من بعده؛ إلا أنه ليس في الأحاديث سوى تهديده وتلويحه لعائشة بإيقاع ذلك حتى تعجِّل بالرحيل عن البصرة والعودة إلى المدينة، لا أنه قد أوقع الطلاق وفسخ العصمة فعلاً، فتظل عائشة على مكانها.

والجواب عن هذا: أنه لا بدّ من الالتزام بوقوع ذلك عاجلاً أم آجلاً لوضوح أنه (عليه السلام) ما كان ليتخلّف عن أمر يأمره به رسول الله صلى الله عليه وآله، وإنما قد أخّره لعدم المندوحة في ذلك حيث إنه (عليه السلام) بين نيران وقلاقل وحروب الناكثين والقاسطين

---

(١) مسند أحمد ج١ ص١١١

(٢) تاريخ الطبري ج٢ ص٦٢

والمارقين، ومعها لا يكون ثمة متسع لإيقاع مثل هـذا الطـلاق وتحمّـل تبعاتـه، ولـذا ورد في الآثار أنه (عليه السلام) فوّض أمر التطليق إلى وصيّه الحسن (عليه السلام) ثم فوّضه الحسن إلى الحسين (عليه السلام) الذي أوقع طلاق عائشة فعلاً يـوم ركبـت عـلى بغـل لتمنـع دفـن الحسن (عليه السلام) إلى جوار جدّه صلى الله عليه وآله.

فقد روى المسعودي صاحب مروج الذهب: «**وكان الحسين عليه السلام قـد عـزم عـلى دفنه مع رسول الله صلى الله عليه وآله، فمنعت عائشة من ذلك وركبـت بغلـة لهـا وخرجـت تؤلِّب الناس عليه وتحرّضهم (...) ورُوي أن الحسين عليه السلام عندما فعلت عائـشة وجّـه إليها بطلاقها، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جعل طلاق أزواجـه بعـده إلى أمـير المؤمنين عليه السلام، وجعله أمير المؤمنين بعده إلى الحسن، وجعله الحسن إلى الحسين علـيهما السلام، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إن في نسائي مَن لا تراني يوم القيامة، وتلك مَن يطلّقها الأوصياء بعدي**».[1]

فالطلاق إذن واقع على كل حال؛ غاية ما هنالك أنه قد أُخِّرَ تقديماً للأهم على المهم. على أن بالإمكان حمل مجموع هذه الأحاديث على أن الطلاق واقع منذ يوم الجمل غير أنه بقي طيّ الكتمان للمحذور، فأظهره الحسين (صلوات الله عليه) يوم البغل حين وجّه به إليهـا، عليهـا لعائن الله.

---

(١) إثبات الوصية للمسعودي ص١٧٣. هذا واعلم أن من خصائص المعـصومين (علـيهم الـسلام) تطليـق بعضهم نساء بعض على هذا النحو بعد مضي أزواجهنّ لكيلا يبقى لهنّ شرف الزوجيـة ولا يحظـين بالـشفاعة ومجاورة أزواجهنّ في الجنة، فقد طلّق الرضا (عليه السلام) أم فروة امرأة ابيـه الكـاظم (عليـه الـسلام) بعـد استشهاده كما روى الكليني في الكافي ج١ ص٣٨١ عن الوشاء قال: «**سمعته** (الرضا) **يقول: طلَّقتُ أم فـروة بنت إسحاق في رجب بعد موت أبي الحسن** (الكاظم) **بيوم. قلتُ: طلّقتَها وقـد علمـتَ بمـوت أبي الحـسن؟ قال: نعم**».

وحاصل الكلام ههنا أو الثمرة التي نطلبها في هذا المقام؛ هي أن عائشة ليست مستحقة لوصفها بأم المؤمنين تشريفاً وتعظيماً، ولا ما يستتبع ذلك من الحكم بإيمانها وجلالة قدرها أو اجتماعها مع النبي (صلى الله عليه وآله) في الجنة، لأنها لم تلتزم بشرط التقوى الذي نصّ عليه الكتاب، ولأنها طُلِّقت وجُرِّدت من هذا الوصف وآثاره بدلالة الأحاديث السالفة، وهذا مما يعاضد ذاك.

نعم هي أم المؤمنين لو كانت اتّقَت، وأما بغير التقوى فليست أماً للمؤمنين ولا كرامة!

■ أكذوبة أنها أحبّ الناس إلى النبي صلى الله عليه وآله!

من بين ما علق بأذهان المغفّلين أن عائشة كانت أحبّ الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله! وأن أباها كان أحبّ الرجال إليه! وأن النبي (صلى الله عليه وآله) كان متيَّماً بها عاشقاً لها يحسب الأيام حتى يأتي يومها الذي يبيت فيه عندها فيطفئ لهيب عشقه وحرارة وَجْده! وأن أصحابه إذ عرفوا ذلك منه فإنهم كانوا يتحرّون يومها كي يُهدون إليه هداياهم! إلى ما هنالك من تلفيقات روتها عائشة تارة، ورواها ذووها وشيعتها تارة أخرى.

وعمدة ما يتّكِئُ عليه المغفّلون في أن عائشة وأباها أحبّ الناس إلى النبي (صلى الله عليه وآله) حديثان، أولهما عن عائشة، وثانيهما عن عمرو بن العاص.

أما الحديث الأول فقد رواه أحمد بن حنبل بسنده عن عبد الله بن شقيق قال: «**قلت لعائشة: أي الناس أَحَبُّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت: عائشة! قلتُ: فمن الرجال؟ قالت: أبوها**»![1]

(١) مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص٢٤١

ولا ندري أَنضحك أم نبكي على استناد القوم إلى هذا الحديث في إثبات مطلوبهم! إذ إن شهادة المرء لنفسه مردودة ولا يمكن أن يقبل ذو وجدان فضلاً عن ذي علم وفهم حديثاً من هذا النمط تمتدح فيه المرأة نفسها وأباها. والطريف أنها حين تُسأل عن أحبّ الناس تقول: «عائشة» ولا تقول: «أنا»! فكأنها ليست عائشة بل امرأة أخرى تشهد لغيرها!

ولو أننا قبلنا بكل امرئ يزكّي نفسه ويمتدحها وصدّقنا شهادته لنفسه لما عاد لعقولنا من حاجة ولما كان بالإمكان إثبات أمرٍ أو نفيه إذ كلٌّ سيشهد لنفسه ويجب علينا تصديقه!

نعم لو كان الله تعالى أو رسوله (صلى الله عليه وآله) قد حكم بصدق عائشة على الدوام بقرآن أو حديث، أو لو كانت مؤيَّدةً بالمعاجز التصديقية كالأنبياء عليهم السلام، لكان بالإمكان تصديقها في ما تدّعيه لنفسها. إلا أن كل ذلك مما تفتقر إليه عائشة، بل إن القرآن أثبت ذمّها وتقريعها وارتكابها للكبائر المخرِجة من الإيمان كما في آيات سورة التحريم، والحديث كذّبها ونفى عنها الإيمان أيضاً كما مرّ عليك في قصة طلب النبيّ الطعام وردّ أبي بكر، وكذا أثبت أنها باعترافها كانت تكذب على النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) كما في قصة المغافير وحضّها نساءه على قول: «**أعوذ بالله منك**» بزعم أن النبي يعجبه من المرأة ذلك! فأنّى لنا بعد هذا أن نصدّق عائشة سيّما في ما تدّعيه لنفسها!

ثم لو تنزّلنا وقبلنا بحديث عائشة هذا مع ما فيه من علّة، فإنه يكون معارَضاً بأحاديث أخرى لها مفادها أن عليا وفاطمة (صلوات الله عليهما) أحبّ إلى النبي (صلى الله عليه وآله) من كل الناس.

من تلك حديثٌ نصّت فيه بأن عليا (صلوات الله عليه) أحبّ إلى النبي (صلى الله عليه وآله) منها ومن أبيها! وذلك حين وقعت بينها وبين النبي (صلى الله عليه وآله) مشاجرة

دفعتها لأن ترفع صوتها عليه وتقسم قائلة: «**والله لقد عرفتُ أن علياً أحبَّ إليك من أبي ومنّي**»**!** وهو ما جعل أباها يهوي إليها ليلطمها تأديباً**!**

أخرج أحمد بن حنبل والبزّار عن النعمان بن بشير قال: «**استأذن أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع صوت عائشة عالياً وهي تقول: والله لقد عرفتُ أن علياً أحبُّ إليك من أبي ومني! مرّتين أو ثلاثاً، فاستأذن أبو بكر فدخل فأهوى إليها فقال: يا بنت فلانة! ألا أسمعك ترفعين صوتك على رسول الله صلى الله عليه وسلم**»**!**[(١)]

وفي رواية النسائي عن النعمان بن بشير قال: «**استأذن أبو بكر على النبي صلى الله عليه وسلم فسمع صوت عائشة عالياً وهي تقول: والله لقد علمتُ أن علياً أحبُّ إليك من أبي! فأهوى إليها أبو بكر ليلطمها وقال: يا ابنة فلانة! أراكِ ترفعين صوتك على رسول الله صلى الله عليه وسلم**»**!**[(٢)]

ومن تلك حديثٌ نصّت فيه على أنها لا تعلم رجلاً أحبّ إلى النبي (صلى الله عليه وآله) من علي (عليه السلام) ولا تعلم امرأة أحبّ إليه من فاطمة صلوات الله عليها.

أخرج الحاكم بسنده عن جميع بن عمير قال: «**دخلت مع أمي على عائشة، فسمعتُها من وراء الحجاب وهي تسألها عن علي، فقالت: تسأليني عن رجل والله ما أعلم رجلاً كان أحبَّ**

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ج٤ ص٢٧٥ ومسند البزار ج٨ ص٢٢٣ وغيرهما كثير. والحديث صحيح بشهادة الهيثمي في مجمع الزوائد ج٩ ص١٢٦ وص٢٠١ والألباني في سلسلته الصحيحة برقم: ٢٩٠١

(٢) سنن النسائي ج٥ ص١٣٩، هذا واعلم أن رفع صوتها على صوت النبي (صلى الله عليه وآله) موجب لحبط أعمالها - إن كانت لها أعمال صالحة - وذلك مصداقاً لقوله تعالى: «**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ**». الحجرات: ٣

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من علي، ولا في الأرض امرأةٌ كانت أحبَّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من امرأته».[١]

وفي رواية الترمذي عن جميع بن عمير قال: «**دخلت مع عمتي على عائشة فسُئلت: أيُّ الناس كان أحبَّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت: فاطمة. فقيل: من الرجال؟ قالت: زوجها، إن كان ما علمتُ صوّاماً قوّاماً».**[٢]

وفي رواية النسائي وغيره عن جميع بن عمير قال: «**دخلت مع أمي على عائشة وأنا غلام فذكرتْ لها علياً فقالت: ما رأيتُ رجلاً أحبَّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منه، ولا امرأةً أحبَّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من امرأته».**[٣]

فلا أقلَّ بعد هذه الأحاديث من التساقط للتعارض، مع أنه يمكن ترجيح هذه الطائفة من أحاديث عائشة التي تُقرّ فيها بالحق أن عليا وفاطمة (عليهما السلام) أحبّ الناس إلى النبي (صلى الله عليه وآله) حتى منها ومن أبيها، إذ هي تُقسم على ذلك قائلة: «**والله**» فيما هي لم تُقسم في حديثها عن نفسها وأبيها، ثم إن بعضاً من هذه الأحاديث فيها تقرير النبيّ (صلى الله عليه وآله) حين رفعت صوتها أمامه ولم يكن ذلك ثمَّةَ، ثم إن هذه فيها شهادتها لخصومها فلا يُحتمل كذبها فيها والحال معكوس هناك.

---

(١) مستدرك الحاكم ج٣ ص١٦٧ وقال معلّقاً: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

(٢) سنن الترمذي ج٥ ص٧٠١

(٣) سنن النسائي ج٥ ص١٣٩ ونحوه في مسند أبي يعلى ج٨ ص٢٧٠ وغيرهما كثير.

ويؤيدها حديث بريدة الأسلمي (رضوان الله تعالى عليه) الذي رواه الترمذي في سننه ج٥ ص٣٦٠ قال: «**كان أحبَّ النساء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة، ومن الرجال علي**». ومثله رواه الحاكم في المستدرك ج٣ ص١٥٥ وقال معلّقاً: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

أما الحديث الثاني الذي يتَّكِئُ عليه المغفّلون في أن عائشة وأباها أحبّ الناس إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فهو حديث عمرو بن العاص الذي رواه البخاري بسنده عن أبي عثمان قال: «**حدثني عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه على جيش ذات السلاسل، فأتيتُه فقلتُ: أيُّ الناس أحبُّ إليك؟ قال: عائشة! فقلتُ: من الرجال؟ قال: أبوها! فقلتُ: ثم من؟ قال: ثم عمر بن الخطاب، فعدَّ رجالاً**».[1]

وهذا الحديث يكفي في ردّه أنه مروي عن ابن العاص! وإنّا لن نعدّد الموارد التي توجب جرحه وإسقاط عدالته، ولن نعرّج على «أمجاده» يوم صفين حين اتّقى سيف علي (عليه السلام) بخصيتيه فجعله يستحي من قتله على هذه الحال! بل نحن سنكتفي بشهادة عائشة نفسها فيه، وهي التي حكمت بكذبه بل وقد لعنته أيضاً!

فقد أخرج الحاكم وغيره بسند صحيح عن مسروق أن عائشة لما تبيّنت كذب ابن العاص في زعمه أنه هو الذي قتل ذا الثدّية رأس المارقة دون علي (عليه السلام) قالت: «**لعن الله عمرو بن العاص! فإنه زعم لي أنه قتله بمصر**»![2]

وعلى هذا لا يمكن الاطمئنان إلى صدق ابن العاص في حديثه الذي يزعم فيه أن عائشة أحبَّ الناس إلى النبي (صلى الله عليه وآله) لأن عائشة نفسها قد كذّبته ولعنته أيضاً! فيكون مجروحاً في مقاييس علم الجرح والتعديل. إلا أن المخالفين وقعوا في هذه المسألة في حيص بيص! فهم من جانب يصرّون بعناد على عدالة جميع مَن يسمّونهم صحابة! وهم من جانب آخر وجدوا أن هؤلاء قد لعنوا وشتموا بعضهم بعضاً! ومن ذلك لعن عائشة لابن العاص!

---

(١) صحيح البخاري ج٤ ص١٩٢

(٢) مستدرك الحاكم ج٤ ص١٣ وقال معلّقا: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه». ومثله في سير أعلام النبلاء للذهبي ج٢ ص١٤١ وسيرة ابن كثير ج٨ ص٣٠٣

وهذا لا يستقيم مع الحكم بعدالة الجميع، فطفقوا يضربون أخماساً في أسداس باللجوء إلى التأويل تارة، والتماس المعاذير أخرى، ومحاولة الخدش في الأسناد ثالثة، وهكذا على هذا المنوال للفرار من الإشكالات الحرجة التي تواجه اعتقادهم الواهن!

بهذا يتبيّن لك بطلان ما يستند إليه المخالفون في اعتقادهم أن عائشة كانت أحبّ الناس إلى النبي صلى الله عليه وآله. ولتوكيد النتيجة نقول: كيف يمكن للمرء أن يعتقد بأن عائشة كانت بهذه المنزلة المدّعاة والحال أن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يحبّ هلاكها ويتمنّى الخلاص منها!

هذا البخاري يروي بسنده عن القاسم بن محمد قال: «**قالت عائشة: وا رأساه! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ذاكَ لو كان وأنا حيٌّ فأستغفر الله لكِ وأدعو لكِ! فقالت عائشة: وا ثكيلاه! والله إني لأظنك تحبّ موتي ولو كان ذلك لظللت آخر يومك معرِّساً ببعض أزواجك! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أنا وا رأساه**»![1]

وهذا ابن حبّان وابن حنبل والبيهقي يروون عن عائشة قالت: «**رجع إليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم من جنازة البقيع وأنا أجد صداعاً في رأسي وأنا أقول: وا رأساه! قال: بل أنا يا عائشة وا رأساه! ثم قال: وما ضَرُّكِ لو مِتِّ قبلي فغسّلتكِ وكفّنتكِ وصلّيت عليكِ ثم دفنتكِ؟! قلتُ: لكأني بكَ أن لو فعلتَ ذلك قد رجعتَ إلى بيتي فأعرستَ فيه ببعض نسائك! فتبسَّمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم**»![2]

والشاهد في هذا أن النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) كان يحبّ موت عائشة! وأن ذلك لو وقع لكان يوم عرسٍ له! وذلك بدلالة تقريره إذ تبسّم (صلى الله عليه وآله) حين

(١) صحيح البخاري ج٧ ص٨

(٢) صحيح ابن حبان ج١٤ ص٥٥١ ومسند أحمد بن حنبل ج٦ ص٢٢٨ وسنن البيهقي ج٣ ص٣٩٦

ذكرت عائشة ذلك فلم ينكره أو ينفه! فكيف يُقال بعد هذا أنها كانت الأحبّ إليه وأنه كان يهواها ويعشقها إلى حدّ أنه لا يطيق فراقها؟! أَ فهل يتمنّى المرء هلاك محبوبته؟!

والمتبحّر في سيرة النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) يقف على طبيعة العلاقة القائمة بينه وبين عائشة، ويُدرك أنها كانت علاقة يشوبها التوتّر المتصاعد، فلطالما آذت هذه المرأة الخبيثة سيد الأنبياء (صلى الله عليه وآله) إلى حدّ أنها دفعته غير مرّة إلى أن يدعو الله تعالى عليها!

فكان من دعائه عليها ما رواه أحمد بن حنبل والبيهقي وغيرهما في قصة لهوها عن الأسير حتى أفلت، حيث قال لها النبي صلى الله عليه وآله: «**قطع الله يدكِ**»![1] وكان منه ما رواه مسلم في قصة تطاولها على أم سليم حين سألت عما يجب على المرأة حين تحتلم إذ قالت لها: «**يا أم سليم فضحتِ النساء تَرِبَت يمينك! فقال النبي لعائشة: بل أنتِ فتَرِبَت يمينك**»![2]

(١) مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص٥٢ وسنن البيهقي ج٩ ص٨٩ وإمتاع الأسماع للمقريزي ص٢٦٥. وفي الحديث زيادة منحولة تقدح في النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) فيها أنه أبدى ندمه على دعائه على عائشة وسأل الله المغفرة لأنه قد دعا بغير وجه حق إذ تملّكه الغضب!

وهذا هو ديدن المخالفين في التعامل مع النصوص التي تثبت ذم رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأئمتهم وخلفائهم وأمّهاتهم، حيث يزيدون فيها ما يجعل النبي يتراجع ويصوّرونه بصورة رجل يخرج عن طوره فيلعن الناس ويشتمهم ويدعو عليهم بغير وجه حق! وهذا منافٍ لما نصّ عليه كتاب الله تعالى إذ قال: «**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**» فلا يمكن للمسلم أن يتصوّر أن سيد الأنبياء (صلى الله عليه وآله) يتملّكه الغضب فيتلفّظ بما يخالف خُلُقه العظيم، والدعاء على الناس بغير وجه حق يخالف ذلك كما هو معلوم، فلا بدّ من الاعتقاد بأن ما صدر منه من هذا القبيل إنما كان بحق ومتوجّها للمستحق لكفره أو نفاقه أو خُبثه، فأخلاق رسول الله هي أخلاق الله، وكما قال الله تعالى: «**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ**» قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعائشة: «**قطع الله يدكِ**».

(٢) صحيح مسلم ج١ ص١٧٢. ومعنى (تربت يمينك) أي لا أصبتِ خيراً.

ونحن نعلم أن نبي الرحمة (صلى الله عليه وآله) كان قمة في الحلم، فلا يكون دعاؤه على أحد إلا بعدما تكون أفعاله القبيحة والمؤذية بلغت مدى بعيداً يُلجئه إليه وقد طفح الكيل. فاستشعِر ما كان يعاني منه خاتم الأنبياء (صلى الله عليه وآله) من عائشة وأفعالها حتى دعا عليها وتمنّى هلاكها!

ويكفيك لاستشعار ذلك أن تتدبّر في سورة التحريم، وكيف وصف الله تعالى عائشة وحفصة بأنهما **تتظاهران** على رسول الله (صلى الله عليه وآله) أي تتآمران وتتكالبان عليه إلى حدٍّ يجعل الله تعالى يتوعّدهما بأنه وجبريل والملائكة وصالح المؤمنين سيكونون من ورائه ظهيراً له يصدّون عنه مكائدهما! فقال عزّ من قائل: «**إِن تَتُوبَا إِلَى اللهِّ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ**».[1]

كل هؤلاء يكونون جيشاً يدافع عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ويتصدّى لعائشة وحفصة! فتخيّل أيّ مؤامرات ومكائد وأذايا كان يتلقّاها النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) من هاتين المرأتين المتظاهرتيْن الملعونتيْن! وبعدَ هذا يأتي المغفّلون ليزعموا أن أولاهما كانت أحبّ الناس إليه بناءً على حديثيْن مكذوبيْن!

بقي أن نشير إلى أن بعض المخالفين استخرجوا حديثاً من أحاديث أئمتنا (صلوات الله عليهم) زعموا أنه يؤيد مقالتهم في أن عائشة كانت الأحبّ إلى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله. والحديث رواه شيخنا الكليني بسنده عن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: «**إنما الخِيَرةُ لنا ليس لأحد، وإنما خُيِّر رسول الله صلى الله عليه وآله لمكان عائشة، فاخترنَ الله ورسوله، ولم يكن لهنَّ أن يخترن غير رسول الله صلى الله عليه وآله**».[2]

---

(١) التحريم: ٥

(٢) الكافي للكليني ج٦ ص١٣٩

ومعنى الحديث أن تخيير الرجل لامرأته بين البقاء زوجة له أو العدم على النحو الذي فعله رسول الله (صلى الله عليه وآله) مع أزواجه بحيث أن المرأة منهنّ لو اختارت العدم لبانَت منه بلا طلاق ولانفسخت عصمتها منه؛ هذا التخيير حكم خاص بالنبي وبالأئمة من عترته (عليهم السلام) وليس لكل أحد، فلا بينونة إلا بطلاق أو ما يقوم مقامه كارتداد الزوج مثلاً. ثم إن الحديث ذكر سبب التخيير بقوله: «**لمكان عائشة**» فزعم المخالفون أن معنى ذلك أنه كانت لعائشة المنزلة والحظوة عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولذلك خيَّر نساءه الأخريات!

ولا يخفى ما في هذا التفسير من لوي للمعنى بغير الرجوع إلى الروايات الواردة في الباب لاستجلائه، فإنه قبل أسطر معدودة روى الكليني بسنده عن زرارة قال: «**سمعتُ أبا جعفر** (الباقر) **عليه السلام يقول: إن الله عز وجل أَنِف لرسول الله صلى الله عليه وآله من مقالة قالتها بعض نسائه، فأنزل الله آية التخيير، فاعتزل رسول الله صلى الله عليه وآله نساءه تسعا وعشرين ليلة في مشربة أم إبراهيم، ثم دعاهنّ فخيّرهنّ فاخترنه فلم يكُ شيئاً، ولو اخترنَ أنفسهنّ كانت واحدة بائنة. قال: وسألته عن مقالة عائشة ما هي؟ فقال: إنها قالت: يرى محمد أنه لو طلّقنا أنه لا يأتينا الأكفّاء من قومنا يتزوّجونا**»![1]

وقد ورد في أحاديث الباب أن زينب بنت جحش قالت هذه المقالة الوقحة أيضاً، كما ورد فيه حديث الكليني بسنده عن محمد بن مسلم قال: «**قلت لأبي عبد الله** (الصادق) **عليه السلام: إني سمعتُ أباك يقول: إن رسول الله صلى الله عليه وآله خيَّر نساءه فاخترنَ الله**

(١) الكافي للكليني ج٦ ص١٣٨، ومعنى قوله عليه السلام: «**لم يكُ شيئاً**» أي لم يقع طلاقاً، وأنهنّ لو اخترنَ أنفسهنّ لوقعت بينونة، إلا أنها بمنزلة الطلاق الواحد فيصحّ أن يراجعها النبي (صلى الله عليه وآله) بغير أن تنكح زوجاً غيره. ومعلوم في علم الدراية أن رمز (المرأة) هو لعائشة.

ورسوله فلم يُمسكهنَّ على طلاق، ولو اخترنَ أنفسهنَّ لبِنَّ. فقال عليه السلام: إن هذا حديثٌ كان يرويه أبي عن عائشة، وما للناس وللخيار، إنما هذا شيء خصَّ الله عزّ وجل به رسوله صلى الله عليه وآله».[1]

فالمفهوم إذن من هذه الأحاديث أن قوله عليه السلام: «**لمكان عائشة**» يُقصد به «**لمكان ما قالته عائشة**» حين أساءت بقولها: «**يرى محمد أنه لو طلّقنا أنه لا يأتينا الأكفّاء من قومنا يتزوّجونا**»! فكان هذا سبباً لأن يخيِّر النبي (صلى الله عليه وآله) نساءه ليرى أيٌّ منهنّ تختاره وأيٌّ منهن تميل إلى ما قالته عائشة - كزينب - فتبين منه ويُباح لها في الأزواج.

فلا دلالة في الحديث على أن لعائشة منزلة وحظوة ومحبة في قلب رسول الله (صلى الله عليه وآله) كما يزعم المخالفون بفهمهم المقلوب! بل على العكس؛ إن فيه إدانة لعائشة وذماً لها إذ تفوّهت بمثل هذه العبارة التي تسترخص فيها قدر النبي الأعظم صلى الله عليه وآله!

■ تثرَّدَتْ شفتاها فجاءت بحديث الثَّريد!

مَن أدرك حجم الحسد المتأصل في نفس عائشة؛ يُدرك أنه يستحيل أن تقف مكتوفة اليديْن أمام ما يصدر من النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) من أحاديث يمتدح فيها بعض نسائه أو نساء المؤمنين دونها، فليست عائشة بالتي ترضى أن تُتَجاهَل أو يُقدَّم عليها أحد، وليست بالتي تُسلِّم كونها دون أحد من النساء في الشرف والمكانة.

إنها قد عاينت النبي (صلى الله عليه وآله) يخطّ في الأرض أربع خطوط ثم يقول: «**هل تدرون ما هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أفضل نساء**

---

(١) الكافي للكليني ج٦ ص١٣٦، ومعنى قوله عليه السلام: «**حديثٌ كان يرويه أبي عن عائشة**» أي أن الحديث يتعلّق موضوعه بما فعلته عائشة، لا أنه مرويٌّ عنها سنداً كما تلاحظ في الحديث المقصود السالف.

أهل الجنة خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم ابنة عمران».[١] ويقول: «**خير نساء العالمين مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد**».[٢]

ورأته (صلى الله عليه وآله) يقوم على رؤوس الأشهاد فيقول: «**خير نسائها مريم وخير نسائها خديجة**».[٣]

وسمعته (صلى الله عليه وآله) يقول في ابنته الزهراء البتول صلوات الله عليها: «**فاطمة سيدة نساء أهل الجنة**».[٤] ويقول: «**إن هذا مَلَكٌ لم ينزل الأرض قطّ قبل هذه الليلة، استأذن ربّه أن يسلّم عليَّ ويبشّرني بأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة، وأن الحسن و الحسين سيّدا شباب أهل الجنة**».[٥] ويقول لها: «**يا حميراء! إن فاطمة ليست كنساء الآدميين ولا تعتلّ كما يعتلّون**».[٦]

وإزاء هذا كان طبيعياً أن تتوقّد في صدر عائشة نار الحسد والغيرة، وأن تغلي غيظاً من تجاهل النبي (صلى الله عليه وآله) لها وعدم إدراجه إياها ضمن هؤلاء السيّدات الخيّرات الصدّيقات. وما زادها حقداً وحنَقاً أن النبي (صلى الله عليه وآله) بدلاً من أن يمتدحها ويثني عليها؛ كان يحقِّرها ويهينها في موارد عدّة! فهو الذي أطلق عليها اسم «الحميراء»! وهو

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ج١ ص٢٩٣ ومستدرك الحاكم ج٢ ص٤٩٧ وغيرهما كثير.

(٢) المعجم الكبير للطبراني ج٢٢ ص٤٠٢ وتفسير القرطبي ج٤ ص٨٣ وغيرهما كثير.

(٣) صحيح البخاري ج٤ ص٢٣٠ وصحيح مسلم ج٧ ص١٣٢ وغيرهما كثير.

(٤) صحيح البخاري ج٤ ص٢٠٩ وغيره كثير.

(٥) سنن الترمذي ج٥ ص٣٢٦ ومستدرك الحاكم ج٣ ص١٥١ وغيرهما كثير.

(٦) المعجم الكبير للطبراني ج٢٢ ص٤٠١

الذي نفى إيمانها! وهو الذي دعا الله بقطع يدها عدا عن دعائه عليها بأن لا تصيب خيراً! وهو الذي يلوي شدقها - أي طرف فمها - انتصاراً لخديجة![١] ثم هو الذي ينهرها أمام الناس قائلاً: «**يا عائشة! لا تكوني فاحشة**»![٢]

هكذا كانت المرأة لا ترى لنفسها مكانة تُذكر عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) فهي المحقَّرة الموبَّخة المستذلّة عنده! وجلّ مديحه ينصبّ على ابنته وبضعته الزهراء (عليها السلام) وبعض ضرائرها ونساء مؤمنات أُخريات كأم أيمن مثلاً التي قال فيها: «**من سرّه أن يتزوّج امرأة من أهل الجنة فليتزوّج أم أيمن**».[٣]

أما هي فلا نصيب لها من أحاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) سوى الذم والتقريع ولا من أفعاله سوى الزجر والتأديب!

ولئن كانت عائشة قد أفرغت غيظها في رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حياته رداً على تجاهله لها، حين آذته بشتى صنوف الأذايا حتى نزلت فيها وفي أختها حفصة سورة كاملة هي سورة التحريم؛ فإنها بعد استشهاده وجدت الفرصة سانحةً لأن تكذب عليه وتتلاعب بأحاديثه فترفع نفسها وتحشر اسمها مع سيدات نساء العالمين!

ومن هنا جاء هذا الكم المهول من الأحاديث الموضوعة التي تثني على عائشة، والتي يكفي في ردّها - أو الشكّ فيها على أقل تقدير - أن جلّها مروي عن عائشة نفسها! فيما لا نجد مثل هذا بالنسبة إلى أحاديث فضائل أهل البيت (عليهم السلام) إذ جلّها مروي عن غيرهم، بل كثير منها مروي عن أعدائهم، والفضل ما شهدت به الأعداء.

---

(١) مرّت الأحاديث في كل ذلك في هذا الفصل وسابقه، فراجع.

(٢) صحيح مسلم ج٧ ص٥

(٣) الإصابة لابن حجر ج٨ ص٣٦٠

ونحن ههنا نناقش إحدى هذه الأحاديث الموضوعة، التي تجعل لعائشة فضلاً ومقاماً ورتبةً متقدّمةً على سائر النساء. هذا الحديث رواه البخاري بسنده عن أبي موسى الأشعري قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كَمُل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران. وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**»![1]

والتحقيق العلمي يأبى قبول هذا الحديث ويحكم ببطلانه، وذلك من وجوه منها:

الوجه الأول؛ أن الحديث رُويَ عن أبي موسى الأشعري بغير هذه الزيادة، أعني قوله: «**وإن فضل عائشة..**» إلى آخره، بل مقتصراً على قوله: «**كَمُل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون**» كما رواه أحمد بن حنبل في الفضائل.[2] وهذا يرجّح أن تكون هذه الزيادة مختلقَةً مُضافةً على أصل الحديث.

الوجه الثاني؛ أن الحديث رُويَ عن أبي موسى الأشعري بغير هذا اللفظ، بل بلفظ مقاربٍ لحديث نساء أهل الجنة الأربع ثم وردت فيه الزيادة محلّ البحث، وذلك قوله: «**كَمُلَ من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا أربع: آسية بنت مزاحم امرأة فرعون، ومريم ابنة عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد. وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**» كما رواه الطبراني وأبو نعيم والثعلبي وغيرهم.[3] وهذا يرجّح وقوع تصرّف في أصل الحديث حيث حُذِف منه اسما خديجة وفاطمة (عليهما السلام) ثم جيء

(1) صحيح البخاري ج4 ص131 وروى ذيله فقط في ص220 عن أنس. والثريد طعامٌ يكون بفتِّ الخبز وخلطه مع مرق اللحم.

(2) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ص73

(3) فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر ج6 ص515 عن الطبراني وأبي نعيم والثعلبي.

بزيادة اسم عائشة. ثم الحديث الأخير بهذه الصيغة متضعضع، إذ قد جعل الاستثناء من النقص لأربعٍ من النساء عدّدهنّ وذكرهنّ، فأي وجهٍ لذكر عائشة بعدهنّ وهي خارجةٌ عن هذا العدد والوصف؟! أعني عدد الأربع ووصف الكمال والاستثناء من النقص، فليس ثمة سنخية بين مقطعيْ الحديث. ولو رجعنا لتطبيق الموافقة إلى الحديث الأول المشهور في سيدات نساء الجنة الأربع لكان مورد الاطمئنان ههنا ثبوت نصّ الحديث مقتصراً عليهنّ، وأن ما جاء في ذكر عائشة إنما هو زيادة منحولة.

الوجه الثالث؛ أن حديث الثريد هذا وجدناه مروياً عن عائشة نفسها! وذلك ما رواه أحمد بن حنبل والنسائي وابن راهويه وغيرهم عن أبي سلمة عن عائشة قالت: «**قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**»![1] وهذا يومئ إلى أنه كان بالأصل حديثان، الأول عن أبي موسى وفيه ذكر النساء الأربع، والآخر عن عائشة وفيه ذكر نفسها! ثم جاء مَن بعدَها وتصرّف في الحديث الأول وحشر فيه حديثها. وأيّاً يكن فإن حديث عائشة هذا مردود لأن شهادة المرء لنفسه غير مقبولة، وكيف لنا أن نصدّق عائشة في ما تدّعيه وهي مَن هي؟! وحيث نردّ هاهنا حديثها فإن ذلك يقوّي ردّ ذيل حديث البخاري إذ هو بعينه وإنْ نُسب إلى أبي موسى أو أنس، سيّما أن روايات بعضٍ غير البخاري - كابن حنبل - خَلَتْ منه كما تقدّم.

الوجه الرابع؛ أن كل من خبر الأحاديث الشريفة وتذوّق طعمها ووقف على لسانها البديع يستبعد أن يكون هذا الحديث الركيك المزعوم صادراً حقاً من سيد الفصحاء والبلغاء صلى الله عليه وآله وسلم، ذلك لأنه بعيد عن أدبه ولا يتجانس مع سائر ما صدر منه في سياق التفضيل، فلم يُعهد عنه (صلى الله عليه وآله) وهو مَن حاز جوامع الكلم استخدامه

(١) مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص١٥٩ وسنن النسائي ج٧ ص٦٨ ومسند ابن راهويه ج٢ ص٤٨٦

مثل هذه الاستعارات والتشبيهات الركيكة في مقام المدح أو التفضيل وكأنه - حاشاه - لا همَّ له إلا بطنه فيضرب الأمثال بصنوف الطعام وأنواع المأكولات! ثمّ إنّا لا ندري لمَ ضُرب المثل بالثريد دون غيره من صنوف الطعام مما ورد عنه (صلى الله عليه وآله) مدحه أو التوصية بأكله أو ذُكر أنه كان أحبّ أنواع الطعام إليه صلى الله عليه وآله وسلم، فقد روى أحمد ابن حنبل أنه (صلى الله عليه وآله) قال: «**ليس شيء يجزي مكان الطعام والشراب غير اللبن**»[1] وروى أيضاً عن أنس قال: «**كان القرع من أحب الطعام إلى رسول الله**»[2] فيما روى الصالحي الشامي عن أنس قوله: «**كان أحبَّ الطعام إلى رسول الله البقل**»[3] فلِمَ لم نجده (صلى الله عليه وآله) يشبّه عائشة أو غيرها باللبن أو البقل أو القرع من هذا الباب؟!

الوجه الخامس؛ أن الأحاديث المستفيضة تشهد بأن حديث الثريد هذا مكذوب موضوع، ذلك لأنها تنقض ما ورد فيه من تفضيل عائشة على سائر النساء، ومن تلك الأحاديث ما مرّ من تفضيل نساء العالمين الأربع عليهنّ السلام، ومنها ما رواه أحمد بن حنبل عن مسروق عن عائشة قالت: «**كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا ذكر خديجة أثنى عليها فأحسن الثناء. قالت: فغرتُ يوماً فقلتُ: ما أكثر ما تذكرها! حمراء الشِّدق قد أبدلك الله عزّ وجلّ بها خيراً منها! قال: ما أبدلني الله عزّ وجلّ خيراً منها، قد آمنتْ بي إذ كفر بي الناس،**

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ج١ ص٢٢٥

(٢) مسند أحمد بن حنبل ج٣ ص٢٠٤

(٣) سبل الهدى والرشاد للصالحي الشامي ج٧ ص ٢١٢

وصدّقتني إذ كذّبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله عزّ وجلّ ولـدها إذ حرمني أولاد النساء».[(١)]

ومنها ما رواه ابن عبد البرّ عن عائشة قالت: «**كان رسول الله لا يكـاد يخـرج مـن البيـت حتى يذكر خديجة فيُحسن الثناء عليها، فذكرها يوماً من الأيام فأدركتني الغيرة فقلـتُ: هـل كانت إلا عجوزاً فقد أبدلك الله خيراً منها! فغضبَ حتى اهتزّ مقدَّم شعره من الغـضب! ثـم قال: لا والله ما أبدلني خيراً منها، آمنت بي إذ كفر الناس وصدّقتني إذ كذّبني الناس وواستني في مالها إذ حرمني الناس ورزقني الله منها أولاداً إذ حرمني أولاد النساء**».[(٢)]

ولهذه الأحاديث ونظائرها عمد بعض علماء المخالفين إلى تأويـل حـديث الثريـد وحملـه على معنى أن عائشة أفضل نساء النبي (صلى الله عليه وآله) بعد خديجة (صلوات الله عليهـا) لا أفضل نساء الأمة أو الأمم على الإطلاق، غير أن هذا الحمل ساقط أيضاً لثبوت أن بعـض زوجات النبي (صلى الله عليه وآله) الأخريات كنَّ بالنصّ خيراً مـن عائـشة وحفـصة! فمـن ذلك ما رواه الترمذي والطبراني وغيرهما عن كنانة عن صفية قالت: «**دخـل عـليَّ رسـول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي، فقال: ما يبكيك يا ابنة حييّ؟ قلتُ: بلغني أن عائشة وحفصة**

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص١١٧، وفي لفظ آخر رواه عن موسى بـن طلحـة في ص١٥٠ قالـت: «**لقـد أعقبك الله عز وجل من امرأة عجوزة من عجائز قريش حمراء الشدقين هلكت في الدهر! فتمعَّر وجهه تمعّراً ما كنتُ أراه إلا عند نزول الوحي أو عند المخيّلة حتى ينظر أَ رحمةٌ أم عذاب**»! فانظر إلى سوء أدب عائـشة كيـف تصف خديجة الكبرى (عليها السلام) بالعجوزة الهالكة التي احمرّ شدقها أي سقطت أسنانها من الكبر ولم يبق سوى احمرار لثّتها! ثم تأمّل في غضب رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتمعّر وجهه أي تغيّر لونه من الغضب.

(٢) الاستيعاب لابن عبد البرّ المالكي ج٤ ص٢٨٦

تنالان منّي وتقولان: نحن خيرٌ منها! نحن بناتُ عمّ رسول الله وأزواجه. قال: أَ فلا قلتِ: كيف تكونان خيراً مني وأبي هارون وعمّي موسى وزوجي محمد»؟![١]

وإذ ذاك لا يكون لحديث الثريد معنى ولا واقع مع ثبوت أن نساءً كثيرات خيرٌ من عائشة وأفضل منها، وهذا ما حيّر علماء المخالفين ودفعهم إلى التأويل مهما يكن لتصحيح الحديث والإبقاء على منزلة عائشة كمنزلة الثريد على سائر الطعام! ومن هؤلاء الآلوسي الذي لم يستطع مقاومة الأحاديث والأدلة الكثيرة التي تجعل من عائشة مفضولة حتى بالنسبة إلى بنات النبي صلى الله عليه وآله، فقال في تفسيره مقرّاً بأن الحديث مشكل: «**بل لو قال قائل: إن سائر بنات النبي صلى الله عليه وسلم أفضل من عائشة لا أرى عليه بأساً (...) وأُشْكِلَ ما في هذا الباب حديث الثريد، ولعل كثرة الأخبار الناطقة بخلافه تهوِّن تأويله، وتأويلُ واحدٍ لكثيرٍ أهون من تأويل كثيرٍ لواحد، والله تعالى هو الهادي إلى سواء السبيل**»![٢]

ولئن كان الآلوسي قد لجأ إلى التأويل؛ فإن محمود أبو ريّة قد خلّص نفسه وحكم بأن حديث الثريد موضوع من قبل البكريّة![٣] فقال في أضوائه: «**مما وضعته البكرية (...) حديث أن رسول الله قال: فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام! وفي حديث: أن صورتها قد جاءت النبي في سرقة من حرير مع جبريل وقال له: هذه زوجتك في الدنيا والآخرة! وفي حديث آخر: خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء! وفي رواية: خذوا شطر دينكم.. إلخ، وهذا باب واسع لا يمكن إحصاء كلّ ما فيه**»![٤]

---

(١) سنن الترمذي ج٥ ص٣٦٧ والمعجم الكبير للطبراني ج٢٤ ص٧٥ واللفظ للأخير.

(٢) تفسير الآلوسي ج٣ ص٣٢

(٣) يقصد من البكرية المعصّبين جداً لأبي بكر وابنته عائشة، وإلا فهو من علماء البكرية بالمعنى الأعمّ ومن شيوخ الأزهر.

(٤) أضواء على السنة المحمّدية ص١٢٧

وصدق أبو ريّة؛ فأنّى لنا إغلاق هذا الباب الذي فتحته عائشة بالأكاذيب والاختلاقات المهولة! ومن ذا يتمكّن من حصر كل ما جاءت به من أكاذيب حتى تشرَّدَت شفتاها – أي تشقّقتا – من كثرة ما فاهت به من أحاديث موضوعة!

يكفينا فقط ما نصّ عليه إمامنا الصادق (صلوات الله عليه) من أنها كانت أحد أكبر ثلاثة كذابين على رسول الله صلى الله عليه وآله! إذ قال: «**ثلاثة كانوا يكذبون على رسول الله صلى الله عليه وآله: أبو هريرة، وأنس بن مالك، وعائشة**»![1]

■ وجاءت من تحت اللحاف بوحيٍ كذب!

كانت عائشة في أكاذيبها ذات خيال خصب لا يضاهيها فيه أبرع صُنّاع الأساطير والقصّاصين، لا لأنها فاقت هؤلاء في ابتداع الحكايا العجيبة والمثيرة؛ بل لأنها فاقتهم في حبكها وسبكها بحيث انطلت على عقول كثير من هذه العامة العمياء حتى آمن بها الناس وصدّقوها ودانوا الله بها! أما صُنّاع الأساطير والقصّاصين؛ فإن حكاياهم – كألف ليلة وليلة – لا تُردَّد إلا ضمن مجالس اللهو والسّمر وجميع مَن فيها عارفٌ بكذبها غير أنه يستظرفها ويستفكهها ليس إلا. في حين أن حكايا عائشة – ولياليها! – تُتذاكر في المساجد وحلقات العلم ومجالس المحدّثين والفقهاء! فبراعة عائشة وتفوّقها على أولئك القصّاصين إنما تكمن في صبّها خيالها الخصب في قوالب تجرّ أكابر العلماء فضلاً عن العوام إلى تصديقه كحقيقة واقعة!

وهاهنا نقف على إحدى هذه الأكاذيب المبثوثة من قِبَل عائشة، ويغلب على ظننا أنها اختلقتها بينما كانت تحت اللحاف تفكّر وتتأمّل كيف تُفخِّم نفسها وتُعظِّم شأنها على سائر

---

(١) الخصال للصدوق ص١٩٠

نساء النبي صلى الله عليه وآله! فلذا جاءت الأكذوبة هذه متّسقة مع الحالة التي كانت عليها، أعني كونها متدثِّرةً باللحاف!

روى البخاري وغيره عن هشام عن أبيه عروة قال: «**كان الناس يتحرَّوْن بهداياهم يوم عائشة. قالت عائشة: فاجتمع صواحبي إلى أم سلمة فقُلنَ: يا أم سلمة؛ والله إن الناس يتحرّون بهداياهم يوم عائشة وإنّا نريد الخير كما تريده عائشة، فمُري رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأمر الناس أن يُهدوا إليه حيث ما كان أو حيث ما دار. قالت: فذكرتْ ذلك أم سلمة للنبي صلى الله عليه وسلم. قالت: فأعرضَ عنّي، فلما عادَ إليَّ ذكرتُ له ذاك فأعرض عني، فلمّا كان في الثالثة ذكرتُ له فقال: يا أم سلمة؛ لا تؤذيني في عائشة، فإنه والله ما نزل عليَّ الوحيُ وأنا في لحاف امرأة منكنّ غيرها**»![1]

وثمة تفاصيل خيالية نجدها في رواية أخرى يرويها البخاري عن هشام عن أبيه عروة أيضاً عن عائشة قالت: «**إن نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم كُنَّ حِزْبيْن! فحزبٌ فيه عائشة وحفصة وصفية وسودة، والحزب الآخر أم سلمة وسائر نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان المسلمون قد علموا حُبَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة، فإذا كانت عند أحدهم هدية يريد أن يهديها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أَخَّرَها حتى إذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت عائشة بعث صاحب الهدية بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت عائشة. فكلّم حزبُ أم سلمة فقُلنَ لها: كلّمي رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلّم الناس فيقول: من أراد أن يهدي إلى رسول الله هدية فليُهدِهِ إليه حيث كان من بيوت نسائه. فكلّمته أم سلمة بما قُلنَ فلم يَقُلْ لها شيئاً، فسألنَها فقالت: ما قال شيئاً. فقُلنَ لها: فكلّميه، قالت: فكلّمتْه حين دار إليها أيضاً فلم يَقُلْ لها شيئا، فسألنَها فقالت: ما قال لي شيئاً.**

---

(١) صحيح البخاري ج٤ ص٢٢١ وغيره كثير.

فقُلنَ لها: كلّميه حتى يكلّمك، فدار إليها فكلّمتْه فقال لها: لا تؤذيني في عائشة فإن الوحي لم يأتِني وأنا في ثوب امرأة إلا عائشة! قالت: فقالت: أتوب إلى الله من أذاك يا رسول الله! ثم إنّهنّ دَعَوْنَ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسلت إلى رسول الله تقول: إن نساءك يَنشُدْنَكَ الله العدل في بنت أبي بكر. فكلّمته فقال: يا بنيّة ألا تُحبّينَ ما أحبُّ؟ قالت: بلى. فرجَعَتْ إليهنَّ فأخبرتهنَّ فقُلنَ: ارجعي إليه، فأبتَ أن ترجع، فأرسلنَ زينب بنت جحش فأتَتْه فأغلظتْ! وقالت: إن نساءك يَنشُدنك الله العدل في بنت ابن أبي قحافة، فرفعت صوتها حتى تناولت عائشة وهي قاعدة فسبَّتْها! حتى إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لينظرُ إلى عائشة هل تَكَلَّمُ؟ قال: فتكلّمتْ عائشة تردُّ على زينب حتى أسكتتها! قالت: فنظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى عائشة وقال: إنها بنتُ أبي بكر»![(١)]

هاتان الروايتان هما في واقع الأمر رواية عن حادثة واحدة إلا أن الأولى مختصرة والثانية مفصلة، وكلتاهما مرويّتان عن هشام عن أبيه عروة عن خالته عائشة، والغرض منهما تعظيم مقام عائشة وفضلها بادّعاء أن الوحي لم يأتِ النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو في لِحاف امرأة أو ثوبها سواها!

بَيْدَ أن إثبات هذه الدعوى بل ثبوتها دونه خرط القتاد، وذلك لما يلي:

أولاً؛ إن هاتين الروايتين وجميع الروايات التي تتحدث عن هذه الحادثة المزعومة إنما هي مروية عن عائشة من ابن اختها عروة! وقد تبيّن لك مما مضى أنه لا يمكن القبول برواياتها التي تمتدح فيها نفسها لأن ذلك خلاف المنهج العلمي، وهل هناك أغبى ممن يصدّق رواية فيها: «**عن عائشة قالت: كان المسلمون قد علموا حُبَّ رسول الله عائشة**»! فتكون عائشة هي الشاهد والمشهود له في آن واحدٍ وعلى الأغبياء والمغفّلين أن يصدّقوا موضوع الشهادة!

---

(١) صحيح البخاري ج٣ ص١٣٢

نعم إن ثمة رواية عن أم سلمة فيها ما يقرب من رواية عائشة، وهي التي رواها النسائي عن هشام عن عوف بن الحارث عن رميثة عن أم سلمة: «**أن نساء النبي صلى الله عليه وسلم كلَّمنَها أن تكلم النبي أن الناس كانوا يتحرَّوْن بهداياهم يوم عائشة، وتقول له: إنّا نحبّ الخير كما تحبّ عائشة. فكلَّمَتْه فلم يجبها، فلمّا دار عليها كلَّمَتْه أيضاً فلم يُجبْها وقُلنَ: ما ردَّ عليكِ؟ قالت: لم يجبني. قُلنَ: لا تدعيه حتى يَرُدَّ عليكِ أو تنظرين ما يقول. فلمّا دار عليها كلَّمَتْه فقال: لا تؤذيني في عائشة فإنه لم ينزل عليَّ الوحي وأنا في لحاف امرأة منكنّ إلا في لحاف عائشة**»![1]

غير أن هذه الرواية كما ترى ليست سوى رواية مؤنَّنَة، لا أن أم سلمة (عليها الرضوان) قد حدَّثت بها كما قد يُتوَهَّم لمكان العنعنة، فإن نظائر هذا الخلط كثير في كتب القوم. ويشهد على أن الرواية ليست من مقول أم سلمة أن سياقها جاء بضمير الغائب لا ضمير المتكلم: «**أن نساء النبي صلى الله عليه وسلم كلَّمنَها.. وتقول له.. فكلَّمَتْه فلم يجبها.. فلمّا دار عليها كلَّمَتْه أيضاً فلم يُجبْها..**» فتكون إذ ذاك رواية محكية عن أم سلمة وليست من مقولها بشيء، وإنما هي بعينها رواية عائشة إلا أنها من طريق آخر، ويشهد لذلك أن سندها هو عن هشام عن عوف ابن الحارث عن رميثة. أما هشام فهو ابن عروة ابن أخت عائشة وهو راوي الحديثين السالفين! وأما عوف بن الحارث فهو ابن أخ عائشة من أمّها! وأما رميثة فهي أخته فتكون عائشة عمّتهما! واختصاص هؤلاء بها ظاهر إذ هم أقرباؤها، وليس لرميثة بنت الحارث سوى هذا الحديث الواحد ولم يُعهد كونها ممن روى عن أم سلمة، فالمجموع من هذا أن رميثة هذه قد أخذت الرواية من عمّتها عائشة وفيها أن نساء النبي (صلى الله عليه وآله) كلَّمنَ أم سلمة بكذا وكذا.. فوقع الخطأ والاشتباه من الرواة بالعنعنة إلى أم سلمة.

---

(١) سنن النسائي ج٧ ص٦٨

وحتى لو تنزّلنا عن ذلك فإن كون هؤلاء الثلاثة الذين رووا هذا الحديث من أقرباء عائشة وحزبها يدفعنا إلى ردّ روايتهم هذه وعدم التسليم بصحة نسبتها إلى أم سلمة. على أن الرواية ضعيفة عند القوم ولا يُحتجّ بها لأن رميثة ليست بثقة.

ثانياً؛ إنْ كان معنى أن الوحي لم ينزل على النبي (صلى الله عليه وآله) وهو في لحاف امرأة إلا عائشة أنها كانت متجرِّدَةً عن ثيابها تلك الساعة كما هو شأن الزوجات فيكون نزول جبريل (عليه السلام) عليه حينها فضيلةً لها إذْ لم يكن تجرّدها مانعاً لنزوله.. إنْ كان هذا هو المعنى كما تومئ إليه رواية البخاري الأخرى من قوله: «**فإن الوحي لم يأتِني وأنا في ثوب امرأة إلا عائشة**» فإنه مدفوع بما نصّت عليه عائشة نفسها من أن جبريل (عليه السلام) لم يكن يأتِ النبيّ (صلى الله عليه وآله) وهي متجرّدة في فراشها، وذلك ما رواه مسلم وأحمد وغيرهما عن عائشة أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال لها: «**فإن جبريل أتاني حين رأيتِ فناداني فأخفاه منكِ فأجبته فأخفيته منكِ ولم يكن يدخل عليَّ وقد وضعتِ ثيابكِ**».[1]

وإن كان المعنى أنها كانت متسترّة بلباسها إلا أنها بجوار رسول الله (صلى الله عليه وآله) تلك الليلة ومع ذلك نزل الوحي فإن الفضيلة تكون حينئذ سالبةً بانتفاء المحمول، وذلك لأن مثله وقع مع غيرها من زوجات النبي (صلى الله عليه وآله) حيث روى البخاري وغيره أن الثلاثة الذين تيب عليهم بعد التخلّف إنما نزل الوحي بتوبتهم على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو إلى جوار أم سلمة في ليلتها، وذلك قول كعب بن مالك: «**فأنزل الله توبتنا على نبيّه صلى الله عليه وسلم حين بَقِيَ الثلث الآخر من الليل ورسول الله صلى الله عليه**

(١) صحيح مسلم ج٣ ص٦٤ ومسند أحمد بن حنبل ج٦ ص٢٢١ وغيرهما كثير.

وسلم عند أم سلمة، وكانت أم سلمة مُحسنةً في شأني معنيةً في أمري فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا أم سلمة؛ تيبَ على كعب».[1]

وروى ابن اسحاق أن النبي (صلى الله عليه وآله) جلس في حجر خديجة (عليها السلام) ومع ذا كان يأتيه جبريل (عليه السلام) إلى أن تحسَّرتْ وألقتْ خمارها أو أدخلت النبي (صلى الله عليه وآله) بينها وبين ثوبها، وذلك قول خديجة للنبي صلى الله عليه وآله: «**أي ابن عمّ؛ أَ تستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك؟ قال: نعم. قالت: فإذا جاءك فأخبرني به. فجاءه جبريل عليه السلام كما كان يصنع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخديجة: هذا جبريل قد جاءني (...) قالت: فتحوّل فاجلس في حجري. قالت: فتحوّل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس في حجرها. قالت: هل تراه؟ قال: نعم. قال: فتحسَّرَتْ وألقت خمارها ورسول الله جالس في حجرها ثم قالت له: هل تراه. قال: لا. قالت: يابن عمّ؛ اثبت وأبشر فوالله إنه لملَكٌ وما هذا بشيطان. قال ابن إسحاق: وقد حدّثتُ عبد الله بن حسن هذا الحديث فقال: قد سمعت أمي فاطمة بنت حسين تحدّث بهذا الحديث عن خديجة إلا أني سمعتها تقول: أدخلتْ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بينها وبين درعها فذهب عند ذلك جبريل**».[2]

---

(١) صحيح البخاري ج٥ ص٢٠٩ والآية التي نزلت في الحادثة المشهورة هي قوله تعالى: «**وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**» التوبة: ١١٨. والثلاثة هم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن ربيعة.

(٢) سيرة ابن هشام ج١ ص١٥٧ عن ابن إسحاق. والدرع ثوب من صوف أو غيره. والرواية توافق تلك التي رُويتْ عن عائشة من أن جبريل (عليه السلام) يمتنع عن أن يأتِ النبيّ (صلى الله عليه وآله) وزوجته متجرّدة معه، وإدخالها إياه في ثوبها يكون بمثابته فلا تغفل.

فإن قيل: لعل ما في حديث عائشة كان قبل القصة التي نزل الوحي فيها في فراش أم سلمة.[1] قلنا: هو افتراض لا يُلتفتُ إليه في المقام. وإن قيل: إن المعنى على ما قرّرته عائشة في حديثٍ رواه أبو يعلى فيه أن الوحي كان ينزل عليه وهو عند أهله فينصرفون عنه إلا عائشة فكانت معه في لحافه.[2] قلنا: ظاهر حديث أم سلمة وصريح حديث خديجة يكذّبانه، ثم إنه يرجع بنا الكلام إلى ممنوعية التسليم بما تذكره عائشة في سياق امتداحها لنفسها.

فعلى التقديريْن لا يمكن تصوّر تفوّه النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) بما زعمته عائشة من أنه لم ينزل عليه وحي وهو في لحاف أو ثوب امرأة إلّاها، لأنه على المعنى الأول منقوض، وعلى الثاني مكذوب.

ثالثاً؛ إنّه مع ما ورد في الحديث المكذوب على رسول الله (صلى الله عليه وآله) لا نجد مزيّة أو خصوصية تقتضي الثناء على عائشة وتكون جواباً على مناشدة النساء العدل فيها، إذ لا مناسبة بين الأمريْن، ذلك لما هو ثابت من أن الوحي كان يأتي النبي (صلى الله عليه وآله) وهو على أحوال مختلفة، من بينها ما كان ينزل عليه وهو على ظهر الناقة التي كانت تبرك من ثقل الوحي، فهلاّ قيل أن الناقة تنافس عائشة في هذه الفضيلة!

على أننا نحن شيعة أهل البيت (عليهم السلام) نعتقد بأن الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) لا ينقطع عنه الوحي العام حتى للحظة، فكل أفعاله وأقواله بل وسكناته لا تصدر عنه إلا بوحي، وذلك مصداقاً لقوله تعالى: «**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى**»[3] فلا يكون لدعوى عائشة اعتبار أصلاً لفقدانها المزيّة.

---

(١) والقائل هو القاضي جلال الدين على ما في تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ج١٠ ص٢٥٦

(٢) والقائل هو السيوطي على ما في المصدر نفسه.

(٣) النجم: ٤ – ٥

رابعـاً؛ إنه لا بدّ من رفض رواية عائشة لأن قبولها يلازم الطعن في عدالـة سـيد الأنبيـاء والمرسلين (صـلى الله عليـه وآلـه الطـاهرين) إذ تُظهـره والعيـاذ بـالله بمظهـر الـزوج الظـالم المُجحف الذي لا يلتفت إلى مناشدة سائر نسائه العدل في ابنة أبي قحافة! والعجب أن القـوم ينسبون إليه (صلى الله عليه وآله) أنه كان يتأذّى من مطالبتـه بالعـدل فيقـول: «**لا تـؤذيني في عائشة..**»! أَ فتكون المناشدة بالعدل أذىً في مقياس رسول الله صلى الله عليه وآله؟! مـا لكـم كيف تحكمون؟!

ولماذا لا يريد النبي (صلى الله عليه وآله) الخير لباقي نـسائه فيُـشركهنَّ في الهـدايا المهـداة إليه؟! هَبْ أن الهدايا كانت تَرِدُه في يوم عائشة فأي وجهٍ لتخصيصها بهـا وحـدها؟ أَ ليـست هي مُهداةً إليه وله حق التصرف فيها فلماذا لا يقوم بتوزيعها عـلى نـسائه وذلـك مـن لـوازم العدل بين الزوجات؟! وهَبْ أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان يميل قلبياً إلى عائشة على مـا يزعمون من باب عدم قدرة المرء على ضبط مـشاعره - مـع أن النبـي لـيس كـسائر البـشر - فكيف يميل إليها فعلياً ويحبوها بما لا يحبو به نساءه الأُخريات وذلـك ممنـوع في الـشرع لأنـه منافٍ للعدل بين الزوجات؟! وكيف أظهر الرسول (صـلى الله عليـه وآلـه) ميلانـه الـشديد لعائشة إلى هذا الحدّ الذي يجعل القاصي والداني يعرفه فيتحرّى يومهـا ليهديـه هديتـه فيـه؟! أَ فيقبل الوقور الجليل بأن يُشاع عنه أنه عاشقٌ ولهان يكاد يفقد عقله من جنون الحبّ والغرام لإحدى زوجاته؟!

ثم إن المخالفين لو تدبّروا ورجعوا إلى عقولهم لوجدوا أن القبول برواية عائـشة ينطـوي على محاذير عدّة، من بينها سقوط اعتقادهم في عدالـة مـا يـسمى بالـصحابة المقتـضي لعدالـة الزوجات «أمهات المؤمنين»! ذلك لأن زينب قامت بسبّ عائشة، وردّت عليها عائشة بالمثل فسبّتها، ومعلومٌ أن سبّ المؤمن من الكبائر التي تُسقط العدالة! فإمـا أن زينـب منفيـة عنهـا

العدالة لما فعلت أو عائشة أو كلتاهما، إذ لا مناص من ثلاث: إما أن عائشة مؤمنة فيكون سبّ زينب لها مسقطاً لعدالتها، وإما أن تكون زينب مؤمنة فيكون سبّ عائشة لها مسقطا لعدالتها، وإما أن تكون كلتاهما غير مؤمنتيْن ولذا سكت النبي (صلى الله عليه وآله) عن تسابّهما فيلازم ذلك سقوط عدالتهما معاً، وبذا يسقط الاعتقاد بعدالة جميع ما يسمى بالصحابة وأمهات المؤمنين!

والطريف أن القوم لا يلتفتون إلى أن عائشة تزعم في روايتها أن السبّ جرى في محضر رسول الله (صلى الله عليه وآله) دون ردع منه وهو المؤتمن على توجيه الناس إلى الالتزام بأحكام الشرع، فإن كانت لعائشة أو زينب حرمة شرعية لاستوجبت نهيه عما نال إحديهما من السبّ لوجوب النهي عن المنكر! والأطرف من ذا أن ثمة رواية أخرى لعائشة زعمت فيها أن النبي (صلى الله عليه وآله) هو الذي أمرها بسبّ زينب حتى تهلّل وجهه فرحاً! فقد روى النسائي وابن ماجة وغيرهما عن عروة عن عائشة قالت: «**دخلتْ عليَّ زينب بنت جحش فسبّتني! فردعها النبي صلى الله عليه وسلم فأبت، فقال لي: سُبّيها! فسببتها حتى جفّ ريقها في فمها! فرأيتُ وجهه يتهلّل**»![1]

خامساً؛ إن رواية عائشة تذكر أن الناس كانوا يتحرّوْن يومها ليُهدوا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هداياهم فيه، غير أننا لا نجد حتى شاهداً واحداً من أحاديث السيرة أن فلاناً من الناس قد أهدى النبيّ (صلى الله عليه وآله) الهدية الكذائية في يوم عائشة، فأين ذهبت كل تلك الهدايا الكثيرة وما بالنا لا نجد لها ذكراً في التاريخ سوى ما تزعمه عائشة؟! وبعبارة ثانية: إنّا لا نجد قرائن موضوعية تؤكد صحة ما تزعمه عائشة في روايتها، ولو كانت لبانت.

---

(١) فتح الباري لابن حجر ج٥ ص٧٢ عن النسائي وابن ماجة.

على أن عائشة نفسها قد شهدت بأن الهدايا إنما كانت ترد على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو في بيت أم سلمة (رضوان الله تعالى عليها) لأنه كان قد أشار إلى المسلمين بذلك، فكانت عادتهم إهداءه هداياهم وهو في بيتها فيقسّمها إلى بقية أزواجه بمن فيهم عائشة من هناك. وقد جاءت هذه الشهادة من عائشة في معرض كلامها لأم سلمة (رضوان الله عليها) وهي تحضّها على الخروج معها لقتال أمير المؤمنين عليه السلام! فكان مما قالته لها: «**وكان رسول الله يشير إلى بيتك عندما يؤتى بالهدايا، ومن بيتك يبعث إلينا بسهامنا**».[1] وفي رواية أبي مخنف: «**وكان رسول الله يقسّم لنا من بيتك**».[2]

وأما عن نزول جبرئيل (عليه السلام) فقد شهدت عائشة في الموقف نفسه بأنه أكثر ما كان ينزل في بيت أم سلمة (عليها السلام) لا في بيتها ولحافها! فكان من قولها لأم سلمة: «**وكان جبريل أكثر ما يكون في منزلكِ**»![3]

والخلاصة مما تقدّم أن هذه ليست سوى أكذوبة من أكاذيب عائشة أرادت منها إيهام الناس بأن النبي (صلى الله عليه وآله) كان متيَّماً بها وأنها مُشرَّفةٌ على سائر نسائه بنزول الوحي في لحافِها! ويبدو أن عائشة اختلقت هذه الأكذوبة بينما كانت متدثّرةً بلحافها في ليلة معتمة فأوحى إليها اللحاف بما أوحى!

---

(١) تاريخ ابن أعثم ص١٦٨

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ج٦ ص٢١٧ عن أبي مخنف.

(٣) المصدر نفسه وكذا تاريخ ابن أعثم ص١٦٨

■ الأفّاكة ائتفكت الإفك![1]

بعد الانقلاب الذي قام به أبو بكر بن أبي قحافة وعمر بن الخطاب (عليهما لعائن الله) على الخلافة الشرعية المتمثلة بأهل بيت النبوة (عليهم السلام) بعد استشهاد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله؛ خلت الساحة وصفا الجوّ للمنافقين والمفسدين والطلقاء الذين ساندوا هذه السلطة الانقلابية، فزوّروا من الحقائق ما شاءوا وقلبوا من الوقائع ما أرادوا، تساندهم في ذلك السلطة، ولا يحول دون مرامهم حائل إذ كان الخليفةُ الشرعي وشيعته وأنصاره معزولين مستضعفين لا يملكون من القدرات والوسائل ما يواجه أو يقضي على تيار التحريف والتزييف الذي طغى على البلاد والعباد بحجم مهولٍ لا يمكن تصوّره.

ومن جملة هؤلاء المنافقين بل من رؤوسهم التي ما فتئت تحرّف في حقائق الدين الإسلامي وتاريخه؛ عائشة بنت أبي بكر التي كان استيلاء أبيها وصاحبه على السلطة قد فتح لها الباب على مصراعيه لكي تحدّث وتروي وتفسّر وتفتي كيفما تشاء وتشتهي.

ومضافاً إلى ما بدّلته من عقائد وأحكام؛ قلبت عائشة وقائع تاريخية وزوّرتها، وكان من بينها واقعة **الإفك** الشهيرة التي ما زالت الدهماء تذكرها على اعتبار أنها منقبة لعائشة فيما الحقيقة أنها مثلبة لها! وما زال العوام يردّدون في شأن عائشة قولهم: «هي المبرّأة من فوق سبع سماوات» دونما علم بأنها المدانة لا المبرّأة! وأنها القاذفة لا المقذوفة! وأنها الظالمة لا المظلومة!

---

(١) الأفّاكة: التي تكذب كثيراً، وائتفكت: قلبت، والإفك: حادثة قذف إحدى نساء النبي (صلى الله عليه وآله) بالزنا في حياته. فقصدنا من هذا العنوان أن الأفاكة عائشة قد قلبت قصة الإفك وحرّفتها على ما ستعرف إن شاء الله تعالى.

وخلاصة قصة الإفك – على رواية عائشة المحرّفة – أن بعضاً من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان قد قذفها بالزنا بشاب يُقال له: **صفوان بن المعطّل السلمي**، فأنزل الله براءتها في كتابه واصفاً الذين اتهمّوها بأنهم قد جاءوا بالإفك، أي الكذب والافتراء.

أما التفاصيل فلا بدّ لمعرفتها من الرجوع إلى أحاديث عائشة المتكثّرة، والتي ابتدعت فيها كثيراً من التفاصيل الخيالية التي تجعل من الواقعة قصة درامية لا مثيل لها! فهاك الأحاديث ومن ثمَّ المناقشة فيها:

● عقد البخاري باباً في صحيحه في حديث الإفك أورد فيه عدّة من الأحاديث، أولها ما عن ابن شهاب الزهري قال: «**حدثني عروة بن الزبير، وسعيد بن المسيب، وعلقمة ابن وقاص، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن عائشة، رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين قال لها أهل الإفك ما قالوا، وكلهم حدثني طائفة من حديثها، وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض وأثبت له اقتصاصا، وقد وعيت عن كل رجل منهم الحديث الذي حدثني عن عائشة، وبعض حديثهم يصدق بعضا، وان كان بعضهم أوعى له من بعض، قالوا: قالت عائشة: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفراً أقرع بين أزواجه، فأيَّهُن خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم معه. قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزوة غزاها**[1] **فخرج فيها سهمي، فخرجتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما أُنزل الحجاب، فكنت أُحمل في هودجي وأُنزل فيه، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته تلك وقفل، دنونا من المدينة قافلين، آذنَ ليلةً بالرحيل، فقمت حين**

(١) وهي غزوة بني المصطَلِق التي تسمى بغزوة المُرَيْسيع، فقد روى البخاري في صحيحه ج٥ ص٥٤ عن ابن شهاب الزهري: «**كان حديث الإفك في غزوة المُرَيْسيع**».

آذنوا بالرحيل فمشيتُ حتى جاوزت الجيش، فلما قضيتُ شأني[١] أقبلتُ إلى رحلي، فلمستُ صدري، فإذا عِقْدٌ لي من جَزْعِ ظَفَار[٢] قد انقطع، فرجعتُ فالتمستُ عِقْدي، فحبسني ابتغاؤه. قالت: وأقبل الرَّهْطُ الذين كانوا يُرَحِّلوني فاحتملوا هودجي، فَرَحلوه على بعيري الذي كنت أركب عليه، وهم يحسبون أني فيه، وكان النساء إذ ذاك خِفافاً لم يَهْبُلْنَ ولم يَغْشَهُنَّ اللحم،[٣] إنما يأكُلْنَ الْعُلْقَةَ من الطعام،[٤] فلم يستنكر القومُ خِفَّة الهودج حين رفعوه وحملوه، وكنت جارية حديثة السن، فبعثوا الجمل فساروا، ووجدتُ عِقْدي بعدما استمرَّ الجيش، فجئتُ منازلهم وليس بها منهم داع ولا مجيب! فتيمَّمتُ منزلي الذي كنت به،[٥] وظننتُ أنهم سيفقدوني فيرجعون إليَّ، فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمتُ، وكان صفوان ابن المُعَطَّلِ السُّلَمي ثم الذَّكْواني من وراء الجيش، فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم، فعرفني حين رآني، وكان رآني قبل الحجاب، فاستيقظتُ باسترجاعه حين عرفني، فخمَّرتُ وجهي بجلبابي، والله ما تكلَّمنا بكلمة ولا سمعتُ منه كلمةً غير استرجاعه،[٦] وهوى حتى أناخ راحلته، فوَطِئَ على يدها،[٧] فقمت إليها فرَكِبْتُها، فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش موغرين في نحر الظهيرة،[٨] وهم نُزول. قالت: فهلك فيَّ من هلك! وكان الذي تولَّى

---

(١) تقصد قضاءها شأنها وحاجتها من التبوّل والتغوّط.

(٢) جَزع ظَفار: خرز من مدينة ظفار باليمن.

(٣) لم يَهْبُلْنَ: لم يُثْقِلْهُنَّ اللحم. ولم يَغْشَهُنَّ: لم يكثر لحمُ أبدانهنّ. تريد أنها كانت رشيقة كسائر نساء ذلك الزمان!

(٤) الْعُلْقَةَ من الطعام: القليل منه الذي يسدّ الرَّمَق فحسب.

(٥) تعني أنها توجّهت إلى حيث كان هودجها نازلاً وجلست في هذا الموضع انتظاراً لرجوعهم إليها.

(٦) أي قوله: إنا لله وإنا إليه راجعون.

(٧) أي أنه وَطئَ على ذراع الناقة أو البعير بعدما أجلسه حتى يكون أسهل لها لركوبه.

(٨) موغرين في نحر الظهيرة: كناية عن شدّة الحرّ في وقت الوَغْرة ونحر الظهيرة.

كِبْرَ الإفك[١] عبد الله بن أُبيّ ابن سلول. قال عروة: أُخْبرتُ أنّه كان يُشاع ويُتَحدَّثُ به عنده، فيُقِرُّهُ ويستمعهُ ويَسْتَوشِيه.[٢] وقال عروة أيضاً: لم يُسَمَّ من أهل الإفك أيضاً إلا حسّان ابن ثابت، ومِسْطَح بن أُثاثة، وحَمْنَةُ بنت جحش في ناس آخرين، لا علم لي بهم، غير أنهم عُصبة – كما قال الله تعالى – وأن كُبْرَ ذلك يُقال: عبد الله بن أُبي ابن سلول. قال عروة: كانت عائشة تكره أن يُسَبَّ عندها حسان، وتقول: إنه الذي قال: فإن أبي ووالده وعِرْضي لعِرض محمدٍ منكم وقِاءُ. قالت عائشة: فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمت شهراً، والناس يُفيضون في قول أصحاب الإفك، لا أشعر بشيء من ذلك، وهو يَريبني في وجعي أني لا أعرف مِن رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي، إنما يدخل عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسلِّم ثم يقول: كيف تِيكم؟ ثم ينصرف![٣] فذلكُ يَريبني ولا أشعر بالشر، حتى خرجتُ حين نَقَهت،[٤] فخرجت مع أم مِسْطح قِبَلَ المناصع وكان مُتَبَرَّزَنا،[٥] وكنا لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل، وذلك قبل أن نتخذ الكُنُف[٦] قريباً من بيوتنا. قالت: وأمرنا أمر العرب الأُوَلِ في البريَّة قِبَلَ الغائط، وكنا نتأذّى بالكُنُف أن نتخذها عند

---

(١) أي كان يتولّى معظم الحديث في ذلك.

(٢) يستوشيه: يفتّش عنه ليفشيه.

(٣) أي أن النبي (صلى الله عليه وآله) قد تغيّرت معاملته لها وظهر منه الجفاء تجاهها إذ تغيّرت لغته في السؤال عنها مقتصراً على قوله: «**كيف تيكم؟**» أي كيف حال تلك المرأة؟ دون تسميتها أو مخاطبتها مباشرةً، ثم كان ينصرف عنها مهملاً لها.

(٤) نقهت: بدأت أتعافى من المرض.

(٥) المناصع: موضع خارج المدينة كان مُتبَرَّزاً لأهلها، أي مكاناً يتخلّون فيه من البول والغائط.

(٦) الكُنُف: جمع الكنيف وهو موضع قضاء الحاجة في البيوت أو قريباً منها، سُمِّيَ بذلك لأن الكنيف هو الساتر فيستر الإنسان حال قضائه الحاجة.

بيوتنا،[١] قالت: فانطلقتُ أنا وأم مِسْطح وهي ابنة أبي رُهْم بن المطلب بن عبد مناف، وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق، وابنها مِسْطح بن أُثاثة بن عباد بن المطلب، فأقبلتُ أنا وأم مِسْطح قِبَلَ بيتي حين فَرَغْنا من شأننا، فعثرت أم مِسْطح في مِرْطِها فقالت: تَعِسَ مِسْطح! فقلت لها: بِئْسَ ما قلتِ! أ تسبّين رجلاً شَهِد بدراً؟! فقالت: أيْ هَنْتاه[٢] ولم تسمعي ما قال؟ قالت: وقلتُ: ما قال؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك. قالت: فازددت مرضاً على مرضي، فلمّا رجعتُ إلى بيتي دخل عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلَّم ثم قال: كيف تِيكم؟ فقلت له: أَ تأذن لي أن آتي أَبويَّ؟ قالت: وأريدُ أن أستيْقن الخبر من قِبَلِهما، قالت: فأَذِنَ لي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلتُ لأمي: يا أُمَّتاهُ ماذا يتحدث الناس؟ قالت: يا بُنَيَّةُ هَوِّني عليك، فوالله لقلَّما كانت امرأةٌ قَطُّ وضيئةً عند رجل يحبها لها ضرائر إلا كَثَّرْنَ عليها! قالت: فقلتُ: سبحان الله! أَوَلَقَدْ تحدَّثَ الناس بهذا؟! قالت: فبكيتُ تلك الليلة حتى أصبحتُ لا يَرْقَأُ لي دمْع[٣] ولا أكتحل بنوم، ثم أصبحت أبكي. قالت: ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي يسألهما ويستشيرهما في فراق أهله. قالت: فأما أسامة فأشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم لهم في نفسه، فقال أسامة: أهلك ولا نعلم إلا خيراً. وأما علي فقال: يا رسول الله لم يضيِّقِ الله عليك والنساء سواها كثير، وسَلِ الجارية تَصْدُقْك. قالت: فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بَريرة فقال: أيْ بَريرة؛ هل رأيتِ من شيءٍ

(١) تعلّم العرب لاحقاً اتخاذ الكُنُف من العجم حيث كانت عادتهم قبل ذلك الخروج إلى فضاءٍ من الأرض للتغوّط، وهذا معنى قولها: «**وأمرنا أمر العرب الأُوَلِ في البريَّة قِبَلَ الغائط**».

(٢) أي هَنْتاه: يا بلهاء!

(٣) أي لا يتوقّف دمعي من شدة البكاء ولا أتمكن من النوم!

يَريبكِ؟ قالت له بَريرة: والذي بعثك بالحق ما رأيتُ عليها أمراً قطُّ أغمِصُه،[١] غير أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها، فتأتي الدّاجنُ فتأكله! قالت: فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه، فاستعذر[٢] من عبد الله بن أُبي وهو على المنبر فقال: يا معشر المسلمين؛ من يعذِرُني من رجل قد بلغني عنه أذاه في أهلي، والله ما علمتُ على أهلي إلا خيرا، ولقد ذكروا رجلاً ما علمتُ عليه إلا خيراً، وما يدخل على أهلي إلا معي. قالت: فقام سعد ابن مُعاذ أخو بني عبد الأشهل فقال: أنا يا رسول الله أعذِرُك، فإن كان من الأوْسِ ضربتُ عُنُقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتَنا ففعلنا أمرك. قالت: فقام رجل من الخزرج، وكانت أم حسّان بنت عمه من فخِذِه، وهو سعد بن عبادة، وهو سيد الخزرج - قالت: وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً ولكن احتملته الحميّة - فقال لسعد: كذبت لعَمْرُ الله لا تقتله ولا تقدر على قتله! ولو كان من رَهْطِكَ ما أحبَبْتَ أن يُقتل. فقام أُسَيْد بن حُضَيْر وهو ابن عم سعد فقال لسعد بن عبادة: كذبت لعَمْرُ الله لنقتُلَنَّه فإنّك منافقٌ تجادل عن المنافقين! قالت: فثارَ الحيّان؛ الأوس والخزرج حتى همّوا أن يقتتلوا! ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائمٌ على المنبر. قالت: فلم يَزَلْ رسول الله صلى الله عليه وسلم يُخَفِّضُهُم[٣] حتى سكتوا وسكت. قالت: فبكيتُ يومي ذلك كله، لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم. قالت: وأصبح أبواي عندي وقد بكيتُ ليلتين ويوماً، لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم! حتى أني لأظن أن البكاء فالقٌ كبدي، فبينا أبواي جالسان عندي وأنا أبكي فاستأذنت عليَّ امرأةٌ من الأنصار، فأذِنْتُ لها، فجلستْ تبكي معي! قالت: فبينا نحن على ذلك دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم علينا، فسلّم ثم جلس. قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها، وقد

(١) أغمصه: أعيبها عليه.

(٢) فاستعذر: أي طلب العذر، بمعنى طلب مَن يُنصفه وينصره.

(٣) يخفّضهم: يهدّئهم.

لبث شهراً لا يوحى إليه في شأني بشيء. قالت: فتشهَّدَ رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ثم قال: أما بعد يا عائشة؛ إنه بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة، فسيُبرئك الله، وإنْ كنتِ أَلْمَمْتِ بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف ثم تاب تاب الله عليه. قالت: فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قَلَصَ دمعي[1] حتى ما أُحِسُّ منه قطرة! فقلتُ لأبي: أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم عني في ما قال. فقال أبي: والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم. فقلتُ لأمي: أجيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم في ما قال. قالت أمي: والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم. فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ من القرآن كثيراً: إني والله لقد علمتُ لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقرَّ في أنفسكم وصدَّقْتم به! فلئن قلت لكم إني بريئة لا تصدّقوني! ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني منه بريئة لتصدِّقُنّي! فوالله لا أجد لي ولكم مثلاً إلا أبا يوسف حين قال: فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ. ثم تحوّلتُ واضطجعت على فراشي، والله يعلم أني حينئذ بريئة، وأن الله مبرئي ببراءتي ولكن والله ما كنت أظنّ أن الله مُنزلٌ في شأني وحياً يُتلى، لَشأني في نفسي كان أحقرَ من أن يتكلّم الله فيَّ بأمر، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا يبرِّئُني الله بها، فوالله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه، ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أُنزل عليه، فأخذه ما كان يأخذه من البُرَحاء،[2] حتى أنه ليتحدَّر منه من العَرَقِ مثل الجُمان[3] وهو في يومٍ شاتٍ، من ثِقَلِ القول الذي أُنزل عليه! قالت: فسُرِّيَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك، فكانت أول كلمة تكلّم بها أن قال: يا عائشة؛ أما الله فقد برَّأَك! قالت: فقالت لي أمي: قومي إليه. فقلت: والله

(١) قلص دمعي: انقطع دمعي.

(٢) أي جاءت رسول الله (صلى الله عليه وآله) الحالة التي تشتدّ عليه بسبب الوحي فكأنه قد نزلت به الحُمّى.

(٣) الجُمان: اللؤلؤ. والمعنى أن عرقه الشديد كان يتحدّر منه مثل اللؤلؤ صلى الله عليه وآله وسلم.

لا أقوم إليه! فإني لا أحمَدُ إلا الله عز وجل. قالت: وأنزل الله تعالى: إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْـكِ.. العشرَ الآيات، ثم أنزل الله هذا في براءتي. قال أبو بكر الصديق - وكان ينفق على مسطح ابـن أثاثة لقرابته منه وفقره -: والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذي قـال لعائـشة مـا قـال. فأنزل الله: وَلا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ.. إلى قوله: غَفُورٌ رَحِيمٌ. قال أبـو بكـر الـصديق: بـلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي. فرجع إلى مسطح النفقة التي كـان ينفـق عليـه وقـال: والله لا أنزعها منه أبدا. قالت عائشة: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل زينب بنـت جحـش عـن أمـري، فقـال لزينـب: مـاذا علمـت أو رأيـت؟ فقالـت: يـا رسـول الله أحمـي سـمعي وبصري![1] والله ما علمتُ إلا خيراً. قالت عائشة: وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، فعصمها الله بالورع. قالت: وطَفِقَت أختهـا حَمَنـة تحـارب لهـا فهلكـت فيمن هلك! قال ابن شهاب: فهذا الذي بلغني من حديث هؤلاء الرَّهْط.[2] ثـم قـال عـروة: قالت عائشة: والله إن الرجل الذي قيل له ما قيل ليَقول: سبحان الله! فوالذي نفـسي بيـده مـا كشفتُ من كَنَفِ أنثى قطّ![3] قالت: ثم قُتِلَ بعد ذلك في سبيل الله».[4]

● ومما رواه البخاري في الباب ذاته ما عن مسروق بن الأجدع قال: «حـدثتني أم رومـان وهي أم عائشة رضي الله عنها؛ قالت: بينا أنا قاعدة أنا وعائشة إذ وَلَجَـت امـرأة مـن الأنـصار فقالت: فعل الله بفلان وفعل! فقالت أم رومان: وما ذاك؟ قالت: ابني فيمن حدّث الحـديث. قالت: وما ذاك؟ قالت: كذا وكذا. قالت عائـشة: سـمع رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم؟

---

(١) أحمي سمعي وبصري: أريد أن أحمي - من الحماية - سمعي وبصري فلا أشهد بها لم أسمع أو أبصر. تريد أنها تتورّع عن الكذب.

(٢) الرهط: الرجال عددهم من ثلاثة إلى عشرة.

(٣) كنف أنثى: ثوب أنثى، يريد أنه لم يكشفه أي لم يجامع امرأة قطّ وذلك لأنه عنين على ما ذكروا.

(٤) صحيح البخاري ج٥ ص٥٥

قالت: نعم. قالت: وأبو بكر؟ قالت: نعم. فخرَّت مغشيّاً عليها! فما أفاقت إلا وعليها حُمّى بنافِضٍ، فطرحتُ عليها ثيابها فغطَّيتُها. فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما شأن هذه؟ قلت: يا رسول الله أخذتها الحمّى بنافِضٍ. قال: فلعلَّ في حديث تُحُدِّثَ به؟ قالت: نعم. فقعدت عائشة فقالت: والله لئن حلفتُ لا تصدّقوني، ولئن قلتُ لا تعذِروني، مَثَلي ومَثَلُكم كيعقوبَ وبنيه، والله المستعان على ما تصفون! قالت: وانصرف ولم يقل شيئاً، فأنزل الله عذرها. قالت: بحمد الله لا بحمد أحد ولا بحمدك»![1]

● وفي كتاب التفسير روى البخاري عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: «لمّا ذُكِر من شأني الذي ذُكِرَ وما علمتُ به؛[2] قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيَّ خطيباً، فتشهَّدَ فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أما بعد؛ أشيروا عليَّ في أُناس أَبَنوا أهلي،[3] وأَيْمُ الله ما علمتُ على أهلي من سوء، وأَبَنوهمْ بِمَنْ والله ما علمتُ عليه من سوءٍ قط، ولا يدخل بيتي قطّ إلا وأنا حاضر، ولا غبتُ في سفر إلا غاب معي. فقام سعد بن مُعاذ فقال: ائذن لي يا رسول الله أن نضرب أعناقهم، وقام رجل من بني الخزرج - وكانت أم حسان ابن ثابت من رَهْطِ ذلك الرجل - فقال: كذبت! أما والله أن لو كانوا من الأوس ما أحببتَ أن تُضربَ أعناقهم! حتى كاد أن يكون بين الأوس والخزرج شرٌّ في المسجد، وما علمتُ، فلمّا كان مساء ذلك اليوم خرجتُ لبعض حاجتي[4] ومعي أم مِسْطَح. فعَثَرتْ وقالت: تَعِسَ مِسْطَح! فقلت: أي أمِّ تسبّينَ ابنك؟! وسكتتْ. ثم عثرتْ الثانية فقالت: تَعِسَ مِسْطَح! فقلت لها: تسبّينَ ابنك؟! ثم عثرت الثالثة فقالت: تَعِسَ مِسْطَح! فانتهرتُها، فقالت: والله ما

---

(١) صحيح البخاري ج٥ ص٦٠

(٢) تقصد أنها لم تكن عالمة بما ذُكر في شأنها من القذف بالزنا.

(٣) أَبَنوا أهلي: اتهموا وعابوا أهلي.

(٤) تغني التخلّي.

أسبُّه إلا فيك! فقلتُ: في أيِّ شأني؟ قالت: فبَقَرَتْ[١] لي الحديث. فقلتُ: وقد كان هذا؟ قالت: نعم والله. فرجعتُ إلى بيتي كأن الذي خرجتُ له لا أجدُ منه قليلاً ولا كثيراً![٢] ووعكتُ فقلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: أرسلني إلى بيت أبي. فأرسل معي الغلام، فدخلتُ الدار فوجدت أم رومان في السُّفْلِ وأبا بكرٍ فوق البيت يقرأ. فقالت أمّي: ما جاء بك يا بُنَيَّة؟ فأخبرتُها وذكرتُ لها الحديث، وإذا هو لم يبلغ منها مثل ما بلغ مني، فقالت: يا بُنيَّة خَفِّضي[٣] عليك الشأن، فإنه والله، لقلّما كانت امرأة حسناء عند رجلٍ يحبّها لها ضرائر إلا حَسَدْنَها وقيلَ فيها! وإذا هو لم يبلغ منها ما بلغ مني، قلتُ: وقد عَلِمَ به أبي؟ قالت: نعم. قلت: ورسول الله؟ قالت: نعم ورسول الله صلى الله عليه وسلم، واستعبَرْتُ وبكيتُ، فسمع أبو بكرٍ صوتي وهو فوق البيت يقرأ، فنزل فقال لأمي: ما شأنها؟ قالت: بلغها الذي ذُكِرَ من شأنها. ففاضت عيناه، قال: أقسمتِ عليكِ أيْ بُنيَّة إلا رجعتِ إلى بيتكِ، فرجعتُ ولقد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بيتي، فسأل عنّي خادمتي فقالت: لا والله ما علمتُ عليها عيباً إلا أنّها كانت ترقُدُ حتى تدخُلَ الشاةُ فتأكلَ خميرها أو عجينها. وانتَهَرَها بعض أصحابه فقال: اصدُقي رسول الله صلى الله عليه وسلم! حتى أسقطوا لها به،[٤] فقالت: سبحان الله! والله ما علمتُ عليها إلا ما يعلمُ الصائغُ على تِبْرِ الذهب الأحمر.[٥] وبلغ الأمر إلى ذلك الرجل الذي قيل له، فقال: سبحان الله! والله ما كشفتُ كَنَفَ أنثى قط. قالت عائشة: فقُتِلَ شهيداً في سبيل الله. قالت: وأصبح أبوايَ عندي، فلم يزالا حتى دخل عليَّ رسول الله صلى

---

(١) فبقرت لي الحديث: فصّلت لي الحديث.

(٢) أي عادت دون قضائها حاجتها ولم تعد تشعر بحاجتها إلى التبوّل والتغوّط.

(٣) خفّضي: هوّني.

(٤) أي سبّوها وشتموها، من سِقْط الكلام أي قبيحه.

(٥) أي لا تعلم من حال عائشة إلا ما يعلمه صائغ الذهب الأحمر من خلوص ذهبه من الشوائب!

الله عليه وسلم وقد صلّى العصر، ثم دخل وقد اكتنفني أبواي[١] عن يميني وعن شِمالي، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد يا عائشة؛ إنْ كنتِ قارفتِ سوءاً أو ظَلَمتِ فتوبي الى الله، فإن الله يقبل التوبة من عباده. قالت: وقد جاءتْ امرأةٌ من الأنصار فهي جالسةٌ بالباب، فقلتُ: ألا تستحي من هذه المرأة أن تذكرَ شيئاً؟! فوعظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فالتفتُّ إلى أبي فقلتُ: أجبه. قال: فماذا أقول؟! فالتفتُّ إلى أمي فقلتُ: أجيبيه. فقالت: أقول ماذا؟! فلمّا لم يجيباه تشهَّدْتُ فحمدتُ الله وأثنيت عليه بما هو أهله، ثم قلتُ: أمّا بعد؛ فوالله لَئِنْ قلتُ لكم إني لم أفعل - والله عز وجل يشهد أني لصادقة - ما ذاك بنافعي عندكم! لقد تكلّمتُمْ به وأُشْرِبَتْهُ قلوبكم! وإن قلتُ إني فعلتُ - والله يعلم أني لم أفعل - لتقولُنَّ: قد باءتْ به[٢] على نفسها! وإني والله ما أجد لي ولكم مثلاً - والتمستُ اسم يعقوب فلم أقدرْ عليه - إلا أبا يوسف حين قال: فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ. وأُنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ساعته فسكتْنا، فرُفِعَ عنه وإني لأَتَبيَّنُ السرور في وجهه وهو يمسح جبينه ويقول: أبشري يا عائشة؛ فقد أنزل الله براءتك! قالت: وكنت أشدُّ ما كنتُ غضباً فقال لي أبواي: قومي إليه.[٣] فقلتُ: والله لا أقوم إليه ولا أحمده! ولا أحمدكما، ولكن أحمد الله الذي أنزل براءتي، لقد سمعتموه، فما أنكرتموه ولا غيّرتموه! وكانت عائشة تقول: أما زينب ابنة جحش فعصمها الله بدينها، فلم تقل إلا خيراً، وأما أختها حمنة فهلكت فيمن هلك، وكان الذي يتكلم فيه مِسْطَحُ وحسّان بن ثابت والمنافق عبد الله بن أُبي، وهو الذي كان يستوْشيه ويجمعه، وهو الذي تولىّ كِبْرَه منهم هو وحمنة. قالت: فحلف أبو بكر أن لا ينفعَ مِسْطَحاً بنافعةٍ أبداً، فأنزل الله عز وجل: وَلا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ - إلى آخر الآية يعني أبا بكر -

---

(١) أي أحاطا بها يمينا وشمالا.

(٢) باءت به: اعترفت به.

(٣) أي قومي إلى النبي (صلى الله عليه وآله) واحمديه واشكريه وعبّري عن احترامكِ له.

وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ - يعني مسطحا، إلى قوله: - أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ؟ حتى قال أبو بكر: بلى والله يا ربنا إنّا لنحُبُّ أن تغفر لنا، وعاد له بما كان يصنع». [(١)]

• وروى الطبراني عن مقسم عن عائشة قالت: «دخلتْ عليَّ أم مِسطح، فخرجنا إلى حير عاد، فوَطِئَت أم مِسْطح على عظم أو شوكة، فقالت: تَعِسَ مِسْطح، فقلت: بئس ما قلتِ! رجلٌ من أصحاب رسول الله عليه السلام، فقالت: أشهد أنك من الغافلات المؤمنات! أَتدرين ما قد طار عليك؟! قلت: لا والله، قالت: متى عهد رسول الله بك؟ قلت: رسول الله يفعل في أزواجه ما أحب، يبدأ بمن أحب منهنّ ويأتي من أحب، قالت: فإنه طَبَقَ عليك كذا وكذا! فخررتُ مغشياً عليَّ، فبلغ أم رومان أمي، فلما بلغها الأمر أتتني، فحملتني، فذهبتُ إلى بيتها، فبلغ رسول الله أن عائشة قد بلغها الأمر، فجاء إليها، فدخل عليها وجلس عندها، وقال:يا عائشة، إن الله قد وسَّعَ التوبة، فازددتُ شراً إلى ما بي، فبينا نحن كذلك إذ جاء أبو بكر، فدخل عليَّ، فقال: يا رسول الله، ما تنتظر بهذه التي خانتكَ وفضحتني! قالت: فازددتُ شراً إلى شر، قالت: فأرسل إلى علي، فقال:يا علي ما ترى في عائشة؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال:لتخبرَنّي ما ترى في عائشة، قال: قد وسَّع الله النساء، ولكن أرسِلْ إلى بَريرة خادمتها فسَلْها، فعسى أن تكونَ قد اطلعتْ على شيءٍ من أمرها، فأرسل إلى بريرة، فجاءت، فقال لها:أَتشهدين أني رسول الله؟ قالت: نعم، قال:فإني سائلكُ عن شيء فلا تكتميني، قالت: نعم يا رسول الله، ما من شيء تسألني عنه إلا أخبرتك به، ولا أكتمك إن شاء الله شيئا، قال:قد كنتِ عند عائشة، فهل رأيتِ منها ما تكرهينه؟ قالت: لا، والذي بعثك بالنبوة ما رأيت منها مُذْ كنتُ عندها إلا خلة، قال:وما هي؟ قالت: عَجَنَتُ عجيناً لي فقلتُ لعائشة:

---

(١) صحيح البخاري ج٦ ص١١

احفظي هذه العجينة حتى اقتَبِسْ ناراً فأخبز، فقامت تصلي، فغفلت عن الخمير، فجاءت شاةٌ فأكلتْها! فأرسَلَ إلى أسامة، فقال:يا أسامة، ما ترى في عائشة؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال:لتخبرَنّي بما ترى فيها، قال: فإني أرى أن تمسك فيها حتى يُحدث الله إليك فيها، قالت: فما كان إلا يسيراً، حتى نزل الوحي، فلم يزل يُرى في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم السرور، وجاء عذرها من السماء، يعني: من الله، فقال رسول الله:أبشري يا عائشة، ثم أبشري يا عائشة، فقد أنبأني الله بعذرك، فقلت: بغير حمدكَ وحمد صاحبك! قالت: فعند ذلك تكلَّمْتُ، وكانت إذا أتاها يقول:كيف تيكم»؟[١]

● وروى الطبراني أيضاً عن عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه الأسود قال: «قلتُ: يا أم المؤمنين أو يا أُمَّتاهُ ألا تحدّثيني كيف كان؟ - يعني أمر الإفك - قالت: تزوّجني رسول الله عليه السلام وأنا أخوضُ المطر بمكة وما عندي ما يرغب فيه الرجال![٢] وأنا بنت ست سنين![٣] فلما بلغني أنه تزوّجني ألقى الله عليَّ الحياء، ثم إن رسول الله عليه السلام هاجر وأنا معه فاحتُمِلْتُ إليه وقد جاءني وأنا بنت تسع سنين! فسارَ رسول الله مسيراً فخرج بي معه وكنتُ خفيفةً في حَدَجَةٍ[٤] لي عليها ستورٌ فإذا ارتحلوا جلستُ عليها واحتَمَلوا وأنا فيها،

---

(١) المعجم الكبير للطبراني ج٢٣ ص١١٧

(٢) تقصد من كونها تخوض المطر بمكة أنها كانت صغيرة السن تلعب تحت المطر وفي الطين المتكوّن بسببه! ثم تزعم أنها كانت حين تزوّجها نبي الله (صلى الله عليه وآله) لم تكن قد برزت في جسدها معالم الأنوثة بحيث يرغب فيها الرجال!

(٣) قد مرّ عليك إثبات كذبها في ذلك، وكذا في قولها أن النبي (صلى الله عليه وآله) قد دخل بها وهي بنت تسع سنين.

(٤) الحدجة والحداجة: محمل النساء ومركبهنّ على الإبل.

فشدّوها على ظهر البعير فنزلوا منزلاً وخرجتُ لحاجتي،[1] فرجعتُ وقد بادروا بالرحيل فجلستُ في الحَداجَةِ وقد رأوْني حين حرَّكْتُ السُّتور، فلمّا جلستُ فيها ضربتُ بيدي على صدري فإذا قد نسيتُ قلادةً كانت معي! فخرجتُ مسرعةً أطلبها فرجعتُ فإذا القوم قد ساروا! فإذا أنا لا أرى إلا الغبار من بعيد، فإذا هم قد وضعوا الحَدَاجَةَ على ظهر البعير لا يروْني إلا أني فيها لما رَأَوْا من خِفَّتي! فإذا رجلٌ آخذٌ برأس بعيره، فقلتُ: مَنِ الرجل؟ قال: صفوان بن المعطَّل السُّلَمي، أُمُّ المؤمنين أنتِ؟ قلت: نعم. قال: إنا لله وإنا إليه راجعون. قلت: أَدِرْ عنّي وجهك وَضَعْ رِجْلَكَ على ذراع بعيرك قال: أفعل ونُعْمَةُ عَيْنٍ وكرامة. قالت: فأدركتُ الناس حين نزلوا، فذهب فوضعني عند الحَدَاجَةِ فنظرَ إليَّ الناس ولا أشعر! قالت: وأنكرتُ لُطْفَ أبوَيَّ وأنكرتُ رسول الله ولا أعلم ما قد كان قيل حتى دخلتْ خادمتي أو ربيبتي فقالت: كذا! قالت: وقال لي رجلٌ من المهاجرين: ما أَغْفَلَكِ! فأخذتني حُمَّى نافِضٍ! فأخذتْ أمي كل ثوب في البيت فألقتْه عليَّ، فاستشار رسول الله أناساً من أصحابه فقال: ما تروْن؟ فقال بعضهم: ما أكثرَ النساء وتقدِرُ على البَدَل. وقال بعضهم: أنت رسول الله وعليك ينزل الوحي وأمرنا لأمرك تَبَعٌ، وقال بعضهم: والله لَيُبَيِّنُنَّهُ الله فلا تعجلْ. قالت: وقد صار وجه أبي كأنه صُبَّ عليه الزِّرْنيخ! قالت: فدخل عليَّ رسول الله فرأى ما بي قال: ما لهذه؟ قالت أمي: مما لهذه مما قلتم وقيل! فلم يتكلَّمْ ولم يَقُلْ شيئاً! قالت: فزادَني ذلك على ما عندي. قالت: وأتاني فقال: اتّقي الله يا عائشة! وإنْ كُنْتِ قارَفْتِ من هذا شيئاً فتوبي إلى الله، فإن الله يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات. قالت: وطلبتُ اسم يعقوب فلم أقدر عليه فقلت: غير أني أقول كما قال أبو يوسف: فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ، إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لا تَعْلَمُونَ. قالت: فبينا رسول الله مع أصحابه ووجهه

---

(١) تقصد خروجها من المحمل لغرض التخلي.

كأنما ذِيبَ عليه الزِّرْنيخ![١] حتى نزل عليه الوحي، وكان إذا أوحي إليه لم يَطْرِفْ، فعرف أصحابه أنه يوحى إليه وجعلوا ينظرون إلى وجهه وهو يتهلّل ويُسْفِرْ، فلما قُضِيَ الوحي قال: أَبْشِرْ يا أبا بكر! قد أنزل الله عُذْرَ ابنتك وبراءتها فانطلِق إليها فبَشِّرْها، قالت: وقرأ عليه ما نزل فيَّ. قالت: وأقبل أبو بكر مسرعاً يكاد أن يَنْكَبْ! قالت: فقلتُ: بحمد الله لا بحمد صاحبك الذي جئتَ من عنده! فجاء رسول الله فجلس عند رأسي، فأخذ بكفّي، فانتزعتُ يدي منه! فضربني أبو بكر وقال: أَتنزعينَ كفّك من رسول الله؟! أَوَ برسول الله تفعلين هذا؟ فضحك رسول الله! قالت: فهذا كان أمري».[٢]

● وروى الطبراني أيضاً عن ابن عباس: «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا سافر سافر ببعض نسائه ويُقسم بينهم،[٣] فسافر بعائشة بنت أبي بكر، وكان لها هودج، وكان الهودج له رجال يحملونه ويضعونه، فعرَّسَ[٤] رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وخرجت عائشة للحاجة[٥] فتباعدت، فلم يُعلم بها، فاستيقظ النبي صلى الله عليه وسلم والناس قد ارتحلوا، وجاء الذين يحملون الهودج فحملوه ولا يعلمون إلا أنها فيه،[٦] فساروا، وأقبلت عائشة فوجدتهم قد ارتحلوا، فجلست مكانها، فاستيقظ رجلٌ من الأنصار يُقال له:

---

(١) قبل قليل زعمت أن أباها كأنه قد صُبَّ على وجهه الزرنيخ! والآن تزعم أن النبيّ (صلى الله عليه وآله) قد حلّ به مثل ذلك فكأنه قد ذيب على وجهه الزرنيخ! فتبارك الله أحسن الخالقين! ولا نعلم كيف عرفت عائشة مظهر وجه رسول الله (صلى الله عليه وآله) ووصفته بهذا الوصف بينما كان مع أصحابه بعيداً عنها!

(٢) المعجم الكبير للطبراني ٢٣ ص١١٨

(٣) كذا، والصواب: بينهنّ.

(٤) عرَّسَ: نزل في مكان معيّن ليلاً.

(٥) أي خرجت للتبوّل أو التغوّط.

(٦) أي يظنون أن عائشة في الهودج.

صفوان بن المعطَّل، وكان لا يقرب النساء، فتقرَّبَ منها، وكان معه بعير له، فلما رآها حملها، وقد كان يراها قبل الحجاب، وجعل يقود بها البعير حتى أتوا الناس والنبي صلى الله عليه وسلم ومعه عائشة، وأكثروا القول، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فشَقَّ عليه حتى اعتزلها! واستشار فيها زيد بن ثابت وغيره فقال: يا رسول الله دعها لعلّ الله أن يُحَدِّثَ لك فيها، فقال علي بن أبي طالب: النساء كثير! فحمل النبي صلى الله عليه وسلم عليها![1] وخرجت عائشة ليلةً تمشي في نساء، فعَثَرَتْ أم مِسْطَح فقالت: تَعِسَ مِسْطح! فقالت عائشة: بئس ما تقولين! هذا الرجل من أصحاب رسول الله! فقالت: إنك لا تدرينَ ما يقولون! وأخبرتها الخبر، فسقطت عائشة مغشيّاً عليها! ثم نزل القرآن بعُذْرها في سورة النور: إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ.. حتى بلغ: وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ. ونزل: وَلا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ.. إلى قوله: وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ. وكان أبو بكر يعطي مِسْطحاً ويَبَرُّهُ ويَصِلُهُ، وكان ممن أكثر على عائشة، فحَلَفَ أبو بكر أن لا يعطيه شيئاً، فنزلت هذه الآية: أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ. فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يأتيها ويبشِّرَها، فجاء أبو بكر فأخبرها بعُذْرها وبما أنزل الله فقالت: لا بحمدك ولا بحمد صاحبك»![2]

● وفي رواية لأحمد بن حنبل عن عائشة قالت: «لمّا نزل عُذْري من السماء جاءني النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرني بذلك، فقلتُ: نحمد الله عزّ وجلّ لا نحمدك»![3] وفي أخرى رواها عن مسروق عن أم رومان أن النبي (صلى الله عليه وآله) دخل على عائشة معه أبو بكر

(١) حمل عليها: اشتدّ عليها في نفسه.

(٢) المعجم الكبير للطبراني ٢٣ ص١٢٣

(٣) مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص٣٠

فقال لها: «**يا عائشة؛ إن الله عزّ وجل قد أنزل عُذْركِ. قالت: بحمد الله لا بحمدك! قالت: قال لها أبو بكر: تقولين هذا لرسول الله صلى الله عليه وسلم؟! قالت: نعم**»![١]

• وروى أحمد أيضاً عن عائشة قالت: «**لمّا نزل عُذْري قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فذكر ذلك وتلا القرآن، فلمّا نزل أمر برجليْن وامرأة فضُربوا حدّهم**».[٢]

• وروى البيهقي عن عائشة قالت: «**لمّا تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم القصة التي نزل بها عُذري على الناس، نزل رسول الله فأمر برجليْن وامرأة ممن كان باء بالفاحشة في عائشة فجُلِدوا الحدّ. قال: وكان رماها عبد الله بن أُبي ومِسْطح بن أُثاثة وحسّان بن ثابت وحَمْنة بنت جحش أخت زينب بنت جحش، رموْها بصفوان بن المعطّل السلمي**».[٣]

• وروى الطبراني عن عبد الله بن عمر قال: «**كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفراً أَقْرَعَ بين نسائه أثلاثاً، فمن أصابتهُ القرعة أخرج بهنّ معه، فكُنَّ يخرجن يسقين الماء ويُداوينَ الجرحى، فلمّا غزا بني المصطَلِقْ أقرع بينهنّ فأصابت القرعة عائشة وأم سلمة، فأخرج بهما معه، فلمّا كانوا في بعض الطريق مال رَحْلُ أم سلمة،[٤] فأناخوا بعيرها ليصلحوا رحلها، وكانت عائشة تريد قضاء حاجة،[٥] فلمّا أَنْزَلوا إبلهم قالت عائشة: فقلتُ في نفسي إلى ما يصلحوا رَحْلَ أمّ سلمة أقضي حاجتي. قالت: فنزلتُ من الهودج فأخذتُ ماء في**

(١) مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص٣٦٨

(٢) مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص٣٥

(٣) سنن البيهقي ج٨ ص٢٥، والقائل ابن إسحاق إذ الرواية عنه. وقد قال البخاري في صحيحه ج٨ ص١٦٢ في معرض بيان مشاورات النبي صلى الله عليه وآله: «**وشاور عليا وأسامة في ما رمى به أهل الإفك عائشة فسمع منهما حتى نزل القرآن، فجلد الرّامين ولم يلتفت إلى تنازعهم ولكن حكم بما أمره الله**».

(٤) أي كاد أن يسقط من على ظهر الدابة بسبب ميلانه.

(٥) أي كانت محصورة أو حاقبة فتريد التبرّز.

السَّطْل ولم يعلموا بنزولي، فأتيتُ خَرِبَة وانقطعت قلادتي، فاحتبست في رَجْعِها ونِظامها، وبعث القوم إبلهم ومضوا، وظنوا أني في الهودج لم أنزل. قالت عائشة: فرجعتُ ولم أرَ أحداً. قالت: فاتَّبَعتُهم حتى أُعْييتُ، فقلتُ في نفسي: إن القوم سيفقدوني ويرجعون في طلبي. قالت: فقمتُ على بعض الطريق، فمرَّ بي صفوان بن المعطَّل السُّلَمي، وكان رفيق رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان يسأل النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعله على السَّاقَةِ فجعله،[١] فكان إذا رحل الناس أقام يصلي ثم اتَّبَعهم، فما سقط منهم من شيءٍ حمله حتى يأتي به أصحابه. قالت عائشة: فلمّا مرَّ بي ظنَّ أني رجلٌ فقال: يا نَوْمانُ قُمْ فإن الناس قد مَضَوْا! قالت: فقلت: إني لست رجلاً![٢] أنا عائشة! فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون. ثم أناخ بعيره فعَقَلَ يديه[٣] ثم ولّى عني، فقال: يا أُمَّةَ قومي فاركَبي، فإذا ركبْتِ فآذنيني.[٤] قالت: فركبتُ فجاء حتى حلَّ العِقالَ ثم بعث جَمَلَهُ فأخذ بخِطام الجمل. فقال ابن عمر: فما كلّمها كلاماً حتى أتى بها رسول الله، فقال عبد الله بن أُبيّ بن سلول المنافق: فَجَرَ بها وربِّ الكعبة! وأعانه على ذلك حسّان بن ثابت الأنصاري ومِسْطح بن أُثاثة و حَمْنَةَ! وشاع ذلك في العسكر، وبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، وكان في قلب النبي صلى الله عليه وسلم مما قالوا حتى

---

(١) جعله على الساقة: جعله من وراء الجيش يتبعه.

(٢) أما عند عمر بن عبد العزيز فقد كانت عائشة في الرأي رَجُلَةً ونِعْم الرجال! فقد قال: «**كانت عائشة رَجُلَة الرأي**»! على ما ورد في غريب الحديث لإبراهيم الحربي ج٢ ص١٣٧. وفي هامش كنز العمال ج٦ ص٦٩٧: «**وفي رواية: لعن الله الرَّجُلَةَ من النساء، بمعنى المُتَرَجِّلَة. ويُقال: امرأة رَجُلَة إذا تشبّهتْ بالرّجال في الرأي والمعرفة، ومنه الحديث: إن عائشة كانت رَجُلَة الرأي**»!

(٣) عقل يدي البعير: شدّهما جميعاً بعِقالٍ أي رِباطٍ.

(٤) آذنيني: أعلميني.

رجعوا إلى المدينة![١] وأشاع عبد الله بن أُبيّ بن سلول هذا الحديث في المدينة واشتدّ ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم. قالت عائشة: فدخلتُ ذات يوم على أم مِسْطح فرأتْني وأنا أريدُ المَذْهَبْ،[٢] فحملت معي السَّطْلَ وفيه ماء فوقع السطل منها فقالت: تَعِسَ مِسْطح! قالت لها عائشة: سبحان الله! تُتْعسينَ رجلاً من أهل بدر وهو ابنكِ! قالت لها أم مِسْطح: إنه سال بك السيل وأنت لا تدْرينَ! وأخبرَتْها الخبر. قالت: فلما أخبرتني أخذتني الحمّى وتقلَّصَ ما كان بي[٣] ولم أَبعُدِ المذهب. قالت عائشة: وقد كنت أرى من النبي صلى الله عليه وسلم قبل ذلك جفوة ولم أدْرِ من أي شيءٍ هي؟ فلما حدّثتني أم مسطح فعلمتُ أن جفوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أخبرتني أم مسطح. قالت عائشة: فقلت للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله؛ أَ تأذن لي أن أذهب إلى أهلي؟ قال: اذهبي. فخرجت عائشة حتى أَتَتْ أباها أبا بكر. قال لها أبو بكر: ما لَكِ؟ قالت: أخرجني رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيته![٤] قال لها أبو بكر: فأخرجكِ رسول الله صلى الله عليه وسلم فآويكَ أنا! والله لا آويكِ حتى يأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم. فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُؤْويها. قال لها أبو بكر: والله ما قيلَ لنا هذا في الجاهلية قطّ فكيف وقد أعزّنا الله بالإسلام؟[٥] فبكتْ عائشة وأم رومان وأبو بكر وعبد الرحمن! وبكى معهم أهل الدار! وبلغ ذاك النبي صلى الله عليه

---

(١) أي أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان قد ركن إلى مقولتهم شيئاً ما وشكّ في زوجته عائشة!

(٢) تريد المذهب: تريد قضاء حاجتها من التبوّل والتغوّط.

(٣) أي اختفى شعورها بالحاجة إلى التخلّي.

(٤) كيف تزعم أنه (صلى الله عليه وآله) أخرجها وقد قالت قبل ذلك أنها استأذنته بالذهاب إلى بيت أبيها فأَذِنَ لها؟! إن الخروج كان رغبةً منها ولم يطردها النبي (صلى الله عليه وآله) غير أن عائشة تهوى إضافة شيء من «البهارات» على أساطيرها علّها بذلك تكتسب شيئاً من تعاطف الجمهور الذي يكاد يذرف دموعه على هذه المسكينة «المطرودة» التي كادت أن تبيت في الشارع لأن أباها لم يقبل بإيوائها أيضاً!

(٥) قد عرفت في الفصل الأول أنه قد قيل في أهل بيت أبي بكر في الجاهلية كوالده ووالدته!

وسلم فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه فقال: أيها الناس من يعذرني ممن يؤذيني؟ فقام إليه سعد بن مُعاذ فسلَّ سيفه فقال: يا رسول الله؛ أنا أعذُرُكَ منه، إن يَكُ من الأَوْسِ أتيتُك برأسه وإن يَكُ من الخزرج أمَرْتنا بأمرك فيه. فقام سعد بن عبادة فقال: كذبت! والله ما تقدر على قتله! إنما طلبتنا بذحول[١] كانت بيننا وبينكم في الجاهلية. فقال هذا: يا للأوس! وقال هذا: يا للخزرج! فاضطربوا بالنعال والحجارة وتلاطموا![٢] فقام أُسَيْدُ بن حُضَيْر فقال: فيمَ الكلام؟! هذا رسول الله يأمرنا بأمره فسَفَدَ عن رَغْمِ أنف من رَغِمَ.[٣] ونزل جبريل عليه السلام وهو على المنبر فصعد إليه أبو عبيدة بن الجراح فاحتضنه، فلما سُرِّيَ عنه أومأ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس جميعاً ثم تلا عليهم ما نزل به جبريل عليه السلام: فنزل وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي بِالسَّيْفِ[٤].. إلى آخر الآيات. فصاح الناس: رضينا يا رسول الله بما أنزل الله من القرآن، فقام بعضهم إلى بعض فتلازموا وتصالحوا. ونزل النبي صلى الله عليه وسلم عن المنبر وانتظر الوحي في عائشة، وبعث إلى علي وأسامة و بَريرة، وكان إذا أراد أن يستشير امرءاً لم يَعْدُ علياً وأسامة بعد موت أبيه زيد. فقال لعلي: ما تقول في عائشة؟ فقد أهمّني ما قال الناس فيها.[٥] فقال له: يا رسول الله؛ قد قال الناس وقد حلَّ لك طلاقها! وقال لأسامة: ما تقول أنت؟ قال: سبحان الله! ما يحِلُّ لنا أن نتكلم في هذا، سبحانك هذا بهتانٌ عظيم. فقال لبَريرة: ما تقولين يا بريرة؟ قالت: والله يا رسول الله ما علمتُ على أهلك إلا خيراً إلا أنها امرأةٌ نؤوم!

---

(١) الذحول: الثارات.

(٢) ما أروع هذه الصورة التاريخية من صور «عدالة الصحابة رضي الله عنهم أجمعين أكتعين أبتعين أبصعين»!

(٣) أي يمضي أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) فوراً كما الحال في السَّفود أي الحديدة المحماة.

(٤) الحجرات: ١٠ وليس في الآية «**بالسيف**» مع وجودها في نص الحديث فيكون هذا تحريفاً في القرآن!

(٥) يريد أن اتهامهم لعائشة قد ورّث في قلبه همّاً وشكاً في كونها حقاً قد زنت.

تنام حتى تجيء الدّاجن فتأكلَ عجينها! وإن كان شيءٌ من هـذا ليخبِرَنَّـك الله. فخـرج النبـي صلى الله عليه وسلم حتى أتى منزل أبي بكر، فدخل عليها فقال لها: يا عائشة؛ إنْ كنتِ فعلتِ هذا الأمر فقولي حتى استغفر الله لك! قالت: والله لا أستغفر الله منه أبداً! إن كنتُ فعلتـه فـلا غفر الله لي! وما أجدُ مَثَلي ومَثَلَكم إلا مَثَلُ أبي يوسف، وذهب اسم يعقوب من الأسـف! إِنَّـمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِّ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِّ مَا لا تَعْلَمُونَ. فبينا رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم يكلِّمُها إذ نزل جبريل عليه السلام بالوحي على النبي صلى الله عليه وسلم فأخذتْ النبي صلى الله عليه وسلم نَعْسَةٌ، فقال أبو بكر لعائشة: قومي فاحتـضني رسـول الله. فقالـت: لا والله لا أدنو منه! فقام أبو بكر فاحتضنَ النبي صلى الله عليه وسلم، فسُرِّيَ عنه وهو يبتسم، فقال: يـا عائشة؛ قد أنزل الله عذرك! قالت: بحمد الله لا بحمدك! فتلا عليها رسول الله صلى الله عليـه وسلم سورة النور إلى الموضع الذي انتهى خبرها وعذرها وبراءتها. فقال رسول الله صـلى الله عليه وسلم: قومي إلى البيت، فقامت وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد فـدعا أبا عبيدة بن الجراح فجمع الناس ثم تلا عليهم ما أنزل الله عز وجل من البراءة لعائشة، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعث إلى عبد الله بن أُبيّ المنافق فجيء به فضربه النبـي صـلى الله عليه وسلم حَدَّيْن، وبعث إلى حسان بن ثابـت ومـسطح بـن أُثاثـة وحَمنـة بنـت جحـش فضُرِبوا ضَرْباً وجيعاً ووُجِئَ في رقابهم! قال ابن عمر: إنما ضرب النبي صلى الله عليـه وسـلم حَدَّيْن لأنه من قذف أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فعليْه حدّان. فبعث أبو بكر إلى مِسْطح بن أُثاثة فقال: أخبرني عنك وأنت ابن خالتي؛ ما حَمَلَكَ على ما قلـتَ في عائـشة؟ أمـا حـسان فرجلٌ من الأنصار ليس من قومي، وأما حمنة فامرأة ضعيفةٌ لا عقل لها، وأما عبـد الله بـن أُبيّ فمنافق، وأنت في عيالي[1] منذ مات أبوك وأنت ابن أربـع حِجَـجْ،[2] أُنْفِـقُ عليـك وأكـسوك

(١) أي أتكفّل معيشتك بالمال.

(٢) أي قد تكفّلتكَ منذ كان عمرك أربع سنين.

حتى بلغتَ، ما قطعتُ عنك نفقة إلى يومي هذا، والله إنك لرجلٌ لا وَصَلْتُكَ بدرهم أبـداً ولا عطفتُ عليك بخيْرٍ أبداًا! ثم طرده أبو بكر وأخرجه من منزله، فنزل القـرآن: وَلا يَأْتَـلِ أُولُـو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ.. الآية، فلما قال: أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ؟ بكى أبو بكر فقال: أمـا إذ نزل القرآن بأمري فيكَ لأضاعفنَّ لك النفقة! وقد غفرتُ لك فـإن الله أمـرني أن أغفـر لـك! وكانت امرأة عبد الله بـن أُبيّ منافقـة معـه، فنـزل القـرآن: الْخَبِيثَـاتُ، يعنـي امـرأة عبـد الله، لِلْخَبِيثِينَ، يعني عبد الله، وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ، يعنـي عبـد الله لامرأتـه. والطَّيِّبَـاتُ لِلطَّيِّبِـينَ، يعني عائشة وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم، والطَّيِّبُونَ، يعني النبي صـلى الله عليـه وسـلم لِلطَّيِّبَاتِ، يعني لعائشة وأزواج النبي صلى الله عليه و سلم، أُولَئِكَ مُـبَرَّءُونَ مِمَّـا يَقُولُـونَ، إلى آخر الآيات».(١)

● وروى الطبراني أيضاً عن عن أبي اليُسر الأنصاري: «**أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة: يا عائشة قد أنزل الله عذرك. فقالت: بحمد الله ولا بحمدك! فخـرج رسـول الله من عند عائشة فبعث إلى عبد الله بن أُبيّ فضربه حدَّيْن، وبعث إلى مِسْطح وحَمْنة فضربهم**».(٢)

● وفي حديث آخر يرويه الطبراني عن ابن عباس عن عائشة قالـت: «**فقيـل في أصـحاب الإفك الأشعار، وقال أبو بكر لِمسْطح في رَمْيِهِ عائشة فكان يُدْعى عوفاً:**

يَـا عَـوْفُ وَيْحَـكَ هَـلاَّ قُلْـتَ عَارِفَـةً	مِـــنَ الْكَـــلامِ وَلَمْ تَبْـــغِ بِـــهِ طَمَعَـــا
فَأَدْرَكَتْـــكَ حَمِيَّـــا مَعْـــشَرٍ أَنْـــفٍ	فَلَمْ يَكُنْ قَـاطِعٌ يَـا عَـوْفُ مَـنْ قَطَعَـا
هَلاَّ حَرِبَتْ مِـنَ الأَقْـوَامِ إِذْ حَـسَدُوا	فَـــلا تَقُـــولُ وَإِنْ عَـــادَيْتَهُمْ قَـــذْعَا
لَمَّـــا رَمَيْـــتَ حَـــصَانًا غَـــيْرَ مُقْرِفَـــةٍ	أَمِينَـــةَ الجَيْـــبِ لَمْ يُعْلَـــمْ لَهَـــا خَـــضَعَا

(١) المعجم الكبير للطبراني ج٢٣ ص١٢٥

(٢) المعجم الكبير للطبراني ج٢٣ ص١٢٤

فِـيمَنْ رَمَاهَـا وَكُنْـتُمْ مَعْـشَرًا إِفْكًـا ... فِي سِيِّءِ الْقَوْلِ مِنْ لَفْـظِ الخَنَـا شُرَعًـا
فَــأَنْزَلَ اللهُ عُـــذْرًا فِي بَرَاءَتِهَـــا ... وَبَــيْنَ عَــوْفٍ وَبَــيْنَ اللهِ مَـا صَــنَعَا
فَـإِنْ أَعِـشْ أُجِـبْ عَوْفًـا فِي مَقَالَتِـهِ ... سُــوءَ الجُــزَاءِ بِـمَا أَلْفِيتَــهُ تَبَعَــا

وقال حسّان وهو يبرئ عائشة رضي الله عنها في ما قيل فيها ويعتذر إليها:

حَــصَانٌ رَزَانٌ مَـا تُــزَنُّ بِرِيبَــةٍ ... وَتُـصْبِحُ غَرْثَـى مِـنْ لُحُـومِ الْغَوَافِـلِ
خَلِيلَـةُ خَـيْرِ النَّـاسِ دِينًـا وَمَنْـصِبًا ... نَبِـيِّ الهُـدَى وَالمُكْرُمَـاتِ الْفَوَاضِـلِ
عَقِيلَـةُ حَـيٍّ مِـنْ لُـؤَيِّ بـن غَالِـبٍ ... كِـرَامِ المَـسَاعِي مَجْـدُهَا غَـيْرُ زَائِـلِ
مُهَذَّبَــةٌ قَــدْ طَيَّــبَ اللهُ خِيمَهَــا ... فَطَهَّرَهَـا مِـنْ كُـلِّ سُـوءٍ وَبَاطِـلِ
فَـإِنْ كَـانَ مَـا قَـدْ جَـاءَ عَنِّـيَ قُلْتُـهُ ... فَــلا رَفَعَــتْ سَــوْطِي إِلَيَّ أَنَــامِلِي
وَإِنَّ الَّـذِي قَـدْ قِيـلَ لَـيْسَ بِلائِـطٍ ... بِكِ الدَّهْرُ بَلْ قَوْلُ امْرِئٍ غَـيْرِ مَاحِـلِ
وَكَيْـفَ وَوُدِّي مَـا حَيِيـتُ وَنُـصْرَتِي ... لآلِ رَسُــولِ اللهِ زَيْــنِ المَحَافِــلِ
لَـهُ رُتَـبٌ عَـالٍ عَـلَى النَّـاسِ فَـضْلُهَا ... تَقَــاصَرَ عَنْهَــا سَــوْرَةُ المُتَطَــاوِلِ

قال أبو أويس: وحدّثني أبي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مـرَّ بالـذين رَمَـوْا عائـشة فجُلِدوا الحدَّ جميعاً ثمانين ثمانين، وقال حسّان بن ثابت في الشعر حين جُلِدوا:

لَقَــدْ ذاقَ عَبْــدُ اللهِ مَـا كَـانَ أَهْلَـهُ ... وَحَمْنَــةُ إِذْ قَــالُوا هَجِــيرًا وَمِــسْطَحُ
تَعَـاطَوْا بِـرَجْمِ الْقَـوْلِ زَوْجَ نَبِـيِّهِمْ ... وَسَخْطَةِ ذِي الْعَرْشِ الْكَرِيمِ فَأَتْرَحُوا
فَـآذَوْا رَسُــولَ اللهِ فِيهَــا وَعَمَّمُــوا ... مَخَازِيَ سُوءٍ حَلَّلُوهَـا وَفَـضَّحُوا».[1]

---

(١) المعجم الكبير للطبراني ج٢٣ ص١١٦، وثمة مَن يروي صدر البيت الأول هكذا: «لَقَـدْ ذاقَ حسان مَـا كَانَ أَهْلَهُ» كما في التنبيه والإشراف ص٢١٦، ومردّه الخلاف في أن حسانا حُدّ أم لم يحدّ؟ وسيوافيك التفصيل.

• وروى الطبراني عن ابن أبي مليكة ومجاهد عن عائشة قالت: «**لمّا بلغني ما تكلّموا به همَمْتُ أن آتي قليبا فأطرح نفسي فيه**»![1]

• وروى البخاري عن الزهري قال: «**قال لي الوليد بن عبد الملك: أَ بلغكَ أن علياً كان فيمن قَذَف عائشة؟ قلت: لا، ولكن قد أخبرني رجلان من قومك أبو سلمة بن عبد الرحمن وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث أن عائشة رضي الله عنها قالت لهما: كان عليٌّ مسلِّماً في شأنها! فراجعوه فلم يرجع وقال: مسلِّماً بلا شكٍّ فيه وعليه كان في أصل العتيق كذلك**»![2]

كانت هذه هي أبرز الروايات الواردة في شأن قصّة الإفك على ما في مصادر أهل الخلاف، وقد جاء الآن دور مناقشتها والنظر فيها لبيان مقدار ما اشتملت عليه من اضطراب وتهافت وتناقض مع الوقائع التاريخية المشهورة بما يدفع كل ذي مسكة إلى القطع بكذبها واليقين بأن ما تضمنته ليس سوى قصة مختلقة.

ونرتّب مناقشتنا النقضية لموضوع هذه الروايات على إيرادات:

• **الإيراد الأول**؛ إنّا نجد أن جميع روايات قصة الإفك هذه تنتهي إلى عائشة وحدها! وهو ما يستعصي قبولها والتسليم بها، إذ الوجدان يأبى الإذعان لمنقولة تاريخية بهذا الحجم

---

(١) المعجم الكبير للطبراني ج٢٣ ص١٢١. تقصد أنها أرادت أن تنتحر بإلقاء نفسها في بئر!

(٢) صحيح البخاري ج٥ ص٦٠. هذا وقد اتّهمت عائشة أمير المؤمنين (صلى الله عليه) صراحةً بأنه كان ممن أساء الظنّ فيها وسلّم بارتكابها الزنا! إذ روى ابن مردويه كما في فتح الباري لابن حجر ج٧ ص٣٣٦ قولها: «**إن علياً أساء في شأني! والله يغفر له**»! وثمة من روى رواية البخاري عن الزّهري هذه بلفظ: «**أن عائشة قالت لهما: كان علي مسيئاً في شأنها**»! كما نصّ عليه ابن حجر في المصدر نفسه عن النَّسَفي وابن السكن عن الفربري، وقال معلّقاً: «**هو الأقوى من حيث تَقِلُّ الرواية**»!

والتفصيل دون أن يكون هناك مَن يرويها سوى شخص واحد! وهو بعدُ المستفيد من هذه الروايات في تزكية نفسه!

لقد وقعت القضية أثناء قفول جيش يربو على سبعمئة مقاتل من المسلمين[١] فضلاً عمّن معهم من أسرى بني المصطلق وذراريهم وهم أكثر من مئتين،[٢] وعلى حدّ قول عائشة فإن أمرها شاع في كل هؤلاء بعدما رأوها وصفوان في نحر الظهيرة مُقبلَيْن بعد بيتوتتهما ليلة كاملة، ثم تتابعت أحداث القضية وتطوّراتها ولم تكن بمعزل عن أيٍّ من الناس، فإنهم جميعاً شهدوا ما قاله أهل الإفك فيها، وشهدوا خُطَبَ رسول الله (صلى الله عليه وآله) التي تلت ذلك، كما شهدوا تشاجر الأوس والخزرج في هذا الشأن حتى كادوا أن يقتتلوا في المسجد، وأُبلِغوا بنزول سورة النور في الواقعة، ورأت أعينهم كيف يُجرى الحدّ على رَجُلَيْن وامرأة بالجلد.. إلى ما هنالك من أحداث جِسامٍ وتطوّرات خطيرة تجعل هذه القضية - التي استمرّت أكثر من شهر - قضية الرأي العام الأولى آنذاك بما فيها من زخم هائل، فأين توارى كل هؤلاء الذين شهدوا هذه القضية الكبرى فلم يصلنا منهم حتى حديث واحد يتضمّن شهادتهم على جانب من جوانبها؟! كأن يقول أحدهم: «رأيتُ عائشة يقود بعيرها صفوان وقد جاءا متأخّرَيْن بعد رجوعنا من المريسيع فارتاب الناس» أو يقول آخر: «سمعتُ عبد الله بن أُبيَّ يقول كذا في عائشة وردّ عليه فلان بكذا» أو يقول ثالث: «خطب بنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مستعذراً من الذين رموا أهله بالفاحشة» أو يقول رابع: «كنت حاضراً في المسجد وقد همّ الحيّان الأوس والخزرج أن يقتتلوا فجرى كذا وكذا» أو يقول خامس: «جُلِد حسّان ومِسطح وحَمنة يوم كذا ساعة كذا في مكان كذا وضُرِبَوا بكذا»؟!

(١) السيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٢٩٧

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص٦٤

أين ولّى بطل القصة الآخر الذي هو صفوان بن المعطّل فلم ينبس ببنت شفة عمّا ناله وما جرى له ولم يَرْوِ لنا تفاصيل وملابسات القضية الخطيرة حتى ولو في حديث واحد يصلنا من طرفه لا من طرف عائشة عنه؟! سيّما أنه عاش بعد الحادثة المفترضة فترة طويلة حتى عهد عمر حيث قُتِل في غزوة أرمينية سنة تسع عشرة، بل على قول آخر أنه عاش فترة أطول حتى عهد معاوية حيث قُتِل بأرض الروم سنة أربع وخمسين![1] ولا أقلّ من أن يصلنا عن واحد من عامة المسلمين أنه قد سأل صفواناً عن حقيقة الأمر فأخبره بكذا وكذا، أو أن صفوان حين رُمِيَ بما رُمِيَ به صاح في جمع: «أنا بريء» أو ما هو من هذا القبيل، فإن عادة الناس المستمرة إلى اليوم أن لا تترك ذا القضية المثيرة لوحده دون أن تستطلع خبره ولو بدافعٍ من الفضول، فكيف انزوى عنا أي حديث بلسان بطل القصة ومحورها بعد عائشة مع أنه قد رُوي له من الحديث ما ليس في شأن الإفك وما هو أدنى منه أهمية بكثير؟![2]

ولئن قلنا بأن صفوان كما كان لا يقرب النساء - على ما زعمته عائشة - فإنه كان لا يقرب الكلام! فما بال غيره من أبطال القصة سكتوا أو سكت الرواة عن النقل عنهم؟! أين أحاديث علي (عليه السلام) في الموضوع وهو الذي استشاره النبي (صلى الله عليه وآله) على ما قيل؟! أين أحاديث أسامة وهو المستشار كذلك؟! لمَ لمْ يردنا عن أيٍّ منهما قولاً من قبيل: «استشارني النبي صلى الله عليه وآله حين تحدّث أهل الإفك في عائشة فقلتُ كذا وكذا»؟! أين أحاديث الأوس والخزرج الذين كادت معركة أن تنشب بينهم؟! أين أحاديث الذين

---

(١) قال ابن حجر في فتح الباري ج٨ ص٣٤٩ تعليقا على قول عائشة أن صفوان قُتِل شهيداً في سبيل الله: **«مُرادها أنه قُتِل بعد ذلك لا أنه في تلك الأيام، وقد ذكر ابن إسحاق أنه استشهد في غزاة أرمينية في خلافة عمر سنة تسع عشرة، وقيل: بل عاش إلى سنة أربع وخمسين فاستشهد بأرض الروم في خلافة معاوية»**.

(٢) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء ج٢ ص٥٤٨: **«ورُوِيَ له حديثان، حدّث عنه سعيد بن المسيب وأبو بكر بن عبد الرحمن وسعيد المقبري وسلام أبو عيسى»**.

حُدُّوا كحسان ومسطح وحمنة؟! بل أين أحاديث المهاجرين والأنصار؟! أَكلُّ هؤلاء تواطئوا على إطباق أفواههم وترك المجال لعائشة وحدها لكي تتحدّث في هذا الشأن؟! وما بالهم التزموا بذلك في هذه الواقعة دون غيرها من الوقائع العامة فحدّث كلٌّ منهم بما شاهده بنفسه أو بلغه عن غيره؟!

إن قيل: قد رُوي لصفوان بيتان من الشعر يومئان إلى قصة الإفك، فيكون هذا بمنزلة حديث متلقًّى منه يدلّ على صدق المروي عن عائشة وعدم اقتصاره عليها، والبيتان هما اللذان قالهما حين ضرب حسّان بن ثابت ضربة بالسيف تشفّياً، وهما:

تَلَقَّ ذُبَابَ السَّيْفِ مِنِّي فَإِنَّنِي غُلامٌ إِذَا هُوجِيتُ لَيْسَ بِشَاعِرِ
وَلَكِنَّنِي أَحْمِي حِمَايَ وَأَنْتَقِمْ مِنَ الْبَاهِتِ الرَّامِي الْبُرَاةِ الطَّوَاهِرِ

قلنا: إن هذين البيتين اللذين يرويهما الطبراني والحاكم إنما هما مرويّان عن صفوان من طريق عائشة نفسها! فقد جاء في الرواية قبلهما: «**قالت عائشة: وقعد صفوان بن المعطّل لحسان ابن ثابت بالسيف فضربه، فقال صفوان لحسان في الشعر حين ضربه: تَلَقَّ ذُبَابَ السَّيْفِ.. إلخ**».[1]

ثم إنه بالعودة إلى مصادر السيرة والتاريخ الأقدم من معجم الطبراني ومستدرك الحاكم لا نجد سوى البيت الأول المنسوب إلى صفوان، وقد قاله في أمرٍ آخر بعيد في الحقيقة عن قصة الإفك التي اختلقتها عائشة، فيما البيت الثاني لا وجود له ولا أثر! فقد روى ابن اسحاق وابن هشام والطبري وغيرهم ما حاصله أن حسان بن ثابت هجا صفوان بن المعطل وجماعة من قريش من أصحاب **الجهجاه بن مسعود الغفاري** حين تقاتلوا مع الأنصار على

(١) المعجم الكبير للطبراني ج٢٣ ص١١٤ ومستدرك الحاكم ج٣ ص٥١٩

ماء المريسيع بعد انتهاء الحرب، وقد كان الماء قليلاً وأدلى كلٌّ منهم بدلوه حتى إذا التبست الدلاء تنازعوا وتضاربوا فسالت الدماء بينهم من أثر الضرب ثم شهروا السلاح وكادوا يقتتلون![١] فحينها قال حسّان يعرّض بالمهاجرين ومنهم صفوان في أبيات مطلعها:

أَمسى الجَلابيبُ قَدْ عَزُّواْ وقَدْ كَثَـرُواْ وَابْـنُ الفُرَيْعَـةِ أَمْـسى بَيْـضَةَ البَلَـدِ

فحزّ الأمر في نفس صفوان فجاء إلى **جُعَيْل بن سُراقة** قائلا: «**انطلق بنا نضرب حسان، فوالله ما أراد غيرك وغيري، ولنحن أقرب إلى رسول الله منهم**» فأبى جُعيل أن يذهب إلا بأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) أما صفوان فقد خرج مصلتا سيفه حتى ضرب حساناً وقال البيت الأول من الشعر المنسوب إليه فقط.

ثم إن صفوان وقع أسيراً بيد قوم حسان من الأنصار، ثم تحاكموا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأمر بأن يحبسوا صفوان فإن مات حسّان قتلوه به قصاصاً، ولام النبي (صلى الله عليه وآله) حسّاناً على شعره قائلا: «**يا حسان؛ أَتشوَّهتَ على قومي أن هداهم الله للإسلام**»؟! كما لام صفوان على ما فعل فكان اعتذاره قوله: «**يا رسول الله؛ آذاني وهجاني وسَفِه عليَّ وحسدني على الإسلام فاحتملني الغضب فضربته**». وأخيراً فقد تمّ الصلح بأن عوّض النبي (صلى الله عليه وآله) حسان على تنازله عن حقّه في الاقتصاص من صفوان، بأن أهداه أرضاً واسعة وجارية هي **سيرين** أخت مارية القبطية عليها السلام.[٢]

فلاحظ أن اعتذار صفوان إنما انحصر في كون حسان قد (آذاه وهجاه وسفهه وحسده) ولم يقل أنه قد قذفه، ولو كانت قصة الإفك على ما ترويه عائشة صحيحة لكان الأبلغ في

---

(١) هذه صورة أخرى رائعة من صور «عدالة الصحابة رضي الله عنهم أجمعين أكتعين أبتعين أبصعين»!

(٢) راجع سيرة ابن هشام ج٣ ص٣٥٢ وتاريخ الطبري ج٢ ص٦١٨ عن سيرة ابن اسحاق، وراجع أيضاً إمتاع الأسماع للمقريزي ص٢١١ ومغازي الواقدي ج٢ ص٤٣٧.

عذره أن يقول مثلا: «يا رسول الله؛ قد قذفني ورماني بالزنا بامرأتك»! بل لو كانت القصة صحيحة لما أهدى النبي (صلى الله عليه وآله) حساناً أرضاً وجارية وهو الذي بهت زوجته بمثل هذه التهمة الخطيرة!

ومهما يكن فإن البيت الأول على التسليم بصحة نسبته إلى صفوان فإنه لا إيماءة فيه إلى قصة الإفك، بل هو يومئ إلى قصة الهجاء الذي تمخّض عن التزاحم على ماء المريسيع. أما البيت الثاني فهو وإنْ كان يومئ إلى قصة الإفك إلا أنه لم تثبت نسبته إلى صفوان، فإن مصادر السيرة والتاريخ بدءاً من سيرة ابن اسحاق في القرن الثاني ثم سيرة ابن هشام في الثالث وتاريخ الطبري في الرابع؛ لم تذكره على الإطلاق وإنما ذكرت البيت الأول، نعم إن ابن الأثير في أسد الغابة قد ذكر الثاني في ترجمته لصفوان، وابن الأثير من أبناء القرن الخامس وقد ذكر هذا البيت مرسلاً، فيكون قد أخذه من الطبراني والحاكم، وهما إنما روياه عن عائشة لا غيرها! ومطلوبنا هو رواية عن غيرها تنتهي إلى صفوان باعتباره بطل القصة الآخر، أو إلى أيٍّ غيره ممن شهد الواقعة المزعومة حتى نطمئن إلى صدق وقوعها، ولسنا نريد الفرار من عائشة إلى.. عائشة!

وحتى لو سلّمنا جدلاً بأن البيت الثاني صحيح النسبة إلى صفوان، فإنه لا صراحة فيه على أن عائشة هي المقصودة من قوله: «**مِنَ الْبَاهِتِ الرَّامِي الْبُرَاةِ الطَّوَاهِرِ**»؛ إذ قد تكون المقصودة منه أمّه التي هجاها حسان أيضاً على ما رواه الصنعاني عن الزهري عن الوليد ابن عبد الملك.[1] وهذا وإن كان بعيداً إلا أنه خادش أقلاً.

ومن باب الاستطراد؛ نسجّل ههنا تبايناً بين مفهوم البيت الأول المنسوب إلى صفوان وبين رواية يرويها المخالفون؛ فإن المفهوم من قوله: «**غُلامٌ إِذَا هُوجِيتُ لَيْسَ بِشَاعِرِ**» أنه لا

(١) مصنف الصنعاني ج١٠ ص١٦٢

يُحسن من الشعر ما يتصدّى به لمن يهجوه، فيكون ردّه عليه بالسيف كما حصل منه تجاه حسان، وبمعنى إجمالي آخر أنه ليس بالذي تستغرق فيه صفة الشاعر. غير أننا نجد البخاري والطبراني وغيرهما يرويان أنه كان شاعراً! بل وشاعراً خبيث اللسان أيضاً بنص من رسول الله صلى الله عليه وآله!

روى البخاري والطبراني عن سعد مولى أبي بكر قال: «**شكا رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوان بن المعطل فقال: إن صفواني هجاني! وكان يقول الشعر. قال: دعوا صفوان فإنه خبيث اللسان طيّب القلب**»![1]

فعلى هذا كيف يمكن التسليم بقضية ضربه لحسان لأنه هجاه ولم يكن يتمكن من ردّ هجائه بمثله فعدل إلى السيف قائلا: «**غُلامٌ إِذَا هُوجِيتُ لَيْسَ بِشَاعِرِ**»؟! اللهم إلا أن يقال أنه كان يهجو الناس، فإذا هجوه لم يكن يردّ عليهم شعراً بل يستعمل سيفه ويتخلى عن كونه شاعراً، وهذا معنى قوله المزبور.

والحاصل؛ أن الاستشهاد بالبيتين المنسوبين إلى صفوان لتعضيد الذي روته عائشة لا يتم، فينحصر إذ ذاك طريق نقل قصة الإفك المذكورة بعائشة، ويبقى الإشكال في محلّه.

إن قيل: قد جاء حديث عن ابن عمر فيه ذكر الإفك وما تعرّضت له عائشة، فكيف تقولون أن طريق القصة انحصر بها؟

قلنا: هذا هو عين الحديث الذي نقلناه آنفا عن الطبراني،[2] وفيه بعد مقدّمة وجيزة من ابن عمر عن القرعة التي كان يجريها النبي (صلى الله عليه وآله) حين يخرج: «**قالت عائشة**:

(١) التاريخ الكبير للبخاري ج٤ ص٤٧ والمعجم الكبير للطبراني ج٦ ص٥٤ وغيرهما كثير.

(٢) راجع ص٣٢٢ من هذا الكتاب.

فقلتُ في نفسي إلى ما يصلحوا رَحْلَ أمّ سلمة أقضي حاجتي.. إلخ». فالحديث إذن أخذه ابن عمر من عائشة أيضاً! وما التفاصيل التي وردت فيه إلا روايةً عنها بقولها!

إن قيل: فقد جاء حديث عن ابن عباس في شأنها.

قلنا: هو الذي نقلناه عن الطبراني أيضاً،[١] ولا محيص من اعتبار أنه أخذه من عائشة أيضاً، ذلك لأن ابن عباس إنما قَدِمَ المدينة مهاجراً مع أبيه قبيل فتح مكة بقليل أي في السنة الثامنة من الهجرة،[٢] فيما غزوة بني المصطلق التي تزعم عائشة حصول القصة عقيبها وقعت إما في السنة الرابعة كما ذكره البخاري عن موسى بن عقبة،[٣] وإما في السنة الخامسة كما ذكره الواقدي،[٤] وإما في السنة السادسة كما ذكره البخاري عن ابن إسحاق،[٥] ولم يتعدَّ أحدٌ من أهل السير السنة السادسة كحدٍّ أقصى، وعليه لا يكون ابن عباس حاضراً فيها ولا شاهداً على شيء من فصولها وتوابعها، فلا يكون حديثه إلا مروياً عن غيره وهو عائشة، سيّما مع ملاحظة ما ورد فيه من تفاصيل لم يروها أحدٌ غيرها ولا يمكن لأحدٍ أن يرويه سواها.

على أن في حديثه هذا عللاً تقدح في صحته وتمنع من التسليم به، إذ ورد فيه: «**فاستيقظ النبي صلى الله عليه وسلم والناس قد ارتحلوا..**» وهذا محال إذ لا يمكن أن يرتحل المسلمون والنبي (صلى الله عليه وآله) نائم ودون أن يأمر هو بذلك! كما ورد فيه: «**فاستيقظ رجلٌ من**

---

(١) راجع ص٣٢٠ من هذا الكتاب.

(٢) راجع الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ج٣ ص٥١١

(٣) صحيح البخاري ج٥ ص٥٤ وذكره المسعودي في مروج الذهب ج٢ ص٢٨٩

(٤) مغازي الواقدي ج١ ص٤٠٤

(٥) صحيح البخاري ج٥ ص٥٤ وعليه جلّ المؤرخين وأصحاب السير كما في سيرة ابن هشام ج٣ ص٣٠٢ والسيرة الحلبية ج٢ ص٢٧٩ والبداية والنهاية ج٤ ص١٥٦ وغيرها.

الأنصار يُقال له: صفوان بن المعطَّل، وكان لا يقرب النساء..» وهذا مُضحك لأن صفوان ابن المعطّل كان من المهاجرين ولم يكن من الأنصار بالإجماع! وستضحك أكثر عندما تعلم بأن صفوان لم يكن يقرب النساء فحسب؛ بل كان رجلاً شهوانياً لا يصبر عليهنّ! فالبث يسيرا.

إن قيل: فقد جاء حديث عن أبي اليسر الأنصاري.

قلنا: هو حديث الطبراني أيضاً الذي نقلناه،[١] وهو أيضاً مأخوذ من عائشة إذ جاء فيه: «**أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة: يا عائشة قد أنزل الله عذرك. فقالت: بحمد الله ولا بحمدك**»! ولم يكن أبو اليسر بطبيعة الحال حاضراً بين النبي (صلى الله عليه وآله) وعائشة في البيت ويسمع ما يجري بينهما في هذه المحاورة، فلا شكّ أنه تلقّاه منها.

إن قيل: ثمة حديث عن أبي هريرة، وهو الذي رواه البزار وابن مردويه عنه قال: «**كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه، فأصاب في غزوة بني المصطلق، فلما كان في جوف الليل انطلقت عائشة لحاجة فانحلّت قلادتها، فذهبت في طلبها وكان مِسْطح يتيماً لأبي بكر وفي عياله، فلما رجعت عائشة لم تَرَ العسكر. قال: وكان صفوان ابن المعطل السلمي يتخلّف عن الناس، فنصب القدح والجراب والإداوة. أحسبه قال: فيحمله. قال: فنظر فإذا عائشة! فغطّى. أحسبه قال: وجهه عنها. ثم أدنى بعيره منها. قال: فانتهى إلى العسكر. فقالوا قولا وقالوا فيه. قال: ثم ذكر الحديث حتى انتهى. قال: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجيء فيقوم على الباب فيقول: كيف تيكم؟ حتى جاء يوماً فقال: أبشري يا عائشة؛ فقد أنزل الله عذرك! فقالت: بحمد الله لا بحمدك! قال: وأنزل الله في ذلك عشر**

---

(١) راجع ص٣٢٧ من هذا الكتاب.

آيات: إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ.. قال: فحَدَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم مِسْطَحاً وحَمنة وحسّان».[١]

قلنا: هذا حديث أيضاً مأخوذ من عائشة! ذلك لأن أبا هريرة بالاتفاق لم يكن حاضراً في غزوة المريسيع أو غزوة بني المصطلق، فإنه قَدِمَ المدينة مهاجراً في السنة السابعة من الهجرة حين كان النبي (صلى الله عليه وآله) مشغولاً بمعركة خيبر،[٢] أما المريسيع فقد وقعت على أقصى تقدير في السنة السادسة كما أسلفنا، وقد أكد ابن حجر أن أبا هريرة «**هاجر بعد قصة الإفك بزمان**».[٣] فلا مفرّ من القول أنه إنما أخذ هذا الحديث من عائشة.

ويؤكد أخذه عنها أن فيه قولها للنبي صلى الله عليه وآله: «**بحمد الله لا بحمدك**»! فمن أين عَلِمَ بأنها قالت هذا وهو الذي لم يكن حاضراً معهما لو لا أن عائشة حدّثته به أو غيرها عنها؟!

إن قيل: قد روى الواقدي في شأن نزول قوله تعالى: «**وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ**» عن أفلح مولى أبي أيوب أن أم أيوب قالت لأبي أيوب: «**ألا تسمع ما يقول الناس في عائشة؟ قال: بلى، وذلك الكذب. أَ فكنتِ يا أم أيوب فاعلةً ذلك؟ فقالت: لا والله! قال: فعائشة والله خيرٌ منكِ**» فنزلت الآية.[٤] فلم تنحصر أحاديث الإفك بما روي عن عائشة فها هو ذا أبو أيوب الأنصاري وامرأته.

---

(١) مجمع الزوائد للهيثمي ج٩ ص٢٣٠ عن البزار والدر المنثور للسيوطي ج٥ ص٢٩ عنه وعن ابن مردويه.

(٢) التاريخ الصغير للبخاري ج١ ص٤٤ وفيه حديث عنه، وقال النووي في المجموع ج٢ ص٤٣: «**قدم أبو هريرة على النبي صلى الله عليه وسلم سنة سبع من الهجرة**».

(٣) فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر ج١٢ ص١٤١

(٤) مغازي الواقدي ج٢ ص٤٣٤

قلنا: مع صرف النظر عن أن الواقدي نفسه قد روى نظير هذا الحديث بعده عن أُبيّ ابن كعب فوقع الترديد الذي يُشعر باختلاق الحديث،[١] ومع صرف النظر أيضاً عن أن أفلح لم يكن حين وقوع قضية الإفك المزعومة موجوداً في المدينة ولم يكن قد صار بعدُ مولىً لأبي أيوب لأنه من سبي عين التمر في عهد أبي بكر؛[٢] فإن أصل هذا الحديث - وهو نزول الآية في شأن ما جرى بين أبي أيوب رحمه الله وامرأته - جاء من عائشة!

وذلك ما رواه الواحدي عن الزهري عن عروة: «**أن عائشة رضي الله عنها حدثته بحديث الإفك، وقالت فيه: وكان أبو أيوب الأنصاري حين أخبرته امرأته وقالت: يا أبا أيوب ألم تسمع بما تحدّث الناس؟ قال: وما يتحدّثون؟ فأخبرته بقول أهل الإفك، فقال: ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم، قالت: فأنزل الله عز وجل: وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ**»![٣]

---

(١) قال الواقدي في المصدر نفسه: «**فلمّا نزل القرآن وذكر أهل الإفك قال الله تعالى: وَلَوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ، يعني أبا أيوب حين قال لأم أيوب، ويُقال: إنما قالها أُبيّ ابن كعب، فحدّثني خارجة بن عبد الله بن سليمان عن إبراهيم بن يحيى عن أم سعد بنت سعد بن ربيع قالت: قالت أم الطفيل لأُبي بن كعب: ألا تسمع ما يقول الناس في عائشة؟ قال: أيُّ ذلك؟ قالت: ما يقولون. قال: هو والله الكذب! أَوَ كنتِ تفعلين ذلك؟ قالت: أعوذ بالله! قال: فهي والله خيرٌ منكِ، قالت: وأنا أشهد. فنزلت هذه الآية**».

(٢) وهذا ما نصّ عليه الواقدي نفسه إذ جاء في ترجمة أفلح في الطبقات الكبرى لابن سعد ج٥ ص٨٧: «**قال محمد بن عمر** (الواقدي): **وكان أفلح من سبي عين التمر الذين سبى خالد بن الوليد في خلافة أبي بكر الصديق وبعث بهم إلى المدينة**».

(٣) أسباب النزول للواحدي ص١١٦ وتاريخ دمشق لابن عساكر ج٢٩ ص٣٣٥

وعليه؛ ليس هذا الحديث بخارج عن فلك عائشة وما اصطنعته من آثار وروايات وأساطير لتدعيم وقوع الإفك عليها!

إن قيل: يبقى لنا حديث البخاري عن مسروق بن الأجدع عن أم رومان أم عائشة.[١]

قلنا: هذا أيضاً لا يبقى! لأن مسروقاً هذا لم يأتِ المدينة إلا بعد استشهاد النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) فيما أم رومان قد توفيت في حياته صلى الله عليه وآله! ومعنى هذا أنه لم يدركها فكيف يحدّث عنها؟! وهذا ما دفع بعض علماء المخالفين للإنكار على البخاري لإخراجه هذا الحديث الموهوم.

قال الخطيب: «**أخرج البخاري عن مسروق عن أم رومان رضي الله عنها وهي أم عائشة طرفاً من حديث وهو وهم! لم يسمع مسروق من أمر رومان رضي الله عنها لأنها توفيت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وكان لمسروق حين توفيت ست سنين! وخَفِيَتْ هذه العلة على البخاري، وأظنّ مسلماً فطن لهذه العلة فلم يخرجه له**».[٢]

وقال المقدسي الشيباني: «**وأُنْكِرَ على البخاري إخراج حديثه عن أم رومان، إذ كانت بلا خلاف قد توفيت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يكن مسروق حينئذ! وهو حديث واحد**».[٣]

وقال الزركشي: «**روى البخاري لأم رومان حديثاً واحداً من حديث الإفك من رواية مسروق عنها، ولم يلقها! وقيل: عن مسروق: حدّثتني أم رومان.. وهو وَهْمٌ. ونقل النووي أن ابن اسحاق سمّاها في السيرة زينب وفي الروض للسهلي اسمها دعدة. و ذكر محمد بن سعد**

(١) مرّ معنا حديثه في هذا الكتاب ص٣١٣

(٢) مقدمة فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر ص٣٧١ عن الخطيب.

(٣) الجمع بين رجال الصحيحين للمقدسي الشيباني ج٢ ص٥١٧

و غيره أن أم رومان ماتت في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة ست من الهجرة ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبرها، و هذا يقوّي الإشكال على إخراج البخاري رواية مسروق عنها. لكن أنكر قوم موتها في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم أبو نعيم الأصفهاني، ولا عمدة لمن أنكره إلا رواية مسروق».(١)

إلا أن البخاري لم يكن يعتبر نفسه متوهّماً، فقد كان مصرّاً على مناقضة الواقع التاريخي وضرب أقوال المؤرخين عرض الحائط وإنكار أن أم رومان توفيت في عهد النبي صلى الله عليه وآله! فقال في تاريخه الصغير تعليقا على حديث الإفك الذي رواه عن مسروق عن أم رومان: «**وروى علي بن زيد عن القاسم: ماتت أم رومان زمن النبي صلى الله عليه وسلم. وفيه نظر! وحديث مسروق أَسْنَدْ**».(٢)

وهكذا ينفرد البخاري برواية يصرّ على صحّتها دون إخضاعها لأقوال المحدّثين والمؤرخين وأهل السير الذين نصّوا على أن مسروقاً لم يلقَ أم رومان! وما عشتَ أراك الدهر عجبا!

إن الحقيقة هي أن مسروقاً لم يدرك أم رومان، وإنما أدرك عائشة وحدّث عنها كثيراً كما هو معلوم، فهذا الحديث الذي انفرد به البخاري ولم يقبله مسلم والباقون إنما هو عنها وإن

---

(١) الإجابة لما استدركته عائشة على الصحابة للزركشي ص٣٨، وقوله: «**لا عمدة لمن أنكره إلا رواية مسروق**» ظاهر في أن القوم إنما أرادوا حفظ ماء وجه البخاري بأي ثمن ولو بإنكار المسلّمات التاريخية!

(٢) التاريخ الصغير للبخاري ج١ ص٦٣، وهو كما ترى إنما ينقض الواقع بهذا الحديث الواحد الذي اعتبر إسناده أقوى من غيره! وقد حاول ابن حجر الدفاع عنه وتقوية رأيه بمختلف أنواع التمحّلات التي لا يهمّنا الاستغراق في ذكرها وإطالة الكلام بردّها.

وقع الوهم والخبط في إسناده إلى أم رومان. وقد احتمل ذلك ابن عبد البرّ فقال: «**رواية مسروق عن أم رومان مرسلة، ولعلّه سمع ذلك من عائشة**».[١]

فها نحن إذن نلفّ وندور ثم نرجع إلى عائشة! حيث تبيّن لنا أن جميع طرق هذه القصة المختلقة تنتهي إليها وحدها، فأنّى لنا أن نصدّقها وهي التي شهدت على نفسها بالكذب كما مرّ في قصة المغافير؟! وكيف لنا أن نطمئن إلى ما ترويه في تزكية نفسها دون أن نجد له حتى مؤيّداً واحداً عن غيرها من المئات والآلاف الذين شهدوا هذه الحادثة المزعومة وتتابعاتها؟!

• **الإيراد الثاني**؛ قد جاء في أحاديث عائشة وأذنابها وجود عدد من الأشخاص الذين لعبوا أدواراً معيّنة في قضية الإفك وتتابعاتها، ومن هؤلاء: زينب بنت جحش، وأختها حَمْنة، وسعد بن مُعاذ، وبَريرة الجارية، وعبد الرحمن بن أبي بكر. كما تنصّ على أن زيد بن حارثة كان ميّتاً حينذاك فاستشار النبي (صلى الله عليه وآله) ابنه أسامة بدلاً عنه. كما تذكر أن الحجاب على نسائه (صلى الله عليه وآله) كان قد فُرِض ونزل به القرآن قبل وقوع القضية.

وهذه الأمور المذكورة أمارات على بطلان القصة، لأنها تناقض الواقع التاريخي وأحداثه المشهورة. ذلك لأنه قد حُصِرَت الأقوال في تاريخ غزوة المريسيع في ثلاثة، هي وقوعها في السنة الرابعة أو الخامسة أو السادسة من الهجرة النبوية الشريفة، على ما مرّ عليك.[٢]

فإذا قلنا أنها قد وقعت في السنة الرابعة؛ فإن زينب بنت جحش لم تكن حينئذ زوجة للنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ إنه تزوّجها في السنة الخامسة!

---

(١) الاستيعاب لابن عبد البر ج٢ ص١٢٨

(٢) راجع ص٣٣٦ من هذا الكتاب.

روى الواقدي عن عثمان بن عبد الله الجحشي قال: «**تزوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش لهلال ذي القعدة سنة خمس من الهجرة وهي يومئذ بنت خمس وثلاثين سنة**».[١] وقال المقريزي: «**قد ذكر علماء الأخبار أن تزويجه صلى الله عليه وسلم بزينب كان في ذي القعدة سنة خمس**».[٢] وقال البلاذري: «**تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش في سنة خمس لهلال ذي العقدة**».[٣]

فإن قيل: فإنّا نختار احتمال تزويجها سنة ثلاث وهو ما ذكره ابن حجر إذ قال: «**تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم سنة ثلاث وقيل سنة خمس، ونزلت بسببها آية الحجاب**».[٤]

قلنا: إن ابن حجر وغيره لم يذكروا سنة ثلاث إلا لتصحيح حديث إفك عائشة، وإلا فهو مردود بما نصّت عليه عائشة نفسها من أن زواجها كان بعد المريسيع! والفرض أنه كان في سنة أربع. روى الواقدي عن عمرة بن عبد الرحمن قالت: «**سألتُ عائشة: متى تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش؟ قالت: مرجعنا من غزوة المريسيع أو بعده**

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج٨ ص١١٤

(٢) إمتاع الأسماع للمقريزي ص١٠٦

(٣) أنساب الأشراف للبلاذري ج١ ص١٩١

(٤) الإصابة لابن حجر ج٨ ص١٥٣

بيسير».[١] ولذا ردّ البلاذري على من زعم أنها زُوِّجت سنة ثلاث بقوله: «**وكانت المريسيع في شعبان سنة خمس. ويُقال: إنه تزوّجها في سنة ثلاث، وليس ذلك بثبت**».[٢]

وعليه؛ كيف تزعم عائشة أن النبي (صلى الله عليه وآله) قد استشار في شأنها زينب بنت جحش قائلة: «**وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي فعصمها الله بالورع**» ولم تكن زينب آنذاك زوجة لنبي الله (صلى الله عليه وآله) أصلاً؟! وكيف تزعم عائشة أن حمنة بنت جحش شاركت في رميها بالزنا بدافع انحيازها لأختها قائلة: «**وطَفِقَت أختها حَمَنة تحارب لها فهلكت فيمن هلك**»؟! هذا إنْ قلنا بأن غزوة المريسيع قد وقعت في السنة الرابعة.

أما إنْ قلنا بأنها وقعت في السنة الخامسة، فإن ذلك يصادم ما نصّت عليه عائشة في أحاديثها من أن الأمر بالحجاب كان قد نزل![٣] وذلك قولها: «**فخرجتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما أُنزل الحجاب**» كما برّرت معرفة صفوان لها بأنه قد رآها قبل ذلك بقولها: «**فعرفني حين رآني، وكان رآني قبل الحجاب**» إذ لو لم يكن قد رآها لما كان له أن يعرفها بعدما احتجبت.

والحاصل أنها زعمت أن الحجاب كان قد فُرِض على نساء النبي (صلى الله عليه وآله) وقتذاك. بيد أن هذا محال! لأن الحجاب إنما فُرض بعد غزوة المريسيع، وتحديداً في ذي القعدة

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج٨ ص١١٤، وحديث عائشة هذا كافٍ لإبطال ما وضعته في قصة الإفك، إذ لا يُعقل أن يُقدم النبي (صلى الله عليه وآله) على استشارة زوجته زينب واستطلاع رأيها قائلاً: «**ماذا علمتِ أو رأيتِ**»؟ والحال أنه تزوّجها حديثاً وبعد وقوع الحادثة المزعومة فكيف تشهد بما لم ترَ وبما لم تعهد؟! إذ إنه لم يكن بينها وبين عائشة معاشرة طويلة تستطيع أن تكوّن من خلالها رأياً عنها، فلا يكون ثمة وجه لاستشارتها.

(٢) أنساب الأشراف للبلاذري ج١ ص١٩١

(٣) ذلك هو الحجاب الخاص لنساء النبي صلى الله عليه وآله، وذلك قوله تعالى: «**وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ**». الأحزاب: ٥٤

من السنة الخامسة، والغزوة كانت في شعبان من السنة نفسها كما مرّ عليك، وذو القعدة متأخر عن شعبان!

روى ابن سعد عن صالح بن كيسان قال: «**نزل حجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على نسائه في ذي القعدة سنة خمس من الهجرة**».[1]

ومما يؤكد ذلك تضافر الروايات على أن الحجاب فُرِض صبيحة زواج النبي (صلى الله عليه وآله) بزينب بنت جحش، وهو الذي تمَّ في ذي القعدة من السنة الخامسة كما تقدّم. وكان السبب في ذلك على ما أوضحته الروايات أن أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) من أهل البلاهة ما كانوا يجدون حرجاً ولا غضاضة في أن يمكثوا في بيت زوجته زينب معها بعدما أَوْلَمَ النبي (صلى الله عليه وآله) لهم فيه بمناسبة زواجه بها، وذلك رغم أنه قد قام عنهم وخرج فكان يفترض بهم أن يستحوا ويخرجوا إلا أنهم لم يفعلوا! فأنزل الله تعالى آية الحجاب لمنع هذه التصرفات الخرقاء مستقبلاً ولصيانة نساء النبي (صلى الله عليه وآله) عن أن يخالطهنّ الرجال.

روى ابن سعد عن أنس قال: «**نزل الحجاب مُبْتَنى رسول الله بزينب بنت جحش، وذلك سنة خمسٍ من الهجرة، وحَجَبَ نساءه مني يومئذ وأنا ابن خمس عشرة**».[2] وقال ابن كثير: «**ثم تزوّج زينب بنت جحش في سنة خمس من ذي القعدة، و قيل: سنة ثلاث، و هو ضعيف. و في صبيحة عرسها نزل الحجاب، كما أخرجاه في الصحيحين عن أنس**».[3] وقال البلاذري: «**وأولم رسول الله صلى الله عليه وسلم على زينب بشاة، ودعا الناس فطعموا، ثم**

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج٨ ص١٧٦

(٢) المصدر نفسه ج٨ ص١٧٤. ومُبتنى رسول الله: يوم دخول رسول الله (صلى الله عليه وآله) بزينب.

(٣) الفصول لابن كثير ج١ ص١٠٥

جلسوا يتحدثون، ولم يقوموا فـآذوا النبـي صـلى الله عليـه وسـلم، فـأنزل الله عـز وجـل آيـة الحجاب».[(١)] وقال المقريزي: «**لا خلاف أن الحجاب نزل صبيحة دخول رسول الله صـلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش**».[(٢)]

وحتى لو صرفنا النظر عن تأريخ زواج النبي (صلى الله عليه وآله) بزينب، فإن الحـديث الذي نقلناه آنفاً والذي ذكرت فيه عائشة أن زواجه بها كان بعد **مرجعهم من غزوة المريـسيع** يكذّب حديث الإفك الذي اختلقته! فحيث أن الحجاب لم ينزل إلا في صبيحة عـرس زينـب الذي كان بعد الغزوة؛ فكيف ناقضت نفسها وزعمت أن ما جرى لها في الغـزوة كـان **بعـدما أُنزل الحجاب؟!**

ويبدو أن عائشة شـعرت بوقوعهـا في هـذا التنـاقض بعـد ذلـك، فحاولـت اسـتدراكه باختلاق حديث آخر تفكّ فيه الارتباط بين وليمة عـرس زينـب ونـزول الحجـاب، مخترعـة قصة أخرى لتكون سبباً لذلك، فقالت: «**كنت آكل مع النبي صلى الله عليـه وسـلم حيـساً في قعب، فمرَّ عمر رضي الله تعالى عنه فدعاه فأكل، فأصابت إصـبعه إصـبعي! فقـال: حـس أو أوه! لو أطاع فيكنَّ ما رأتكنَّ عين! فنزل الحجاب**»![(٣)]

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري ج١ ص١٩١

(٢) إمتاع الأسماع للمقريزي ص١٠٦

(٣) سنن النسائي ج٦ ص٤٣٥، والحيس: طعام يُتّخذ من التمر والإقط والسمن، والقعب: القدح الـضخم. ولسنا في وارد تفنيد هذا الحديث، إذ اللبيب بالإشارة يفهم أنه لا يمكن أن يكون سيد الأنبياء (صلى الله عليـه وآله) عديم الغيرة إلى حدّ أنه يسمح لزوجته بأن تأكـل إلى جنـب رجـل أجنبـي بهـذا القـرب الـذي أدّى إلى تلامس أصابعهما حتى وإنْ لم يكن الأمر بالحجاب – بمعنى الاحتجاب لا التستّر – قد نزل بعد!

ثم إن الملاحظ لسياق آية الحجاب يرى أنها تتوافق مع ما رُوي في شأن نزولها يـوم أولم النبـي (صـلى الله عليـه وآله) لأصحابه حين عرّس بزينب بنت جحش، إذ الآية الكريمة توبّخ هؤلاء على أنهـم قـد بقـوا في بيـت =

وكذا أرادت عائشة أن تضرب عصفوراً آخر بحديثها هذا حيث توهم الناس بأن عمر ابن الخطاب كان أكثر غيرة من رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى درجة أنه كان «يأمره» بأن يحجب نساءه لكن النبي لم يكن «يطيعه»!

غير أن أنس بن مالك لم يستسغ هذا الاختلاق من عائشة، فتصدّى لتكذيبها بأسلوب غير مباشر، وذلك بتأكيده على أن الحجاب إنما نزل في شأن زواجه (صلى الله عليه وآله) بزينب بنت جحش، وأنه – أي أنس – أعلم الناس بذلك، معرضا بعائشة كما لا يخفى.

روى البخاري والطبراني وغيرهما واللفظ للأول عن أنس قال: «**خدمتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم عشراً حياتَه، وكنت أعلم الناس بشأن الحجاب حين أُنزل، وقد كان أُبيّ ابن كعب يسألني عنه، وكان أوّل ما نزل في مُبْتنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب ابنة جحش. أصبح النبي صلى الله عليه وسلم بها عروساً فدعا القوم فأصابوا من الطعام ثم خرجوا وبقي منهم رهط عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأطالوا المكث، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج وخرجت معه كي يخرجوا، فمشى رسول الله ومشيتُ معه حتى جاء عَتَبة حجرة عائشة، ثم ظنّ رسول الله أنهم خرجوا فرجع ورجعتُ معه حتى دخل على زينب فإذا هم جُلوس لم يتفرّقوا! فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجعتُ معه**

= النبي وطعموا ولكنهم لم ينصرفوا وينتشروا، وذلك قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ وَلا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمًا». الأحزاب: ٥٤

حتى بلغ عَتَبة حجرة عائشة، فظنّ أن قد خرجوا فرجع ورجعتُ فإذا هم قد خرجوا، فـأنزل الله آية الحجاب، فضرب بيني وبينه سترا».[١]

وروى السيوطي عن ابن سعد والطبري وابن مردويه عن أنس قال: «**ما بَقِيَ أحدٌ أعلـم بالحجاب منّي، ولقد سألني أُبي بن كعب فقلتُ: نزل في زينب**».[٢]

فالحجاب إذن لم ينزل إلا يوم عرس زينب، وقد كان متأخراً عن غزوة المريـسيع بـشهادة عائشة نفسها، وبذلك هي تناقض نفسها حين زعمت أنه كان قد نزل قبل ذلك.[٣]

ومما يعضِّد عدم نزولـه وأنـه في واقـع الحـال متـأخر عـن تـأريخ هـذه الغـزوة مـا رواه المخالفون في شأن **عُيَيْنة بن حصن الفزاري** الذي قَدِم على النبي (صلى الله عليـه وآلـه) ورأى عائشة عنده قبل نزول الحجاب فطلب أن يبادلها بزوجته فرفض لأن الله تعـالى حـرّم مبادلـة الزوجات على نحو ما كان من أمر الجاهلية.

---

(١) صحيح البخاري ج٧ ص١٢٨ والمعجم الأوسط للطبراني ج٨ ص١٩١ وغيرهما كثير.

(٢) الدر المنثور للسيوطي ج٥ ص٢١٣

(٣) أوقعت عائشة أتباعها في حيص بيص بسبب هذا التناقض وسائر التناقضات التي وردت في قصة الإفك التي اختلقتها! ومن جُملة هؤلاء ابن حجر العـسقلاني الـذي تـصدّى لـشرح صـحيح البخـاري، فإنـه التـزم بالثابت تاريخياً من أن الحجاب نزل حين دخول النبي (صلى الله عليه وآله) بزينب، ووجد أن زواجها متـأخر عن غزوة المريسيع - التي جرت فيها قصة الإفك على ما زعمته عائشة - فأثبت في أوائل كتاب الوضـوء مـن صحيح البخاري أن الإفك وقع قبل نزول الحجاب، ثم لما استمرّ في شرحه ووصل إلى كتاب التفسير التفـت إلى أن عائشة تزعم أن الإفك وقع بعد نزول الحجاب! فاضطر للعدول عن قولـه الأول كـي لا يكـذِّبَ أمّـه عائشة! معتذراً لقُرّائه وراجياً منهم أن يصلحوا عبارته الأولى! فقال في فتح الباري ج٨ ص٣٥١: «**كنـتُ قـد أمليتُ في أوائل كتاب الوضوء أن قصة الإفك وقعت قبل نزول الحجاب، وهو سهو! والصواب بعـد نـزول الحجاب، فليُصْلَح هناك**»!

روى البلاذري عن المدائني عن هشام بن عروة قال: «**دخل عُيَيْنَةُ بن حِصن الفزاري على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عائشة، وذلك قبل أن يُضْرَب الحجاب، فقال: مَن هذه الحميراء يا رسول الله؟ قال: هذه عائشة بنت أبي بكر. قال: أَفَلا أنزل لك عن أجمل النساء؟ فقال صلى الله عليه وسلم: لا. فلمّا خرج، قالت عائشة: من هذا يا رسول الله؟ قال: هذا الأحمق المُطاع في قومه**»![1]

وعُيَينة بن حصن هذا معلومٌ أنه كان من قادة الأحزاب يوم الخندق ولم يُسلم إلا قبل فتح مكة بيسير،[2] أي في السنة الثامنة، وها أنت ترى أنه لما قَدِمَ على النبي (صلى الله عليه وآله) مسلماً رأى عائشة «**وذلك قبل أن يُضْرَب الحجاب**»، ما يدعم أن فرض الحجاب كان متأخراً عن يوم المريسيع بمدّة إذ لا قول بأن يوم المريسيع تجاوز السنة السادسة على الأبعد، فلو كان حديث عائشة في الإفك صحيحاً وأن الحجاب كان قد نزل قبل المريسيع لما كان يمكن أن يراها عُيينة إلى جوار النبي (صلى الله عليه وآله) فيسأل: «**مَن هذه الحميراء يا رسول الله**»؟ لأن الحجاب يكون مفروضاً آنئذ، غير أن الحديث كان واضحاً إذ جاء فيه:

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري ج١ ص١٨٣ وفي سنن الدارقطني ج٣ ص١٤٤ عن أبي هريرة قوله صلى الله عليه وآله: «**يا عيينة؛ إن الله قد حرّم ذلك. قال: فلمّا أنْ خرج قالت عائشة: يا رسول الله مَن هذا؟ قال: هذا أحمقٌ مُطاع! وإنه على ما تَرَيْن لسيد قومه**»! ورواه أيضاً البزّار على ما في مجمع الزوائد للهيثمي ج٧ ص٩٢ والواقدي على ما في سير أعلام النبلاء للذهبي ج٢٨ ص٢١٨.

وتحريم مبادلة الزوجات جاء في قوله تعالى: «**لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ**». الأحزاب: ٥٣

(٢) تاريخ الطبري ج٢ ص٢٣٤ وسير أعلام النبلاء للذهبي ج٢٨ ص٢١٦ عن الواقدي بسنده عن ابن المسيّب: «**كان عُيينة بن حصن أحد رؤوس الأحزاب (...) فلما انكشف الأحزاب رد عُيينة إلى بلاده، ثم أسلم قبل الفتح بيسير**».

«**وذلك قبل أن يُضْرَب الحجاب**» ولازمه بطلان حديث عائشة في الإفك الذي جاء فيه: «**فخرجتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدما أُنزل الحجاب**»!

وهكذا ترى أنه لا يتماشى مع حقائق التاريخ القول بأن غزوة المريسيع وقضية الإفك التي تضمّنتها قد وقعتا في السنة الخامسة. فلا يبقى سوى التشبّث بالاحتمال الأخير وهو أنهما وقعتا في السنة السادسة.

إلا أننا حتى إنْ جزمنا بذلك واستطعنا الفرار من بعض التناقضات والإشكالات السابقة، فإنه ستفاجئنا مشكلة أخرى! وهي ورود اسم سعد بن مُعاذ (رضوان الله عليه) في القصة التي احتبكتها عائشة، والحال أنه لم يكن حياً آنذاك لأنه كان قد استشهد بُعَيْد غزوة بني قريظة كما هو معلوم![1]

وغزوة بني قريظة وقعت بعد معركة الأحزاب مباشرةً في السنة الخامسة من الهجرة كما نصّ عليه الواقدي في باب غزوة بني قريظة إذ قال: «**سار إليهم النبي صلى الله عليه وسلم يوم الأربعاء لسبعٍ بقين من ذي القعدة، فحاصرهم خمسة عشر يوما، ثم انصرف يوم الخميس لسبعٍ خَلَوْنَ من ذي الحجة سنة خمس**».[2] وثمة قولاً آخر بأن الغزوة وقعت في السنة الرابعة، وادّعى القاضي عياض عليه إجماع أصحاب السير.[3]

---

(١) كان سعد قد جُرح يوم الخندق فسأل الله تعالى أن لا يميته إلا بعد «أن يقرّ عينه من بني قريظة» الذين خانوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) ونقضوا عهده ومالأوا المشركين، ولمّا وقعت غزوة بني قريظة طلب هؤلاء من النبي (صلى الله عليه وآله) أن ينزلوا على حكم سعد لأنه كان من حلفائهم في الجاهلية فظنوه يدرأ عنهم العقاب والقصاص، إلا أنه حكم على رجالهم بالقتل وعلى ذرياتهم بالسبي وعلى أموالهم بالقسمة، وبعد ذلك توفي الرجل شهيداً. راجع ترجمة سعد في الإصابة وأسد الغابة وغيرهما.

(٢) مغازي الواقدي ج١ ص٤٩٧، وبذا قال ابن مندة كما في ترجمة هشام بن صبابة من أسد الغابة.

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي ج١٧ ص١١٠ عن القاضي عياض.

ومهما يكن فإن غزوة بني قريظة متقدّمة على غزوة بني المصطلق كما نصّ عليه ابن هشام في معرض ترتيبه غزوات النبي (صلى الله عليه وآله) إذ قال: «**ثم غزوة الخندق، ثم غزوة بني قريظة، ثم غزوة بني لحيان من هذيل، ثم غزوة ذي قَرَد، ثم غزوة بني المصطلق من خزاعة**».[١]

والإجماع قائم على أن سعد بن مُعاذ قد استشهد مباشرة بعدما حَكَم على بني قريظة من أثر السهم الذي أصابه يوم الخندق. قال ابن خيّاط في ترجمته: «**استشهد في حياة رسول الله، رُمِيَ بسهم يوم الخندق فانتقض عليه حين حَكَم على بني قريظة، فمات منه وذلك في سنة خمس**».[٢] وقال ابن حجر في ترجمته: «**شهد بدراً باتفاق، ورُمِيَ بسهم يوم الخندق فعاش بعد ذلك شهراً حتى حَكَمَ في بني قريظة وأُجيبت دعوته في ذلك، ثم انتقض جرحه فمات، أخرج ذلك البخاري، وذلك سنة خمس**».[٣]

وقد اعترف علماء المخالفين بأن ذكره في روايات الإفك وهْمٌ كبير مع أن الرواة متفقون عليه أي على ذكر وجوده! قال ابن العربي: «**ذِكْرُ سعد بن مُعاذ وهمٌ اتفق فيه الرواة**».[٤]

وقال ابن حزم: «**هذا عندنا وهم لأن سعد بن مُعاذ مات إثر فتح بني قريظة بلا شك، وفتح بني قريظة في آخر ذي القعدة من السنة الرابعة من الهجرة، وغزوة بني المصطلق في شعبان من السنة السادسة، بعد سنة وثمانية أشهر من موته**».[٥]

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج٢ ص٦٠٨

(٢) طبقات خليفة بن خياط ج١ ص٧٧

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ج٣ ص٧٠

(٤) عمدة القاري في شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني الحنفي ج٢٠ ص٣٠٩ عن ابن العربي.

(٥) إمتاع الأسماع للمقريزي ص١٠٧ عن ابن حزم.

وقال القاضي عياض: «**هذا مشكل لم يتكلم فيه أحد وهو قولها (يعني عائشة): فقام سعد بن معاذ فقال: أن أعذرك منه.. وكانت هذه القصة في غزوة المريسيع وهي غزوة بني المصطلق سنة ست في ما ذكره ابن إسحاق، ومعلومٌ أن سعد بن معاذ مات في إثر غزاة الخندق من الرمية التي أصابته (...) قال بعض شيوخنا: ذِكْرُ سعد بن معاذ في هذا وهم والأشبه أنه غيره**».[(١)]

فالرجل استشهد إذن في سنة خمس بعد غزوة بني قريظة، أو في سنة أربع على القول الآخر، والفرض أن غزوة بني المصطلق (المريسيع) كانت في سنة ست، فكيف زعمت عائشة حضوره آنذاك بقولها: «**فقام سعد بن معاذ أخو بني عبد الأشهل فقال: أنا يا رسول الله أعذِرُك**.. إلخ»؟!

إن هذا هو ما حيّر علماء المخالفين وأوقعهم في مأزق التمسوا فيه أكثر من مخرج دون أن يتحقق لهم الخروج والخلاص من هذه الورطة! فهم بين زاعمٍ أن سعد بن مُعاذ المقصود ليس هو نفسه الذي استشهد بعد قريظة! وبين مدّعٍ أن القول المنسوب إلى سعدٍ لم يكن قوله وإنما هو قول أُسيد بن حُضير! وبين هاربٍ إلى القول بأن غزوة بني المصطلق قد وقعت قبل الخندق وقريظة لتصحيح حديث الإفك الذي روته عائشة بأية حيلة!

وما هذه إلا تمحّلات وتخرّصات، أما قول الزاعم فيردّه ما نصّت عليه عائشة من أن سعد بن مُعاذ المقصود هو «**أخو بني عبد الأشهل**» وليس هو إلا واحد في كل التراجم!

وأما قول المدّعي فيردّه ما نصّت عليه عائشة من أن كلا الرجلين - سعد وأُسيد - كانا حاضريْن ولكلٍّ منهما موقف وكلام مغاير لصاحبه، فكان كلام سعد: «**أنا يا رسول الله أعذرك فإن كان من الأوس ضربنا عنقه**.. إلخ» بينما كان كلام أُسيد لسعد بن عبادة: «**كذبتَ**

(١) شرح صحيح مسلم للنووي ج١٧ ص١٠٩ عن القاضي عياض.

لعمر الله لنقتلنّه فإنك منافق تجادل عن المنافقين.. إلخ» وسط تأكيد عائشة في روايتها أن أُسيد ابن حضير هو ابن عمّ سعد إذ قالت: «**فقام أُسَيْد بن حُضَيْر وهو ابن عمٍّ سعد فقال لسعد ابن عبادة: كذبت لعَمْرُ الله.. إلخ**» فكيف يُقال بعد هذا أن الرجل وابن عمّه هما شخص واحد؟!

وأما قول الهارب فإنّا نهمله لأنه أينما هرب ووضع تأريخ غزوة بني المصطلق سواءً في السنة الرابعة أو الخامسة فإنه سيصطدم بإشكالات تتعارض والواقع التاريخي كما سبق بيانه، فيكون حاله كحال المستجير من الرمضاء بالنار!

ثم إن في أحاديث عائشة عللاً أخرى تكشف عن بطلان قصة الإفك التي تضمنّتها أيّاً كان تقدير وقوع غزوة بني المصطلق، أي سواء قيل بأنها وقعت في السنة الرابعة أو الخامسة أو السادسة.

ومن تلك العلل ما ذكرته عائشة من أن أباها قال لها في تداعيات قضية الإفك: «**والله ما قيلَ لنا هذا في الجاهلية قطّ فكيف وقد أعزّنا الله بالإسلام؟ فبكتْ عائشة وأم رومان وأبو بكر وعبد الرحمن**».

ومكمن العلة ذكر عبد الرحمن بن أبي بكر في القصة، مع أنه لا يمكن أن يكون متواجداً معهم آنذاك في المدينة المنورة لأنه لم يكن قد أسلم بعدُ ولم يهاجر من مكة إلى المدينة!

إن عبد الرحمن متفق على أنه قد تأخر إسلامه، فمن قائلٍ أنه أسلم في أيام الهدنة أي في فترة ما بعد صلح الحديبية، ومن قائلٍ أنه أسلم قبل فتح مكة بيسير، ومن قائلٍ أنه إنما أسلم يوم الفتح فكان من الطلقاء.

قال ابن حجر في ترجمته: «**كان اسمه عبد الكعبة فغيّره النبي صلى الله عليه وسلم، وتأخر إسلامه إلى أيام الهدنة فأسلم وحَسُنَ إسلامه. وقال أبو الفرج في الأغاني: لم يهاجر مع أبيه لأنه كان صغيراً وخرج قبل الفتح في فتية من قريش منهم معاوية إلى المدينة فأسلموا. أخرجه الزبير بن بكار عن ابن عيينة عن علي بن زيد بن جدعان (...) وقيل: إنما أسلم يوم الفتح**».[1]

فلو أخذنا أقلّ التقادير، وهو أنه قد أسلم في أيام الهدنة بعد الحديبية؛ لما كان له أن يكون حاضراً في المريسيع وبُعَيْدها حتى وإن اعتبرناها قد جرت فصولها في السنة السادسة، ذلك لأن الإجماع قائم على أن صلح الحديبية متأخر عن غزوة المريسيع بزمن. وهذا ابن هشام ينصّ على ذلك في سياق ترتيب الغزوات فيقول: «**ثم غزوة بني المصطلق من خزاعة، ثم غزوة الحديبية**».[2] وكذا وقع في ترتيب ابن سعد مع ذكر ما بينهما من غزوات وسرايا تفصيلاً.[3]

فكيف اشترك عبد الرحمن مع عائشة وأبيها وأمها في جلسة البكاء والنحيب تلك في بيتهم بالمدينة وهو لم يكن قد أسلم وهاجر إليها بعدُ؟!

وتنضم إلى هذه العلة علة أخرى، وهي ما ذكرته عائشة في أحاديثها من أن النبي (صلى الله عليه وآله) قد استشار في شأنها جاريتها بَريرة، وذلك قولها: «**فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بَريرة فقال: أيْ بَريرة؛ هل رأيتِ من شيءٍ يَريبكِ؟ قالت له بَريرة: والذي بعثك بالحق ما رأيتُ عليها أمراً قطُّ أغمِصُه، غير أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها، فتأتي الدّاجنُ فتأكله**»!

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ج٤ ص٢٧٥

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ج٢ ص٦٠٨

(٣) غزوات الرسول وسراياه لابن سعد ص٢٩ – ص٤٧

وورود اسم بَريرة في روايات عائشة أمارة على أنها كاذبة، لأن بريرة لم تكن قد غدت آنذاك جاريةً لها! فإنها إنما اشترتها بعد فتح مكة الذي كان في السنة الثامنة كما هو معلوم، فلو قلنا بأن غزوة المريسيع وقعت في السادسة على أبعد تقدير؛ كان بين تملّك عائشة لبريرة وبين الواقعة المفترضة سنتان على الأقل، فكيف تزعم عائشة أنها كانت حاضرةً آنذاك في خدمتها فاستشارها النبي (صلى الله عليه وآله) وتهدّدها – بل ضربها – علي عليه السلام؟!

قال ابن القيّم الجوزية في معرض هذا الإشكال: «**ومما وقع في حديث الإفك أن في بعض طرقه أن علياً قال للنبي صلى الله عليه وسلم لما استشاره: سَلِ الجارية تصدقك، فدعا بريرة فسألها فقالت: ما علمتُ عليها إلا ما يعلم الصائغ على التبر، أو كما قالت، وقد استشكل هذا، فإن بريرة إنما كاتبت وعُتِقت بعد هذا بمدة طويلة، وكان العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ ذاك في المدينة، والعباس إنما قَدِمَ المدينة بعد الفتح، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم وقد شفع إلى بريرة أن تراجع إلى زوجها فأبت أن تراجعه: يا عباس؛ ألا تعجب من بغض بريرة مغيثاً وحبّه لها؟! ففي قصة الإفك لم تكن بريرة عند عائشة**».[1]

وحقيقة الإشكال الذي ذكره ابن القيم يتلخّص في أن عائشة كانت قد اشترت بريرة بعد الفتح وأعتقتها، فخُيِّرَت أن تبقى زوجة للعبد مُغيث أو لا، فاختارت مفارقته رغم شفاعة النبي (صلى الله عليه وآله) له في ذلك، الأمر الذي جعل مُغيثاً يتأثر ويجري وراءها في سكك المدينة باكياً! ومشاهدة ابن عباس ذلك وهو الذي لم يهاجر إلى المدينة إلا مع والده بعد الفتح

---

(١) زاد المعاد لابن القيم الجوزية ج٣ ص٢٣٧، والحديث مشهور رواه البخاري في صحيحه ج٦ ص١٧١ وغيره عن ابن عباس: «**أن زوج بريرة كان عبداً يُقال له: مغيث، كأني أنظر إليه يطوف خلفها يبكي ودموعه تسيل على لحيته! فقال صلى الله عليه وسلم لعباس: يا عباس؛ أَلا تعجب من حب مُغيث بريرة ومن بغض بريرة مغيثا؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لو راجعتيه. قالت: يا رسول الله تأمرني؟ قال: إنما أنا أشفع. قالت: لا حاجة لي فيه**».

أو قُبيله، وكلام النبي (صلى الله عليه وآله) لعمّه العباس في ذلك؛ يدلّلان على أن عتق الجارية لم يكن إلا بعد الفتح، فكذا شراؤها، لأنه قد ثبت في رواية البخاري أن النبي (صلى الله عليه وآله) قد أمر عائشة بأن تشتريها وتعتقها،[1] فكان شراؤها بشرط العتق بعد مكاتبتها مواليها من بني هلال، وهذا متفق عليه كما نصّ عليه العلائي.[2] فتكون النتيجة أن الجارية لم تكن خادمة لعائشة في زمان قصة الإفك المفترضة فكيف شهدتها واستُشيرت فيها؟!

قال بدر الدين العيني:«**قيل: هذا يدل على أن قصة بريرة كانت متأخرة في السنة التاسعة أو العاشرة لأن العباس إنما سكن المدينة بعد رجوعهم من غزوة الطائف وكان ذلك في أواخر سنة ثمان، ويؤيد هذا قول ابن عباس إنه شاهد ذلك، وهو إنما قدم المدينة مع أبويه، وهذا يردّ قول مَن قال: إن قصة بريرة قبل الإفك. والذي حمل هذا القائل على هذا وقوع ذكرها في حديث الإفك**».[3]

وقال ابن حجر العسقلاني: «**قد قيل أن تسميتها هنا** (في قصة الإفك) **وهم، لأن قصتها كانت بعد فتح مكة**».[4]

إن قضية ورود اسم بريرة في روايات عائشة ألجأت المخالفين إلى التماس التوجيهات التي تصحّح قصة الإفك، فهم ما بين قائل أن ورود اسمها وهم وأن الجارية المُستشارة

---

(١) روى البخاري في صحيحه ج٦ ص١٧٢ بسنده عن الأسود: «**أن عائشة أرادت أن تشتري بريرة، فأبى مواليها إلا أن يشترطوا الولاء، فذكرت للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: اشتريها واعتقيها، فإنما الولاء لمن أعتق**».

(٢) قال أبو سعيد العلائي في التنبيهات المجملة ص٥٧: «**إن عائشة رضي الله عنها إنما اشترت بريرة بشرط العتق كما دلّت عليه الروايات واتفق عليه الفقهاء، وأقامت عند عائشة رضي الله عنها تخدمها**».

(٣) عمدة القاري لبدر الدين العيني في شرح صحيح البخاري ج٢٠ ص٢٦٨

(٤) فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر ج٨ ص٣٥٨

أخرى غيرها كما ذكره الزركشي، وما بين قائل أنها كانت تخدم عائشة بالأجرة وهي في رقّ مواليها قبل وقوع قصتها في المكاتبة كما ذكره ابن حجر العسقلاني، وما بين قائل أن ما وقع من طلب مغيث لها وبكائه عليها قد استمرّ زمناً طويلا إلى ما بعد الفتح فشهده العباس وابنه كما ذكره ابن القيم والعلائي!

وكل تلكم التوجيهات هي كما ترى لا دليل يسندها سوى التخمين! ويبقى الإشكال على حاله كاشفاً عما في أحاديث عائشة من وضع واختلاق!

وثمة كاشف آخر يُضاف إلى ما سبق من إشكالات، وهو ما ورد في أحاديث الإفك من أن النبي (صلى الله عليه وآله) قد استشار في الأمر عليا (عليه السلام) وأسامة بن زيد، وما كانت استشارته لأسامة إلا عوضاً عن استشارة أبيه زيد لأنه كان قد مات، حيث جاء في النص: «**وبعث إلى علي وأسامة و بَريرة، وكان إذا أراد أن يستشير امرءاً لم يَعْدُ علياً وأسامة بعد موت أبيه زيد**».

إلا أن هذا الادعاء لا يمكن أن يمر! لأن من المقطوع به أن زيد بن حارثة قد استشهد في غزوة مؤتة التي جرت فصولها في السنة الثامنة من الهجرة. قال ابن الأثير: «**قُتِلَ زيدٌ في مؤتة من أرض الشام في جمادى من سنة ثمان من الهجرة**».[1]

وقد علمتَ أن وقوع غزوة المريسيع لم يتجاوز السنة السادسة على أبعد تقدير، ما يعني أن زيد بن حارثة كان آنذاك حياً يُرزق، فكيف يُقال أنه كان ميتاً فاستشار النبي (صلى الله عليه وآله) ابنه أسامة بدلاً عنه؟!

(١) أُسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ج٢ ص٢٢٧

وهكذا ترى كيف أن أحاديث عائشة وقصة الإفك التي اختلقتها يكذّبها الواقع التاريخي أيّاً كان القول بزمن وقوعها، فالقول بأنها وقعت في السنة الرابعة يصادم ما جاء فيها من كون زينب بنت جحش زوجة لرسول الله (صلى الله عليه وآله) لأنها لم تكن آنذاك كذلك!

والقول بأنها وقعت في السنة الخامسة يصادم ما جاء فيها من أن آية الحجاب كانت قد نزلت قبلها لأنها لم تنزل إلا بعد ذلك!

والقول بأنها وقعت في السنة السادسة يصادم ما جاء فيها من وجود سعد بن مُعاذ والمشادة التي وقعت بينه وبين أُسيد بن حضير في المسجد لأن سعداً كان قد استشهد قبل ذلك بزمن!

والقول بأنها وقعت في الرابعة أو الخامسة أو السادسة يصادم - مهما كان الاختيار - ما ورد فيها من وجود عبد الرحمن بن أبي بكر في المدينة لأنه لم يَقدم إليها إلا بعد ذلك بفترة! كما يصادم ما ورد فيها من استشارة الخادمة بَريرة لأنها لم تكن آنذاك قد أصبحت خادمة لعائشة! كما يصادم ما ورد فيها من موت زيد بن حارثة واستشارة ابنه أسامة عوضاً عنه لأنه لم يكن قد مات بعد!

وهذه التناقضات مع الوقائع والأحداث التاريخية الثابتة والمشهورة لا تدل إلا على أن القصة منحولة مكذوبة من قبل عائشة ليس إلا! فكيف يستمرئ ذو عقل وفهم تصديقها وإرسالها إرسال المسلّمات بعد هذا؟!

• **الإيراد الثالث**؛ زعمت عائشة في أحاديثها أنها كانت حين غزوة المريسيع نحيلة هزيلة خفيفة! وذلك في معرض تفسيرها لانطلاق الذين حملوا هودجها دون شعور منهم بأنها ليست فيه حيث ذهبت لقضاء حاجتها، فحملوا هودجها على بعيرها وهم يحسبون أنها فيه، وذلك قولها: «**وأقبل الرَّهْطُ الذين كانوا يُرَحِّلوني فاحتملوا هودجي، فَرَحلوه على بعيري**

الذي كنت أركب عليه، وهم يحسبون أني فيه، وكان النساء إذ ذاك خِفافاً لم يَهْبُلْنَ ولم يَغْشَهُنَّ اللحم، إنما يأكُلْنَ الْعُلْقَةَ من الطعام، فلم يستنكر القومُ خِفَّة الهودج حين رفعوه وحملوه، وكنت جارية حديثة السن، فبعثوا الجمل فساروا».

غير أن عائشة ناقضت نفسها في دعواها هذه! إذ نصّت - في أحاديث الإفك نفسها - على أنها كانت سمينة بدينة ثقيلة في غزوة المريسيع ذاتها! وذلك حين زعمت أن النبي (صلى الله عليه وآله) قد تسابق معها فيها فسبقها لما كانت تحمله من الوزن الزائد!

روى الواقدي عن عباد بن عبد الله بن الزبير أنه قال: «**قلت لعائشة: حدّثينا يا أمّه حديثك في غزوة المريسيع. قالت: يابن أختي إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج في سفر أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها** (إلى أن قالت:) **ثم إنّا سرنا مع العسكر حتى إذا نزلنا موضعا دمثاً طيباً ذا أراك قال: يا عائشة هل لك في السباق؟ قلت: نعم. فتحزّمت بثيابي وفعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استبقنا فسبقني، فقال: هذه بتلك السبقة التي كنت سبقتيني! وكان جاء إلى منزل أبي ومعي شيء فقال: هلمّيه، فأبيتُ، فسعيتُ وسعى على أثري فسبقتُه. وكانت هذه الغزوة بعد أن ضُرِبَ الحجاب**».[١]

وروى أحمد بن حنبل وأبو داود عن هشام بن عروة عن عائشة قالت: «**خرجتُ مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبدُن، فقال للناس: تقدّموا، فتقدّموا. ثم قال لي: تعاليْ حتى أسابقكِ، فسابقتُه فسبقتُه! فسكتَ عني حتى إذا حملتُ اللحم وبدُنتُ ونسيتُ؛ خرجتُ معه في بعض أسفاره فقال للناس: تقدّموا، فتقدّموا.**

(١) مغازي الواقدي ص٤٢٧

ثم قال لي: تعاليْ حتى أسابقكِ، فسابقتُه فسبقني! فجعل يضحك وهو يقول: هذه بتلك»![1]

لسنا ندري بأي قول لعائشة نأخذ؟ هل بقولها أنها كانت خفيفة الوزن في غزوة المريسيع إلى حدّ أن حاملي الهودج حملوه وهو خالٍ دون أن يشعروا بفقدانها؛ أم بقولها أنها كانت ثقيلة الوزن إلى حدّ أنها لم تستطع سبق النبي (صلى الله عليه وآله) - وهو الشيخ الذي ناهز الستين من العمر - حين سابقها في الغزوة ذاتها؟!

وكيف زعمت عائشة أن الرّهط الذين حملوا هودجها «لم يستنكروا خفّة الهودج حين رفعوه وحملوه» مع أنها كانت قد «حملت اللحم وبدُنت»؟! بل كيف تزعم هذا مع أنها سبق أن نصّت على صيرورتها «سمينة كأحسن ما يكون من السمنة»؟! وذلك عندما تولّت أمّها إطعامها كي تدخل على النبي (صلى الله عليه وآله) حيث قالت: «**كانت أمي تعالجني تريد تسمّنني بعض السمن لتدخلني على رسول الله صلى الله عليه و سلم، فما استقام لها بعض ذلك حتى أكلتُ التمر بالقثّاء فسمنت عنه كأحسن ما يكون من السمنة»**![2]

إن هذا تناقض يُضاف إلى سلسلة تناقضاتها في أحاديثها، وذلك أمر معتاد من الكَذَبة وأهل الزور إذ تجد أقوالهم ينقض بعضها بعضا لأنه لا حافظة لكذوب!

---

(١) مسند أحمد ج٦ ص٢٦٤ وسنن أبي داود ج١ ص٥٨١ واللفظ للأول، وهذه الرواية محمولة على سابقتها، فيكون السفر الذي سبقها فيه النبي (صلى الله عليه وآله) هو سفر غزوة المريسيع. هذا واعلم أنّا معاشر أتباع النبي وآله (صلوات الله عليهم) لا نسلّم بأمثال هذه الروايات التي وضعتها عائشة بهدف التنقيص من مقام خاتم الأنبياء (صلى الله عليه وآله وسلم) وإظهاره بهذا المظهر من قلة المروءة وخفّة العقل حيث يأمر جيشه بأكمله على أن يتقدّم حتى يلهو مع زوجته في سباق! وإنما نأتي بهذه الرواية على سبيل الاحتجاج على الخصم وإلزامه وبيان تناقضاته ليس إلا.

(٢) سنن البيهقي ج٧ ص٢٥٤ ونحوه في مستدرك الحاكم ج٢ ص١٨٥ وغيرهما كثير.

وهَبْ أن عائشة كانت كما تزعم هزيلة إلى أقصى حدّ؛ فإنه لا يُعقل أن لا يشعر حَمَلَة الهودج بعدم وجودها فيه، ذلك لأنهم كانوا قد اعتادوا طوال هذه السفرة على حمل هذا الهودج ووضعه مرّات وكرّات، والإنسان بطبعه يستشعر وزن الأشياء التي يعتاد على حملها مهما كانت خفيفة، فإذا فُقِدَ شيءٌ منها أحسّ بذلك فوراً. ألا ترى كيف أنك لو اعتدت على حمل صندوق فيه خمسون تفاحة يومياً ثم حملته مرّة وفيه ثلاثون فقط لكنتَ قد أحسست بنقصان عدد من التفاحات فيه؟ فكيف إذا كان المحمول المفقود إنساناً ذا عظم ولحم وشحم؟!

إن عائشة لم تكن آنذاك طفلة رضيعة حتى وإن كانت «جارية حديثة السن» على حدّ قولها، فجرِّبْ حمل سرير أو مهد طفلتك الرضيعة يوماً وهي فيه، ثم جرّب أن تحمله وهي خارجه وانظر كيف تستشعر الفرق من تلقاء نفسك، مع أن الطفلة الرضيعة التي وُلِدت للتوّ لا يتجاوز وزنها عادةً خمسة كيلوغرامات، وهو مقدار ضئيل بالنسبة إلى الإنسان البالغ الذي لا يمكن أن يقل وزنه عن أربعين كيلوغراماً حتى لو كان «جارية حديثة السن»! فكيف تتوقع عائشة منا أن نقتنع بدعواها أن القوم لم يستشعروا فقدانها من الهودج حين حملوه مع ما كانت تَزِنُه وهي التي «حملت اللحم وبدُنَت وسمنت كأحسن ما يكون من السمنة»؟! ألا رحمت عقول الناس حين تحدّثهم بأساطيرها؟!

على أن عائشة زعمت أن الذين كانوا يحملون هودجها ما كانوا سوى رجليْن اثنين! فقالت: «**وكان اللّذان يرحِّلان بعيري رجلُيْن؛ أحدهما مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له: أبو موهبة، وكان رجلاً صالحاً، وكان الذي يقود بي البعير. وإنما كنتُ أقعدُ في الهودج**

فيأتي فيحمل الهودج فيضعه على البعير ثم يشدّه بالحبال ويبعث بالبعير ويأخذ بزمام البعير فيقود بي البعير».(١)

فإذا كان الأمر هكذا فإن شعور الرجليْن بفقدانها يكون أمراً حتمياً، إذ لو كانوا سبعة أو أكثر مثلاً لكان ثمة وجه للقول بأنهم لم يشعروا لكثرتهم وتوزّع وزن الهودج عليهم، مع أنه فرض بعيد.

ثم إنّه على فرض التصديق بما زعمته عائشة من عدم التفات حَمَلَة الهودج إلى غيابها عنه؛ ألم يلاحظوها وهي تخرج منه قاصدةً التبرّز؟! ألم يشاهدها أحدٌ من عشرات بل مئات الناس الذين كانوا في الجيش وهي تشق طريقها من بينهم وتبتعد عنهم إلى الفلاة؟! أم أنها حين نزلت من هودجها ابتلعتها الأرض أو طارت في السماء فلم يرها أحد ولا شعر بغيابها مخلوق من بين كل هؤلاء البشر؟!

إنّا – صدقاً – لنشفق على هؤلاء الذين يَدَعون عائشة تضحك على ذقونهم بأكاذيبها!

● **الإيراد الرابع**؛ زعمت عائشة في أحاديثها أن صفوان بن المعطل كان لا يقرب النساء، وأنه كان يقول في معرض دفعه عن نفسه تهمة الزنا: «**سبحان الله! فوالذي نفسي بيده ما كشفتُ من كَنَفِ أنثى قطّ**» أي أنه لم يجامع أنثى قطّ.

إلا أن هذا يناقض حقيقة سيرة الرجل، إذ إنه لم يكن فحسب ممن يقرب النساء ويرغب في الجماع كسائر الناس؛ بل كان لا يصبر على ذلك ولا يتمكن من حبس نفسه عنه! فكان شاباً شبقاً ألجأته شهوته المفرطة إلى أن يضرب زوجته ويمنعها من الصوم ويجبرها على

---

(١) مغازي الواقدي ص٤٢٨

الإفطار حتى يتمكن من مجامعتها! الأمر الذي دفعها إلى أن تشكوه إلى النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم!

ودونك شاهداً ما رواه ابن حبان والبيهقي وأبو داود وأبو يعلى وأحمد بن حنبل والحاكم وغيرهم عن أبي سعيد الخدري قال: «**جاءت امرأةٌ إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله؛ إن زوجي صفوان بن المعطّل يضربني إذا صليّتُ! ويفطّرُني إذا صمتُ! ولا يصلي صلاة الفجر حتى تطلع الشمس! قال: وصفوان عنده. فسأله عمّا قالت فقال: يا رسول الله؛ أما قولها: يضربني إذا صلّيتُ؛ فإنها تقرأ بسورتيْن وقد نهيتها عنهما. قال: فقال: لو كانت سورة واحدة لكفت الناس. وأما قولها: يفطّرني؛ فإنها تنطلق فتصوم، وأنا رجلٌ شابٌ فلا أصبر! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ: لا تصوم امرأة إلا بإذن زوجها. وأما قولها: إني لا أصلي حتى تطلع الشمس؛ فإنّا أهل بيت قد عُرف لنا ذاك، لا نكاد نستيقظ حتى تطلع الشمس. قال: فإذا استيقظت فصلِّ**».[1]

فالرجل يصرّح بأنه «شابٌ لا يصبر» فكيف تزعم عائشة أنه كان لا يقرب النساء ولم يكشف من كنف - أي ستر - إحداهنّ قط؟! كيف وللرجل زوجة تشتكي من كثرة طرقه لها حتى أنه لا يدعها تتمّ صيامها لله تعالى نهاراً ولا يكتفي منها بالليل بل يريد اقتعاءها ليلاً ونهاراً وفي كل ساعة حتى غدت المسكينة كطروقة التيس!

إن هذا التناقض حشر مشايخ المخالفين في زاوية حرجة، فطفق بعضهم يتمحّل حتى يصحّح أحاديث الإفك التي روتها عائشة بأي وجه كان. ومن بين هؤلاء المتمحّلين القرطبي

---

(١) صحيح ابن حبان ج٤ ص٣٥٤ وسنن البيهقي ج٤ ص٣٠٣ وسنن أبي داود ج١ ص٥٩٤ ومسند أحمد ابن حنبل ج٣ ص٨٠ ومستدرك الحاكم ج١ ص٤٣٦ وقد حكم بصحته على شرط الشيخين، وكذلك حكم بصحته ابن حجر في الإصابة ج٣ ص٣٥٧ قائلا: «**وإسناده صحيح**».

الذي صيّر المراد من قول صفوان أنه لم يكشف من كنف أنثى قطّ؛ أنـه لم يـزنِ قـطّ، فقـال في تفسيره: «**وقوله في الحديث: والله ما كشفت كنف أنثى قط، يريد بزنا**».[١] وهـو عـلاوة عـلى كونه تحكّماً ظاهراً غير مقبول؛ يردّه ما جاء في إحدى روايات عائشة التي أوردهـا ابـن حجـر من طريق سعيد بن أبي هلال عن هشام بن عروة: «**أن الرجل الذي قيل فيه مـا قيـل لّمـا بلغـه الحديث قال: والله ما أصبتُ امرأةً قطُّ حلالاً ولا حراماً**».[٢]

ولئن كان ابن حجر قد أسقط ما جاء به القرطبي؛ فإنه بدوره جاء بتمحّـل آخـر لا يقـل وهناً عما جاء به صاحبه! فقد استظهر أن «**مراده بالنفي المذكور ما قبل هذه القصة، ولا مـانع من أن يتزوّج بعد ذلك. فهذا الجمع لا اعتراض عليه إلا ما بها جاء عن ابن إسحاق أنـه كـان حصوراً، لكنه لم يثبت فلا يعارض الحديث الصحيح**».[٣]

إلا أن الذي جاء عن ابن إسحاق إنما جـاء بـسنده عـن عائـشة! فهـي التـي زعمـت أن صفوان حصورٌ لا يأتي النساء! وحيث إنها هي راوية قوله: «**والله ما كشفت كنف أنثـى قـط**» فإن رواية ابن إسحاق عنها تكون مفسّرة لدلالـة قولـه هـذا، فتتقـوّى هـذه الروايـة بالـضمّ الدلالي لا العكس حتى يسلب ابن حجر عنها الثبوت! مع أنه لم يذكر لنـا بـأي وجـه حكـم عليها بعدم الثبوت وإنما أطلق كلامه هكذا على عواهنه!

---

(١) تفسير القرطبي ج١٢ ص١٩٩

(٢) فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ج٨ ص٣٥٠

(٣) المصدر نفسه. والحصور هو الذي لا يأتي النساء لوجود مانع لديه فيكون محصوراً عنهنّ أي ممنوعاً، كـأن يكون فيه نقص في عضوه الذكري، أي يكون عنيناً أو مجبوباً. أما قوله تعالى عن يحيى صـلوات الله عليـه: «**أَنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ**» فمعنى حـصوراً هنـا أنـه (عليـه السلام) قد حصر نفسه عن النساء زهداً بأمر الله تعالى خاصة، لا أن فيه نقصاً في الذكورة والفحولـة والعيـاذ بالله، وهذا ما رُوي عن أئمتنا عليهم الصلاة والسلام.

ويوقفك على أن مرجع ما رواه ابن إسحاق عن كون صفوان حصوراً هو حديث عائشة؛ قول القرطبي: «**كان حصوراً لا يأتي النساء، ذكره ابن إسحاق من طريق عائشة**».[١] والنص هو ما رواه ابن هشام في سيرته: «**وكانت عائشة تقول: لقد سُئل عن ابن المعطّل فوجدوه رجلاً حصوراً ما يأتي النساء، ثم قُتل بعد ذلك شهيداً**».[٢] وكذا روى عنها الطبري في تاريخه،[٣] والذهبي في تاريخه،[٤] وابن كثير في سيرته،[٥] وابن شبّة في تاريخ المدينة،[٦] والكلاعي الأندلسي في الاكتفاء.[٧]

أما الحلبي في سيرته فيضيف شرحاً لحديث عائشة قائلاً: «**صفوان بن المعطل رضي الله عنه الذي كان الإفك بسببه؛ ظهر أنه كان حصوراً لا يأتي النساء، أي إنما معه مثل الهدبة، أي عنين**».[٨] ويؤكد ذلك البغدادي بقوله: «**وكان تقياً عنيناً لم يكشف عن امرأة قط**».[٩]

والحاصل أنه مع اعتماد كل هؤلاء من أكابر القوم على حديث عائشة في كون صفوان حصوراً، ومع انضمامه بما روته الصحاح عنها باستفاضة في أنه لا يقرب النساء ولم يكشف

---

(١) تفسير القرطبي ج١٢ ص١٩٩

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ج٢ ص٣٠٧

(٣) تاريخ الطبري ج٢ ص٢٧٠

(٤) تاريخ الإسلام للذهبي ج١ ص٢٣٨

(٥) السيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣١١

(٦) تاريخ المدينة لابن شبّة ج١ ص٣٤٥

(٧) الاكتفاء للكلاعي الأندلسي ج٢ ص١٤٤

(٨) السيرة الحلبية لعلي بن برهان الدين الحلبي ج٢ ص٥٨٢، والهدبة ما على أطراف الثوب من الخيط، يُقال للعنين الذين لا ينتشر عضوه الذكري بأن معه مثل الهدبة، أي أن عضوه خامل كالهدبة.

(٩) المحبّر للبغدادي ص١٠٩

كنف أنثى قط؛ نخلص إلى أن عائشة كانت تجزم بقصور صفوان عن اشتهاء النساء وأنه كان من غير أولي الإربة من الرجال.

وهذا يصادم ما صحّ من كون الرجل شبقاً لا يصبر كما مرّ! ولسنا ندري كيف يكون حصوراً أو عنيناً ليس معه إلا مثل الهدبة وهو الذي تزوّج وأولد امرأته ولديْن اثنين «**هما أشبه به من الغراب بالغراب**» كما جاء في بعض مصادر القوم عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم![1]

وبهذا يتضح فرد آخر من أكاذيب عائشة في أسطورة الإفك هذه!

• **الإيراد الخامس**؛ ادّعت عائشة في أحاديثها أن الذين رموها بالإفك قد أُقيم عليهم حدّ القذف بالجلد، وذلك قولها كما في رواية أحمد: «**لمّا نزل عُذْري قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فذكر ذلك وتلا القرآن، فلمّا نزل أمر برجليْن وامرأة فضُربوا حدّهم**»،[2] وفي رواية البيهقي قالت: «**لمّا تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم القصة التي نزل بها عُذري على الناس، نزل رسول الله فأمر برجليْن وامرأة ممن كان باء بالفاحشة في عائشة فجُلِدوا الحدّ**».
أما في رواية الطبراني فقد جاء: «**ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعث إلى عبد الله ابن أُبيّ المنافق فجيء به فضربه النبي صلى الله عليه وسلم حَدَّيْن، وبعث إلى حسان بن ثابت ومسطح بن أُثاثة وحَمنة بنت جحش فضُرِبوا ضَرْباً وجيعاً ووُجِئَ في رقابهم**»! وأتبع الطبراني تفسير ذلك بقول ابن عمر: «**إنما ضرب النبي صلى الله عليه وسلم حَدَّيْن لأنه من قذف أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فعليْه حدّان**»!

---

(١) المحرر الوجيز لابن عطية المحاربي ج٥ ص٥٧ وتفسير القرطبي ج١٢ ص١٩٩

(٢) إلا أن الرواية في الدر المنثور للسيوطي ج٥ ص٣٢ أنهم «**ضُربوا حدّيْن**».

وأنت ترى التنافي في هذه الأحاديث، ففي رواية أحمد والبيهقي أن الحدّ كان واحداً أي ثمانين جلدة، فيما هو في رواية الطبراني حدّان اثنان، أي مئة وستون جلدة! فلا نعلم بأيهما نأخذ وعلى أيّهما نعتمد؟!

وفي رواية أحمد والبيهقي أن الحدّ وقع على رجليْن وامرأة، فيما هو في رواية الطبراني قد وقع على رجل واحد هو ابن أُبي! أما الآخران والمرأة وهما حسان ومسطح وحمنة فلم يقع عليهم حدّ بل اكتُفِيَ بضربهم ووَجْءِ رقابهم! فلا ندري هل شمل العقاب ثلاثة هم رجلان وامرأة، أم أربعة هم ثلاثة وامرأة غير أن أحدهم حُدَّ والباقون ضُربوا؟! ثم لا ندري منذ متى أصبح الضرب ووجْأُ الرقاب حداً شرعياً على القذف دون الجلد؟! وأي فقيه من فقهاء الإسلام قال بأن الضرب والوجأ حدّ من حدود الله؟!

ولو صرفنا النظر عن رواية الطبراني واكتفينا برواية أحمد والبيهقي، فلا ينقضي تعجبنا مما زعمته عائشة من أن الحد اقتصر على رجليْن وامرأة، فقد عرفنا من الأحاديث والروايات أن ثمة أربعة قد اشتركوا في الإفك، ثلاثة منهم رجال هم ابن أُبيّ وحسان ومسطح، والرابعة حَمنة أخت زينب بنت جحش، وهذا ما ورد في تتمة رواية البيهقي ذاتها إذ جاء فيها: «**وكان رماها عبد الله بن أُبي ومِسْطح بن أُثاثة وحسّان بن ثابت وحَمْنة بنت جحش أخت زينب بنت جحش، رموْها بصفوان بن المعطّل السلمي**». فبأي وجه صُفِحَ عن أحدهم وصُرف عنه الحدّ والعقاب وهم جميعاً مشتركون في الجريمة؟! على أن الفخر الرازي قد روى عن عائشة أن الحدّ أقيم على الأربعة جميعاً! وذلك قولها: «**لمّا نزل عذري قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فذكر ذلك وتلا القرآن، فلما نزل ضرب عبد الله بن أُبي ومسطحاً وحمنة وحسان الحد**»![1]

(١) تفسير الفخر الرازي ج١١ ص٢٧٠ بأسناد الزهري ذاتها!

ولو أننا رجعنا إلى أقوال أصحاب السنن والسير والمؤرخين وكذا إلى تراجم هؤلاء الذين نُسب إليهم قذف عائشة بالفاحشة لوجدنا أن نفي وقوع الحدّ عليهم هو الأثبت والأصح والأظهر، ولا أقلّ من الترديد والشك، ففي رواية الواقدي لقصة الإفك جاء: «**قالت** (عائشة): **فضربهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الحدّ، وكان الذي تولى كبره عبد الله ابن أبي، وكان مسطح بن أثاثة وحسان ابن ثابت. قال أبو عبد الله** (الواقدي): **ويقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يضربهم، وهو أثبت عندنا**».[١]

وفي رواية البيهقي عن فليح بن سليمان قال: «**وسمعت ناساً من أهل العلم يقولون أن أصحاب الإفك جُلِدوا الحدّ، ولا نعلم ذلك فشا**».[٢]

ونرى ابن عبد البرّ يقضي بأن الأصح هو عدم وقوع الحدّ على ابن أُبيّ لأنه لم يشتهر، فقال: «**وهذا عندي أصح لأن عبد الله بن أبي بن سلول لم يكن ممن يُستَرَ جَلدُه عن الجميع لو جُلِد**».[٣] كما نرى ابن القيّم الجوزية يؤكد ذلك قائلا: «**ولم يُحَدَّ الخبيث عبد الله بن أُبي مع أنه رأس أهل الإفك**»![٤]

ويبقى التذبذب في مسألة أنه هل أُجري الحدّ أصلاً أم لا؟ ففي ترجمة حسّان قال ابن الأثير: «**وكان حسان ممن خاض في الإفك فجُلِد فيه في قول بعضهم، وأنكر قوم ذلك**».[٥]

---

(١) مغازي الواقدي ج١ ص٤٣٥

(٢) سنن البيهقي ج٨ ص٢٥٠

(٣) الاستيعاب لابن عبد البر ج٢ ص١٠٩

(٤) زاد المعاد لابن القيم ج٣ ص٢٣٦ وقد أورد فيه أعذاراً مضحكة لإماطة الحدّ عن ابن أُبي لا يهمّنا التعرض لها، إذ ما يهمّنا هو ما نصّ عليه من أن ابن أُبي لم يُحَدّ.

(٥) أسد الغابة لابن الأثير ج٢ ص٦

وقال ابن عبد البر: «**قال قوم في حسان إنه كان ممن خاض في الإفك على عائشة رضي الله عنها وإنه جُلِدَ في ذلك، وأنكر قوم أن يكون حسان خاض في الإفك أو جُلِدَ فيه**».[١]

وفي ترجمة حمنة قال ابن الأثير: «**قال بعضهم إنها جُلِدت مع مَن جُلِد فيه، وقيل: لم يُجلد أحد**».[٢] وقال ابن عبد البر: «**وكانت حمنة ممن خاض في الإفك على عائشة، وجُلِدَت في ذلك مع مَن جُلِد فيه عند من صحّحَ جلدهم**».[٣] ومفهومه أن هناك مَن لم يصحّح ذلك وأنكره.

ويفصّل الماوردي هذا التذبذب بتبيان حجة كل فريق من النافين للجلد والمثبتين، فيقول: «**اختُلِف هل حَدَّ النبي صلى الله عليه وسلم أصحاب الإفك على قولين:**

أحدهما؛ أنه لم يحدّ أحداً منهم لأن الحدود إنما تقام بإقرار أو بينة، ولم يتعبّدنا الله أن نقيمها بإخباره عنها كما لم يتعبّدنا بقتل المنافقين وإن أخبر بكفرهم.

والقول الثاني؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم حَدَّ في الإفك حسان بن ثابت وعبد الله ابن أُبي ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش، وكانوا ممن أفصح بالفاحشة، رواه عروة بن الزبير وابن المسيب عن عائشة رضي الله عنها».[٤]

والمنصف يميل دون ريب إلى حجة الفريق الأول، ذلك لأن من المعلوم أن حدّ القذف لا يثبت شرعاً إلا بالإقرار أو البيّنة، أي أن يقرّ القاذف بفعله أمام الحاكم، أو أن يشهد شاهدان عادلان على ذلك أمام الحاكم أيضاً حين قيام الدعوى. والحال أن الدعوى لم تَقُمْ

---

(١) الاستيعاب لابن عبد البر ج١ ص١٠٢، وتجد الشك حتى في أصل خوضه في الإفك! فأين ولّت أحاديث عائشة الكثيرة التي نصّت على خوضه؟! إن هذا لا يعني سوى تكذيب عائشة.

(٢) أسد الغابة لابن الأثير ج٥ ص٤٢٨

(٣) الاستيعاب لابن عبد البر ج٢ ص٨٥

(٤) النكت والعيون للماوردي ج٣ ص١٦١

أمام الحاكم الذي هو رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا أقرّ أصحاب الإفك بإفكهم، ولا قامت البيّنة عليهم بشهادة الشهود، فكيف مع هذا يخالف نبي الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الأصول والأحكام الشرعية فيُجري الحد على هؤلاء؟!

لا يُقال: قد ورد في الأحاديث أنهم أرجفوا وخاضوا في الإفك بين الناس؛ لأنه يُقال: إن هذا لا يكون مسوّغاً لإقامة الحد إذ لا بدّ من استدعائهم أمام الحاكم أولاً وإثبات جريرتهم بإحدى الطريقين الشرعيين، وإذ لم يحصل ذلك فلا حدّ.

لا يُقال: إن القرآن قد أخبر عن تلبّسهم بالقذف والإفك؛ لأنه يُقال: إن ما يكون في القرآن من إخبار لا يحلّ محلّ البيّنة أو الإقرار لإيجاب الحدّ، وقد أخبر القرآن عن تلبّس **الوليد ابن عقبة بن أبي معيط** بالفسق ومع ذا لم يجر عليه حدٌّ أو تعزير في حينه.(١)

ولو كان الحدّ قد وقع فعلاً لظهرت أمامنا الأحاديث والروايات المتعددة عن تفاصيل إيقاعه على هؤلاء القوم، ومتى كان ذلك وأين، كالذي نجد في قضايا الحدود الأخرى التي جرت على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) حيث نجد تفاصيلها في عشرات الأحاديث والروايات. أما هاهنا فلا نجد حتى حديثاً واحداً! ولا يُعقل أن لا يصلنا حتى حديث واحد من المئات الذين حضروا هذا الخطب الجلل لو كان قد وقع فعلاً، بل لو كان قد وقع لاشتهر وذاع وتواتر بما لا يدع مجالاً لأحد أن يشكّ فيه ناهيك عن أن ينكره، وبما لا يدع مجالاً لتناقض وتنافي المنقول عنه. وقد مضى إنكار جمعٍ من أعلام المخالفين لوقوعه وشكّهم فيه وتنافي ما نقلوه عنه.

---

(١) قال ابن عبد البر في الاستيعاب ج١ ص٤٩٢: «**ولا خلاف بين أهل العلم بتأويل القرآن في ما علمتُ أن قوله عز وجل: إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ نزلت في الوليد بن عقبة**».

فهذه هي حجة الفريق الأول في النفي، تراها متوافقة مع أصول وأحكام الشرع، مقوّاةً بانعدام الأحاديث والروايات التفصيلية، وبوجود روايات تنكر وأقوال تشكك، عدا عن أن المنقول في الإثبات متنافٍ متباين متذبذب أصلاً.

أما حجة الفريق الثاني في الإثبات فليست سوى الالتزام بحديث عروة بن الزبير وابن المسيب عن عائشة! وهكذا فيك الخصام وأنت الخصم والحكم!

والحاصل أنه لا يتأتى للمنصف الإعراض عن حقيقة أن جلد أصحاب الإفك المفترضين لم يقع، ولا يمكن للسويّ الإذعان بما ادّعته عائشة وأطلقته على عواهنه دون أن يكون له شاهد أو أن يكون له ما يعضّده. وإذ لم يثبت وقوع الحدّ بل ثبت عدمه كان ذلك قادحاً في صحة ما روته عائشة في الإفك.

• **الإيراد السادس**؛ جاء عن عائشة وأتباعها في سياق إثبات قصة الإفك على النحو الذي تدّعيه أن الأشعار قد قيلت فيه، فكان من قول أبي بكر ما رواه الطبراني عنها:

يَا عَوْفُ وَيْحَكَ هَلاّ قُلْتَ عَارِفَةً ... مِنَ الْكَلامِ وَلَمْ تَبْغِ بِهِ طَمَعَا

إلى آخر الأبيات. وكان من قول حسان بن ثابت:

حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تُزَنُّ بِرِيبَةٍ ... وَتُصْبِحُ غَرْثَى مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ

إلى آخر الأبيات بدعوى أن حسّاناً قالها في معرض تبرئة عائشة والاعتذار إليها. وكذا رووا عنه أنه قال حين جُلد أصحاب الإفك:

لَقَدْ ذاقَ عَبْدُ الله مَا كَانَ أَهْلَهُ ... وَحَمْنَةُ إِذْ قَالُوا هَجِيرًا وَمِسْطَحُ

إلى آخر الأبيات.

والظن بك أنك غدوت خبيراً بأكاذيب عائشة بعدما وقفت عليه آنفاً في غير مورد، وبهذا تكون قاعدة التعامل مع أحاديثها الإهمالَ والترك بدواً، إلا أن تقوم القرينة لاحقاً على الصحة والاعتبار، لأنه ليس لعائشة مكان بين الثقات العدول، سيّما في ما تدّعيه لنفسها.

والأمر هاهنا يجري هذا المجرى، فإن أول ما يُخرج هذه الأشعار المنسوبة إلى أبي بكر وحسّان عن دائرة التصديق والاعتبار أنها رُوِيَت من طريق عائشة، وعند البحث عمّا يمكن أن يكون قرينة على صحّة مضمونها لم نجد إلا ما هو قرينة على كذبه!

أما الشعر المنسوب إلى أبي بكر، فقد مرّ عليك في الفصل الأول أن الشك يعتري الأشعار المنسوبة إليه، فلا بدّ من التحرّي لإثبات كل واحدة منها، وهذه الأبيات التي تنقلها عائشة عنه لا يمكن التصديق بها لعدم وجود المؤيد أولا، ثم لنفي عائشة ثانياً كون أبيها قد قال شعراً على الإطلاق! فقد قالت كما مرّ عليك: «**والله ما قال أبو بكر بيت شعر في جاهلية ولا في إسلام قطّ**»![1] فكيف لنا أن نصدّق ما تنفيه عائشة بنفسها؟!

وأما شعر حسان الذي فيه: «**حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تُزَنُّ بِرِيبَةٍ**.. إلخ» فقد وجدنا من طرق أخرى أنه لم يقله في مدح عائشة والاعتذار إليها على ما زعمت وزعموا؛ بل قاله في مدح ابنته والإشادة بفضلها عند عائشة على رواية؛ وأن امرأة حكت هذا الشعر عندها على أخرى، وفي كلتا الروايتيْن أن عائشة جرحت حساناً على أنه ليس كابنته في الفضل!

روى البخاري عن مسروق قال: «**دخل حسان بن ثابت على عائشة فشبّب وقال:**

حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تُزَنُّ بِرِيبَةٍ وَتُصْبِحُ غَرْثَى مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ

(١) أحاديث الشعر للمقدسي ص٦٧

قالت: لستَ كذاك! قلتُ: تدعين مثل هذا يدخل عليك وقد أنزل الله: وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ؟! فقالت: وأيُّ عذاب أشدّ من العمى؟! قالت: وكان يردّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم».(١)

وروى البيهقي عن مسروق قال: «**دخلتُ على عائشة رضي الله عنها وعندها حسان ابن ثابت ينشدها شعراً يشبّب بأبيات له، فقال:**

حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تُزَنُّ بِرِيبَةٍ وَتُصْبِحُ غَرْثَى مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ

فقالت عائشة: لكنك لستَ كذاك! قال مسروق: فقلتُ لها: لِمَ تأذنين له يدخل عليك وقد قال الله عز وجل: وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ؟! فقالت: فأيُّ عذاب أشدّ من العمى؟! إنه كان ينافح أو يهاجي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم».(٢)

وها أنت ترى أنه ليس في رواية البخاري والبيهقي هذه أن حسان بن ثابت قد قال هذا البيت في مدح عائشة أو الاعتذار إليها مما بدر منه في قذفها، كما ليس في الرواية سائر الأبيات الملحوقة به التي رواها الطبراني عن عائشة. وإذ ذاك يُتساءل عن مناسبة ذكر حسان هذا البيت عند عائشة وعن المقصودة به، ونجد الجواب ضمن تعليق ابن حجر على الرواية إذ قال: «**ويكون قوله في بعض طرق رواية مسروق: يُشبّب ببنت له، بالنون لا بالتحتانية، ويكون نظم حسان في بنته لا في عائشة**».(٣)

---

(١) صحيح البخاري ج٦ ص١١

(٢) سنن البيهقي ج١٠ ص٢٣٩

(٣) فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ج٨ ص٢٧٤، وقد استظهر أن يكون الشعر في عائشة اعتماداً على سائر الأبيات الملحوقة، غير أنها محلّ النزاع إذ نقول أنها منحولة والثابت فقط هو البيت الأول وقد قاله حسان في ابنته كما نصّ عليه ابن حجر عن بعض طرق الرواية ذاتها، وهو المطلوب.

ولا يخفى أن هذا أوفق، لأنه نتيجة المقاربة بين ألفاظ الرواية من طرقها، كما أنه أنسب، لأنه إن كان حسان يقصد بهذا البيت عائشة فأيٌّ داعٍ لها أن تجرحه بقولها: «**لكنك لستَ كذاك**» فتنفي عنه الحصانة والرزانة؟! فإن الرجل إنما جاء إليها معتذراً فمدحها بهذه الصفات، فلماذا تنفيها عنه وأي مناسبة لذلك؟

نعم؛ نجد المناسبة والأقربية إلى المعقولية في قول أن الشعر قد امتدح به حسان ابنته في محضر عائشة، فاغتاظت المرأة لذلك ونفت أن يكون مثل ابنته في الحصانة والرزانة قائلة: «**لكنك لستَ كذاك**» أي لست كابنتك في هذه الصفات.

أما في رواية ابن هشام ففيها أن امرأة دخلت على عائشة وحكت هذا الشعر في مدح ابنة حسان، فقد روى ابن هشام عن أبي عبيدة: «**أن امرأة مدحت بنت حسان بن ثابت عند عائشة فقالت:**

حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تُزَنُّ بِرِيبَةٍ وَتُصْبِحُ غَرْثَى مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ

فقالت: لكنْ أبوها»![1]

وعليه فالبيت الثابت هذا إنما قيل مدحاً لابنة حسان لا لعائشة، وأما سائر الأبيات غير الثابتة الملحوقة به والتي تشير إلى قصة الإفك فلا ريب في أنها منحولة، إذ رواية مسروق تخلو منها، وكذا رواية أبي عبيدة، نعم هي في رواية عائشة موجودة! فلعلها أضافتها إلى البيت الأول الذي سمعته من حسان عندها فأعجبها أن تجعله وما يلحق به «**تشبيباً**» بها!

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج٢ ص٣٠٧

ولا يفوت الذهن أن حساناً كان غرضاً للكذابين والوضاعين عبر التاريخ، الذين ألصقوا به أشعاراً لم تأتِ على لسانه. قال الأصمعي: «**حسان بن ثابت أحد فحول الشعراء. فقال له أبو حاتم: تأتي له أشعر ليّنة! فقال الأصمعي: تُنسب إليه أشياء لا تصح عنه**».[1]

فهذه الأبيات المضافة على البيت الأول الثابت لا شك أنها من هذه الأشياء التي لا تصح عنه، سيّما مع ملاحظة أنها غير متماشية مع أدبه ولسانه، ويعرف ذلك جهابذة هذا الفن.

أما الأبيات المنسوبة إلى حسان والتي مطلعها:

لَقَدْ ذاقَ عَبْدُ الله مَا كَانَ أَهْلَهُ ... وَحَمْنَةُ إِذْ قَالُوا هَجِيرًا وَمِسْطَحُ

فقد سبقت منا الإشارة إلى أن هناك من يرويها بلفظ: « **لَقَدْ ذاقَ حسّانُ مَا كَانَ أَهْلَهُ**.. إلخ» وذلك للخلاف بينهم في أنه هل جُلِد ابن أُبيّ أم لا؟ فالذي يقول بأنه لم يُجلد روى الأبيات بذكر حسان أنه ذاق معهم الحدّ بدلا من عبد الله، والذي قال بأنه جُلِد رواها بذكر عبد الله بدلا من حسان، وأعفى هذا الأخير من الجلد!

وأيّاً يكن؛ فقد مرّ عليك في الإيراد السابق تفنيد وقوع الحدّ على أيٍّ من هؤلاء المذكورين، الأمر الذي يكذّب صدور هذه الأبيات من حسان، ثم إن في مصادر المخالفين ما يؤكد أن الأبيات لغيره، فقد قال ابن إسحاق: «**وقال قائل من المسلمين في ضرب حسان وأصحابه في فريتهم على عائشة: لَقَدْ ذاقَ حسّانُ الذي كانَ أَهْلَهُ**.. إلخ».[2] وقال الماوردي: «**فقال بعض شعراء المسلمين: لَقَدْ ذاقَ حسّانُ الذي كانَ أَهْلَهُ**.. إلخ».[3]

---

(١) الاستيعاب لابن عبد البر ج ١ ص١٠٢، وأشعر لينة: أشعار ضعيفة.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ج٢ ص٣٠٧ وسمط النجوم للعصامي ص٣٠٦

(٣) النكت والعيون للماوردي ج٣ ص١٦١

فالقائل **أحد شعراء المسلمين أو قائل منهم** وليس حسان بن ثابت.

هذا ولاّ نظن أحداً تعزب عن نفسه السخرية من أحاديث عائشة في قصة الإفك لما فيها من تناقضات وتباينات، فإنها في رواية البخاري والبيهقي عن مسروق قرّرت أن حساناً هو الذي تولّى كبره وأنه جُزِيَ بعذاب عظيم هو العمى، بينما هي في روايات أُخرى تقرّر أن الذي توّلى كبره هو عبد الله بن أُبي! كما مرّ معنا في رواية البخاري عن عروة وكذا في رواية الواقدي، وذاك قولها: «**وكان الذي يتكلم فيه مِسْطَحُ وحسّان بن ثابت والمنافق عبد الله ابن أُبي، وهو الذي كان يستوْشيه ويجمعه، وهو الذي تولىّ كِبْرَه منهم هو وحمنة**».[(١)]

والأكثر سخرية أنها في أحاديث غير هذه نفت أن يكون حسّان قد اشترك في الإفك أصلاً! فقد روى ابن عبد البرّ عن الزبير بن بكّار بسنده عن محمد بن السائب ابن بركة عن أمه: «**أنها كانت مع عائشة في الطواف ومعها أم حكيم بنت خالد بن العاص وأم حكيم بنت عبد الله بن أبي ربيعة، فتذاكرتا حسان بن ثابت فابتدرتاه بالسب، فقالت عائشة: ابن الفريعة تسبان؟!**[(٢)] **إني لأرجو أن يدخله الله الجنة بذبّه عن النبي صلى الله عليه وسلم بلسانه، أليس القائل:**

هَجَوْتَ مُحَمَّداً فَأَجَبْتُ عَنْهُ	**وَعِنْدَ اللهِ في ذاكَ الجَزاءُ**
فَإِنَّ أَبِي ووالِدَتي وعِرْضي	**لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقاءُ**

فبرَّأتهُ من أن يكون افترى عليها! فقالتا: أليس ممّن لعنه الله في الدنيا والآخرة بما قال فيك؟! فقالت: لم يقل شيئاً! ولكنه الذي يقول:

(١) صحيح البخاري ج٦ ص١١ ونحوه في مغازي الواقدي ج١ ص٤٣٥

(٢) تقصد من ابن الفريعة حسان بن ثابت.

حَـــصَانٌ رَزَانٌ مَـــا تُـــزَنُّ بِرِيبَـــةٍ وَتُـصْبِحُ غَرْثَـى مِـنْ لُحُـومِ الْغَوَافِـلِ

فَـإِنْ كَـانَ مَـا قَـدْ جَـاءَ عَنِّـيَ قُلْتُـهُ فَـلا رَفَعَـتْ سَـوْطِي إِلَيَّ أَنَـامِلِي». [1]

وهكذا لا تكاد عائشة ترسو في أحاديثها على برّ ولا تستقر في أقوالها على شاطئ! فمرة تقول أن حساناً كان الذي تولّى كبره وأخرى تقول أنه كان ابن أُبي! وفي ثالثة تقول أنه لم يكن معهم أصلاً! فأي أقوالها نصدّق وعلى أيٍّ من أحاديثها نعتمد؟!

ويبدو أن هذا التهافت من قِبَل عائشة مردّه كثرة تقلبّاتها المزاجية، فهي كما نلاحظه جلياً امرأة متذبذبة الهوى والمزاج، فتارة ترضى عن المرء فتمدحه وتبرّئه من كل عيب، وأخرى تغضب عليه فتذمّه وتلصق به كل شين، ثم ترضى عنه، ثم تغضب عليه، وهكذا دواليك حسبما يقودها هواها في الظرف الذي تعيش فيه! وما قصة **عثمان بن عفان** معها إلا شاهداً على هذه الصفة فيها، فقد كانت على وئام معه، ثم انقلبت عليه وحرّضت على قتله، ثم بكت عليه وطالبت بدمه!

فالظاهر أن حسان بن ثابت تعرّض إلى هذا الذي تعرّض له عثمان، فحين سخطت عليه اتهمّته زوراً بأنه كان من الذين قذفوها بالإفك، وأوّلت العذاب العظيم – الذي أوعد الله تعالى الذي تولّى كبره منهم – بالعمى الذي أصابه! ثم لمّا رَضِيَت عنه برَّأتهُ تماماً وأشادت به!

وهذا حالنا وحال الناس مع عائشة في فحص أحاديثها، فهي كالحلقة المُفرَغة لا يُدرى أين طرفاها!

• **الإيراد السابع**؛ ورد في مطاوي الأحاديث السالفة لعائشة وأذنابها أن آيات قرآنية نزلت في هذا الشأن، عمدتها آيات سورة النور التي نؤخر التعرّض لها قليلاً كي يُتاح لنا

(١) الاستيعاب لابن عبد البر ج١ ص١٠٢ وأسد الغابة لابن الأثير ج٢ ص٦

التعرّض لآية وردت في إحدى هذه الأحاديث، ألا وهي قوله تعالى: «**وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي**»[1] حيث زُعِم أنها نزلت حين دبّ النزاع بين الأوس والخزرج بقيادة سعد بن مُعاذ وسعد بن عبادة وأُسيد بن حُضير فسبّ بعضهم بعضاً وسلّوا السيوف وتلاطموا وتضاربوا بالنعال والحجارة بينما كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) قائماً على المنبر خطيباً مستعذراً ممن نال من عِرضه!

وادعاء نزول هذه الآية في هذه الواقعة المزعومة أمارة على عدم صدق قصة الإفك التي حاكتها عائشة، ذلك لأنه بالرجوع إلى صحاح القوم ومصادرهم المعتبرة وُجِد أن سبب نزول الآية مغاير تماماً لهذا المدّعى! فقد روى البخاري ومسلم والقرطبي عن أنس قال: «**قيل للنبي صلى الله عليه وسلم: لو أتيتَ عبد الله بن أُبي؟ فانطلق إليه النبي صلى الله عليه وسلم وركب حماراً، فانطلق المسلمون يمشون معه وهي أرض سَبِخَة، فلمّا أتاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إليكَ عنّي! والله لقد آذاني نَتْنُ حمارك! فقال رجلٌ من الأنصار منهم: والله لَحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيبُ ريحاً منك! فغضب لعبد الله رجلٌ من قومه فشتمه، فغضب لكل واحدٍ منهما أصحابه، فكان بينهما ضرْبٌ بالجريد والأيدي والنِّعال، فبلغنا أنها أُنزلت: وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا**».[2]

---

(١) الحجرات: ١٠

(٢) صحيح البخاري ج٣ ص١٦٦ وصحيح مسلم ج٥ ص١٨٣ وتفسير القرطبي ج١٦ ص٣١٥ وقد ذكر أقوالاً أخرى دون هذه الرواية في القوة في سبب نزولها، وليس من بين تلك الأقوال حادثة الإفك المزعومة.

إن حقيقة الأمر كما ترى؛ محاولات لاستلاب أسباب نزول الذكر الحكيم ومعانيه وإلصاقها بوقائع مفترضة لإقناع الناس بوقوعها! وما الآيات التي شُحِنَت بها قصة الإفك في رواياتها المتعددة عن عائشة إلا من هذا القبيل.

فلندقّق الآن في آيات سورة النور التي هي العمدة في هذا المقام، ولنرَ هل أنها تنطبق على القصة التي روتها عائشة أم لا؟

قال تعالى: «**إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ * لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هٰذَا إِفْكٌ مُبِينٌ * لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولٰئِكَ عِنْدَ اللهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ * وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ * وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهٰذَا سُبْحَانَكَ هٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ * يَعِظُكُمُ اللهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * وَيُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلٰكِنَّ اللهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا**

يَعْمَلُونَ * يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللهُ دِينَهُمُ الحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الحَقُّ المُبِينُ * الخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ».[(١)]

إن مما يُستفاد من هذه الآيات الكريمات أمور لا يمكن أن تنطبق على قصة الإفك بحسب رواية عائشة، أولها أن الله تعالى يقول: «**إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ**» فنعت الذين جاءوا بالإفك بأنهم عصبة، ومعناها في اللغة معلوم، وهو جماعة من الناس يترابط أفرادها برباط وثيق وعلاقة وطيدة بحيث يتعصّبون لبعضهم بعضاً ويعاضدون بعضهم بعضاً. قال الراغب: «**العصبة جماعة متعصّبة متعاضدة**».[(٢)]

وأين هذه الصفة ممن زعمت عائشة أنهم قد قذفوها؟! وأي رابط بين عبد الله بن أُبي وحسّان بن ثابت ومِسطح بن أثاثة وحَمنة بنت جحش؟! فالتاريخ لم يحدّثنا إطلاقاً عن وجود أدنى علاقة أو تواصل بينهم، كيف وبعضهم من الأنصار وبعضهم الآخر من المهاجرين؟! وكيف وفيهم المنافق المشهور ابن أُبي الذي كان معزولاً لا يتعاطى معه أحد من المسلمين إلا اضطراراً؟! أَفهل يمكن تصوّر أن تتواصل معه حَمنة مثلا أو مسطح فيشكّلون عُصبة متعاضدة أو حزباً متكتّلاً يتواطأ على الإفك والبهتان؟! ولماذا ولأي داعٍ ولا مصلحة مشتركة تجمعهم بل ولا علاقة تشملهم؟!

وثاني ما يُستفاد من الآيات الكريمات أن هناك فئتين توجّه إليهما خطاب التقريع، الأولى هي التي جاء أفرادها بالإفك، والثانية هي التي تلقّته فلم تنكره، فالأولى خوطبت بصيغة الغائب كما في قوله: «**إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ**» وقوله: «**لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ**

---

(١) النور: ١٢ -٢٧

(٢) مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني ج١ ص٣٣٦

وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ» وقوله: «**لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِنْدَ اللهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ**»؛ والثانية خوطبت بصيغة المخاطَب كما في قوله: «**لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ**» وقوله: «**لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ**» وقوله: «**وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ**» وقوله: «**وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ**».

ويُشعر هذا بأن الفئة الأولى التي تولّت أمر بثّ الإفك كان لها من الثقل والتأثير ما يجعل الفئة الثانية تخضع لها فتتلقّى قولها بالقبول دون الإنكار، ولو أن الفئة الأولى كانت أقلّ ثقلاً من الثانية لما كان لهذه الأخيرة أن تخضع أو تتأثّر، فطبيعة المجتمع أنه لا يقيم وزناً لما يرد من الداني ولا يتأثر كل هذا التأثر بإشاعة منه، نعم هو يتأثر بما يصدر ممن تكون له حظوة أو شأن من الشأن.

والمنافق عبد الله بن أُبي، وكذا أمثال مِسطح وحَمنة لم يكن لهم مثل هذا المقام في المجتمع، ولا كان لهم مثل هذا الثقل المؤثر، ونستثني من أولئك حسان لأنه كان ذا تأثير في أشعاره، غير أن التاريخ لم يحدّثنا أنه نظم في قذفه لعائشة شيئاً من ذلك البتة، وحتى لو افترضنا أنه قد نظم وفُقِد ما نظمه أو طُمِرَ إلا أنه يبقى بمفرده من غير تأثير ولا تصدق عليه العُصبة، على أن حسّاناً لم يكن من الطبقة الأولى في المجتمع آنذاك بالقياس إلى غيره، فلا تشخص إليه الأبصار كما تشخص إلى غيره ممن لعبوا أدواراً أوسع في حركة المجتمع إيجاباً أو سلباً.

وعليه فكيف يستقر في القلب أن تخضع هذه الفئة الثانية - وهي عامة الناس على ما يظهر - لمن هم من المنبوذين كابن أُبي أو المغمورين كمِسطح وحَمنة فتستقبل إفكهم وتستمرئه وتخوض فيه كل هذا الخوض الذي يستوجب نزول هذه الآيات الشديدة في تقريعها وتهديدها؟!

وثالث ما يُستفاد من الآيات الكريمات هو أن المقذوفة في الإفك كانت غافلة مؤمنة، وذلك قوله تعالى: «**إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**».

وهذا ما لا يمكن انطباقه على عائشة! فإنه حتى لو سلّمنا بأنها كانت غافلة عمّا قيل فيها – مع أنه استمرّ لمدة شهر على ما يُدّعى! – فكيف لنا أن نسلّم بإيمانها وهي التي نزل القرآن في ذمّها وذمّ صاحبتها حفصة مؤذنا بانحرافها عن الإيمان حين قال تعالى: «**فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا**»؟! وكيف لنا أن نسلّم بإيمانها وقد نفاه النبيّ الأعظم (صلى الله عليه وآله) حين قال لأبيها: «**وما يدريك أَ مؤمنة هي أم لا**»؟![1]

إن هذا يُنبئنا عن أن المقذوفة في قصة الإفك امرأة أخرى، وأن العُصبة القاذفة جماعة أخرى، وأن القضية قد وقع فيها تحريف وتحوير. ولا تغفل عمّا مرّ عليك من أنه في بعض تفاسير المخالفين أن قوله تعالى: «**إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ..**» نزلت في الردّ على مشركي قريش في قذفهم النساء المهاجرات إلى المدينة.[2]

وأما ما ادّعته عائشة في أحاديثها من أن قوله تعالى: «**وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**» قد نزل في أبيها فعدل عن يمينه بعدم الإنفاق على مسطح؛ فهو ظاهر البطلان، ذلك لأن الآية تنهى مَن كان من **أولي الفضل والسعة** عن الأَلِيَّة أي الحلف، وقد علمتَ من الفصل الأول أن أبا بكر ليس مؤمناً بمفهوم آية الغار وحديث

---

(١) راجع ص٢٧٠ وص٢٨٦ من هذا الكتاب.

(٢) راجع هامش ص٢٥٣ من هذا الكتاب.

شهداء أُحد وشواهد أخرى باعترافه، فكيف يكون من **أولي الفضل في الإيمان**؟! فإنه إذا كان إيمانه غير محرَز فكيف بفضله فيه؟!

كما علمتَ من الفصل الأول أن ما أُشيع عن كون أبي بكر ذا ثروة ومال لا صحة له أصلاً وأنه كان أحد أساطير عائشة! فكيف يكون أبا بكر **ذا سعة في المال** ليتوجه إليه خطاب النهي في الآية عن أن لا ينفق؟! فإنه إذا كان غير قادر على الإنفاق على نفسه فكيف به على غيره؟!

وبذا تعرف أن الآية لا يمكن أن تنطبق على أبي بكر والقصة التي اخترعتها عائشة في شأنه وشأن مِسطح، لأن الصفتيْن اللتيْن وردتا في الآية لا تتوفرّان في ابن أبي قحافة.

وقد ورد في تفسير هذه الآية من طرق شيعة العترة الطاهرة (عليهم السلام) ما ينسف ما زعمته عائشة، وما هو أكثر ملائمة مع سياق الآية، فقد روى المفيد في سبب نزولها: «**أن كلاماً جرى بين بعض المهاجرين والأنصار، فتظاهر المهاجرون عليهم وعلوا في الكلام، فغضبت الأنصار من ذلك وآلت بينها أن لا تبرَّ ذوي الحاجة من المهاجرين وأن تقطع معروفها عنهم، فأنزل الله سبحانه هذه الآية، فاتّعظت الأنصار بها وعادت إلى برِّ القوم وتفقّدهم**».[1]

وهكذا تتساقط أمامنا أكاذيب عائشة في قصة الإفك الموضوعة كما تتساقط أوراق الأشجار في الخريف!

● **الإيراد الثامن**؛ ادّعت عائشة في أحاديثها أن السرّ في تخلّفها عن الجيش حتى رحل عنها هو أنها أرادت قضاء حاجتها فخرجت من هودجها واتفق انقطاع عِقْدٍ لها من جَزْع

(١) الإفصاح للمفيد رضوان الله عليه ص١٨٢

ظَفار بعد ذلك فحبسها التقاطه عن الرجوع، ولمّا رجعت وجدت الناس قد رحلوا فباتت ليلتها في المكان أملاً بأن يرجعوا إليها.

وهذا الادعاء لا يمكن قبوله بل ولا التسليم بإمكان وقوعه بالنظر إلى ظرف الحال، فإن الجيش الذي تعداده سبعمئة مقاتل معهم نحوٌ من مئتي أسير لا تكون حركته إلا بطيئة ثقيلة، سيّما أن معظم هؤلاء كانوا راجلين والقليل منهم يركبون الدواب، كما أن الحركة في الليل أبطأ منها في النهار، وكذا الحركة مع السلاح والكُراع تكون أبطأ وأصعب من غيرها، وفي ظل ظرف كهذا كيف يمكن تصديق أن يتحرّك كل هذا الجيش المهول ويختفي عن الأنظار بهذه السرعة بحيث أن عائشة لم تستطع إدراكه بعدما انتهت من جمع ما تناثر من عِقدها؟! أَفهل يُعقل أن يكون الوقت المستغرق في جمع خرزات متناثرة أطول من الوقت الذي يستغرقه تحرّك جيش يضمّ نحو ألف إنسان بدوابهم وأسلحتهم؟! بل إن هؤلاء الألف لو كانوا يستقلّون السيارات الحديثة ويسيرون بها بشكل جماعي لأفضى التزاحم بينهم إلى متسع من الوقت يكفي المرء لفعل الذي زعمت عائشة أنها كانت تفعله أكثر من مرّة ومع ذا يلتحق بهم قبل أن يغادر آخرهم المكان، فكيف والقوم يسيرون على أقدامهم؟! هل من المعقول أن يختفي كل هؤلاء بهذه السرعة؟!

لقد زعمت عائشة في أحاديثها أنها بعدما انتهت من التبوّل والتغوّط رجعت، ثم اكتشفت أن عِقدها قد انقطع، فعادت إلى حيث قضت حاجتها تلتمسه لتجمعه، ثم لما رجعت لم تدرك قافلة الجيش. هذا يعني أنها في رجوعها الأول لم يكن الجيش قد سار بعدُ، وإنما سار بعدما عادت لتلتمس عِقدها، فيكون الوقت الذي استغرقه الجيش لمغادرة المكان بعديده وعتاده أقلّ مما استغرقه ذهاب عائشة وإيابها في جمع خرزات العقد ولا يشمل فترة

تبوّلها وتغوّطها! وتلك لعمري معجزة خارقة لا تكون إلا من قبيل طيّ الأرض للجيش أو طيّ الزمن!

ثم لو غضضنا الطرف عن كل هذا؛ كيف يسوغ لنا القبول بأن عائشة لم تسمع وهي تلتقط خرزات عِقدها أصوات تحرّك الجيش حيث جلبة الجند وهمهمة الركبان وقعقعة السلاح وصهيل الخيول ورغاء الإبل مع أن الوقت كان ليلاً وفي صحراء ليس فيها سوى السكون والهدوء حيث يشعر فيها الإنسان بأدنى صوت؟!

إن ما تدّعيه عائشة من أنها لم تشعر وإلا وكل هؤلاء القوم قد رحلوا ولم يبقَ منهم أثر ما هو إلا تخيّلات ليس لها اعتبار إلا في عالم الأحلام والحكايا الأسطورية!

والغريب أنه في الوقت الذي ذكرت فيه عائشة أنها كانت في المدينة تخرج لقضاء حاجتها بصحبة أم مسطح؛ نجدها ههنا تخرج للحاجة ذاتها بلا صاحبة ولا مرافقة! فإذا كان خروجها بصحبة أحدهنّ في المدينة واجباً لئلا يتعرض إليها أحد؛ فإنه هنا أوجب إذ هي الصحراء المرعبة وهو الليل الذي لا يُؤمن فيه!

فعجباً كيف قبلت بأن تخرج بمفردها في هذا الليل وتعرّض نفسها للخطر؟! وكيف قُبِلَ لها ذلك وتُرِكت تبتعد لوحدها مع أنها من حشايا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟!

● **الإيراد التاسع**؛ قد صدَّعَت عائشة رؤوسنا بعِقدها الذي جعلت فقده أثناء القفول من غزوة المريسيع سبباً لوقوع الإفك وحصول «فضيلة» تبرئتها من فوق سبع سماوات على ما تزعم!

بيد أن عائشة أبت إلا أن تزيد رؤوسنا صداعاً إذ لم تكتفِ بهذه الفضيلة فسبقتها بأخرى تتعلق بالعِقد نفسه وبالواقعة نفسها أعني غزوة المريسيع! حيث زعمت أن العِقد كان قد

ضاع فأمر النبيّ (صلى الله عليه وآله) أفراد جيشه بأن يفتّشوا عنه، وطال بهم الأمر دون أن يجدوه حتى حضر وقت الصلاة ولم يكن ثمة ماء، فنزلت حينئذ آية التيّمم فوسّعت على المسلمين دينهم إذ جعلت لهم هذه الرخصة الشرعية بأن يتيّمموا بالصعيد بدلاً عن الوضوء بالماء للصلاة! وكانت تلك «بركة من بركات عائشة وآل أبي بكر»! ثم كانت المفاجأة أن العِقد وُجد تحت الجمل الذي كانت تركبه عائشة!

أخرج أحمد بن حنبل بسنده عن عائشة قالت: «**أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره، حتى إذا كنا بتُرْبان؛ بلدٍ بينه وبين المدينة بريدٌ وأميال، وهو بلدٌ لا ماء به، وذلك من السَّحَر؛ انسلّت قلادة لي من عنقي فوقعت، فَحُبِسَ رسول الله صلى الله عليه وسلم لالتماسها حتى طلع الفجر وليس مع القوم ماء. قالت: فلقيتُ من أبي ما الله عليمٌ من التعنيف والتأفيف! وقال: في كل سفرٍ منكِ عناءٌ وبلاء! قالت: فأنزل الله الرُّخصة بالتيمّم! قالت: فتيمّم القوم وصلّوا. قالت: يقول أبي حين جاء من الله ما جاء من الرخصة للمسلمين: والله ما علمتُ يا بُنيّة إنكِ لمباركة! ماذا جعل الله للمسلمين في حبسكِ إيّاهم من البركة واليُسر**»![1]

وأخرج البخاري ومسلم عن عائشة قالت: «**خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره، حتى إذا كنا في البيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لي، فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه، وأقام الناس معه، وليسوا على ماء وليس معهم ماء، فأتى الناس إلى أبي بكر فقالوا: ألا ترى ما صنعتْ عائشة؟ أقامت برسول الله وبالناس، وليسوا على ماء وليس معهم ماء! فجاء أبو بكر، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع رأسه على فخذي قد نام! فقال: حبستِ رسول الله والناس، وليسوا على ماء وليس معهم ماء! قالت عائشة:**

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص٢٧٢ ونحوه في صحيح البخاري ج١ ص٨٦ وصحيح مسلم ج١ ص١٩٢

فعاتبني أبو بكر وقال ما شاء الله أن يقول، وجعل يطعنُ بيده في خاصرتي! ولا يمنعني من التحرّك إلا مكان رسول الله على فخذي، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على غير ماء، فأنزل الله آية التيمم فتيمموا، فقال أُسَيْد بن الحضير: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر! قالت: فبعثنا البعير الذي كنتُ عليه فوجدنا العِقد تحته»![1]

والسفر الذي تعنيه عائشة بقولها: «**في بعض أسفاره**» ليس إلا سفر غزوة بني المصطلق أي المريسيع، وذلك ما نصّ عليه ابن رجب الحنبلي وأشفعه بقول ابن سعد والشافعي عن جماعة من أهل العلم بالمغازي وغيرهم من قريش، فقال: «**وهذا السفر الذي سقط فيه قلادة عائشة أو عِقْدها كان لغزوة المريسيع إلى بني المصطلق من خزاعة سنة ست، وقيل: سنة خمس، وهو الذي ذكره ابن سعد عن جماعة من العلماء، قالوا: وفي هذه الغزوة كان حديث الإفك. وقد ذكر الشافعي أن قصة التيمم كانت في غزوة بني المصطلق، وقال: أخبرني بذلك عدد من قريش من أهل العلم بالمغازي وغيرهم**».[2]

وكذا ذكر ابن حجر العسقلاني عن ابن عبد البرّ وابن حبّان أن قصة نزول التيّمم في حديث عائشة هذا قد وقعت في غزوة المريسيع كما وقعت فيها قصة الإفك أيضا، فقال: «**قال ابن عبد البر في التمهيد: يقال إنه كان في غزاة بني المصطلق، وجزم بذلك في الاستذكار، وسبقه إلى ذلك ابن سعد وابن حبان. وغزاة بني المصطلق هي غزوة المريسيع، وفيها وقعت قصة الإفك لعائشة، وكان ابتداء ذلك بسبب وقوع عِقدها أيضاً، فإن كان ما جزموا به ثابتاً**

---

(١) صحيح البخاري ج٤ ص١٩٥ وصحيح مسلم ج١ ص١٩٢ وغيرهما كثير.

(٢) فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن رجب الحنبلي ج٣ ص٢

حُمِلَ على أنه سقط منها في تلك السفرة مرّتين لاختلاف القصّتين كما هو مُبَيَّنٌ في سياقهما».[١]

وفي رواية الواقدي تفصيل أكثر، وقد نقلنا آنفاً شطراً منها، وها هي مع شطرها الآخر حيث تصرّح عائشة بأن القصّتين وقعتا معاً في غزوة المريسيع. والرواية عن عباد بن عبد الله ابن الزبير أنه قال: «**قلت لعائشة: حدّثينا يا أمّه حديثك في غزوة المريسيع. قالت: يابن أختي إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج في سفر أقرع بين نسائه فأيّتُهُنَّ خرج سهمها خرج بها، وكان يحب أن لا أفارقه في سفر ولا حضر! فلمّا أراد غزوة المريسيع أقرع بيننا فخرج سهمي وسهم أم سلمة فخرجنا معه، فغنمه الله أموالهم وأنفسهم ثم انصرفنا راجعين، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلا ليس معه ماء ولم ينزل على ماء، وقد سقط عِقد لي من عنقي، فأخبرتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقام بالناس حتى أصبحوا! وضجَّ الناس وتكلّموا وقالوا: احتبستنا عائشة! وأتى الناس أبا بكر رضي الله عنه فقالوا: ألا ترى إلى ما صنعت عائشة؟ حبست رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس على غير ماء وليس معهم ماء! فضاق بذلك أبو بكر رضي الله عنه فجاءني مغيّظاً فقال: ألا ترين ما صنعتِ بالناس؟ حبستِ رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس على غير ماء وليس معهم ماء! قالت عائشة: فعاتبني عتابا شديداً وجعل يطعن بيده في خاصرتي! فلا يمنعني من التحرّك إلا مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه على فخذي وهو نائم. فقال أُسيد بن حضير: والله إني لأرجو أن تنزل لنا رخصة. ونزلت آية التيمم! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كان من قبلكم لا يصلون إلا في بِيَعهم وكنائسهم، وجُعِلَتْ لي الأرض طهوراً حيثما أدركتني الصلاة. فقال أُسيد بن حضير: ما هي بأوّل بركتكم يا آل أبي بكر! قالت: وكان أُسيد رجلاً صالحاً في بيتٍ**

---

(١) فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ج١ ص٣٦٥، ثم دفع استبعاد بعض شيوخه لوقوع القصتين في غزوة المريسيع.

من الأوس عظيم! ثم إنّا سرنا مع العسكر حتى إذا نزلنا موضعا دمثاً طيباً ذا أراك قال: يا عائشة هل لك في السباق؟ قلت: نعم. فتحزّمت بثيابي وفعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استبقنا فسبقني، فقال: هذه بتلك السبقة التي كنت سبقتيني! وكان جاء إلى منزل أبي ومعي شيء فقال: هلمّيه، فأبيتُ، فسعيتُ وسعى على أثري فسبقتُه. وكانت هذه الغزوة بعد أن ضُرِبَ الحجاب. قالت: وكان النساء إذ ذاك إلى الخفة هُنَّ إنما يأكلن العلق من الطعام لم يُهَيَّجنَ باللحم فيثقُلْنَ. وكان اللذان يرحّلان بعيري رجلين أحدهما مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له أبو موهبة وكان رجلا صالحاً، وكان الذي يقود بي البعير. وإنما كنتُ أقعدُ في الهودج فيأتي فيحمل الهودج فيضعه على البعير ثم يشده بالحبال ويبعث بالبعير ويأخذ بزمام البعير فيقود بي البعير. وكانت أم سلمة يُقاد بها هكذا، فكنا نكون حاشية من الناس يذب عنا من يدنو منا، فربما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنبي وربما سار إلى جنب أم سلمة. قالت فلمّا دنونا من المدينة نزلنا منزلاً فبات به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض الليل ثم أدلج وأذن للناس بالرحيل فارتحل العسكر. وذهبتُ لحاجتي فمشيتُ حتى جاوزتُ العسكر وفي عنقي عِقد لي من جَزْع ظَفار، وكانت أمي أدخلتني فيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلما قضيتُ حاجتي انسلَّ من عنقي فلا أدري به! فلما رجعتُ إلى الرَّحْل ذهبتُ ألتمسه في عنقي فلم أجده، وإذا العسكر قد نغضوا إلا عيرات وكنت أظن أني لو أقمتُ شهراً لم يُبعث بعيري حتى أكون في هودجي، فرجعتُ في التماسه فوجدته في المكان الذي ظننتُ أنه فيه فحبسني ابتغاؤه وأتى الرجلان خلافي، فرحَّلوا البعير وحملوا الهودج وهم يظنون أني فيه فوضعوه على البعير ولا يشكون أني فيه، وكنتُ قبل لا أتكلم إذ أكون عليه فلم

ينكروا شيئا! وبعثوا البعير فقادوا بالزمام وانطلقوا، فرجعت إلى العسكر وليس فيه داعٍ ولا مجيب ولا أسمع صوتاً ولا زجراً .. إلخ».[1]

لعل عائشة كانت تظن أن كل الناس أغبياء كغباء الذين كانت تتباهى أمامهم بقصص فضائلها المختَرَعة فيصدّقونها! فانطلقت المرأة تتخيّل الوقائع والأحداث وتحشر نفسها فيها حشراً دون أن تلتفت إلى أن إكثارها من هذه الأكاذيب سيفضحها حتى عند أغبى أغبياء العالم! إذ لن يكون باستطاعته هضم كل هذا الذي تأتي به من فضائل ومناقب تتنافى مع العقل والتاريخ بل والذوق السليم!

لم نكد ننتهي من حكاية الإفك حتى أخرجت لنا عائشة حكاية التيمّم هذه المرة! وكلا الحكايتين وقعتا في غزوة واحدة هي المريسيع! وكلاهما وقعتا في الليل! وكلاهما كان السبب فيهما ضياع عِقدها! وكلاهما نزل فيهما قرآن يجعل لها المنّة على المسلمين جميعاً!

تركب عائشة جملها وتعود مع الجيش بعد انتهاء غزوة بني المصطلق، وإذا بعِقدها يضيع منها، فيأمر النبي (صلى الله عليه وآله) أصحابه بأن يبحثوا عنه! فيتأخروا عن المسير ولا من ماء! فتنزل آية التيمّم فيبتهج المسلمون ببركة عائشة وآل أبي بكر! ثم يزداد المشهد «السينمائي» تألقاً فتجد عائشة عِقدها تحت بعيرها الذي كانت تركبه!

يمضي الجيش راجعاً إلى المدينة، وإذا بالعِقد نفسه يضيع ثانية! فتتعرّض بطلة «الفيلم» إلى محنة الانقطاع عن الناس، فتنام مطمئنة إلى أن يأتيها «فارس بطل» لينقذها ويردفها على بعيره ليُلحقها بالجيش، ولمّا يصلان معاً إليه يراهما الناس فتكثر الشائعات، والرجل شريف والمرأة شريفة! إلا أن الزوج يتأثر بكلام الناس والقيل والقال فتتغيّر معاملته لزوجته المسكينة البريئة وكأنه يشكّ فيها! ثم ينزل وحي من السماء في تبرئتها من تهمة الزنا فتقف

(١) مغازي الواقدي ص٤٢٧

«بطلة الفيلم» في خاتمته «السعيدة» منتصبة فخورة منتشية بانتصارها فتقول لزوجها على سبيل اللوم والتبكيت: «**بحمد الله لا بحمدك**»!

هكذا تريد عائشة إقناعنا بأن هذا «الفيلم السينمائي» كان حقيقة واقعة! وغاب عنها أنّا لسنا أغبياء إلى هذه الدرجة حتى نصدّق أن عِقداً لها ينقطع في سفرة واحدة مرّتين دون أن تشعر به وفي كل مرّة يكون له شأن من الشأن حتى أن آيات من السماء تنزل! فياله من عِقد مبارك عجيب غريب! وليته ضاع أكثر وأكثر لتتحفنا السماء في كل مرة بمزيد من الآيات والرُّخَص والأحكام والفضائل والمكرمات والبركات.. سيّما بركات آل أبي بكر!

لا يخلو أن يكون العِقد الذي دوّخت عائشة به رؤوسنا من أن تكون قد تقلّدته على هيئة من هيئتين، إما أنها تقلّدته وجعلته فوق الثياب فلذا لم تكن قد شعرت بانقطاعه وتناثره على الأرض؛ وإما أنها تقلّدته وجعلته تحت الثياب. أما الأول فمُحال لأنه يكون تبرّجاً وهو حرام لا يمكن أن يسمح به رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حياته، وأما الثاني فيمتنع أن لا تشعر بانقطاعه وتناثره وهو يمسّ جسدها مباشرة، كما يبعد أن لا تشعر به حتى وإن كان ما يفصل بينه وبين جسدها ثوب داخلي من الثياب الرقيقة المعهودة، فكيف تزعم عائشة أن العِقد قد انسلّ وانقطع وتناثر وضاع دون أي شعور منها؟! وهَبْ أن ذلك حصل اتفاقاً مرةً؛ فكيف يتكرّر بهذه الصورة دون أي شعور منها أيضاً؟! مع أن عادة الإنسان التحفّظ على ما ضاع منه أول مرة.

ثم أيُّ نبيٍّ هذا الذي يستخفّ عقله فيعطِّلَ جيشه الجرّار بمن فيه في أرضٍ لا ماء فيها ولا حياة من أجل أن يبحث الجميع عن عِقدٍ لزوجته لم يكن من الألماس ولا الذهب ولا اللؤلؤ وإنما من «جَزع ظفار» فحسب؟!

وأي نبي هذا يتصابى وينزع رداء الحياء والمروءة فيأمر جيشه بالتقدّم ليتأخّر هو ثم يعرض على امرأته أن يتسابق معها «فتتحزّم» بثيابها ليلهو معها فيما الجيش راجع من حرب فيها ما بين قتيل وجريح والباقي منهمك بالعودة إلى أهله آمناً والخلاص من هذا السفر والعناء؟!

دع عنك ذا.. كيف يُقبل ادّعاء عائشة أن حكم التيمم نزل في قصة عِقدها المفقود أول مرة عند القفول من غزوة المريسيع مع أنه كان قد نزل قبل ذلك الحين بكثير؟!

بيان ذلك: إن آيات الكتاب العزيز التي شرّعت حكم التيمّم ليست غير آيتين اثنتين، إحداهما في سورة النساء والأخرى في سورة المائدة، أما الأولى فقوله تعالى: «**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلا جُنُبًا إِلا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا**».[(١)]

وأما الثانية فقوله تعالى: «**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**».[(٢)]

والآية الأولى لا يمكن أن تكون هي المعنية بآية التيمم التي زعمت عائشة في حديثها نزولها حين فقدت عِقدها، ذلك لأن لها قصة معلومة في سبب نزولها رواها أرباب الأحاديث

---

(١) النساء: ٤٤

(٢) المائدة: ٧

والتفاسير والتواريخ على السواء، وحاصلها أن جماعة من أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) كانوا يحتسون الخمر ويجلسون جلسات السكر والعربدة حتى تأخذ الخمر برؤوسهم ثم يقومون إلى الصلاة وهم مخمورون فلا يدرون كم ركعة ركعوا وماذا قالوا في صلاتهم! فنهاهم الله تعالى عن ذلك بأن أنزل هذه الآية التي في سورة النساء بُعيد معركة أُحُد.[(١)]

روى ابن كثير عن ابن أبي حاتم بسنده عن سعد بن أبي وقاص قال: «**صنع رجلٌ من الأنصار طعاماً، فدعا أناساً من المهاجرين وأناسا من الأنصار، فأكلنا وشربنا حتى سكرنا! ثم افتخرنا فرفع رجلٌ لَحْيَ بعيرٍ ففَزَر بها أنف سعد،[(٢)] فكان سعد مفزور الأنف، وذلك قبل أن تحرّم الخمر، فنزلت: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى.. الآية**».[(٣)]

وإذ عرفنا أن هذه الآية لا يمكن أن تكون هي المعنية في حديث عائشة سيّما أن ما ورد فيه لا يناسب ما تصدّرت به من النهي عن الصلاة حال السكر؛ فتتعيّن الآية الأخرى أي التي في سورة المائدة. وهذا هو الذي صرّح به البخاري في إحدى رواياته عن عائشة، إذ جاء فيها: «**سقطت قلادة لي بالبيداء ونحن داخلون المدينة، فأناخ النبي ونزل، فثنى رأسه في حجري راقدا، أقبل أبو بكر فلكزني لكزة شديدة وقال: حبستِ الناس في قلادة! فبي الموتُ لمكان رسول الله وقد أوجعني! ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم استيقظ وحضرت الصبح،**

---

(١) راجع أسباب النزول للواحدي ج١ ص١٠١ وفتح الباري لابن رجب الحنبلي ج٣ ص٢، والطريف أن هؤلاء المعربدين يُقال لهم عند المخالفين: «رضي الله عنهم وأرضاهم»! وكان من بينهم عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وآخرون، وألحق بهم النواصب اسم أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) لتبرير عربدة أسيادهم، فلعنة الله على النواصب.

(٢) لحي بعير: عظم فكّ البعير. فزر بها: شقّ بها.

(٣) تفسير ابن كثير ج٢ ص٣٠٩ عن تفسير ابن أبي حاتم، والعجاب في بيان الأسباب لابن حجر العسقلاني ج٢ ص٨٧٥ عن مسند الطيالسي.

فالتمس الماء فلم يوجد فنزلت: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ.. الآية، فقال أُسيد ابن حُضير: لقد بارك الله للناس فيكم يا آل أبي بكر! ما أنتم إلا بركة لهم»![1]

ومعلوم أن سورة النساء متقدّمة على سورة المائدة بالإجماع واليقين، إذ الأخيرة من أواخر ما نزل من القرآن إن لم تكن آخره واقعاً، وبذا تكون الآية المشتملة على حكم التيمم في سورة النساء قد نزلت قبل غزوة المريسيع بزمن، وما الآية اللاحقة التي في سورة المائدة إلا تثنية تأكيدية لها كسائر الآيات التي هي من هذا القبيل، فكيف تزعم عائشة أن ضياع عِقدها في عودتها من المريسيع كان السبب في نزول حكم التيمم حيث لم يكن قد شُرِّعَ من قبل فعُدَّ هذا منقبة من مناقبها وبركة من بركاتها؟!

وبعبارة أخرى؛ إن عائشة زعمت في حديثها أن القوم لما احتبسوا في طلب عِقدها المفقود ضجّوا لأنهم كانوا في أرض لا ماء فيها فلا يتمكنون من الوضوء للصلاة، أي أن رخصة التيمم لم تكن قد شُرِّعَت بعد ولا نزلت آية في بيانها، وإنما نزلت بعد الاحتباس فاعتبرها أُسيد بن حُضير «بركة من بركات آل أبي بكر» أن منّ الله عليهم بالتيمم بدلاً من الوضوء حين لا يجدون الماء! غير أننا نُفاجأ بأن حكم التيمم كان قد شُرِّع منذ زمن حين نزلت آية سورة النساء في قصة سعد بن أبي وقاص وجلسة السكر والعربدة التي شوّهت أنفه! فكيف كان النبي (صلى الله عليه وآله) وأتباعه من المسلمين لا يعرفون هذا الحكم

---

(١) صحيح البخاري ج٥ ص١٨٧، وقولها: لكزني لكزة شديدة أي ضربني بيده المقبوضة ضربة شديدة! ثم لاحظ مبالغتها في قولها: فبي الموت لمكان رسول الله وقد أوجعني! ثم لاحظ افتخارها بتأكيدها وتكرارها في أحاديثها على أن أُسيداً قال عن أهل بيتها: «**ما أنتم إلا بركة لهم**»! مع أننا لم نجد في التاريخ بركة لآل أبي بكر قط! فمن أين جاءت هذه البركة يا ترى؟!

ويتذمّرون من بقائهم في هذا المكان الذي لا ماء فيه لأنهم يريدون الصلاة ولا يتمكنون من الوضوء؟!

إن هذا الإشكال هو ما دفع ابن عبد البرّ لمحاولة إنقاذية لحديث عائشة فقال: «**يُحتمل أن يكون الذي نزل بسبب قصة عائشة الآية التي في سورة النساء! فإنها نزلت قبل سورة المائدة بيقين، وسورة المائدة من أواخر ما نزل من القرآن، حتى قيل: إنها نزلت كلها أو غالبها في حجة الوداع، وآية النساء نزولها متقدّم**».[1] وهو كما ترى تحكّم واه منقوض بما سلف.

أعرض عن هذا.. كيف تزعم عائشة أن البلد الذي توقفوا فيه للبحث عن عِقدها الضائع لم يكن فيه ماء ولذا نزلت رخصة التيمم «ببركتها» في حين أن هذا البلد كان في الحقيقة ذا مياه كثيرة مريّة؟!

(١) فتح الباري لابن رجب الحنبلي ج٣ ص٢ عن ابن عبد البر، وقد ردّ عليه مثبتاً أن الآية المقصودة هي التي في سورة المائدة، غير أنه طرح حلاً للمعضلة أسخف من أن يُشتغل بالرد عليه مفاده أن القوم توقفوا في جواز التيمم في هذه الحالة لاعتقادهم أنه لا يُباح ذلك مع التقصير في طلب الماء، فنزلت آية المائدة مبينة جواز التيمم في هذه الحالة!

ولسنا ندري إنْ كان هذا الحكم خافياً على الناس فكيف يكون خافياً على صاحب الشريعة صلى الله عليه وآله؟! أفهل يقول عاقل بأنه (صلى الله عليه وآله) لم يكن يعرف الحكم في هذه الحالة؟!

ثم كيف فهموا من آية المائدة جواز التيمم في هذه الحالة ولم يفهموا ذلك من آية النساء مع أن النص المتعلق بالتيمم في الآيتين واحد في مسوّغات الأخذ بهذه الرخصة! وهو قوله تعالى: « **وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا** ». فأي شيء في هذا النص الثاني كان جديداً وزائداً في مسوّغات الحكم على النصّ الأول حتى يُقال أنهم فهموا منه الجواز هاهنا بعد التوقف في المسألة والحيرة؟! سبحانك يا من كرّمت بني آدم بنور العقل فأطفأه الحنابلة كابن رجب!

إن عائشة في رواية الواقدي المتقدمة لم تسمِّ ذلك البلد، فاكتفت بتأكيدها على أنه لم يكن فيه ماء، قائلة: «**فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلاً ليس معه ماء ولم ينزل على ماء**».

وفي رواية البخاري ومسلم تردّدت عائشة في تعيين ذلك البلد على وجه التحديد بين أن يكون البيداء أو ذات الجيش - التي تسمّى أيضاً أولات الجيش والصُّلصُل - قائلة:«**خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره، حتى إذا كنا في البيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لي**».

غير أن عائشة في رواية أحمد بن حنبل عيّنت البلد وقدّرت بُعده من المدينة وأعادت التأكيد على أنه ليس فيه ماء، قائلة: «**أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره، حتى إذا كنا بتُرْبان؛ بلدٍ بينه وبين المدينة بريدٌ وأميال، وهو بلدٌ لا ماء به**».

وهذه المواضع (البيداء، الأبواء، الصُّلصُل، ذات الجيش، تُربان، ملل، السيّالة) هي في واقع الأمر متقاربة كما ذكرته معاجم البلدان،[1] وكلها تقع في طريق مكة إلى المدينة نحو ذي الحليفة على بريد إلى بريدين، فيكون مقتضى الجمع بين روايات عائشة حمل التي جزمت فيها

---

(١) قال ابن اسحاق كما في معجم ما استعجم لأبي عبيد البكري ج٣ ص٩٥٧: «**لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر سلك على نقب المدينة، ثم على العقيق، ثم على ذي الحليفة، ثم على ذات الجيش، ثم على تربان**». وفي المصدر نفسه ج١ ص٤٠٩ نقل عن القتبي - وهو ابن قتيبة - قوله: «**ذات الجيش من المدينة على بريد**» أما في هامش موطأ مالك ج١ ص١٤٦ فجاء: «**ذات الجيش على بريدين من المدينة**». وقال الحموي في معجم البلدان ج٢ ص٢٠٠: «**أولات الجيش موضع قرب المدينة، وهو واد بين ذي الحليفة وتربان**». وجاء في فتح الباري لابن حجر ج١ ص٣٦٦: «**إن القلادة سقطت ليلة الأبواء، والأبواء بين مكة والمدينة، وفي رواية علي بن مسهر في هذا الحديث عن هشام قال: وكان ذلك المكان يقال له الصلصل**». فيما قال ابن عبد البر كما في شرح السيوطي لسنن النسائي ج١ ص١٦٣: «**يقال أنه كان في غزاة بني المصطلق بالبيداء، هي الشرف الذي قُدّام ذي الحليفة في طريق مكة أو ذات الجيش هي على بريد من المدينة**».

بتعيين الموضع - وهو تُربان - على التي تردّدت فيها بين المواضع، لأن التردد ناشئ عن تقارب هذه المواضع فيكون الجزم بأحدها بعد ذلك كاشفاً عن حصول الاطمئنان عند الجازم، وقول عائشة في رواية أحمد بن حنبل ظاهر في الجزم والقطع إذ فضلاً عن تعيينها الموضع بلا تردد فإنها حدّدت المسافة بينه وبين المدينة.

فالنتيجة أن البلد الذي تزعم عائشة ضياع عِقدها فيه أثناء العودة من المريسيع وتسبّب ذلك في قصة التيمم هو **تُربان**.

ويشاء الله تعالى أن تُفتضح عائشة**!** إذ بالرجوع إلى معاجم البلدان نكتشف أن هذا البلد الذي زعمت عدم وجود الماء فيه كان في واقع الأمر ذا وفرة من المياه المريّة**!** فقد ذكر ياقوت الحموي في معجمه عن تُربان: «**قال أبو زياد الكلابي: هو واد بين ذات الجيش وممل والسيّالة على المحجة نفسها، فيه مياه كثيرة مريّة**»**!**[1]

وقال الزمخشري عنه: «**واد به مياه كثيرة في ما بين ملل والسيّالة على المحجة نفسها، وكان منزل عروة بن أذينة الشاعر الكناني**»**!**[2]

وقال الزبيدي: «**وتُربان - بالضم - وادٍ بين الحفير والمدينة المشرفة، وقيل بين ذات الجيش والملل، ذات حصن وقُلل، فيها مياه كثيرة**»**!**[3]

---

(١) معجم البلدان للحموي ج٢ ص٢٠

(٢) الجبال والأمكنة والمياه للزمخشري ج١ ص٤، وكونه منزلاً لأحدهم يعني توفّر الماء فيه وإلا فإن أحداً لا ينزل في الأرض الجدباء خشية الهلاك كما هو معلوم.

(٣) تاج العروس للزبيدي ج١ ص١٥٩

وقال ابن الأثير: «**وفي حديث عائشة رضي الله عنها: كنّا بتُربان. هو موضع كثير المياه**»![1]

وهكذا تنكشف أمامنا كذبة جديدة من أكاذيب عائشة حيث ادّعت أن «عِقدها المقدس» قد وقع في طريق العودة من غزوة المريسيع ليفضي حبسُ الناس للبحث عنه وانقطاعهم عن الماء إلى نزول آية التيمم «والتوسعة على المسلمين»! إذ كيف يفقد الناس الماء ويحتاجون إلى التيمم والماء كثير وفير؟!

وبطلان هذا الادعاء يلازم بطلان ادعاء عائشة الآخر المرتبط به، وهو سقوط «عِقدها المقدس» ثانية في طريق العودة من المريسيع أيضاً لتعيش المرأة محنة الإفك وتخرج منها «وقد بُرِّئت من فوق سبع سماوات»! فيا لله وللإفك!

• **الإيراد العاشر**؛ تُلاحَظ في أحاديث الإفك المروية عن عائشة مضامين عدّة لا يرتاب في كذبها كل مَن خاض عُباب الأحاديث والآثار وحاز ملكة التمييز بين الصحيح منها والسقيم، إذ يستشنع ما في تلك الأحاديث من قبائح ويستبعد ما فيها من غرائب.

وهاهنا نلفت إلى بعض هذه المضامين التي جاءت في أحاديث عائشة الآنفة دون أن نسهب في التعليق عليها.

فمنها ما نسبته إلى النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) من قوله عن صفوان حين خطب على المنبر كما في رواية البخاري: «**ولقد ذكروا رجلاً ما علمتُ عليه إلا خيراً، وما يدخل على أهلي إلا معي**» وفي لفظ آخر: «**ولا يدخل بيتي قطّ إلا وأنا حاضر، ولا غبتُ في سفر إلا غاب معي**». وهو غريب إذ لم تُعهد كثرة تردّد صفوان على النبي (صلى الله عليه

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ج١ ص١٨٢

وآله) بل ولا دخوله بيته على أهله على سبيل العادة حتى يُوصف بهذه الصفة وكأنه كان كأنس بن مالك خادماً ملازماً للنبي صلى الله عليه وآله، كيف والرجل لم يكن قد أسلم قبل حادثة الإفك المزعومة إلا بزمان يسير؟! إذ إنه على ما ذكروا كان قد أسلم قبل المريسيع وكانت هي أول مشاهده على قول، وعلى آخر أن الأحزاب كانت أولاها،[1] وعلى أيٍّ من القولين لا تكون فترة إسلامه قبل حادثة الإفك المزعومة إلا فترة وجيزة لا يصحّ معها أن يُقال فيه ما نسبته عائشة زوراً إلى خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله.

ومنها ما جاء في رواية البخاري من قول عائشة للنبي (صلى الله عليه وآله) وأبويها: «**إني والله لقد علمتُ لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقرَّ في أنفسكم وصدَّقْتم به! فلئن قلت لكم إني بريئة لا تصدّقوني! ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني منه بريئة لتصدِّقُنّي**»! وهو شنيع إذ إنه اتهام لصاحب الشريعة (صلى الله عليه وآله) بعدم الالتزام بها، لأنه صدّق بالقذف ثم هو لا يصدّق ببراءة المقذوفة رغم إنكارها وعدم قيام البينة عليها! ومثل هذا الاتهام لا يمكن أن يمرّ مرور الكرام دون ردع منه (صلى الله عليه وآله) سيّما أن عائشة قد أقسمت بالله على أنه قد صدّق قذفها واستقرّ في نفسه! فلا أقلّ من مطالبتها بالتكفير عن قسمها.[2]

---

(١) راجع ترجمته في أُسد الغابة لابن الأثير ج٣ ص٢٦ وفيها: «**وأسلم قبل المريسيع وشهد المريسيع، وقال الواقدي: شهد صفوان الخندق والمشاهد بعدها، وكانت الخندق سنة خمس**».

(٢) لو أن هذه الكلمة صدرت من عائشة لنهرها رسول الله (صلى الله عليه وآله) كما نهر ذلك الرجل الذي طالبه بالتقوى والعدل! روى البخاري في صحيحه ج٥ ص١١٠ في حديث أن ذا الخويصرة التميمي قال للنبي صلى الله عليه وآله: «**يا رسول الله اتق الله! قال: ويلك! أَوَلست أحق أهل الأرض أن يتقي الله**»؟! وفي رواية أحمد في مسنده ج٣ ص٣٥٥ قال الرجل الخبيث: «**اعدل يا محمد! فقال: ويلك! ومن يعدل إذا لم أعدل؟! لقد خبتُ وخسرتُ إنْ لم أعدل**».

ومنها ما رواه البخاري من أن النبي (صلى الله عليه وآله) لمّا نصح عائشة بالتوبة إنْ كانت قارفت سوءاً وكانت امرأة أنصارية جالسة عند الباب قالت له عائشة: «**ألا تستحي من هذه المرأة أن تذكرَ شيئاً**»؟! وهو شنيع إذ إنه اتهام لسيد الأنبياء (صلى الله عليه وآله) بعدم الحياء! مع أنه (صلى الله عليه وآله) كان «**أشدّ حياءً من العذراء في خِدرها**» كما رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري.(١)

ومنها ما جاء في رواية البخاري من أن عائشة لمّا نزلت براءتها المزعومة قالت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**بحمد الله لا بحمد أحد ولا بحمدك**»! وفي رواية أحمد قالت: «**بحمد الله لا بحمدك! قالت: قال لها أبو بكر: تقولين هذا لرسول الله صلى الله عليه وسلم؟! قالت: نعم**»! وفي رواية الطبراني: «**وأقبل أبو بكر مسرعاً يكاد أن يَنْكَبْ! قالت: فقلتُ: بحمد الله لا بحمد صاحبك الذي جئتَ من عنده**»! وفي رواية أخرى للبخاري قالت: «**والله لا أقوم إليه ولا أحمده! ولا أحمدكما، ولكن أحمد الله الذي أنزل براءتي، لقد سمعتموه، فما أنكرتموه ولا غيّرتموه**»! وهو غاية في الشناعة لما تضمّنه من الإهانة لمقام خاتم الأنبياء (صلى الله عليه وآله وسلم) علاوة على تأكيدها أنه (صلى الله عليه وآله) سمع القذف فلم ينكره ولم يغيّره مع أن هذه وظيفته شرعاً! ولو أن هذا الاتهام صدر فعلاً من عائشة في محضره (صلى الله عليه وآله) لوجدناه قد ردّه ونهرها.

ومنها ما جاء في رواية البخاري من أن أم رومان قالت لعائشة في معرض تهدئتها مما بلغها من قذفها: «**يا بُنيَّة خَفِّضي عليك الشأن، فإنه والله، لقلّما كانت امرأة حسناء عند رجلٍ يحبّها لها ضرائر إلا حَسَدْنَها وقيلَ فيها**»! وهو غريب إذ لم يرد أن أحداً من ضرائر عائشة اتهمّتها وشاركت في الإفك عليها حسداً، خاصةً أن عائشة أكدت أن «التي تساميها في

---

(١) صحيح البخاري ج٤ ص١٦٧

المنزلة» وهي زينب بنت جحش – على حدّ زعمها – كان قد عصمها الله بالورع فلـم تبهتهـا بشيء. ثم قد مرّ عليك أنه ليس لعائشة في الحُسن نصيب حتى تصفها أمّهـا بالحـسناء! إلا إذا كان ذلك الوصف من قبيل إطلاق اسم البصير على الأعمى!

ومنها ما جاء في رواية الطبراني من قول عائشة: «**فبينـا نحـن كـذلك إذ جـاء أبـو بكـر، فدخل عليَّ، فقال: يا رسـول الله، مـا تنتظـر بهـذه التـي خانتـكَ وفـضحتني**»! وهـو غريـب ومستبعد جداً، إذ صريحه أن أبا بكر كان معتقداً بخيانة ابنتـه وارتكابهـا الفاحـشة ولـذا دعـا النبي لإقامة الحدّ عليها وعدم الانتظار، فيكون أبو بكر مشتركاً في الإفك!

ومنها ما جاء في رواية الطبراني من أن أم مِسطح قالت لعائشة حين لامتها عـلى تتعيـسها ابنها: «**أشهد أنك من الغافلات المؤمنات**»! وهو بعيد لمحاكاته آية لم تكن قـد نزلـت بعـدُ إذا قيل بنزول آيات سورة النور في واقعة الإفك على ما تدّعيه عائشة!

ومنها ما رواه البخاري من أن عائشة أبلغت أبا سـلمة بـن عبـد الـرحمن وأبـا بكـر ابـن عبد الرحمن بن الحارث أنه: «**كان عليٌّ مسلِّماً في شأنها**»! وما رواه ابن مردويه عنهـا: «**إن علياً أساء في شأني! والله يغفر له**»! وهو شنيع جداً إذ هو اتهام لأمير المؤمنين (صـلوات الله عليـه) باشتراكه مع أهل الإفك وإساءة الظن بها والتسليم بخيانتها! والمؤالف والمخالف يقرّان عـلى السواء بأن عليا (عليه السلام) كان رأس أهل التقوى والورع والديانة ولا يمكن وقوع هـذا منه.

ومنها ما رواه الطبراني من قول عائشة: «**فقلت للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله؛ أَ تأذن لي أن أذهب إلى أهلي؟ قال : اذهبي. فخرجت عائشة حتى أَتَتْ أباها أبا بكـر. قـال لهـا أبو بكر: ما لَكِ؟ قالت: أخرجني رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيته! قال لهـا أبـو بكـر: فأخرجكِ رسول الله صلى الله عليه وسلم فآويكَ أنا! والله لا آويكِ حتى يأمر رسول الله صلى**

الله عليه وسلم»! وقد علّقنا عليه في الهامش وذكرنا هناك أنه تزييف للواقع إذ لم يخرجها النبي (صلى الله عليه وآله) بل هي التي طلبت منه ذلك كما جاء في النص بلسانها، فكيف تبهته وتكذب عليه؟!

ومنها ما جاء في رواية الطبراني من أن عبد الله بن أُبي بن سلول المنافق قال عن صفوان وعائشة: «**فَجَرَ بها وربِّ الكعبة**»! وهو قذف صريح قبيح لا يمكن أن يغضي عنه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فيرفع عن صاحبه الحدّ كما أثبتوا! فإن بعضهم زعم أن رفع الحدّ عنه مردّه عدم تصريحه بالقذف واقتصاره على الإرجاف به واستيشائه.

ومنها ما نذكره تلطيفاً وتمليحاً وهو ما رواه الطبراني عن عائشة من قولها: «**لمّا بلغني ما تكلّموا به هَمَمْتُ أن آتي قليبا فأطرح نفسي فيه**»! تعني أنها أرادت أن تنتحر! وهو كما يستشعره الخبير ليس سوى طُرفة من طرائف عائشة في أحاديثها! وليتها فعلت فطرحت نفسها في القليب وانتحرت ووفّرت علينا من المآسي ما وفّرت مما أحدثت!

* * *

كانت هذه إيرادات عشر على قصة الإفك التي اختلقتها عائشة، ما تركنا زيادتها إلا ملالةً إذ طال الكلام وتشعّب بما هو كافٍ لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

وحيث ثبت بطلان هذه القصة وتهافتها ومناقضتها للعقل والسيرة والتاريخ؛ جاء دور بيان وجه الحق في آيات سورة النور، فإنها قد أثبتت وقوع الإفك، وعلمنا مما تقدّم أنه لا يمكن أن تكون عائشة هي المعنية، فلا بد أن تكون أخرى. فمن هي تلك السيدة الجليلة التي تعرّضت لهذه الفرية البشعة حيث اتُّهِمت في شرفها؟! وما هي القصة الحقيقية للواقعة؟!

هذا هو ما سنفصّله في ما يأتي إن شاء الله تعالى.

■ **مارية.. السيدة الطاهرة المظلومة**

لَكَمْ ظلم أصحاب السِّيَر والتاريخ من أهل الخلاف هذه السيدة الجليلة، فناهيك عن عدم اهتمامهم بتتبّع أحوالها وتقصيرهم في نقل كثير منها رغم أنها عاشت ما بعد النبي (صلى الله عليه وآله) فترة لا بأس بها؛ كان أكبر ظلم أوقعوه عليها أنهم حجبوا - غفلةً من بعضهم وتعمداً من الآخر - حقيقة كونها المعنية بحادثة الإفك الحقيقية.

إنها **مارِيَة بنت شمعون القبطية** أي المصرية، جارية عفيفة كريمة كان قد أهداها حاكم مصر وبَطْرَقُها الرومي **جُريج بن مينا المقوقس** في السنة السابعة من الهجرة إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بعدما وصله كتابه يدعوه فيه إلى الإسلام، فضنّ الرجل الخبيث بمُلكه ولم يقبل الإسلام فأهدى للنبي (صلى الله عليه وآله) ما أهدى، وكان من جملته مارية التي اصطفاها النبي (صلى الله عليه وآله) لنفسه، وأختها **سيرين** التي وهبها شاعره حسّان ابن ثابت فأنجبت له ولده عبد الرحمن، وابن عمٍّ - أو أخ لهما على الاختلاف - اسمه مأبور أو جريح، وحماراً أشهب يُدعى عُفيراً أو يعفور، وبغلة شهباء تُدعى دُلدُل، وألف مثقال ذهب، وعشرون ثوباً قبطياً.[1]

وتصرّح الروايات بأن مارية وسيرين لم تكونا جاريتيْن وضيعتيْن، بل كان لهما مقام سام ومنزلة عظيمة عند الأقباط، فهما من بنات الملوك، وقد أقرّت عائشة بذلك حيث روى عنها ابن كثير قولها: «**أهدى ملك من بطارقة الروم يُقال له المقوقس جارية قبطية من بنات الملوك يُقال لها مارية**».[2]

---

(١) راجع عيون الأثر لابن سيد الناس ج٢ ص٣٩٥

(٢) السيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٦٠٣ عن أبي نعيم بسنده.

كما أن ما جاء في رسالة المقوقس الجوابية للنبي (صلى الله عليه وآلـه) يؤكـد ذلـك، فقـد كتب: «**وبعثتُ إليك بجاريتيْن لهما مكانٌ في القبط عظيم**».[(١)]

أما كيف غدت هاتان الفتاتان الشريفتان جاريتيْن عند المقوقس؛ فلعلّ ما يفسّر ذلك هـو ما يُستظهر من بعض النصوص التاريخية من أن مارية وسيرين كانتا مؤمنتيْن موحّـدتيْن عـلى دين المسيح بن مريم (عليهما السلام) تبعاً لأبيهما شمعون الـذي مناوئـاً للمقـوقس لأن هـذا الأخير فرض نفسه ومذهبه بالقوة عـلى الأقبـاط المـصريين وذلـك بالاسـتعانة بـالامبراطور البيزنطي الروماني هرقل. وكان المقوقس قد خاض حروباً مع سائر أهل مصر فجّرها التبـاين المذهبي بين الطرفين، حيث كان المقوقس يسعى لفرض عقيدة نصرانية مختلفة عـمّا يـؤمن بـه أهل مصر، الأمر الذي يرجّح أن تكون معارضة شمعون له بدافع حرصه على حفـظ الـدين الأصلي للمسيح عليه السلام. ويبدو أن شمعون هذا قد قُتِل في إحدى هذه الحروب فـسُبِيَت ابنتاه وصارتا جاريتيْن للمقوقس.[(٢)]

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٢٦٠

(٢) جاء في كتاب الفتح الإسلامي لمصر لأحمد عـادل كـمال مـا حاصـله أن الكنيـسة النـصرانية انـشقّت إلى كنيستيْن، يعقوبية وملكانية، وكان المقوقس قد جاء بمذهب وسط بينهما هو المـذهب الخلقيـدوني بـدعم مـن هرقل وبَطْرق القسطنطينية، فخاض إثر ذلك حرباً مع الأقباط المصريين لإجبارهم عـلى مذهبـه، ومَـن كـان يرفض كان يلقى عقاب الجلد أو القتل، ونصب هرقل المقوقس بطرقا لكنيسة الإسكندرية إلى جانب سـلطته كحاكم، ورفض ذلك الأقباط المصريين واعتبروه بطرقاً غير شرعي، وكان من أولئك الرافضين بطبيعة الحال شمعون القبطي والد مارية عليها السلام.

وكيف كان فإن السيدة مارية كانت قد آمنت بالإسلام وهي في طريقها من مصر إلى المدينة، حين عرض عليها **حاطب بن أبي بلتعة** ذلك،[1] أي أنها أسلمت قبل أن تلقى نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو ما يدلّل على إشراقة روحها ورجاحة عقلها.

وعلاوة على حُسن إسلامها؛ كانت مارية (عليها السلام) جميلة حسناء وضيئة، فحازت حُسن الدين كما حازت حُسن الخِلقة، الأمر الذي أعجب نبي الله (صلى الله عليه وآله) وجعل لها مكانة خاصة عنده. روى الواقدي بسنده عن عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبي صعصعة قال: «**كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُعجب بمارية القبطية، وكانت بيضاء جعدة جميلة (...) وكانت حسنة الدين**».[2]

ولئن أحبّ النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) مارية؛ فإن نار الحسد والغيرة والحقد اشتعلت في قلب عائشة تجاهها! وذاك أمر طبيعي إذ متسافلُ الدرجاتِ يحسدُ مَنْ علا، فأين عائشة «قرن الشيطان ورأس الكفر» من مارية المؤمنة «حسنة الدين»! وأين عائشة حفيدة «عضروط بني تَيْم» من مارية «سليلة ملوك الأقباط»! وأين عائشة «الأدماء الحميراء القبيحة» من مارية «البيضاء الجعدة الجميلة»! ولذا تعترف عائشة بأنها لم تغر من أحدٍ من النساء كما غارت من مارية، فتقول: «**ما غرتُ على امرأة إلا دون ما غرتُ على مارية، وذلك أنها كانت جميلة من النساء جعدة، وأُعجب بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان أنزلها أوّل ما قَدِمَ بها في بيتٍ لحارثة بن النعمان، فكانت جارتنا، فكان رسول الله عامة النهار والليل**

(١) راجع الطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٢٦٠ والإصابة لابن حجر ج٨ ص٣١١

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ج٥ ص٣٢٥ عن الواقدي.

عندها، حتى فرغنا لها فجزعتْ! فحوّلها إلى العالية، فكان يختلف إليها هناك، فكان ذلك أشدّ علينا! ثم رزق الله منها الولد وحرمنا منه»!(١)

هكذا تفصّل عائشة أسباب غيرتها الشديدة من مارية، فهي أولا «جميلة من النساء جعدة»، ثم قد وقعت في قلب رسول الله (صلى الله عليه وآله) موقع الإعجاب، فكان يقضي عامة نهاره وليله عندها وكأنه - روحي فداه - كان يجد في ذلك متنفساً له من مؤامرات وتظاهرات وأذايا عائشة وأختها حفصة اللتين أشعلتا بيت النبوة بالفتن والتوتّرات والمشاكل!

وحيث كانت مارية في بادئ الأمر جارية لعائشة وصويحباتها إذ أنزلها رسول الله (صلى الله عليه وآله) منزل **حارثة بن النعمان**؛ فإنه لم تمضِ إلا أيام قلائل حتى بدأت الأذايا تتوجّه إليها! وذلك حين «تفرّغت» لها عائشة فكشّرت لها عن أنيابها حتى أرعبتها وجعلتها «تجزع»! وذلك قولها: «**حتى فرغنا لها فجزعتْ**»!

ويبدو أن هدف عائشة من حملتها هذه كان هو الهدف ذاته من حملاتها الأخريات على باقي نساء النبي صلى الله عليه وآله، حيث تدفع الأمور باتجاه التصادم حتى يطلّقهن النبي (صلوات الله عليه وآله) فترتاح وتخمد نار الغيرة والحقد في نفسها! غير أن مارية (عليها السلام) رغم براءتها وهدوئها وطيبة نفسها؛ كانت عاقلة راشدة تعرف كيف تتوكل على الله تعالى وتفوّض أمرها إليه وتتصرّف بما لا يؤذي بعلها سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله، وبهذا

---

(١) طبقات ابن سعد ج٨ ص٢١٢ والإصابة لابن حجر ج٨ ص٣١١ وغيرهما. وفي رواية السمهودي في وفاء الوفاء ج٣ ص٨٢٦ ورد لفظ: «**حتى قذعنا لها**» بدل «**حتى فرغنا لها**»! والقذع الشتم المشتمل على الفحش والقذف بما يقبح يذكره! أي أن عائشة وصويحباتها كِلْنَ الشتائم الشديدة للسيدة مارية (عليها السلام) حتى جزعت فأبعدها النبي (صلى الله عليه وآله) عنهن حتى ترتاح من ألسنتهن القذرة!

استطاعت أن تبقي لنفسها تلك المنزلة في قلب هذا النبي العظيم الذي اضطر لأن ينقل محلّ سكنها إلى عالية المدينة - حيث سُمِّيَت لاحقاً بمشربة أم إبراهيم نسبةً إليها - حتى ترتاح المسكينة من رعب عائشة وأذاياها! وإن كانت ستعيش هناك في شيء من الوحدة.

ولم يكن ذلك قد أعجب عائشة أو أرضاها! بل لقد ضاعف من حقدها على مارية المظلومة لأن النبي (صلى الله عليه وآله) كان يختلف إليها هناك رغم البُعد، فكان ذلك كما تقول عائشة: «**أشدّ علينا**»!

ثم بعد كل هذا.. تأتي ثالثة الأثافي التي تجعل من عائشة كالبركان الهائج غضباً وحقداً على مارية وحسداً لها وغيرةً منها! إذ يشاء الله تعالى أن يقرّ عين نبيّه الخاتم (صلى الله عليه وآله) بوليد عزيز هو إبراهيم (عليه السلام) من هذه السيدة المؤمنة الصابرة التي لم تدخل بيت النبوة إلا بالأمس القريب، فيما عائشة وصويحباتها - رغم سنين العشرة الطويلة - حرمهنّ الله تعالى من شرف أن ينجبن لنبيّه ولدا يدخل السرور على قلبه!

إن نساء النبي (صلى الله عليه وآله) قد غرن من مارية قبل وبعد إنجابها هذا الوليد المبارك، لديانتها وشرفها ونسبها وحُسنها وبهائها، ولكن.. لم تبلغ بهن الغيرة مبلغ ما بعائشة! وذلك حديث مولانا الإمام أبي جعفر الباقر (صلوات الله عليه) الذي رواه المخالفون كابن سعد: «**إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حجب مارية، وكانت قد ثقُلَت على نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم وغِرْنَ عليها، ولا مثل عائشة**»![1]

(١) طبقات ابن سعد ج١ ص١٣٥

وإذا كانت كل هذه الغيرة قد توقّدت في صدر عائشة بسبب جمال مارية وضرْب رسول الله (صلى الله عليه وآله) الحجاب عليها حيث اصطفاها لنفسه؛ فكيف يكون حال عائشة حين يبلغها نبأ أن مارية حامل؟!

إن مثل هذا النبأ لا يدع لنفس عائشة قرارا، وها هي بنفسها تعترف بأنها «جزعت» حين استبان لها حمل مارية من رسول الله صلى الله عليه وآله، فقد جاء في حديثها عنها: «**فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ذات يوم يدخل خلوته، فأصابها فحملتْ بإبراهيم، فلـمّا استبان حملها جزعتُ من ذلك**»![1]

وهكذا هي عائشة؛ تجزع وتفزع حين ترى غيرها ينال خيراً لم تنله، فتغلي الضغائن في صدرها «**كمِرْجَلِ القَيْن**» كما عبّر مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه.[2]

وعندما بزغ نور إبراهيم (عليه السلام) بولادته الميمونة في ذي الحجة من السنة الثامنة؛ فرح به والده سيد الأنبياء (صلى الله عليه وآله) كما فرح به المسلمون واستبشروا، غير أن عائشة امتلأت غيظاً وحسداً واستشاطت حقداً وغيرةً فأبت إلا أن تفسد الفرحة بتشكيكها بشرف مارية (عليها السلام) وبصحة كون وليدها ابناً لرسول الله (صلى الله عليه وآله) وذلك بادّعائها أنه ليس فيه شبهٌ منه!

روى الواقدي بسنده عن عروة عن عائشة قالت: «**لمّا وُلِدَ إبراهيم جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم إليّ، فقال: انظري إلى شبهه بي. فقلتُ: ما أرى شبهاً! فقال رسول الله**

---

(١) السيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٦٠٣ والآحاد والمثاني للضحّاك ج٥ ص٤٤٨

(٢) نهج البلاغة برقم: ١٥٦، والمِرجَل: القِدْر، والقَيْن: الحدّاد، فالمعنى أن الضغينة التي تكون في صدر عائشة تغلي إلى درجة تصهر الحديد كما يصهره الحدّاد في قدره على النار!

صلى الله عليه وسلم: ألا ترَيْنَ إلى بياضه ولحمه؟! فقلتُ: إنه من قَصُرَ عليه اللِّقاح ابْيَضَّ وسَمُن. وفي رواية آخرى: **مَن سُقِيَ ألبان الضأن سَمُنَ وابْيَضَّ»!**[١]

روى الحاكم بسنده عن عروة عن عائشة قالت: **«أُهدِيَت مارية إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ومعها ابن عمٍّ لها. قالت: فوقع عليها وَقعةً فاستمرّت حاملاً. قالت: فعزلها عند ابن عمّها. قالت: فقال أهل الإفك والزور: من حاجته إلى الولد ادّعى ولد غيره! وكانت أمةً قليلة اللّبن، فابتاعت له ضائنة لبون،**[٢] **فكان يُغَذّى بلبنها فحَسُنَ عليه لحمه. قالت عائشة رضي الله عنها: فدخل به عليَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم فقال: كيف ترَيْن؟ فقلتُ: من غُذِّيَ بلحم الضأن يَحْسُنُ لحمه. قال: ولا الشبه؟ قالت: فحملني ما يحمل النساء من الغيرة أنْ قلتُ: ما أرى شبهاً! قالت: وبلغ رسول الله صلى الله عليه وآله ما يقول الناس، فقال لعلي: خُذ هذا السيف فانطلق فاضرب عُنُق ابن عمّ مارية حيث وجدتَه. قالت: فانطلق فإذا هو في حائط على نخلة يخترف رطباً،**[٣] **قال: فلمّا نظر إلى علي ومعه السيف استقبلته رعدة. قال: فسقطت الخرقة فإذا هو لم يخلق الله عزّ وجل له ما للرجال، شيءٌ ممسوح».**[٤]

وروى الضحّاك وأبو نعيم قول عائشة في حديث عن إبراهيم عليه السلام: **«فلم يكن لأمّه لبن، فاشترى** (رسول الله) **له ضائنةً لبوناً فغُذِّيَ منها الصبيُّ فصَلُحَ عليه جسمه وحَسُنَ لحمه وصفا لونه، فجاء به ذات يوم يحمله على عنقه فقال: يا عائشة؛ كيف ترَيْنَ الشَّبَه؟ فقلتُ**

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص١٣٧ عن الواقدي، وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص٨٧. ومعنى اللِّقاح هنا ذوات الألبان من الدواب في أول نِتاجها، وتقصد أنه من كان غذاؤه مقتصراً على ألبانها ابيضّ وسَمُنَ.

(٢) الضائنة واحدة الضأن أي الغنم، واللبون أي التي فيها لبن.

(٣) يخترف رطبا: يجني رطبا.

(٤) مستدرك الحاكم ج٤ ص٣٩

وأنا غَيْرى: ما أرى شبهاً! فقال: ولا اللحم؟! فقلتُ: لعمري فمن يُغَذَّى بألبان الضأن ليحسُنُ لحمُه»![١]

إن مما تلفتنا إليه مدلولات هذه الطائفة من الأحاديث التي رواها المخالفون أمور أهمّها:

• أن عائشة تعترف بأن غيرتها الشديدة حمَلَتها على الكذب بقولها أنها لا ترى شبهاً لإبراهيم بوالده رسول الله (صلى الله عليه وآله) وذلك قولها: «**فقلتُ وأنا غَيْرى: ما أرى شبهاً.. فحملني ما يحمل النساء من الغيرة أنْ قلتُ: ما أرى شبهاً**»! ومعلومٌ أن الكذب من الكبائر ولا ترفع الغيرةُ حرمتَه شرعاً فتصيّره حلالاً! كما ليس بوسع أحدٍ الاعتذار يوم القيامة بأنه قد كذب من باب الغيرة!

• أن نفي عائشة الشبه جاء بعدما أُشيعت الفرية على مارية (عليها السلام) بقول أهل الإفك والزور: «**من حاجته إلى الولد ادّعى ولد غيره**»! أي أن عائشة في واقع الأمر ضاهت قول أهل الإفك إذ ليس مقتضى نفي الشبه هاهنا إلا تأييد ما أشاعه المفترون من أن هذا الولد ليس ابناً لرسول الله (صلى الله عليه وآله) بل هو ابن غيره! وسياق حديث عائشة يبيّن أنها رغم علمها بمقالة أهل الإفك فإنها لم تراعِ الظرف الحسّاس والخطير فاندفعت بحقدها وغيرتها إلى تأييد مقالتهم بقولها: «**ما أرى شبهاً**»! فكان مآل ذلك أن أمر النبي (صلى الله عليه وآله) أمير المؤمنين (عليه السلام) بأن يتوجّه لقتل ابن عمّ مارية، أي أن مقالة عائشة أثّرت في نفس رسول الله (صلى الله عليه وآله) أثراً بالغاً!

• أن عائشة وصمت الذين افتروا على مارية بوصم: «**أهل الإفك والزور**» أي أن هؤلاء عُرِفوا بهذا العنوان الذي جاء في القرآن الحكيم بقوله تعالى: «**إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ**». وليس في الأحاديث والروايات ذكرٌ لهذا العنوان إلا في طائفتيْن منها إحداهما ما

---

(١) الآحاد والمثاني للضحاك ج٥ ص٤٤٨ والبداية والنهاية لابن كثير ج٥ ص٣٢٦ عن أبي نعيم.

تقدّم عن عائشة في قصة غزوة المريسيع، والأخرى هي هذه في قصة مارية وابن عمّها، وإذ ظهر بطلان الأولى فتتعيّن الأخرى إذ لا ثالثة في البين.

وهذه هي النتيجة المنطقية لهذا البحث، فإن الباحث إذا ما أراد معرفة سبب ومناسبة نزول آيات الإفك في كتاب الله تعالى فلا بد له من التوجّه إلى السيرة والتاريخ، فيجد قضيّتين مُدّعاتيْن في هذا الشأن، الأولى الإفك على عائشة، والثانية الإفك على مارية. وإذ تواجهه في القضية الأولى إشكالات وتعارضات ليس لها حل إلا بطلان القضية المدّعاة؛ فلا مناص له من التمسك بالقضية الثانية، وهي بالأصل أحرى بذلك لأنها سليمة من الإشكالات ومواطن التهافت والخلل، بخلاف الأولى.

كما أنها قضية الإفك على مارية أقرب إلى انطباق ما ورد في الآيات عليها وهي أبعد عن الانطباق على قضية عائشة كما بيّناه مفصّلا في الإيراد السابع، فإن الآيات تصف المقذوفة بالمؤمنة المحصَنة الغافلة، وذلك قوله تعالى: «**إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**»، وقد مرّ عليك أن الكتاب والسنة نفيا إيمان عائشة من رأس، كما يبعد أن تكون غافلة وهي المعروفة بتتبّعها كل شاردة وواردة في الحياة العامة، وأما كونها محصَنة - بمعنى العفيفة - فهذا الكتاب يتكفّل لك في الحقائق الواردة فيه بالرد! فتريّث لتقف على حديث «رضاع الكبير» وترقّب لترى حديث «تشويف الجواري» وتربَّص لتسمع حديث «الثوب المُعَصْفر» ثم احبس الأنفاس لحديث «الجَرْد الأخضر» ثم اشدُد قلبك لحديث «ما جرى في الطريق إلى البصرة»!

أما أم إبراهيم (عليهما السلام) فتنطبق عليها صفة الإيمان وهي التي حسُن إسلامها ولم يثبت لها القرآن أو السنة أو التاريخ معصية واحدة أو إيذاءً واحداً لرسول الله صلى الله عليه وآله، بل كانت له على الدوام مورداً للسرور والبهجة والراحة بديانتها وورعها وسموّ

أخلاقها وطيب عشرتها. ويكفيك أن تتأمّل في أنها رغم ما لاقته من ظلم وبهتان وشتائم وأذايا جاءت بها عائشة باعترافها في الأحاديث السابقة؛ إلا أنها لم تكن تردّ ولم تكن تقابل كل ذلك بالمثل! وهذا لعمري دليل الإيمان ونقاء السريرة. وقد حباها الله تعالى بأن تُنجب لرسول الله (صلى الله عليه وآله) ولده وفلذة كبده إبراهيم عليه السلام، فيما حرم عائشة وأضرابها من ذلك! فإنْ لم يكن هذا الاختيار الرباني لها وتشريفها بأن تكون أماً لولد النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) دليلاً على إيمانها الظاهري والباطني فماذا يكون الدليل؟

ولا نظن أحداً يناقش في كون مارية (عليها السلام) من المحصَنات الغافلات، إذ السيرة تشهد بذلك حيث كانت هذه السيدة الجليلة جليسة دارها في عالية المدينة، بعيدة عن مواطن الاجتماع والقيل والقال، وظلّت كذلك حتى بعد استشهاد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، في أروع صورة من صور الخدر والعفاف والالتزام بحكم الله تعالى حيث قال: «**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى**».[1] فلا كلام في أنها كانت غافلة عمّا رُمِيَت بها من الإفك والزور، سيّما أنها كانت غريبة عن أهل هذه البلاد إذ هي قبطية وغيرها عرب، واختلاف اللغة والثقافة يباعد عادةً بين الطرفين ويقلّل التواصل الاجتماعي، كما لا كلام في أنها من المحُصَنات العفيفات الشريفات، بل هي في ذلك مضرب المثل ومفخرة الأُوَلْ.

هذا وقد تصدّر آيات الإفك قوله عزّ من قائل: «**إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ**»، وعلمتَ في الإيراد السابع أن ذلك لا ينطبق على الذين زعمت عائشة أنهم قذفوها، لأن العصبة هي الجماعة المتعصّبة المتعاضدة، وأولئك ما كانوا على هذه الصفة مطلقاً. أما الذين قذفوا مارية عليها السلام؛ فسترى بعد قليل إن شاء الله أن هذه الصفة تنطبق عليهم تماماً.

---

(١) الأحزاب: ٣٤

وكذا علمتَ في الإيراد السابع أنه يُستظهر من آيات الإفك أن الفئة التي تولّت أمر بثّ الإفك كان لها من الثقل والتأثير ما جعل فئة أخرى تخضع لها فتتلقّى قولها بالقبول دون الإنكار، وكلا الفئتيْن ذُمَّتا ووُجِّهَ إليهما خطاب اللوم والتقريع. والذين زعمت عائشة أنهم قذفوها ما كانوا من ذوي الجاه والثقل والتأثير، أما الذين قذفوا مارية فكانوا كذلك على ما ستعرف إن شاء الله تعالى.

فالحاصل أن ما ورد في آيات الإفك أقرب إلى قضية السيدة الجليلة أم إبراهيم عليهما السلام، وعلاوة على هذا فإنها سليمة من الخلل والاضطراب.

أما القصة الكاملة لهذه القضية وتفاصيلها الدقيقة فنجدها في روايات أئمة آل محمد (صلوات الله عليهم) الذين كشفوا لنا أسماء تلك «العصبة» التي جاءت بالإفك على السيدة مارية عليها السلام، وهي الأسماء التي أخفتها روايات أهل الخلاف فلم تذكر حتى واحداً منها رغم عِظَم القضية وخطورتها![1]

---

(١) لاحظ مثلاً ما رواه مسلم في صحيحه ج٨ ص١١٩ عن أنس قال: «**إن رجلاً كان يُتَّهم بأم ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي: اذهب فاضربْ عنقه. فأتاه علي فإذا هو في رَكِيٍّ يتبرّدُ فيها، فقال له علي: اخرج، فناوله يده فأخرجه، فإذا هو مجبوب ليس له ذكر، فكفّ عليٌّ عنه ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إنه لمجبوب ما له ذكر**».

وما رواه الحاكم في مستدركه ج٤ ص٣٩ عن أنس قال: «**إن أم إبراهيم كانت تُتَّهمُ برجل، فأمر النبي صلى الله عليه وآله بضرب عنقه، فنظروا فإذا هو مجبوب**».

وما رواه الطبراني في معجمه ج٤ ص٨٩ عن أنس قال: «**كانت سُرِّيَةُ النبي صلى الله عليه وسلم أم إبراهيم في مشربة لها، وكان قبطي يأوي إليها ويأتيها بالماء والحطب، فقال الناس في ذلك: علجٌ يدخل على علجة! فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل علي بن أبي طالب فأمره بقتله، فانطلق فوجده على نخلة فلمّا رأى القبطي السيف مع علي وقع فألقى الكساء الذي كان عليه واقتحم فإذا هو مجبوب، فرجع علي إلى النبي** =

روى الصدوق بسنده عن عامر بن واثلة قال: «**كنت في البيت يوم الشورى فسمعتُ عليا عليه السلام وهو يقول: استخلف الناس أبا بكر وأنا والله أحق بالأمر وأولى به منه، واستخلف أبو بكر عمر وأنا والله أحق بالأمر وأولى به منه** - إلى أن قال: - **إن عائشة قالت لرسول الله صلى الله عليه وآله: إن إبراهيم ليس منك وإنه ابن فلان القبطي! قال: يا علي؛ اذهب فاقتله. فقلتُ: يا رسول الله؛ إذا بعثتني أكونُ كالمسمار المحميّ في الوبر أو أتثبّتُ؟ قال: لا؛ بل تثبّتْ. فذهبتُ فلمّا نظر إليَّ استند إلى حائط فطرح نفسه فيه، فطرحتُ نفسي على أثره، فصعد على نخلٍ وصعدتُ خلفه، فلمّا رآني قد صعدتُ رمى بإزاره فإذا ليس له شيء مما يكون للرجال، فجئتُ فأخبرتُ رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: الحمد لله الذي صرف عنا السوء أهل البيت**».[1]

= **صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله؛ أَ رأيتَ إذا أمرتَ أحدنا بأمر ثم رأى غير ذلك أَ يراجعك؟ قال: نعم. فأخبره بما رأى من القبطي. قال: فولدت أم إبراهيم إبراهيم، فكان النبي صلى الله عليه وسلم منه في شكٍّ حتى جاءه جبريل عليه السلام فقال: السلام عليك يا أبا إبراهيم. فاطمأنَّ إلى ذلك»!**

وهذا التغييب المتعمّد لأسماء الذين رموا مارية يُشعر بأن لهم عند المخالفين منزلة في الإكبار توجب ذلك!

(١) الخصال للصدوق ص٥٦٣ ويُعرف هذا بحديث المناشدة، ونحوه عند المخالفين في مسند البزّار ج٢ ص٢٣٧ عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) قال: «**كثُر على مارية أم إبراهيم رضي الله عنها في قبطيٍّ ابن عمٍّ لها، كان يزورها ويختلف إليها، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: خذ هذا السيف فانطلق، فإن وجدته عندها فاقتله. قلت: يا رسول الله، أكون في أمرك إذا أرسلتني كالسكة المحماة لا يثنيني شيء حتى أمضي لما أمرتني به أم الشاهد يرى ما لا يرى الغائب؟ فقال: بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب. فأقبلتُ متوشح السيف فوجدته عندها، فاخترطتُ السيف، فلمّا رآني أقبلتُ نحوه تخوّف أنني أريده فأتى نخلة فرقى فيها، ثم رمى بنفسه على قفاه، ثم شغر برجله، فإذا به أجبُّ أمسح ما له قليل ولا كثير، فغمدتُ السيف ثم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرته فقال: الحمد لله الذي يصرف عنّا أهل البيت**».

وروى علي بن إبراهيم القمّي بسنده عن زرارة قال: «**سمعتُ أبا جعفر** (الباقر) **عليهما السلام يقول: لّما ماتَ إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وآله حزن عليه حزناً شديداً، فقالت عائشة: ما الذي يُحزنكَ عليه فما هو إلا ابن جريح![1] فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله علياً وأمره بقتله، فذهب علي عليه السلام إليه ومعه السيف، وكان جريح القبطي في حائط، وضرب علي عليه السلام باب البستان فأقبل إليه جريح ليفتح له الباب، فلما رأى عليّاً عليه السلام عرَف في وجهه الغضب فأدبر راجعاً ولم يفتح الباب، فوثب علي عليه السلام على الحائط ونزل إلى البستان واتّبعه وولّى جريح مدبراً، فلما خَشِيَ أن يرهقه صعد في نخلة وصعد علي عليه السلام في أثره، فلما دنا منه رمى بنفسه من فوق النخلة فبدت عورته، فإذا ليس له ما للرجال ولا ما للنساء، فانصرف علي عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله؛ إذا بعثتني في الأمر أكونُ فيه كالمسمار المحمي في الوبر أم أثبّتُ؟ قال: فقال: لا؛ بل اثبّتْ. فقال: والذي بعثك بالحق ما له ما للرجال ولا ما للنساء. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: الحمد لله الذي يصرف عنا السوء أهل البيت**».[2]

وروى الحسين بن حمدان الخصيبي ومحمد بن جرير الطبري بسنده عن محمد بن إسماعيل الحسني عن أبي محمد الحسن العسكري (عليه السلام) في حديث عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) أنه قال: «**هل علمتم ما قد رُمِيَت به مارية القبطية وما ادُّعِيَ عليها في ولادتها إبراهيم بن رسول الله؟ قالوا: لا يا سيدنا أنت أعلم، فخبِّرنا لنعلم. قال: إن مارية لما أُهْدِيَت إلى جدي رسول الله صلى الله عليه وآله أُهدِيَت مع جَوارٍ قسَّمهنّ رسول الله على أصحابه، وظنّ**

(١) ويُحتمل أن تُقرأ: جُريج.

(٢) تفسير القمي ج٢ ص٩٩

بمارية من دونهنّ،[١] وكان معها خادم يقال له جريح يؤدبها بآداب الملوك، وأسلمت على يد رسول الله صلى الله عليه وآله وأسلم جريح معها، وحسن إيمانهما وإسلامهما، فملكت مارية قلب رسول الله صلى الله عليه وآله، فحسدها بعض أزواج رسول الله صلى الله عليه وآله، وأقبلت عائشة وحفصة تشكوان إلى أبويهما ميل رسول الله صلى الله عليه وآله إلى مارية وإيثاره إياها عليهما، حتى سوّلت لأبويهما أنفسهما أن يقولا: إن مارية إنما حملت بإبراهيم من جريح! وكانوا لا يظنون جريحا خادماً زمنا. فأقبل أبواهما إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو جالس في مسجده، فجلسا بين يديه، وقالا: يا رسول الله؛ ما يَحِلُّ لنا ولا يسعنا أن نكتمك ما ظهرنا عليه من خيانة واقعة بك. قال: وماذا تقولان؟! قالا: يا رسول الله؛ إن جريحاً يأتي من مارية الفاحشة العظمى! وإن حملها من جريح وليس هو منك يا رسول الله! فأربدَ وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وتلوَّنَ لعِظَمِ ما تلقَّياهُ به، ثم قال: ويحكما ما تقولان؟! فقالا: يا رسول الله؛ إننا خلّفنا جريحاً ومارية في مشربة[٢] وهو يفاكهها ويلاعبها ويروم منها ما تروم الرجال من النساء! فابعث إلى جريح فإنك تجده على هذه الحال، فأنفِذْ فيه حكمك وحكم الله تعالى. فقال النبي صلى الله عليه وآله: يا أبا الحسن؛ خذ معك سيفك ذا الفقار، حتى تمضي إلى مشربة مارية، فإن صادفتها وجريحا كما يصفان فاخمدهما ضربا. فقام علي واتشح بسيفه وأخذه تحت ثوبه، فلمّا ولّى ومرَّ من بين يدي رسول الله أتى إليه راجعا، فقال له: يا رسول الله؛ أكونُ في ما أمرتني كالسكّة المُحماةِ في النار أو الشاهد يرى ما لا يرى الغائب؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله: فديتك يا علي، بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب. قال: فأقبل علي عليه السلام وسيفه في يده حتى تسوّر من فوق مشربة مارية، وهي جالسة

---

(١) أي أنه (صلى الله عليه وآله) اختارها لأنه رجى أن تكون أمّا لولده، فالظَّنون من النساء هي التي لها شرف تُتَزوّجُ طمعاً في ولدها كما ذكره ابن منظور في لسان العرب مادة (ظنن).

(٢) المشربة: الغرفة.

وجريح معها، يؤدّبها بآداب الملوك، ويقول لها: أعظمي رسول الله وكنّيه وأكرميه. ونحو من هذا الكلام. حتى نظر جريح إلى أمير المؤمنين وسيفه مُشْهَرٌ بيده، ففزع منه جريح، وأتى إلى نخلة في دار المشربة فصعد إلى رأسها، فنزل أمير المؤمنين إلى المشربة، وكشف الريح عن أثواب جريح، فانكشف ممسوحا. فقال: انزل يا جريح. فقال: يا أمير المؤمنين؛ آمَنُ على نفسي؟ قال: آمن على نفسك. قال: فنزل جريح، وأخذ بيده أمير المؤمنين، وجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأوقفه بين يديه، وقال له: يا رسول الله، إن جريحا خادم ممسوح. فولّى النبي بوجهه إلى الجدار، وقال: حُلَّ لهما لعنهما الله يا جريح واكشف عن نفسك حتى يتبَيَّن كذبهما، ويحهما ما أجرأهما على الله وعلى رسوله! فكشف جريح عن أثوابه فإذا هو خادم ممسوح كما وصف. فسقطا بين يدي رسول الله وقالا: يا رسول الله التوبة! استغفر لنا فلن نعود! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تاب الله عليكما! فما ينفعكما استغفاري ومعكما هذه الجرأة على الله وعلى رسوله؟! قالا: يا رسول الله؛ فإن استغفرت لنا رجوْنا أن يغفر لنا ربنا! فأنزل الله الآية بهما وفي براءة مارية: إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ».[1]

إذن.. آيات الإفك في سورة النور نزلت في مارية لا في عائشة حسب ما نطق به أئمة أهل بيت الوحي (صلوات الله عليهم) ولذا يقول علي بن إبراهيم القمي (رضوان الله تعالى عليه) في تفسيره: «وأما قوله: **إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ**

(١) الهداية الكبرى للخصيبي ص٢٩٧ ودلائل الإمامة للطبري الإمامي ص٣٨٥ وعنه في تفسير البرهان للبحراني ج٣ ص١٢٩

لَكُمْ؛ فإن العامة رووا أنها نزلت في عائشة وما رُمِيَت به في غزوة بني المصطلق من خزاعة، وأما الخاصة فإنهم رووا أنها نزلت في مارية القبطية وما رمتها به عائشة».[١]

إن هذه الأحاديث الشريفة تكشف لنا أن أربعةً اجتمعوا على قذف أم إبراهيم (عليهما السلام) وهم أبو بكر وعمر وعائشة وحفصة، وهذا ما يوافق الآيات الكريمات حين وصفت الذين جاءوا بالإفك بالعصبة، فإن هؤلاء الأربعة كانوا في الواقع «جماعة متعصّبة متعاضدة» ويصدق عليهم ذلك كما يعرفه القاصي والداني، وفيه إشعار بأن الإفك جاء من هذه العصبة بشكل مخطّطٍ له ومقصود لا أنه كان عابراً، وقد أشار إلى ذلك المجدّد الثاني في تفسيره إذ قال: «**ولعلّ الإتيان بهذه الخصوصية لإفادة أن الإفك إنما كان وليد جماعة ذات هدف واحد، فليس كلاماً قاله مغرض، وإنما حركة مقصودة ضد الرسول صلى الله عليه وآله**».[٢]

كما أن هؤلاء الأربعة كان لهم من الثقل والتأثير في المجتمع آنذاك ما لا يخفى لمكانهم الظاهري من رسول الله صلى الله عليه وآله، ويتلاءم هذا مع مدلول الآيات كما تقرّر آنفاً. فالنتيجة أن الآيات أقرب إلى الانطباق على القصة المروية في شأن مارية عليها السلام.

غير أنه قد يشكل على ذلك أن المستفاد من أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) أن عائشة كانت رأس الإفك بقذفها مارية ونفيها بنوّة إبراهيم لرسول الله صلى الله عليه وآله، فكيف تأتي الآيات بصيغة التذكير للذي تولّى كِبره في قوله تعالى: «**وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ**»؟

---

(١) تفسير القمي ج٢ ص٩٩

(٢) تقريب القرآن للمجدد الشيرازي الثاني أعلى الله درجاته ج٣ ص٦٨٥

والجواب؛ أن من سنن العرب تذكير ما حقّه التأنيث والعكس من باب حمل اللفظ على المعنى كما نصّ عليه الثعالبي في فقه اللغة،[١] ولهذا أمثلة كثيرة في كتاب الله تعالى كقوله: «**فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا**»[٢] فذكّر المئة مع أنها مؤنّثة حملاً على معنى الأشخاص أو المقاتلين الصابرين، وكقوله: «**وَلا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ**»[٣] فذكّر الشفاعة مع أنها مؤنّثة حملاً على معنى طلب الشفاعة، وكقوله: «**لا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ**»[٤] فذكّر المعذرة مع أنها مؤنّثة حملاً على معنى فعل الاستعذار، وكقوله: «**وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ**»[٥] فذكّر الساعة مع أنها مؤنّثة حملاً على معنى الوقت، وكقوله: «**وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا * إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا**»[٦] فأنّث السعير مع أنه مذكّر حملاً على معنى النار. وممّا ورد في القرآن التذكير والتأنيث للفظ واحد مثل الطاغوت إذ ذكّره بقوله: «**يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ**»[٧] كما أنّثه بقوله: «**وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا**»[٨] والأمثلة كثيرة لا تُحصى، إذ هي لغة العرب وبها جاء كتاب الله عز وجل.

---

(١) فقه اللغة للثعالبي الفصل ٢٥ ص٣٦٥

(٢) الأنفال: ٦٧

(٣) البقرة: ٤٩

(٤) الروم: ٥٨

(٥) الشورى: ١٨

(٦) الفرقان: ١٢ – ١٣

(٧) النساء: ٦١

(٨) الزمر: ١٨

وقوله تعالى: «**وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ**» إنما يجري هذا المجرى وهو من هذا القبيل، فإنه وإنْ كانت المقصودة فيه عائشة إلا أنه جاء بصيغة التذكير حملاً على معنى أكبرِ العصبة في الإفك والافتراء. وما الحمل على المعنى في صيغة التذكير أو التأنيث إلا من أساليب البلاغة، لأن تقديم المعنى على اللفظ في ذلك إلفاتاً إلى عِظَمه حتى كأن اللفظ قد اضمحلّ فيه.

ومن هذا القبيل أيضاً – وهو متعلق بموضوعنا – ما رُوي بشأن نزول قوله تعالى: «**إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ**» في عائشة لمّا قذفت مارية عليها السلام، حيث جاءت الآية بصيغة التذكير أيضاً.

قال علي بن إبراهيم القمي في تفسيره: «**وقوله: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ،[1] فإنها نزلت في مارية القبطية أم إبراهيم عليه السلام، وكان سبب ذلك أن عائشة قالت لرسول الله صلى الله عليه وآله: إن إبراهيم ليس هو منك وإنما هو من جريح القبطي إنه يدخل إليها في كل يوم! فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وقال لأمير المؤمنين عليه السلام: خذ السيف وائتني برأس جريح، فأخذ أمير المؤمنين عليه السلام السيف ثم قال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله؛ إنك إذا بعثتني في أمر أكون فيه كالسفود المحماة[2] في الوبر فكيف تأمرني؟ أثبَّتُ فيه أو أمضِ على ذلك؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: بل تثبَّتْ. فجاء أمير المؤمنين عليه السلام إلى مشربة أم إبراهيم فتسلّق عليها، فلما نظر إليه جريح هرب منه وصعد النخلة، فدنا منه أمير المؤمنين**

(١) الحجرات: ٧

(٢) السفود: الحديدة المحميّة. كناية عن الإسراع في التنفيذ.

عليه السلام وقال له: انزل! فقال له: يا علي؛ اتّق الله ما هاهنا أناس،[(١)] إني مجبوب! ثم كشف عن عورته فإذا هو مجبوب. فأتى به إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: ما شأنك يا جريح؟ فقال: يا رسول الله إن القبط يجبّون حشمهم[(٢)] ومَن يدخل إلى أهليهم، والقبطيون لا يأنسون إلا بالقبطيين، فبعثني أبوها لأدخل إليها وأخدمها وأؤنسها. فأنزل الله عزّ وجل: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ.. الآية».[(٣)]

فإنْ قلتَ: إن المتضافر أن الآية نزلت في قضية الفاسق الوليد بن عقبة فكيف تكون قد نزلت في قضية افتراء عائشة على مارية؟ **قيل لك**: مُضافاً إلى ما هو معلوم من أن القرآن نزل بمجموعه ليلة القدر دفعة واحدة ثم نزل نجوماً بعد ذلك؛ فقد دلّت الأخبار والآثار على أن بعض آيات الكتاب الحكيم نزلت في أكثر من مناسبة بعين ألفاظها لتندرج تلك الوقائع تحتها كمصاديق فيتسبّب هذا التكرار في النزول في ترسيخ المعنى وتوكيده. كما دلّت الأخبار والآثار على أن بعض الآيات لها أكثر من مُراد، وهو ما عُبِّرَ عنه في مقام التمييز بالتفسير والتأويل، والظاهر والباطن.

وهذه الآية ليست بخارجة عن هذا الوِزان، ففي ذيل رواية عن أبي جعفر الباقر (صلوات الله عليه) في بيان قصة الإفك على مارية جاء: «**فتهلّل وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: الحمد لله الذي لم يزل يعافينا أهل البيت من سوء ما يلطّخونا. فأنزل الله عزّ وجل: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ.. الآية. قال زرارة لأبي جعفر عليه السلام: إن العامة**

---

(١) ويُحتمل أن تكون: بأس.

(٢) الحشم: الخدم.

(٣) تفسير القمي ج٢ ص٣١٩، ولا يقدح في الرواية اختلافها عن باقي الروايات ببعض الفروقات اليسيرة كأن جريحاً هو الذي كشف عن ثوبه أو أن والد مارية قد بعثه إليها ليخدمها، فإنها رواية منقولة بالمعنى وهي من لفظ علي بن إبراهيم القمي، فلا تغفل.

يقولون: نزلت هذه الآية في الوليد بن عقبة بن أبي معيط حين جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله فأخبره عن بني خزيمة أنهم كفروا بعد إسلامهم؟ فقال عليه السلام: يا زرارة؛ أَوَ ما علمتَ أنه ليس من القرآن آية إلا ولها ظهر وبطن؟ فهذا الذي في أيدي الناس ظهرها، والذي حدّثتك به بطنها. ولمّا نهاهم الله سبحانه عن اتّباع قول الفاسق وأمرهم بالتثبّت في الأمر؛ نبّههم على أن فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله وأن أخبار الأرض والسماء عنده، فخذوا عنه ودعوا قول الفاسق».[1]

بقي هنا إشكالان في معرض قصة الإفك على أم إبراهيم عليها السلام:

الأول؛ أنه كيف أمر النبي (صلى الله عليه وآله) بقتل الخادم بمجرّد اتهام عائشة وعُصبتها له ولمارية قبل أن يتحرّى ويتثبّت حيث لا يجوز الحكم قبل البيّنة بأربعة شهود عدول أو الإقرار من الزاني؟ بل كيف أمر بالقتل مع أنه على فرض ثبوت الدعوى فالحكم لا يكون إلا الجلد أو الرجم في جريمة الزنا؟

وجوابه؛ هو جواب إمامنا الصادق (صلوات الله عليه) الذي بيّن أنه (صلى الله عليه وآله) لم يكن يُرِدْ القتل حقيقة وإنما أراد إظهار براءة الخادم المظلوم وأن يستيقظ ضمير عائشة لترجع عن غيّها وبهتانها حيث ترى أن رجلاً مسلماً على وشك أن يُقتل ظلماً، فما رجعت الحميراء ولا استيقظ لها ضمير!

روى علي بن إبراهيم القمي بسنده عن عبد الله بن بكير قال: «**قلتُ لأبي عبد الله عليه السلام: جُعلت فداك؛ كان رسول الله صلى الله عليه وآله أمر بقتل القبطي وقد عَلِمَ أنها قد كذبت عليه أو لم يعلم وإنما دفع الله عن القبطي بتثبّت علي عليه السلام؟ فقال: بلى؛ قد كان والله أعلم، ولو كانت عزيمة من رسول الله صلى الله عليه وآله القتل ما رجع علي عليه السلام**

---

(١) تأويل الآيات لشرف الدين الحسيني النجفي ج٢ ص٦٠٤

حتى يقتله، ولكن إنما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله لترجع عن ذنبها، فما رجعتْ ولا اشتدّ عليها قتل رجل مسلم بكذبها»!(١)

وقد وافق هذا الجواب ابن حزم من المخالفين من وجه أنه (صلى الله عليه وآله) لم يكن يقصد القتل بل أراد إظهار براءة الخادم وكذب التهمة، فقال: «**ومعاذ الله أن يأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل أحدٍ بظنٍّ بغير إقرار أو بيّنة أو علم مشاهدة أو وحي، أو أن يأمر بقتله دونها، لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد علم يقينا أنه بريء وأن القول كذب، فأراد عليه السلام أن يوقِفَ على ذلك مشاهدةً، فأمر بقتله لو فعل ذلك الذي قيل عنه، فكان هذا حكماً صحيحاً فيمن آذى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد علم عليه السلام أن القتل لا ينفذ عليه لما يظهر الله تعالى من براءته. وكان عليه السلام في ذلك كما أخبر به عن أخيه سليمان عليه السلام، وقد روينا من طريق البخاري نا أبو اليمان - هو الحكم بن نافع - أنا شعيب - هو ابن أبي حمزة - نا أبو الزناد قال: إن عبد الرحمن الأعرج حدثه أنه سمع أبا هريرة يقول: أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: مثلي ومثل الناس - فذكر كلاماً - وفيه أنه عليه السلام قال: وكانت امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بابن إحداهما فقالت صاحبتها: إنما ذهب بابنك! وقالت الاخرى: إنما ذهب بابنك! فتحاكما إلى داود عليه السلام فقضى به للكبرى، فخرجتا على سليمان عليه السلام فأخبرتاه فقال: ائتوني بالسكين أشقه بينهما فقالت الصغرى: لا تفعل يرحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى. قال أبو هريرة: والله أن سمعت بالسكين إلا يومئذٍ وما كنّا نقول الا المدية. قال أبو محمد (ابن حزم) رحمه الله: فبيقين ندري أن سليمان عليه السلام لم يُرِدْ قطّ شق الصبي بينهما، وإنما أراد امتحانهما بذلك، وبالوحي فعل هذا بلا شك، وكان حكم داود عليه السلام للكبرى على ظاهر الأمر لأنه كان**

(١) تفسير القمي ج٢ ص٣١٩ وعنه بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج٢٢ ص١٥٤

في يدها، وكذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أراد قطّ إنفاذ قتل ذلك المجبوب لكن أراد امتحان علي في انفاذ أمره وأراد إظهار براءة المتهم وكذب التهمة عياناً. وهكذا لم يُرِد الله تعالى إنفاذ ذبح إسماعيل بن ابراهيم صلى الله عليهما وسلم إذ أمر أباه بذبحه، لكن أراد الله تعالى إظهار تنفيذه لأمره».[1]

الثاني؛ أنه كيف لم يجرِ النبي (صلى الله عليه وآله) حدّ القذف على عائشة وعُصبتها مع ثبوته عليها برميها أم إبراهيم (عليهما السلام) بالإفك؟

وجوابه؛ أنه بعد الفراغ من أن النبي (صلى الله عليه وآله) وهو صاحب الولاية العظمى له أن يدرأ أو يعطّل الحدّ أو القصاص عمّن شاء للمصلحة الأهم، كما فعل مع خالد ابن الوليد (لعنه الله) في قصة بني جذيمة وكما فعل مع الذين راموا قتله بإلقائه من العقبة؛[2] فإن إمامنا الباقر (صلوات الله عليه) كشف اللثام عن أن الحدّ على عائشة لم يسقط بل أُخِّرَ إلى زمان القائم (صلوات الله عليه وعجّل الله فرجه) حيث ستُرَدُّ إليه فيجلدها.[3]

روى البرقي والصدوق بسندهما عن عبد الرحيم القصير قال: «**قال لي أبو جعفر عليه السلام: أما لو قد قام قائمنا عليه السلام لقد رُدَّتْ إليه الحميراء حتى يجلدها الحدّ وحتى ينتقم لابنة محمد صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام منها. قلتُ: جُعِلت فداك؛ ولمَ يجلدها**

---

(١) المحلّى لابن حزم ج١١ ص٤١٤ ولا نلتزم بكل ما جاء فيه كما هو معلوم.

(٢) سبق التعرّض لقصة العقبة في هامش ص١٦٧ من هذا الكتاب، فراجع. ولمّا قيل للنبي صلى الله عليه وآله: «**يا رسول الله أَفَلا تأمر بقتلهم؟ قال: أكره أن يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه**». راجع السيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٣٤. وأما قصة خالد مع بني جذيمة فأشهر من أن تُذكر، وفيها تبرّأ النبي (صلى الله عليه وآله) من فعله.

(٣) وإني قد سألتُ الله تعالى أن يأذن لي مولاي صاحب الأمر (عليه السلام) زمان ظهوره الشريف بأن أكون الذي يجري عليها الحدّ فيجلدها، وألتمس من إخواني المؤمنين أن يؤمّنوا على دعائي هذا.

الحدّ؟ قال: لفريتها على أم إبراهيم عليهما السلام. قلتُ: فكيف أَخَّرَه الله للقائم؟ فقال: لأن الله تبارك وتعالى بعث محمداً صلى الله عليه وآله رحمة، وبعث القائم عليه السلام نقمة».[(١)]

وأما بقية العصبة كأبي بكر وعمر فقد ورد في الأحاديث الشريفة أنهما يُردّان أيضاً في زمان القائم (عليه السلام) فيقرّرهما جرائمهما ويقتصّ منهما بإقامة حدّ الحرابة عليهما صلباً،[(٢)] ولا محالة أن قذفهما لمارية (عليها السلام) سيكون من بينها.

والأحاديث الشريفة في هذا المعنى مستفيضة، منها رواية الحسين بن حمدان الخصيبي عن المفضل بن عمر في حديث طويل قال فيه الصادق (عليه السلام) في وصف اقتصاص المهدي (عليه السلام) من أبي بكر وعمر: «**ثم يأمر بانزالهما فينزلا إليه فيحييهما بإذن الله تعالى ويأمر الخلائق بالاجتماع، ثم يقصّ عليهم قصص فعالهما في كل كَوْر ودور (...) كل ذلك يعدّده عليه السلام عليهما، ويلزمهما إياه فيعترفان به ثم يأمر بهما فيقتص منهما في ذلك الوقت بمظالم**

(١) المحاسن لأحمد بن محمد بن خالد البرقي ج٢ ص٢٣٩ وعلل الشرايع للصدوق ج٢ ص٥٨٠. وقوله عليه السلام: «**وبعث القائم عليه السلام نقمة**» معناه أن الله تعالى جعل للقائم (عليه السلام) أن ينتقم من الظالمين والكافرين فيجري عليهم الحدود والقصاص والعقاب، ولم يكن ذلك قد جُعِلَ لرسول الله (صلى الله عليه وآله) في كثير من الموارد لأجل وجوب المداراة عليه كي يتشيّد الدين ويَسْلَمَ في بداية تأسيسه من الفتن الداخلية، وهذه هي النكتة في امتناعه (صلى الله عليه وآله) عن قتل أصحابه الذين راموا قتله غيلةً في العقبة وكذا المنافقين أمثال عبد الله بن أُبي بن سلول حيث جاء في صحيح البخاري ج٦ ص٦٧ أنه قال لما دُعِيَ لقتله قال: «**لا يتحدّث الناس أن محمداً يقتل أصحابه**».

وهذه الوظيفة التي أوجبها الله تعالى على نبيّه (صلى الله عليه وآله) في الإعراض عن المجرمين والمنافقين يشير إليها قوله تعالى: « **أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ**». النساء: ٦٤

(٢) حدّ الحرابة هو المذكور في قوله تعالى: «**إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ**». المائدة: ٣٤

من حضر، ثم يصلبهما على الشجرة و يأمر نارا تخرج من الارض فتحرقهما والشجرة ثم يأمر ريحاً فتنسفهما في اليَمِّ نسفاً. قال المفضّل: يا سيدي ذلك آخر عذابهما؟ قال: هيهات يا مفضّل! والله ليَرِدَنَّ وليحضُرَنَّ السيّد الأكبر محمد رسول الله صلى الله عليه وآله والصدّيق الأكبر أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام وكل من محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً، وليقتَصَّنَّ منهما لجميعهم حتى أنهما ليُقْتَلان في كل يوم وليلة ألف قتلة! ويُرَدّان إلى ما شاء ربهما».(١)

ولا يخفى أن حفصة مشمولة بنصّه (عليه السلام) على أن كل من «**محض الكفر محضاً**» يرجع ويُرَدّ، فالحاصل أن جميع من رمى مارية (عليها السلام) بالإفك لم يسقط عنه الحدّ وإنما أُخِّرَ من الله الحكيم إلى ذلك الزمان.

بهذا تكون القصة الحقيقية للإفك قد اتضّحت لنا بأبعادها وتفاصيلها طبقاً لأحاديث الأئمة الأطهار من عترة النبي المختار صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهي كما نرى متوافقة مع الكتاب والعقل والمقتضيات التاريخية، بخلاف تلك القصة الركيكة المتهافتة التي اختلقتها عائشة!

وإن الباحث في هذا الشأن يجد أن لأحاديث الأئمة (عليهم السلام) ما يعضّدها في مصادر أهل الخلاف من أحاديث عائشة نفسها! فإن القوم رووا قصة الإفك على أم إبراهيم (عليها السلام) مع تعتيم على أسماء الذين قذفوها، وهذا التعتيم كما بيّنا يُشعر بأن لهؤلاء القاذفين منزلة عظيمة عندهم فلذا حجبوا أسماءهم، كما فعلوا مع الذين راموا قتل النبي (صلى الله عليه وآله) باستنفار ناقته من العقبة. وليس أحدٌ أعظم منزلة عند المخالفين من

---

(١) الهداية الكبرى للخصيبي ص٤٠٠ ومختصر بصائر الدرجات للشيخ حسن بن سليمان الحلي ص١٨٩ وبحار الأنوار للعلامة المجلسي ج٥٣ ص١٢

هؤلاء الأربعة: أبي بكر وعمر وعائشة وحفصة، فيكون هؤلاء مشتَبَهاً بهم في طور بحث الباحث المحقّق، فإذا به يجد أن عائشة تقرّ بأنها ضاهت قول أهل الإفك حين نفت وجود شبه لإبراهيم بوالده النبي (صلى الله عليهما وآلهما) بقولها: «**ما أرى شبهاً**»! فيكون هذا قرينة على صحة ما رُوي عن آل محمد عليهم الصلاة والسلام، وتكون الجريمة ثابتة على عائشة على أقلّ تقدير.

هذه هي الحقيقة التي قلبتها عائشة في ما بعد حين ثُنِيَت لها الوسادة لتحدّث بما شاءت من أحاديث وأساطير في ظل خلو الساحة ممن يتمكن من التصدّى لها خوفاً من السلطة، فجعلت المرأة نفسها مظلومة مفترىً عليها في حين أنها هي الظالمة المفترية!

■ بين سَحرها ونحرِها رامت للحقيقة نحرَها بسِحرها!

رغم كل الذي يظهر على أحاديث عائشة من اضطراب وتهافت، وكل الذي يُلمس في أقوالها من نكارة وعدم اتزان؛ إلا أن المخالفين مازالوا يستندون إلى تلك الأحاديث والأقوال ويبنون عليها معتقداتهم وأحكامهم وكأنها في حجّيتها تعادل حجّية كتاب الله تعالى!

ولسنا نجد داعياً وجيهاً لهذه الحالة التي يعيشها المخالفون إلا افتتانهم بأمهم عائشة كما يفتتن المسحور بساحره! فكأن أحاديثها وأقوالها لها مفعول السحر إذ ينساق المخالفون إلى الإيمان بها دونما التفات إلى علّاتها أصلاً.

والإنصاف أن ما كانت تحبكه عائشة من قصص تستدرّ بها العواطف الجيّاشة، وما كانت تنثره من كلام تستهوي به النفوس الميّالة؛ يُشعر بأنها كانت تمتلك قدرة نادرة على

التأثير، وأنها كانت تعرف جيداً كيف تترك تأثيراً سحرياً على مَن يتلقّى منها شيئاً، بحيث يتعطّل عقل هذا المتلقّي حين تلقّيه إذ ينشغل قلبه بما تلقّاه.(١)

ومن نماذج ما جاءت به عائشة مما انطلى على العقول والأذهان؛ زعمها أن النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) استشهد بين **سَحْرِها ونَحرِها** أو بين **حاقِنَتها وذاقِنَتها!**(٢) أي أنها كانت أقرب الناس عهداً به صلى الله عليه وآله.

وقد أرادت المرأة من وراء هذا الادّعاء أمريْن أساسيّيْن، أولهما اختراع فضيلة لنفسها بأنها كانت أقرب الناس عهدا برسول الله (صلى الله عليه وآله) مع ما أضافته إلى ذلك من «بهارات مناقبية» من قبيل أنه قد اجتمع رِيقُه بريقِها حين موته! وثانيهما تكذيب كون أمير

---

(١) يوقفك على شدة تأثير عائشة على الناس أنهم انساقوا إلى خطاباتها انسياقاً عجيباً، فقتلوا عثمان بعدما أفتت بكفره! وخاضوا حرباً مدمّرة ضد أمير المؤمنين (عليه السلام) بعدما نادت بقتاله! ولم يكد أحدٌ ليتمكّن من الإفلات من تأثير سِحر عائشة والخضوع لها إلا بالاستعانة بالله تعالى، حتى أن رجلاً كأبي ثابت مولى أبي ذر كاد أن يزيغ حين رآها واقفة في معركة الجمل رغم أنه قد تربّى عند أحد حواريّي أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو أبو ذر الغفاري رضوان الله عليه!

روى الحاكم في المستدرك ج٣ ص١٣٤ عن أبي ثابت مولى أبي ذر قال: «**كنت مع علي رضي الله عنه يوم الجمل، فلمّا رأيتُ عائشة واقفة دخلني بعض ما يدخل الناس، فكشف الله عني ذلك عند صلاة الظهر، فقاتلتُ مع أمير المؤمنين، فلمّا فرغ ذهبتُ إلى المدينة فأتيتُ أم سلمة فقلت: إني والله ما جئت أسأل طعاماً ولا شراباً ولكني مولىً لأبي ذر. فقالت: مرحبا. فقصصتُ عليها قصتي فقالت: أين كنتَ حين طارت القلوب مطائرها؟ قلتُ: إلى حيث كشف الله ذلك عني عند زوال الشمس. قالت: أحسنتَ! سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: علي مع القرآن والقرآن مع علي، لن يتفرّقا حتى يَردا عليَّ الحوض**».

(٢) السَّحْر: الرئة، والنَّحر معروف. والحاقنة: ما بين التَّرْقُوَة والعُنُق، والذاقنة: أسفل البطن. تريد أن النبي (صلى الله عليه وآله) استشهد بينما كان رأسه الشريف في حِجرها وهي تحتضنه.

المؤمنين علي بن أبي طالب (عليهما الصلاة والسلام) وصياً لرسول الله (صلى الله عليه وآله) باعتبار أنها كانت أقرب الناس عهداً به ولم تسمعه يوصي إليه بشيء!

وأحاديث عائشة في هذا الادّعاء كثيرة، منها ما رواه البخاري بسنده عن أبي عمرو ذكوان مولى عائشة قال: «**أن عائشة كانت تقول: إن من نِعَم الله عليَّ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي في بيتي وفي يومي وبين سَحْري ونَحْري! وأن الله جمع بين رِيقي ورِيقه عند موته! دخل عليَّ عبد الرحمن وبيده السِّواك وأنا مُسْنِدَةٌ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرأيتُهُ ينظر إليه وعرفتُ أنه يُحبُّ السواك، فقلتُ: آخذهُ لك؟ فأشار برأسه أنْ نعم، فتناولتُه فاشتدّ عليه وقلتُ: أُليِّنُهُ لك؟ فأشار برأسه أنْ نعم، فليَّنْتُهُ فأمَرَّهُ وبين يديه رَكْوَةٌ أو عُلْبَةٌ يشكُّ عمر فيها ماءً، فجعل يُدخِلُ يديْه في الماء فيمسحُ بها وجهه يقول: لا إله إلا الله، إن للموت سكرات! ثم نصب يده فجعل يقول: في الرفيق الأعلى، حتى قُبِضَ ومالَتْ يده**».[١]

ومنها ما رواه البخاري أيضاً عن هشام بن عروة قال: «**أخبرني أبي عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسأل في مرضه الذي مات فيه يقول: أين أنا غداً؟ أين أنا غداً؟ يريد يوم عائشة! فأَذِنَ له أزواجُه يكون حيث شاء، فكان في بيت عائشة حتى مات عندها. قالت عائشة: فمات في اليوم الذي كان يدور عليَّ فيه في بيتي، قبضه الله وإن رأسه لَبَيْن نَحري وسَحري، وخالط ريقه ريقي**»![٢]

---

(١) صحيح البخاري ج٥ ص١٤١

(٢) صحيح البخاري ج٥ ص١٤٢

ومنها ما رواه البخاري أيضاً عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة قالت: «**مات النبي صلى الله عليه وسلم وإنه لَبَيْن حاقنتي وذاقنتي، فلا أكره شدة الموت لأحدٍ أبداً بعد النبي صلى الله عليه وسلم**».[1]

وفي جحودها لكون علي (عليه السلام) وصياً روى البخاري بسنده عن إبراهيم عن الأسود قال: «**ذكروا عند عائشة أن عليا رضي الله عنهما كان وصياً، فقالت: متى أوصى إليه؟! وقد كنتُ مسندته إلى صدري - أو قالت: حِجري - فدعا بالطست، فلقد انخنث في حجري فما شعرتُ أنه قد مات، فمتى أوصى إليه**»؟![2]

وفي رواية البيهقي عن الأسود قال: «**قيل لعائشة رضي الله عنها: إنهم يقولون أن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى إلى علي رضي الله عنه. فقالت: بما أوصى إلى علي؟! وقد رأيتُه دعا بطست ليبول فيها وأنا مُسندته إلى صدري فانخنث - أو قالت: فانخنثتُ - فمات وما شعرتُ، فبِمَ يقول هؤلاء أنه أوصى إلى علي**»؟![3]

إنّا لو أعرضنا عمّا عُهِد من كذب عائشة واختلاقاتها، وكذا لو أعرضنا عمّا في أحاديثها هذه مما لا يليق بجناب النبوة كتصويرها أنه (صلى الله عليه وآله) رجلٌ زيرٌ لا همّ له إلا الارتماء في حِجرها فلذا يسأل: «**أين أنا غدا؟! أين أنا غدا**»؟! وكزعمها أنه (صلى الله عليه وآله) «**دعا بطست ليبول فيها**» فكأنه كان حاقناً لا يستحي من فِعل هذا أمام مرأى امرأته مع أنه على مقربة من لقاء الله تعالى! أقول: لو أنّا أعرضنا عن هذا كلّه لما كان لنا أن نقبل بأحاديث عائشة هذه، لأنها أولاً مروية عنها وحدها ولا نكاد نجد شاهد صدقٍ عليها، وثانياً

---

(١) صحيح البخاري ج٥ ص١٤٠

(٢) صحيح البخاري ج٣ ص١٨٦

(٣) السنن الكبرى ج١ ص٩٩

لأن الأحاديث المستفيضة نصّت على أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد استشهد ورأسه في حجر أمير المؤمنين (عليه السلام) حيث كان أقرب الناس عهداً به وقد أوصى إليه.

ومن تلك الأحاديث ما رواه أحمد بن حنبل والحاكم عن أم المؤمنين أم سلمة (رضوان الله عليها) قالت: «**والذي أحلف به إنْ كان عليٌّ لأقرب الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وسلم. قالت: عُدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم غَداةً بعد غداةٍ يقول: جاء علي؟! مراراً. قالت: وأظنه كان بعثه في حاجة. قالت: فجاء بعْدُ، فظننتُ أن له إليه حاجة فخرجنا من البيت، فقعدنا عند الباب، فكنت من أدناهم إلى الباب، فأكبَّ عليه عليٌّ فجعل يُسارُّهُ ويُناجيه، ثم قُبِضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه ذلك، فكان أقرب الناس به عهداً**».[1]

فلاحظ ههنا كيف أن أم سلمة (رضوان الله عليها) تحلف بالله تعالى على أن علياً (سلام الله عليه) كان أقرب الناس عهداً بالنبي صلى الله عليه وآله. ومعلومٌ أنه لا يمكن لمثل هذه السيدة الجليلة أن تستحلّ الحلف بالله ما لم تكن واثقة مما تقول تمام الوثوق، فلا يكون مجال لتصديق دعوى عائشة المناقضة.

وفي تكذيبه لدعوى عائشة أومأ ابن عباس إلى أن المصدّق بهذه الدعوى يكون فاقداً لعقله! وذلك ما رواه ابن سعد عن الواقدي بسنده عن أبي غطفان قال: «**سألتُ ابن عباس: أَرأيتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي ورأسه في حِجر أحد؟ قال: توفي وهو لمستند إلى صدر علي. قلتُ: فإن عروة حدّثني عن عائشة أنها قالت: توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سَحري ونَحري! فقال ابن عباس: أَ تعقل؟! والله لتوفي رسول الله صلى الله عليه**

(١) مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص٣٠٠ ومستدرك الحاكم ج٣ ص١٣٨ وقد حكم بصحّته.

وسلم وإنه لمستند إلى صدر علي، وهو الذي غسّله وأخي الفضل بن عباس، وأبى أبي أن يحضر وقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمرنا أن نستتر، فكان عند الستر».[١]

وقد كانت هذه الحقيقة من الاشتهار بمكان لا يدع حتى خصوم علي (صلوات الله عليه) في الصدر الأول إلا أن يذعنوا بها، فهذا عمر بن الخطاب (لعنه الله) حين سأله كعب الأحبار (لعنه الله) عن آخر كلام النبي (صلى الله عليه وآله) قبل أن يفارق الحياة، قال له: «**سَلْ علياً**» لأنه كان أقرب الناس عهداً به، فقد روى الواقدي عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضوان الله عليه: «**أن كعب الأحبار قام زمن عمر فقال ونحن جلوسٌ عند عمر أمير المؤمنين: ما كان آخر ما تكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال عمر: سَلْ علياً. قال: أين هو؟ قال: هو هنا. فسأله فقال علي: أسندته إلى صدري فوضع رأسه على منكبي فقال: الصلاة الصلاة! فقال كعب: كذلك آخر عهد الأنبياء وبه أُمِروا وعليه يُبعَثون. قال: فمن غسَّله يا أمير المؤمنين؟ قال: سَلْ علياً. قال: فسأله فقال: كنتُ أغسّله وكان العباس جالساً وكان أسامة وشقران يختلفان إليَّ بالماء».**[٢]

فإحالة عمر كعب الأحبار على أمير المؤمنين (عليه السلام) يكشف عن علمه القطعي بأنه كان بالفعل أقرب الناس عهداً بالنبي (صلى الله عليه وآله) حيث سمع منه آخر ما تكلم به، ولو لم يكن الأمر كذلك كما تدّعيه عائشة لكان على عمر أن يقول لكعب: «سَلْ عائشة»!

---

(١) طبقات ابن سعد ج٢ ص٢٦٣ عن الواقدي

(٢) المصدر نفسه ج٢ ص٢٦٢ عن الواقدي

ومن خصوم علي (عليه السلام) ومناوئيه الذين أقرّوا بذلك؛ أبو عمر الشعبي لعنه الله، فقد قال: «**توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأسه في حِجْرِ علي، وغسّله علي والفضل محتضِنُه، وأسامة يناول الفضلَ الماء**».[١]

والروايات في هذا عن طريق أئمة أهل البيت النبوي (صلوات الله عليهم) متواترة، وقد روى المخالفون بعضها أيضا، كما في رواية ابن سعد عن الواقدي بسنده عن الإمام علي ابن الحسين زين العابدين صلوات الله عليهما: «**قُبِضَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورأسه في حِجْر علي**».[٢]

وصاحب الشأن نفسه – أعني أمير المؤمنين علياً عليه السلام – ما فتئ يذكر ذلك في أحاديثه ويعلنه في خطبه ويحتجّ به حتى سارت به الركبان واشتُهر على كل لسان، فهو القائل كما في نهج البلاغة: «**ولقد عَلِمَ المستحفَظون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله أني لم أرد على الله ولا على رسوله ساعة قط، ولقد واسيتُه بنفسي في المواطن التي تنكص فيها الأبطال، وتتأخر فيها الأقدام، نجدة أكرمني الله بها، ولقد قُبِضَ صلى الله عليه وآله وإن رأسه لعلى صدري، ولقد سالت نفسه في كفّي، فأمررتها على وجهي، ولقد وليت غسله صلى الله عليه وآله، والملائكة أعواني، فضجّت الدار والأفنية، ملأ يهبط وملأ يعرج، وما فارقت سمعي هَيْنمةٌ منهم يصلون عليه حتى واريناه في ضريحه، فمن ذا أحق به مني حياً وميتاً**»؟![٣]

---

(١) المصدر نفسه ج٢ ص٢٦٣ عن الواقدي، والشعبي هذا ناصبي مشهور بلغ به النُّصب مبلغ أنه كان يحلف بالله قائلاً: «**لقد دخل عليٌّ حفرته وما قرأ القرآن**»! كما في المعرفة والتاريخ لابن سفيان الفسوي ج١ ص٢٥٩

(٢) المصدر نفسه.

(٣) نهج البلاغة ج٢ الخطبة رقم: ١٩٧، والهينمة: الصوت الخفي.

وهو (صلوات الله عليه) القائل حين دفن الصديقة الشهيدة الزهراء صلوات الله عليها: **«السلام عليك يا رسول الله، عني وعن ابنتك النازلة في جوارك، والسريعة اللحاق بك. قَلَّ يا رسول الله عن صفيّتك صبري! ورَقَّ عنها تجلُّدي! إلا أن لي في التأسي بعظيم فرقتك، وفادح مصيبتك؛ موضع تعزٍّ، فلقد وسّدتك في ملحودة قبرك، وفاضت بين نحري وصدري نفسك، فإنا لله وإنا إليه راجعون، فلقد استُرجِعَت الوديعة! وأُخِذَت الرهينة! أما حزني فسرمد! وأما ليلي فمسهَّد! إلى أن يختار الله لي دارك التي أنت بها مقيم. وستنبئك ابنتك بتضافر أمتك على هضمها! فأحفِها السؤال، واستخبرها الحال، هذا ولم يَطُل العهد، ولم يخلُ منك الذكر! والسلام عليكما سلام مودّع لا قالٍ ولا سَئِم، فإن أنصرف فلا عن ملالة، وإن أُقِمْ فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين».**[(١)]

وقد روى ابن سعد عن الواقدي بسنده عن عمر بن علي: **«قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه: ادعوا لي أخي. قال: فدُعِيَ له علي فقال: ادنُ منّي، فدنوتُ منه، فاستندَ إليَّ، فلم يزل مستنداً وإنه ليكلّمني حتى إن بعض ريق النبي صلى الله عليه وسلم ليصيبني، ثم نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم وثَقُلَ في حِجْري، فصحتُ: يا عباس أدركني فإني هالك! فجاء العباس، فكان جهدهما جميعاً أن أضجعاه».**[(٢)]

فهذه أحاديث وخطب أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وفيها النصّ الصريح الأكيد على أنه كان أقرب الناس عهداً بخاتم المرسلين صلى الله عليه وآله الطاهرين، وأنه استشهد وهو في حِجره حتى سالت نفسه الشريفة بيده وأمرّها على وجهه. ومحاولات عائشة لتحريف ذلك باتت مكشوفة مفضوحة، فقد سرقت في بعض أحاديثها الألفاظ التي وردت

(١) المصدر نفسه ج٢ الخطبة رقم: ٢٠٢

(٢) طبقات ابن سعد ج٢ ص٢٦٣ عن الواقدي.

في أحاديث الإمام (عليه السلام) واستبدلت بعضها بألفاظ مرادفة أخرى فيما أبقت عليها بعينها في أحاديث أخرى، ففي حين قال الإمام: «**ولقد قُبِضَ صلى الله عليه وآله وإن رأسه لعلى صدري**» قالت هي: «**وقد كنتُ مسندته إلى صدري**»**!** وفي حين قال الإمام: «**وفاضت بين نحري وصدري نفسك**» قالت هي: «**قبضه الله وإن رأسه لَبَيْن نَحري وسَحري.. بين حاقنتي وذاقنتي**»**!** وفي حين قال الإمام عليه السلام: « **حتى إن بعض ريق النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليصيبني**» قالت هي: «**وخالط ريقه ريقي**»**!** وهكذا كانت المرأة تتعقّب كل أحاديث أهل بيت النبوة (عليهم السلام) حتى تضع قبالتها نسخاً مزوّرة عنها تفخّم بها شأنها**!**

غير أن الدهشة تصيبك حين تعلم بأن عائشة عادت في آخر عمرها لتعترف بأن النبي (صلى الله عليه وآله) قُبِضَ عند علي (عليه السلام) فتلقى نفسه بيده فمسح بها وجهه**!** وأن ذلك مما رواه المخالفون عنها أيضاً**!**

فقد أخرج أبو يعلى الموصلي بسنده عن جميع بن عمير أن أمّه وخالته دخلتا على عائشة فقالتا لها في جملة ما قالتا: «**أخبرينا عن علي؟ قالت: أيَّ شيءٍ تسألُنّ عن رجلٍ وضع يده من رسول الله صلى الله عليه وسلم موضعاً فسالتْ نفسُه في يده فمسح بها وجهه، واختلفوا في دفنه فقال: إن أحبّ البقاع إلى الله مكان قبض فيه نبيه، قالتا: فلِمَ خرجتِ عليه؟ قالت: أمرٌ قُضِيَ لوددتُ أنْ أفديه ما على الأرض**»**!**[1]

وأخرج الدارقطني بسنده عن علقمة بن الأسود عن عائشة قالت: «**قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيتها لما حضره الموت: ادعوا لي حبيبي. فدعوتُ له أبا بكر، فلمّا نظر**

(١) مسند أبي يعلى ج١٠ ص١٢٥ وعنه المطالب العالية لابن حجر العسقلاني ج١٢ ص٤٠٠ وتاريخ دمشق لابن عساكر ج٣ ص١٥، وهو كاشف عن اعتقادها (لعنها الله) بالجبر وأن العباد لا خِيَرة لهم في أمرهم.

إليه وضع رأسه! ثم قال: ادعوا لي حبيبي. فدعوا له عمر، فلمّا نظر إليه وضع رأسه! ثم قال: ادعوا لي حبيبي. فقلتُ: ويلكم! ادعوا له علي بن أبي طالب، فوالله ما يريد غيره! فلمّا رآه أفرد الثوب الذي كان عليه ثم أدخله فيه، فلم يزل يحتضنه حتى قُبِضَ ويده عليه».[1]

فبعد كل هذا؛ كيف لنا أن نصدّق أحاديث عائشة التي زعمت فيها أن النبي (صلى الله عليه وآله) قد استشهد بين سَحرها ونَحرها؟! إذ إن هذه الأحاديث لم تُروَ إلا عنها فحسب، وتعارضها أحاديث أخرى متواترة ومستفيضة من طرق أهل الحق وأهل الخلاف تنصّ على أن النبي (صلى الله عليه وآله) قد استشهد وهو مستند إلى صدر علي صلوات الله عليه، وبعض هذه الأحاديث مروية عن أعداء علي عليه السلام، بل بعضها قد رُوي عن عائشة نفسها فنقضت بذلك أحاديثها الأولى! والفضل ما شهدت به الأعداء. وبعدُ فإن ما جاء في هذه الأحاديث أليق بساحة النبوة مما جاء في أحاديث عائشة الكاذبة المفترية!

وأما إنكارها لكون علي (صلوات الله عليه) وصياً للنبي (صلى الله عليه وآله) فتكفينا في ردّه ودحضه الإشارة إلى أن أحد أئمة أهل الخلاف وهو الشوكاني كان قد ألّف رسالة مفصلة سمّاها «**العقد الثمين في إثبات وصاية أمير المؤمنين**» تكفّل فيها بالردّ على عائشة في هذا الشأن، حيث ساق الأدلة والبراهين على كونه (عليه الصلاة والسلام) وصياً لأخيه رسول الله صلى الله عليه وآله. وقد خلص في رسالته إلى القول: «**إن عدم علم عائشة بالوصية لا يستلزم عدمها، ونفيها لا ينافي الوقوع، وغاية ما في كلامها الإخبار بعدم علمها، وقد عَلِمَ غيرُها، ومَن عَلِمَ حجةٌ على من لم يعلم (...) والواجب علينا الإيمان بأن عليا عليه السلام**

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ج٤٢ ص٣٩٣ عن الدارقطني، ومنه تعرف من هو حبيب رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن هم الذين يكره رسول الله (صلى الله عليه وآله) حضورهم عنده في آخر ساعة من حياته الشريفة!

وصي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يلزمنا التعرض للتفاصيل الموصى بها، فقد ثبت أنه أمره بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين، وعيّن له علاماتهم، وأودعه جملاً من العلوم، وأمره بأمور خاصة كما سلف، فجَعْلُ الموصى بها فرداً منها ليس من دأب المنصفين».[1]

إن إدانة عائشة تأتي من فيها تارة، ومن أفواه أتباعها تارة أخرى! فالحمد لله الذي يقضي للحق على لسانها وألسنتهم.

■ **استيلاؤها على الحجرة النبوية جعلته فضيلة!**

كما هو ديدنها المعتاد؛ كانت عائشة تنشر وتردّد فضائل ومناقب لنفسها لا حقيقة لها، والأطرف أنها كانت تتبجّح بما هو في واقع الأمر ذنب ومنقصة لها لكنّها بدهائها ومكرها تقلبه إلى فضل ومكرمة! ومن ذلك ما مرّ عليك في قصة الإفك التي حرّفتها بشكل مثير للدهشة حتى جعلت نفسها في موقع الضحية المجني عليها بدلاً من كونها الجانية المفترية!

ومن أكثر أحاديث عائشة إمعاناً في التبجّح ما رواه الواقدي عنها من قولها: «**فُضِّلْتُ على نساء النبي بعشرٍ! قيل: ما هُنَّ يا أم المؤمنين؟ قالت: لم ينكح بكراً قطُّ غيري! ولم ينكح امرأة أبواها مهاجران غيري! وأنزل الله عزّ وجلّ براءتي من السماء! وجاء جبريل بصورتي من السماء في حريرة فقال: تزوّجها فإنها امرأتك! فكنت أغتسل أنا وهو من إناء واحد ولم يكن يصنع ذلك بأحد من نسائه غيري! وكان يصلّي وأنا معترضةٌ بين يديه ولم يكن يفعل ذلك بأحدٍ من نسائه غيري! وكان ينزل عليه الوحي وهو معي ولم يكن ينزل عليه وهو مع أحد من**

---

(١) راجع رسالة العقد الثمين للشوكاني، ولا يخفى أن معنى الوصية عندهم أخصّ من المعنى الذي عندنا إذ هو عندنا الوصية بالخلافة والإمامة، إلا أن أصل الوصية لعلي (عليه السلام) يثبت وهو الردّ على عائشة في نفيها الوصية مطلقاً.

نسائه غيري! وقبض الله نفسه وهو بين سَحري ونَحري! ومات في الليلة التي كان يدور عليّ فيها ودُفِنَ في بيتي»![١]

وقد تساقط من خلال البحوث السابقة جُلُّ ما ذكرته عائشة في حديثها هذا من فضائل مكذوبة أو منحولة، كدعوى كونها بكراً وأن الله أنزل براءتها من السماء وأن جبريل جاء بصورتها وأن الوحي كان يأتي وهي في لحافها وأن النبيّ (صلى الله عليه وآله) قُبِضَ بين سَحرها ونَحرها!

ولا يتبقى من هذه الفضائل المدّعاة سوى ثلاث:

أولاها أن النبي (صلى الله عليه وآله) لم ينكح امرأة أبواها مهاجران غيرها! ولا ندري ما وجه الفضيلة في ذلك فإنه على فرض صحّته يكون الفضل لغيرها أي أبواها وليس كون المرء ابناً لفلان الماجد يقتضي أن يفضَّل على غيره ودونك ابنُ نوح النبي (عليه السلام) مثالاً! على أنك عرفت من الفصل السابق مَن يكون أبوها ومَن تكون أمّها وأيُّ مثالب ومعايب فيهما تجعلهما لمن ينتسب إليهما معرّة لا مفخرة!

وثانيتها أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان يصلّي وهي معترضة بين يديه! وسيوافيك في الفصل التالي أنها في حقيقة الأمر واحدةٌ من مظاهر سوء أدبها تجاه مقام خاتم الأنبياء (صلى الله عليه وآله وسلم) لا فضيلة تستحق أن تُذكر! فترقّب.

وأما ثالثتها فهذا المبحث معقود لأجل بيان الحقّ فيها، وأنها من قبيل تلك الفضائل التي كانت تهذي بها عائشة والتي هي في الواقع مثالب وجرائم قلبتها إلى فضائل ومناقب! فدعوى أن النبي (صلى الله عليه وآله) قد دُفِنَ في حجرتها أو بيتها – وهي الدعوى التي

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج٨ ص٦٤ عن الواقدي

يدندن بها المفتونون بعائشة إلى اليوم – ليست إلا قضية مكذوبة بالتمعّن في الأدلة الروائية والتاريخية التي تنفي ذلك بما فيها تلك التي سجّلتها مصادر هؤلاء المفتونين أنفسهم قبل مصادر غيرهم!

وسنقسم البحث إلى جانبين، الأول نفنّد فيه أكذوبة كونه (صلى الله عليه وآله) مدفوناً في بيتها، والثاني أن الشرع لم يملِّك عائشة الحجرة النبوية الشريفة ولا حتى الحجرة التي كانت تسكن فيها، وإنما هي قد استولت على تلك وضمّتها إلى هذه وتصرّفت في الكلّ كيفما شاءت حتى أنها وهبته لابن أختها عبد الله بن الزبير!

ونبدأ بالجانب الأول؛ حيث نقول فيه إن الأدلة كشفت اللثام عن أن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) لا يمكن أن يكون قد دُفِن في حجرة عائشة مهما اجتهدت هي وأنصارها في إشاعة ذلك بين الناس خداعاً واستغفالاً.

● ومن تلك الأدلة ما رواه أحمد بن حنبل والبيهقي وابن هشام والطبري وابن كثير عن ابن إسحاق بسنده عن عائشة قالت: «**والله ما علمنا بدفن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا صوت المساحي من آخر الليل ليلة الأربعاء**».[1]

وحديثها هذا يشير إلى أن الدفن لم يكن في حجرتها وإلا لكانت قد شهدته أو علمت بمقدّماته على الأقل، فهي تصرّح بأنها لم تعلم بدفنه (صلى الله عليه وآله) مطلقاً حتى فجئها سماع صوت المساحي في آخر ليلة الأربعاء، الأمر الذي يعني أن حجرتها هي حجرة أخرى غير التي دُفن فيها النبي (صلى الله عليه وآله) بيد أنها ليست ببعيدة عنها بحيث أن صوت

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص٦٢ وسنن البيهقي ج٣ ص٤٠٩ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص١٠٨٧ وتاريخ الطبري ج٢ ص٤٥٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٥٣٨ وغيرهم كثير. والمساحي: آلات الحديد المعروفة التي يُجرف بها الطين وتُحفر الأرض بها.

المساحي التي تعمل يصل إليها. ومفاد الحديث يستبعد احتمال أن تكون حينذاك خارج حجرتها ولذا لم تعلم حتى سمعت صوت المساحي، إذ الوقت كان «**آخر الليل**» والمرأة في ذلك المجتمع لا تكون في غير مسكنها في ذلك الوقت المتأخر، كما أنه لا احتمال لأن تكون قد انتقلت إلى مسكن آخر مؤقتاً مثلاً إذ ذلك لم يرد في شيء من الحديث والتاريخ لا في شأنها ولا في شأن بقية أزواج النبي (صلى الله عليه وآله) بعد استشهاده.

● ومن الأدلة ما رواه البخاري وابن عساكر عن محمد بن أبي فديك عن محمد بن هلال: «**أنه رأى حُجَر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم من جريدٍ مستورة بمسوح الشعر، فسألته عن بيت عائشة؟ فقال: كان بابه من وجهة الشام. فقلت: مصراعاً كان أو مصراعين؟ قال: كان باباً واحداً. قلت: من أي شيء كان؟ قال: من عرعر أو ساج**».[1]

إن سؤال ابن أبي فديك لابن هلال عن بيت عائشة يدلّ بحدّ ذاته على أن بيتها كان منفصلاً عن موضع قبر النبي صلى الله عليه وآله، وإلا فإن أحداً من المسلمين لا يشتبه في موضع قبره (صلى الله عليه وآله) ولا في صفة البيت الذي يحويه حتى يسأل عنه، ولو كان القبر في بيت عائشة حقاً لما اقتضى هذا أن يُسأل عن بيتها، إذ هو معلومٌ ظاهرٌ مُعايَنٌ للكافة ولا يخطئه أحد إذ فيه القبر الطاهر. وسؤال ابن أبي فديك كاشف عن أن الناس كانت تحتاج إلى أن تسأل للتمييز بين حُجَر أزواج النبي (صلى الله عليه وآله) لأنها كانت متلاصقة متشابهة مستورة بمسوح الشعر، فلا يُعلم أيّها لعائشة وأيّها لسودة وأيّها لحفصة وأيّها لأم سلمة وهكذا..

لا يُقال: إن سؤال ابن أبي فديك كان بداعي معرفة صفة بيت عائشة في الزمان السابق لا بداعي تعيين موضعه في الزمان الحالي، فلا دلالة على أنه كان مغايراً لموضع دفن النبي صلى

(١) الأدب المفرد للبخاري ص١٦٨ وخلاصة الوفا للسمهودي ص١٣٨ عن ابن عساكر.

الله عليه وآله. **لأنه يُقال**: إن في الخبر نفسه قرينة على المغايرة وأن المقصود بالسؤال هو تمييز حجرة عائشة عمّا سواها من حُجَر سائر الأزواج لا السؤال عن الحجرة النبوية الشريفة التي فيها مرقد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فقد جاء في جواب ابن هلال عن بيت عائشة أنه «**كان بابه من وجهة الشام**» أي الشمال وأنه «**كان باباً واحداً**» وهذا خلاف واقع الحجرة الشريفة منذ بنائها، فإن لها بابيْن لا باباً واحداً! الأول هو من وجهة الغرب وهو المعروف بباب **الوفود** الذي يفتح على الروضة الشريفة حيث كان النبي (صلى الله عليه وآله) يدخل منه إلى المسجد ليؤم الناس كما كانت الوفود تفد عليه منه لتجتمع به في حجرته، وهذا الباب هو بحذاء أسطوانة أمير المؤمنين (عليه السلام) التي تسمى أيضاً **أسطوانة الحرس** لأنه كان يجلس عندها حارساً للنبي صلى الله عليه وآله. والباب الآخر هو باب الخروج الذي ذكرته الأحاديث والروايات، ومنها ما رواه أحمد بن حنبل وابن عساكر من أن الناس حينما أرادوا الصلاة على جنازة رسول الله (صلى الله عليه وآله) دخلوا إلى حجرته «**أرسالاً أرسالاً، فكانوا يدخلون من هذا الباب فيصلّون عليه ثم يخرجون من الباب الآخر**».[1]

وعلى هذا فإن للحجرة النبوية الشريفة بابيْن، فيما حجرة عائشة كان لها باب واحد، ويعني هذا أن الحجرة الشريفة غير حجرتها. **فإن قيل**: إن قول ابن هلال: «**كان باباً واحداً**» يعود على سؤال ابن أبي فديك عمّا إذا كان باب بيت عائشة مصراعاً أو مصراعين، فيكون المعنى أنه كان ذا مصراع واحد، ولا ينفي بذلك وجود باب آخر له. **قلنا في الجواب**: لو سلّمنا جدلاً بذلك فإنه نصّ أيضاً على أن هذا الباب كان من وجهة الشام أي الشمال، فيما المعلوم أن للحجرة النبوية الشريفة باباً هو من وجهة الغرب هو باب الوفود وهو باقٍ إلى اليوم، وحيث لم يُشِرْ إليه مع كونه الأشهر واقتصر بعبارة تستبطن الحصر على ذلك الباب

(١) مسند أحمد بن حنبل ج٥ ص٨١ وتاريخ دمشق لابن عساكر ج٤ ص٢٩٦، والأرسال: الجماعات.

بقوله: «**كان بابه من وجهة الشام**» فتبقى المغايرة على حالها ولا يمكن أن تكون هذه الحجرة هي نفسها الحجرة التي ضمّت جسد خاتم المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم.

• ومن الأدلة ما رواه النسائي عن العلاء بن عيزار قال: «**سألتُ ابن عمر عن علي فقال: انظر إلى منزله من نبي الله صلى الله عليه وسلم، ليس في المسجد غير بيته**».(١)

وعليه؛ لو كان بيت عائشة هو نفسه الذي دُفن فيه نبي الله (صلى الله عليه وآله) لما صحّ أن ينفي ابن عمر وجود بيت داخل المسجد غير بيت أمير المؤمنين صلوات الله عليه، فإن البيت الذي دُفن فيه النبي (صلى الله عليه وآله) كان ومازال داخله، وقد أشار إلى ذلك ابن عمر نفسه في رواية أخرى رواها الحاكم بسنده عن جميع بن عمير الليثي قال: «**أتيتُ عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما فسألته عن علي رضي الله عنه فانتهرني، ثم قال: ألا أحدثك عن علي؟ هذا بيت رسول الله صلى الله عليه وآله في المسجد وهذا بيت علي رضي الله عنه**».(٢)

وأما بيت عائشة فقد كان خارج المسجد وكذا سائر بيوت الأزواج، وإنما أُدخلت هذه البيوت في المسجد بعد الزيادة فيه، ويدلّ على ذلك ما ذكره النووي إذ قال: «**احتاجت الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين والتابعون إلى الزيادة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كثُرَ المسلمون وامتدّت الزيادة إلى أن دخلت بيوت أمهات المؤمنين فيه، ومنها حجرة عائشة رضي الله عنها**».(٣)

---

(١) فتح الباري لابن حجر العسقلاني ج١١ ص٣ عن النسائي.

(٢) مستدرك الحاكم ج٣ ص٥١

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي ج٥ ص١٤ وقد جعل مدفن النبي (صلى الله عليه وآله) في حجرة عائشة وادّعى أنه أُدخل في المسجد في تلك الزيادة، غير أن ذلك يتنافى مع حديث ابن عمر الذي مرّ عليك والذي نصّ على أن حجرة النبي (صلى الله عليه وآله) التي فيها مدفنه هي داخل المسجد وكذا حجرة علي وفاطمة (عليهما السلام) حصراً، وحلّ الشبهة هو في الآتي حيث ستعرف إن شاء الله تعالى أن الحجرة النبوية شيء =

• ومن الأدلة وجود روايات وأحاديث متعددة تفيد بأن ثمة حجرة خاصة للنبي (صلى الله عليه وآله) تختلف عن حُجَر أزواجه وحجرة عائشة بالذات، وأن هذه الحجرة كانت ذات جدار قصير وهي التي كانت داخل المسجد وهي التي كان يستقبل فيها الوفود ويجتمع فيها بالناس على انفراد، وكانت بمثابة مكتبه الرسمي إنْ جاز التعبير، أو «البرّاني» كما في المحكية النجفية. وهذه هي الحجرة التي دُفن فيها النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، وكانت تجاور بيت علي وفاطمة صلوات الله وسلامه عليهما، وكلاهما داخل المسجد ولهما بابان مقرونان شارعان فيه، فيما بقية الحُجَر كانت خارجه وقد سُدَّت أبوابها لئلّا يلحقها حكم المسجد.

روى البخاري بسنده عن عمرة عن عائشة قالت: «**كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلّي من الليل في حجرته، وجدار الحجرة قصير، فرأى الناس شخص النبي صلى الله عليه وسلم فقام أناسٌ يصلّون بصلاته**».[1]

لاحظ ههنا أن عائشة نسبت الحجرة هذه إلى النبي (صلى الله عليه وآله) وحده بقولها: «**في حجرته**» ولم تقل: في حجرتي أو في حجرة سودة أو حفصة أو غيرهنّ من أزواجه، ما يعني أنه كانت له (صلى الله عليه وآله) حجرة خاصة به، وقد كانت في المسجد بدلالة أن الناس كانوا يأتمّون به حينما يقوم للصلاة فيها، ثم لاحظ أن جدار هذه الحجرة كان قصيراً بحيث أن الناس كانوا يتمكّنون من رؤية مَن بداخلها حين يقوم، وهذا بخلاف حجرة

= وحجرة عائشة شيء آخر، والخلط بينهما هو أساس هذه الشبهة وإن كان الخلط متعمّدا بالأساس لرفع شأن عائشة.

(١) صحيح البخاري ج١ ص١٧٨

عائشة وباقي حجرات الأزواج قطعاً، لأن الغرض منها ستر خلوة النبي (صلى الله عليه وآله) بأزواجه وهو ما يقتضي أن تكون جدرانها عالية ومسقوفة.

وهذا ما أكده ابن رجب الحنبلي في شرحه لهذا الحديث من صحيح البخاري، إذ قال: «**ليس المراد حجرة عائشة التي كان يسكن فيها هو وأهله، فإن حُجَر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم كانت لها جدرات تحجب مَن كان خارجاً منها أن يرى مَن في داخلها**».[(١)]

وروى أحمد بن حنبل والبيهقي عن أنس بن مالك قال: «**أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي ذات ليلة في حجرته، فجاء أُناس فصلّوا بصلاته، فخفّف فدخل البيت ثم خرج**».[(٢)]

فلاحظ ههنا أيضاً أن أنساً ما نسب هذه الحجرة إلا إلى النبي (صلى الله عليه وآله) وحده، ثم لاحظ قوله: «**فخفّف فدخل البيت**» ومعنى ذلك أن بيوته وبيوت نسائه كانت غير هذه الحجرة الخاصة ومنفصلة عنها.

وما يؤيّد أن هذه الحجرة كانت حجرة خاصة يستقبل بها النبي (صلى الله عليه وآله) الوفود أن بابها الغربي هو المعروف **بباب الوفود** كما مرّ، وهذا يعني أن هذه الحجرة هي غير حجرة أو مسكن عائشة فإن الوفود لا شأن لها في مسكن خاص يضم النبي (صلى الله عليه وآله) وامرأته! كما أن أحداً من أصحاب السير والمؤرخين لم يذكروا أن لحجرة عائشة باباً يسمى باب الوفود، وإنما ذكروا أن لها باباً واحداً من وجهة الشام أي الشمال كما مرّ، ويزيده تأكيداً قول العصامي: «**كان باب عائشة مواجه الشام**».[(٣)]

---

(١) فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن رجب الحنبلي ج٥ ص١٥٤

(٢) مسند أحمد بن حنبل ج٣ ص١٠٣ وسنن البيهقي ج٣ ص١١

(٣) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي للعصامي المكي ج١ ص١٥٧

هذا وقد روى الكليني بسنده عن الإمام أبي عبد الله الصادق (صلوات الله عليه) قوله في تحديد مكان الحجرة النبوية الخاصة وبيت علي صلوات الله عليه: «**إذا دخلتَ من باب البقيع فبيت علي صلوات الله عليه على يسارك قدر ممرّ عنز من الباب، وهو إلى جانب بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، وباباهما جميعاً مقرونان**».[1]

وهذان هما البابان الوحيدان اللذان كانا يفتحان على المسجد بعدما سُدَّت سائر الأبواب كما هو معلوم، حتى لا تكون سائر البيوت بحكم المسجد فيشكل مكوث بل مرور الجنب والحائض فيه شرعاً. وعائشة كانت تحيض وكذا سائر أزواج النبي (صلى الله عليه وآله) فلذا سُدَّت أبواب بيوتهن، أما الزهراء (صلوات الله عليها) فهي البتول الطاهرة التي نصّت الأحاديث على أنها لم ترَ حمرة قط كما رواه ابن عساكر عن أم سليم زوجة أبي طلحة الأنصاري أنها قالت: «**لم ترَ فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم دماً قطّ في حيض ولا نفاس، وكانت تصبّ عليها من ماء الجنة، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أُسرِيَ به دخل الجنة وأكل من فاكهة الجنة وشرب من ماء الجنة فنزل من ليلته فوقع على خديجة فحملت بفاطمة، فكان حمل فاطمة من ماء الجنة**».[2]

وأما النبي والوصي (صلوات الله عليهما وآلهما) فطهارتهما معلومة بالضرورة ولا تؤثر الجنابة فيها لأنهما وأبناءهما المعصومين (صلوات الله عليهم) طاهرون مطهّرون بنص الكتاب العزيز في قوله تعالى: «**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**».[3]

---

(١) الكافي للكليني ج٤ ص٥٥٥

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر ج٤٠ ص٣٥٤

(٣) الأحزاب: ٣٤

وقد جاء الحديث عن رسول الله الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) بتأكيد هـذا المعنـى حينما أمر بسدّ الأبواب إلا باب علي عليه الصلاة والسلام، وذلك ما رواه الترمذي والبيهقي وغيرهما عن أبي سعيد قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي: يا علي؛ لا يحـلّ لأحـدٍ أن يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك**».[1]

كما روى البيهقي عن أم سلمة (رضوان الله تعالى عليها) أنها قالت: «**قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا إن مسجدي حرام على كل حائض من النساء وكل جنب من الرجال، إلا محمداً وأهل بيته علياً وفاطمة والحسن والحسين**».[2]

واللطيف أن عائشة بنفسها قد شهدت بذلك فقد روى عنها البخاري قولهـا: «**أن النبـي صلى الله عليه وسلم قال: إني لا أُحِلُّ المسجد لحائضٍ ولا جنبٍ إلا لمحمد وآل محمد**».[3]

وهذا ما يعضّد أن مسكن عائشة كان خارج المسجد لا داخله لأنها كانت تحـيض إجماعـاً فيشكل دخول مسكنها فيه، وإذ ذاك لا يكون مسكنها هو نفسه الحجرة النبوية الشريفة لأنهـا كانت داخل المسجد كما مرّ.

وهذه هي حصيلة ما تقدّم من أدلـة تثبـت أن هنـاك حجرتـان مختلفتـان، إحـداهما هـي الحجرة النبوية الشريفة التي دُفِن فيها سيد المرسلين صلى الله عليه وآله، والأخرى هـي التـي كانت تسكن فيها عائشة. إلا أن بعض المخالفين كمالك بـن أنـس حـاول أن يتنطّـع ويتفيْقـه للحفاظ على أكذوبة أن النبي (صلى الله عليه وآله) دُفن في حجرة عائشة، فزعم أن الحجـرتيْن

---

(١) سنن الترمذي ج٥ ص٣٠٣ وسنن البيهقي ج٧ ص٦٦

(٢) سنن البيهقي ج٧ ص٦٥

(٣) التاريخ الكبير للبخاري ج٢ ص٦٧

كانتا أصلاً حجرة واحدة ثم تم تقسيمها إلى حجرتيْن قائلا: «**قُسِّمَ بيت عائشة باثنين: قسمٌ كان فيه القبر، وقسمٌ كان تكون فيه عائشة، وبينهما حائط**»![1]

ولا يخفى أنها محاولة فاشلة ومعالجة ركيكة؛ إذ قد مرّ صريحاً أن ثمة حجرة كانت خاصة للنبي (صلى الله عليه وآله) إبّان حياته الشريفة، وأنها كانت ذات جدار قصير يُرى مَن بداخلها بحيث أن المسلمين صلّوا بصلاته حين قام فيها، وأنها كانت تقع داخل المسجد فيما حجرة عائشة وبقية الأزواج خارجه، فكيف زعم مالك ما زعمه ومن أين جاء به؟! ولِمَ لا يقول بأن الحجرة النبوية هي التي ضُمَّت لاحقاً إلى حجرة عائشة المجاورة لها شرقاً وغلب عليهما جميعاً اسم «حجرة عائشة» عرفاً، وهو الأقرب بالنظر الدقيق إلى تلك الأدلة التي فرزت بشكل واضح بين الحجرتين زمان حياة النبي صلى الله عليه وآله؟!

وحيث أن وضع اختلاف الحجرتين والتغاير بينهما كان - بمقتضى تلك الأدلة - سابقاً على ما ادّعاه من تقسيم حجرة عائشة إلى قسمين بحائط؛ فإن الوضع التالي معناه أن عائشة قامت بالاستيلاء على الحجرة النبوية الشريفة وضمّها إلى حجرتها مستقوية بسلطة أبيها وصاحبه عمر حين استوليا على مقاليد الحكم!

إن هذه هي الحقيقة التي قفزت عليها عائشة، حين ادّعت أن النبي (صلى الله عليه وآله) دُفِن في «حجرتها» فأنالت نفسها بذلك شرفاً مكذوباً، وتبعها عليه أتباعها وأنصارها كعادتهم في الانقياد الأعمى لها! أما الذين كانوا عارفين بالحقيقة كمالك بن أنس فقد اجتهدوا بدورهم في رقع ما انخرق ورتق ما انفتق!

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص٢٩٤

هذا هو تمام الجانب الأول، وقد عرفت فيه أن مدفن النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يكن في حجرة عائشة.

وأما الجانب الثاني؛ فنقول فيه إن عائشة لم تمتلك بحكم الشرع لا الحجرة النبوية الشريفة ولا حتى الحجرة التي كانت تسكن فيها، وعليه تكون تصرّفاتها فيهما من الدمج وإدخال أبيها وصاحبه عمر للدفن فيها وما إلى ذلك تصرفات غصبية.

وبيان ذلك أنه لا طريق للحكم بملكية عائشة للحجرة إلا بواحدٍ من اثنين، إما أن يُقال بأنها قد ورثت الحجرة من زوجها النبي صلى الله عليه وآله، وإما أن يُقال بأنه (صلى الله عليه وآله) قد ملّكها إياها في حياته.

أما القول الأول فمردود بأنه على زعمها وزعم أبيها وجماعتهما أن «**النبي لا يورَث وكل ما تركه صدقة**»[1] وقد كانت هذه هي الحجة المدّعاة التي بموجبها حرم أبو بكر (لعنه الله) الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء (صلوات الله عليها) من حقّها في **فدك** والعوالي كما هو معلوم، فكيف ورثت عائشة هذه الحجرة إذن؟!

ولو أعرضنا عن هذا وأخذنا بالحق في أن النبي (صلى الله عليه وآله) يورَث، فإن عائشة لا تتملّك بهذا حجرتها أيضاً، فإن الزوجة لا ترث من عين البيت شرعاً وإنما ترث من قيمته، ولو تنزّلنا وقلنا أنها ترث من العين، فإن نصيب عائشة من الحجرة لا يكون إلا شيئاً يسيراً لا يتعدّى شبراً في شبر، وذلك لأن النبي (صلى الله عليه وآله) استشهد وقد خلّف تسع

---

(١) روى البخاري في صحيحه ج٤ ص٤٢ عن عائشة قالت: «**إن فاطمة عليها السلام ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت أبا بكر الصديق بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقسم لها ميراثها مما ترك رسول الله مما أفاء الله عليه. فقال لها أبو بكر: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا نورَث! ما تركنا صدقة! فغضبت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فهجرت أبا بكر فلم تزل مهاجرته حتى توفيت**».

زوجات نصيبهنّ جميعاً هو الثُّمْن لمكان ابنته الزهراء (صلى الله عليها) التي ترث الباقي، فتتشاطر الزوجات جميعاً في الثُّمْن ويقسّم بينهن، فيكون نصيب الواحدة منهنّ تسعاً من الثمن ليس إلا، فكيف تملّكت عائشة الكلّ وتصرّفت فيه فدفنت أباها وصاحبه غصباً؟!

ولنعم ما قال الشاعر حين هجاها بقوله:

أَيـا بِنْـتَ أَبِي بَكْـرٍ ... لا كـانَ وَلا كُنْـتِ!
تَجَمَّلْـتِ تَبَغَّلْـتِ ... وَإِنْ عِـشْتِ تَفَيَّلْـتِ!
لَـكِ التِّـسْعُ مِـنَ الـثُّمْنِ ... وَللكُـلِّ تَمَلَّكْـتِ![1]

وأما القول الثاني بأن الحجرة كانت ملكاً لها فهو الذي أطلقته عائشة بقولها يوم قادت حملة التصدّي لدفن الإمام المظلوم السبط الحسن المجتبى (صلوات الله عليه) عند جدّه صلى الله عليه وآله! فقالت حينئذ وهي راكبة على بغلها: «**البيت بيتي ولا آذن أن يُدفن فيه أحد**»![2] وفي رواية أخرى: «**هذا الأمر لا يكون أبداً! يُدفن** (الحسن) **ببقيع الغرقد ولا يكون لهم رابعاً، والله إنه لبيتي أعطانيه رسول الله في حياته، وما دُفن فيه عمر وهو خليفة إلا بأمري، وما أثر علي عندنا بحسن**»![3]

وهذا صرف ادّعاء منها، لم يرد في خبر آخر عن غيرها، ولم تقم فيه حجة، ولم يشهد تمليكها أحد من المسلمين. ولو قُبِل هذا الادّعاء لكان الواجب أن يقبل أبو بكر بمطالبة الزهراء (صلوات الله عليها) بفدك، لأنها (صلوات الله عليها) احتجّت أيضاً بأن النبي (صلى الله عليه وآله) قد ملّكها إياها في حياته. فما بال ابن أبي قحافة قَبِلَ بادعاء ابنته ولم يقبل قول

(١) الخرائج والجرائح للقطب الراوندي ج١ ص٢٤٣، والشعر لابن الحجّاج البغدادي.

(٢) أنساب الأشراف للبلاذري ج٣ ص٦٠ وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص٢١٤ وتاريخ أبي الفداء ج١ ص٢٨٤

(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر ج١٣ ص٢٩٣

سيدة نساء العالمين (صلوات الله عليها) مع أن العدول قد شهدوا لها في تملكهـا لأرض فـدك في حياة النبي (صلى الله عليه وآله) ومع قيام أمارة اليد على ذلك أيضاً إذ كان فيهـا وكيلهـا؟! هل أن أن باء عائشة تجرّ وباء فاطمة (عليها السلام) لا تجرّ؟!

إن قيل: قد أقسمت عائشة على أن البيت بيتها ولا يمكن أن تكون كاذبة!

قلنا: بلى يمكن! بدليل استحلالها الكذب على النبـي (صـلى الله عليـه وآلـه) في حـديث المغافير، وبدليل تكذيبه (صلى الله عليه وآله) إياهـا رغـم قـسمها في الحـديث الـذي ردّ فيـه شهادة أبيها لها بالإيمان بقوله (صلى الله عليه وآله) له: «**وما يدريك أَ مؤمنة هي أم لا**»؟![1]

ثم إن أحاديث عائشة هذه معارَضة بأحاديث أخرى عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيها النصّ على ملكيته لبيته الذي دُفِن فيه بقوله: «**بيتي**»، وهي أصح من أحاديث عائشة بـلا خلاف، ومنها قوله صلى الله عليه وآله: «**إذا غسّلتموني وكفّنتموني فضعوني عـلى سريـري في بيتي هذا على شفير قبري**».[2] ومنها قوله صلى الله عليه وآله: «**ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة**».[3] فلا مناص من ترجيح هذه الأحاديث على تلك فيكون البيت الذي دُفن فيه النبي (صلى الله عليه وآله) باقياً على ملكيته له ولم ينتقل إلى ملكية عائشة بحال.

إن قيل: فإن في بعض الأحاديث نسبة البيت إليها كحديث: «**قـام النبـي صـلى الله عليـه وسلم خطيباً فأشار نحو مسكن عائشة فقال: ههنا الفتنة! ههنا الفتنة! ههنا الفتنة! من حيـث**

---

(١) راجع ص٢٧٠ من هذا الكتاب.

(٢) تاريخ الطبري ج٣ ص١٩٣

(٣) صحيح البخاري ج٢ ص٥٧ وصحيح مسلم ج٤ ص١٢٣

يطلع قرن الشيطان»![1] وحديث: «**خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيت عائشة فقال: رأس الكفر من ههنا! من حيث يطلع قرن الشيطان»!**[2]

قلنا: إن التعبير بمسكن عائشة وبيت عائشة لم يصدر من النبي (صلى الله عليه وآله) وإنما صدر من الراوي وهو عبد الله بن عمر، والتعبير بالمسكن ظاهر في أنها إنما تسكن هذا البيت بحكم الزوجية لا بحكم الملكية، فافهم.

إن قيل: فإن كتاب الله نصّ على أن البيوت ملكٌ لأزواج النبي (صلى الله عليه وآله) وذلك قوله عز وجل: «**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى**».[3]

قلنا: قد نصّ كتاب الله أيضاً على أن البيوت ملك للنبي (صلى الله عليه وآله) بقوله عز من قائل: «**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ**».[4] فيكون مقتضى الجمع هو ما تقرّر من أنها ملك للنبي (صلى الله عليها وآله) في الحقيقة وأما إضافتها إلى أزواجه فليس إلا من باب أنهنّ يسكُنَّ فيها بحكم الزوجية، فإن الإضافة في اللغة تكون لأدنى ملابسة، ومنه قوله تعالى: «**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ لا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إِلا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ**»[5] حيث دلّت على جواز إخراج النساء من البيوت إنْ أتيْن بفاحشة مبيِّنة، مع أن الآية أضافت

---

(1) صحيح البخاري ج4 ص100 وغيره كثير.

(2) صحيح مسلم ج8 ص180 وغيره كثير.

(3) الأحزاب: 34

(4) الأحزاب: 54

(5) الطلاق: 2

البيوت إليهن في قوله: «مِن بُيُوتِهِنَّ» وهي إضافة بمعنى السكنى بحكم الزوجية ليس إلا، ولا دلالة فيها على أن البيوت ملكٌ لهنّ، فكذلك القول في قوله تعالى: «وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ».

هذا وقد طلّق النبي (صلى الله عليه وآله) نساءً من أزواجه ولم تحتفظ إحداهن بالحجرة التي كانت تسكن فيها، فلو كانت دعوى أن حجراتهن مملوكة لهنّ صحيحة لكان اللازم أن يسجّل التاريخ احتفاظهنّ بها.

والحاصل أن الحجرة التي دُفِنَ فيها النبي (صلى الله عليه وآله) لم تكن حجرة عائشة، وحتى تلك التي كانت تسكن فيها لم تكن ملكاً لها وإنما نصيبها من ثمنها من جهة الميراث ليس سوى التسع من الثُّمْن، فانظر أية جريمة أقدمت عليها عائشة حين صادرت الحجرة النبوية وضمّتها إلى الحجرة التي كانت تسكن فيها والتي هي أصلاً غير مملوكة لها! وانظر أية جناية فعلتها عائشة حين أدخلت في تلك الحجرة جثة أباها وجثة صاحبه عمر ليدفنان غصباً إلى جوار رسول الله (صلى الله عليه وآله) دونما استئذان من الورثة الشرعيين! وانظر أية خسّة وسفالة ارتكبتها عائشة حين منعت جنازة سبط رسول الله من أن يُدفن إلى جواره وتصدّت لحرب سبطه الآخر حين أراد دفن أخيه هناك مع أنهما صاحبا الحق الشرعي في تلك الحجرة من جهة الميراث!

ولا عجب أن تكون عائشة حاقدة ناقمة على سبطي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وسيديَّ شباب أهل الجنة، وقد قال فيها الإمام الحسن عليه السلام: «**سيصيبني من الحميراء ما يعلم الله والناس صنيعها وعداوتها لله ولرسوله وعداوتها لنا أهل البيت**»![1] وقال الإمام الحسين (عليه السلام) في وجهها منكراً استيلائها على الحجرة النبوية الشريفة

(١) الكافي للكليني ج١ ص٣٠٠

ودفنها لأبيها وصاحبه فيها: «**قديماً هتكتِ أنتِ وأبوكِ حجاب رسول الله صلى الله عليه وآله وأدخلتِ عليه ببيته مَن لا يحبُّ قُرْبه! وإن الله سائلكِ عن ذلك يا عائشة**»![1]

وهذا قد وملّكت عائشة الحجرة النبوية المقدسة لابن أختها عبد الله بن الزبير حين أوصت بها إليه، تمليك مَن لا يملك إلى من لا يستحق! فقد روى ابن عساكر عن هشام ابن عروة قال: «**كان عبد الله بن الزبير يعتد بمكرمات لا يعتد بها أحد من الناس، أوصت له عائشة بحجرتها! واشترى حجرة سودة**»![2]

وهكذا بدلاً من أن تتوب عائشة وتتراجع عن غصبها للحجرة النبوية المقدسة؛ نراها توصي بها لابن الزبير وتملّكه إياها مضيّاً في الإثم وإصراراً على الحرام! فتجعل مدفن النبي (صلى الله عليه وآله) في يد هذا المشؤوم الناصبي! فيما الورثة الشرعيون من أبناء رسول الله (صلى الله عليه وآله) محرومون من حقّهم في حجرة جدّهم ومسلوبو النظارة على مرقده الشريف! فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

* * *

إلى هنا نكون قد فنّدنا الأكاذيب التي نسجتها عائشة وحزبها لترفيع شأنها، فهلمَّ إلى فصل آخر نوثّق فيه ما أمكن من جرائمها ومثالبها من واقع سيرتها وما نطق به الوحي من إدانتها، وهي أمور تكشف لنا صفاتها ونزعاتها الشخصية أكثر.

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) تاريخ دمشق ج٢٨ ص١٨٩، وتكون سودة بذلك أيضاً مذمومة إذ باعت ما لا تملك طلباً للمال.

الفصل الثالث

المدانة من فوق سبع سماوات

أول وأعظم من أدان عائشة بنت أبي بكر هو الله تبارك وتعالى حين أنزل في ذمّها وذمّ صاحبتها حفصة سورة كاملة تُتلى آناء الليل وأطراف النهار، ألا وهي سورة التحريم التي يتغافل أحبار الطائفة البكرية عن بيان سبب نزولها وتفسيرها أمام عوامّهم رغم أن ذلك مثبت عندهم في الصحّاح والمصادر المعتمدة، وما ذلك إلا لخشيتهم من أن يؤدي هذا البيان إلى كشف حقيقة أن عائشة هي «المُدانة من فوق سبع سماوات» لا المبرّأة كما يروّجون خداعاً وتضليلاً!

قال الله تبارك وتعالى في هذه السورة المباركة:

«بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ (١) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢) قَدْ فَرَضَ اللهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣) وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ (٤) إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذٰلِكَ ظَهِيرٌ (٥) عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا (٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ

نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٩) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٠) ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ (١١) وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١٢) وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ (١٣)».[١]

ما يهمّنا في هذا السياق هو معرفة أمور ثلاثة هي: في مَن نزلت هذه السورة؟ وما سبب نزولها؟ وما المستفاد من آياتها؟

أما في مَن نزلت؛ فإنه لا خلاف عند أحد في أنها نزلت في عائشة وحفصة (لعنة الله عليهما) وأنهما المخاطَبتان بما ورد فيها من تهديد ووعيد «**وتحذير لهما على أغلظ وجه وأشدّه**» كما يقول الزمخشري والرازي في تفسيريهما.[٢]

وكان عمر بن الخطاب من أوائل المذعنين لحقيقة أن هذه الآيات الصاعقة إنما نزلت في عائشة وحفصة، فقد روى البخاري بسنده عن ابن عباس قال: «**لم أزل حريصاً أن أسأل عمر**

(١) سورة التحريم كاملةً.

(٢) تفسير الزمخشري ج٤ ص١٣١ وتفسير الرازي ج٣٠ ص٤٩

ابن الخطاب عن المرأتيْن من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم اللَّتَيْن قال الله تعالى: إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا حتى حجَّ وحججتُ معه، وعدل وعدلتُ معه بإداوةٍ، فتبرَّزَ،[١] ثم جاء فسكبتُ على يديْه منها فتوضّأ، فقلت له: يا أمير المؤمنين؛ مَن المرأتان من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم اللَّتان قال الله تعالى: إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا؟ قال: واعجباً لك يا ابن عباس! هما عائشة وحفصة».[٢]

وأما سبب نزول السورة؛ فقد روى النسائي والحاكم وغيرهما عن أنس: **«أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت له أَمَةٌ يطأها، فلم تزل به عائشة وحفصة حتى حرّمها على نفسه، فأنزل الله عزّ وجل: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ.. إلى آخر الآية».[٣]**

وروى الطبري والبيهقي وغيرهما عن ابن عباس قال: **«كانت حفصة وعائشة رضي الله عنهما متحابَّتيْن، وكانتا زوجتي النبي صلى الله عليه وسلم، فذهبت حفصة إلى أبيها فتحدثت عنده، فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى جاريته فظلّت معه في بيت حفصة، وكان اليوم الذي يأتي فيه عائشة، فرجعت حفصة فوجدتها في بيتها، فجعلت تنتظر خروجها وغارت غيرة شديدة، فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم جاريته ودخلت حفصة فقالت: رأيتُ مَن كان عندك، والله لقد سُئتني! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: والله لأُرضِينَّكِ، فإني مُسِرٌّ إليك سراً فاحفظيه. قالت: ما هو؟ قال: إني أُشهِدُكِ أن سُرِّيَّتي[٤] هذه عليَّ حرام رضىً لكِ. وكانت حفصة وعائشة تظاهران على نساء النبي صلى الله عليه وسلم، فانطلقت حفصة إلى**

---

(١) أي ذهب عمر ليبتوّل أو ليتغوّط في البَراز.

(٢) صحيح البخاري ج٦ ص١٤٧ ونحوه في صحيح مسلم ج٤ ص١٩٢ وغيرهما كثير.

(٣) سنن النسائي ج٧ ص٧١ ومستدرك الحاكم ج٢ ص٤٩٣ وغيرهما كثير.

(٤) أي جاريتي.

عائشة فأسرَّتْ إليها أن ابشري أن النبي قد حرَّمَ فتاته! فلمّا أخبرت بسرِّ النبـي صـلى الله عليـه وسلم أظهر الله عزّ وجل النبي عليه فأنزل الله على رسوله لّما تظاهرتا عليه: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ.. إلى آخر الآية».[1]

وروى السيوطي عن ابن مردويه بسنده عن أنس: «**أن النبي صلى الله عليه وسلم أنزل أم إبراهيم منزل أبي أيوب. قالت عائشة رضي الله عنها: فدخل النبي صلى الله عليه وسـلم بيتهـا يوماً فوجد خلوةً فأصابها، فحملت بإبراهيم. قالت عائشة: فلـمّا اسـتبان حملهـا فزعـتُ مـن ذلك! فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ولدتْ، فلم يكن لأمّـه لـبن، فاشـترى لـه ضائنة يغذى منها الصبي فصلُحَ عليه جسمه وحسُنَ لحمه وصفا لونه، فجاء بـه يومـاً يحملـه على عنقه، فقال: يا عائشة؛ كيف ترَيْ الشبه؟ فقلت وأنـا غـيْرى: مـا أرى شـبهاً! فقـال: ولا باللحم؟ فقلت: لعمري لَمَن تغذّى بألبان الضأن ليحسُن لحمه! قـال: فجزعـت عائـشة رضي الله عنها وحفصة من ذلك، فعاتبته حفصة فحرّمها وأسرّ إليها سرّاً، فأفـشته إلى عائـشة رضي الله عنها فنزلت آية التحريم، فأعتق رسول الله صلى الله عليه وسلم رقبة**».[2]

إن المستفاد من مضمون هذه الروايات على الاختلاف في بعض جزئياتها أن سبب نـزول سورة التحريم هو أمر يتعلق بالسيدة الجليلة مارية القبطية سلام الله عليهـا، وقـد عرفـت في الفصل السابق أنها كانت مثار حقد وغيرة عائشة لما كانت تحظى به من حبّ النبي (صـلى الله عليه وآله) وتقديره لديانتها وحُـسن أخلاقهـا فـضلاً عـن جمالهـا ووضـاءتها، وههنـا تُنبئنـا الروايات أن حفصة انضمت إلى أختها عائشة في ذلك الحقد وتلك الغيرة، فاشـتركتا معـاً في الضغط على النبي (صلى الله عليه وآله) وإيذائه فيها حتى يتركها وينفصل عنها، وذلـك قـول

---

(١) تفسير الطبري ج١٨ ص١٠١ وسنن البيهقي ج٧ ص٣٥٣ وغيرهما كثير.

(٢) الدر المنثور للسيوطي ج٨ ص٢١٥

أنس السالف: «**فلم تزل به عائشة وحفصة حتى حرّمها على نفسه**». ثم تخبرنا الروايات أن الفزع والجزع انتابا عائشة وحفصة لاكتشافهما أن النبي (صلى الله عليه وآله) قد اختلى بمارية وأصابها، مع أن ذلك من حقّه الشرعي وحقّها العرفي، ولا شكّ أنه كان بأمر الله تعالى حتى يُرزق النبي (صلى الله عليه وآله) بقرّة عينه إبراهيم (عليه السلام) من هذه السيدة الجليلة التي اختارها الله سبحانه دون سائر نساء زمانها لأن تكون أمّاً لنجل نبيّه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

وبسبب عدم وجود مسكن خاص للسيدة مارية إذ كانت تقطن في بيت أبي أيوب الأنصاري ولم يحوّلها النبي (صلى الله عليه وآله) إلى مشرُبَتها المعروفة بعدُ؛ فإنه لم يكن إمكان لاجتماعها بالنبي (صلى الله عليه وآله) إلا في إحدى بيوته، فاختار (صلى الله عليه وآله) أن يكون ذلك في البيت الذي تسكنه حفصة[1] حين خرجت في بعض الأيام لزيارة أبيها. إلا أن حفصة امتلأت غيظاً حين رجعت وعلمت بالأمر فتطاولت على رسول الله (صلى الله عليه وآله) بقولها له: «**والله لقد سُئتني**»! مع أنه (صلى الله عليه وآله) لم يسؤها بشيء فالبيت بيته[2] والأَمَة أمته، وللمرء أن يأتي جاريته في أيّ بيت شاء من بيوته وفي أي وقت حتى مع وجود زوجته فيه، غير أنه (صلى الله عليه وآله) لمّا كان في قمة الأخلاق والنُّبْل والحياء آثر أن لا يفعل ذلك مع وجودها فلبث حتى خرجت، فبأي وجه حق تتفوّه هذه الملعونة بمثل هذه العبارة الوقحة في وجه خاتم الأنبياء (صلى الله عليه وآله) وكأن البيت بيتها أو كأن النبي ارتكب منكراً والعياذ بالله؟! ألا قدّرت أن النبي (صلى الله عليه وآله) احترم وجودها فلم يستقدم جاريته أمام عينها وانتظر إلى أن خرجت؟! بل لقد كان بوسعه (صلى الله عليه وآله)

---

(١) أو عائشة على الاختلاف في الروايتيْن المتقدّمتيْن.

(٢) سبق بيان أن البيوت التي كانت نساء النبي (صلى الله عليه وآله) يسكنّ فيها لم تكن ملكاً لهنّ بل ملكاً له.

أن يطردها خارج هذا البيت إلى بيت آخر لبعض الوقت حتى يختلي بجاريته وما كان لها أن تعترض أو تحتج، غير أنها ابنة عمر فكيف تتوقّع أن تكون أخلاقها؟!

مع ذا فإن رسول الرحمة (صلى الله عليه وآله) جنح للعفو والسماحة وتطييب الخاطر رغم الإهانة التي صدرت من حفصة بحقّه، فأبلغها أنه قد حرّم جاريته على نفسه، أي حلف أن لا يقربها، وأسرّ إلى حفصة سرّاً، غير أن حفصة أفشته كما أبلغت صاحبتها عائشة بأن «**أبشري أن النبي قد حرَّمَ فتاته**»! فدعاه الله تعالى إلى أن يتحلّل من يمينه وأن يعود إلى مارية عليها السلام، فأعتق عن ذلك رقبة. والذي يتبادر إلى الذهن أن تحريمه (صلى الله عليه وآله) لمارية لم يكن بالأصل عزيمة بل كان بأمر الله تعالى ليعلم هل ترجع هاتان المذنبتان عن ذنبهما أم لا، وذلك كأمره بقتل الخادم القبطي حين اتّهمتاه زوراً وإفكاً على ما بيّنته الروايات التي ذكرناها في محلّها في الفصل السابق، فراجع.

وكانت قاصمة الظهر لعائشة وحفصة ولادة إبراهيم من مارية عليهما السلام، فلم تحتمل المرأتان أن يحرِمْهُما الله تعالى من أن ينجبا ابناً للنبي (صلى الله عليه وآله) رغم عِشْرة هذه السنوات الطوال بينما يرزقه إياه من هذه القبطية التي هي جديدة العهد به، فما كان منهما إلا الطعن في شرفها وإشاعة الإفك في حقها والتشكيك في طهارة إبراهيم بكل خسة ودناءة كما مرّ مفصّلاً في الفصل السابق. والذي يُفهم من سياق رواية ابن مردويه المتقدّمة أن ثمة ترابطاً بين قضية الإفك على مارية وقضية تحريم النبي (صلى الله عليه وآله) إياها على نفسه، فكأن الأولى جاءت على أثر الثانية.

هذه هي خلاصة سبب نزول سورة التحريم. وإذا علمت هذا فاعلم أن عائشة حاولت صرف نزول هذه السورة إلى سبب آخر، فقد روى البخاري ومسلم عن عبيد بن عُمير قال: «**سمعتُ عائشة تزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش**

ويشرب عندها عسلاً، فتواصيتُ أنا وحفصة أن أيّتَنا دخل عليها النبي فلتقُلْ: إني أجد منك ريح مغافير! أكلتَ مغافير؟! فدخل على إحداهما فقالت ذلك له، فقال: لا بل شربت عسلاً عند زينب بنت جحش ولن أعود له. فنزلت: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ، إِنْ تَتُوبَا إِلَى الله، لعائشة وحفصة، وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا، لقوله: بل شربتُ عسلاً».[1]

لقد تقدّمت الإشارة إلى هذا الحديث في الفصل السابق للتدليل على اعتراف عائشة بكذبها، وهو حديث المغافير الشهير، غير أن نص الحديث في الفصل السابق كان خلواً مما ورد ههنا في ذيل مثيله من «زعم» عائشة - كما عبّر الراوي عنها عبيد بن عمير - أن آيات سورة التحريم قد نزلت إثر هذا الذي حصل في هذه القصة، أي أن عائشة حاولت الربط بين قصة المغافير وسبب نزول سورة التحريم للتعمية على قصة مارية (عليها السلام) التي هي السبب الحقيقي للنزول كما نصّت عليه الأحاديث المزبورة.

ولا تفلح محاولة عائشة هذه كما لم تفلح محاولاتها السابقة وأكاذيبها السالفة، ذلك لأنها انفردت برواية هذا السبب المزعوم لنزول الآيات، فيما السبب الآخر ثابت عن أكثر من واحد منهم أنس وابن عباس، هذه واحدة.

والثانية أن عائشة حين روت هذا السبب المزعوم تناقضت في رواياتها، ففي حين زعمت في هذه أنها تواطأت مع حفصة على زينب؛ زعمت في رواية أخرى أنها تواطأت مع سودة وصفية على حفصة التي كانت هي التي سقت النبي (صلى الله عليه وآله) عسلاً! وهذا هو ما رواه البخاري ومسلم أيضاً عن عائشة قالت: «**كان رسول الله يحبّ العسل والحلواء، وكان إذا انصرف من العصر دخل على نسائه فيدنو من إحداهنّ، فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس أكثر ما كان يحتبس، فغرتُ فسألتُ عن ذلك فقيل لي: أهدت لها امرأة من قومها**

---

(١) صحيح البخاري ج٧ ص٢٣٢ وصحيح مسلم ج٤ ص١٨٤ واللفظ للأول.

عُكّةً من عسل فسَقَتْ رسول الله منه شربة، فقلت: أما والله لنحتالنَّ له! فذكرتُ ذلك لسودة وقلت: إذا دخل عليك فإنه سيدنو منك فقولي له: يا رسول الله؛ أكلتَ مغافير؟ فإنه سيقول لك: لا، فقولي له: ما هذه الريح؟! وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتدّ عليه أن يوجد منه الريح، فإنه سيقول لك: سقتني حفصة شربة عسل، فقولي له: جَرَسَتْ نَحْلُهُ الْعُرْفُطَ![(١)] وسأقول ذلك له وقوليه أنت يا صفية. فلمّا دخل على سودة، قالت: تقول سودة: والذي لا إله إلا هو لقد كِدْتُ أن أبادئه بالذي قلتِ لي وإنه لعلى الباب فَرَقاً منكِ![(٢)] فلمّا دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: يا رسول الله؛ أكلتَ مغافير؟ قال: لا، قالت: فما هذه الريح؟! قال سقتني حفصة شربة عسل، قالت: جَرَسَتْ نَحْلُهُ الْعُرْفُطَ! فلمّا دخل عليَّ قلت له مثل ذلك، ثم دخل على صفية فقالت بمثل ذلك، فلمّا دخل على حفصة قالت: يا رسول الله؛ ألا أسقيك منه؟ قال: لا حاجة لي به. قالت: تقول سودة: سبحان الله! والله لقد حرَمناه! قالت: قلت لها: اسكتي»![(٣)]

والثالثة أن ما زعمته عائشة لا ينسجم مع مفاد وسياق الآيات في سورة التحريم بل لا يمكن انطباق بعضها عليه، فإنه إن كانت المتواطئات ثلاث نسوة هنّ عائشة وسودة وصفيّة كما في هذه الرواية الأخيرة؛ فكيف جاءت الآيات بخطاب موجّه إلى اثنتيْن فحسْب بقوله

---

(١) أي أن هذا العسل الذي تناولتَه جاء من نحل كان يرعى على شجرة العُرفط التي تتخذ منها المغافير، فلذا أصبح كريه الرائحة. وكل ذلك كذب في كذب باعتراف عائشة!

(٢) أي خوفاً ورعباً منكِ يا عائشة كنتُ أوشك أن أبادئ النبي (صلى الله عليه وآله) بهذا الكلام الذي اتفقنا عليه وهو بعدُ على الباب قد دخل للتوّ! فانظر كيف كانت عائشة «مرعبة» بالنسبة لهنّ على حدّ ما جاء في هذا الحديث المختلق! وفي آخره أنها تأمر سودة بالسكوت بقولها: «**اسكتي**»! لأن سودة انكسر قلبها على النبي (صلى الله عليه وآله) إذ اضطر بسبب هذه المؤامرة إلى أن يحرم نفسه من العسل!

(٣) صحيح البخاري ج٦ ص١٦٧ وصحيح مسلم ج٤ ص١٨٥

تعالى: «**إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا**»؟! وإن كانتا امرأتين فهل يُعقل أن يجيّش الله جيشاً للدفاع عن نبيّه (صلى الله عليه وآله) فيه جبريل وسائر الملائكة وصالح المؤمنين ويكون الله بنفسه ظهيراً معهم من أجل امرأتين اضطرتا النبي (صلى الله عليه وآله) لأن يمتنع عن شرب عسل فقط؟! أ لهذا السبب التافه يُنزل الله تعالى سورة كاملة يضرب فيها مثلاً امرأة نوح وامرأة لوط وهما مَن هما؟! أ لهذا السبب التافه ينزل وحي من السماء؟!

ثم هل يُعقل أن يكون ذلك السر الخطير الذي عرّف النبي (صلى الله عليه وآله) بعضه وأعرض عن بعضه الآخر وقد أفشته تلك المرأة بها استحقّ منها توبيخاً هو الأشد وتحذيراً هو الأغلظ هو أنه سيمتنع عن شرب ذلك العسل؟! فما الذي عرّفه من ذلك وما الذي أعرض عنه؟! وأي شيءٍ في ذلك العسل حتى يستوجب كل هذه الضجّة وكل هذا الحشد الذي لا نظير له؟!

إنه تعالى لم يحشد من الملائكة أكثر من خمسة آلاف لنصرة المسلمين في حروبهم ضد الكفار والمشركين، وذلك قوله عزّ من قائل: «**بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ**»[1] هذا مع أن تلك الحروب الطاحنة كادت أن تقضي على الإسلام والمسلمين، وكان فيها من الخطر والخوف والرعب والتهديد ما جعل المسلمين من أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) يرتجفون «**كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ**»![2] و«**كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ**»![3]

---

(١) آل عمران: ١٢٥ – ١٢٦

(٢) الأنفال: ٧

(٣) التوبة: ١١٨

أما هـهنا فقد حشد الله تعالى جميع الملائكة قاطبة لا خمسة آلاف منهم فقط! وجعل معهـم سيد الملائكة جبريل عليه السلام! وجعل معهم صالح المؤمنين وأميرهم وليثهم عـلي بـن أبي طالب عليهما السلام! ولم يكتف بهذا حتى جعل ذاته الجبروتيـة معهـم ظهـيراً! ولـيس لهـذا معنى إلا أن الخطر الذي استدعى كل هذا الحشد المهول كان أعظم وأكبر مـن خطـر الكفـار والمشركين الذي لم يستدعِ سوى خمسة آلاف من الملائكة، أي أن خطر عائشة وحفـصة ومَـن وراءهما وما كانـا يتواطـآن ويتظـاهران عليـه ويبيّتانـه لخـاتم النبيـين (صـلى الله عليـه وآلـه الطاهرين) كان في واقع الأمر أعظم وأخطر ما يمكن أن يقضي عـلى رسـالته ومـا يمكـن أن يهدّد وجودها ونقاءها واستمرارها. إنه تهديد أشـدّ مـن التهديـد الـذي مثّلـه الكفـار، فهـذا التهديد يأتي من الداخل، ومن بيت النبي (صلى الله عليه وآله) نفسه.

والآن بعد أن تبيّن بطلان ما زعمته عائشة مـن نـزول سـورة التحـريم في قـصة المغـافير وانحلال الرابط الهلامي الذي عقدت به بينهما، يتبادر إلى الذهن تساؤل عـما دفـع عائـشة إلى هذه الكذبة والداعي الذي دعاها إلى أن تحاول صرف نزول هذه الآيات عن سـببها الـواقعي المتعلق بقصة مارية عليها السلام.

ولعل مفتاح الجواب على هذا التساؤل يكون بالبحث عن ذلك السرّ الخطير الذي أشـير إليه بقوله تعالى: «**وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ عَـرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِـيمُ الْخَبِـيرُ**». فكـما أن النفس لا تركن إلى أن هذا السر الخطـير هـو شرب النبـي (صـلى الله عليـه وآلـه) للعـسل أو امتناعه عنه؛ كذلك فإنها لا تركن إلى أنه مجرّد إصابة النبي (صـلى الله عليـه وآلـه) جاريتـه أو تحريمها على نفسه، لأن الآية تُشعر بأن السرّ أعظم مـن ذلـك بكثـير بحيـث أن إفـشاءه مـن بعض الأزواج اعتُبر جريمة كبرى استوجبت نزول هذه السورة بما حملته مـن تهديـد ووعيـد

ومطالبة بالتوبة. كما أن قوله تعالى: «**فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ**» يُشعر بأن هذا السرّ أمر يتعلق بالغيب والمستقبل. وهذا أبعد ما يكون عن إصابة الجارية أو تحريمها وهو الأمر الذي أشارت إليه السورة في أول آياتها، فليس ذلك سراً ولا فيه ما يعرَّف بعضه ويُعرَض عن بعضه الآخر. إن هذا السرّ ليس إلا أمراً شديد الأهمية والحساسية، وإفشاؤه مرتبط بالتظاهر والتآمر على رسول الله صلى الله عليه وآله، أي أنه كان مقدّمة له بحيث أنه ترتّب عليه هذا الإنذار من الله تعالى بقوله: «**وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهُ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذٰلِكَ ظَهِيرٌ**». فكأن الذي يجري حربٌ بين طرفين، أحدهما عائشة وحفصة ومن معهما، والآخر ربّ العالمين ورسوله (صلى الله عليه وآله) وصالح المؤمنين وهو علي بن أبي طالب (عليهما السلام)[1] وجبريل وسائر الملائكة عليهم السلام.

فما هو ذلك السر الخطير وما التبعات التي ترتّبت على إفشائه؟! إن هذا هو ما تكشفه لنا الروايات التالية:

روى الطبراني بسنده عن ابن عباس في قوله: «**وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا**» قال: «**دخلت حفصة على النبي صلى الله عليه وسلم في بيتها وهو يطأ مارية، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تخبري عائشة حتى أبشرك ببشارة، فإن أباكِ يلي الأمر من بعد**

---

(١) جاء في كثير من تفاسير ومصادر حديث أهل العامة أن المراد من «**صالح المؤمنين**» في هذه الآية هو الإمام أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) طبقا لحديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) في هذا الشأن، فراجع تفسير السيوطي ج٦ ص٢٤٤ عن ابن مردويه عن أسماء بنت عميس عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وعن ابن مردويه وابن عساكر عن ابن عباس. وراجع كنز العمال للمتقي الهندي ج١ ص٢٣٧ عن ابن أبي حاتم عن رسول الله صلى الله عليه وآله. وراجع فتح الباري لابن حجر العسقلاني ج١٣ ص٢٧ عن الطبري عن مجاهد، إلى غيرها من المصادر.

أبي بكر إذا أنا متُّ! فذهبت حفصة فأخبرت عائشة! فقالت عائشة لرسول الله صلى الله عليه وسلم: من أنبأك هذا؟ قال: نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ. فقالت عائشة: لا أنظر إليك حتى تحرِّم مارية! فحرّمها، فأنزل الله: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ».(١)

وروى ابن الأعرابي بسنده عن حبيب بن أبي الثابت: «**وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا، قال: أخبر عائشة أن أباها الخليفة من بعده، وأن أبا حفصة الخليفة من بعد أبيها**».(٢)

وروى ابن مردويه والبغوي عن ابن عباس: «**أسرَّ أمر الخلافة بعده فحدَّثتْ به حفصة**»!(٣)

وروى أبو نعيم الأصبهاني عن ابن عمر قال: «**والله إن إمارة أبي بكر وعمر لفي الكتاب: وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا، قال لحفصة: أبوكِ وأبو عائشة واليا الناس بعدي، فإياكِ أن تخبري أحداً**».(٤)

والظاهر أن الأخبار في هذا الخصوص كثيرة عند المخالفين ومسلَّمٌ بها من قبلهم كما أشار إليه مؤسس الفرقة الوهابية محمد بن عبد الوهاب إذ قال: «**رُوي في تفسير قوله تعالى: وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ؛ الأخبار بخلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما**».(٥)

هذا ما لدى المخالفين؛ أما ما لدينا عن أئمتنا الأطهار (عليهم الصلاة والسلام) فتفصيل وتتمة تكتمل بها الصورة وتتضح معها الأبعاد الكاملة للحادثة. فهلمّ إلى هذه الروايات:

---

(١) معجم الطبراني ج١٢ ص١١٧

(٢) معجم ابن الأعرابي ج٤ ص٣٠٥

(٣) تفسير السيوطي ج٦ ص٢٤١ عن ابن مردويه، وتفسير البغوي ج٨ ص١٦٤

(٤) فضائل الخلفاء الراشدين لأبي نعيم ج١ ص٣٠٣

(٥) رسالة في الرد على الرافضة لمحمد بن عبد الوهاب ص١١

روى أبو الصلاح الحلبي عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) في قوله عز وجل: «**وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا**» قال عليه السلام: «**أسرَّ إليهما أمر القبطية، وأسرَّ إليهما أن أبا بكر وعمر يليان أمر الأمة من بعده ظالميْن فاجريْن غادريْن**»![1]

وروى العياشي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام: «**أن كل واحدة منهما حدّثت أباها في ذلك، فعاتبهما رسول الله (صلى الله عليه وآله) في أمر مارية وما أفشتا عليه من ذلك، وأعرض عن أن يعاتبهما في الأمر الآخر**».[2]

وروى النباطي البياضي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «**أنه أعلم حفصة أن أباها و أبا بكر يليان الأمر، فأفشت إلى عائشة فأفشت إلى أبيها، فأفشى إلى صاحبه، فاجتمعا على أن يستعجلا ذلك على أن يسقياه (صلى الله عليه وآله) سُمّاً**»![3]

وروى علي بن إبراهيم القمي في تفسيره لسورة التحريم: «**كان سبب نزولها أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان في بعض بيوت نسائه وكانت مارية القبطية تكون معه تخدمه، وكان ذات يوم في بيت حفصة، فذهبت حفصة في حاجة لها فتناول رسول الله (صلى الله عليه وآله) مارية، فعلمت حفصة بذلك فغضبت! وأقبلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقالت: يا رسول الله؛ في يومي وفي داري وعلى فراشي! فاستحيى رسول الله (صلى الله عليه وآله) منها فقال: كُفّي فقد حرَّمتُ مارية على نفسي ولا أطأها بعد هذا أبداً، وأنا أفضي إليك سراً إنْ أنتِ أخبرتِ به فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. فقالت: نعم؛ ما هو؟ فقال: إن أبا بكر يلي الخلافة بعدي ثم من بعده أبوكِ. فقالت: مَنْ أَنْبَأَكَ هٰذَا؟ قَالَ: نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ**

---

(١) تقريب المعارف لأبي الصلاح الحلبي ص٢٤٨ وعنه بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج٢٢ ص٢٤٦

(٢) تفسير مجمع البيان للشيخ الطبرسي ج١٠ ص٥٦ عن العياشي.

(٣) الصراط المستقيم لعلي بن يونس النباطي البياضي ج٣ ص١٦٨ وعنه بحار الأنوار ج٢٢ ص٢٤٦

الخَبِيرُ، فأخبرت حفصة به عائشة من يومها ذلك! وأخبرت عائشة أبا بكر، فجاء أبو بكر إلى عمر فقال له: إن عائشة أخبرتني عن حفصة بشيء ولا أثق بقولها! فاسأل أنت حفصة. فجاء عمر إلى حفصة فقال لها: ما هذا الذي أخبرت عنكِ عائشة؟ فأنكرت ذلك وقالت: ما قلتُ لها من ذلك شيئاً! فقال لها عمر: إنْ كان هذا حقاً فأخبرينا حتى نتقدّم فيه! فقالت: نعم قد قال رسول الله ذلك. فاجتمعوا أربعةً على أن يسمّوا رسول الله (صلى الله عليه وآله) فنزل جبرئيل على رسول الله (صلى الله عليه وآله) بهذه السورة. قال: وَأَظْهَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ يعني أظهره الله على ما أخبرت به وما همّوا به من قتله. عَرَّفَ بَعْضَهُ أي أخبرها وقال: لِمَ أخبرتِ بما أخبرتك؟ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ قال: لم يخبرهم بما يعلم مما همّوا به من قتله».[1]

هكذا اكتملت لنا الصورة واتضحت لنا أبعادها بما يوافق سياق ومدلولات آيات سورة التحريم، فالسرّ الخطير إنما هو أن أبا بكر وعمر يليان أمر هذه الأمة ظلماً وغدراً! والمظاهرة أو المؤامرة إنما هي على حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله) للتعجيل بقيام حكومتهما الانقلابية! وهذا الذي عرّف النبي بعضه هو أن حفصة قد أفشت هذا السرّ، والذي أعرض عن بعضه الآخر هو علمه بأن الأربعة يريدون التعجيل بقتله حيث كتمه النبي (صلى الله عليه وآله) حتى يستمرّ الامتحان الإلهي.

إن هذا الأمر الخطير يستأهل أن ينزل الله تعالى فيه قرآنا يُتلى، يضمّنه أشد الوعيد وأغلظ التهديد، ويشبّه عائشة وحفصة فيه بامرأتي نوح ولوط (عليهما السلام) الخائنتيْن، وينذرهما بعقاب شديد وبنار وقودها الناس والحجارة. إن هذا هو ما يستأهل نزول مثل هذه السورة الفاضحة القاصمة، لا مجرّد «عُكّة عسل»!

---

(١) تفسير القمي ج٢ ص٣٧٦ وعنه بحار الأنوار ج٢٢ ص٢٣٩

إذن فالسرّ لم يكن امتناع النبي (صلى الله عليه وآله) عن شرب عسل! ولم يكن مجرّد تحريمه أَمَتَه على نفسه! بل هو الذي نطقت به الروايات في مصادر الفريقين. وحيث وقفنا على هذه الحقيقة فإننا نستطيع تفسير محاولة عائشة لصرف نزول سورة التحريم إلى قصة المغافير دون قصة مارية (عليها السلام) بأنها أرادت محو كل أثر يمكن أن يقود إلى كشف ملابسات جريمة اغتيال رسول الله (صلى الله عليه وآله) التي أقدمت إليها بمشاركة أبيها وصاحبه، وصاحبتها حفصة.

الإنصاف هو أن عائشة كانت امرأة غاية في الدهاء والمكر، وهي تعلم أن تثبيت حقيقة نزول سورة التحريم في قصة مارية (عليها السلام) سيقود الباحث إلى اكتشاف ذلك السرّ، ومن ثمَّ تنهار نظرية أن تولي أبي بكر جاء بلا رغبة منه بل بالشورى والاختيار من المسلمين، إذ يكتشف الباحث أن أبا بكر كان عالماً - بواسطة ابنته التي علمت بدورها من أختها حفصة - أنه وصاحبه عمر سيليان الحكم بعدما أخبر النبي (صلى الله عليه وآله) بذلك في قصة تحريم مارية. وهذا ما يجعل الشكوك تحوم حولهما وحول ابنتيهما في أنهم دبّروا انتقال الملك إليهم، فلا يسع الباحث وهو يلاحظ التدهور المفاجئ في صحة النبي (صلى الله عليه وآله) ثم الانتقال المريب للسلطة في سقيفة بني ساعدة إلا توجيه أصابع الاتهام إلى هؤلاء لأنهم أصحاب المصلحة الوحيدة في ما جرى وقد كانوا على علم مسبق به!

هذا الذي أرادت عائشة التعمية عليه ودفنه، فربطت منذ الأصل بين سورة التحريم وقصة المغافير وشرب العسل وألغت اسم مارية على الإطلاق! لأن قصة المغافير لا توصل الباحث عن سرّ شهادة النبي (صلى الله عليه وآله) وخلفيات انتقال السلطة من بعده إلا إلى طريق مسدود.

مع هذا فإن الله تعالى يأبى إلا أن تنفلت عائشة من ضبط نفسها – لأن المرء مخبوّ تحت لسانه كما قال أمير المؤمنين عليه السلام – فتحدّث بماهية السرّ في سياق افتخارها ومباهاتها بأبيها! حيث روى ابن عدي عنها في قوله تعالى: «**وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا**» قالت: «**أسرّ إليها أن أبا بكر خليفتي من بعدي**»![1]

وهذا الانفلات يماثل انفلاتها في التحديث بحديث «اللّدود» الذي يرسم صورة واضحة عن جريمتها في اغتيال النبي (صلى الله عليه وآله) بالسم! وسيأتي تفصيل ذلك في الفصل الخامس إن شاء الله تعالى. هذا تمام الكلام في سبب نزول السورة.

وأما المستفاد من آياتها؛ فأمور منها:

● أن قول حفصة للنبي صلى الله عليه وآله: «**مَنْ أَنْبَأَكَ هَٰذَا**»؟ يُنبئ عن كفرها! ذلك لأن المسلم لا يشكّ في إخبارات النبي (صلى الله عليه وآله) أنها من عند الله تعالى، فسؤالها إياه عن المخبِر حتى يضطر إلى أن يجيبها بقوله: «**نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ**» كاشف في الحقيقة عن شكّها بالصلة التي تربط النبي (صلى الله عليه وآله) بالسماء حيث يضطر أن يؤكد لها أن هذا الخبر هو من عند العليم الخبير جلّ وعلا. وهذا المستفاد هو ما أكده إمامنا الصادق (صلوات الله عليه) كما في حديث الحسين بن علوان والديلمي في قوله تعالى: «**وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا**» قال عليه السلام: «**هي حفصة، كفرت في قولها: مَنْ أَنْبَأَكَ هَٰذَا**»؟[2]

● أن إفشاء حفصة للحديث الذي أسرّه النبي (صلى الله عليه وآله) ليس فحسب كاشفاً عن عدم احترامها لأمره صلى الله عليه وآله؛ بل يعدّ جناية شرعية تسقط معها عدالتها على

---

(١) الكامل لابن عدي ج٣ ص٤٢ والقول لهشام بن عروة عنها. وهو يُضاف إلى تناقضاتها في تفسير آية السرّ!

(٢) كتاب الأربعين للشيرازي ص٦٢٧ والصراط المستقيم للنباطي البياضي ج٣ ص١٦٨

أقل تقدير، وهذا ما بيّنه أحد أكبر علماء المخالفين وهو الزمخشري في تفسيره لقوله تعالى: «**وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا**» حيث قال: «**إنما هو ذكر جناية حفصة في وجود الإنباء به وإفشائه من قِبَلها**».[١]

● أن قوله تبارك وتعالى: «**إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ**» يثبت وقوع الجناية والذنب العظيم من عائشة وحفصة حتى طولبتا في الخطاب القرآني بالتوبة إلى الله تعالى، وحيث لم تنزل بعد ذلك آية تفيد قبول توبتهما فإن إدانتهما تبقى ثابتة شرعاً، إذ لو كانتا قد تابتا حقاً وتاب الله عليهما لنزلت آية في بيان ذلك، كما حصل مثلاً بالنسبة للثلاثة الذين خُلِّفوا عن غزوة تبوك، وذلك قوله عزّ من قائل: «**وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ**».[٢]

● أن قوله تبارك وتعالى: «**فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا**» يثبت وقوع الزيغ والانحراف بل والكفر من عائشة وحفصة، فإن ذنبهما لم يكن بالشيء الهيّن وإلا لما استدعى هذا التعبير الخطير عنهما في كتاب الله تعالى، وقد قال مجاهد في تفسيره: «**كنا نرى أن قوله: فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا.. شيءٌ هيِّن، حتى سمعت قراءة ابن مسعود: إنْ تتوبا إلى الله فقد زاغت قلوبكما**»![٣] والزيغ هو الكفر كما نصّ عليه الإمام الصادق (عليه السلام) في حديثه عن عائشة وحفصة حيث قال: «**قال الله فيها وفي أختها: إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا، أي زاغت، والزيغ الكفر**»![٤]

---

(١) تفسير الكشاف للزمخشري ج٤ ص١٢٧

(٢) التوبة: ١١٨

(٣) تفسير مجاهد ج٢ ص٦٨٣ وعنه تفسير الطبري ج٢٨ ص٢٠٥ وغيره.

(٤) كتاب الأربعين للشيرازي ص٦٢٧ والصراط المستقيم للنباطي البياضي ج٣ ص١٦٨ وعنه بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج٢٢ ص٢٤٦

● أن قوله تبارك وتعالى: «**عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ**» يفيد أن هناك من النساء من هنّ خيراً من عائشة وحفصة على أقل تقدير، فما يدندن به المخالفون من أفضلية عائشة وحفصة لا حقيقة له بل هو أكذوبة من أكاذيبهم التي تتعارض مع نصوص القرآن الحكيم. ثم إن مفهوم المخالفة في قوله تعالى: «**مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ**» هو أن هذه الصفات لا تصدق على عائشة وحفصة! فليستا مسلمتيْن ولا مؤمنتيْن ولا قانتتيْن ولا تائبيتيْن ولا عابدتيْن ولا سائحتيْن أي صائمتيْن! ذلك لأن الله تعالى في معرض بيان أن النساء البديلات عنهما سيكنّ خيراً منهما لأن هذه الصفات تصدق عليهنّ دونهما! فانظر أي خزي وعار ألحقه الله تعالى بعائشة وحفصة! وأي تعرية لهما كشفت حقيقة خُبث بواطنهما أثبتها الله في كتابه!

● أن قوله تبارك وتعالى: «**ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ**» تأكيد مجدّد من قبل الله تعالى على كفر عائشة وحفصة، فإنهما المخاطبتان بهذه الآية إجماعاً، وهما اللتان ضرب الله هذا المثل تعريضاً بهما كما ذكره الزمخشري في تفسيره إذ قال: «**وفي طيّ هذين التمثيلين تعريض بأميّ المؤمنين المذكورتين في أوّل السورة وما فرط منهما من التظاهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم**».[(١)] وروى الشوكاني عن يحيى بن سلام قال: «**ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا يحذِّرُ به عائشة وحفصة من المخالفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين تظاهرتا عليه**».[(٢)] وقد كان الإمام الصادق (عليه السلام) قد أكد في تفسيره لهذه الآية أن هذا «**مثلٌ ضربه الله لعائشة وحفصة إذ تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وآله**

---

(١) تفسير الزمخشري ج٤ ص١٣١

(٢) فتح القدير للشوكاني ج٥ ص٢٥٦ عن يحيى بن سلام.

وأفشتا سرّه».[1] فقوله سبحانه: «**ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا**» يعني أن عائشة وحفصة من الذين كفروا! والمراد من ضرب هذا المثل لهما أن لا يغترّ أحد بالصلة الزوجية التي تجمع بينهما وبين الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، إذ مع الكفر والخيانة تنقطع هذه الصلة ولن يغنِ النبي عنهما من الله شيئاً بل سيُدخلان إلى النار مع الداخلين! قال الزمخشري في تفسيره لهذه الآية: «**كفرهم بالله ورسوله قطع العلائق وبتَّ الوصل، وجعلهم أبعد من الأجانب وأبعد، وإن كان المؤمن الذي يتصل به الكافر نبياً من أنبياء الله**».[2] وعليه فما يتصوّره جهلة أهل الخلاف من استحالة أن تدخل النار زوجة من زوجات نبينا (صلى الله عليه وآله) هو أمر سخيف قد أبطله القرآن الحكيم. وأما معنى الخيانة في قوله تعالى: «**فَخَانَتَاهُمَا**» فنرجئه إلى فصل لاحق يبحث هذا الموضوع إذ هو لبّ هذا الكتاب، فتريّث.

● أن قوله عزّ من قائل: «**وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ**» تعريض آخر بعائشة وحفصة بمقابلة حالهما في الكفر والفساد بحال امرأتيْن مؤمنتيْن صالحتيْن هما آسية بنت مزاحم ومريم ابنة عمران عليهم السلام، فرغم كون الأولى زوجة لأطغى الخلق في زمانه وهو فرعون (لعنه الله) إلا أنها نالت بإيمانها وصبرها الجنة، فالعلقة الزوجية إذن ليست بشيء يتحدّد لأجله مصير الزوجة في الآخرة، وإنما المنجي لها هو الإيمان والاعتقاد السليم حتى لو كان الزوج كافراً طاغياً، والمُهلك لها هو الكفر والفساد حتى لو كان الزوج نبياً! أما التي ضرب الله لها هذا المثل بامرأة فرعون فهي السيدة الجليلة رقية بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) حيث كان حالها في تضحيتها وزواجها بالطاغية عثمان ابن

(١) تأويل الآيات الباهرة لشرف الدين النجفي ج٢ ص٧٠٠

(٢) تفسير الزمخشري ج٤ ص١٣١

عفان (لعنه الله) مشابهاً لحال آسية في تضحيتها وزواجها بالطاغية فرعون لعنه الله، وقد نـصّ على ذلك الإمام الصادق (عليه السلام) بقوله: «**هذا مثـلٌ ضربـه الله لرقيـة بنـت رسـول الله صلى الله عليه وآله التي تزوّجها عثمان بن عفان. قال عليه السلام: وقوله: وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَـوْنَ وَعَمَلِهِ؛ تعني من عثمان وعمله. وقوله: وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ؛ تعني به بني أمية**».[١]

• أن قوله سبحانه: «**وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَـا فِيـهِ مِـنْ رُوحِنَـا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ**» فيه إشارة لطيفة - بدلالة التقابـل - إلى أن عائشة وحفصة عدا عن كونهما لم تصدّقا بكلمات الله وكتبه ولم تكونا مـن القـانتين؛ فـإن كُـلَّا منهما «لم تحصن فرجها» كما فعلت العذراء مريم عليها السلام! وأما التـي ضرب الله لهـا هـذا المثل فهي سيدة الطهر والعفاف الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء (صلوات الله عليها) كما بيّنه الإمام الصادق (عليه السلام) في تفسيره لهذه الآية إذ قال: «**هذا مثلٌ ضربه الله لفاطمة عليهـا السلام. وقال عليه السلام: إن فاطمة أحصنت فرجها فحرّم الله ذريتها على النار**».[٢]

هذه بعض الاستفادات من معاني ومدلولات آيات سورة التحريم المباركة، وهـي كافيـة لكسر ظهر عائشة وأختها حفصة وكل مخدوع مفتون بهما!

---

(١) تأويل الآيات الباهرة لشرف الدين النجفـي ج٢ ص٧٠١، واعلـم أنّـا نـذهب إلى أن زينـب ورقيـة وأم كلثوم (عليهن السلام) هنّ بنات رسول الله (صلى الله عليه وآلـه وسـلم) حقـاً، لا ربائبـه كـما ادُّعِـيَ في هـذا الزمان الأخير الذي ضعفت فيه التحقيقات العلمية الرصينة. ولنا محاضرة في هذا الشأن ذكرنا فيها الأدلة على ذلك ورددنا الأوهام والاستحسانات التي استدُلِّ بها على نفي بنوّتهن صلوات الله عليهنّ.

(٢) تأويل الآيات الباهرة لشرف الدين النجفي ج٢ ص٧٠١

■ **نعوذ بالله من الشيطانة عائشة!**

الإساءات والأذايا التي تلقاها النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) من عائشة أكثر من أن تُحصى، وقد سبقت الإشارة إلى بعضها في ما سبق استطراداً، وههنا نعيد تفصيلاً ونزيد، ونعلّق على ما يستحق التعليق.

روى الحاكم بسنده عن حمزة بن أبي أسيد الساعدي عن أبيه وكان بدرياً قال: «**تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أسماء بنت النعمان الجونية فأرسلني فجئت بها، فقالت حفصة لعائشة: اخضبيها أنت وأنا أمشّطها، ففعلتا، ثم قالت لها إحداهما: إن النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه من المرأة إذا دخلت عليه أن تقول: أعوذ بالله منك! فلمّا دخلت عليه وأغلق الباب وأرخى الستر مدّ يده إليها فقالت: أعوذ بالله منك! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بكمّه على وجهه فاستتر به وقال: عِذْتِ بمُعاذ! - ثلاث مرات - قال أبو أسيد: ثم خرج إليَّ فقال: يا أبا أُسيد؛ أَلحِقْها بأهلها ومتِّعْها برازقيّين يعني كرباسين. فكانت تقول: أُدعوني الشقيّة! قال ابن عمر: قال هشام بن محمد: فحدثني زهير بن معاوية الجعفي أنها ماتت كمداً**»![1]

أقول: إن المرجّح أن التي حضّت أسماء على الاستعاذة من رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأوهمتها كذباً بأنه يعجبه ذلك إنما هي عائشة دون حفصة، لا لما عُرف عنها من استحلالها الكذب فحسب؛ بل لقرائن منها أنها هي التي تروي قصّة أسماء واستعاذتها،[2]

(١) مستدرك الحاكم ج٤ ص٣٩ ونحوه في الاستعياب لابن عبد البر ج٢ ص٧٠٣ والإصابة لابن حجر ج٣ ص٥٣٠، والرازقيّان والكرباسيّان مثنّى الرازقي والكرباس، وهو ثوب أبيض من كتان.

(٢) كما في سنن ابن ماجة ج١ ص٦٦١ ومستدرك الحاكم ج٤ ص٣٥ وسنن النسائي ج٦ ص١٥٠ وإن وقع تصحيف على ما يبدو إذ ذُكر أنها كلابية والحال أنها جونية، أو لعلّهما امرأتان خدعتهما عائشة بالخدعة ذاتها =

ومنها أنها صنعت الصنيع القبيح ذاته بامرأة أخرى هي **مليكة بن كعب** فقد روى ابن كثير عن ابن سعد عن الواقدي عن أبي معشّر قال: «**تزوّج رسول الله مليكة بنت كعب، وكانت تُذكر بجمالٍ بارع، فدخلت عليها عائشة فقالت: ألا تستحين أن تنكحي قاتل أبيك؟! فاستعاذت منه فطلّقها! فجاء قومها فقالوا: يا رسول الله؛ إنها صغيرة ولا رأي لها، وإنها خُدِعت فارتجِعْها، فأبى**».(١)

وقولهم: «**خُدِعت**» ظاهر في أن استعاذتها من النبي (صلى الله عليه وآله) كانت بخدعة من عائشة التي حرّضتها بقولها: «**ألا تستحين أن تنكحي قاتل أبيك**»!

إن عائشة كانت تعلم خطورة التفوّه بهذه العبارة أمام الرسول المصطفى (صلى الله عليه وآله) وأنها ليست بالأمر الهيّن عنده، فإن الاستعاذة بالله تكون من الشيطان وحزبه، والذي أرادته عائشة من خداع المرأتيْن هو أن تشبّها النبي (صلى الله عليه وآله) من حيث لا تدريان بالشيطان بقولهما له: «**أعوذ بالله منك**»! فانظر إلى هذا الخبث والإجرام!

ولا شك أن هذه الخطة الخبيثة التي دبّرتها عائشة إنما جاءت بإيحاء لها من الشيطان، فإنه كان «يجيئها ويأخذها» كما عبّر عن ذلك النبي صلى الله عليه وآله، أي أن الشيطان كان يتسلّط على عائشة ويعتريها تماماً كأبيها الذي قال: «**إن لي شيطاناً يعتريني**»! وقد مرّ في الفصل الأول.

روى ابن خزيمة والبيهقي والحاكم وغيرهم عن عائشة قالت: «**فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان معي على فراشي، فوجدته ساجداً راصّاً عقبيه مستقبلاً بأطراف أصابعه**

= أحدهما كلابية والأخرى جونية، هذا عدا عن مليكة بنت كعب التي خدعتها أيضاً فاستعاذت فطلّقها النبي صلى الله عليه وآله.

(١) السيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٥٩٢

القبلة، فسمعته يقول: أعوذ برضاك من سخطك، وبعفوك من عقوبتك، وبك منك، أثني عليك لا أبلغ كل ما فيك. فلمّا انصرف قال: يا عائشة؛ أخذك شيطانكِ»![١]

وروى النسائي عن عائشة قالت: «**التمستُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأدخلتُ يدي في شعره، فقال: قد جاءكِ شيطانكِ! فقلتُ: أما لكَ شيطان؟! فقال: بلى ولكن الله أعانني عليه فأسلم**».[٢]

فعائشة إذن بنصّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) وباعترافها مركوبة للشيطان يجيئها ويأخذها ويعتريها! وما خداعها لأسماء بنت النعمان ومليكة بنت كعب والكلابية إلا بإيعاز منه! وهذا دليل يُضَمُّ إلى الأدلة التي تكشف عن عدم إيمان عائشة لأن الله تعالى يقول عن الشيطان: «**إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ**».[٣]

وحيث ثبت أنه كان يتسلّط عليها بصريح قوله صلى الله عليه وآله: «**يا عائشة؛ أخذك شيطانكِ.. قد جاءكِ شيطانكِ**» فإنه يثبت كونها وليّة للشيطان لقوله تعالى: «**إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ**»!

(١) صحيح ابن خزيمة ج١ ص٣٢٨ وسنن البيهقي ج٢ ص١١٦ ومستدرك الحاكم ج١ ص٢٢٩

(٢) سنن النسائي ج٧ ص٧٢، وإدخالها (لعنها الله) يدها في شعره (صلى الله عليه وآله) سببه أنها أرادت أن تعلم هل أنه أصاب أحداً من زوجاته الأخريات أم لا؟ فإنه لو كان فعل لاغتسل بعد ذلك ولبقي شيء من الماء أو الرطوبة في شعره الشريف فيكون علامة على حصول ذلك.

(٣) النحل: ٩٨ - ٩٩

إن عائشة كانت شيطانة من شياطين الإنس يوحي لها شيطانها من الجنّ، مصداقاً لقوله تعالى: «**وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا**».[١]

وإن الطبيعة الشيطانية لعائشة أمر لا مرية فيه بعدما نطق به رسول الله (صلى الله عليه وآله) حين أشار نحو مسكنها قائلاً: «**ههنا الفتنة! ههنا الفتنة! ههنا الفتنة! من حيث يطلع قرن الشيطان**»**!**[٢] وبعدما نطق به أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وذلك حين تناولت كفاً من تراب وحصاة في واقعة الجمل وحصبت به وجوه أصحابه قائلة: «**شاهت الوجوه**»**!** فردّ عليها أمير المؤمنين (عليه السلام) قائلاً: «**وما رميتِ إذ رميتِ ولكنَّ الشيطان رمى! وليعودنَّ وبالكِ عليكِ إن شاء الله**».[٣] وهكذا ردّ عليها أصحابه أيضاً مؤكدين طبيعتها الشيطانية.[٤]

والذي ارتكبته عائشة من تحريض أسماء بنت النعمان وغيرها على الاستعاذة من رسول الرحمة (صلى الله عليه وآله) كان جريمة فادحة تُنبئ عن مقدار ما فيها من الشيطنة والخبث والمكر، كيف لا وقد تسبّبت في أن تموت هذه المرأة المخدوعة «كمداً» - كما في الحديث - بعد خسارتها زوجاً هو محمد بن عبد الله سيد بني آدم صلى الله عليه وآله؟!

كان ينبغي على هذه المرأة المخدوعة وكذا غيرها من اللاتي خدعتهنّ عائشة وأغوتهنّ أن يستعذن بالله تعالى من شرّ الشيطانة عائشة! وكذلك ينبغي على كل مسلم اليوم لأن عائشة وإن هلكت ببدنها إلا أن أحاديثها وتأثيراتها ما زالت باقية، وهي تعرّض كل إنسان للافتتان

---

(١) الأنعام: ١١١

(٢) صحيح البخاري ج٤ ص١٠٠ وغيره كثير.

(٣) الجمل للمفيد ص١٨٦

(٤) تاريخ ابن أعثم الكوفي ص١٧٩ وشرح النهج لابن أبي الحديد ج١ ص٨٥

وتجرفه إلى طريق الانحراف عن الصراط المستقيم إلى حيث الدين المزيَّف والمذهب المبتدَع. فنعوذ بالله من الشيطانة عائشة!

■ حين أوجع النبي (صلى الله عليه وآله) عائشة ضرباً!

كان النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) في قمة الأخلاق كما نعلم، كيف وهو الذي وصفه ربّ العالمين جلّ وعلا بقوله: «**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**».(١)

ومن صفات رسول الله (صلى الله عليه وآله) الأخلاقية أنه كان في منتهى الحلم والصبر، فكان حليماً حتى على أعدائه، صبوراً حتى على من يؤذيه، وشواهد التاريخ على ذلك حافلة.

بيد أن لكل شيء حدّاً لا يمكن تجاوزه، فإذا تجاوزه المتجاوز كان من السّفه وخلاف الحكمة بل والمروءة السكوت عنه والإغماض عن تأديبه ومعاقبته. وعليه فلو وجدنا في التاريخ أن أحداً قد عاقبه النبي (صلى الله عليه وآله) بعقابٍ ما فيجب أن نفهم أنه قد ارتكب ذنباً فاحشاً وتخطّى حداً لا يمكن الصبر عليه حتى من سيد الصابرين صلى الله عليه وآله.

وهذا هو الذي حصل مع عائشة لعنها الله، فإنها تخطّت كل الحدود بأذاياها وسوء أدبها تجاه النبي (صلى الله عليه وآله) حتى ضاق بتصرّفاتها ذرعاً واضطر إلى ضربها وإيجاعها تأديباً!

أخرج مسلم والنسائي وأحمد بن حنبل وغيرهم واللفظ للأول عن عائشة قالت: «**ألا أحدّثكم عني وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قلنا: بلى. قالت: لمّا كانت ليلتي التي كان النبي صلى الله عليه وسلم فيها عندي؛ انقلب فوضع رداءه وخلع نعليه فوضعهما عند رجليه**

---

(١) القلم: ٣

وبسط طرف إزاره على فراشه فاضطجع، فلم يلبث إلا ريثما ظنَّ أنْ قد رقدتُ فأخذ رداءه رويداً وانتعل رويداً وفتح الباب فخرج ثم أجافه رويداً، فجعلت درعي في رأسي واختمرت وتقنَّعت إزاري ثم انطلقتُ على إثره، حتى جاء البقيع فقام فأطال القيام، ثم رفع يديه ثلاث مرات، ثم انحرف فانحرفتُ، فأسرع فأسرعتُ! فهرول فهرولتُ! فأحضر فأحضرتُ! فسبقتُه فدخلت، فليس إلا أن اضطجعتُ فدخل، فقال: ما لك يا عائش حشيا رابية؟![1] قالت: قلتُ: لا شيء![2] قال: لتخبريني أو ليخبرني اللطيف الخبير، قالت: قلتُ: يا رسول الله بأبي أنت وأمي.. فأخبرتُه، قال: فأنتِ السّواد الذي رأيتُ أمامي؟ قلت: نعم. فَلَهَدَني في صدري لَهْدَةً أوجعتني![3] ثم قال: أظننتِ أن يحيف الله عليكِ ورسولُه؟ قالت: مهما يكتم الناس يعلمه الله، نعم».[4]

أقول: إن خروج المرأة من بيت زوجها بغير إذنه حرام شرعاً، وقد خرجت عائشة بغير إذن من النبي (صلى الله عليه وآله) في وقت حرج هو الليل! وذلك لتتعقّبه أين يذهب وتتجسّس عليه! ثم حين رجع ركضت هاربةً منه لئلاّ يلاحظها! ثم حين سألها كذبت عليه وحاولت التستّر على ذنبها! وهنا كان لزاماً أن يضربها النبي (صلى الله عليه وآله) بلَهْدة

(١) حشيا: أصابكِ الربو والتهيّج بسبب ارتفاع النَّفَس. رابية: منتفخة البطن. وقد أصابها ذلك بسبب إسراعها في المشي فراراً من النبي صلى الله عليه وآله.

(٢) وهذه كذبة أخرى منها لعنة الله عليها! ومع هذا يقول المغفّلون في وصفها: «**هي الصدّيقة بنت الصدّيق**» فأي صدّيقة هذه التي تستحلّ الكذب على رسول رب العالمين صلى الله عليه وآله؟!

(٣) لهدني وفي لفظ آخر «لهزني» وكلاهما بمعنى واحد هو الضرب بجمع الكفّ، وهو الذي يسمّيه الناس اليوم (بوكس) وهي كلمة مأخوذة من اللغة الإنجليزية، فالنبي (صلى الله عليه وآله) ضرب عائشة بالبوكس ولذا تقول: «**لهدة أوجعتني**»! فتخيّل!

(٤) صحيح مسلم ج٣ ص٦٤ وسنن النسائي ج٤ ص٩١ ومسند أحمد بن حنبل ج٦ ص٢٢١

توجعها لعلّها تتأدّب وتحترم مقام زوجها النبي وأوامره! وقد قال تعالى: «**فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ**»(١) ولا ينفع مع عائشة إلا الضرب، هذا إن نفع!

إن هذه الحادثة تنسف ما يحاول المخالفون إيهام عوامهم به من أن العلاقة بين رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعائشة كانت علاقة حبيبيْن عشيقيْن! وأن عائشة كانت خير زوجات النبي صلى الله عليه وآله! فالحقيقة أن عائشة كانت همّاً وغمّاً له (صلى الله عليه وآله) وسبباً لمشاكل وأزمات كانت تتفجّر داخل بيته الشريف فتسلب منه الراحة وتزيد أعصابه توتّراً على توتّر! حقاً.. إن من أكبر جرائم وآثام عائشة أنها كانت مصدراً لآلام وعذابات هذا النبي العظيم صلى الله عليه وآله!

■ تمدّ رجليها في قبلة النبي صلى الله عليه وآله!

كانت عائشة في منتهى الوقاحة وسوء الأدب، حتى تجاه النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي لم تكن تحترم مقامه الشريف البتّة.

ومن صور وقاحتها أنها كانت تؤذيه في الليالي حيث يتعبّد ويقيم صلاة الليل خاشعاً لربّه جل وعلا، فكانت تمدّ رجليْها أمامه في قبلته فيضطر (صلى الله عليه وآله) أن يغمزها لكي ترفعهما حين يسجد!

روى البخاري وغيره عن عائشة قالت: «**كنت أمدُّ رجلي في قبلة النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي! فإذا سجد غمزني فرفعتها! فإذا قام مددتها**»!(٢)

---

(١) النساء: ٣٣

(٢) صحيح البخاري ج٢ ص٦١ ونحوه في صحيح مسلم ج٢ ص٦١ وسنن النسائي ج١ ص١٠٢

وروى الطحاوي عن أبي سلمة قال: «**أخبرتني عائشة رضي الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلّي وهي معترضة أمامه في القبلة، فإذا أراد أن يوتِرَ غمزها برجلِه فقال: تنحَّيْ**»![1]

لقد حاول المخالفون الاعتذار عن هذا الفعل الشنيع الذي كانت ترتكبه عائشة بعذريْن؛ **أولهما** أنها لم تكن تتعمّد إيذاء وإهانة النبي (صلى الله عليه وآله) بمدّ رجليْها في قبلته أثناء صلاته، بل كان ذلك يتفق وقوعه إما حال كونها نائمة حيث تمدّ رجليْها دون قصد؛ وإما حال كونها يقظة لكن حيث أنه لا مصابيح آنذاك كانت ظُلمة الليل تمنع من الرؤية فتقع رجلاها في قبلته من هذا الباب دونما إرادة منها أو قصد أو تعمّد.

ويردّه مضافاً إلى ظاهر قولها: «**كنت أمدُّ رجلي**»؛ صريح قولها: «**فإذا سجد غمزني فرفعتها! فإذا قام مددتها**»! فهو يدلّ على أنها انتبهت في المرة الأولى التي غمزها فيها أن رجلاها واقعتان في قبلته، وذلك حين أراد السجود، فكان يجب عليها أن تبقيهما مرفوعتيْن حتى يفرغ النبي (صلى الله عليه وآله) من صلاته، غير أنها تصرّح بأنها كانت تعاود مدّهما بعدما يقوم من السجود ليضطر (صلى الله عليه وآله) إلى غمزها ثانية وثالثة ورابعة كلّما أراد أن يسجد! أي أنها (لعنها الله) كانت تتعمّد إيذائه بذلك ولم تكن لا نائمةً لا تشعر ولا يقظةً لا تُبصر!

وأما العذر الآخر الذي حاول المخالفون به تبرئة عائشة فهو أن حجرتها كانت ضيّقة جداً، ولم يكن ثمة حيّز يكفي لأداء فردٍ الصلاة واضطجاع آخر في الوقت ذاته، فمن هنا وقع ما وقع حيث كانت عائشة مضطرة إلى مدّ رجليها لأنه لا يتأتّى لها النوم بغير ذلك.

---

(١) شرح معاني الآثار للطحاوي ج١ ص٤٦٢، ومعنى «**أراد أن يوتر**» أي أراد أن يصلّي الوتر.

ويردّه أنه مهما بولغ في تضييق حجرة عائشة فإنه لا مناص من ثبوت وجود حيّز فيها يكفي لأن يضطجع فرد ويقوم آخر للصلاة في الوقت ذاته دون حاجة لأن تكون رِجْلا الأول في قبلة الثاني، وهذا ما دلّت عليه روايات أخرى عن عائشة نفسها!

روى البخاري عن مسروق عن عائشة «**أنه ذُكر عندها ما يقطع الصلاة فقالوا: يقطعها الكلب والحمار والمرأة، فقالت: لقد جعلتمونا كلاباً! لقد رأيتُ النبي صلى الله عليه وسلم يصلّي وإني لبينه وبين القبلة وأنا مضطجعة على السرير، فتكون لي الحاجة فأكره أن أستقبله فأنسلُّ انسلالاً**».[1]

وروى الطحاوي عن مسروق قال: «**تذاكروا عند عائشة رضي الله عنها ما يقطع الصلاة فقالوا: يقطع الصلاة الكلب والحمار والمرأة، فقالت عائشة رضي الله عنها: لقد عدلتمونا بالكلاب والحمير! وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلّي إلى وسط السرير وأنا عليه مضطجعة، والسرير بينه وبين القبلة، فتبدو لي الحاجة فأكره أن أجلس بين يديه فأوذيه فأنسلُّ من قِبَل رجليه انسلالاً**».[2]

وروى أحمد بن حنبل عن مسروق عن عائشة وكذا عن الأسود عن عائشة قالت: «**بلغها أن ناساً يقولون: يقطع الصلاة الكلب والحمار والمرأة، فقالت عائشة: عدلتمونا بالكلاب والحمير! لقد رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي مقابل السرير وأنا عليه بينه وبين القبلة، فتكون لي الحاجة فأنسلُّ من قِبَل رِجْل السرير كراهية أن أستقبله**».[3]

---

(١) صحيح البخاري ج١ ص١٣٠

(٢) شرح معاني الآثار للطحاوي ج١ ص٤٦١

(٣) مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص٢٣٠

أقول: إن هذه الروايات تثبت وجود سرير شاخص في الحجرة، وقد كان محلاًّ مخصصاً للاضطجاع والنوم، وكان النبي (صلى الله عليه وآله) يصلّي مقابل هذا السرير إلى وسطه، أي أن محلّ صلاته (صلى الله عليه وآله) كان منفصلاً عنه تماماً، وحين تكون عائشة مضطجعة عليه فإنه لا يضطر إلى أن يغمز رِجْلها حتى يسجد، كما استظهره ابن حجر في شرحه لصحيح البخاري حيث ذكر أنهما حالتان بقوله: «**الظاهر أن هذه الحالة غير الحالة التي تقدّمت في صلاته صلى الله عليه وسلم إلى جهة السرير الذي كانت** (عائشة) **عليه، لأنه في تلك الحالة غير محتاج لأن يسجد مكان رِجْليْها**».(١)

وحين كانت عائشة لا تريد إيذاء النبي (صلى الله عليه وآله) فإنها كانت تضطجع على ذلك السرير وإذا بدت لها حاجة وأرادت القيام انسلّت من ناحية رِجليْ السرير حتى لا تستقبل رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتقف بين يديه وهو في الصلاة، أما حين كانت تريد إيذاءه فإنها كانت تعترضه في وسط السرير وتمدُّ رِجليها بين يديه في قبلته حتى يضطر إلى غمزها حين يريد السجود فترفعهما ثم تعيد مدّهما ثانية إصراراً منها على الإيذاء وتعمّداً!

إن هذا يُبطل ما اعتُذر به لأجلها إذ ههنا حيّز يكفي بل وفيه سرير غير أن المرأة تأبى إلا أن تستفزّ المصطفى (صلى الله عليه وآله) وتؤذيه وتنغّص عليه صلاته وعبادته دون أن تعبأ بذلك! وهذا فعلٌ لم نجد أيّاً من زوجاته الأخريات ارتكبت نظيره، فتأمّل كيف كان هذا النبي المظلوم (صلى الله عليه وآله) يتحمّل كل هذه الأذايا والوقاحات وسوء الأدب من عائشة في الليالي التي يقضيها في حجرتها!

لا يُقال: إن عائشة وهي «حبيبة رسول الله صلى الله عليه وآله» لا يمكن أن تؤذيه!

(١) فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ج١ ص٤٨٥

إذ يُقال: بلى يمكن! وقد شهد بذلك عمر بن الخطاب حين واجهها بقوله: «**يا بنت أبي بكر! أَ قد بلغ من شأنك أن تؤذي رسول الله؟! فقالت: ما لي وما لك يابن الخطاب! عليك بعَيْبتك**»![1]

وأما وصف عائشة بأنها «حبيبة رسول الله صلى الله عليه وآله» فلا يكون إلا مزحة بعد الذي تبيّن!

■ **عائشة الكافرة المنافقة قد أدماها أبوها!**

كانت عائشة منافقة لم تؤمن بالله ورسوله (صلى الله عليه وآله) طرفة عين، يظهر ذلك من بعض فلتات لسانها وأحاديثها ومواقفها التي كشفت حقيقة سريرتها، فإنه «**ما أضمر أحدٌ شيئاً إلا ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه**».[2] كما قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام.

ومن تلك الفلتات قولها للنبي (صلى الله عليه وآله) في كلام غضبت عنده: «**أنت الذي تزعم أنك نبي الله**»![3] وهو يعني اتهامها للنبي (صلى الله عليه وآله) أنه مجرّد «زاعم» أن وحي السماء يأتيه! أي أن عائشة لم تكن سوى كافرة في باطنها فهي منافقة!

---

(١) صحيح مسلم ج١٠ ص٨٢، وقولها: «**عليك بعَيْبتك**» تريد به أن عليك بابنتك حفصة، إذهب إليها وعنّفها قبل أن تعنّفني! فلقد آذته (صلى الله عليه وآله) كما آذيته فما لي وما لك؟!

والعيْبة وعاء يضع الإنسان فيه ثيابه وحاجاته، وقد شبّهت عائشة ابنة عمر به.

(٢) نهج البلاغة ج٤ ص٧

(٣) أخرجه أبو يعلى وأبو الشيخ كما في فيض القدير للمناوي ج٣ ص٦٦١

ومن تلك الفلتات طعنها في النبي (صلى الله عليه وآله) ونسبتها الهوى إليه! والأدهى أنها نسبت إلى الله جل جلاله أنه يسارع في تحقيق ما يهواه النبي! فقد روى البخاري بسنده عن عائشة قالت: «**كنت أغار على اللاتي وهبْنَ أنفسهنَّ لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وأقول: أَ تهبُ المرأة نفسها!**[1] **فلمّا أنزل الله تعالى: تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ؛ قلتُ: يا رسول الله ما أرى ربّك إلا يسارع في هواك**»![2]

أقول: إن ما تفوّهت به عائشة يعتبر كفراً بما أنزل الله تعالى إذ قال في وصف نبيّه الأعظم صلى الله عليه وآله: «**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ**»[3] فالنبي (صلى الله عليه وآله) معصوم عن الهوى مطلقاً في القول والفعل. ثم إن عائشة زادت إلى كفرها كفراً بدعواها أن الربّ تبارك وتعالى «**يسارع**» في هوى نبيّه والعياذ بالله! وفي تعبيرها هذا إشعار بأنها لا تؤمن حقاً بالإسلام ولا بصدق نبوة خاتم الأنبياء (صلى الله عليه وآله) الذي صوّرته ههنا بصورة النبي الكاذب والشهواني – معاذ الله – فحين يهوى امرأةً فإن «**ربّه**» الذي يزعم أنه يأتيه وحيه «**يسارع في هواه**» فيبيح له أن يؤوي إليه هذه المرأة لينكحها!

---

(١) وفي رواية أخرى رواها البخاري في صحيحه ج٦ ص١٢٨ قالت: «**أما تستحي المرأة أن تهب نفسها للرجال**»؟! وفي رواية القمّي في تفسيره ج٢ ص١٩٥ أنها قالت للمرأة الأنصارية التي وهبت نفسها: «**قبّحكِ الله ما أنهمكِ للرجال**»! وقد ردّ النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) على وقاحتها قائلاً: «**مه يا عائشة! فإنها رغبت في رسول الله إذ زهدتُنَّ فيه! ثم قال: رحمكِ الله ورحمكم الله يا معاشر الأنصار، ينصرني رجالكم وترغب فيَّ نساؤكم، ارجعي رحمكِ الله فإني أنتظر أمر الله. فأنزل الله: وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ**».

(٢) صحيح البخاري ج٦ ص٢٤ ونحوه في مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص٢٦١

(٣) النجم: ٤

وقد حاول بعض زعماء المخالفين التقليل من فداحة هذا الخطب القبيح الذي ارتكبته عائشة بحمله على «**الدلال والغيرة**» وأن ذلك يُغتفر لها! فقال القرطبي: «**حملت عائشة على هذا التقبيح الغيرة التي طُبعت عليها النساء، وإلا فقد علمتْ أن الله أباح لنبيّه ذلك وأن جميع النساء لو مُلِكْنَ له رِقّهنَّ لكان قليلاً. وهذا قول أبرزه الدلال والغيرة! وهو من نوع قولها: ما أحمدكما ولا أحمد إلا الله، وإلا فإضافة الهوى إلى النبي صلى الله عليه وسلم لا تُحمل على ظاهره، لأنه لا ينطق عن الهوى ولا يفعل بالهوى، ولو قالت: إلى مرضاتك؛ لكان أليَق، ولكن الغيرة يُغتفر لأجلها إطلاق مثل ذلك**»![1]

وهكذا قدّمت عائشة أعظم المسوّغات لليهود والنصارى وأعداء الإسلام لأن يوجّهوا سهامهم وطعونهم في نبي الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم!

ومن تلك الفلتات غضبها على النبي (صلى الله عليه وآله) وهجرانها اسمه حين تُقسم، فقد روى البخاري ومسلم وغيرهما عن عائشة قالت: «**قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني لأعرف غضبكِ ورضاكِ. قالت: قلتُ: وكيف تعرف ذاك يا رسول الله؟ قال: إنك إذا كنتِ راضية قلتِ: بلى وربِّ محمد، وإذا كنت ساخطة قلتِ: لا وربّ إبراهيم! قالت: قلتُ: أجل؛ لست أهاجر إلا اسمك**»![2]

أقول: إن مجرّد غضبها على النبي (صلى الله عليه وآله) يخرجها عن الإيمان ويسمها بسمة النفاق، فإن المؤمن لا يغضب على نبيّه بل يصلّي عليه! وقد قال تعالى: «**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**»[3]

---

(١) فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر ج٩ ص١٣٥ عن القرطبي.

(٢) صحيح البخاري ج٧ ص٩١ وصحيح مسلم ج٧ ص١٣٥

(٣) النساء: ٦٦

فإذا كان الله تعالى قد أقسم على أن الذي يجد في نفسه مجرّد «الحرج» من قضية ما لرسول الله (صلى الله عليه وآله) لا يكون مؤمناً؛ فكيف بمن يتعدّى ذلك إلى الغضب عليه بل وهجران اسمه الشريف؟!

ومن تلك الفلتات ما جرى بينها وبين النبي (صلى الله عليه وآله) من نزاع نهته فيه عن القول إلا بالحق! ما يعني أنها تتهمه بأنه قد لا يقول الحق أحياناً! الأمر الذي أثار أباها فضربها ضرباً مبرّحاً حتى أدماها!

روى الطبراني والخطيب أنه جرى بين النبي (صلى الله عليه وآله) وعائشة كلام حتى أدخلا بينهما أبا بكر حكماً، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: «**تكلّمين أو أتكلّم؟ فقالت: بل تكلّم أنت ولا تقُلْ إلا حقاً! فلطمها أبو بكر حتى دمى فوها! وقال: يا عديّة نفسها أَوَ يقول غير الحق؟! فاستجارت برسول الله صلى الله عليه وسلم وقعدت خلف ظهره، فقال له النبي: لم ندعُكَ لهذا ولا أردنا منك هذا**».[1]

وروى ابن عساكر الحادثة بتفصيلٍ أكثر عن عائشة نفسها، ففي روايته أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال لها: «**من ترضيْن بيني وبينك؟ أَترضيْن بعمر بن الخطاب؟ قالت: لا، عمر فظٌّ غليظ! قال عليه الصلاة والسلام: أَترضيْن بأبيك بيني وبينك؟ قالت: نعم. فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن هذه من أمرها كذا ومن أمرها كذا. قالت: فقلتُ: اتّقِ الله ولا تقُلْ إلا حقاً! قالت: فرفع أبو بكر يده فرَثَمَ أنفي![2] وقال: أنتِ لا أمَّ لكِ[3] يا ابنة أم رومان تقولين الحق أنتِ وأبوكِ ولا يقوله صلى الله عليه وسلم؟! فابتدرني منخراي**

(١) تخريج أحاديث الإحياء للعراقي ج٣ ص٤٦٢ عن الطبراني في الأوسط والخطيب في تاريخه.

(٢) رَثَم أنفي: كسر أو شقّ أنفي حتى سال منه الدم.

(٣) لا أمّ لكِ: لم تتلقّيْ تربية حسنة وكأنّه ليس لكِ أمّ.

كأنهما عزلاوان،[١] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنا لم ندعُكَ لهذا. قالت: ثم قام إلى جريدة في البيت وجعل يضربني بها! فوليّتُ هاربةً منه، فلزقت برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أقسمتُ عليكَ لما خرجتَ فإنّا لم ندعُكَ لهذا».[٢]

أقول: إن المؤمن لا ينازع نبيّه ولا يشكّ حتى بمثقال ذرة في أنه (صلى الله عليه وآله) يقول الحق، وإلا لا يكون مؤمناً. وقد كان العقاب الذي تلقّته عائشة من أبيها حيث أسال الدم من أنفها وضربها بجريد النخل أقلّ عقاب يمكن أن تتلقّاه هذه الملعونة على وقاحتها وقولها للنبي صلى الله عليه وآله: «**اتّقِ الله ولا تقُلْ إلا حقاً**»! غير أنك قد علمتَ أن هذه المواقف التأديبية وغيرها من أبي بكر لم تكن بدافع إيمانه بل بدافع حرصه على أن لا تنهدم العلاقة الزوجية بين رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبين ابنته فتذهب أمانيه في خلافته أدراج الرياح! فإن وصوله للخلافة والحكم ما كان ليتأتّى له لولاها ولولا هذه العلاقة كما ستعرف إن شاء الله.

وما أبو بكر إلا منافق لم يدخل الإيمان قلبه، وكذلك ابنته عائشة. ولئن كان لهما ميل إلى دين من الأديان - غير دين أهل الجاهلية - فهو إلى اليهودية لا إلى الإسلام، ومن جملة ما يدلّ على ذلك أنهما كانا يستعينان باليهود وتوراتهم لدفع الأمراض بالرُّقية! مع أن اليهود كفار مشركون فكيف تُرتجى منهم رقية شرعية؟! وكيف تُتوقَّع الاستجابة الإلهية لدعائهم ورقيتهم؟! ثم إن التوراة التي بيد اليهود محرَّفة لا يحلُّ الاسترقاء بها أصلاً! إلا إنه مع كل

---

(١) العزلاوان: مثنّى العزلاء وهو مصبّ الماء من الراوية، تريد أن منخري أنفها صارا يصبّان الدم بكثرة كما يُصبّ الماء من الراوية عبر العزالي.

(٢) سمط النجوم للعصامي ص١٩١ وسبل الهدى والرشاد للصالحي الشامي ج١١ ص١٧٣ عن ابن عساكر.

ذلك نجد عائشة حين مرضت واشتكت تلجأ إلى يهودية لترقيها! ثم لمّا يدخل عليها أبوها فإنه يقرّر ذلك ويحضّ اليهودية على الاستمرار في رقيها لابنته لكن بالتوراة التي وصفها بأنها كتاب الله!

روى البيهقي ومالك بن أنس عن عَمْرة بنت عبد الرحمن: «**أن أبا بكر الصديق دخل على عائشة وهي تشتكي ويهودية تَرقيها! فقال أبو بكر: ارقيها بكتاب الله**»![1]

ولا تظنّن أن اليهودية كانت ترقي عائشة بالقرآن الحكيم، لأن من المعلوم أن اليهود لا يعتقدون بالقرآن ولا يقرأونه ولا يستعملونه في الرقية بل لا يعرفون كيف يكون ذلك، فالمرأة إذن كانت ترقي بغير القرآن! ولئن عاندتَ وأصررتَ على أنها إنما كانت ترقي عائشة بالقرآن؛ قيل لك: وكيف أجازت لها عائشة ذلك وهي مشركة؟! ولماذا لم تستحضر امرأة مسلمة ترقيها بدلاً من يهودية؟! بل لماذا لا تسترقي نفسها وهي «أم المؤمنين» التي يؤخذ منها «نصف الدين»؟! ألا تعرف عائشة كيف تسترقي بكتاب الله تعالى حتى تستحضر يهودية تتكفّل لها بذلك؟! وهل أن دعاء اليهودية أقرب إلى الاستجابة عند الله تعالى من دعاء «أم المؤمنين المبرّأة من فوق سبع سماوات»؟!

ثم لا تظنّن أن قول أبي بكر: «**ارقيها بكتاب الله**» يعني إنكاره على اليهودية رقيها ابنته بالتوراة وطلبه منها أن ترقيها بالقرآن الحكيم، وذلك لما مرّ من أن اليهود لا علاقة لهم بالقرآن أصلاً، فلا يكون قول أبي بكر ههنا إلا تقريراً وتأييداً لما تفعله اليهودية، إلا أنه يدعوها لأن ترقي بالتوراة لأنها كتاب الله! ولئن عاندتَ وأصررتَ على خلاف ذلك وأن مقصود ابن أبي قحافة هو دفع اليهودية إلى استعمال القرآن في الرقية؛ قيل لك: وكيف أحلَّ أبو بكر ليهودية مشركة ذلك وأجازه لها؟! أ فهل يأتي اليوم أحدٌ من المسلمين إلى أحدٍ من

---

(١) سنن البيهقي ج٢ ص٤٠ وموطأ مالك ج٢ ص٩٤٤

اليهود ويعطيه مصحفاً ويقول له: اقرأ عليَّ منه وادعُ الله أن يشفيني؟! أ فهل يلجأ المسلم إلى الكافر ويسلّطه على كتاب الله تعالى؟!

إن نصّ الحديث واضح، ولا يفيد إلا أن المرأة كانت ترقي عائشة، فجاء أبو بكر وقرّر ذلك وأكّد على أن ترقيها بالتوراة، وهذا هو ما فهمه شارح الحديث أبو الوليد بن أيوب الباجي حيث قال: «**قول أبي بكر رضي الله عنه لليهودية: ارقيها بكتاب الله عز وجل؛ ظاهره أنه أراد التوراة، لأن اليهودية في الغالب لا تقرأ القرآن. ويُحتمل - والله أعلم - أنه يريد بذكر الله عزّ اسمه، أو رقية موافقة لما في كتاب الله تعالى**».[1]

أقول: إن لجوء عائشة وأباها إلى اليهود في مثل هذه الموارد ليس له تفسير إلا أنهما ما كانا يعتقدان بالإسلام والقرآن حق الاعتقاد، أي أنهما كانا منافقيْن، ولذا حين مرضت عائشة واشتكت لجأت إلى يهودية مشركة ترقيها لا إلى مسلمة مؤمنة! ثم إن وصف أبي بكر للتوراة المحرّفة بأنها كتاب الله يكشف عن عدم اعتقاده بما جاء به نبي الإسلام (صلى الله عليه وآله) من أنها محرّفة، فيكون أبو بكر على هذا كافراً منافقاً! وقد أورث هذه الصفة لابنته الحميراء!

■ فتحت باب الارتداد والشك في نبوة خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله!

لم يهنأ لعائشة بالٌ إلا بإخراج ما في نفسها من كفر وتكذيب لنبوة خاتم الأنبياء (صلى الله عليه وآله) على شكل أحاديث مصنوعة مكذوبة تبعث الإنسان المسلم على الشك بل الارتداد! فإن أي مسلم لا بد أن يكون على يقين بأن محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله) هو رسول الله المؤتمن على وحيه، والمؤديه إلى خلقه، بلا زيادة أو نقصان، أو سهو أو نسيان،

---

(١) المنتقى في شرح موطأ مالك لأبي الوليد بن أيوب الباجي ج٤ ص٣٦١، ولا يخفى ما في الاحتمالين الأخيرين اللذين ساقهما من سُخف.

وإلا لو كان يزيد وينقص ويسهو وينسى في ما نزل على قلبه من الوحي لما كان جديراً بهذه الرسالة الجليلة العظيمة، ولكان على الله تعالى أن يختار غيره ممن يكون أحفظ منه وأضبط وأتقن حتى يحمّله رسالته إلى خلقه.

وشيعة آل محمد (عليهم السلام) يؤمنون بعصمة رسول الله (صلى الله عليه وآله) المطلقة، فهو معصوم من الذنوب والقبائح كبائرها وصغائرها، ومن المكروهات والمنفّرات، ومن المباحات مما يخالف الأولى أو يخالف المروءة، ومن السهو والنسيان، بل والنوم الغالب حتى يمضي وقت الصلاة. أما مخالفو آل محمد (عليهم السلام) فلا يؤمنون بهذه العصمة المطلقة، وإنما يقصرونها على العصمة في تبليغ الوحي مع أن بعضهم خرقها، ومنهم من وسّعها لتشمل الكبائر دون الصغائر. هذا فحسب.

ومهما يكن من أمر فإن الجميع متفق عنواناً على أن النبي (صلى الله عليه وآله) معصوم في تبليغ الوحي، إذ لو وقع الشك في ذلك لما بقي حجر على حجر في بناء الإسلام، فكيف يُراد من أحد أن يؤمن بنبي يخطئ أو ينسى الآيات التي أوحيت إليه؟!

إن هذا ما فهمته عائشة جيداً، فأرادت أن تصيب إيمان المسلمين بنبيّهم في مقتل، فاختلقت أحاديث مفادها أنه (صلى الله عليه وآله) كان ينسى ويُسقط بالفعل آيات من القرآن الحكيم حتى يذكّره بهنّ غيره!

أخرج البخاري بسنده عن عائشة قالت: «**سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً يقرأ في المسجد، فقال: يرحمه الله؛ لقد أذكرني كذا وكذا آية من سورة كذا**»![1]

---

(١) صحيح البخاري ج٦ ص١١٠

قد يقول معترض بأن هذا الحديث لا دلالة فيه على المطلوب إذ غاية ما فيه أن النبي (صلى الله عليه وآله) قد تذكر بضع آيات من القرآن لسماع قراءة ذلك القارئ، أي بمعنى أنها تجدّدت ذكراً عنده، وليس فيه أنه قد نسيها وزالت عن ذاكرته. إلا أن الاعتراض مدفوع بما سيأتي من ألفاظ هذا الحديث التي فيها لفظا النسيان والإسقاط صراحةً.

أخرج البخاري عن عائشة قالت: «**سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً يقرأ في المسجد، فقال: رحمه الله؛ لقد أذكرني كذا وكذا آية أسقطتهنّ من سورة كذا وكذا**»![1] وأخرج البخاري ومسلم أيضاً عن عائشة قالت: «**سمع النبي قارئاً يقرأ من الليل في المسجد، فقال: يرحمه الله؛ لقد أذكرني كذا وكذا آية أسقطتها من سورة كذا وكذا**»![2] وأخرج البخاري عن عائشة قالت: «**سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً يقرأ في سورة بالليل، فقال: يرحمه الله؛ لقد أذكرني آية كذا وكذا كنتُ أُنسيتُها من سورة كذا وكذا**»![3] وأخرج مسلم عن عائشة قالت: «**كان النبي يستمع قراءة رجل في المسجد، فقال: رحمه الله؛ لقد أذكرني آية كنتُ أُنسيتُها**»![4] وأخرج أحمد بن حنبل عن عائشة قالت: «**سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً يقرأ آية فقال: رحمه الله؛ لقد أذكرني آية كنتُ نسيتها**»![5]

إن هذه الأحاديث المكذوبة هي التي دفعت جمعاً من علماء المخالفين إلى إعادة النظر في مسألة عصمة النبي (صلى الله عليه وآله) في الوحي والتبليغ، فقالوا بجواز نسيانه (صلى الله عليه وآله) الآيات التي أوحى بها ربّه إليه وكان قد بلّغها إلى الأمة! ومن هؤلاء النووي

(١) صحيح البخاري ج٣ ص١٥٢

(٢) صحيح البخاري ج٦ ص١١١ وصحيح مسلم ج٢ ص١٩٠

(٣) صحيح البخاري ج٦ ص١١٠

(٤) صحيح مسلم ج٢ ص١٩٠

(٥) مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص٦٢

حيث قال في شرحه لصحيح مسلم تبعاً للقاضي عياض: «**قوله صلى الله عليه وسلم: كنت أُنسيتُها؛ دليل على جواز النسيان عليه صلى الله عليه وسلم في ما قد بلّغه إلى الأمة**»![1]

وغير خافٍ أن هذا البهتان الذي جاءت به عائشة يردّه القرآن الحكيم نفسه، فإن الله تبارك وتعالى قال: «**سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَىٰ**»[2] وفيه فاء التفريع التي تدلّ على أن إقراء الله تعالى لنبيّه (صلى الله عليه وآله) يتفرّع عنه عدم نسيانه مطلقاً شيئاً من هذه الآيات، فكيف تدّعي عائشة بعد هذا أنه قد نسي وأسقط حتى أذكره بها غيره؟!

ولا يُقال: قد جاء في الآية التي تتلوها استثناء في قوله تعالى: «**إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ**» وهو يدل على إمكان أن يُنسي الله تعالى نبيّه ما يشاء من آياته. **إذ يُقال**: إن هذا الاستثناء ليس معناه ذلك بل معناه نفي استقلال النبي (صلى الله عليه وآله) بقوة عدم النسيان، فهذه القوة منّةٌ من الله تعالى عليه (صلى الله عليه وآله) ولو أن الله شاء خلافها لوقع أي أنه لو شاء أن لا يمنّ بها عليه لنسي لكنه ليس بمريدٍ لذلك، وذلك نظير قوله تعالى: «**وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ**»[3] فإن من المعلوم خلود السعداء في الجنة أبداً وليس ورود الاستثناء في قوله تعالى: «**إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ**» يعني إخراج بعضهم منها وقطع خلودهم بل بيان أنهم في مقام الامتنان لله تعالى على ما حباهم به من الخلود فيها فلو أنه شاء خلاف ذلك لوقع لكنه ليس بمريدٍ لذلك.

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي ج٦ ص٧٦

(٢) الأعلى: ٧

(٣) هود عليه السلام: ١٠٩

إن عائشة (لعنها الله) قد فتحت باختلاقها هذه الأحاديث باب الشكّ في نبوّة رسول الله صلى الله عليه وآله، إذ لا يمكن للمرء أن يثق بشخص يزعم أنه نبي الله ثم يراه قد نسي وأسقط ما أوحي إليه![1]

ولقد حادثنا بعضاً من المرتدّين إلى النصرانية في بعض بلاد الغرب من المصريين المهاجرين، وكانت إحدى أهم أسباب ارتدادهم عن الإسلام أنهم وقفوا على أحاديث عائشة هذه التي تشير فيها إلى أن الرسول (صلى الله عليه وآله) كان ينسى ويُسقط «**آية كذا وكذا من سورة كذا وكذا**» ويحتاج لغيره حتى يذكّره بهنّ! وكم رجونا هؤلاء أن يعودوا إلى الرشد بأن لا يصدّقوا أحاديث عائشة هذه التي كذبت بها على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأن يأخذوا سيرته من أبنائه الأئمة الشرعيين الأطهار (عليهم السلام) لا من مثل عائشة الكذابة! غير أنهم لنشوئهم في البيئة البكرية ما كانوا يقبلون التشكيك في صدق عائشة أو احتمال أن تكون كاذبة على زوجها النبي صلى الله عليه وآله، فمضوا على ردّتهم وتنصّرهم وساعدهم على ذلك ما حصلوا عليه من إمكانات وفوائد مادية تمنحها إياهم الكنائس!

هكذا جعلت عائشة المسلمين يخرجون من دين الله أفواجاً! فلعنة الله عليها وعلى من أخرج أحاديثها المكذوبة هذه.

---

(١) كان من أسباب كشف زيف المتنبي الكذاب **علي محمد الشيرازي** صاحب الدعوة **البابية** أنه لما استُحضر إلى حشمة الدولة والي تبريز دعاه لأن يتلو عليه من «وحيه» فشرع الرجل بالقراءة وكتبه الوالي على صحيفة، ثم شاغله بالكلام مدة، ثم طلب منه إعادة ما تلاه أولا، فنسي وأسقط وزاد ونقص منه! وكانت تلك علامة أنه ليس نبياً حقاً لأنه إن كان فإنه لا ينسى الوحي الذي نزل عليه، فأمر الوالي بإعدامه لعنه الله. راجع نصائح الهدى للعلامة البلاغي ص١٥٤

■ **قول عائشة في النبي: إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلاً مَسْحُوراً!**

اختلقت عائشة أبشع الصور الكفيلة بزعزعة اعتقاد المسلم في خاتم الأنبياء (صلى الله عليه وآله) حتى تلجئه إلى الكفر بنبوّته. ومن بين تلك الصور زعمها أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان مسحوراً حتى أنه يبدأ بتخيّل وتوهّم أمور لم تقع أصلاً!

والأحاديث المروية في هذا المعنى كثيرة، منها ما أخرجه البخاري عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت: «**سُحِرَ النبي صلى الله عليه وسلم حتى كان يُخَيَّلُ إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله**»![1] وفي لفظ آخر: «**حتى كان يُخَيَّل إليه أنه صنع شيئاً ولم يصنعه**»![2]

ومنها ما أخرجه مسلم وابن ماجة وأحمد بن حنبل عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت: «**سَحَرَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يهوديٌّ من يهود بني زُرَيق يُقال له: لَبيد بن الأعصم. قالت: حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُخَيَّلُ إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله**»![3]

ومنها ما أخرجه ابن مردويه والبيهقي عن عائشة قالت: «**كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم غلام يهودي يخدمه يُقال له لبيد بن أعصم، فلم تزل به يهود حتى سَحَرَ النبي صلى الله عليه وسلم! وكان النبي يذوب ولا يدري ما وجعه**»![4]

ومنها ما أخرجه البخاري عن هاشم عن أبيه عن عائشة قالت: «**كان رسول الله صلى الله عليه وسلم سُحِرَ حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهنَّ**»![5] وأدرج البخاري فيه تعليق

---

(١) صحيح البخاري ج٤ ص٩١

(٢) صحيح البخاري ج٤ ص٦٨

(٣) صحيح مسلم ج٧ ص١٤ وسنن ابن ماجة ج٢ ص١١٧٣ ومسند أحمد بن حنبل ج٦ ص٥٧

(٤) تفسير السيوطي ج٦ ص٤١٧ عن ابن مردويه والبيهقي.

(٥) صحيح البخاري ج٧ ص٢٩

سفيان بن عُيَيْنة رواي الحديث: «**وهذا أشدُّ ما يكون من السحر إذا كان كذا**»! أي أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان مسحوراً بأشد أنواع السحر إلى درجة أنه يتخيّل أنه قد باشر نساءه ولم يكن قد باشرهنّ أصلاً!

ولم تكن المدة التي ظل فيها النبي (صلى الله عليه وآله) مسحوراً - بزعم عائشة - يوماً أو يومين، بل ستة أشهر بأيامها ولياليها! وذلك ما أخرجه أحمد بن حنبل عن عائشة قالت: «**لبث رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة أشهر يرى أنه يأتي نساءه ولا يأتي**»![(١)]

أقول: إن هذا الذي وضعته عائشة يجري مجرى ما وضعته من أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان ينسى آيات القرآن الموحى به إليه، فالهدف هو تشكيك المسلمين بصدقية نبوّته، فإن الرجل المسحور الذي يتخيّل وقوع الأشياء ولم تكن قد وقعت فعلاً لا يمكن الوثوق بإخباراته، فمن الذي يضمن أنه لم يتخيّل أن جبرئيل قد نزل عليه وألقى إليه وحياً؟! ومن الذي يضمن أن كل ما حدّث به وادّعى أنه وحي من السماء لم يكن سوى أوهام وتخيّلات قد نشأت من تأثير السحر عليه؟!

ثم إن الرجل الذي يقع عليه تأثير السحر لا يمكن أن يكون نبياً أصلاً! وذلك لأن السحر «**إنما يتم باستعانة الشياطين على ذلك**» كما نصّ عليه ابن حجر،[(٢)] والشيطان منفية

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص٦٣

(٢) فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر ج٦ ص٢٣٩، ولهذا أورد البخاري حديث عائشة المزعوم في سحر النبي (صلى الله عليه وآله) في باب: «**صفة إبليس وجنوده**»! حيث إن السحر من صفات إبليس وجنوده. والعجب كيف وقع خاتم الأنبياء (صلى الله عليه وآله) فريسة تحت تأثير إبليس وجنوده؟! وكيف استطاع رجل يهودي أن يغلب إرادة الله تعالى في حفظ سيد المرسلين وحمايته فيسحره بالاستعانة مع الشياطين؟! اللهم إنّا نبرأ إليك من هذا الكفر.

قدرته وسلطته على المؤمنين المتوكّلين بقوله تعالى: «**إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ**»[(١)] والنبي هو أكمل المؤمنين المتوكّلين وأخصّهم منزلة عند الله تعالى، فلا يمكن أن تكون للشياطين وجنودهم قدرة أو سلطة عليه إذ لا يمكن أن تغلب إرادتهم إرادة الله تعالى في حفظ أنبيائه من تأثيراتهم وهو القائل: «**إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ**».[(٢)] سيّما النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) الذي وعده ربّه بأن يكفيه ويحميه في قوله: «**فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ**»[(٣)] وقوله: «**فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا**»،[(٤)] ولا يمكن أن يضرّ السحر أحداً إلا بإذن الله تعالى لقوله تعالى عن السحرة: «**وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ الله**»[(٥)] فكيف يأذن الله تعالى بأن يضرّ السحرة أنبياءه؟!

وبذا تكون النتيجة أنه لا يمكن أن يقع سحر على نبي من الأنبياء مطلقاً «**وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ**»،[(٦)] بل لو وقع لكان ذلك نقضاً للغرض من بعثة الأنبياء؛ لأنه كما يعطّلهم عن وظائفهم فإنه يفتح باب الشك والطعن في نبوّتهم، فأي إيمان يبقى لدى الفرد في نبي يُخيَّل إليه أنه قد صلّى مثلاً وهو لم يصلِّ؟! وأي ثقة تبقى لدى الفرد في حديث نبي مسحور قد يكون قد أنقص أو زاد في الشريعة بسبب تأثير السحر عليه؟! ومَن يقول أصلاً أنه نبي؟! إنه مسحور!

---

(١) النحل: ١٠٠ – ١٠١

(٢) غافر: ٥٢

(٣) البقرة: ١٣٨

(٤) الطور: ٤٩

(٥) البقرة: ١٠٣

(٦) يونس: ٧٨

إن هذه الخلاصة المرعبة من أحاديث عائشة في سحر النبي (صلى الله عليه وآله) لم تجعل مناصاً لبعض علماء المخالفين من إنكارها وتكذيبها رغم أنها واردة في الصحاح، حتى أن بعضهم اعتبرها من وضع الملحدين!

قال أبو بكر الجصّاص: «**وقد أجازوا من فعل الساحر ما هو أطمُّ من هذا وأفظع! وذلك أنهم زعموا أن النبي عليه السلام سُحِرَ وأن السحر عَمِلَ فيه حتى قال فيه: إنه يتخيل لي أني أقول الشيء وأفعله ولم أقله ولم أفعله!** - إلى أن قال: - **ومثل هذه الأخبار من وضع الملحدين تلعّباً بالحشو الطغام وإستجراراً لهم إلى القول بإبطال معجزات الأنبياء عليهم السلام والقدح فيها**»![1]

وقال أبو بكر الأصمّ: «**إن حديث سحره صلى الله عليه وسلم المروي هنا متروك لما يلزمه من صدق قول الكفرة أنه مسحور! وهو مخالف لنص القرآن حيث أكذبهم الله فيه**».[2]

وقال القاضي: «**هذه الرواية باطلة، وكيف يمكن القول بصحتها والله تعالى يقول: وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ؟! وقال: وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى؟! ولأن تجويزه يُفضي إلى القدح في النبوة، ولأنه لو صح ذلك لكان من الواجب أن يصلوا إلى ضرر جميع الأنبياء عليهم السلام والصالحين، ولقدروا على تحصيل الملك العظيم لأنفسهم، وكل ذلك باطل، ولكان الكفار يعيّرونه بأنه مسحور، فلو وقعت هذه الواقعة لكان الكفار صادقين في تلك الدعوى، ولحصل فيه عليه السلام ذلك العيب، ومعلوم أن ذلك غير جائز**».[3]

---

(١) أحكام القرآن للجصّاص ج١ ص٦٠

(٢) المجموع للنووي ج١٩ ص٢٤٣ عن أبي بكر الأصم.

(٣) المصدر نفسه عن القاضي.

وقال محمد عبده: «**وليس المسحور عندهم إلا مَن خولط في عقله وخُيِّلَ له أن شيئاً يقع وهو لا يقع فيُخَيَّلُ إليه أنه يوحى إليه ولا يوحى إليه. وقد قال كثير من المقلدين الذين لا يعقلون ما هي النبوة وما يجب لها أن الخبر بتأثير السحر في النفس الشريفة قد صحَّ فيلزم الاعتقاد به! وعدم التصديق به من بدع المبتدعين لأنه ضرب من إنكار السحر وقد جاء القرآن بصحة السحر! فانظر كيف ينقلب الدين الصحيح والحق الصريح في نظر المقلد بدعة! نعوذ بالله! يُحتجُّ بالقرآن على ثبوت السحر ويُعرَضُ عن القرآن في نفيه السحر عنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم وعدِّهِ من افتراء المشركين عليه؟! ويُؤَوَّلُ في هذه ولا يُؤَوَّلُ في تلك؟! مع أن الذي قصده المشركون ظاهر لأنهم كانوا يقولون إن الشيطان يلابسه عليه السلام وملابسة الشيطان تُعرف بالسحر عندهم وضرب من ضروبه، وهو بعينه أثر السحر الذي نُسب إلى لبيد فإنه قد خالط عقله وإدراكه في زعمهم! والذي يجب اعتقاده أن القرآن مقطوع به وأنه كتاب الله بالتواتر عن المعصوم صلى الله عليه وعلى آله وسلم فهو الذي يجب الاعتقاد بما يثبته وعدم الاعتقاد بما ينفيه، وقد جاء بنفي السحر عنه عليه السلام، حيث نسب القول بإثبات حصول السحر له إلى المشركين أعدائه ووبَّخهم على زعمهم هذا، فإذن هو ليس بمسحور قطعاً**».[1]

وقال القاسمي: «**ولا غرابة في أن لا يُقبل هذا الخبر لما بُرهِنَ عليه وإن كان مخرَّجاً في الصحاح، وذلك لأنه ليس كل مخرّج فيها سالماً من النقد سنداً أو معنى، كما يعرفه الراسخون. على أن المناقشة في خبر الآحاد معروفة من عهد الصحابة**».[2]

---

(١) ردود أهل العلم على الطاعنين في حديث السحر لمقبل بن هادي الوادعي ص٣٨ عن محمد عبده. والتفسير الكاشف لمحمد جواد مغنية ج٧ ص٦٢٥ عن محمد عبده.

(٢) محاسن التأويل لمحمد جمال الدين القاسمي ج١٧ ص٢٠

هذا وقد حاول فريق آخر من علماء المخالفين التقليل من فظاعة أحاديث عائشة التي تنص فيها على سحر النبي (صلى الله عليه وآله) بتوجيه سخيف تافه وهو أن السحر ههنا ليس إلا بمعنى إصابته بمرض من الأمراض البدنية التي لا تقدح في نبوّته أو تلقيه للوحي أو تبليغه وشريعته!

وهؤلاء إما أنهم يستغبون أنفسهم أو يستغبون العامة، لأن الذي يُخَيَّلُ إليه أنه قد فعل الفعل ولم يفعله لا يكون إلا ذاك الذي خولط في عقله لا في بدنه، وعقل النبي هو محلّ تلقي الوحي الإلهي لأنه خطاب الحكيم للعاقل، كما أن عقله هو محل ضبط تبليغه وصون شريعته، فوقوع الخلل فيه يكون قادحاً في كل ذلك، أي أنه يكون قادحاً في نبوّته بلا ريب!

ثم إن أصل الإشكال هو أنه كيف جاز وقوع تأثير السحر عليه والله قد عصمه من شياطين الإنس والجن؟! وأي غرض للحكيم يبقى من بعثته مع جواز ذلك عليه إذ يقتضي شكّ الناس فيه وتنفّرهم عنه؟! فعلى فرض أن السحر قد أثّر على وظائفه البدنية دون العقلية أو الروحية كما يزعمون؛ فإن أصل هذا الإشكال يبقى على حاله!

إن عقدة العقلية البكرية هي في الخشية من ردّ أحاديث عائشة وأضرابها التي رواها البخاري وأشباهه، لأن ذلك ينتهي نتيجةً إلى جرح عائشة والحكم بكذبها على رسول الله صلى الله عليه وآله، إذ لا يمكن مع تعدّد طرق الروايات الشك في صدورها عن عائشة وتبرئتها بإدانة الرواة مثلاً واتهامهم بالكذب، سيّما أنهم معروفون بالصدق والضبط، ولذا فإن جُلّ أحاديث عائشة المروية في الصحاح تورّث استفاضتُها وقرائنُها القطعَ بصدورها عنها. وبذا لا مناص عند البكريين من قبول هذه الأحاديث مهما يكن، وتأويلها كيف كان، حتى وإن كانت تصادم كتاب الله تعالى صراحةً! لأن إبقاءها في دائرة الصحة يلازم إبقاء عائشة في موقع الصدق والعدالة والإيمان، أما إخراجها من هذه الدائرة فإنه يلازم إزاحة

عائشة عن ذلك الموقع والحكم بكذبها! وهذا يُكفئُ القِدْرَ العَقَدي البكري رأساً على عَقِب إذ يقوم على ثلاث أثافي هي (أبو بكر، عمر، عائشة) فيهراق كل ما فيه وتتبخّر بذلك فكرة (عدالة الصحابة)!

هذا هو حال البكريين من عشاق عائشة وتلك عُقدتهم! أما المسلمون المخلصون فلا يجدون غضاضة في الكفر بعائشة وأحاديثها هذه التي تعتبر من أكبر القوادح في مقام النبوة.

وهذا كتاب الله سبحانه يشهد على بطلان أحاديث عائشة التي ضاهت بها قول المشركين، فقد قال تعالى: «**نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا**»[1] وقال سبحانه: «**وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا * انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا**».[2]

إن المشركين في حملتهم الدعائية لتسقيط النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) اتهموه بأنه «مسحور»! وقد كذّبهم الله تعالى في كتابه في هاتين الآيتين، ووصفهم بالظلم والضلال، ونزّه نبيّه (صلى الله عليه وآله) من أن يكون مسحوراً.

وبعد هذا تأتي عائشة لتشهد بصدق المشركين في افترائهم وبكذب كتاب الله تعالى في ردّه! وذلك حين حدّثت بأن يهودياً تمكّن من سحر النبي (صلى الله عليه وآله) حتى كان يُخيَّلُ إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله! فأي قرارٍ يبقى للمسلم بعد هذا؟!

إن كل من ينسب إلى النبي (صلى الله عليه وآله) أنه مسحور لا شكّ في كفره وظلمه وضلاله كما نطق بذلك كتاب الله عز وجل، فعائشة إذن كافرة ظالمة ضالة!

---

(١) الإسراء: ٤٨

(٢) الفرقان: ٩

■ **أم العلمانيين!**

لم تبقِ عائشة هتكاً لسمعة رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلا وارتكبته، كما لم تترك باباً لإفساد دين ومبادئ وأخلاق هذه الأمة إلا وفتحته، دافعها في ذلك نزواتها وميولها الشيطانية الخبيثة، وتحالفاتها مع أئمة الجور وأشياع الضلالة.

وإحدى أسوأ جرائم عائشة أنها أسّست للمنهج العلماني الذي يفصل الدين عن الدولة والحياة العامة، ويجعله حبيس محراب الصلاة بما يحصره في دائرة العبادات الشخصية، مبيحاً - في المقابل - سنّ وإعمال القوانين الدنيوية المخالفة لتعاليم السماء.

وقع هذا بفعل حديث اختلقته عائشة وصوّرت فيه الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) بصورة رجل جاهل غبي - حاشاه - لا يملك القدرة على تشخيص المصلحة العامة فتؤدي أوامره السخيفة إلى إحلال الكوارث الاقتصادية والاجتماعية بالناس! ثم لا يسعه الاعتذار عما سبّبه لهم من خسائر إلا بأنه أخطأ في اجتهاده وأن عليهم من الآن فصاعداً أن لا يؤاخذوه ولا يلتفتوا إلى أوامره في ما يتصّل بشؤونهم الدنيوية لأنهم «**أعلم بأمور دنياهم منه**»!

روى مسلم والمتقي الهندي عن عائشة: «**أن النبي صلى الله عليه وسلم مرَّ بقومٍ يُلقِّحون، فقال: لو لم تفعلوا لصَلُح. فخرج شِيصاً! فمرَّ بهم فقال: ما لنخلكم؟ قالوا: قلتَ كذا وكذا! قال: أنتم أعلمُ بأمر دنياكم**»![1]

(١) صحيح مسلم ج٧ ص٥٩ وكنز العمال للمتقي الهندي ج١١ ص٤٦٥ عن عائشة وأنس بن مالك أيضاً، والشيص هو البُسر أو التمر الرديء.

وروى أحمد بن حنبل وابن ماجة وابن حبان وابن حزم عن عائشة: «**أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع أصواتاً فقال: ما هذه الأصوات؟ قالوا: النخل يؤبّرونه يا رسول الله. فقال: لو لم يفعلوا لصَلُح، فلم يؤبّروا عامئذ، فصار شِيصاً! فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: إذا كان شيئاً من أمر دنياكم فشأنكم به، وإذا كان شيئاً من أمر دينكم فإليَّ**»![1]

ونتيجةً لأحاديث من هذا النوع تشكّلت عقيدة المخالفين المأفونة في النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) حيث جعلوه مجرّد «**ساعي بريد**» مهمته فقط إيصال الوحي الإلهي إلى البشر! أما سائر تعاليمه التي تتعلق بشؤونهم العملية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية في حياتهم الدنيوية فإنه لا قيمة ذاتية لها لأنها قد تكون عن اجتهاده أو رأيه الخاطئ فهو ليس معصوماً من الغلط! فقد قال السرخسي في تعليقه على قصة تأبير النخل المروية عن عائشة: «**فتبيّن أن الرأي منه كالرأي من غيره في احتمال الغلط**»![2]

وقد تلقّف المروّجون للمذهب العلماني عبارة «**أنتم أعلم بأمور دنياكم**» وجعلوها شعاراً لهم لردّ النُّظُم والتعاليم النبوية بدعوى أنها صدرت على سبيل الاجتهاد والرأي منه صلى الله عليه وآله، ولسنا مأمورين بتطبيقها مع تغيّر ظروف الزمان والمكان، بل نجتهد كما كان يجتهد ونرى كما كان يرى ونتفوق باجتهادنا ورأينا على اجتهاده ورأيه!

وهكذا قدّمت عائشة بقصتها المفتراة إلى هؤلاء العلمانيين أعظم خدمة أعانتهم على تحقيق مراميهم بسلخ هذه الأمة عن نُظُمها ومبادئها الإدارية الدينية أولاً، ثم إجبار أفرادها

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص١٢٣ وسنن ابن ماجة ج٢ ص٨٢٥ وصحيح ابن حبّان ج١ ص٢٠١ وأحكام ابن حزم ج٦ ص٧٧٥ وغيرها كثير.

(٢) أصول السرخسي ج٢ ص٩٢

على ترك أحكامه أخيراً، كالذي يحصل اليوم في تركيا وتونس من حرمان للنساء من التزام الحجاب الشرعي في المؤسسات الرسمية بدعوى أن ذلك يتناقض مع المبدأ العلماني!

إنها كلمة فقط خرجت من فم عائشة ناسبةً إياها زوراً إلى رسول الإسلام صلى الله عليه وآله، غير أنها سبّبت كل هذه المآسي عبر التاريخ، وجميعها تسجّل في سجل آثام وخطايا الحميراء التي لا تُعدُّ ولا تُحصى! فإن عبارة: «**أنتم أعلم بأمور دنياكم**» وإن كانت مجرّد كلمة، إلا أنها بلغت مشارق الأرض ومغاربها واتُّخِذت ديناً عند بعضٍ ومنهجاً عند آخر حُكم به بغير ما أنزل الله تعالى وفُعِل بسببه ما فُعِل بعباده المستضعفين، فويلاً لعائشة من عذاب الله تعالى! وقد جاء في الحديث القدسي عن الإمام الصادق (عليه السلام) عن جده رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «**يعذّب الله اللسان بعذاب لا يعذّب به شيئاً من الجوارح، فيقول: أيْ ربِّ؛ عذّبتني بعذاب لم تعذّب به شيئاً! فيُقال له: خرجت منك كلمة فبلغت مشارق الأرض ومغاربها، فسُفِكَ بها الدم الحرام! وانتُهب بها المال الحرام! وانتُهك بها الفرج الحرام! وعزتي وجلالي لأعذّبنّك بعذاب لا أعذّب به شيئاً من جوارحك**»![1]

ومن نافلة القول أن أعلام الوضع والاختلاق بادية على حديث عائشة في تأبير النخل، فإنه **أولاً** يعارض إطلاقات النصوص القرآنية التي تفيد أن كل ما أتى عن النبي (صلى الله عليه وآله) هو وحي سواءً كان قولاً أو فعلاً أو تقريراً فيجب الأخذ به والتأسي، ولازمه أن يكون (صلى الله عليه وآله) أعلم من جميع الأمة في كل حقل وميدان، وإلا لم يكن لهذه الإطلاقات محلّ من الحكمة. قال تعالى: «**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ**»[2]

---

(١) الكافي للكليني ج٢ ص١١٥

(٢) النجم: ٤-٥

وقال تعالى: «**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**»(١) وقال تعالى: «**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا**».(٢)

وثانياً فإن من الحُمق والسفاهة أن يُعتقد بأن رجلاً - بغض النظر عن كونه نبياً مرسلاً - عاش أكثر من خمسين سنة في جزيرة العرب المعروفة بزراعة النخيل وإنتاج التمور لا يعلم بأن تأبيرها ضروري لتلقيح طلع أنثاه بطلع ذكره وإلا فسد وصار شيصاً أو بُسراً رديئاً يُستنكف من أكله! أَ فهل اختار الله رجلاً بهذا الجهل والغباء - والعياذ بالله - ليكون رسوله إلى خلقه؟!

لعمري إن عائشة سعت إلى أن تحطّ باختلاقها هذا الحديث من قدر رسول الله صلى الله عليه وآله! فعسى أن يرينا الله تعالى اليوم الذي ينتقم فيه منها على رؤوس الأشهاد!

■ نسبت للنبي (صلى الله عليه وآله) مساوئ الأخلاق ورذائلها!

كما قدّمت عائشة أعظم خدمة للعلمانيين باختلاقها الحديث السالف؛ فإنها قدّمت أعظم خدمة للكفار ومناوئي الإسلام حين اختلقت الأحاديث التي تنسب إلى سيد المرسلين (صلى الله عليه وآله) مساوئ الأخلاق والأفعال المنفرّة المقزّزة التي اتخذها هؤلاء المناوئون أعظم التشنيع على نبي الرحمة (صلى الله عليه وآله) وأضلّوا بها خلقاً كثيراً عن الإسلام الحق.

وقد مضى في الفصل الثاني بعض أحاديث عائشة هذه في تصوير النبي صلى الله عليه وآله - حاشاه - بصورة رجل مهووس جنسياً لا يكاد يفارق أثداء وأفخاذ نسائه حتى وإن كُنَّ في

---

(١) الحشر: ٨

(٢) الأحزاب: ٢٢

حال الحيض![1] بل وحتى لو كان صائماً وكنّ صائمات فإنه لا يصبر عن التلذّذ الجنسي بمباشرتهنّ بالتقبيل ومصّ اللسان! فقد أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن عائشة قالت: «**كان النبي صلى الله عليه وسلم يقبِّلُ ويباشر وهو صائم! وكان أملككم لإرْبِه**»![2] وأخرج أحمد بن حنبل والطيالسي عن عائشة قالت: «**أهوى إليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقبِّلَني، فقلتُ: إني صائمة! قال: وأنا صائم! قالت: فأهوى إليَّ فقبَّلني**»![3] وأخرج أبو داود وأحمد بن حنبل والبيهقي وابن خزيمة عن عائشة قالت: «**كان يقبّلني وهو صائم ويمصُّ لساني وهو صائم**»![4]

ولم تكن عائشة تستحي من ذكر هذه الأحاديث أمام الرجال فتسيل لعابهم! بل كان بعضهم يستحي أن يسألها ويعتبر ذلك رفثاً وفُحشاً إلا أنها كانت تبادره بذكر هذه التفاصيل المقزّزة ثم تضحك بلا حياء! فقد أخرج البيهقي وأحمد بن حنبل عن إبراهيم: «**أن علقمة وشريح بن أرطأة رجلٌ من النخع؛ كانا عند عائشة رضي الله عنها فقال أحدهما لصاحبه: سَلْها عن القبلة للصائم؟ فقال: ما كنتُ لأرفُثَ عند أم المؤمنين! فقالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبّل وهو صائم ويباشر وهو صائم وكان أملككم لإربه**»![5] وأخرج

---

(١) راجع ص٢٤٢-٢٤٣ من هذا الكتاب.

(٢) صحيح البخاري ج٢ ص٢٣٣ وصحيح مسلم ج٣ ص١٣٥، ومعنى «**كان أملككم لإربه**» أي كان أكثر الناس قدرةً على ضبط حاجته الجنسية وعضوه الذكري فلا يتعدّى المباشرة والتقبيل إلى الجماع والإنزال فيفسد صومه!

(٣) مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص١٣٤ ومسند الطيالسي ص٢١٤

(٤) تلخيص الحبير لابن حجر ج٦ ص٣٩٧ عن أبي داود، ونحوه في مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص١٢٣ وسنن البيهقي ج٤ ص٢٣٤ وصحيح ابن خزيمة ج٣ ص٢٤٦

(٥) سنن البيهقي ج٤ ص٢٣٠ ومسند أحمد بن حنبل ج٦ ص١٢٦

البخاري عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت: «**إنْ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقبِّـلُ بعض أزواجه وهو صائم! ثم ضحكت**»![1]

ومعنى قوله «**ما كنت لأرفث عند أم المؤمنين**» أي ما كنت لأفحش في القول عندها، مـا يعني أن الرجال كانوا يعتبرون ذكر مثل ذلك رفثاً وفُحشاً إلا أن عائشة لم تكن فكانت تمـضي في ذلك ثم تضحك غير آبهة بشيء! وما ذلك إلا لأنها فحّاشةٌ قذرة مسكونة بحـبّ الجـنس! والمخزي أن أبناءها يعتذرون عن أحاديثها هذه بعذر واهٍ سخيف حاصله أنهـا كانـت تقـصد بيان الحكم الشرعي فتضطر إلى ذكر هذه التفاصيل! غير أن ذلـك مـردود بأنـه كـان يكفيهـا حينما تُسأل عن جواز تقبيل الصائم امرأته بأن تجيب: «يجوز» مثلاً دون أن تتهتّك هكذا! بـل كان ينبغي لها أن تقول للسائل: «استح فإني امرأة لا تُـسأل عـن مثـل هـذا، واذهـب واسـأل الرجال»! هذا كلّه على فرض أن ما ألصقته بساحة النبوة صحيح، وإلا فالنبي (صلى الله عليه وآله) أبعد ما يكون عن أفعال المراهقين هذه! وهل يصدّق مسلمٌ أن يكـون النبـي (صـلى الله عليه وآله) وهو في حال صومه بدلاً من أن يكون مشغولاً بعبادة ربّه وتلقي وحيه وتبليغ دينه مشغولاً بتقبيل امرأته ومصّ لسانها؟! سبحانك هذا بهتان عظيم.

ومن جملة ما افترته عائشة على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكان مـن أكـبر المـصائب على الإسلام وأهله إلى يومنا هذا هو ادعاؤها أن سورة «**عبس وتولّى**» قد نزلت في ذمّه! وهـو الادعاء الذي تابعه عليها أبناؤها المخالفون ونشروه عن جهل وغباء في أقاصي الأرض حتـى بلغ النصارى فقال قائلهم ساخراً: «**إن مسيحنا كان يُبرئ الأعمى ومحمّـدهم كـان يعـبس في وجهه ثم يريدون منا أن نتبعه**»![2]

---

(١) صحيح البخاري ج٢ ص٢٣٣

(٢) محاكاة لقول ذلك النصراني البغدادي المنقول في مجلس ملك شاه السلجوقي كما في رسالة مؤتمر علـماء =

وثمة أكثر من رواية عن عائشة في هـذه الفريـة، فمنهـا مـا رواه الحـاكم والطـبراني عـن مسروق قال: «**دخلتُ على عائشة وعنـدها رجـل مكفـوف تقطـع لـه الأُتـرُجُّ وتطعمـه إيـاه بالعسل، فقلت: مَن هذا يا أم المؤمنين؟ فقالت: هذا ابن أم مكتوم الـذي عاتـب الله فيـه نبيـه صلى الله عليه وسلم! قالت: أتى نبيَّ الله وعنده عتبة وشيبة فأقبـل رسـول الله صـلى الله عليـه وسلم عليهما فنزلت: عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ؛ ابن أم مكتوم**»![1]

ومنها ما رواه الترمذي وابن حبان عن عائشة قالت: «**أنزل عبس وتولى في ابن أم مكتـوم الأعمى، أتى رسول الله صلى الله عليه وسـلم فجعـل يقـول: يـا رسـول الله أرشـدني، وعنـد رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من عظماء المشركين، فجعـل رسـول الله صـلى الله عليـه وسلم يُعرض عنه ويُقبل على الآخر! ويقـول: أَتـرى بـما أقـول بأسـاً؟فيقول: لا، ففـي هـذا أُنزل**»![2]

ومنها ما رواه ابن المنذر وابن مردويه عن عائشة قالت: «**كان رسـول الله صـلى الله عليـه وسلم في مجلس من ناس من وجوه قريش منهم أبو جهل بن هشام وعتبة بـن ربيعـة، فيقـول لهم: أَليس حسناً أن جئتُ بكذا وكذا؟ فيقولون: بلى والله. فجاء ابن أم مكتوم وهـو مـشتغلٌ بهم فسأله فأعرض عنه! فأنزل الله: أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ * فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّىٰ * وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّـىٰ * وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَىٰ * وَهُوَ يَخْشَىٰ * فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ! يعني ابن أم مكتوم**»![3]

= بغداد لشبل الدولة مقاتل بن عطية الحنفي ص١٢٨

(١) مستدرك الحاكم ج٣ ص٦٣٤ والمعجم الأوسـط للطـبراني ج٩ ص١٥٥، والأُتـرج: ثمـر طيّـب يقطـع بالسكين.

(٢) سنن الترمذي ج٥ ص١٠٤ وصحيح ابن حبان ج٢ ص٢٩٤

(٣) الدر المنثور للسيوطي ج٦ ص٣١٤ عن ابن المنذر وابن مردويه. هذا وقد شارك عائشة في الفرية أنس ابن مالك وابن عباس حسب روايات منسوبة إليهما، والأرجح أنها راجعة إليها لأنهما كانا صبيّيْن صغيرين.

أقول: لقد أرادت عائشة من وراء إلصاقها سورة عبس وتولّى بالنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) الخدش في كمال عصمته وسموّ أخلاقه وتصويره بصورة رجل فظ غليظ يعبس في وجه الفقراء المساكين الذين يطلبون منه أن يعلّمهم الدين ويتولّى عنهم معرضاً فيما يركض وراء الأغنياء غير الأزكياء ويُقبل عليهم بكل لطف واحترام!

ولسنا ندري كيف انطلت هذه الكذبة على المخالفين وكيف طابت أنفسهم أن يجعلوا المعني بما ورد في السورة من مساوئ الصفات وقبائحها إلى الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله؟! وكيف هضموا أن يكون هذا الخطاب التقريعي الشديد الذي ورد في هذه السورة موجهاً إلى مَن لم تعرف له البشرية نظيراً في حلمه وتواضعه ومكارم أخلاقه وسجاياه؟!

يا لله أما مِن رشيد عاقل يتأمل في آيات هذه السورة ومعانيها ليعرف بداهةً أن ما ورد فيها أبعد ما يكون انطباقاً على نبي الرحمة صلى الله عليه وآله؟!

أ فهل يكون نبيّنا هو مَن «**عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ**» وهو الذي «**ما رُئِيَ إلا مبتسماً وما كان يحدّث بحديث إلا تبسّم**» كما نطقت به الأحاديث عن أصحابه؟![1]

أ هكذا ينكبّ نبيّنا على المشركين من ذوي المال والجاه فيوصف بأنه « **أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ * فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّىٰ * وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ**» فيما يلهو عن الفقراء المساكين الذين يخشون ربّهم وقد جاءوه يسعون إليه فيوصف بأنه «**وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَىٰ * وَهُوَ يَخْشَىٰ * فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ**».. أ هكذا يكون نبيّنا وهو الذي وصفه الله تعالى في كتابه بأنه «**بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ**

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ج٤ ص٤٦ عن عبد الله بن الحارث، ومجمع الزوائد للهيثمي ج١ ص١٣١ وسبل الهدى والرشاد للصالحي الشامي ص١٢١ عن أبي الدرداء.

رَحِيمٌ»[١] وخاطبه قائلاً: «**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**»[٢] وكان من أمره له قبل ذلك: «**وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ**»[٣] «**وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ**»[٤] وبعده: «**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ**»[٥] فإذا كان آبياً عن أن يزّكى بالإسلام فجزاؤه الغلظة عليه فكيف تصدّى له وانكبّ عليه وفضّله على ذلك المؤمن الأعمى المسكين الذي يخشى؟!

حقاً إن هذه أبعد ما تكون عن صفات الأنبياء فضلاً عن سيدهم وخاتمهم صلى الله عليه وآله، وهو الذي نعته أخوه أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله: «**كان رسول الله صلى الله عليه وآله دائم البِشْر، سهْل الخُلُق، ليّنَ الجانب، ليس بفظٍّ ولا غليظٍ، ولا سخّابٍ ولا فحّاشٍ، ولا عيّابٍ ولا مزّاحٍ**».[٦]

إن هذا هو ما دفع بعض علماء المخالفين إلى الشك في صدق ما جاء عن عائشة وأضرابها في أن المعني بهذه الآيات هو النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم. ومن هؤلاء الفخر الرازي، فمع أنه ذكر في تفسيره إجماع المفسّرين على ذلك حيث قال: «**أجمع المفسرون على أن الذي عبس وتولى هو الرسول عليه الصلاة والسلام، وأجمعوا على أن الأعمى هو ابن أم مكتوم**»[٧] فإنه عاد في كتابه الآخر (عصمة الأنبياء) وشكّك في صحة ذلك حين رآه يصادم

---

(١) التوبة: ١٢٨

(٢) القلم: ٥

(٣) الحجر: ٨٩

(٤) الأنعام: ٥٣

(٥) التوبة: ٧٣

(٦) تاريخ دمشق لابن عساكر ج٤ ص٤٥

(٧) تفسير الرازي ج١٦ ص٣٥٣

عصمته (صلى الله عليه وآله) وأخلاقه، فقال: «**لا نسلّم أن هذا الخطاب متوجه إلى النبي عليه الصلاة والسلام. لا يُقال: إن أهل التفسير قالوا: الخطاب مع الرسول؛ لأنّا نقول: هذه رواية الآحاد فلا تُقبل في هذه المسألة، ثم إنها معارضةٌ بأمور: الأول؛ أنه وصفه بالعبوس وليس هذا من صفات النبي صلى الله عليه وسلم في قرآن ولا خبر مع الأعداء والمعاندين فضلاً عن المؤمنين والمسترشدين. الثاني؛ وصفه بأنه تصدّى للأغنياء وتلهّى عن الفقراء وذلك غير لائق بأخلاقه. الثالث؛ أنه لا يجوز أن يُقال للنبي: وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ.. فإن هذا الإغراء يترك الحرص على إيمان قومه فلا يليق بمن بُعث بالدعاء والتنبيه**».[1]

ونضيف ههنا أن ابن أم مكتوم قد عاش بعد الحادثة المذكورة سنوات طوالٍ، ومع ذا لم يرد عنه حتى خبرٌ واحدٌ يؤكد ما افترته عائشة على رسول الله صلى الله عليه وآله، مع أنه صاحب القصة والمعني بها، ولو كانت لحاله مع النبي (صلى الله عليه وآله) حقيقة لبانت على لسانه ولمشت بها الركبان.

وإذ تبيّن أنه لا يمكن أن تكون هذه السورة قد نزلت في ذم رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومعاتبته؛ فإن السؤال الذي يطرح نفسه هو: فيمن إذن؟!

وجواب ذلك إنما هو عند الأئمة الأطهار من عترة المصطفى (صلى الله عليهم أجمعين) الذين لو كان المخالفون يرجعون إليهم لارتفعت حيرتهم ولزال الشك من قلوبهم ولاستقام منهاجهم ولعرفوا الحق من باطلهم!

---

(١) عصمة الأنبياء عليهم السلام للفخر الرازي ص١٠٨

قال الإمام الصادق عليه السلام: «**إنها نزلت في رجل من بني أمية كان عند النبي صلى الله عليه وآله، فجاءه ابن أم مكتوم، فلمّا رآه تقذّر منه وعبس وجمع نفسه وأعرض بوجهه عنه! فحكى الله ذلك وأنكره عليه**».(١)

إن كل من وقف على تاريخ بني أمية وسيرتهم يعلم مدى غرورهم وتكبّرهم على الفقراء والمستضعفين سواءً في الجاهلية أو الإسلام، إذ كانوا يروْن أنفسهم أشراف قريش الذين لا ينبغي أن يُساووا بغيرهم في موقف أو مجلس، وكان ذلك من أهم دوافعهم لمحاربة الإسلام الذي جاء لإزالة هذه الفوارق الطبقية، ولسان حالهم: «**إن محمداً هذا جاء ليساوي بيننا وبين العبيد والأراذل**»! وبملاحظة هذا فإن ما جاء عن الإمام الصادق (عليه السلام) بغض النظر عن أي اعتبار آخر يكون أقرب إلى التصديق، فالصفات التي وردت في سورة (عبس) أقرب إلى صفات بني أمية وأبعد عن صفات خاتم الأنبياء والمرسلين (صلى الله عليه وآله) الذي كان يجالس الفقراء ويتواضع للمساكين والمستضعفين حتى شهد به بذلك المؤالف والمخالف والعدو والصديق.

فمن هو ذلك الرجل من بني أمية؟ إن جواب هذا نجده في رواية علي بن إبراهيم القمي (رضوان الله تعالى عليه) حيث جاء في تفسيره لقوله تعالى: «**عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ**» ما نصّه: «**نزلت في عثمان وابن أم مكتوم، وكان ابن أم مكتوم مؤذناً لرسول الله صلى الله عليه وآله وكان أعمى، وجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وعنده أصحابه وعثمان عنده، فقدّمه رسول الله صلى الله عليه وآله على عثمان، فعبس عثمان وجهه وتولّى عنه، فأنزل الله: عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ؛ يعني عثمان، أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ؛ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ؛ أي يكون طاهراً أزكى، أَوْ يَذَّكَّرُ؛ يذكّره رسول الله صلى الله عليه وآله، فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَىٰ. ثم خاطب عثمان فقال: أَمَّا مَنِ**

---

(١) مجمع البيان للطبرسي ج١٠ ص٢٦٦ ونحوه في التبيان للشيخ الطوسي ج١٠ ص٢٦٩

اسْتَغْنَىٰ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّىٰ؛ قال: أنت إذا جاءك غني تتصدى له وترفعه، وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ؛ أي لا تبالي زكياً كان أو غير زكي إذا كان غنياً، وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَىٰ؛ يعني ابن أم مكتوم، وَهُوَ يَخْشَىٰ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ؛ أي تلهو ولا تلتفت إليه».[1]

إن الذي درس شخصية ونفسية عثمان بن عفان الأموي يرى ما جاء في هذه الرواية أقرب إلى صفاته المعهودة، فقد كان رجلاً ورث التكبر والتعالي من بني أمية، ولا أدلَّ على ذلك مما كان منه يوم بناء مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، ففي حين كان النبي (صلى الله عليه وآله) وبقية أصحابه قد وضعوا أثوابهم يعملون ويباشرون الطين والتراب؛ كان عثمان يحمل اللَّبنة متأفّفاً ويجافي بها عن ثوبه لئلّا يصيبه شيء من ترابها وغبارها! وكان ذلك مثار سخرية أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) الذي نظم في تحقيره بيتين من الشعر تلقّاهما عمار ابن ياسر (رضوان الله عليه) وارتجزهما، فما كان من عثمان إلا أن توجّه إليه شاتماً ومهدّداً فغضب النبي (صلى الله عليه وآله) ودافع عن عمار قائلاً: «**عمّار جلدة ما بين عينيَّ وأنفي**»![2]

---

(١) تفسير القمي ج٢ ص٤٠٥ وعنه بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج١٧ ص٨٥

(٢) روى ابن عبد ربّه الأندلسي في العقد الفريد ج٢ ص١١٣ عن أم سلمة رضوان الله تعالى عليها: «**لمّا بَنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مسجدَه بالمدينة أمر باللَّبِن يُضرب وما يُحتاج إليه، ثم قام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فوَضع رداءه، فلما رأى ذلك المهاجرون والأنصار وضعوا أرديتهم وأكسيتهم يرتجزون ويقولون ويعملون:**

لئن قَعدنا والنبيّ يَعملُ ذاك إذن لعملٌ مُضلّلُ

قالت: وكان عثمان بن عفان رجلاً نظيفاً مُتنظِّفاً! فكان يَحمل اللَّبنة ويُجافي بها عن ثوبه، فإذا وَضعها نفض كفّيه ونظَرَ إلى ثوبه، فإذا أصابه شيء من التراب نَفَضه! فنظر إليه علي رضي اللهّ عنه فأنشده:

لا يَستوي مَن يَعمُر المساجدا يَدْأبُ فيها راكعاً وساجدَا

وقائماً طَوْراً وطَوْراً قاعدَا ومَن يُرى عن التّراب حائدًا!

=

إن الحقيقة هي أن سورة (عبس) قد نزلت في ذم عثمان بن عفان، ولهذا كان النبي (صلى الله عليه وآله) يعرِّضُ به حين يرى ابن أم مكتوم، فقد قال الإمام الصادق عليه السلام: «**كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا رأى عبد الله بن أم مكتوم قال: مرحباً؛ لا والله لا يعاتبني الله فيك أبداً! وكان يصنع به من اللطف حتى كان يكفُّ عن النبي صلى الله عليه وآله مما يفعل به**».[1]

ويبدو أن عائشة أرادت قلب هذه الحقيقة بإلصاق ما جاء في هذه السورة من شديد التقريع والذم إلى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله! ويبدو كذلك أن افتراءها هذا جاء في فترة

= **فسمعها عمَّارُ بن ياسر فجعل يَرتجزها وهو لا يدري من يعني. فَسمعه عثمانُ، فقال: يابن سُميَّة! ما أعْرَفني بمَن تُعَرِّض! ومعه جريدة، فقال: لتكفَّنَّ أو لأعترضنَّ بها وجهَك! فسمعه النبي صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظِل حائط فقال: عمَّار جِلْدة ما بين عَينيّ وأنفي، فمن بَلغ ذلك منه فقد بلغ مني، وأشار بيده فوَضعها بين عينيه»**. وروى نحوه ابن هشام في سيرته ج٢ ص١١٤ وراجع شرح أبي ذر الخشني له.

وقد كرّر عمار البيتيْن الشهيريْن مع شيء من التصرّف يوم الخندق لأن عثمان لم يكن يشترك في الحفر وكان يضع كمّه على أنفه تأففاً من الغبار! فقد روى القمي في تفسيره ج٢ ص٣٢٢ لقوله تعالى: «**يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا**»: «**نزلت في عثمان يوم الخندق، وذلك أنه مرَّ بعمار بن ياسر وهو يحفر الخندق وقد ارتفع الغبار من الحفرة فوضع عثمان كُمّه على أنفه ومرَّ! فقال عمار:**

لا يَستوي مَن يَعمُر المساجدا يَدْأبُ فيها راكعاً وساجدَا
كَمنْ يمُرُّ بالغُبار حائدَا يُعرِضُ عنه جاحداً معاندَا!

فالتفت إليه عثمان فقال: يا ابن السوداء! إياي تعني! ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: لم ندخل معك لتُسَبَّ أعراضنا! فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: قد أقلتك إسلامك فاذهب! فأنزل الله عز وجل: يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ؛ أي لستم صادقين، إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ».

(١) مجمع البيان للطبرسي ج١٠ ص٢٦٦

الوئام ما بينها وبين عثمان، حيث أسدت له هذه الخدمة التي أبرأته عما ثبت نزوله فيه! وإلا فإن العلاقة ما بينهما كانت قد تعكّرت لاحقاً لأسباب مالية فأخرجت عائشة فضائح عثمان وحدّثت بمثالبه حتى أفتت بقتله! وهو ما سيأتي إن شاء الله تعالى.

أما في فترة الوئام ودفء العلاقة فقد صرفت عائشة (عبس وتولى) عن عثمان إلى النبي صلى الله عليه وآله! كما اختلقت لأجل عينيّ عثمان حديثاً شائناً يجري هذا المجرى، أي رفع شأن عثمان وتنقيص شأن النبي (صلى الله عليه وآله) والطعن في أخلاقه!

ذلك الحديث هو الذي رواه مسلم عن عائشة قالت: «**كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مضطجعاً في بيتي كاشفاً عن فخذيه أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال فتحدّث، ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك فتحدّث، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وسوّى ثيابه! فدخل فتحدّث، فلمّا خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تَهَتَشَّ له ولم تُبالِه! ثم دخل عمر فلم تَهَتَشَّ له ولم تُبالِه! ثم دخل عثمان فجلست وسوَّيتَ ثيابك؟ فقال: ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة**»![1]

وهذا الحديث المكذوب هو كما ترى يؤدي بك إلى الاعتقاد بأن النبي (صلى الله عليه وآله) كان متهتكاً لا يستحي إذ يأذن للرجال بدخول بيته وهو مضطجع كاشف عن فخذيه أو ساقيه وإلى جواره امرأته![2] أما حين يدخل عثمان فإنه يضطر إلى تسوية ثيابه حياءً منه لأن عثمان رجلٌ حييّ وتفوّق في حيائه على الملائكة حتى أنها لتستحي منه! ولا ندري أين ذهب حياء الملائكة من رسول الله (صلى الله عليه وآله) نفسه؟! كما لا ندري كيف يكون عثمان

---

(١) صحيح مسلم ج٧ ص١١٦ وغيره كثير. وتهتّش: تنشط له وترتاح، والمعنى أنك لم تعامل أبا بكر وعمر بمثل ما عاملت به عثمان من الاحترام.

(٢) هذا مع أن الفخذان عورة بين الرجال عند جمهور أهل الخلاف.

رجلاً حييّاً وهو الذي طفحت كتب التاريخ والتراث بشتائمه ونيله من أمهات الناس وذكرهنّ بسوء حتى أنه نال من أم عمار بن ياسر السيدة سمية (رضوان الله تعالى عليها) وهي أول شهيدة في الإسلام! فقد روى البلاذري أن عماراً لما اعترض على عثمان لأخذه من بيت مال المسلمين حليّاً وجواهر أهداهنّ إلى أهله بغير وجه حق؛ قال عثمان لعمار: «**أَعليَّ يابن المتّكاء تجترئ**» ثم أمر به فضُرب وعُذِّبَ حتى غُشيَ عليه![1]

والمتّكاء هي المرأة البظراء المفضاة التي لا تمسك البول![2] فهكذا كان عثمان يشتم أول شهيدة في الإسلام وينال من أم أحد أكبر أجلاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله! وهكذا كان عثمان حييّاً «تستحي منه الملائكة» بزعم عائشة!

أَ تخدعنا هذه الحميراء بأكاذيبها؟! ألا بئساً لأناس يعطّلون عقولهم فيصدقونها!

■ تغار فتكسر الأواني والقِصاع وتنثر الطعام!

غيرة عائشة الشديدة وحسدها البالغ كانا يدفعانها إلى القيام بأفعال تمثّل منتهى الاستفزاز والإيذاء لرسول الرحمة صلى الله عليه وآله. ومن صور ذلك أنها كانت تعمد إلى الأواني والقِصاع التي فيها الطعام المعدّ للنبي (صلى الله عليه وآله) من بعض أزواجه الأخريات فتكسرها وتكفئها وتنثر ما فيها من الطعام مع أنه (صلى الله عليه وآله) كما نعلم كان يشدّ على بطنه الشريف حجراً من شدة الجوع! غير أن ذلك لم يحرّك في عائشة أدنى إحساس بالشفقة ولم يجعلها تتورّع عن حرمان النبي (صلى الله عليه وآله) من بعض الطعام!

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري ج٥ ص٤٨

(٢) راجع لسان العرب لابن منظور مادة (متك).

روى أبو داود بسنده عن عائشة قالت: «**ما رأيتُ صانعاً طعاماً مثل صفية. صنعتْ لرسول الله صلى الله عليه وسلم طعاماً فبعثتْ به، فأخذني أَفْكَلٌ فكسرتُ الإناء**»![1]

وروى أحمد بن حنبل بسنده عن عائشة قالت: «**بعثتْ صفية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بطعام قد صنعتْهُ له وهو عندي، فلمّا رأيتُ الجارية أخذتني رعدةٌ حتى استقلّني أفكلُ! فضربتُ القصعة فرميتُ بها! قالت: فنظر إليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرفتُ الغضب في وجهه، فقلتُ: أعوذ برسول الله أن يلعنني اليوم**»![2]

وروى الطحاوي بسنده عن أم سلمة: «**أنها جاءت بطعام في صَحْفَةٍ لها إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فجاءت عائشة ملتفّةً بكساء ومعها فِهْرٌ ففلقت الصَّحْفة**»![3]

وروى الترمذي بسنده عن أنس قال: «**أهدت بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم إلى النبي طعاماً في قَصْعة، فضربت عائشة القصعة بيدها فألقت ما فيها**»![4]

وروى أحمد بن حنبل بسنده عن أنس: «**أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عند بعض نسائه. قال: أظنها عائشة. فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين مع خادم لها بقصعة فيها**

---

(١) سنن أبي داود ج٣ ص٢٩٧، وقولها: «**أخذني أفكل**» معناه أخذتني رعدة الفزع، أي أنها من شدة غيرتها وحسدها فزعت حتى ارتعد بدنها!

(٢) مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص٢٧٧

(٣) مشكل الآثار ج٤ ص٣١٦، والصحفة: إناء كالقصعة المبسوطة، والفهر: حجر يملأ الكف، والمعنى أنها أخذت حجراً وكسرت به الإناء ونثرت ما فيه من طعام! كل ذلك بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأصحابه! فتأمل في هذه الجسارة والوقاحة.

(٤) سنن الترمذي ج٢ ص٤٠٦، والتي أهدته كانت زينب بنت جحش كما نصّ عليه ابن حجر في فتح الباري ج٥ ص٨٩ عن رواية ابن حزم في المحلى.

طعام، فضربتْ الأخرى بيد الخادم فكسرت القصعة بنصفيْن»![1]

أقول: لم تكن مرة واحدة ارتكبت فيها عائشة هذه النذالة بل أكثر من مرة، فتارة مع صفية وأخرى مع أم سلمة وثالثة مع زينب ورابعة مع غيرهنّ، وفي كل مرة لا ترعوي عن تكرار فعلها الشائن. ومعلومٌ أن كسر إناء الغير محرّم، وكذا الاستهانة بالطعام ونثره على الأرض، ويزيد كل ذلك حرمةً وإثماً مضاعفاً كونه يقع في حضرة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ويمثّل جسارةً عليه فضلاً عن أن حرمانه من الطعام بسبب ذلك هو من الكبائر كما لا يخفى.

■ أكولةٌ ليس لها شغل إلا جوفها!

يظن المغفلون بناءً على بضع أحاديث روتها عائشة بنفسها أنها كانت مثلاً أعلى للزهد والكفاف، وأن هذه صفة طبيعية فيها فهي «الزاهدة العابدة التي لا همّ لها إلا الآخرة»!

غير أن الواقع خلاف ذلك تماماً، فإن عائشة كانت سَرْهبةً أُسحوبةً أكولةً شَروبةً نهمةً إلى الطعام كبهيمةٍ دنياها بطنها!

أخرج البيهقي بسنده عن عائشة قالت: «**رآني النبي صلى الله عليه وسلم وقد أكلتُ في اليوم مرّتيْن، فقال: يا عائشة! أما تحبّين أن يكون لكِ شغلٌ إلا جوفكِ**»؟!![2]

(١) مسند أحمد بن حنبل ج٣ ص١٠٤

(٢) سبل السلام لابن حجر العسقلاني ج٤ ص١٧٩ والترغيب والترهيب للمنذري ج٣ ص١٠١ عن البيهقي.

وأخرج البيهقي أيضاً أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال لعائشة: «**يا عائشة! اتخذتِ الدنيا بطنكِ! أكثر من أكلةٍ كل يوم سرف، والله لا يحب المسرفين**».(١)

أقول: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان أبعد الناس عن الانشغال بالأكل والشرب، وكان يضرب أروع الأمثلة في الزهد والكفاف، ويكفيك ما مرّت الإشارة إليه من أنه كان يشدّ على بطنه الشريف حجراً من شدة الجوع، وتفصيله ما أخرجه البيهقي عن أبي البجير قال: «**أصاب يوماً النبي صلى الله عليه وسلم الجوع، فوضع على بطنه حجراً ثم قال: ألا يا رُبَّ نفسٍ طاعمة ناعمة في الدنيا جائعة عارية يوم القيامة، ألا يا رُبَّ نفسٍ جائعة عارية في الدنيا طاعمة ناعمة يوم القيامة، ألا يا رُبَّ مكرمٍ لنفسه وهو لها مُهين، ألا يا رُبَّ مُهينٍ لنفسه وهو لها مُكرم، ألا يا رُبَّ مُتخَوِّضٍ ومتنعم في ما أفاء الله على رسوله ما له عند الله من خِلاق، ألا وإن عمل أهل الجنة حزنة بربوة، ألا وإن عمل النار سهلة بسهوة، ألا يا رُبَّ شهوة ساعة أورثت حزناً طويلاً**».(٢)

ولم يأكل سيد الأنبياء (صلى الله عليه وآله) لحماً قطُّ إلا عند من استضافه أو استضافهم، أي أنه لم يكن حين يأكل منفرداً في بيته يتناول شيئاً منه، أما إذا دُعي فإنه يأكل مع الآخرين اللحم الذي يقدّمونه، وكذا حين يضطر لدعوة الآخرين فإنه يقدّم لهم الخبز واللحم ويأكل

---

(١) كنز العمال للمتقي الهندي ج١٥ ص٢٦٢ والعهود المحمدية للشعراني ص٧٧٧ عن البيهقي.

(٢) شعب الإيمان للبيهقي ج٣ ص٤٩٩، والربوة: الأرض الصعبة المرتفعة، والسهوة: الأرض اللينة السهلة، والمراد أن عمل أهل الجنة صعب يقتضي منهم الزهد في الدنيا والإعراض عن ملذاتها، بخلاف عمل أهل النار فإنهم لا يضغطون على أنفسهم بشيء فيكون كل شيء في الدنيا لهم سهلاً إلا أنه ربما أورثتهم شهوة ساعة في الدنيا حزناً طويلا في الآخرة لأنهم عمدوا إلى الحرام وإن كان سهلاً وأعرضوا عن الحلال وإن كان صعباً.

معهم، وذلك حديث أنس بن مالك قال: «**إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يجتمع له غداء ولا عشاء من خبز ولحم إلا على ضَفَفٍ**».[١]

هكذا كان زهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الطعام، وهكذا كانت تعاليمه السامية وأخلاقه العالية. أما عائشة فإنها لم تتعلم منه شيئاً من ذلك! بل كانت على النقيض من ذلك تماماً كما وصفها (صلى الله عليه وآله) بقوله لها: «**اتخذتِ الدنيا بطنكِ!.. أما تحبّين أن يكون لكِ شغلٌ إلا جوفكِ**»!

وهذا يوقفنا على أن عائشة لن يكون لها أدنى وزن في الآخرة! بل لن تساوي عند الله حبة أو جناح بعوضة! وذلك لأن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: «**يؤتى بالرجل الأكول الشروب العظيم، فيوزن بحبة فلا يزنها**»! وفي لفظ آخر: «**فلا يزن عند الله جناح بعوضة**»! وقرأ صلى الله عليه وآله: «**فَلَا نُقِيمُ لهمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا**».[٢]

ويبدو أن حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) في عائشة قد شاع وذاع فعرف الناس أنها أكولة همّها بطنها وعلفها، وهو ما دفع المرأة لاحقاً إلى محاولة تغيير هذا الانطباع عنها بحركات تمثيلية وتصنّعات مضحكة! ومنها ما رواه ابن سعد عن مسروق قال: «**دخلتُ على عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وهي تبكي! فقلت: يا أم المؤمنين ما يبكيك؟ قالت: ما أشبع**»![٣]

ولا ندري من الذي حرم عائشة من الأكل حتى لا تشبع وتبكي جوعاً وهي التي كانت أميرة برجوازية أرستقراطية يُصرف لها من بيت المال طوال عهود أبي بكر وعمر وشطراً من

(١) صحيح ابن حبان ج١٤ ص٢٧٤ ومسند أحمد بن حنبل ج٣ ص٢٧٠

(٢) تفسير ابن كثير ج٥ ص٢٠٢ وسبل السلام لابن حجر العسقلاني ج٤ ص١٧٩.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٤٠١

عهد عثمان مضافاً إلى عهد معاوية ما لم تحلم به امرأة أخرى في الإسلام! كما لا ندري هل نصدّق رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي نصّ على أنها لا يشغلها إلا جوفها وقد اتخذت الدنيا بطنها أم نصدّقها وهي التي تبكي بشكل درامي مؤثر قائلةً: «**ما أشبع**»؟! أم أن الزهد والتقشف هبطا فجأة على الحميراء فانقلبت حالها إلى حال؟! وأي زهد يقرّه الإسلام وهو يستلزم ألماً وبكاءً وإضراراً بالنفس هكذا؟! ومَن ذا أمر عائشة أو رخّص لها أن تتزهّد هكذا حتى تبكي ألماً من شدة الجوع؟!

أم أن قولها: «**ما أشبع**» له معنى آخر هو أنها أصيبت بالداء الذي أصيب به معاوية حيث كان يأكل ويأكل دون أن يحسّ بالشبع وذلك لأن النبي (صلى الله عليه وآله) دعا عليه بقوله: «**لا أشبع الله بطنه**»[1] فكان معاوية يأكل في اليوم سبع مرات ومع ذلك يقول: «**والله لا أشبع ولكن أعيىٰ**»![2]

ولو كان هذا هو المعنى، أعني أن قول عائشة: «**ما أشبع**» هو أنها كانت تأكل وتأكل دون أن تشعر بالشبع كما قال معاوية: «**لا أشبع**»؛ لكان ذلك علامةً على كفرها أو نفاقها كما هو الحال بالنسبة إلى معاوية، وذلك لأن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: «**إن المؤمن يأكل في مِعىً واحد، وإن الكافر أو المنافق يأكل في سبعة أمعاء**»![3] أي أن المؤمن يكتفي بالقليل من

(١) صحيح مسلم ج٨ ص٢٧، والطريف أن المخالفين يجعلونه منقبة لمعاوية بتخطئة رسول الله (صلى الله عليه وآله) في الدعاء عليه لأنه لم يكن مستحقاً له **فينقلب الدعاء عليه إلى دعاء له!** قال النووي في شرح هذا الحديث: «**وقد فهم مسلم رحمه الله من هذا الحديث أن معاوية لم يكن مستحقاً للدعاء عليه! فلهذا أدخله في هذا الباب وجعله غيره من مناقب معاوية لأنه في الحقيقة يصير دعاءً له**»!

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ج٦ ص١٨٩

(٣) صحيح البخاري ج٦ ص٢٠١ ونحوه في صحيح مسلم ج٦ ص١٣٣ وغيرهما كثير.

الطعام فيشبع، أما الكافر والمنافق فيُكثران من تناول الطعام ولا يشبعان وكأن لهما سبعة أمعاء بدلاً من واحد.

إن العجيب أن هذه المرأة مع أنها كانت أكولةً أُسحوبةً فإنها كانت بخيلةً حصورةً على الآخرين! فقد روى مالك بن أنس: «**إن مسكيناً استطعم عائشة أم المؤمنين وبين يديها عنب، فقالت لإنسان: خذ حبةً فأعطه إياها! فجعل ينظر إليها ويعجب! فقالت عائشة: كم ترى في هذه الحبة من مثقال ذرة**»؟![1]

والظاهر أن عائشة تعلمت هذا البخل من حبيبها عمر بن الخطاب الذي صنع الصنيع ذاته في الموقف نفسه! فقد روى عبد بن حميد: «**أن عمر بن الخطاب أتاه مسكين وفي يده عنقود من عنب، فناوله منه حبة! ثم قال: فيها مثاقيل ذرٍّ كثير**»![2]

إن هذه المرأة الأكولة والبخيلة هي التي كانت تحرم رسول الله (صلى الله عليه وآله) من الطعام بكسر قصاعه ونثره على الأرض! فتأمل في هذه الأَثَرة والحقارة بالله عليك!

■ **سبّابة فاحشة اللسان!**

لم تكن عائشة بالمرأة التي تصون لسانها عن تناول الناس سباً وشتماً وإهانةً، ولم تتحلَّ قطُّ بالحلم والرفق، فما إن يقع بينها وبين أحد خلاف أو إحن في حق أو باطل إلا وأطلقت

---

(١) موطأ مالك ج٢ ص٩٩٧، ومكمن العجب أنّا قد وجدنا معاوية مثلاً وقد كان أكولاً جداً لدعاء النبي (صلى الله عليه وآله) بأن لا يُشبع الله بطنه، إلا أنه لم يكن بخيلاً فكان ينفق ويجود على الناس ولو للمُلك والسلطان، إلا أن عائشة لم تكن تفعل ذلك!

(٢) كنز العمال للمتقي الهندي ج٦ ص٥٧٠ عن عبد بن حميد. وقارن هذه المواقف مع موقف أهل البيت الأطهار (عليهم السلام) الذين نزلت فيهم سورة الإنسان وجعلهم الله مضرب المثل في الجود والإحسان.

للسانها العنان حتى تجعل خصمها **يجفّ ريقه في فمه** من سلاطتها كما فعلت بزينب بنت جحش حين تسابَّت وإياها**!**[١]

وكما فعلت بالسيدة الجليلة مارية القبطية (رضوان الله تعالى عليها) حيث **قذعت لها وكالتها الشتائم الفاحشة حتى أجزعتها** فاضطر الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى أن يحوّلها إلى العالية**!**[٢]

ومع أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان قد نهر عائشة عن الخنى والفحش قائلاً: «**يا عائشة؛ لا تكوني فاحشة! فإن الله لا يحبّ الفحش والتفحّش**»[٣] إلا أنها ما انفكّت عن سفالتها**!** فصوّر لنا التاريخ صوراً متعددة عن قباحات لسانها القذر**!**

ومن تلك الصور ما رواه أبو داود بسنده عن عائشة قالت: «**قلتُ للنبي صلى الله عليه وسلم: حسبك من صفية كذا وكذا! فقال: لقد قلتِ كلمةً لو مُزِجَتْ بماء البحر لمزجته**»**!**[٤]

إن الكلمة النابية التي وصفت بها عائشة صفيّة زوج النبي (صلى الله عليه وآله) كانت من القبح بقدرٍ استلزم حجبها إما من عائشة نفسها أو من الراوي، فوُضع مكانها: «**كذا وكذا**»!

---

(١) راجع ص٣٠٤ من هذا الكتاب.

(٢) راجع هامش ص٤٠٦ من هذا الكتاب.

(٣) صحيح مسلم ج٧ ص٥

(٤) سنن أبي داود ج٢ ص٤٥٠، وقد كانت ثمة جولات من السباب المتبادل بين عائشة وصفية على ما رواه ابن سعد في الطبقات ج٨ ص٨٠ عن عائشة قالت: «**كنت أستبُّ أنا وصفية! فسببتُ أباها فسبّت أبي**»**!** والأرجح أن البادئة فيها كانت عائشة لأنها كانت تغتاب صفية وتهينها في محضر النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) كما في الرواية التي نحن بصددها.

والذي يوقفنا على مقدار ما انطوت عليه هذه الكلمة النابية من معاني قبيحة وقذرة أن النبي (صلى الله عليه وآله) وصفها بأنها «**لو مُزِجَتْ بماء البحر لمزجته**»! أي أنها من شدة قُبحها ونتنها فإنها تنجِّس وتفسد ماء البحر كلّه لو مُزجت به! وهذا ما قرّره النووي في شرحه لهذا الحديث حيث قال: «**ومعنى: مزجته؛ خالطته مخالطةً يتغيّر بها طعمه أو ريحه لشدة نتنها وقبحها**»![1]

فانظر أي كلمة نابية بذيئة قد صدرت من عائشة حتى عبّر النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) عنها بهذا التعبير! وانظر كيف أكلت عائشة لحم أختها صفية إذ اغتابتها وقد قال الله تعالى: «**وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ**»؟![2]

وتعلم بناء على ذلك أن مكان عائشة الآن في النار وهي تأكل الجيف! لأن النبي (صلى الله عليه وآله) ليلة أُسريَ به «**نظر في النار فإذا قومٌ يأكلون الجيف! فقال: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس**»![3]

وامتد لسان عائشة القذر على السيدة الجليلة أم سلمة (رضوان الله تعالى عليها) حين سخرت منها أمام صاحبتها حفصة قائلةً: «**انظري ما تجرّ خلفها كأنه لسان كلب**»! فاستوجب ذلك نزول آية في ذمّهما من ربّ العالمين سبحانه وتعالى.

---

(١) رياض الصالحين للنووي ص٥٩٨

(٢) الحجرات: ١٣

(٣) مسند أحمد ج١ ص٢٥٧، ومن نافلة القول هنا أن بعض المخالفين حاولوا التقليل من قبح الكلمة التي نطقت بها عائشة لعنها الله، فقالوا: «**تعني قصيرة**» كما نسبه أبو داود إلى غير الراوي للحديث الذي هو مسدّد. ولسنا ندري أي سفاهة هذه؟! فإنه لو كان معنى «**كذا وكذا**» مجرد قولها: «**إن صفية قصيرة**» لما احتاج إلى حجبه وإخفائه ولما عبّر النبي (صلى الله عليه وآله) عن هذه الكلمة بأنها: «**لو مُزِجت بماء البحر لمزجته**»! وهذا يومئ إلى أن الكلمة كانت فاحشة بذيئة قذرة إلى أقصى حد بحيث أن ماء البحر لا يطهّرها!

ففي بيان سبب نزول قوله تعالى: «**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**»[1] روى الواحدي النيسابوري والقرطبي واللفظ للأخير: «**قال المفسّرون: نزلت في امرأتيْن من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم سخرتا من أم سلمة، وذلك أنها ربطت خصريها بسبيبة - وهو ثوب أبيض، ومثلها السِّبْ - وسدلتْ طرفيها خلفها فكانت تجرّها، فقالت عائشة لحفصة رضي الله عنهما: انظري ما تجرّ خلفها كأنه لسان كلب! فهذه كانت سخريتهما**»![2]

ولم تقتصر بذاءات وشتائم عائشة على أحد دون أحد، فكما سبّت أم ولد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وثلاث من «أمهات المؤمنين» فإنها قد سبّت أحد «الخلفاء الراشدين» على حسب معتقد أهل الخلاف! فقالت حين احتدم الخلاف بينها وبين عثمان بن عفان: «**أشهد أن عثمان جيفة على الصراط غداً**»![3]

وكانت تلقي بشتائمها في وجهه جهاراً نهاراً! فقد روى الثقفي عن أبي عامر مولى ثابت قال: «**كنتُ في المسجد فمرّ عثمان فنادته عائشة: يا غادر يا فاجر! أخربتَ أمانتك وضيّعتَ رعيّتك، ولولا الصلوات الخمس لمشى إليك رجال حتى يذبحوك ذبح الشاة**»![4]

وقد انضمت حفصة إلى عائشة في حملتها على عثمان، فكانتا تتناولانه وتقذعانه حتى وهو يتوجّه إلى المحراب ليؤمّ الناس! الأمر الذي دفع عثمان إلى الإفتاء بجواز سبّهما مع أنهما

---

(١) الحجرات: ١٢

(٢) أسباب النزول للواحدي النيسابوري ص٢٦٤ وتفسير القرطبي ج١٦ ص٣٢٦

(٣) شرح النهج لابن أبي الحديد ج٢٠ ص٢٢

(٤) مجمع النورين للمرندي ص١٢١ عن تاريخ الثقفي.

زوجتا النبي (صلى الله عليه وآله) وذلك لأنهما تُحدثان فتنة! فقد روى الجوهري عن أبي كعب الحارثي قال في حديث: «**ثم أقيمت الصلاة فتقدّم عثمان فصلّى بهم، فلمّا كبّر قالت امرأة من حجرتها: يا أيها الناس! ثم تكلّمت وذكرت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما بعثه الله به، ثم قالت: تركتم أمر الله وخالفتم عهده.. ونحو هذا، ثم صمتت. وتكلّمت امرأة أخرى بمثل ذلك، فإذا هما عائشة وحفصة! قال: فسلّم عثمان ثم أقبل على الناس وقال: إن هاتيْن لفتّانتان يحلّ لي سبّهما! وأنا بأصلهما عالم**»![1]

وقوله: «**وأنا بأصلهما عالم**» يومئ إلى ما سبق بيانه في الفصل الأول من رذالة البيت الذي وُلدت فيه عائشة، وهو يماثل في السفالة والحقارة البيت الذي وُلدت فيه حفصة، فقد تقدّم قول عثمان في عائشة: «**من لي بهذه الحميراء؟ إنها لمن شرِّ بيت من قريش**»![2]

وقد بلغ من عداوة عائشة لعثمان حد كشفها سراً خطيراً عن النبي صلى الله عليه وآله، وهو أنه وصف عثمان بأنه **فرعون هذه الأمة** وأنه قد لعنه وما استغفر له حتى استشهد! وكان ذلك حين هدّدها عثمان بأن يُدخل عليها **حُمران الرجال وسودانها** في حجرتها لتأديبها فلم تتحمّل فأخرجت هذه الأحاديث إلى العلن وجبهته بها!

روى الثقفي في تاريخه عن الحسن بن سعيد قال: «**رفعت عائشة ورقات من ورق المصحف بين عوديْن من وراء حجابها وعثمان على المنبر، فقالت: يا عثمان! أقم ما في كتاب الله، إن تصاحب تصاحب غادراً! وإن تفارق تفارق عن قلىً! فقال عثمان: أما والله لتنتهينَّ أو لأُدخلنَّ عليك حُمران الرجال وسودانها! قالت عائشة: أما والله إن فعلتَ لقد لعنكَ رسول**

---

(١) السقيفة وفدك للجوهري ص٨٢ وعنه شرح النهج لابن أبي الحديد ج٩ ص٥، وفتوى عثمان ههنا نقبلها دونما تردّد! وليت المخالفين يمضون عليها فإنها صادرة عمّن «تستحي منه الملائكة»!

(٢) راجع ص٢٠٥ من هذا الكتاب.

الله صلى الله عليه وسلم ثم ما استغفر لك حتى مات! (...) أشهد أن رسول الله قال: إن لكل أمة فرعون، وإنكَ فرعون هذه الأمة»![(١)]

ولم يكن هذا الخلاف بين الطرفين إلا بسبب أن عثمان أخّر بعض مخصصات عائشة المالية بعض الوقت أو أنقصها! فهاجت الحميراء وغضبت وبدأت تؤلّب على قتل عثمان لأنها لم تكن تطيق أن يُحبس عنها درهم واحد من بيت مال المسلمين! فقد روى ابن أعثم والفخر الرازي واللفظ للأول: «**وعزمت عائشة على الحج، وكان بينها وبين عثمان قبل ذلك كلام، وذلك أنه أخَّرَ عنها بعض أرزاقها إلى وقت من الأوقات، فغضبت! ثم قالت: يا عثمان! أكلتَ أمانتك وضيّعتَ رعيّتك وسلّطت عليهم الأشرار من أهل بيتك! لا سقاك الله الماء من فوقك! وحرمك البركة من تحتك! أما والله لولا الصلوات الخمس لمشى إليك قوم ذو ثياب وبصائر يذبحوك كما يُذبح الجمل! فقال لها عثمان: ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ!**

وكانت عائشة تحرّض على قتل عثمان جهدها وطاقتها! وتقول: أيها الناس! هذا قميص رسول الله لم يبلِ وبليَت سنته! اقتلوا نعثلاً! قتل الله نعثلاً! (...) ثم إنها خرجت تريد مكة، فلقيها ابن عباس فقالت له: يابن عباس! إنك قد أوتيتَ عقلاً وبياناً فإياك أن تردّ الناس عن قتل هذا الطاغي عثمان»![(٢)]

---

(١) مجمع النورين للمرندي ص١٢١ عن تاريخ الثقفي.

(١) الفتوح لابن أعثم الكوفي ج١ ص٤٢١ والمحصول للفخر الرازي ج٤ ص٣٤٣، والنعثل على ما في بعض المعاجم: الشيخ الأحمق! وقيل: هو رجل يهودي طويل اللحية وكثير الشعر شُبِّه به عثمان. وقد وردت عبارة عائشة الشهيرة: «**اقتلوا نعثلاً فقد كفر**» في كثير من المصادر منها تاريخ الطبري ج٤ ص٤٧٧ وتاريخ ابن الأثير ج٣ ص٨٧ والإمامة والسياسة لابن قتيبة ج١ ص٧٢، أما في شرح النهج لابن أبي الحديد ج٢ =

وروى ابن أبي الفتح الإربلي: «**ولمّا وُلِّيَ عثمان قالت له عائشة رضي الله عنها: أعطني ما كان يعطيني أبي وعمر. فقال: لا أجد له موضعاً في الكتاب ولا في السنة، ولكن كان أبوك وعمر يعطيانك عن طيبة أنفسهما، وأنا لا أفعل! قالت: فأعطني ميراثي من رسول الله. فقال: أليس جئتِ فشهدتِ أنتِ ومالك بن أوس النضري أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: لا نورّث؟! فأبطلتِ حق فاطمة وجئت تطلبينه! لا أفعل!**

فكان إذا خرج إلى الصلاة نادت وترفع القميص وتقول: إنه قد خالف صاحبَ هذا القميص! فلمّا آذته صعد المنبر فقال: إن هذه الزعراء[1] عدوة الله! ضرب الله مثلها ومثل صاحبتها حفصة في الكتاب امرأة نوح وامرأة لوط، كانتا تحت عبدَيْن من عبادنا صالحَيْن فخانتاهما - إلى قوله - وقيل ادخلا النار مع الداخلين! فقالت له: يا نعثل يا عدوّ الله! إنما سمّاك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باسم نعثل اليهودي الذي باليمن! فلاعنته ولاعنها وحلفت أن لا تساكنه بمصر أبداً وخرجت إلى مكة».[2]

وسبّبت هذه المشاحنات حقداً عظيماً في صدر عائشة على عثمان بحيث أنها كانت تتمنى أن تقتله بإلقائه في البحر! فكانت تقول: «**والله لوددت أنه في مقطع في غرارة من غرائري هذه**

= ص٧٧ فقد ورد أن عائشة «**أول من سمّى عثمان نعثلاً**» غير أنه سيأتي أن عائشة أقرّت أنها إنما أخذت هذه التسمية له من رسول الله (صلى الله عليه وآله) حيث كان هو الذي سمّى عثمان بنعثل.

(١) الزعراء يحتمل معانٍ حسب المعاجم: إما شرسة الخلق! أو صلعاء قليلة الشعر! أو المنكوحة! أما الأول فظاهر، وأما الثاني فيُسأل فيه عثمان أنه كيف اطلع على رأسها وشعرها فوصفه؟! وأما الثالث فلا تكشفنَّ مغطئاً فلربما كشفت جيفة! ولربّ مستورٍ بدا كالطبل من تحت القطيفة!

(٢) كشف الغمة لابن أبي الفتح الإربلي ج٢ ص١٠٨

وأني أطيق حمله فأطرحه في البحر»![١]

غير أنك تعلم بأن عائشة رغم أنها استبشرت بقتل عثمان أخيراً وقالت: «**أبعده الله! قتله ذنبه! وأقاده الله بعمله**»![٢] فإنها حين سمعت بأن الأمة قد اجتمعت على أمير المؤمنين (عليه السلام) تبايعه؛ ثارت ثائرتها وولولت حيث كانت قد ذهبت أمانيها بأن يتولى الخلافة ابن عمها طلحة أدراج الرياح! وقالت لمن أبلغها بنبأ خلافة علي عليه السلام: «**والله ليت أن هذه انطبقت على هذه إن تمّ الأمر لصاحبك! ويحك انظر ما تقول؟! قال: هو ما قلتُ لكِ يا أم المؤمنين! فولولت! فقال لها: ما شأنك يا أم المؤمنين؟! والله لا أعرف بين لابتيها أحداً أولى بها منه ولا أحق ولا أرى له نظيراً في جميع حالاته، فلماذا تكرهين ولايته! (...) فصاحت: ردّوني ردّوني! تعسوا! تعسوا! لا يردّون الأمر في تيم أبداً! فانصرفت إلى مكة وهي تقول: قُتل والله عثمان مظلوماً! والله لأطلبنَّ بدمه! فقال لها ابن أم كلاب: ولِمَ؟ فوالله إن أول من أمال حرفه لأنتِ! فلقد كنتِ تقولين: اقتلوا نعثلاً فقد كفر! قالت: إنهم استتابوه ثم قتلوه، وقد قلتُ وقالوا، وقولي الأخير خيرٌ من قولي الأول**»![٣]

وبسبب هذا الانقلاب في الموقف، نال آخرون نصيبهم من شتائم وسلاطة لسان عائشة ممن كانوا قد شاركوا في قتل «**هذا الطاغي عثمان**» بحسب تعبير عائشة نفسها بالأمس! وكان من بين هؤلاء أخوها **محمد بن أبي بكر** الذي غيّرت اسمه من محمد إلى **مذمَّم!**

---

(١) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص١٧٦ ونحوه في أنساب البلاذري ج٥ ص٧٥ وشرح النهج لابن أبي الحديد ج٣ ص٨، والغرائر: أوعية يوضع فيها التبن!

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ج٦ ص٢١٦

(٣) شرح النهج لابن أبي الحديد ج٦ ص٢١٦ وأنساب البلاذري ج٥ ص٩١، وتقصد من قولها: «**لا يردّون الأمر في تيم أبدا**» أنهم لا يرجعون الحكم إلى قبيلتها قبيلة بني تيم بن مرة ولا يعطون الخلافة لمرشّحها ابن عمّها وحبيب قلبها طلحة بن عبيد الله!

روى الطبري في مجريات بُعَيْد انتهاء معركة الجمل التي قادتها عائشة بسنده عن شريك قال: «**انتهى محمد بن أبي بكر ومعه عمّار فقطع الأنساع عن الهودج واحتملاه، فلمّا وضعاه أدخل محمد يده وقال: أخوكِ محمد، فقالت: مُذمَّم! قال: يا أخيَّةُ هل أصابك شيء؟ قالت: ما أنتَ من ذاك؟ قال: فمن إذن؟ الضُّلّال؟! قالت: بل الهداة**»!(١)

هكذا وصمت عائشة أخاها بأنه مذموم! وحين أراد أن يعلو على الجراح ويتخلّق بالمكارم ويستخبر حالها ليرى هل أصابها شيء من النبال والسهام قالت له: «**ما أنتَ من ذاك**»؟ أي وما شأنك أنت أن تسأل عني! فأنت من أنصار علي لا من أنصاري! وقد وقفت ضد أختك! فما شأنك تسأل عن حالي إن كنتُ سليمة أم جريحة؟! فكان من ردّ الرجل الشهم محمد أن قال لها: «**فمن إذن؟ الضُّلّال**»؟! أي مَن تراه يسأل عنكِ إذن؟ هؤلاء الضالون الناكثون الذين قدتيهم إلى هذه المجرزة؟! فردّت عليه بوقاحتها المعهودة إصراراً على العناد واللجاج: «**بل الهداة**»! أي هؤلاء هم المهتدون وأنت وصاحبك علي وشيعته هم الضالون! والعياذ بالله.

وحينما حَمِلَ محمد بعد ذلك أخته إلى دار **عبد الله بن خلف الخزاعي** في البصرة بأمر أمير المؤمنين عليه السلام؛ لم يفتُر لسانها ولم يسكُن عن سبّهما معاً والترحّم على أصحابها المقتولين! مع أنها قُبَيْل ذلك توسّلت بأن يصفح عنها أمير المؤمنين (عليه السلام) ويحرسها ويحفظها ففعل، وهكذا قابلت إحسانه إليها!

روى المفيد عن محمد بن أبي بكر أن أمير المؤمنين (عليه السلام) ناداه قائلاً: «**سَلْها هل وصل إليها شيء من الرّماح والسّهام؟ فسألها، قالت: نعم؛ وصل إليَّ سهم خدش رأسي وسَلِمتُ من غيره، الله بيني وبينكم! فقال محمد: والله ليحكمنَّ عليك يوم القيامة ما كان**

(١) تاريخ الطبري ج٣ ص٥٣٩

بينك وبين أمير المؤمنين عليه السلام حتى تخرجين عليه وتـؤلِّبين النـاس عـلى قتالـه وتنبـذي كتاب الله وراء ظهركِ! فقالت: دعنا يا محمد وقُل لصاحبك يحرسني! وكان الهـودج كالقنفـذ من النبل. فرجعتُ إلى أمير المؤمنين عليه السلام وأخبرته بما جرى بيني وبينها وما قلـتُ ومـا قالت. فقال عليه السلام: هي امرأة! والنساء ضِعاف العقـول! فتـولَّ أمرهـا واحملهـا إلى دار عبد الله بن خلف حتى ننظر في أمرها. فحملتُها إلى الموضع وإنّ لسانها لا يفـتُر مـن الـسبِّ لي ولعليٍّ والترحّم على أصحاب الجمل»![1] هذا بدلاً من أن تستغفر وتسبّح الله تعالى بعـد هـذه الملحمة التي أوقعتها بين المسلمين!

واختزنت عائشة منذ ذلك الوقت حقداً على أخيها محمد لا لـشيء سـوى أنـه وقـف إلى جانب الحق ونصر أخا رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقاتل معه الناكثين البغـاة، ولم يلتفـت إلى كون عائشة أختاً له بعدما خرجت على الحق والخليفة الشرعي وأحدثت في الأمة كل هذه المأساة! فإن نصرة الدين وأهله أولى من نصرة الأهل والعشيرة.

وكان من حقد عائشة على أخيها أنها كانت تدعو عليه بأن يقتله الله ويبيده إبادة شـاملة! فقد روى البخاري والطبراني عن طلق بن خشاف قال: «**أتيتُ عائشة فقلت: فـيمَ قُتِـلَ أمـير المؤمنين؟** - يقصد عثمان - **قالت: قُتِلَ مظلوماً! لعن الله قتلته! أباد الله ابن أبي بكر**»![2]

وروى ابن عبد ربه الأندلسي والجاحظ أن عائشة كانت تقول: «**قتل الله مُذَمَّماً بسعيه على عثمان! تريد محمداً أخاها**».[3]

---

(١) الجمل للمفيد ص١٩٧

(٢) التاريخ الصغير للبخاري ج١ ص١٢١ ومعجم الطبراني ج١ ص٨٨ واللفظ للأول.

(٣) العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي ج٤ ص٢٩٥ والبيان والتبيين للجاحظ ج٢ ص٢١٠

ومن الذين نالوا قسطاً من شتائم عائشة **أبو سعيد بن عقيل بن أبي طالب** الذي اغتاظت منه الحميراء بسبب ردّه على ابن أختها عبد الله بن الزبير في مجلس معاوية، فسبّته في فنائها قائلة: «**يا أحول! يا خبيث**»!

روى ابن عبد ربه الأندلسي عن الشعبي قال: «**دخل الحسن بن علي على معاوية وعنده ابن الزبير وأبو سعيد بن عقيل بن أبي طالب، فلما جلس الحسن قال معاوية: يا أبا محمد، أيهما كان أكبر: علي أم الزبير؟ قال: ما أقرب ما بينهما، علي كان أسنّ من الزبير، رحم الله علياً. فقال ابن الزبير: ورحم الله الزبير! فتبسّم الحسن. فقال أبو سعيد بن عقيل بن أبي طالب: دع عنك علياً والزبير، إن علياً دعا إلى أمرٍ فاتُّبِعَ وكان فيه رأساً، ودعا الزبير إلى أمرٍ كان فيه الرأس امرأة!**[1] **فلما تراءت الفئتان والتقى الجمعان نكص الزبير على عقبيه وأدبر منهزماً قبل أن يظهر الحق فيأخذه أو يدحض الباطل فيتركه! فأدركه رجل لو قيس ببعض أعضائه لكان أصغر! فضرب عنقه وأخذ سلبه وجاء برأسه، ومضى عليٌّ قُدُماً كعادته من ابن عمه ونبيه صلى الله عليه وسلم، فرحم الله علياً ولا رحم الزبير! فقال ابن الزبير: أما والله لو أن غيرك تكلم بهذا يا أبا سعيد لعلم، قال: إن الذي تُعرِّضُ به يرغب عنك.**[2] **وأُخبرت عائشة بمقالتهما، فمرّ أبو سعيد بفنائها فنادته: يا أحول يا خبيث! أنت القائل لابن أختي كذا وكذا؟! فالتفت أبو سعيد فلم ير شيئاً، فقال: إن الشيطان ليراكَ من حيث لا تراه! فضحكت عائشة وقالت: لله أبوك! ما أخبث لسانك**»![3]

---

(١) أي أن الزبير إنما دعا إلى إمرة وولاية امرأة هي الحميراء عائشة! فكان رجلاً تحت امرأة!

(٢) قصد ابن الزبير أن يستثير الإمام الحسن (صلوات الله عليه) بالتعريض به ههنا، غير أن أبا سعيد ردّ عليه بأنه (عليه السلام) إنما يغضي عنه إذ لا يراه أهلاً لأن يُردَّ عليه في هذا الموقف.

(٣) العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي ج٤ ص١٤ وشرح النهج ج٣ ص٧

ومما يلفت النظر في هذا الخبر أن أبا سعيد بن عقيل وصف عائشة بعدما سبّته بالشيطان كما وصفها بذلك أمير المؤمنين (عليه السلام) ومن قبله أخوه رسول الله (صلى الله عليه وآله) وشيعتهما من المؤمنين كما تقدّم، فكلٌّ يدرك طبيعتها الشيطانية. غير أن المضحك أن عائشة ردّت عليه بقولها: «**ما أخبث لسانك**»! وكأن لسانها هي كان يسيل منه العسل لا القذارات والقبائح والخبائث الكلامية! وكأن قولها له قبل قليل: «**يا أحول! يا خبيث**»! كان كَلِماً طيّباً!

هكذا كانت أخلاق عائشة! وهكذا كانت سلاطة لسانها الذي طالما أوردها الموارد، لأنه كان منفلتاً لا حدّ له! وما ذلك إلا لأنها ورثت هذه الخصلة الرذيلة من أبيها الذي اعترف بطول لسانه وفُحشه وأنه قد سبّب وروده موارد الهلكة! فعن قيس بن حازم قال: «**رأيتُ أبا بكر آخذاً بطرف لسانه وهو يقول: هذا الذي أوردني الموارد**»![1] وعن عمر بن الخطاب أنه: «**دخل على أبي بكر وهو ينصنصُ لسانه ويقول: إن ذا أوردني الموارد**»![2]

ولا يخفى أن سوء أدب عائشة وبذاءة لسانها كاشفان عن أنها لم تكن مسلمة حقاً وصدقاً بل كانت فاسقة! ذلك لأن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «**المسلم من سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده**».[3] وقال صلى الله عليه وآله: «**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**».[4]

وعائشة لا سَلِمَ المسلمون من لسانها ولا سَلِموا من يدها إذ قتلت منهم يوم الجمل وحده آلافاً مؤلّفة منهم، فهي ليست بمسلمة حقاً!

---

(١) الرياض النضرة في مناقب العشرة للمحب الطبري ج١ ص٩١

(٢) المصدر نفسه ونحوه في ثقات ابن حبان ج٢ ص١٧١ والزهد لابن أبي عاصم ج١ ص٢٢، والنصنصة: التحريك، أي أن أبا بكر كان يحرّك لسانه كما يحرّكه الكلب متحسّراً على ما كان منه بسببه!

(٣) صحيح البخاري ج١ ص٨ وصحيح مسلم ج١ ص٤٨

(٤) صحيح البخاري ج١ ص١٧ وصحيح مسلم ج١ ص٥٨

وعائشة لا تجد لها نظيراً في الصدر الأول في كثرة السِّباب وطول اللسان على المسلمين الأبرياء، فهي فاسقة!

وعائشة قاتلت أخا رسول الله (صلى الله عليه وآله) جهاراً نهاراً، فهي كافرة!

هكذا يكون الحكم الشرعي على السبّابة القارصة عائشة بمقتضى أحاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) التي يرويها المخالفون في صحاحهم المعتبرة، ومن يردّ ذلك بعد الذي ظهر من قبح لسانها ففي فيه التراب! كما قال الشاعر:

جِرِبّانةٌ وَرْهاءُ تَخصي حِمارَها   بِفي مَنْ بغى خَيراً إليها الجَلامدُ![1]

■ **عند عائشة.. الولد للعاهر وللفراش الحجر!**

من الأحكام بل القواعد الثابتة المعلومة في الإسلام الحكم بانتساب المولود إلى الذي وُلد على فراشه حتى وإن كانت ثمة شبهة في صحة هذه النسبة بسبب زنا الأم ومضاجعتها غير زوجها، فما لم تقم حجة قطعية على نفي الولد من أبيه فإنه يُحكم شرعاً بانتسابه إليه ولا يكفي الظن بأنه ولد غيره بدعوى أن أمه قد زنت أو وطأها رجل آخر، حتى وإن تقوّى هذا الظن ببعض الأمارات غير المعتبرة شرعاً كقول القافة أو وجود الشبه أو حتى تحليل الدم؛ على خلاف بين الفقهاء في الأخير.

وهذا الحكم ينطلق من قول رسول الله (صلى الله عليه وآله) المشهور شهرة واسعة حتى كاد أن يكون من الضروريات، وهو: «**الولد للفراش وللعاهر الحجر**». أي أن الولد لصاحب الفراش الذي هو زوج الأم، أما العاهر فليس له أن يستلحق هذا الولد الذي زنا بأمه وليس

---

(١) الجِرِبّانة: الصخّابة سيئة الخُلُق. والوَرْهاء: المتعجرفة. وتَخصي حمارها: كناية عن قلة حياءها.

له إلا الحجر يُرمى به؛ كناية عن دفعه وطرده وعدم قبول دعواه. فأي امرأة كان لها زوج أو مالك ووطأها رجل آخر ثم ولدت، كان المولود ابناً لذلك الزوج أو المالك بحكم الإسلام ولا يكون ابناً للعاهر الزاني.

وقد كانت عائشة عالمةً بهذا الحكم الثابت وواقفةً عليه، لأنها روت حادثة وقع فيها التنازع بين **سعد بن أبي وقاص وعبد بن زَمْعَة** في ولدٍ كان **عُتبة** أخو سعد قد طالب به لأنه زنا بأمه فيما كان عبدٌ يرفض لأنه أخوه من وليدة أبيه **زمعة بن قيس**، ففصل رسول الله (صلى الله عليه وآله) بينهما بقوله: «**الولد للفراش وللعاهر الحجر**» وقضى بانتساب الولد إلى زمعة وردّ دعوى سعد وأخيه العاهر.

أخرج البخاري عن عائشة قالت: «**كان عُتبة بن أبي وقاص عَهِدَ إلى أخيه سعد بن أبي وقاص أن ابن وليدة زَمْعَةَ مني فاقبضه. قالت: فلمّا كان عام الفتح أخذه سعد بن أبي وقاص وقال: ابن أخي قد عَهِدَ إليَّ فيه، فقام عبدُ بن زمعة فقال: أخي وابن وليدة أبي وُلِدَ على فراشه، فتساوقا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال سعد: يا رسول الله ابن أخي كان قد عَهِدَ إليَّ فيه، فقال عبد بن زمعة: أخي وابن وليدة أبي وُلِدَ على فراشه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هو لك يا عبد بن زمعة ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم الولد للفراش وللعاهر الحجر. ثم قال لسودة بنت زَمعة زوج النبي صلى الله عليه وسلم: احتجبي منه، لما رأى من شبهه بعتبة، فما رآها حتى لقي الله**».[1]

---

(١) صحيح البخاري ج٣ ص٤، وأمره (صلى الله عليه وآله) سودة بالاحتجاب منه مع أنه أخوها بحكم الشرع هو من باب الاحتياط.

إن عائشة التي تروي هذا الحديث الذي يتضمن حكم الله ورسوله (صلى الله عليه وآلـه) في أن الولد للفراش وللعاهر الحجر؛ هي نفسها التي خالفته مخالفةً سافرةً وضربت به عرض الجدار إذ حكمت بالعكس فأثبتت الولد للعاهر لا لصاحب الفراش الذي وُلد عليه!

جرى ذلك حين ألحقت **زياد بن أبيه** بأبي سفيان بن حرب بدلاً مـن أبيـه الـشرعي **عُبيـد الثقفي**!

كان عُبيد هذا قد تزوّج بامرأة هي **سميّة** مولاة **الحارث بن كلدة الثقفي** الذي كان طبيب العرب، وكان هؤلاء جميعاً يقطنون الطائف، وخلال تلك الفترة سافر أبو سفيان من مكة إلى الطائف فطلب من أحد الخمّارين وهو **أبو مريم السلولي** عاهرة ليزني بها، فجاء أبـو مـريم لـه بسمّية مع أنها كانت ذات بعل، فوقع عليها. ثم إن سـمّية ولـدت زيـاداً فنُـسب اعتياديـاً إلى زوجها عُبيد، إلا أن أبا سفيان كان يومئ إلى كون هذا الولد منـه، وكـان يرغـب باسـتلحاقه لولا أن حكم الإسلام - في أن الولد للفراش وللعاهر الحجر - كان له بالمرصـاد، فلـم يكـن يجرؤ على مثل هذه الخطوة في ظل سيف الإسلام الذي أمات أحكام الجاهلية، وإلا هوى هذا السيف على رقبته إذا تحدّاه!

وبقي زياد منسوباً إلى أبيه عُبيد حتى هلك أبـو سـفيان في عهـد عـثمان. وفي عهـد أمـير المؤمنين (صلوات الله عليه) حاول معاوية استمالة زيادٍ الذي كـان عـاملاً لابـن عبـاس عـلى البصرة، وكان ابن عباس عاملاً بدوره لأمير المؤمنين عليه السلام. كان معاوية يحـاول إغـواء زيادٍ ودفعه إلى خيانة أمير المؤمنين (عليه السلام) ونقض بيعته، مغريـاً إيـاه باسـتلحاقه بأبيـه أبي سفيان ويكون له بذلك فخر قريش وبني أمية، فقد استغلّ معاوية شـعور زيـادٍ بـالنقص وحبّه للفخر والعزة، فأن يكون ابناً لأبي سفيان وهو من أشراف قريش خيرٌ من أن يكون ابنـاً لعُبيد وما هو إلا عبد رومي للحارث الثقفي!

ونمىٰ خبر المراسلات بين معاوية وزياد إلى أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فكتب إليه كتاباً بليغاً يحذّره فيه من خدعة معاوية، فقد جاء في نهج البلاغة: «**ومن كتاب له عليه السلام إلى زياد بن أبيه وقد بلغه أن معاوية كتب إليه يريد خديعته باستلحاقه: وَقَدْ عَرَفْتُ أَنّ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَيْكَ يَسْتَزِلُّ لُبّكَ وَيَسْتَفِلُّ غَرْبَكَ! فَاحْذَرْهُ فَإِنّمَا هُوَ الشّيْطَانُ، يَأْتِي الْمُؤْمِنَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ، وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، لِيَقْتَحِمَ غَفْلَتَهُ؛ وَيَسْتَلِبَ غِرّتَهُ. وَقَدْ كَانَ مِنْ أَبِي سُفْيَانَ فِي زَمَنِ عُمَرَ فَلْتَةٌ مِنْ حَدِيثِ النّفْسِ وَنَزْعَةٌ مِنْ نَزَعَاتِ الشّيْطَانِ؛ لَا يَثْبُتُ بِهَا نَسَبٌ وَلَا يُسْتَحَقُّ بِهَا إِرْثٌ، وَالْمُتَعَلّقُ بِهَا كَالوَاغِلِ الْمُدَفّعِ، وَالنّوْطِ الْمُذَبْذَبِ. فلمّا قرأ زيادٌ الكتاب قال: شَهِدَ بها وربّ الكعبة! ولم تزل في نفسه حتى ادّعاه معاوية**»![1]

أي أن زياداً بدلاً من أن ينتصح بكتاب أمير المؤمنين (عليه السلام) فيحذر خدعة معاوية فإنه اعتبر إشارته (عليه السلام) إلى فلتة أبي سفيان شهادة منه على إقراره بأنه ابنه! وظلّت هذه الأمنية في نفسه حتى ادّعاه معاوية رسمياً!

وهذه الفلتة التي كانت من أبي سفيان زمن عمر بن الخطاب والتي أشار إليها أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذا الكتاب ونصّ على أنه لا يثبت بها نسب ولا يُستحقّ بها إرث؛ هي التي يروي تفاصيلها ابن عبد البرّ عن ابن عباس قال: «**بعث عمر بن الخطاب زياداً في**

---

(١) نهج البلاغة ج٣ ص٦٩، ويستزل لبّك: يستزلّ قلبك أي يخدعك. ويستفلّ غرْبك: يثلم قوتك ونشاطك أي يُفسد عملك. ويستلب غِرّته: يستلب سذاجته. والواغل المدفّع: الذي يهجم على الناس ليشرب بغير رضيً منهم فيدفعونه. والنّوط المذبذب: ما يُناط برحل الراكب من كأس أو قدح أو ما أشبه ذلك فيتذبذب ويتقلقل يُمنةً ويُسرة، والمراد أنك يا زياد إذا ألحقت نفسك بأبي سفيان وبني أمية فستذل وتهين نفسك لأن الناس لن يقبلوا بذلك وكذا بنو أمية أنفسهم، فمثلك مثل الذي يقتحم على جماعة ليشرب من مائهم فيدفعونه، ومثل الأشياء المتذبذبة في رحل الراكب ليس لها قرار. ولا يخفى ما في هذا الكتاب من محاسن الكلم وبديع التشبيه والاستعارة، وكيف لا وقد صدرت من ربّ البلاغة والفصاحة صلوات الله عليه.

إصلاح فساد وقع في اليمن فرجع من وجهه وخطب خطبة لم يسمع الناس مثلها، فقال عمرو ابن العاص: أما والله لو كان هذا الغلام قرشياً لساق العرب بعصاه! فقال أبو سفيان ابن حرب: والله إني لأعرف الذي وضعه في رحم أمه! فقال علي بن أبي طالب: ومن هو يا أبا سفيان؟ قال: أنا! قال: مهلا يا أبا سفيان! فقال أبو سفيان:

أَمـا والله لـوْلا خـوفُ شـخصٍ	**يَـراني يـا عـليُّ مـن الأعـادي**
لأَظهـرَ أَمـرَهُ صَـخْرُ بـنُ حَـربٍ	**وَلَمْ تكُـنِ المقالـةُ عـن زِيـادِ**
وَقـدْ طالـتْ مجـاملتي ثَقيفـاً	**وَترْكـي فـيهمُ ثَمـرَ الفُـؤادِ»[١]**

ولئن باءت محاولة معاوية في خديعة زيادٍ بالفشل أولاً؛ فإنها بعد مضي واستشهاد أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) نجحت، فادّعى زياداً وألحقه بأبيه، وقابله زيادٌ بالبيعة له والطاعة والتمرّد على الخليفة الشرعي الإمام السبط الأكبر الحسن المجتبى (صلوات الله وسلامه عليه) إلى أن تمّ الأمر لمعاوية الذي كافأ زياداً بأن ولّاه العراق وأصدر قراره بأن يخاطبه الناس من الآن فصاعداً باسم «**زياد بن أبي سفيان**»!

ولم تكن حجة معاوية في هذا سوى أن أباه قد ارتكب الزنا بأم زياد فيكون ابنه! وكان هذا الحكم من معاوية - علاوةً على كونه مخالفاً لحكم رسول الله صلى الله عليه وآله - مستجلباً لسخرية الناس، لأن معاوية فضّل أن ينسب إلى أبيه العهر والزنا على أن ينسب إليه الشرف والعفة! ولأن زياداً فعل الأمر نفسه مع أمّه ففضحها وفضّل أن يكون ابناً لزنا على أن يكون ابناً لنكاح صحيح!

(١) الاستيعاب لابن عبد البر ج١ ص١٥٥ ونحوه في تاريخ دمشق لابن عساكر ج١٩ ص١٧٤ وأُسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ج٢ ص٢١٥

وقيلت في ذلك الأشعار التي هُجِيَ بها معاوية وتُهُكِّمَ بها عليه، ومنها:

أَلا أبلِغْ مُعاويةَ بنَ حَرْبٍ مُغَلْغَلَةً مِن الرّجلِ اليَماني

أَتَغضَبُ أَنْ يُقالَ أَبوكَ عَفٌّ وَترْضى أَنْ يُقالَ أَبوكَ زاني؟!

فأشهدُ أنّ رحمكَ مِنْ زيادٍ كَرحِمِ الفيلِ من وَلَدِ الأتانِ![1]

أما المجلس الذي عقده معاوية لإثبات انتساب زيادٍ إلى أبيه فكان ناضحاً بالخزي والعار والتفاصيل المقزّزة، حين استقدم معاوية الخمّار أبا مريم السلولي وجعله يشهد أمام الناس في المسجد بأنه جمع بين سمّية أم زياد وبين أبي سفيان للزنا! وقبل ذلك كان معاوية قد أرسل أخته **جويرية** إلى زياد فدنت منه وكشفت له شعرها قائلة: «**أنت أخي**»!

روى ابن الجوزي والمسعودي وابن الأثير وابن عبد ربّه الأندلسي واليعقوبي وغيرهم أنه لما قَدِم زياد على معاوية: «**أُرسلتْ إليه جويريّة عن أمر معاوية، فأتاها ودنت له وكشفت شعرها بين يديه وقالت: أنت أخي! أخبرني بذلك أبي! ثم أخرجه معاوية إلى المسجد وجمع الناس، فقام أبو مريم السّلولي فقال: أشهد أن أبا سفيان قدم علينا بالطائف، وأنا خمّارٌ بالجاهلية، فقال: إبغني بغياً! فقلت له: لم أجد إلا سميّة جارية الحارث ابن كلدة! فقال: إئتني بها على ذَفَرها وقَذَرها![2] فقال زياد: مهلاً! إنما بُعثتَ شاهداً ولم تُبعث شاتماً! فقال أبو مريم: لو كنتم أعفيتموني كان أحبّ إليَّ، فما شهدت إلا بما عاينْتُ ورأيت، فوالله لقد أخذ بكُمِّ درعها وأغلق الباب عليها، وقعدتُ، فلم ألبث أن خرج عليَّ يمسح جبينه! فقلت: مه يا أبا**

---

(١) تاريخ الطبري ج٤ ص٢٣٥ والبداية والنهاية لابن كثير ج٨ ص١٠٣ وتاريخ دمشق لابن عساكر ج٣٤ ص٣١٤ مع اختلاف طفيف. ومغلغلة: محمولة من بلد إلى بلد. والأتان: الحمارة.

(٢) الذفر: نتن الإبطين! والقذر: نتن الجسد! وقد أعاد أبو سفيان ذكر هذه الصفة وزاد عليها حين خرج من مضاجعتها فقال: «**ما أصبتُ مثلها يا أبا مريم لولا استرخاءٍ من ثدييها وذَفَرِ مرفقيها**»!

سفيان؟ فقال: ما أصبتُ مثلها يا أبا مريم لولا استرخاءٍ من ثدييها وذَفَرِ مرفقيها! وخرجَتْ من عنده وإن إسكَتيْها ليقطران منيّاً![١] فقال زياد: أيها الناس؛ هذا الشاهد قد ذكر ما سمعتم، ولست أدري حق ذلك من باطله، ومعاوية والشهود أعلم بما قالوا. فقام يونس ابن عُبيد أخو صفية بنت عُبيد بن أسد بن علاج الثقفي فقال: يا معاوية! قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالولد للفراش وللعاهر الحجر، وقضيت أنت بالولد للعاهر وأن الحجر للفراش مخالفةً لكتاب الله وانصرافاً عن سنة رسول الله بشهادة أبي مريم على زنا أبي سفيان! فقال معاوية: والله لتنتهينَّ يا يونس أو لأطيرنَّ بك طيْرةً بطيئاً وقوعها»![٢]

وقد اعتُبرت فعلة معاوية هذه إحدى أكبر أربع جرائم وموبقات صدرت منه، فقد روى الطبري عن الحسن البصري قوله: «**أربع خصال كُنَّ في معاوية لو لم يكن فيه منهنَّ إلا واحدة لكانت موبقة: انتزاؤه على هذه الامة بالسفهاء حتى ابتزّها أمرها بغير مشورة منهم وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة. واستخلافه ابنه بعده سكّيراً وخمّيراً يلبس الحرير ويضرب بالطنابير. وادعاؤه زياداً وقد قال رسول الله: الولد للفراش وللعاهر الحجر. وقتله حِجْراً، ويلاً له من حجرٍ وأصحاب حجر! ويلاً له من حجرٍ وأصحاب حجر»![٣]**

كما واعتُبرت فعلة معاوية عند المخالفين أول قضية رُدَّت علانية من قضايا رسول الله صلى الله عليه وآله، فقد قال سعيد بن المسيّب: «**أوّل من ردّ قضاء رسول الله صلى الله عليه**

---

(١) الإسكتان: جانبا الفرج وقُدَّتاه!

(٢) أخبار النساء لابن الجوزي ص٦٦ ومروج الذهب للمسعودي ج٢ ص٥٤ والكامل في التاريخ لابن الأثير ج٣ ص٢٩٩ والعقد الفريد لابن عبد ربّه الأندلسي ج٣ ص٣ وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص١٩٤

(٣) تاريخ الطبري ج٤ ص٢٠٨، وحجر هو ابن عدي رضوان الله تعالى عليه، الشهيد المصلوب في حب وولاء أمير المؤمنين علي صلوات الله عليه.

وسلم دعوة معاوية» وقال ابن يحيى: «**أول حكمٍ رُدَّ من حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم الحكم في زياد**».[1]

إلا أن زياداً لم يعتنِ بذلك بل سُرَّ به وافتخر إذ أصبح بموجبه أخاً لملك ذلك الزمان ولو على حساب فضيحة أمه! وكان من الطبيعي أن لا يقرّ المؤمنون والصلحاء بانتسابه إلى أبي سفيان خلافاً لحكم الله ورسوله صلى الله عليه وآله، فاتخذ هؤلاء موقفاً حازماً في رفض هذه الشنيعة، وكان على رأسهم الإمام الحسن المجتبى صلوات الله عليه.

كان الإمام (عليه السلام) قد أرسل إلى زياد كتاباً يدعوه فيه إلى الكفّ عن ظلم أحد المؤمنين الشيعة في الكوفة وهو **سعيد بن سرح مولى حبيب بن عبد شمس** الذي كان زياد قد أخافه حتى اضطر إلى أن يلجأ إلى الإمام (عليه السلام) في المدينة المنورة، فقام زياد إثر ذلك فحبس زوجته وأولاده وإخوته! وصادر أمواله! وهدم داره! كل هذا لأنه من شيعة ومحبي أمير المؤمنين علي (عليه السلام) الذي كان وليّ نعمة زياد بالأمس!

فكتب الإمام الحسن (عليه السلام) إلى زياد: «**أما بعد؛ فإنك عمدت إلى رجل من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم فهدمت داره وأخذت ماله وحبست أهله وعياله! فإذا أتاك كتابي هذا فابن له داره واردُدْ عليه عياله وماله وشفّعني فيه فقد أجرته. والسلام**».

إلا أن زياداً لم يرجع عن غيّه بل ازداد طغياناً فكتب كتاباً عمد فيه إلى إهانة الإمام وشتم أبيه وتوهين أمه (صلوات الله عليهم) وكيف لا وهو من أبناء البغايا! لقد كتب: «**من زياد بن أبي سفيان إلى الحسن بن فاطمة! أما بعد؛ فقد أتاني كتابك تبدأ فيه بنفسك قبلي وأنت طالب حاجة وأنا سلطان وأنت سوقة! وتأمرني فيه بأمر المطاع المسلَّطِ على رعيّته! كتبت إليَّ في فاسق آويتَه إقامةً منك على سوء الرأي ورضىً منك بذلك! وأيْـمُ الله لا تسبقني به ولو كان بين**

(١) تاريخ دمشق ج١٩ ص١٧٩

جلدك ولحمك! وإن نلتُ بعضك غير رفيق بك ولا مرعٍ عليك فإن أحبَّ لحمٍ عليَّ أن آكله للَّحمُ الذي أنتَ منه! فسلِّمْهُ بجريرته إلى من هو أولى به منك! فإن عفوتُ عنه لم أكُنْ شفَّعتك فيه وإن قتلتُه لم أقتله إلا لحبّه أباك الفاسق! والسلام».

ولمّا ورد هذا الكتاب على الإمام الحسن (عليه السلام) قرأه وتبسَّم، وكتب جواباً لزياد أرسله إلى معاوية حتى يزيد غيظ الإثنين! وكان جوابه (عليه السلام) ليس سوى كلمتين لا ثالثة لهما حيث إنهما تُزهقان نفسيْهما! لقد كتب: «**من الحسن بن فاطمة إلى زياد بن سمية! أما بعد؛ فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: الولد للفراش وللعاهر الحجر! والسلام**».[1]

هكذا كان موقف السبط الأكبر (صلوات الله عليه) فبينما يكتب إليه زياد: «**من زياد ابن أبي سفيان إلى الحسن بن فاطمة**» يردّ الإمام عليه فيكتب: «**من الحسن بن فاطمة إلى زياد ابن سمّية**»! وما ذلك إلا لأن الأحمق زياداً أراد أن يذمّ فمدح وأراد أن يمدح فذمّ! فإنه حين نسب الحسن (عليه السلام) إلى فاطمة (عليها السلام) أراد بذلك إنقاصه بنسبته إلى أمه بدلاً من أبيه، وفاته أن النسبة إليها وهي سيدة نساء العالمين الطاهرة البتول بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) تفوق كل شرف ونسبة! ولذا أجابه الإمام مؤكداً: «**من الحسن بن فاطمة**»!

ثم إنه حين نسب نفسه إلى أبي سفيان أراد بذلك إعلاء شأنه ونسبه، وفاته أن النسبة إليه نسبة إلى عاهر فاجر زانٍ! وهي بعدُ على خلاف حكم الإسلام ولذا أجابه الإمام نافياً: «**إلى زياد بن سمّية**» ومشدّداً على حكم رسول الله صلى الله عليه وآله: «**الولد للفراش وللعاهر الحجر**»!

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج١٦ ص١٩٣ وتاريخ دمشق ج١٩ ص١٩٨ وفيه: «**فلما وصل كتاب الحسن إلى معاوية وقرأه ضاقت به الشام**» ثم ذكر أنه كتب إلى زياد بإنفاذ أمر الحسن عليه السلام.

وقد كان للإمام (صلوات الله عليه) موقف آخر أفحم فيه زياداً وأخرس لسانه، وذلك في مجلس معاوية وحضور عمرو بن العاص ومروان بن الحكم، فكان من قوله (عليه السلام) له: «**وما أنت يا زياد وقريشاً؟! لا أعرف لك فيها أديماً صحيحاً ولا فرعاً نابتاً! ولا قدماً ثابتاً ولا منبتاً كريماً! بل كانت أمك بغيّاً تداولها رجال قريش وفُجّار العرب! فلمّا وُلِدْتَ لم تعرف لك العرب والداً! فادّعاك هذا** – يعني معاوية – **بعد ممات أبيه! ما لك افتخار! تكفيك سميّة! ويكفينا رسول الله صلى الله عليه وآله، وأبي علي بن أبي طالب سيد المؤمنين الذي لم يرد على عقبيه، وعمي حمزة سيد الشهداء، وجعفر الطيار، وأنا وأخي سيّدا شباب أهل الجنة**».[1]

وعلى كل حال؛ فإن أحداً لم يقبل بنسبة زياد إلى أبي سفيان غير معاوية وعصابته، فالإجماع قائم على حرمة ذلك كما يقول الشوكاني: «**وقد أجمع أهل العلم على تحريم نسبته إلى أبي سفيان، وما وقع من أهل العلم في زمان بني أمية فإنما هو تقية**»![2]

وكيف يمكن القبول بهذه النسبة مع منافاتها لقاعدة «**الولد للفراش وللعاهر الحجر**» ومنافاتها لقوله صلى الله عليه وآله: «**من ادّعى إلى غير أبيه وهو يعلم فالجنة عليه حرام**»![3]

---

(١) المحاسن والمساوئ للبيهقي ج١ ص٥٨

(٢) نيل الأوطار للشوكاني ج٥ ص١٩٤، أي أن علماء ما يسمى بأهل السنة والجماعة في زمان بني أمية عملوا بالتقية فقالوا: «**زياد بن أبي سفيان**»! فلماذا لا يشنّع عليهم السلفيون والوهابيون المعاصرون لعملهم بالتقية من بني أمية ومخالفتهم حكم رسول الله (صلى الله عليه وآله) بينما يكتفون فقط بالتشنيع على بعض علماء الشيعة الذين عملوا بالتقية من بني أمية وبني العباس وغيرهم من الطواغيت والجبابرة؟!

(٣) صحيح البخاري ج٥ ص١٠٣

ولقوله صلى الله عليه وآله: «**من ادّعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين! لا يقبل الله منه يوم القيامة صَرْفاً ولا عدلا**».[١]

إذا علمتَ عدم جواز ذلك بحكم الشرع فاعلم الآن أن عائشة جوّزته بحكمها! فعند عائشة كل شيء جائز وممكن إذا وافق هواها وما تريد! فلم تكن الحميراء لتتورّع عن مخالفة حكم رسول الله (صلى الله عليه وآله) في أن الولد للفراش وللعاهر الحجر، ولم تكن لتمتنع عن نسبة زياد إلى أبي سفيان إذا كان ذلك يلبّي حاجاتها! وهذا ما حصل فعلاً!

كان لأبي بكر بن أبي قحافة مولىً يُقال له: **مرة بن أبي عثمان**. وكان لمرّة هذا حاجة عند زياد بن أبيه، فجاء إلى عبد الرحمن بن أبي بكر طالباً منه أن يكتب له كتاباً إلى زياد يشفع له فيه، فكتب عبد الرحمن كتاباً إلا أنه لم ينسب فيه زياداً إلى أبي سفيان بل نسبه إلى أبيه عُبيد تمشيّا مع الحكم المعلوم، فامتنع مرة عن الذهاب بهذا الكتاب إلى زياد حتى لا يضرّه، فجاء إلى عائشة وطلب منها أن تكتب له الكتاب، فوجدها قد استحلّت نقض حكم النبي (صلى الله عليه وآله) ونسبت زياداً إلى أبي سفيان حين كتبت إليه: «**من عائشة أم المؤمنين إلى زياد بن أبي سفيان**»! وكم طار زياد فرحاً بهذا الكتاب حين وصله حيث أمر بأن يُتلى في اليوم التالي على رؤوس الأشهاد ليكون بمنزلة فتوى من «**أم المؤمنين**» بأن نسبته إلى أبي سفيان صحيحة وأن ما أقدم عليه هو ومعاوية أمر جائز لا غبار عليه قائلاً: «**هذا كتاب أم المؤمنين إليَّ وفيه أني ابن أبي سفيان**»! ومن شدة سروره بالكتاب قضى زياد حاجة مرّة هذا وزاده مئة جريب – وهو مقدار – من الأراضي الشاسعة وأمر أن يُمدّ إليها نهر سُمِّيَ باسمه «**نهر مرّة**» فصار هذا العبد المولى من أثرى الأثرياء!

---

(١) صحيح مسلم ج٤ ص١١٥

روى ابن سعد وابن عساكر عن محمد بن الحارث قال: «**إن مُـرّة صـاحب نهـر مـرة أتـى عبد الرحمن بن أبي بكر - وكان مولاهم - فسأله أن يكتب له إلى زياد في حاجـة لـه، فكتـب: من عبد الرحمن إلى زياد.. ونسبه إلى غير أبي سفيان. فقال: لا أذهـب بكتابـك هـذا فيـضرّني. قال: فأتى عائشة فكتبت له: من عائشة أم المؤمنين إلى زيـاد بـن أبي سـفيان! قـال: فلـمّا جـاء بالكتاب قال له: إذا كان غداً فجئني بكتابك. قال: وجمع الناس فقال: يـا غـلام إقـرأه. قـال: فقرأه: من عائشة أم المؤمنين إلى زياد بن أبي سفيان! قال: فقضى له حاجته**»![1]

وروى الحموي عن أبي اليقظان وغـيره: «**نُـسب نهـر مـرّة إلى مـرّة بـن أبي عـثمان مـولى عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، كان سُرِّياً[2] سأل عائشة أم المـؤمنين أن تكتـب لـه إلى زيـاد وتبدأ به في عنوان كتابه، فكتبت إليه بالوصاة به وعنونته: إلى زياد بن أبي سفيان من عائـشة أم المؤمنين! فلمّا رأى زيادٌ أنها قدّمته ونسبته إلى أبي سفيان سُرَّ بذلك وأكـرم مُـرّة وألطفـه وقـال للناس: هذا كتاب أم المؤمنين إليَّ وفيه كذا! وعرضه ليُقرأ عنوانه، ثم أقطعه مئة جريـب عـلى نهر الأبلة وأمر أن يُحفر له لها نهر فنُسب إليه**»![3]

هكذا وبكل جسارة على حكم الله ورسوله (صلى الله عليه وآله) تنسب عائـشة زيـاداً إلى مَن فجر بأمه وتسمّيه «**زياد بن أبي سفيان**» وكأن رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه) لم يَقُـلْ: «**الولد للفراش وللعاهر الحجر**» وهو الحـديث الـذي كانـت قـد روتـه بنفـسها فـلا يـسعها الاعتذار بأنها لم تكن تعرف هذا الحكم مثلاً!

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج٧ ص١٠٠ وتاريخ دمشق ج١٩ ص١٧٧

(٢) أي عبداً.

(٣) معجم البلدان للحموي ج٥ ص٣٢٣

هكذا عكست عائشة القاعدة التي شرعها رسول الله (صلى الله عليه وآله) حيث حكمت بأن «**الولد للعاهر وللفراش الحجر**»**!** ووافقت بذلك هوى معاوية وأرضت بذلك زياداً الذي كان طاغياً مستكبراً متجبّراً سفّاكاً للدماء**!** فقد روى الذهبي عن أبي الشعثاء: «**كان زيادٌ أفتكَ من الحجّاج لمن يخالف هواه**»**!**[1]

ويبدو أن وراء ما فعلته عائشة من إلحاق لزياد بأبي سفيان لم يكن فقط رغبتها في قضاء حاجة مولاها مرّة؛ بل مكافأة لزياد على تتبّعه شيعة علي (عليه السلام) في البصرة لإفنائهم وقتلهم**!** فقد روى الذهبي عن الحسن البصري: «**بلغ الحسن بن علي أن زياداً يتتبّع شيعة علي بالبصرة فيقلتهم، فدعا عليه. وقيل: إنه جمع أهل الكوفة ليعرضهم على البراءة من أبي الحسن، فأصابه حينئذ طاعون في سنة ثلاث وخمسين**»**!**[2]

فشتّان شتّان ما بين موقفين؛ ما بين موقف الإمام الحسن (عليه السلام) الذي كان يدعو على الطاغية زياد ويكتب له: «**إلى زياد بن سمية.. الولد للفراش وللعاهر الحجر**» وما بين موقف عائشة التي كانت تكافئه وتكتب له: «**إلى زياد بن أبي سفيان**» وتشرعن له: «**الولد للعاهر وللفراش الحجر**»**!**

ومن الحريّ ذكر أن بعض علماء المخالفين ساروا على فتوى عائشة بإلحاق زياد بأبي سفيان ولو تقية أو متابعة**!** فإنهم حين رووا أحاديث وقع فيها اسمه كتبوا: «**زياد بن أبي سفيان**»**!**

ومن هؤلاء إمام المالكية مالك بن أنس والبخاري والنووي، وتلك روايتهم عن عمرة بنت عبد الرحمن: «**أن زياد بن أبي سفيان كتب إلى عائشة رضي الله عنها أن عبد الله بن عباس**

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ج٣ ص٤٩٦

(٢) المصدر نفسه.

رضي الله عنه قال: من أهدى هـدياً حَـرُمَ عليـه مـا يحـرم عـلى الحـاج حتـى ينحـر هديـه..» الحديث.[١] أما أمثال مسلم والبيهقي وغيرهما فلم يجسروا على ذلك فاكتفوا في هـذه الروايـة بذكر اسمه الأول (زياد) دون نسبته إلى أبي سفيان، ولـو مراعـاة لحكـم رسـول الله صـلى الله عليه وآله! وكان عليهم إما أن يكتبوا: «زياد بن عُبيد» أو أن يكتبـوا: «زيـاد بـن أبيـه أو ابـن سمّية».

أما هو عند عائشة والمخلصين لها كمالك والبخاري فابن أبي سـفيان ولا ريـب! وهكـذا تنقلب الموازين الشرعية عند الحميراء! وهكذا تخرق وتردّ أحكام الله ورسوله (صلى الله عليـه وآله) جهرةً! وهكذا تستبيح ما حرّمه الله تعالى وتحكم بغير ما أنزل! وهكذا تعود بالنـاس إلى حكم أهل الجاهلية حيث كانوا يُلحقون الولد بالعاهر!

وبتطبيق ما جاء في كتاب الله تعالى من آيـات محكمـة عـلى مـا فعلتـه عائـشة مـن مخالفـة وعصيان لحكم الله ورسوله صلى الله عليه وآله؛ يتبيّن لنا:

• أن عائشة ضالة ضلالاً مبيناً! لأن الله تعالى يقول: «**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَـضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَـنْ يَعْـصِ اللهَ وَرَسُـولَهُ فَقَـدْ ضَـلَّ ضَـلَالًا مُبِينًا**».[٢]

• أن عائـشة كـافرة! لأن الله تعـالى يقـول: «**وَمَـنْ لَمْ يَحْكُـمْ بِـمَا أَنْـزَلَ اللهُ فَأُولَئِـكَ هُـمُ الْكَافِرُونَ**».[٣]

---

(١) موطأ مالك ج١ ص٣٤٠ وصحيح البخاري ج٢ ص١٨٣ والمجموع للنووي ج٨ ص٣٦١

(٢) الأحزاب: ٣٧

(٣) المائدة: ٤٥

● أن عائشة ظالمة! لأن الله تعالى يقول: «وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ».(١)

● أن عائشة فاسقة! لأن الله تعالى يقول: «وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ».(٢)

● أن عائشة لها عذاب أليم! لأن الله تعالى يقول: «فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ».(٣)

● أن عائشة في نار جهنم خالدة أبداً! لأن الله تعالى يقول: «وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا».(٤)

* * *

لم يكن ما تقدّم في هذا الفصل سوى نماذج مما تُدان به عائشة وفق أصول الشرع والدين، على أن ما ذكرناه لم يكن إلا نزراً قليلاً من جرائمها وبوائقها، ويبقى ما هو أعظم منها وأشد رزءاً من جرائم دموية، وقد ارتأينا أن نفرد لها فصلاً خاصاً لأهميتها وخطورتها وكثرة الكلام فيها، فإليه نتّجه بحول الله تعالى وقوّته.

---

(١) المائدة: ٤٦

(٢) المائدة: ٤٨

(٣) النور: ٦٤

(٤) الجن: ٢٤

الفصل الرابع

أول امرأة إرهابية في الإسلام

هذا هو الجانب الأكثر قتامة في شخصية عائشة بنت أبي بكر، أنها كانت ذات نزعات وحشية عدوانية، فلا ترقُبُ في المؤمنين إلاًّ ولا ذمة، ولا تعبأ بقتل الأبرياء وإهدار دمائهم، فتأمر بالقتل وتفتي بسفك الدماء، وتحضّ على الحرب وتحرّض على الاعتداء، كل ذلك عندها يهون إذا كان في سبيل تحقيق طموحاتها السياسية وآمالها الشخصية!

ولقد كانت عائشة ذات استعداد نفسي للإقدام على القتل المتهوّر، وهو ما تدلّنا عليه حادثة قتلها للجنيّ المسلم المذكورة في روايات أهل الخلاف.

روى ابن أبي شيبة عن عائشة بنت طلحة: «**عن عائشة أم المؤمنين أنها قتلت جاناً! فأُتِيَت في ما يرى النائم فقيل لها: أما والله لقد قتلتِ مسلماً! قالت: فَلِمَ يدخل على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم؟ فقيل لها: ما تَدَخَّلَ عليكِ إلا وعليكِ ثيابك! فأصبحتْ فزِعَةً وأمرتْ باثني عشر ألفاً في سبيل الله**».(١)

وروى الحارث بن أبي أسامة عن عبد الله بن أبي مليكة أن عائشة بنت طلحة حدثته: «**أن عائشة أم المؤمنين قتلتْ جِنَّاناً! فأُرِيَتْ في ما يرى النائم فقيل لها: والله لقد قتلتِ مسلماً!**

(١) المصنف لابن أبي شيبة ج٧ ص٢٤٣ وعنه التمهيد لابن عبد البر ج١١ ص١١٨

فقالت: والله لو كان مسلماً ما دخل على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم! فقيل لها: وهل كان يدخل عليكِ إلا وأنت مُتجَلببَةٌ أو مُخمَّرة؟! فأصبحتْ وهي فَزِعَـةٌ فـأمرتْ بـاثني عـشر ألفـاً فجعلتها في سبيل الله عز وجل».[1]

وروى الذهبي عن عائشة بنت طلحة: «**أن عائشة قتلت جاناً! فأُتِيَتْ في منامها: والله لقد قتلتِ مسلماً! قالت: لو كان مسلماً لم يدخل على أزواج النبي صلى الله عليـه وسـلم. فقيـل: أَوَ كان يدخل عليكِ إلا وعليكِ ثيابـك؟! فأصـبحتْ فَزِعـةً فـأمرت بـاثني عـشر ألـف درهـم فجعلتها في سبيل الله**».[2]

وقال القرطبي في تفسيره: «**رُوي من وجوه أن عائشة زوج النبـي صـلى الله عليـه وسـلم قتلتْ جاناً! فأُرِيَت في المنام أن قائلاً يقول لها: لقد قتلـتِ مـسلماً! فقالـت: لـو كـان مـسلماً لم يدخل على أزواج النبي صـلى الله عليـه وسـلم. قـال: مـا دخـل عليـكِ إلا وعليـكِ ثيابـك! فأصبحت فأمرتْ باثني عشر ألف درهم فجُعِلتْ في سبيل الله. وفي رواية: ما دخل عليـكِ إلا وأنت مستترة! فتصدّقتْ وأعتقتْ رقاباً**».[3]

وروى الذهبي وابن حزم عن عبد الله بن أحمد بن حنبل بسنده عن عائـشة بنـت طلحـة قالت: «**كان جانٌ يطلع على عائشة، فحَرَجت عليه مرة بعد مرة بعد مرة، فـأبى إلا أن يظهـر، فعَدَتْ عليه بحديدة فقتلته! فأُتِيَتْ في منامها فقيل لها: أَ قتلتِ فلاناً وقد شَهِدَ بـدراً! وكـان لا**

---

(١) مسند الحارث ج١ ص٤٨٥، والجِنّان هي حية بيضاء بيتية، وهو محمول على أن الجانّ قد تمثّل بـه لقولـه: «**لقد قتلتِ مسلماً**». وعلى فرض أن الجانّ لم يتمثّل به؛ فإن عائشة تكون قد ارتكبت بذلك مخالفـة لأمـر النبـي (صلى الله عليه وآله) الذي نهى عن قتلها حسبما يرويه المخالفون! قال الربيع بن بدر: «**الجانّ من الحيّات التـي نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتلها، هي التي تمشي ولا تلتوي**». راجع تفسير القرطبي ج١ ص٣١٧

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ج٢ ص١٩٦

(٣) تفسير القرطبي ج١ ص٣١٧

يطلعُ عليك لا حاسراً ولا متجردةً إلا أنه كان يسمع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم! فأخذها ما تقدّم وما تأخّر فذكرتْ ذلك لأبيها، فقال: تصدّقي باثني عشر ألفاً ديته».[١]

إن الذي يعنينا من هذه الروايات هو تثبيت النزعة الإجرامية لعائشة واستعدادها النفسي للإقدام على القتل، إذ كانت الحميراء شاذةً عن طبيعة الإناث من هذه الناحية، فإن الأنثى بطبعها ضعيفة رقيقة لا تتجرأ أن تقتل وإنْ بحق، كما لا تملك أن تواجه إنساناً فكيف بجانٍ! أما عائشة فقد كانت من الجرأة والجسارة والتهوّر بمكان أن تحمل حديدة وتواجه جاناً لا إنساناً ثم تقتله بغير وجه حق حيث ظهر أنه مسلم بريء وقد شهد بدراً! لهذا فإن عائشة شاذة عن طبيعة الإناث من هذه الناحية وأقرب إلى طبيعة الرجال القَتَلة، وقد مرّ قول عمر بن عبد العزيز ووصفه لها بأنها: «**كانت رَجُلَة**»![٢]

والتي يسهل عليها أن تباشر القتل؛ يكون أسهل عليها الفتوى به والتحريض عليه! وهذا هو ما مضت عليه عائشة منذ أن تبوّأت في زمان أبيها ومَن تلاه تلك الموقعية المرموقة التي أباحت لها الفتوى واستحلال دماء الناس كيف شاءت! وهو ما ترتّب عليه مقتل الآلاف المؤلّفة من الأبرياء فضلاً عن كبار المؤمنين والمسلمين!

وقد تقدّم في الفصل السابق خبر فتوى عائشة بقتل عثمان بن عفان بقولها: «**اقتلوا نعثلاً فقد كفر**»![٣]

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ج٢ ص١٩٦ والمحلّى لابن حزم ج١٠ ص٣٩٤، ومن رجوعها إلى أبيها يُعلم أن زمن وقوع ذلك كان بعد استشهاد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

(٢) راجع هامش ص٣٢٣ من هذا الكتاب.

(٣) راجع ص٥٢٨ من هذا الكتاب.

وكذا تقدّم خبر فتواها بقتل أخيها محمد بدعائها عليه: «**أباد الله ابن أبي بكر.. قتل الله مُذَمَّماً**»![(١)]

وههنا نعرض أخباراً أخرى تكشف عن مزيد من فتاوى عائشة الإرهابية – اللفظية منها والعملية – وما سبّبته من جرائم ومجازر وانتهاكات بشعة!

■ **فتوى عائشة بإهدار دم أحد خيرة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله!**

عثمان بن حُنيف الأنصاري (رضوان الله تعالى عليه) أحد أجلاء أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذين وفوا بما عاهدوا عليه الله تعالى. جاهد بين يدي النبي (صلى الله عليه وآله) في مشاهده وحروبه كلها بدءاً من بدرٍ كما ذكره الترمذي،[(٢)] وكان يعقد جلسات العلم في المسجد النبوي الشريف ويحدّث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ناقلاً تعاليمه وآثاره لئلا تضيع،[(٣)] ومن بين أحاديثه حديث التوسّل الشهير الذي يثبت مشروعية النداء: «**يا محمد**»،[(٤)] ولم يكن من الذين خانوا العهد والميثاق بعد استشهاد نبي الرحمة (صلى الله عليه

---

(١) راجع ص٥٣٢ من هذا الكتاب.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ج٤ ص٣٧١ عن الترمذي، ونسب إلى الجمهور القول بأن أول مشاهده أُحُد.

(٣) أخرج أحمد بن حنبل في مسنده ج٤ ص١٣٨ عن هانئ بن معاوية الصدفي قال: «**حججت زمان عثمان ابن عفان فجلستُ في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا رجلٌ يحدّثهم قال: كنّا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً فأقبل رجلٌ فصلّى في هذا العمود، فعجّل قبل أن يُتِمَّ صلاته ثم خرج. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن هذا لو مات لمات وليس من الدين على شيء! إن الرجل ليخفّف صلاته ويُتِمُّها. قال: فسألتُ عن الرجل من هو؟ فقيل: عثمان بن حُنيف الأنصاري**».

(٤) أخرج الطبراني في معجمه الكبير ج٧ ص٤١٠ عن أبي أمامة سهل بن حُنيف: «**أن رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه في حاجة له، فكان عثمان لا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته، فلقي ابن** =

وآله) فبقي وفياً ووقف ضد انقلاب أبي بكر وعمر على الشرعية الإسلامية، ومن مواقفه المشهودة في هذا الشأن تصدّيه لأبي بكر حين اعتلى المنبر في مسجد النبي (صلى الله عليه وآله) وإنكاره عليه اغتصابه للخلافة مؤكداً حق أهل البيت (عليهم السلام) فيها، حيث قال: **«سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: أهل بيتي نجوم الأرض فلا تتقدَّموهم وقدِّموهم فهم الولاة من بعدي، فقام إليه رجلٌ فقال: يا رسول الله وأيُّ أهل بيتك؟ فقال: علي والطاهرون من وِلْدِه. وقد بيّن رسول الله صلى الله عليه وآله، فلا تكن يا أبا بكر أول كافر به! وَلَا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ»!**[1]

وكان عثمان بن حُنيف مع هذا رجلاً ذا بصر وعقل ومعرفة وتجربة ولذا أجمع عليه أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) حين استشارهم عمر بن الخطاب في أمر العراق،

= **حنيف فشكى ذلك إليه، فقال له عثمان بن حنيف: ائت الميضأة فتوضأ، ثم ائت المسجد فصلِّ فيه ركعتين، ثم قل: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي فتقضي لي حاجتي. وتذكر حاجتك، ورُحْ حتى أروح معك، فانطلق الرجل فصنع ما قال له، ثم أتى باب عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، فجاء البواب حتى أخذ بيده فأدخله على عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، فأجلسه معه على الطنفسة حنيفا، فقال: حاجتك؟ فذكر حاجته وقضاها له، ثم قال له: ما ذكرتُ حاجتك حتى كان الساعة، وقال: ما كانت لك من حاجة فاذكرها. ثم إن الرجل خرج من عنده فلقي عثمان ابن حنيف فقال له: جزاك الله خيرا ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إليَّ حتى كلّمتَه فيَّ، فقال عثمان ابن حنيف: والله ما كلمتُه، ولكني شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتاه ضرير فشكى إليه ذهاب بصره، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: فتصبّر، فقال: يا رسول الله؛ ليس لي قائد وقد شقَّ عليَّ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ائت الميضأة فتوضأ، ثم صل ركعتين، ثم ادع بهذه الدعوات، قال ابن حنُيف: فوالله ما تفرّقنا وطال بنا الحديث حتى دخل علينا الرجل كأنه لم يكن به ضُرٌّ قط»!** ونحوه في مسند أحمد ج٤ ص١٣٨ ومستدرك الحاكم ج١ ص٣١٣ وسنن الترمذي ج٥ ص٢٢٩ وسنن النسائي ج٦ ص١٦٩

(١) الاحتجاج للطبرسي ج١ ص١٠٣

فنزل على مشورتهم وولّاه وأغنى في ولايته غَناءً يقلّ نظيره حتى كان خراجه منها ما يزيد على مئة مليون! قال ابن عبد البرّ: «**ذكر العلماء بالأثر والخبر أن عمر بن الخطاب استشار الصحابة في رجلٍ يوجّهه إلى العراق، فأجمعوا جميعاً على عثمان بن حُنيف وقالوا: إن تبعثه على أهمّ من ذلك فإن له بصراً وعقلاً ومعرفةً وتجربةً، فأسرع عمر إليه فولّاه مساحة أرض العراق، فضرب عثمان رضي الله عنه على كل جريب من الأرض يناله الماء غامراً وعامراً درهماً وقفيزاً، فبلغت جباية سواد الكوفة قبل أن يموت عمر بعام مئة ألف ألف ونيفاً**»![1]

وعندما رجعت الخلافة إلى صاحبها وتولّى أمير المؤمنين (عليه السلام) الحكم، تولّى عثمان بن حنيف بأمرٍ منه (عليه السلام) ولاية البصرة، وانضمّ إلى «**شَرَطَة الخميس**» وهم طليعة أصحابه (عليه السلام) الذين تشارطوا وتعاقدوا على المنيّة دفاعاً عن إمامهم وعلى أن يكونوا أول من يبدأ بالقتال إذا نشبت الحرب.[2]

هذا الرجل المؤمن المجاهد الذي قضى عمره في صحبة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ونصرة الإسلام وخدمة دين الله عز وجل.. كيف عاملته عائشة وبماذا أفتت في حقّه؟

ذكر المؤرخون أنه عندما توجّهت عائشة بجيشها إلى البصرة كان عثمان بن حُنيف والياً عليها من قِبَل أمير المؤمنين عليه السلام، وكان الأمير (عليه السلام) قد أرسل إليه من الرَّبَذة كتاباً هذا نصّه: «**من عبد الله عليٍّ أمير المؤمنين إلى عثمان بن حنيف. أما بعد؛ فإن البغاة عاهدوا الله ثم نكثوا وتوجّهوا إلى مصرك، وساقهم الشيطان لطلب ما لا يرضى الله به، والله أشدُّ بأساً وأشدُّ تنكيلاً. فإذا قدموا عليك فادعُهُم للطاعة والرجوع إلى الوفاء بالعهد والميثاق الذي**

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ج٣ ص٨٩

(٢) الفوائد الرجالية للسيد بحر العلوم ج٣ ص٧٨ عن رجال البرقي. وشَرَطة: الذين تشارطوا على شيء. والخميس: الجيش، إذ هو مؤلّف من خمسة أقسام: المقدّمة والساقة والميمنة والميسرة والقلب.

فارقونا عليه، فإنْ أجابوا فأحسن جوارهم ما داموا عندك، وإنْ أبوا إلا التمسك بحبل النكث والخلاف فناجزهم القتال حتى يحكم الله بينك وبينهم وهو خير الحاكمين، وكتبت كتابي هذا إليك من الرَّبَذة وأنا معجِّلٌ المسير إليك إنْ شاء الله».[١]

وكان من الطبيعي أن يمتثل عثمان أمر أمير المؤمنين عليه السلام، فيبادر إلى النصيحة والموعظة درءاً للفتنة والحرب، ولهذا أرسل **أبا الأسود الدُّؤلي**[٢] إلى كلٍّ من عائشة وطلحة والزبير ليسألهم عن مسيرهم وما الذي أقدمهم؟

جاء أبو الأسود إلى عائشة ودخل عليها فسألها عن مسيرها، فقالت: «**أطلب بدم عثمان! قال: إنه ليس بالبصرة من قتلة عثمان أحد! قالت: صدقتَ؛ ولكنهم مع علي بن أبي طالب بالمدينة! وجئتُ أستنهض أهل البصرة لقتاله! أَ نغضبُ لكم من سوط عثمان ولا نغضب لعثمان من سيوفكم؟ فقال لها: ما أنتِ من السوط والسيف؟! إنما أنت حبيسة رسول الله صلى الله عليه وآله أمرك أن تقرّي في بيتك وتتليْ كتاب ربّك وليس على النساء قتال ولا لهنّ الطلب بالدماء! وإن علياً لأولى منك وأمسّ رحماً، فإنهما ابنا عبد مناف. فقالت: لستُ بمنصرفة حتى أمضي لما قَدِمتُ إليه، أَ فتظنُّ أبا الأسود أن أحداً يُقدِم على قتالي؟ قال: أما والله لتُقاتلَنَّ قتالاً أهونه الشديد»!**[٣]

وانضم إلى أبي الأسود **عمران بن حُصين الخزاعي** صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، فنصحا عائشة ووعظاها فلم تنتصح وأحالتهما إلى طلحة والزبير، فلقيا الزبير وكلّماه

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج٩ ص٣١٢ وعنه نهج السعادة للمحمودي ج٤ ص٤٢

(٢) هو الذي علّمه أمير المؤمنين (عليه السلام) قواعد اللغة فنحا نحوها وإليه يُنسب علم النحو.

(٣) المصدر نفسه ج٦ ص٢٢٦ ونحوه في المعيار والموازنة لأبي جعفر الإسكافي ص٥٧ والإمامة والسياسة لابن قتيبة ج١ ص٨٤

فقال لهما: «**إنّا جئنا للطلب بدم عثمان! وندعو الناس إلى أن يردّوا أمر الخلافة شورى ليختار الناس لأنفسهم، فقالا له: إن عثمان لم يُقتل بالبصرة ليُطلب دمه فيها! وأنت تعلم قتلة عثمان مَن هم وأين هم! وإنك وصاحبك وعائشة كنتم أشد الناس عليه وأعظمهم إغراء بدمه! فأقيدوا من أنفسكم! وأما إعادة أمر الخلافة شورى فكيف وقد بايعتم عليّاً طائعين غير مكرهين؟! وأنت يا أبا عبد الله لم يبعد العهد بقيامك دون هذا الرجل يوم مات رسول الله صلى الله عليه وآله آخذٌ قائم سيفك تقول: ما أحدٌ أحقُّ بالخلافة منه ولا أولى بها منه! وامتنعت عن بيعة أبي بكر، فأين ذلك الفعل من هذا القول؟! فقال لهما: اذهبا فالقيا طلحة، فقاما إلى طلحة فوجداه خشن الملمس! شديد العريكة! قوي العزم في إثارة الفتنة وإضرام نار الحرب! فانصرفا إلى عثمان بن حنيف، فأخبراه وقال له أبو الأسود الدؤلي:**

يابنَ حُنَيْفٍ قَد أُتيتَ فَانْفِرْ وَطاعِنِ القَومَ وجالِدْ واصبِرْ

وابْرُزْ لها مُسْتَلئِماً وشَمِّرْ

فقال ابن حنيف: إي والحرمين لأَفعلنَّ، وأمر مناديه، فنادى الناس: السلاح! السلاح»![1]

لم يجد ابن حنيف (رضوان الله تعالى عليه) بُدّاً من الاستعداد للحرب لأن عائشة وطلحة والزبير لا يريدون سواها بغياً وعدواناً، وإلا فإنهم - كما قال عمران وأبو الأسود - كانوا أشد الناس على عثمان تأليباً وتحريضاً على قتله،[2] فما عدا مما بدا؟! ثم إن عثمان لم يُقتل في البصرة فلماذا جاءوا إليها يطلبون بدمه؟! أَ أهل البصرة قتلوا عثمان؟!

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج٩ ص٣١٢ عن أبي مخنف لوط بن يحيى الكوفي.

(٢) قد تقدّم في الفصل السابق الحديث عن تحريض عائشة على قتل عثمان، فراجع ص٥٢٦.

نعم؛ إنهم لم يأتوا البصرة دون غيرها من الأمصار إلا طمعاً في ما يكتنزه بيت مالها من دراهم ودنانير! وقد اعترف بذلك الزبير بن العوام، فقد روى الطبري عن عوف الأعرابي قال: «**جاء رجلٌ إلى طلحة والزبير وهما في المسجد بالبصرة، فقال: نشدتكما بالله في مسيركما، أَعَهِدَ إليكما فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً؟ فقام طلحه ولم يجبه، فناشد الزبير فقال: لا؛ ولكن بلغنا أن عندكم دراهم فجئنا نشارككم فيها**»![1]

كانت خطة عائشة وطلحة والزبير تقضي بالاستيلاء على بيت مال البصرة للاستقواء به على حرب علي بن أبي طالب (عليهما السلام) وخلعه عن الخلافة، فقد كانت البصرة آنذاك بلداً غنياً ذو خراج عظيم، لهذا كانت أعين هؤلاء على بيت ماله منذ بداية تحركاتهم المناهضة لأمير المؤمنين عليه السلام، ولهذا كان لا بدّ عندهم من الحرب لأن عثمان بن حنيف باعتباره والي البصرة لن يقبل باستيلائهم على بيت المال غصباً.

وقد كان أمر التوجّه إلى البصرة للاستيلاء عليها رأي ورغبة عائشة بالأساس كما يظهر من رواية أبي الفداء إذ قال: «**ولما بلغ عائشة قتل عثمان أعظمتْ ذلك ودعت إلى الطلب بدمه، وساعدها على ذلك طلحة والزبير وعبد الله بن عمر وجماعة من بني أمية، وجمعوا جمعاً عظيماً، واتفق رأيها على المضي إلى البصرة للاستيلاء عليها**».[2]

ولّما وصلت عائشة وجيشها إلى هناك ولم تنفع معها محاولات عثمان بن حنيف للجنوح إلى السلم، اضطر عثمان لتعبئة البصريّين لحربها ولصدّ حملاتها للاستيلاء على دار الإمارة وبيت المال، فوقعت المناوشات بين الطرفين وبدأ تساقط الجرحى.

---

(١) تاريخ الطبري ج٣ ص٤٩١

(٢) تاريخ أبي الفداء ج١ ص٢٦٦

كانت الحملة الأولى عندما: «**أقبلت عائشة فيمن معها حتى انتهوا إلى المِرْبَد، فدخلوا من أعلاه ووقفوا حتى خرج عثمان فيمن معه، وخرج إليها من أهل البصرة من أراد أن يكون معها، فاجتمع القوم بالمِرْبد**».[1] «**فلمّا أقبل طلحة والزبير من المِرْبَدِ يريدان عثمان بن حنيف، وجداه وأصحابه قد أخذوا بأفواه السكك، فمضوا حتى انتهوا إلى موضع الدبّاغين فاستقبلهم أصحاب ابن حنيف فشجرهم طلحة والزبير وأصحابهما بالرماح! فحمل عليهم حُكَيْم بن جبلة، فلم يزل هو وأصحابه يقاتلونهم حتى أخرجوهم من جميع السكك، ورمتهم النساء من فوق البيوت بالحجارة، فأخذوا إلى مقبرة بني مازن، فوقفوا بها مليّاً حّى ثابت إليهم خيلهم، ثم أخذوا على مسنّاة البصرة حتى انتهوا إلى الزابوقة ثمّ سبخة دار الرزق، فنزلوها**».[2]

وكانت الحملة الثانية في اليوم التالي عندما: «**أصبحا من غد فصفّا للحرب، وخرج عثمان ابن حنيف إليهما في أصحابه، فناشدهما الله والاسلام وأذكرهما بيعتهما عليّاً، فقالا: نطلب بدم عثمان! فقال لهما: وما أنتما وذاك، أين بنوه؟ أين بنو عمّه الّذين هم أحقُّ به منكم؟ كلاّ والله ولكنّكما حسدتماه حيث اجتمع الناس عليه! وكنتما ترجوان هذا الامر وتعملان له! وهل كان**

---

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير ج٣ ص٢١٢

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ج٩ ص٣١٨ عن أبي مخنف لوط بن يحيى الكوفي، وقد أضاف أنه لما نزل طلحة والزبير سبخة دار الرزق في تلك الليلة: «**أتاهما عبدالله بن حكيم التميمي لمّا نزلا السبخة بكتب كانا كتباها إليه، فقال لطلحة: يا أبا محمّد! أما هذه كتبك إلينا؟ قال: بلى. قال: فكتبتَ أمس تدعونا إلى خلع عثمان وقتله حتى إذا قتلتَه أتيتنا ثائراً بدمه؟! فلعمري ما هذا رأيك، لا تريد إلاّ هذه الدنيا! مهلاً! إذا كان هذا رأيك فلِمَ قبلتَ من عليٍّ ما عرض عليك من البيعة؟ فبايعتَه طايعاً راضياً، ثم نكثت بيعتك، ثم جئت لتدخلنا في فتنتك؟! فقال: إن عليّاً دعاني إلى بيعته بعدما بايع الناس، فعلمتُ أني لو لم أقبل ما عرضه عليَّ لم يتم لي، ثمّ يغري بي من معه**»!

أحدٌ أشدَّ على عثمان قولاً منكما؟! فشتماه شتماً قبيحاً وذكرا أُمّه![1] فقال للزبير: أما والله لولا صفية ومكانها من رسول الله صلى الله عليه وآله فإنّها أدنتك إلى الظلّ، وإن الأمر بيني وبينك يا ابن الصعبة - يعني طلحة - أعظم من القول؛ لأعلمتكما من أمركما ما يسوءكما! اللهم إني قد أعذرتُ إلى هذين الرجلين. ثم حمل عليهم واقتتل الناس قتالاً شديداً».[2]

غير أن هذه الحملة الثانية انتهت إلى هدنة اتُّفق فيها على الكفّ عن القتال حتى يصل علي عليه السلام، ويبقى فيها ابن حنيف في دار الإمارة وله بيت المال كما يبقى إمام الصلاة في المسجد الجامع، مقابل أن تبقى عائشة وطلحة والزبير وشيعتهم في البصرة ينزلون حيث شاءوا ولا يتعرّض لهم أحدٌ بسوء. وقد كتب الطرفان كتاب الصلح بينهما وهذا نصّه: «**هذا ما اصطلح عليه عثمان بن حُنيف الأنصاري ومَن معه من المؤمنين من شيعة أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب؛ وطلحة والزبير ومن معهما من المؤمنين والمسلمين من شيعتهما. إن لعثمان ابن حنيف دار الإمارة، والرحبة، والمسجد، وبيت المال، والمنبر. وإن لطلحة والزبير ومن معهما أن ينزلوا حيث شاءوا من البصرة ولا يُضارُّ بعضهم بعضاً في طريق، ولا فرضة ولا سوق، ولا شريعة ولا مرفق، حتى يقدم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فإن أحبّوا دخلوا في ما دخلت**

---

(١) هكذا يشتم «الصحابيان الجليلان» طلحة والزبير «الصحابي الجليل» عثمان بن حُنيف شتماً قبيحاً ويذكران أمّه! هنيئاً لأهل «عدالة الصحابة» بصحابتهم!

أَلا يتساءل المخالفون: بأي حق يشتم طلحة والزبير عثمان (رضوان الله عليه) ويشتمان أمّه؟! فإن كان مستحقاً لذلك سقطت «عدالة الصحابة» لأنه منهم، وإن لم يكن مستحقاً سقطت «عدالة الصحابة» أيضاً لأن طلحة والزبير منهم! ولا يخفى أن عثمان (رحمة الله عليه) لم يكن مستحقاً لذلك، فإنما جاء إليهما ناصحاً ولم يشتمهما كما لم يذكر أمّ أحدٍ منهما بسوء، لكنهما (لعنة الله عليهما) قابلاه بهذا لانعدام حجتهما في الردّ عليه.

(٢) المصدر نفسه.

فيه الأمة، وإن أحبّوا لَحِقَ كلُّ قوم بهواهم وما أحبّوا من قتالٍ أو سلمٍ أو خروج أو إقامة، وعلى الفريقيْن بما كتبوا عهد الله وميثاقُه، وأشدّ ما أخذه على نبيٍّ من أنبيائه من عهدٍ وذمّة».[1]

وظنّ عثمان بن حُنيف أن عائشة ومَن والاها ممن يعرفون معنى **«عهد الله وميثاقه»** ويوفون بالعهد والذمة، فرجع **«حتى دخل دار الإمارة وقال لأصحابه: الحقوا رحمكم الله بأهلكم وضعوا سلاحكم وداووا جرحاكم»**.[2]

غير أن ظنّ عثمان لم يكن في محله! فأين عائشة وأين طلحة وأين الزبير وأين أتباعهم من عهد الله وميثاقه وذمّته! فإنهم استغلّوا وضع عثمان وأصحابه للسلاح فانقلبوا عليهم بعد يومين فقط! فنكثوا عهدهم، وهجموا على المدينة، ووصلوا إلى بيت المال وانتهبوه، واعتقلوا عثمان وكادوا يقتلونه بفتوى من عائشة أهدرت فيها دمه!

وهكذا كانت الحملة الثالثة التي جرت فيها الفظائع، والتي روى فيها ابن عبد البر عن المدائني عن شيوخه **«أن عثمان بن حنيف لما كتب الكتاب بالصلح بينه وبين الزبير وطلحة وعائشة أن يكفّوا عن الحرب ويبقى هو في دار الإماره خليفة لعليٍّ على حاله حتى يقدم علي رضي الله عنه فيروْن رأيهم؛ قال عثمان بن حنيف لأصحابه: ارجعوا وضعوا سلاحكم. فلـمّا كان بعد أيام جاء عبد الله بن الزبير في ليلة ذات ريح وظلمة وبرد شديد ومعه جماعة من عسكرهم فطرقوا عثمان بن حنيف في دار الإمارة فأخذوه»**![3]

---

(١) المصدر نفسه، ونحوه في تاريخ الذهبي ص٤٨٤

(٢) المصدر نفسه، ونحوه في الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج١ ص٨٨

(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ج١ ص١٠٨

وروى المسعودي أنه «**لَمّا كان في بعض الليالي بَيَّتُوا عثمان بن حُنيف فأسروه وضربوه ونتفوا لحيته**»![1]

وروى الطبري عن الزهري أنه «**لم يلبث إلا يومين حتى وثبوا عليه فقاتلوه بالزابوقة عند مدينة الرزق فظهروا، وأخذوا عثمان فأرادوا قتله ثم خشوا غضب الأنصار فنالوه في شعره وجسده**»![2]

وروى ابن الأثير أنه «**لم يلبث إلا يومين أو ثلاثة حتى وثبوا على عثمان عند مدينة الرزق فظفروا به وأرادوا قتله! ثم خشوا غضب الأنصار فنتفوا شعر رأسه ولحيته وحاجبيه! وضربوه وحبسوه**»![3]

وروى أبو مخنف الكوفي أنه «**لَمّا استوسق طلحة والزبير أمرهما؛ خرجا في ليلة مظلمة ذات ريح ومطر ومعهما أصحابهما قد ألبسوهم الدروع وظاهروا فوقها بالثياب،[4] فانتهوا إلى المسجد وقت صلاة الفجر وقد سبقهم عثمان بن حنيف إليه، وأُقيمت الصلاة فتقدّم عثمان ليصلّي بهم فأخّره أصحاب طلحة والزبير وقدّموا الزبير، فجاءت السبابجة وهم الشُّرَطُ حرس بيت المال، فأخّروا الزبير وقدّموا عثمان، فغلبهم أصحاب الزبير فقدّموا الزبير وأخّروا عثمان، ولم يزالوا كذلك حتى كادت الشمس أن تطلع! وصاح بهم أهل المسجد: ألا تتّقون**

---

(١) تاريخ المسعودي ج١ ص٣١٦

(٢) تاريخ الطبري ج٣ ص٤٨٦، وقوله: «**ثم خشوا غضب الأنصار**» باعتبار أن عثمان بن حُنيف أنصاري فإذا قُتِل فإن الأنصار سيغضبون ويثورون على عائشة وجماعتها فلا يتم لهم ما أرادوا. أي أن القوم خشوا غضب المخلوقين ولم يخشوا غضب الخالق جلّ وعلا إذ يهمّون بقتل أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله! ولو أن عثمان لم يكن أنصارياً أو لم تكن له عشيرة تغضب له لما تردّدوا في قتله ولما خشوا الله في ذلك!

(٣) الكامل في التاريخ لابن الأثير ج٣ ص٢١٦

(٤) أي أنهم أخفوا دروعهم تحت ثيابهم حتى يغدروا بابن حُنيف وقت الصلاة!

الله يا أصحاب محمد وقد طلعت الشمس؟! فغلب الزبير فصلّى بالناس، فلمّا انصرف من صلاته صاح بأصحابه المستسلحين: أن خُذوا عثمان بن حنيف! فأخذوه بعد أن تضارب هو ومروان بن الحكم بسيفيهما، فلمّا أُسِر ضُرِب ضربَ الموت ونُتِف حاجباه وأشفار عينيه وكل شعرة في رأسه ووجهه»![1]

وروى البلاذري أن طلحة والزبير «**عزما على تبييت ابن حُنيف وهو لا يشعر! وواطآ أصحابهما على ذلك، حتى إذا كانت ليلة ريح وظُلمة، جاءوا إلى ابن حُنيف وهو يصلّي بالناس العشاء الآخرة، فأخذوه وأمروا به فوُطِئَ وَطْئاً شديداً! ونتفوا لحيته وشاربيْه»!**[2]

وروى المفيد أن طلحة والزبير وأصحابهما لمّا هجموا على عثمان «**أوثقوه رباطاً وعمدوا إلى لحيته - وكان شيخاً كثّ اللحية - فنتفوها حتى لم يبقَ منها شيء ولا شعرة واحدة! وقال طلحة: عذّبوا الفاسق وانتفوا شعر حاجبيْه وأشفار عينيه وأوثقوه بالحديد! فلمّا أصبحوا اجتمع الناس إليهم وأذّن مؤذّن المسجد لصلاة الغداة، فرام طلحة أن يتقدّم للصلاة بهم فدفعه الزبير وأراد أن يصلي بهم! فمنعه طلحة! فما زالا يتدافعان حتى كادت الشمس أن تطلع، فنادى أهل البصرة: الله الله يا أصحاب رسول الله في الصلاة نخاف فوتها»!**[3]

وروى اليعقوبي أنه لمّا تمّ الصلح بين الطرفين وكتبوا كتاباً بذلك «**افترقوا، فوضع عثمان ابن حنيف السلاح، فنتفوا لحيته وشاربه وأشفار عينيه وحاجبيه! وانتهبوا بيت المال وأخذوا ما فيه! فلما حضر وقت الصلاة تنازع طلحة والزبير وجذب كل واحد منهما صاحبه حتى**

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج٩ ص٣٢١ عن أبي مخنف.

(٢) أنساب الأشراف للبلاذري ص٢٧٧

(٣) الجمل للمفيد ص١٥١

فات وقت الصلاة! وصاح الناس: الصلاة الصلاة يا أصحاب محمد! فقالت عائشة: يصلّي محمد بن طلحة يوماً وعبد الله بن الزبير يوماً»![١]

ولكن ما الذي جرى بعدما أخذوا عثمان حتى عدلوا عن قتله إلى حبسه وتعذيبه ونتف لحيته وشاربه وأشفار عينيه؟

يجيب على ذلك المؤرخّون فقد روى الطبري عن سهل بن سعد قال: «**لمّا أخذوا عثمان ابن حُنيف أرسلوا أبان بن عثمان**[٢] **إلى عائشة يستشيرونها في أمره، قالت: اقتلوه! فقالت لها امرأة: نشدتكِ بالله يا أم المؤمنين في عثمان وصحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم! قالت: رُدّوا أباناً، فردّوه، فقالت: احبسوه ولا تقتلوه! قال: لو علمتُ أنكِ تدعينني لهذا لم أرجع! فقال لهم مجاشع بن مسعود: اضربوه وانتفوا شعر لحيته! فضربوه أربعين سوطاً ونتفوا شعر لحيته ورأسه وحاجبيْه وأشفار عينيه وحبسوه»!**[٣]

وروى سبط ابن الجوزي «**ثم إن طلحة والزبير اغتالا عثمان بن حُنيف في ليلة مظلمة وكان في المسجد في جماعة، فأوطأوه الأرجل ونتفوا شعر وجهه فما أبقوا فيه شعرة! وأرسلوا إلى عائشة ليستشيروها فيه، فقالت: اقتلوه! فقالت لها امرأة: ناشدتك الله في عثمان فإنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: احبسوه واضربوه أربعين سوطاً وانتفوا شعر رأسه ولحيته وحاجبيْه وأشفار عينيه! ففعلوا»!**[٤]

---

(١) تاريخ اليعقوبي ج١ ص١٧٩، وليس يعنينا تحديد أي التفاصيل أصح، فالمهم هو مجموع الروايات وإن اختلفت بعض تفاصيلها كما هو حال معظم الروايات التاريخية بل الحديثية أيضاً لم تسلم من ذلك.

(٢) هو أبان بن عثمان بن عفان، وكان أحد المجرمين في جيش عائشة.

(٣) تاريخ الطبري ج٣ ص٤٨٥

(٤) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي ص٦٧

وروى ابن عبد البر أنهم ذهبوا «**إلى عائشة يستشيرونها في عثمان وكان الرسول إليها أبان ابن عثمان، فقالت عائشة: اقتلوا عثمان بن حنيف! فقالت لها امرأة: نشدتكِ الله يا أم المؤمنين في عثمان بن حنيف وصحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم! فقالت: رُدّوا أباناً، فردّوه، فقالت: احبسوه ولا تقتلوه! فقال أبان: لو أعلم أنكِ رددتني لهذا لم أرجع! وجاء فأخبرهم، فقال لهم مجاشع بن مسعود: اضربوه وانتفوا شعر لحيته! فضربوه أربعين سوطاً ونتفوا شعر لحيته وحاجبه وأشفار عينه**»![1]

وروى ابن الأثير أنه «**لمّا أُخِذ عثمان أرسلوا إلى عائشة يستشيرونها في أمره، فقالت: اقتلوه! فقالت لها امرأة: نشدتكِ الله في عثمان وصحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم! فقالت لهم: احبسوه! فقال لهم مجاشع بن مسعود: اضربوه وانتفوا لحيته وحاجبيْه وأشفار عينيه! فضربوه أربعين سوطاً ونتفوا لحيته وحاجبيْه وأشفار عينيه وحبسوه ثم أطلقوه! وجعلوا على بيت المال عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق**»![2]

وروى أبو مخنف الكوفي أنهم لمّا انطلقوا بعثمان بن حُنيف إلى عائشة «**قالت لأبان ابن عثمان: اخرُج إليه فاضرب عنقه فإن الأنصار قتلت أباك وأعانت على قتله**»![3]

هكذا تعاملت عائشة مع عثمان بن حُنيف (رضوان الله تعالى عليه) الذي لم تقدّر له صحبته لرسول الله (صلى الله عليه وآله) وصلاحه وجهاده، بل ولم تقدّر شيخوخته، فأفتت أولاً بإهدار دمه قائلة: «**اقتلوه! اقتلوا عثمان بن حُنيف! اخرُج إليه فاضرب عنقه**»! ثم لمّا

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ج١ ص١٠٩

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير ج٣ ص٢١٥، وذيله يشهد بأن الذي تولّى أمر الاستيلاء على بيت المال هو أخو عائشة وابن أبي بكر! إنها عائلة القتلة والمجرمين والسُرّاق اللصوص!

(٣) شرح النهج لابن أبي الحديد ج٩ ص٣٢١ عن أبي مخنف.

ناشدتها امرأة وخيف غضب الأنصار عدلت عن ذلك فقالت: «**احبسوه**»**!** فحبسوه وعـذّبوه بضرب السياط وبنتف شعره «**حتى لم يبق في وجهه شعرة إلا نتفوها**»**!**[١]

وكم كان ذلك مؤلماً لقلب أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) ولقلوب الأخيار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، فإنه لمّا بلغه وهو في الرّبذة خبر ما صنعته عائشة وطلحة والزبير في عامله عثمان؛ قام على الغرائر فقال: «**إنه أتاني خبر متفظّع ونبأ جليل؛ أن طلحة والزبير وردا البصرة فوثبا على عاملي فضرباه ضرباً مبرّحاً وتُرِكَ لا يُدرى أَ حيٌّ هو أم ميّت! (...) فبكى الناس بكاءً شديداً، ورفع أمير المؤمنين عليه السلام يديه يدعو ويقول: اللهم اجزِ طلحة والزبير جزاء الظالم الفاجر والخفور الغادر**»**!**[٢]

وكان المشهد الأكثر إيلاماً وبكاءً هو رؤية أمير المؤمنين (عليه السلام) لصاحبه وخليفته عثمان وقد نُتف شعر وجهه وأشفار عينيه وبدت آثار التعذيب عليه ظاهرة! فقد روى أبو مخنف الكوفي عن الصقعب بن زهير أن القوم «**خيّروا عثمان بن حُنيف بين أن يقيم أو يلحق بعلي، فاختار الرحيل فخلّوا سبيله، فلحق بعلي عليه السلام، فلمّا رآه بكى وقال له: فارقتك شيخاً وجئتك أمرد! فقال علي: إنا لله وإنا إليه راجعون. قالها ثلاثا**».[٣]

وروى الطبري عن محمد بن الحنفية قال: «**قَدِمَ عثمان بن حُنيف على عليٍّ بالرّبذة وقد نتفوا شعر رأسه ولحيته وحاجبيْه! فقال: يا أمير المؤمنين! بعثتني ذا لحية وجئتك أمرد! قال:**

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج٧ ص٢٦٠

(٢) الكافئة للمفيد ص١٧

(٣) شرح النهج لابن أبي الحديد ج٩ ص٣٢١ عن أبي مخنف.

أصبت أجراً وخيراً» ثم دعا على طلحة والزبير بقوله: «**اللهم فاحلُلْ ما عقدا ولا تُبرم ما قد أحكما في أنفسهما وأَرِهما المساءة في ما قد عَمِلا**».[1]

وكذا دعا (عليه السلام) على عائشة وطلحة والزبير وجميع مَن عاونهم على جرائمهم في البصرة بقوله: «**اللهم إنك تعلم أنهم اجترؤوا عليك واستحلّوا حرماتك، اللهم اقتلهم بمن قتلوا من شيعتي، وعجّل لهم النقمة بما صنعوا بخليفتي**».[2]

هذا وقد انتفض الرجل الصالح[3] **حُكَيْم بن جبلة العبدي** (رضوان الله تعالى عليه) على أثر الذي أجرمته عائشة وبنوها في حق عثمان بن حُنيف، وقد مرّ ذكره في الفصل الثاني مفصّلاً فلا نعيد،[4] وكانت الإشارة إليه لازمة ههنا لتسجيل أنه قُتِل دفاعاً عن عثمان والمظلومين في البصرة ضد عائشة وبنيها الظالمين المعتدين في ما عُرف بيوم الجمل الأصغر!

هكذا يتكشّف لنا الوجه الإجرامي لعائشة التي كانت زعيمة الناكثين وقائدة المجرمين الإرهابيين! وهي التي لا تتورّع عن الفتوى بقتل الأبرياء وكبار المؤمنين الأجلاء كابن حُنيف، مع أنه لم يرتكب ذنباً بل التزم بحفظ أمانته التي استأمنه عليها خليفة المسلمين، فالرجل إنما كان يحفظ بيت مال البصرة ويؤدي واجباته المنوطة به باعتباره والياً عليها. وعائشة وطلحة والزبير ومَن والاهم هم الذين هجموا على مدينته وأحدثوا فيها الفساد وأرادوا نهب بيت المال فمنعهم عن ذلك بعد النصيحة التي لم تنفع. ثم بعد هذا قام الرجل

---

(١) تاريخ الطبري ج٣ ص٤٩٥ ونحوه في الكامل في التاريخ لابن الأثير ج٣ ص٢٢٦

(٢) الجمل للمفيد ص١٥٤

(٣) قال فيه ابن عبد البر في الاستيعاب ج١ ص١٠٨: «**كان رجلاً صالحاً له دين، مُطاعاً في قومه، وهو الذي بعثه عثمان إلى السند فنزلها**». وكذا قال فيه ابن الأثير في أُسد الغابة ج٢ ص٤٠

(٤) راجع ص٢٦٧ من هذا الكتاب وما بعدها متناً وهامشاً.

ووادعهم وعقدوا صلحاً أشهدوا عليه الله تبارك وتعالى، فنكثت عائشة وبنوها ذلك أيضاً وغدروا وقتلوا ونهبوا وعذّبوا عثمان ذلك التعذيب الوحشي!

ترى أي ذنب أذنبه عثمان بن حُنيف حتى تُهدر عائشة دمه؟! وأي جرم أجرمه حتى تأمر رجالها بحبسه فيجلدونه أربعين سوطاً ثم ينتفون شعر لحيته وحاجبيْه وأشفار عينيه؟!

ثم بأي وجه تقول عائشة لأبان بن عثمان بن عفان: «**اخرُج إليه فاضرب عنقه فإن الأنصار قتلت أباك وأعانت على قتله**»؟! فإنّه حتى لو صحّ كلامها في أن الأنصار قتلت ابن عفّان وأعانت على قتله؛ فهل يُجوِّز شرع الإسلام قتل رجل بريء لمجرّد أنه ينتمي إلى القتلة نسباً؟! فابن حُنيف لم يشترك في قتل عثمان ولم يُعن عليه!

سبحان الله! إنه منطق أهل الجاهلية وحكمهم، فإنهم كانوا يقتلون الإنسان البريء ويأخذونه بجريرة غيره من قومه، وقد جاء الإسلام فأبطل حكم الجاهلية هذا في قوله تعالى: «**وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ**».[1] فلو قتل رجل رجلاً، لم يجز في شرع الإسلام لأولياء المقتول قتل أخ القاتل أو ابن عمّه، غير أنه في شرع عائشة يجوز! وما ذلك إلا لأنها تحكم بحكم الجاهلية في واقع الأمر، وقد قال تعالى: «**أَفَحُكْمَ الجاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ؟ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**»؟[2] وإعراضها عن حكم الإسلام بابتغاء حكم الجاهلية يرتّب عليها كونها: ضالة، ظالمة، فاسقة، كافرة، مخلدة في النار، ولها عذاب أليم! وذلك لما تقدّم من آيات بيّنات في حكم من لم يحكم بما أنزل الله تعالى.[3]

(١) الأنعام: ١٦٥

(٢) المائدة: ٥١

(٣) راجع ص٥٤٨ - ٥٤٩ من هذا الكتاب.

إن هذا يوضّح أي قلبٍ ينضح بالإجرام والإرهاب والتعطش لسفك الدماء تحمله هـذه المرأة! ولو أنّا أعرضنا أصلاً عن فتوى عائشة بقتل ابن حُنيف لكان مجرّد غـدرها وأصـحابها به بعد العهد والميثاق موجباً للعنها ولعنهم وتبوّئها وتبوّئهم سـوء الـدار، إذ يقـول عـزّ مـن قائل: «**وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ**».[١]

لقد حرّم الله تبارك وتعالى نقض العهد حتى مـع المـشركين، فقـال سـبحانه: «**إِلَّا الَّـذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَـيْهِمْ عَهْـدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ**».[٢] فلا يجوز شرعاً نقض العهد قبل انقضاء مدّتـه. والعهـد الـذي كان بين عثمان بن حُنيف وبين عائشة وطلحة والزبير ينصّ على أنه يمتدّ ويسري حتـى مجـيء الإمام علي (صلوات الله عليه) ووصوله إلى البصرة، فكان الواجـب الالتـزام بـه وإتمامـه إلى مدّته. فكيف استحلّت عائشة وأصحابها نقضه قبل مدّته فأغـاروا عـلى عـثمان وأصـحابه في ليلة مظلمة ذات ريح ومطر؟! هذا مع أن عثمان لم يكن من المشركين بـل كـان مـن المـسلمين المؤمنين ومن أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) الخيّرين! ولو كـان مـن المـشركين لمـا جاز لعائشة نقض عهدها معه فكيف وهو مَن هو؟!

ثم بِمَ استحلّت عائشة وأصحابها التمثيل بعثمان وتعذيبـه هكـذا وقـد حـرّم رسـول الله (صلى الله عليه وآله) المُثْلَة حتى بالكلب العقور![٣] وبأي حـق تـأمر بتقييـد حريّتـه وسـجنه قائلة: «**احبسوه**»!

---

(١) الرعد: ٢٦

(٢) التوبة: ٤

(٣) معجم الطبراني ج١ ص١٠٠ وحديث النهي عن المُثلة مستفيض مشهور.

أَ هذه «أم المؤمنين» أم هي «أم المجرمين»؟!

وإني لأحسب أن عائشة «شرّفت» تنظيم القاعدة وغيرها من التنظيمات الإرهابية بأفعالها الإرهابية الإجرامية! وما أفراد هذه التنظيمات إلا أبناء بَرَرَة لها!

■ **فتوى عائشة بذبح حراس بيت مال المسلمين!**

ذكرنا في ما تقدّم أن عين عائشة وطلحة والزبير كانت على بيت مال البصرة في خروجهم على أمير المؤمنين صلوات الله عليه، وأنهم أرادوا انتهابه بأية وسيلة.

وكان يحرس بيت مال البصرة جماعة من صلحاء المسلمين يُقال لهم: «**السيابجة أو السبابجة**» ويُقال لهم أيضا: «**الزُّط**»، وأصلهم من السند، وكانوا من ذوي الجلادة والقوة ولذا استُعين بهم على حماية مال ومصالح الولاية. وكان لهم رئيس يُدعى «**أبو سلمة الزُّطّي**» وكان عبداً صالحاً.

فما الذي جرى لهؤلاء بسبب عائشة؟ لندع الجواب للمؤرّخين:

روى أبو مخنف الكوفي أن عائشة أرسلت إلى الزبير: «**أن اقتل السبابجة! فإنه قد بلغني الذي صنعوا بك.**[1] **قال: فذبحهم والله الزبير كما يُذبح الغنم! وَلِيَ ذلك منهم عبد الله ابنُه، وهم سبعون رجلاً! وبَقِيَت منهم طائفة مستمسكين ببيت المال، قالوا: لن ندفعه إليكم حتى يقدُمَ أمير المؤمنين. فسار إليهم الزبير في جيش ليلاً، فأوقع بهم وأخذ منهم خمسين أسيراً، فقتلهم صبراً! قال أبو مخنف: فحدّثنا الصقعب بن زهير قال: كانت السبابجة القتلى يومئذ**

(١) قد مرّ في ص٥٦١ أن هؤلاء دافعوا عن عثمان بن حُنيف حين أراد الزبير بن العوّام إزاحته عن الصلاة بالناس قهراً خلافاً للاتفاق بين الطرفين، فأثار ذلك حنق عائشة، وهذا ما تعنيه في قولها: «**فإنه قد بلغني الذي صنعوا بك**».

أربعمئة رجل! قال: فكان غدر طلحة والزبير بعثمان بن حُنيف أول غدر كان في الإسلام! وكان السبابجة أول قوم ضُرِبَت أعناقهم من المسلمين صبراً»![١]

وروى المسعودي أنهم «**أرادوا بيت المال فمانعهم الخزّان والموكّلون به وهم السيابجة، فقُتل منهم سبعون رجلاً غير مَن جُرِح! وخمسون من السبعين ضُرِبت رقابهم صبراً من بعد الأسر! وهؤلاء أوّل من قُتِل ظلماً في الإسلام وصبراً»**![٢]

وروى سبط ابن الجوزي أنهم «**نهبوا بيت مال البصرة! وقتلوا سبعين رجلاً من المسلمين بغير جرم! فهم أول من قُتِل في الإسلام ظُلماً»**![٣]

وروى الطبري وابن الأثير «**فشهر الزُّطُّ والسيابجة السلاح ثم وضعوه فيهم، فأقبلوا عليهم فاقتتلوا في المسجد فقُتِلوا وهم أربعون رجلاً»**![٤]

وروى ابن عبد البرّ أنه «**لمّا غدر ابن الزبير بعثمان بن حُنيف بعد الصلح الذي كان عقده عثمان بن حنيف مع طلحة والزبير؛ أتاه ابن الزبير ليلاً في القصر فقتل نحو أربعين رجلاً من الزُّطِّ على باب القصر وفتح بيت المال! (...) ثم انتهوا به إلى بيت المال فوجدوا أُناساً من الزُّطِّ يحرسونه، فقتلوا منهم أربعين رجلاً»**![٥]

وروى ابن قتيبة «**فمكث عثمان بن حُنيف في الدار أياماً، ثم إن طلحة والزبير ومروان ابن الحكم أتوه نصف الليل في جماعة منهم في ليلة مظلمة سوداء مطيرة وعثمان نائم، فقتلوا**

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج٩ ص٣٢١ عن أبي مخنف.

(٢) مروج الذهب للمسعودي ج٢ ص٣٧٧

(٣) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي ص٦٧

(٤) تاريخ الطبري ج٣ ص٤٨٥ والكامل في التاريخ لابن الأثير ج٣ ص٢١٥ واللفظ للأخير.

(٥) الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البرّ ج١ ص١٠٨

أربعين رجلاً من الحرس! فخرج عثمان بن حُنيف، فشدّ عليه مروان فـأسره وقتـل أصـحابه! فأخذه مروان فنتف لحيته ورأسه وحاجبيْه! فنظر عثمان بن حُنيف إلى مروان فقال: أما إنك إنْ تَفُتني بها في الدنيا؛ لم تَفُتْني بها في الآخرة»!(١)

وروى أبو الفداء «**فقُتل من أصحاب عثمان بن حُنيف أربعون رجلاً**»!(٢)

وروى الذهبي «**ثم كانت ليلةً ذات ريح وظلمة، فأقبل أصحاب طلحـة فقتلـوا حـرس عثمان بن حُنيف! ودخلوا عليه فنتفوا لحيته وجفون عينيْه**»!(٣)

وروى البلاذري «**وكانت جماعة من السيابجة موكَّلين ببيـت مـال البـصرة، يُقـال: إنهـم أربعون، ويُقال: أربعمئة. فلمّا قَدِمَ طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوّام البصرة؛ وعليهـا مـن قِبَلِ علي بن أبي طالب عثمان بن حُنيف الأنصاري؛ أبوْا أن يسلّموا بيـت المـال إلى قـدوم عـلي رضي الله عنه، فأتوْهـم في السَّحَر فقتلوهم! وكان عبد الله بن الزبير المتـولّي لأمـرهم في جماعـة تسرّعوا إليهم معه! وكان على السيابجة يومئذ أبو سلمة الزُّطّي، وكان رجلاً صالحاً**»!(٤)

وروى المفيد «**وطلب طلحة والزبير وأصحابهما عثمان حتى أتوْا دار الإمارة وعـثمان ابـن حُنيف غافل عنهم، وعلى باب الدار السبابجة يحرسـون بيـوت الأمـوال، وكـانوا قومـاً مـن الزُّطِّ، فوضعوا فيهم السيف من أربع جوانبهم فقتلوا أربعين رجلاً منهم صبراً! يتـولّى مـنهم ذلك الزبير خاصةً**»!(٥)

---

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج١ ص٨٩

(٢) تاريخ أبي الفداء ج١ ص٢٦٦

(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي ج٢ ص٣٢٢

(٤) فتوح البلدان للبلاذري ج٢ ص٤٦٢ ونحوه في كتابه الآخر أنساب الأشراف ص٢٢٧

(٥) الجمل للمفيد ص١٥١

بالغدر، بالغيلة، بنكث العهود والمواثيق، بسفك الدماء التي حرّم الله.. هكذا انتصرت عائشة! وهكذا استولى طلحة والزبير على بيت مال البصرة! وكم كان ذلك مفرحاً لهما فإنهما «**لمّا دخلا بيت المال في البصرة ورأوْا ما فيه من الأموال؛ قال الزبير: وَعَدَكُمُ اللهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هٰذِهِ! فنحن أحقُّ بها من أهل البصرة! فأخذا ذلك المال كلّه**»![1]

ولم يكن مهمّاً عند هؤلاء القتلة المجرمين سفك دماء نحو أربعمئة مسلم صالح من السبابجة حرّاس بيت مال المسلمين ما دام ما كان في ذلك البيت قد غدا في حوزتهم الآن!

الله أكبر! أيُّ جرائم وجنايات أباحتها عائشة بفتاواها! وكم نفساً بريئة أزهقتها ظلماً وعدواناً من أجل سرقة أموال المسلمين!

وقد قال الله تعالى: «**وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً**»[2] وعليه فإن عائشة جزاؤها جهنّم خالدة فيها، وعليها غضب الله ولعنته، فكيف لا يُراد لعنها والبراءة منها وهي التي أعدّ الله لها عذاباً عظيماً لقتلها العمدي للمؤمنين!

وقد قال تعالى: «**مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا**»[3] فلو أن عائشة تسبّبت بقتل نفس واحدة بريئة لحملت وزر قتل الناس جميعاً، فكيف وقد بذبح نحو أربعمئة من المسلمين الصالحين «**كما يُذبح الغنم**» بفتواها للزبير: «**أن اقتل السبابجة**»!

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج٩ ص٣٢٢ عن أبي مخنف.

(٢) النساء: ٩٤

(٣) المائدة: ٣٣

أَ فهل ينفعها عند الله تعالى كونها زوجة سابقة لرسول الله (صلى الله عليه وآله) في الدنيا؟ كلاّ وحاشا! فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بريء منها بعد أفعالها الإجرامية وهو القائل: «**من خرج على أمتي يضرب برَّها وفاجرها ولا يتحاشى من مؤمنها ولا يفي لذي عهدٍ عهده فليس مني ولستُ منه**»![1] وعائشة مصداق واضح لهذا الحديث الشريف، فإنها خرجت تحرّض على قتل المؤمنين الأبرار، ولم تفِ بعهدها لعثمان بن حُنيف، فليست من النبي (صلى الله عليه وآله) وليس منها!

وهل يظنّ أحدٌ بأن عائشة السفّاحة يمكن أن يُغفر لها بعد الذي ارتكبته؟ كلاّ وحاشا! فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «**كل ذنبٍ عسى الله أن يغفره؛ إلا من مات مشركاً، أو مؤمنٌ قتل مؤمناً متعمِّداً**»![2] وهل بعد قولها: «**اقتلوا عثمان بن حنيف! اقتلوا السبابجة**»! تعمّد أظهر وأصرح منه؟!

ألا لعنة الله على عائشة والراضين بأفعالها إلى يوم يقوم الأشهاد! «**وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ**»![3]

■ تسبّب عائشة بقتل العبّاد أصحاب الثفنات!

قد أُشير في ما سبق إلى أن حُكيم بن جبلة العبدي (رضوان الله تعالى عليه) ثار دفاعاً عن عثمان بن حُنيف الأنصاري وانتقاماً للسبابجة المؤمنين الذين قُتلوا ظلماً رحمة الله عليهم. غير أن من اللازم استدراك أن حُكيماً لم يُقتل لوحده، فقد قُتل معه أخوته الثلاثة، وابنه، وجمع

---

(١) صحيح مسلم ج٦ ص٢١

(٢) سنن أبي داود ج٢ ص٣٠٧

(٣) هود عليه السلام: ١٩

غفير من العبديّين وُلد عبد القيس بن أفصي؛ والبكريّين وُلد بكر بن وائل، وقد كان هؤلاء يُعرفون بأصحاب الثفنات لأن جبهاتهم كانت تشبه ثفنات الإبل من كثرة السجود والخضوع لله عز وجل.

هؤلاء الذين ناهز عددهم ثلاثمئة رجل من صلحاء وأخيار وعُبّاد المؤمنين؛ استشهدوا جميعاً بسبب عائشة وأوامرها الإرهابية ومخططاتها الإجرامية!

روى المفيد أنه لّما «**بلغ حُكَيْم بن جبلة العبدي ما صنع القوم بعثمان بن حنيف وقتلهم السبابجة الصالحين خُزّان بيت مال المسلمين؛ نادى في قومه: يا قوم انفروا إلى هؤلاء الضالّين الظالمين الذين سفكوا الدم لحرام وفعلوا بالعبد الصالح واستحلّوا ما حرّم الله عزّ وجل! فأجابه سبعمئة رجل من عبد قيس وأتوا المسجد واجتمع الناس إلى حُكَيْم بن جبلة فقال للقوم: أما ترَوْنَ ما صنعوا بأخي عثمان بن حُنيف ما صنعوا؟! لستُ بأخيه إنْ لم أنصره. ثم رفع يديه إلى السماء فقال: اللهم إن طلحة والزبير لم يريدا بها عَمِلا القربة منك وما أرادا إلا الدنيا، اللهم اقتلهما بمن قتلا ولا تعطهما ما أمّلا. ثم ركب فرسه وأخذ بيده الرمح واتّبعه أصحابه، وأقبل طلحة والزبير ومَن معهما وهم في كثرة من الناس قد انضمّ إليهم الجمهور، واقتتلوا قتالاً شديداً حتى كَثُرت بينهم الجرحى والقتلى**»![1]

وروى المسعودي أن جُند عائشة «**قتلوا حُكيم بن جبلة العبدي، وكان من سادات عبد القيس وزُهّاد ربيعة ونُسّاكها**»![2]

---

(١) الجمل للمفيد ص١٥١

(٢) مروج الذهب للمسعودي ج٢ ص٣٧٧

وروى ابن الأثير أن حُكيم بن جبلة خرج «**في سبعمئة من عبد القيس وبكر بن وائل، فلَقِيَ طلحة والزبير بالزابوقة قرب البصرة، فقاتلهم قتالاً شديداً فقُتِل**»!(١)

وروى أبو مخنف الكوفي «**فلما بلغ حُكيم بن جبلة ما صنع القوم بعثمان بن حنيف خرج في ثلاثمئة من عبد القيس مخالفاً لهم ومنابذاً، فخرجوا إليه وحملوا عائشة على جمل! فسُمِّيَ ذلك اليوم يوم الجمل الأصغر، ويوم عليٍّ يوم الجمل الأكبر. وتجالد الفريقان بالسيوف، فشدَّ رجلٌ من الأزد من عسكر عائشة على حُكيم بن جبلة فضرب رِجْله فقطعها! ووقع الأزدي عن فرسه، فجثا حُكيم فأخذ رِجْله فَرَما بها الأزدي فصرعه، ثم دبَّ إليه فقتله مُتّكئاً عليه خانقاً له حتى زهقت نفسه، فمرَّ بحُكيم إنسان وهو يجود بنفسه فقال: مَن فعل بك؟ قال: وسادي! فنظر فإذا الأزدي تحته! وكان حُكيم شجاعاً مذكوراً. قال: وقُتِلَ مع حُكيم إخوةٌ له ثلاثة؛ وقُتِلَ أصحابُه كلهم وهم ثلاثمئة من عبد القيس، والقليل منهم من بكر بن وائل**»!(٢)

وروى خليفة بن خياط عن سنان بن سلمة بن المحبق الهذلي: «**جاء حُكيم بن جبلة العبدي في سبعمئة من عبد القيس وبكر بن وائل، فاقتتلوا، فقُتِلَ حُكيم بن جبلة وأخوه الزّعل بن جبلة وابنه الأشرف بن حُكيم**»!(٣)

وروى البلاذري «**وركب حُكيم بن جبلة العبدي حتى انتهى إلى الزابوقة، وهو في ثلاثمئة، منهم من قومه سبعون، وقال إخوة له وهم الأشرف والحكيم والرِّعل، فسار إليهم طلحة والزبير فقالا: يا حُكيم ما تريد؟ قال: أريد أن تحلّوا عثمان بن حُنيف وتقرّوه في دار**

---

(١) أُسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ج٢ ص٣٩

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ج٩ ص٣٢٢ عن أبي مخنف.

(٣) تاريخ خليفة بن خياط ص١٣٧

الإمارة وتسلّموا إليه بيت المال، وأن ترجعا إلى قدوم علي. فأبوا ذلك واقتتلوا، فجعل حُكيم يقول:

أَضرِبُهُم باليابسِ ضَرْبَ غُلامٍ عابسِ
مِنَ الحيَاةِ آيِسِ

فضُربت رجله فتقطّعت! فحبا وأخذها فرمى بها ضاربَه فصرعه! وجعل يقول:

يا نَفسُ لا تُراعي إنْ قَطَعوا كُراعي
إنّ مَعي ذِراعي

وجعل يقول أيضاً:

ليسَ عَليَّ في المماتِ عارُ والعارُ في الحَرْبِ هو الفِرارُ
والمجدُ أن لا يُفضَحَ الذِّمارُ

فقُتِلَ حُكيم في سبعين من قومه وقُتِلَ إخوته الثلاثة»![1]

وروى الطبري «وبلغ حُكَيْم بن جبلة ما صُنِع بعثمان بن حنيف فقال: لست أخاف الله إنْ لم أنصره. فجاء في جماعة من عبد القيس وبكر بن وائل وأكثرهم عبد القيس، فأتى ابن الزبير مدينة الرزق فقال: مالَك يا حُكيم؟ قال: نريد أن نرتزق من هذا الطعام وأن تخلوا عثمان فيقيم في دار الإمارة على ما كتبتم بينكم حتى يَقدُمَ عليّ، والله لو أجد أعوانا عليكم أخبطكم بهم ما رضيت بهذه منكم حتى أقتلكم بمن قتلتم، ولقد أصبحتم وإن دماءكم لنا حلال بمن قتلتم من إخواننا، أما تخافون الله عز وجل؟! بمَ تستحلون سفك الدماء؟! قال:

---

(١) أنساب الأشراف للبلاذري ص٢٢٨، والكُراع: ما دون الركبة إلى الكعب.

بدم عثمان بن عفان رضي الله عنه! قال: فالذين قتلتموهم قتلوا عثمان؟! أما تخافون مقت الله؟! فقال له عبد الله بن الزبير: لا نرزقكم من هذا الطعام ولا نخلّي سبيل عثمان بن حنيف حتى يخلع عليا! قال حُكيم: اللهم إنك حكمٌ عدلٌ فاشهد! وقال لأصحابه: إني لست في شك من قتال هؤلاء فمن كان في شك فلينصرف. وقاتلهم قتالا شديدا، وضرب رجلٌ ساق حُكيم فقطعها، فأخذ حُكيم ساقه فرماه بها فأصاب عنقه فصرعه ووقذه، ثم حبا إليه فقتله واتكأ عليه، فمرّ به رجلٌ فقال: من قتلك؟ قال: وسادتي! وقُتِلَ سبعون رجلاً من عبد القيس! قال عامر ومسلمة: قُتِلَ مع حُكيم ابنه الأشرف وأخوه الرِّعل بن جبلة»![1]

وروى ابن عبد البر «وبلغ حُكيم بن جبلة ما صُنِعَ بعثمان بن حُنيف فقال: لست أخاه إن لم أنصره! فجاء في سبعمئة من عبد القيس وبكر بن وائل وأكثرهم عبد القيس؛ فأتى ابن الزبير في مدينة الرزق فقال: مالَك يا حُكيم؟ قال: نريد أن نُرزق من هذا الطعام وأن تخلّوا عثمان بن حنيف فيقيم في دار الإمارة على ما كنتم كتبتم بينكم وبينه حتى يَقْدِمَ عليٌّ على ما تراضيتم عليه، وأيّمُ الله لو أجد أعوانا عليكم ما رضيتُ بهذا منكم حتى أقتلكم بمن قتلتم! ولقد أصبحتم وإن دماءكم لحلال بمن قتلتم من إخواننا! أما تخافون الله؟! بِمَ تستحلّون الدماء؟! قالوا: بدم عثمان! قال: فالذين قتلتموهم قتلوا عثمان أو حضروا قتله؟! أما تخافون الله؟! فقال ابن الزبير: لا نرزقكم من هذا الطعام ولا نخلّي عثمان حتى يخلع عليّاً! فقال حُكيم: اللهم اشهد! اللهم اشهد! وقال لأصحابه: إني لستُ في شك من قتال هؤلاء فمن كان في شك فلينصرف. فقاتلهم، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وضرب رجلٌ ساق حُكيم فقطعها!

---

(١) تاريخ الطبري ج٣ ص٤٩١

فأخذ حُكيم الساق فرماه بها فأصاب عنقه فصرعه ووقذه، ثم حَجَلَ إليه فقتله. وقُتِل يومئذ سبعون رجلاً من عبد القيس»![1]

وروى ابن الأثير «قُطعت رِجْلُه فأخذها وضرب بها الذي قطعها فقتله ولم يزل يقاتل ورجله مقطوعة وهو يقول:

يا ساقِ لن تُراعي إنّ معي ذِراعي

أَحمي بها كُراعي

حتى نزفه الدم فاتكأ على الرجل الذي قطع رجله وهو قتيل، فقال له قائل: من فعل بك هذا؟ قال: وسادتي! فما رُؤِيَ أشجع منه. ثم قتله سُحيم الحُداني. قال أبو عبيدة معمّر ابن المثنى: ليس يُعرف في جاهلية ولا إسلام رجلٌ فعل مثل فعله»![2]

وكيفية قتل سُحيم أو ضُخيم الحُداني (لعنه الله) لابن جبلة (رحمه الله) كانت بشعة، ولعلّه كان يقصد التمثيل به أيضاً، ذلك لأن حُكيماً بعدما قطع الأزدي رِجْله بقي ينزف ويجود بنفسه، أي أنه كان جريحاً على وشك الموت فلا يجوز شرعاً الإجهاز عليه لأن النبي (صلى الله عليه وآله) حرّم الإجهاز على جريح، إلا أن هذا القاتل اللعين جاء وضرب عنق حُكيم عمداً بطريقة بشعة! فقد روى الطبري عن عامر بن حفص عن أشياخه قال: «ضرب عنق حُكيم بن جبلة رجل من الحدّان يُقال له ضخيم، فمال رأسه فتعلّق بجلده فصار وجهه في قفاه»![3]

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ج١ ص١٠٩

(٢) أسد الغابة لابن الأثير ج٢ ص٤٠

(٣) تاريخ الطبري ج٣ ص٤٩٠

ثم بعدما استشهد حُكيم تشجّع القوم لقتل عثمان بن حُنيف لأنه بقتل حُكيم فقد خير ظهر وسند له ولم يبقَ له في البصرة من الشجعان من يدافع عنه، غير أنهم تراجعوا عن ذلك خوفاً من أخيه **سهل بن حُنيف** (رضوان الله تعالى عليه) الذي كان آنذاك خليفة الإمام (عليه السلام) على المدينة. روى الطبري عن أبي المليح قال: «**لمّا قُتِلَ حُكيم بن جبلة أرادوا أن يقتلوا عثمان بن حُنيف! فقال: ما شئتم! أما إن سهل بن حُنيف والٍ على المدينة، وإنْ قتلتموني انتصر! فخلّوا سبيله**».(١)

هذه المجزرة الدامية التي تُعرف بيوم الجمل الأصغر والتي راح ضحيتها من المسلمين المؤمنين ما بين سبعين إلى ستمئة قتيل – على اختلاف الروايات – ناهيك عن الجرحى من السبعمئة؛ وقعت بينما كانت عائشة راكبة على جملها الملعون تشرف دون أن يهتزّ لها جفن أو ترتعش لها يد! فأي قلبٍ من حجر تحمله هذه المرأة؟!

وبأي ذنب سُفكت دماء هؤلاء الأبرياء؟! أَ لأنهم غضبوا للغدر بعثمان ونقض العهد؟! أم لأنهم غضبوا لقتل السبابجة وحرّاس دار الإمارة وبيت المال؟! أم لأنهم طالبوا بطعامهم ورزقهم الذي استولى عليه ابن الزبير وحرمهم منه؟!

أَمَا أخذت عائشة وجُندها ذرة شفقة أو رأفة بهؤلاء المسلمين الذين ذنب لهم إلا أنهم غضبوا لما حلّ في بلادهم من فساد وسفك للدماء بغير وجه حق؟!

لقد كان أهل البصرة قبل قدوم عائشة وجُندها إليها يعيشون آمنين مطمئنين تحت ظل حكومة أمير المؤمنين عليه السلام، فلمّا وصلت الحميراء إذا بها توقع بينهم الفتنة والعداوة ثم لا تستكفي بذلك بل تتعدّاه إلى الإفتاء والأمر بقتل الناس وحبسهم وتعذيبهم ونهب أموالهم

---

(١) المصدر نفسه.

وحرمانهم من أرزاقهم وتجويعهم ومنعهم طعامهم! فبالله هل أخرج لنا التاريخ نموذجاً لامرأة إرهابية أعظم شراً من عائشة؟!

حقاً إنه قرن الشيطان الذي خرج من مسكن عائشة! ذلك المسكن الذي أُمرت أن تقرّ فيه فإذا بها تتركه لتقود الجيوش ولتضرب رقاب الناس ممن لم يخضع لها! ولله دَرُّ مَن قال:

أُمِـرَتْ بجـرِّ ذُيولهـا في بَيتهـا   فَهَوتْ لحملِ النَّبلِ والأَسيافِ![1]

■ شيخ أهل البصرة يُقتل خنقاً على يد جُند عائشة!

من جملة أولئك المقتولين ظلماً شيخ أهل البصرة **يزيد بن الحارث اليشكري** (رحمه الله) الذي أحرج طلحة بن عبيد الله بكتابه الذي كان أرسله إليه يؤلّبه فيه على عثمان ويحرّض على قتله! فكان أن واجهه وصاحبه الزبير بكتابه هذا في قضية رواها ابن قتيبة بقوله: «**فبينما هم كذلك؛ أتاهم رجل من أشراف البصرة بكتاب كان كتبه طلحة في التأليب على قتل عثمان، فقال لطلحة: هل تعرف هذا الكتاب؟ قال: نعم. قال: فما ردَّكَ على ما كنتَ عليه وكنتَ أمس تكتب إلينا تؤلّبُنا على قتل عثمان وأنت اليوم تدعونا إلى الطلب بدمه؟! وقد زعمتما أن عليّاً دعاكما إلى أن تكون البيعة لكما قبله إذ كنتما أسنَّ منه، فأبيتما إلا أن تقدّماه لقرابته وسابقته،**

(١) روى سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص ص٦٧ عن سيف بن عمر قال: **خرج شاب من بني سعد فقال: يا طلحة يا زبير! أرى معكما أمّكما فهل جئتما بنسائكما؟ قالا: لا! فأنشد:**

صِنتُمْ حَلائِلَكُمْ وقَدَّمتم أُمَّكمْ   هذا لعَمْري قِلّةُ الإِنصافِ
أُمِرَتْ بجرِّ ذُيولها في بَيتها   فَهَوتْ لحملِ النَّبلِ والأَسيافِ!

فبايعتماه، فكيف تنكثان بيعتكما بعد الذي عرض عليكما؟ قال طلحة: دعانا إلى البيعة بعد أن اغتصبها وبايعه الناس! فعلمنا حين عرض علينا أنه غير فاعل، ولو فعل أبى ذلك المهاجرون والأنصار، وخفنا أن نردّ بيعته فنُقتل! فبايعناه كارهين! قال: فما بدا لكما في عثمان؟ قالا: ذكرنا ما كان من طعننا عليه وخذلاننا إياه فلم نجد من ذلك مخرجاً إلا الطلب بدمه! قال: فما تأمرانني به؟ قالا: بايعنا على قتال علي ونقض بيعته! قال: أَ رأيتما إنْ أتانا بعدكما مَن يدعونا إلى ما تدعوان إليه؛ ما نصنع؟ قالا: لا تبايعه! قال: ما أنصفتما! أَ تأمرانني أن أقاتل علياً وأنقض بيعته وهي في أعناقكما وتنهياني عن بيعة مَن لا بيعة له عليكما! أَما إننا قد بايعنا عليّاً، فإن شئتما بايعناكما بيسار أيدينا»![1]

قد أفحم شيخ أهل البصرة طلحةَ بجوابه هذا وكسره، فما الذي حلّ به بعده؟ هذا ما يجيبنا عليه مولانا أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في كتابه الذي كتبه بعد منصرفه من النهروان وأمر أن يُقرأ على المسلمين كل جمعة، وفيه تعداد بعض جرائم عائشة وجُندها في البصرة.

وقد روى نص الكتاب الطبري الإمامي والسيد ابن طاووس عن محمد بن يعقوب الكليني عن علي بن إبراهيم بإسناده، وجاء فيه قوله عليه السلام: «**ثم أتوا البصرة وأهلها مجتمعون على بيعتي وطاعتي، وبها شيعتي خُزّان بيت مال الله ومال المسلمين، فدعوا الناس إلى معصيتي وإلى نقض بيعتي وطاعتي، فمَن أطاعهم أكفروه ومَن عصاهم قتلوه! فناجزهم حُكيم بن جبلة فقتلوه في سبعين رجلاً من عُبّاد أهل البصرة وكانوا يسمّون أصحاب الثفنات كأن جبهاتهم مثل ثفنات الإبل. وأبى أن يبايعهم يزيد بن الحارث اليشكري وهو شيخ أهل البصرة يومئذ فقال: اتقيا الله! إن أولكم قادنا إلى الجنة فلا يقودنا آخركم إلى النار، فلا**

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج١ ص٨٨

تكلّفونا أن نصدّق المدّعي ونقضي على الغائب، أمّا يميني فشغلها علي بن أبي طالب ببيعتي إياه، وهذه شِمالي فارغة فخذاها إن شئتما! فخُنِقَ حتى مات رحمه الله! وقام عبد الله بن حكيم التميمي فقال: يا طلحة! مَن يعرف هذا الكتاب؟ قال: نعم هذا كتابي إليك. قال: هل تدري ما فيه؟ قال: اقرأه عليَّ. فإذا فيه عيب عثمان ودعاؤه إلى قتله! فسيّروه من البصرة![1] وأخذوا عاملي عثمان بن حُنيف الأنصاري غدراً، فمثّلوا به كل المُثلة ونتفوا كل شعرة في رأسه ووجهه! وقتلوا شيعتي طائفةً صبراً وطائفةً غدراً وطائفةً عضّوا بأسيافهم حتى لقوا الله، فوالله لو لم يقتلوا منهم إلا رجلاً واحداً لحلّ لي به دماؤهم ودماء ذلك الجيش لرضاهم بقتل من قُتِل، دع أنهم قد قتلوا أكثر من العدّة التي دخلوا بها عليهم! وقد أدال الله منهم فبُعداً للقوم الظالمين»![2]

هكذا إذن؛ يأتيهم هذا الشيخ الجليل قائلاً: «**اتقوا الله**»! فيكون جواب أتباع عائشة له أن «**خنقوه حتى مات**»! فكم قتيلاً بغير جرم وقع يوم الجمل الأصغر ودمه في رقبة عائشة؟! وإذا كان كل هؤلاء قُتِلوا في الأصغر فلك أن تتخيّل كم قتيلاً قُتِل في الأكبر!

هذا وما دام الكلام قد وصل إلى عرض شيء من كتاب أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي عدّد فيه جرائم عائشة وطلحة والزبير في البصرة؛ فلا بأس بعرض شيء من خطبته التي رواها المتقي الهندي عن عبد الله بن الحسن وفيها ذكره (عليه السلام) أيضاً لبعض تلك الجرائم.

---

(١) جاء ذكر أمر عبد الله بن حكيم التميمي ومواجهته لطلحة في رواية أبي مخنف الكوفي في شرح النهج ج٩ ص٣١٨ ورواية البلاذري في أنساب الأشراف ص٢٣٠، وكان جواب القوم لهذا الرجل أن سيّروه أي نفوه من البصرة!

(٢) المسترشد للطبري الإمامي ص٤٢١ وكشف المحجة للسيد ابن طاووس ص١٨٢ عن الكليني عن علي بن إبراهيم القمي بسنده.

الخطبة مطوّلة وكان (عليه السلام) يجيب فيها على أسئلة متعددة «**فقام إليه رجلٌ فقال: يا أمير المؤمنين؛ أخبرنا على ما قاتلت طلحة والزبير؟ قال: قاتلتهم على نقضهم بيعتي، وقتلهم شيعتي من المؤمنين حُكيم بن جبلة العبدي من عبد القيس، والسبابجة، والأساورة، بلا حق استوجبوه منهما، ولا كان ذلك لهما دون الإمام، ولو أنهما فعلا ذلك بأبي بكر وعمر لقاتلاهما، ولقد عَلِمَ من ههنا من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله أن أبا بكر وعمر لم يرضيا عمّن امتنع من بيعة أبي بكر حتى بايع وهو كاره ولم يكونوا بايعوه بعدُ الأنصار! فما بالي وقد بايعاني طائعيْن غير مُكرَهيْن؟! ولكنهما طمعا مني في ولاية البصرة واليمن، فلمّا لم أولّهما وجاءهما الذي غلب من حبّهما للدنيا وحرصهما عليها خفتُ أن يتّخذا عباد الله خَوَلاً ومال المسلمين لأنفسهما! فزويتُ ذلك عنهما وذلك بعد أن جرّبتهما واحتججتُ عليهما**».[1]

وفي كلامه (عليه السلام) ذكرٌ **للأساورة** وتمييز لهم عن **السبابجة**، وقد نصّ (عليه السلام) أن هؤلاء كانوا قد قُتلوا ظلماً أيضاً! وإنّا لم نجد أحداً من المؤرخين ذكر عدد المقتولين منهم، فالله العالم كم كانوا!

والأساورة قوم من العجم سكنوا البصرة من قديم، كما ذكره ابن منظور في لسان العرب، بخلاف السبابجة الذين هم من الهند أو السند. ومهما يكن فإن الإسلام يحقن دم المسلم أيّاً كان أصله وفصله، فما أوقعته عائشة وجُندها من قتلٍ فيهم يكون كما هو معلوم من أكبر الكبائر وأعظم الجنايات.

هذا وقد نصّ أمير المؤمنين (عليه السلام) على أن عائشة وجُندها قتلوا نحواً من ألف رجل من شيعته في البصرة! وذلك في كلام يقرب من كلامه السالف جواباً على السؤال نفسه من أحد العثمانية الذين تخلّفوا عنه وهو **أبو بردة بن عوف الأزدي**، فقد روى نصر بن مزاحم

(١) كنز العمال للمتقي الهندي ج١٦ ص١٩١

المنقري أنه (عليه السلام) حين دخل الكوفة قام خطيباً فقال: «**الحمد لله الذي نصر وليّه، وخذل عدوّه، وأعزّ الصادق المحق، وأذلّ الناكث المبطل!**[١] **عليكم بتقوى الله وطاعة مَن أطاع الله من أهل بيت نبيكم صلى الله عليه وآله الذين هم أولى بطاعتكم في ما أطاعوا الله فيه من المنتحلين المقابلين إلينا،**[٢] **يتفضّلون بفضلنا، ويجاحدونا أمرنا، وينازعونا حقّنا ويدافعونا عنه، فقد ذاقوا وبال ما اجترحوا فسوف يلقوْن غيّا! (...) فقام إليه أبو بردة بن عوف الأزدي وكان ممن تخلّف عنه فقال: يا أمير المؤمنين؛ أَ رأيتَ القتلى حول عائشة والزبير وطلحة، بِمَ قُتِلوا؟ قال: قتلوا شيعتي وعمّالي، وقتلوا أخا ربيعة العبدي رحمة الله عليه**[٣] **في عصابة من المسلمين قالوا: لا ننكث كما نكثتم ولا نغدر كما غدرتم. فوثبوا عليهم فقتلوهم! فسألتهم أن يدفعوا إليَّ قتلة إخواني أقتلهم بهم، ثم كتاب الله حكمٌ بيني وبينهم، فأبوا عليَّ، فقاتلوني وفي أعناقهم بيعتي! ودماء قريب من ألف رجل من شيعتي! فقتلتهم بهم. أَ في شكٍّ أنتَ من ذلك؟ قال: قد كنتُ في شكٍّ فأما الآن فقد عرفت، واستبان لي خطأ القوم، وإنك أنت المهدي المصيب**».[٤]

ألف رجلٍ من الشيعة قُتِلوا بسبب الإرهابية المجرمة عائشة! وما أنكرت عليهم إلا أن أنهم أبوا النكث والغدر وخيانة مولاهم أمير المؤمنين (عليه السلام) والالتحاق بها كما فعل الآخرون ممن لا مروءة لهم!

---

(١) يعني (عليه السلام) بالعدو الذي خذله الله والناكث الذي أذلّه الله عائشة وطلحة والزبير وأتباعهم الناكثين.

(٢) ههنا إشارة منه (عليه السلام) إلى أن الإمرة تكون لأهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله) دون المنتحلين المنازعين الذين جعلوا أنفسهم في قِبالهم كأبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية ومن أشبه عليهم لعائن الله.

(٣) هو حُكيم بن جبلة العبدي رضوان الله تعالى عليه.

(٤) وقعة صفين لنصر بن مزاحم المنقري ص٤ وعنه شرح النهج لابن أبي الحديد ج٣ ص١٠٤

■ عائشة تقود حرب إبادة طائفية ضد الشيعة!

قد أشار أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في خطبة أخرى إلى أن جُند عائشة كانوا يتتبّعون الشيعة فيأخذونهم ويضربون أعناقهم صبراً! أي لم يكونوا يقتصرون على المحاربين لهم بل كانوا يقصدون إفناء شيعة أهل البيت (عليهم السلام) حتى من غير المحاربين والمقاتلين ممن كانوا في بيوتهم! فكان ما وقع في البصرة أقلّ ما يُقال عنه أنه **حرب إبادة طائفية!**

الخطبة رواها المفيد وقد خطب (عليه السلام) بها أصحابه حين دخل البصرة داعياً إياهم إلى الجهاد فكان مما قال: «**عباد الله! انهدوا**[1] **إلى هؤلاء القوم منشرحةً صدوركم بقتالهم، فإنهم نكثوا بيعتي، ونكّلوا بعاملي وأخرجوه من البصرة بعد أن ألّموه بالضرب المبرّح والعقوبة الشديدة! وهو شيخ من وجوه الأنصار والفضلاء ولم يرعوْا له حُرمة! وقتلوا السبابجة رجالاً صالحين، وقتلوا حُكيم بن جبلة ظُلماً وعدواناً لغضبه لله تعالى! ثم تتبّعوا شيعتي بعد أن ضربوهم وأخذوهم في كل عابية وتحت كل رابية**[2] **يضربون أعناقهم صبراً! ما لهم قاتلهم الله أنّى يؤفكون**»![3]

أجل.. هكذا كانت المجازر تقع بحق شيعة أمير المؤمنين صلوات الله عليه، وهكذا أسست عائشة لذلك وعبّدت طريق إبادة الشيعة منذ ذلك اليوم، فكل مَن يحمل في قلبه ولاية أبي الحسن (عليه السلام) يجب أن يُتتبّع في كل عابية وتحت كل رابية ويؤخذ ثم تُضرب

---

(١) انهدوا: اشرعوا.

(٢) العابية: الأرض المستوية. والرابية: الأرض المرتفعة. والمعنى أنهم كانوا يعتقلونهم في كل مكان.

(٣) الجمل للمفيد ص١٧٨ ونحوه في بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج٣٢ ص١٧١ والجمل لضامن ابن شدقم المدني ص١٢٠

عنقه صبراً! هذا هو قانون عائشة! ولا يشفع للشيعي أن يكون بريئاً، فإن تشيّعه نفسه جريمة! فقد مضى قولها جواباً على اعتراض أبي الأسود: «**إنه ليس بالبصرة من قتلة عثمان أحد! قالت: صدقتَ؛ ولكنهم مع علي بن أبي طالب بالمدينة**»!

أن تكون مع علي؛ فذلك يوجب قتلك في حكومة وعُرف عائشة! وغني عن الذكر أن طغاة بني أمية وبني العباس ومَن تلاهم التزموا التزاماً كاملاً بقانون عائشة هذا، فتتبّعوا الشيعة في كل مكان واستباحوا حرماتهم وقتلوا صغارهم وكبارهم وحرقوا دورهم ومحالّهم ولم يرحموا أحداً منهم!

وظلّت عائشة وجملها رمزاً وشعاراً للحرب على شيعة علي (عليه السلام) عبر الزمان! حتى أن المخالفين من أهل بغداد استباحوا دماء الشيعة بعد أكثر من ثلاث قرون بهذا الرمز نفسه! ويؤرّخ لذلك ويعترف به أحد كبار علمائهم وهو ابن كثير في حوادث سنة ثلاث وستين وثلاثمئة حيث قال: «**ووقعت فتنة عظيمة ببغداد بين أهل السنة والرافضة، وكِلا الفريقيْن قليل عقل أو عديمه! بعيد عن السداد، وذلك أن جماعة من أهل السنة أركبوا امرأة وسمّوها عائشة! وتسمّى بعضهم بطلحة! وبعضهم بالزبير! وقالوا: نقاتل أصحاب علي! فقُتِلَ بسبب ذلك من الفريقيْن خلقٌ كثير! وعاث العيّارون في البلد فساداً! ونُهِبَت الأموال! ثم أُخِذ جماعة منهم فقُتِلوا وصُلبوا فسكنت الفتنة**»![1] وما أشبه الليلة بالبارحة!

هكذا ربّت عائشة أبناءها على شنّ حروب الإبادة الطائفية ضد شيعة آل محمد عليهم السلام! وعلى خطاها تمضي التنظيمات الإرهابية الوهابية اليوم في قتل الشيعة وتفجير عتباتهم المقدسة ومساجدهم وحسينيّاتهم ودورهم! ولمَ لا؟! أليسوا أبناءها وهي أمهم؟!

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج١١ ص٣١٢، والعيّارون ههنا بمعنى النشطاء الذين يكثرون الرواح والمجيء.

■ عائشة تأمر بقتل فتى مؤمن يدعو إلى كتاب الله!

لم ترعوِ عائشة بعد كل الذي جرى في يوم الجمل الأصغر من مجازر، فمضت إلى يوم الجمل الأكبر متعطشة إلى مزيد من الدماء هادفةً إلى الإطاحة بالخليفة الشرعي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام.

وحينما قَدِمَ أمير المؤمنين (عليه السلام) البصرة؛ لم تنفع كل محاولاته مع عائشة للجنوح للسَّلْم، فقد كانت تجيب رسائله بتعنّت وعناد وإصرار على النكث والبغي والحرب!

كانت المحاولة الأولى حينما أرسل (عليه السلام) إليها كتاباً هذا نصّه: «**أما بعد؛ فإنك قد خرجتِ من بيتكِ عاصيةً لله تعالى ولرسوله محمد صلى الله عليه وآله، تطلبين أمراً كان عنك موضوعاً، ثم تزعمين أنكِ تريدين الإصلاح بين المسلمين! فأخبريني ما للنساء وقَوْد العساكر والإصلاح بين الناس؟! فطلبتِ زعمتِ بدم عثمان، وعثمان رجلٌ من بني أمية وأنت امرأة من بني تَيْم بن مُرّة! ولعمري أن الذي عرَّضك للبلاء وحملكِ على المعصية لأعظم إليك ذنباً من قَتَلَةِ عثمان! وما غضبتِ حتى أُغضِبتِ! ولا هِجتِ حتى هُيِّجْتِ! فاتّقي الله يا عائشة وارجعي إلى منزلكِ واسبُلي عليكِ بستركِ، والسلام**».[1] ولم يكن جواب عائشة إلا أن كتبت له: «**يابن أبي طالب! جلّ الأمر عن العتاب! ولن ندخل في طاعتك أبداً! فاقضِ ما أنت قاض! والسلام**».[2]

وكانت المحاولة الثانية حين أرسل (عليه السلام) إليها زيد بن صوحان وعبد الله ابن عباس فقال لهما: «**امضيا إلى عائشة فقولا لها: ألم يأمرك الله تبارك وتعالى أن تقرّي في بيتك؟! فخُدِعتِ وانخدعتِ واستُنْفِرتِ فنفرتِ! فاتّقي الله الذي إليه مرجعكِ ومعادكِ، وتوبي إليه**

(١) الفتوح لابن أعثم ج٢ ص٤٦٥ ونحوه في الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج١ ص٩٠

(٢) كشف الغمة للإربلي ج١ ص٢٤٠ ونحوه في الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص٧٠

فإنه يقبل التوبة من عباده، ولا يحملنّك قرابة طلحة وحبّ عبد الله بن الزبير على الأعمال التي تسعى بكِ إلى النار! قال ابن أعثم: **فانطلقا إليها وبلّغاها رسالة علي رضي الله عنه، فقالت عائشة: ما أنا برادّةٍ عليكم شيئاً فإني أعلم أني لا طاقة لي بحجج علي بن أبي طالب»!**(١)

وكانت المحاولة الثالثة قُبيل نشوب الحرب حينما اصطف الفريقان للقتال وركبت عائشة في هودجها على جملها، فأرسل أمير المؤمنين (عليه السلام) إليها ابن عباس إلا أنها ما إن رأته حتى طردته! قال ابن عباس: «**انصرفت إلى عائشة وهي في هودج وقد دُفِّفَ بالدروع على جملها عسكر، وكعب بن شور القاضي آخذ بخطامه وحولها الأزد وضبّة، فلمّا رأتني قالت: ما الذي جاء بك يابن عباس؟ والله لا سمعتُ منك شيئاً! ارجع إلى صاحبك وقُل له: ما بيننا وبينك إلا السيف! وصاح مَن حولها: ارجع يابن عباس لئلاّ يُسفك دمك»!**(٢)

إلا أن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) حرص رغم ذلك على أن يتقدّم بالوعظ والنصيحة بدعوة عائشة وأتباعها إلى النزول على حكم القرآن والعمل بما فيه لـتُحقَنَ الدماء ويُتجنَّبَ الشر، وما ذاك بغريب على أهل بيت الرحمة (صلوات الله عليهم) الذين لا يحرصون في مثل هذه المواقف إلا على حفظ السلام ودرء الحروب، وما دعوتُهم إلى حكم القرآن إلا لأنهم أعداله وشركاؤه مصداقاً لحديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) المتواتر الذي قال فيه: «**إني قد تركتُ فيكم الثَّقَلَيْن أحدهما أكبر من الآخر؛ كتاب الله عز وجل حبلٌ ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، ألا إنهما لن يفترقا حتى يَرِدا عليَّ الحوض**».(٣) فأهل

---

(١) الفتوح لابن أعثم ج٢ ص٤٦٧

(٢) الجمل للمفيد ص١٨١

(٣) مسند أحمد بن حنبل ج٣ ص٢٦ ونحوه في صحيح مسلم ج٧ ص١٢٣ ومستدرك الحاكم ج٣ ص١٠٩ وغيرها كثير.

البيت يدعون إلى القرآن؛ والقرآن يدعو إلى أهل البيت عليهم السلام، فكان لازماً أن يتقدّم علي (عليه السلام) بالإعذار ولو للمرة الأخيرة قبل نشوب الحرب فيدعو إلى حكم القرآن، وحكمه ههنا الإصلاح أولاً ما أمكن بين الفئتيْن المتنازعتيْن، فإن أصرّت إحداهما على البغي كان لا بدّ من قتالها، وذلك قوله عزّ من قائل: «**وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**».[1]

طلب أمير المؤمنين (عليه السلام) أحداً يتكفّل بأن يحمل المصحف الشريف ويتقدّم إلى عسكر عائشة داعياً إليه، غير أنه كشف - بعلمه الغيبي - عن أن مَن سيتكفّل بذلك سيُقتل قطعاً وعليه أن يقبل التضحية بنفسه في سبيل القرآن! فما تقدّم إليه إلا شاب مؤمن يُقال له: **مسلم بن عبد الله العبدي** فأعرض عنه أمير المؤمنين (عليه السلام) غير مرّة لحداثة سنّه، إلا أنه اضطر أخيراً إلى تحميله هذه المهمّة الصعبة بعدما لم يقم أحد، وبشّره بأنه يضمن له على الله تعالى الجنة.

فما الذي جرى لهذا الشاب الحامل للمصحف على يد راكبة الجمل وأتباعها؟!

روى الطبري عن الزهري قال: «**قال علي لأصحابه: أيُّكُم يعرض عليهم هذا المصحف وما فيه فإنْ قُطِعَتْ يده أخذه بيده الأخرى، وإنْ قُطِعَتْ أخذه بأسنانه؟ قال فتىً شاب: أنا. فطاف عليٌّ على أصحابه يعرض ذلك عليهم فلم يقبله إلا ذلك الفتى، فقال له علي: اعرِضْ عليهم هذا وقل: هو بيننا وبينكم من أوّله إلى آخره، والله في دمائنا ودمائكم! فحُمِلَ على الفتى وفي يده المصحف فقُطِعَتْ يداه! فأخذه بأسنانه حتى قُتِل**»![2]

---

(1) الحجرات: 10

(2) تاريخ الطبري ج3 ص520

وروى الطبري أيضاً عن عمار بن معاوية الذهبي قال: «**أخذ علي مصحفاً يوم الجمل فطاف به في أصحابه وقال: من يأخذ هذا المصحف فيدعوهم إلى ما فيه وهو مقتول؟ فقام إليه فتى من أهل الكوفة عليه قباء أبيض محشو، فقال: أنا. فأعرضَ عنه، ثم قال: من يأخذ هذا المصحف فيدعوهم إلى ما فيه وهو مقتول؟ فقال الفتى: أنا. فأعرضَ عنه، ثم قال: من يأخذ هذا المصحف فيدعوهم إلى ما فيه وهو مقتول؟ فقال الفتى: أنا! فدفعه إليه. فدعاهم، فقطعوا يده اليمنى! فأخذه بيده اليسرى فدعاهم، فقطعوا يده اليسرى! فأخذه بصدره والدماء تسيل على قبائه فقُتِل رضي الله عنه! فقال علي: الآن حلَّ قتالهم! فقالت أم الفتى بعد ذلك في ما ترثي:**

لا هُمَّ إنَّ مُسلماً دَعاهُمْ يَتلو كِتابَ الله لا يَخْشاهمْ

وأُمُّهمْ قائمةٌ تَراهُمْ يَأتمرونَ الغيَّ لا تَنهاهُمْ!

قد خُضِبَتْ مِن عَلَقٍ لِحاهُمْ»![1]

وروى المسعودي أنهم لَّما نزلوا ساحة القتال قام أمير المؤمنين عليه السلام «**فصلّى أربع ركعات وعفّر خدّيْه على التراب وقد خالط ذلك دموعه! ثم رفع يديه يدعو: اللهم ربَّ السموات وما أظلَّتْ، والأرضين وما أقلَّتْ، وربَّ العرش العظيم، هذه البصرة أسألك من خيرها، وأعوذ بك من شرِّها، اللهم أنزلنا فيها خير منزل وأنت خير المنزلين، اللهم إن هؤلاء القوم قد خلعوا طاعتي! وَبَغَوْا عليَّ ونكثوا بيعتي! اللهم احقن دماء المسلمين. وبعثَ إليهم من يناشدهم الله في الدماء، وقال: على مَ تقاتلونني؟ فأبوْا إلا الحرب! فبعث إليهم رجلاً من أصحابه يُقال له مسلم معه مصحفٌ يدعوهم إلى الله، فرموْهُ بسهم فقتلوه! فحُمِلَ إلى عليٍّ وقالت أمه:**

---

(١) المصدر نفسه ج٣ ص٥٢١

يــــا ربِّ إنَّ مُـــــسلماً أتـــــاهُمْ　　يَتلــــو كِتـــابَ الله لا يَخْـــشاهمْ
فَخـــضَّبُوا مِـــن دَمِـــهِ لِحِـــاهُمْ　　وأُمُّهـــمْ قائمــــةٌ تَـــراهُمْ»![1]

وروى ابن أعثم قال: «ثم دعا عليٌّ بالدّرع فأفرغه عليه، وتقلّد بسيفه واعتجر بعمامته واستوى على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم دعا بالمصحف فأخذه بيده ثم قال: أيها الناس! مَن يأخذ هذا المصحف فيدعو هؤلاء القوم إلى ما فيه؟ قال: فوثب غلامٌ من مجاشع يُقال له: مسلم، عليه قباء أبيض فقال: أنا آخذه يا أمير المؤمنين. فقال له علي: يا فتى! إن يدك اليُمنى تُقطع! فتأخذه باليسرى فتُقطع! ثم تُضرَبُ عليه بالسيف حتى تُقتَل! فقال الفتى: لا صبر لي على ذلك! قال: فنادى عليٌّ الثانية والمصحف في يده، فقام إليه الفتى وقال: أنا آخذه يا أمير المؤمنين، فهذا قليل في ذات الله! ثم أخذ الفتى المصحف وانطلق به إليهم فقال: يا هؤلاء! هذا كتاب الله عز وجل بيننا وبينكم! قال: فضرب رجلٌ من أصحاب الجمل يده اليمنى فقطعها! فأخذ المصحف بشماله فقطعها! فاحتضن المصحف بصدره، فضُرِبَ على صدره حتى قُتِل رحمه الله! قال: فنظرت إليه أمّه وقد قُتِلَ، فأنشأت تقول أبياتاً مطلعها:

يــــا ربِّ إنَّ مُـــــسلماً أتـــــاهُمْ　　بمُحكَـــمِ التنزيـــلِ إذ دَعـــاهُمْ

إلى آخرها. قال: وأنشأ ابن عمٍّ له يرثيه ويقول أبياتاً مطلعها:

تَناوَلَـــهُ شَـــقِيٌّ مـــنهم بـــضَربةٍ　　أَبـانَ بهـا يَمنـاهُ حتـى تُـصوَّبُ

إلى آخرها».[2]

---

(١) تاريخ المسعودي ج٢ ص٣٩٩

(٢) الفتوح لابن أعثم ج٢ ص٤٧٢

وروى أبو مخنف الكوفي قال: «**وطاف علي عليه السلام على أصحابه وهو يقرأ: أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ الله أَلَا إِنَّ نَصْرَ الله قَرِيبٌ.[1] ثم قال: أفرغ الله علينا وعليكم الصبر، وأعزّ لنا ولكم النصر، وكان لنا ولكم ظهيراً في كل أمر. ثم رفع مصحفاً بيده فقال: من يأخذ هذا المصحف فيدعوهم إلى ما فيه وله الجنة؟ فقام غلام شاب اسمه مسلم، عليه قباء أبيض، فقال: أنا آخذه. فنظر إليه علي وقال: يا فتى إنْ أخذته فإن يدك اليمنى تُقطع! فتأخذه بيدك اليسرى فتُقطع! ثم تُضربُ بالسيف حتى تُقتل! فقال الغلام: لا صبر لي على ذلك! فنادى عليٌّ الثانية، فقام الغلام، وأعاد عليه القول وأعاد الغلام القول مراراً، حتى قال الغلام: أنا آخذه، وهذا الذي ذكرتَ في الله قليل! فأخذه وانطلق، فلمّا خالطهم ناداهم: هذا كتاب الله بيننا وبينكم! فضربوه بأسيافهم حتى قُتِلَ! فقالت أم ذريح العبدية في ذلك:**

يا ربِّ إنَّ مُسلماً أتاهُمْ ... بمُصحفٍ أرسَلَهُ مَوْلاهُمْ

للعَدلِ والإيمانِ قدْ دَعاهُمْ ... يَتلو كِتابَ الله لا يَخْشاهمْ

فَخضَّبُوا مِن دَمِهِ ظُباهُمْ ... وأُمُّهمْ واقفةٌ تَراهُمْ!

تأمُرهُمْ بالغَيِّ لا تَنْهاهُمْ»![2]

وروى ابن الأثير قال: «**فلمّا أبوْا إلا القتال؛ قال علي: أيُّكُم يأخذ هذا المصحف يدعوهم إلى ما فيه فإنْ قُطِعَتْ يده أخذه بيده الأخرى فإنْ قُطِعَتْ أخذه بأسنانه وهو مقتول؟ فقال شابٌّ: أنا. فطاف به على أصحابه، فلم يجبه إلا ذلك الشاب، ثلاث مرات، فسلّمه إليه،**

---

(١) البقرة: ٢١٥

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ج٩ ص١١١ عن أبي مخنف. وأم ذريح هي أم الشاب المقتول.

فدعاهم، فقُطِعَتْ يده اليمنى! فأخذه باليسرى فقُطعت، فأخذه بصدره والدماء تسيل على قبائه فقُتِل! فقال علي: الآن حلَّ قتالهم! فقالت أمّ الفتى:

لا هُمَّ إنَّ مُسلماً أتاهُمْ يَتلو كِتابَ الله لا يَخْشاهمْ
وأُمُّهمْ قائمةٌ تَراهُمْ تأمُرُهمْ بالقَتلِ لا تَنهاهُمْ!
قد خُضِبَتْ مِن عَلَقٍ لِحاهُمْ»![1]

وروى ضامن بن شدقم المدني قال: «**ثم إنه عليه السلام بعث إليهم يناشدهم، فأبوْا إلا الحرب لقتاله! فبعث إليهم مرة ثانية رجلاً من أصحابه يُقال لهم مسلم بمصحف يدعوهم إلى كتاب الله عز وجل، فرموه بالسهام حتى قتلوه! فحملوه إلى أمير المؤمنين عليه السلام قتيلاً، فقالت أمُّهُ فيه هذه الأبيات شعراً:**

يا ربِّ إنَّ مُسلماً أتاهُمْ يَتلو كِتابَ الله لا يَخْشاهمْ
فَخضَّبُوا مِن دَمِهِ لِحاهُمْ وأُمُّهمْ قائمةٌ تَراهُمْ!

ثم جاء عبد الله بن مدمَّل بأخيه مقتولاً! وجيء برجل آخر من الميسرة مذبوحاً فيه سهم! فقال عليه السلام: اللهم اشهد غدر القوم»![2]

وروى القاضي النعمان المغربي عن أبي البختري أنه لمّا عبّأ أمير المؤمنين (عليه السلام) اصحابه «**أخذ المصحف وبدأ بالصفّ الأول فقال: أيُّكُم يتقدّمُ إلى هؤلاء ويدعوهم إلى ما فيه وهو مقتول؟ فخرج إليه شابٌّ يُقال له: مسلم، فقال: أنا يا أمير المؤمنين. فتركه ومال إلى الصف الثاني فقال: مَن منكم يأخذ هذا المصحف ويمضي إلى هؤلاء القوم ويدعوهم إلى ما**

(١) تاريخ ابن الأثير ج٣ ص٢٦١

(٢) الجمل لضامن بن شدقم المدني ص١٢٨

فيه وهو مقتول؟ فلم يجبه أحد، وجاءه مسلم فقال: أنا أخرج إليهم به يا أمير المؤمنين. فأعرض عنه وتقدّم إلى الصف الثالث وقال لهم مثل ذلك، فلم يخرج منهم أحد، وعرض له مسلم فقال: أنا يا أمير المؤمنين! فلمّا رأى أنه لم يخرج إليه أحد من الجميع غيره؛ دفع إليه المصحف، فمضى نحو القوم، فلمّا رأوْه رشقوه بالنبل! وقرأه عليهم ودعاهم إلى ما فيه، ثم خرج إليه رجلٌ منهم فضربه بالسيف على حبل عاتقه من يده اليمنى التي فيها المصحف! فأخذ المصحف بيده اليسرى، فضربه الرجل حتى قتله»![1]

وروى المفيد عن ابن عباس أن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: «**مَن يأخذ هذا المصحف فيدعوهم إليه وهو مقتول وأنا ضامن له على الله الجنة؟ فلم يقم أحد إلا غلام عليه قباء أبيض حدث السن من عبد القيس يُقال له: مسلم، كأني أراه، فقال: أنا أعرضه يا أمير المؤمنين عليهم وقد احتسبتُ نفسي عند الله. فأعرض عنه إشفاقاً ونادى الثانية: مَن يأخذ هذا المصحف ويعرضه على القوم وليعلم أنه مقتول وله الجنة؟ فقام مسلم بعينه وقال: أنا أعرضه. ونادى الثالثة ولم يقم غير الفتى، فدفع المصحف إليه وقال: امضِ إليهم واعرضه عليهم وادعُهُم إلى ما فيه. فأقبل الغلام حتى وقف بإزاء الصفوف ونشر المصحف وقال: هذا كتاب الله وأمير المؤمنين يدعوكم إلى ما فيه. فقالت عائشة: اشجروه بالرماح قبّحه الله! فتبادروا إليه بالرماح فطعنوه من كل جانب! وكانت أمُّهُ حاضرةً فصاحت! وطرحت نفسها عليه وجرّته من موضعه، ولَحِقَها جماعةٌ من عسكر أمير المؤمنين عليه السلام أعانوها على حمله حتى طرحتْهُ بين يدي أمير المؤمنين وهي تبكي وتقول:**

(١) شرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي ج١ ص٣٩٤

يـــــا ربِّ إنَّ مُـــــسلماً دعـــــاهُمْ يَتلـــــو كِتـــــابَ الله لا يَخْـــــشاهمْ
فَخــــضَّبُوا مِـــــن دَمِـــــهِ قَنـــاهُمْ وأُمُّهـــــــمْ قائمـــــــةٌ تَـــــــراهُمْ

تأمُرهُـــمْ بالقتلِ لا تَنْهـــــــاهُمْ!

فلمّا رأى أمير المؤمنين ما قَدِمَ عليه القوم من العناد واستحلّوه من سفك الدم الحرام؛ رفع يديه إلى السماء وقال: اللهم إليك شخصت الأبصار وبسطت الأيدي وأفضت القلوب وتقرّبت إليك بالأعمال، ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين».(١)

إن هذا الموقف البطولي الذي قام به هذا الشاب (أعلى الله درجاته) لم يأتِ انطلاقاً من حماسة عابرة، بل له مقدّمات تربوية حيث كان هذا الشاب تلميذاً لحذيفة بن اليمان (رضوان الله عليه) وقد تعلّم منه الولاء والإخلاص لأمير المؤمنين عليه السلام، فقد روى الديلمي خبراً طويلاً عمّا تلقّاه هذا الشاب من حذيفة إبان فترة ولايته على المدائن من علم بما أحدثه أهل السقيفة (عليهم لعائن الله) قبل وبعد استشهاد النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) من مؤامرات ومخططات انقلابية حتى اغتصبوا مقام الخلافة وخانوا العهد وغدروا بأهل بيت نبيّهم صلوات الله عليهم، فعقد الشاب العزم من حينها على نصرة أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وخرج إلى المدينة المنورة للقائه، ومن هناك شَخَصَ معه إلى البصرة لقتال عائشة، فحاز بذلك شرف أن يكون أول شهيد في معركة الجمل بين يدي مولاه عليه السلام، كما حاز شرف أن يكون شهيد القرآن الذي ضمن له أمير المؤمنين (عليه السلام) الجنة وبشّره بها.

وقد جاء في آخر الخبر الذي رواه الديلمي: «**فلمّا التقى أمير المؤمنين عليه السلام مع أصحاب الجمل كان ذلك الفتى أوّل من قُتل من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وذلك**

---

(١) الجمل للمفيد ص١٨١

لمّا صافَّ القوم واجتمعوا على الحرب، فأحبَّ أمير المؤمنين عليه السلام أن يستظهر عليهم بدعائهم إلى القرآن وحكمه، فدعا بمصحف وقال: مَن يأخذ هذا المصحف يعرضه عليهم ويدعوهم إلى ما فيه فيحيي ما أحياه ويميت ما أماته؟ قال: وقد شرعتْ الرماح في العسكريْن حتّى لو أراد امرء أن يمشي عليها لمشى! قال: فقال الفتى: يا أمير المؤمنين أنا آخذه وأعرضه عليهم وأدعوهم إلى ما فيه. قال: فأعرض عنه أمير المؤمنين عليه السلام ثم نادى الثانية: من يأخذ هذا المصحف فيعرضه عليهم ويدعوهم إلى ما فيه؟ فلم يقم إليه أحد. فقام الفتى وقال: يا أمير المؤمنين أنا آخذه وأعرضه عليهم وأدعوهم إلى ما فيه. قال: فأعرض عنه أمير المؤمنين عليه السلام ثمّ نادى الثالثة فلم يقم أحد من الناس إلاّ الفتى، فقال: أنا آخذه وأعرضه عليهم وأدعوهم إلى ما فيه. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّك إنْ فعلتَ ذلك فأنت مقتول! فقال: والله يا أمير المؤمنين ما شيءٌ أحبُّ إليَّ من أن أُرزق الشهادة بين يديْك وأن أُقتل في طاعتك! فأعطاه أمير المؤمنين المصحف فتوجّه به نحو عسكرهم، فنظر إليه أمير المؤمنين عليه السلام وقال: إن الفتى ممَّن حشى الله قلبه نوراً وإيماناً وهو مقتول، ولقد أشفقتُ عليه من ذلك، ولن يفلح القوم بعد قتلهم إيّاه. فمضى الفتى بالمصحف حتى وقف بازاء عسكر عائشة، وطلحة والزبير حينئذ عن يمين الهودج وشِمإله، وكان له صوتٌ فنادى بأعلى صوته: معاشر الناس! هذا كتاب الله وإن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يدعوكم إلى كتاب الله والحكم بما أنزل الله فيه، فأنيبوا إلى طاعة الله والعمل بكتابه. قال: وكانت عائشة وطلحة والزبير يسمعون قوله فأمسكوا، فلمّا رأى ذلك أهل عسكرهم بادروا إلى الفتى والمصحفُ في يمينه فقطعوا يده اليمنى! فتناول المصحف بيده اليسرى وناداهم بأعلى صوته مثل ندائه أوّل مرّة، فبادروا إليه وقطعوا يده اليسرى! فتناول المصحف واحتضنه ودماؤه تجري عليه وناداهم مثل ذلك، فشدّوا عليه فقتلوه! ووقع ميّتاً فقطّعوه إرباً إرباً! ولقد رأينا شحم بطنه أصفر! قال: وأمير المؤمنين عليه السلام واقف يراهم، فأقبل على أصحابه وقال: إنّي والله ما كنتُ في شكٍّ

ولا لَبْسٍ من ضلالة القوم وباطلهم، ولكن أحببتُ أن يتبيَّنَ لكم جميعاً ذلك من بعد قتلهم الرجل الصالح حُكيم بن جبلة العبدي في رجال صالحين معه، وتضاعف ذنوبهم بهذا الفتى وهو يدعوهم إلى كتاب الله والحكم به والعمل بموجبه، فثاروا إليه فقتلوه! ولا يرتابُ بقتلهم مسلم. ووقدت الحرب واشتدّت، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: احملوا عليهم، بِسْمِ اللهِ حم لا يُنْصَرُونَ، وحمل هو بنفسه والحَسَنان وأصحابُ رسول الله صلى الله عليه وآله (...) قال عبد الله بن سلمة: كنتُ ممّن شهد حرب أهل الجمل، فلمّا وضعت الحرب أوزارها رأيت أُمَّ ذلك الفتى واقفةً عليه، فجعلتْ تبكي عليه وتقبّله، ثمّ أنشأت تقول:

يا ربِّ إنَّ مُسلماً أتاهُمْ ... يَتلو كِتابَ الله لا يَخْشاهمْ

يأمُرُهُمْ بالأمرِ مِنْ مولاهُمْ ... فَخَضَّبُوا مِن دَمِهِ قَناهُمْ

وأُمُّهُمْ قائمةٌ تَراهُمْ ... تأمُرُهُمْ بالغَيِّ لا تَنْهاهُمْ»![1]

هكذا تعاملت عائشة بوحشيتها المعهودة مع هذا الشاب المظلوم الذي كان كلّ جُرمه عندها أنه دعاها وأصحابها إلى كتاب الله تعالى! فأمرت جُندها قائلة: «**اشجروه بالرّماح قبّحه الله**»! وإذا بهؤلاء الأوغاد يمتثلون للأمر فيرمونه أولاً بالسهام ثم يشجرونه بالرماح ثم يبترون يديه ويقطعّونه إرباً إرباً ودماؤه تسيل على المصحف الشريف الذي أخذه بأسنانه واحتضنه!

«**وأمّهم قائمة تراهم تأمرهم بالقتل لا تنهاهم**»! هكذا عبّرت أم الفتى المقتول وهي ترى فلذة كبدها يُقتل أمام ناظريْها دون أن تحرّك عائشة ساكناً أو يرهف لها فؤاد! فيا عجباً كيف لم تغضب لمقتل هذا الشاب المؤمن البريء على أيدي جنودها الباغين وغضبت لمقتل عثمان ابن عفان على أيدي المسلمين المبغيّ عليهم؟! أليست خرجت ناقمة على سفك دمه فما بالها لم

(١) إرشاد القلوب للديلمي ص٤٢٧ وعنه بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج٢٨ ص١١٤

تكترث بسفك دم هذا الشاب ولم تصرخ بجيشها أن اتّقوا الله فقد سفكتم الدم الحرام وأدخلتمونا في ما أردنا الخروج منه؟! أم أن باء عثمان بن عفان تجرّ وباء مسلم العبدي لا تجرّ؟!

إن هذا الموقف الإجرامي الذي وقفته عائشة في بداية معركة الجمل يكشف في جملة ما يكشفه عن أنها وجُندها ما كانوا يعيرون كتاب الله تعالى اهتماماً واحتراماً، فإنهم تقدّموا صوب هذا الشاب وقتلوه وهو يحمل المصحف الشريف فسال دمه عليه! لم يأخذوا منه المصحف مثلاً ولم يتحاشوا قطع يده التي كان يحمله بها لئلاّ يسقط على الأرض ويصيبه الدم فيكون ذلك هتكاً لكلام المولى عزّ وجل!

وليس مجدياً أن يُعتذر عن عائشة بأنها لم تعلم بذلك، فإن كل هذه الروايات التاريخية المدوّنة في مصادر الفريقين نصّت على قول أم الفتى: «**وأمهم قائمة تراهم**»! أي أن عائشة كانت ترى ما يجري أمامها وتراقبه عن كثب، وهذا أمر بدهيّ إذ إن المعركة لم تبدأ بعدُ والأنفاس تكون حينئذ محبوسة بطبيعة الحال والجميع يكون في طور الترقّب والمعاينة، ويبعد أن لا تكون عائشة معاينة لأولى مشاهد الاحتكاك على الأقل وإلا فكيف يزعم أبناؤها اليوم أنها خرجت للإصلاح بين الناس إذا كان حضورها في ساحة تلك المعركة كعدمه من حيث أنها لا ترى ولا تسمع ولا تتكلم؟!

وماذا يسع عائشة أن تعتذر به وهي تردّ دعوة الداعي إلى حكم القرآن الكريم وقد زعمت أنها خرجت للإصلاح؟! أفلا يكون الإصلاح بالعودة إلى حكم القرآن الكريم وتجنيب العباد وبال الحرب والقتال؟! ألا رحمت هذا الفتى وأمّه على أقل تقدير؟! ألا أنكرت على من قتله ظلماً وعدوناً؟!

كلا! إن عائشة جعلت لنفسها هدفاً محدّداً هو الإطاحة بأمير المؤمنين (صلوات الله عليه) مهما كلّف الأمر! فليُقتل الأبرياء ولتُسفك الدماء ولتُشنَّ الحروب ولتوقَع المجازر.. كل ذلك يهون ما دام علي بن أبي طالب سيسقط ويخلو الأمر لعائشة تجعل من تشاء خليفة على المسلمين يأتمر بأوامرها ويلبّي طلباتها!

وبعد هذا؛ لو كان الإجرام والطغيان امرأة.. لكانت عائشة!

■ دماء آلاف القتلى في رقبة عائشة!

يظن بعض الناس أن حرب الجمل الكبرى لم تَطُلْ إلا سويعات من نهار يوم واحد، وأن اندلاعها وقع فلتة ثم خرجت الأمور عن السيطرة فتقاتل الفريقان إلى أن أفنى أحدهما الآخر. وهذا الظن خاطئ، فإن هذه الحرب امتدّت إلى سبعة أيام بتمامها! وذلك بدءاً من يوم الخميس العاشر من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين.[١]

روى ابن قتيبة أنه في اليوم الأول من الحرب «**اقتتل الناس ذلك اليوم قتالاً شديداً حتى كانت الواقعة والضرب على الرّكب (...) وأقبل علي وعمار والأشتر والأنصار معهم يريدون الجمل، فاقتتل القوم حوله، حتى حال بينهم الليل، وكانوا كذلك يروحون ويغدون على القتال سبعة أيام! وإن عليّاً خرج إليهم بعد سبعة أيام فهزمهم**».[٢]

إذن؛ فالحرب دامت بين الجانبيْن سبعة أيام، وفي اليوم السابع هُزِم جيش عائشة حين خرج أمير المؤمنين (عليه السلام) إليهم وهزمهم. وطوال هذه السبعة أيام؛ كانت القتلى تتساقط أمام ناظريَّ عائشة وهي راكبة على جملها دون أن ينكسر لها قلب فتعود عن غيّها

---

(١) ذكر هذا التأريخ لوقعة الجمل البلاذري في التنبيه والإشراف ص٢٥٦ عن المسعودي.

(٢) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج١ ص٩٦

وتعلن وقف الحرب حقناً للدماء! بل على النقيض من ذلك؛ كانت تستمرّ بتحريض أتباعها على القتال وتستخدم لذلك فنون الكلام مما له أثر في إشعال النفوس!

لقد كانت تقوم بدور التعبئة الحربيّة لأصحابها وكأنها قائد عسكري! بل إنّ مَن يقول إنها كذلك صدقاً لا يكون مجانباً للصواب إذا ما وقف على دورها في حرب الجمل منذ بدايتها وحتى نهايتها، فإنه لولاها ولولا أنها كانت تركب جملها الملعون كل يوم من أيام هذه الحرب لما اقتتل الناس، إذ كان جملها هو لواء ذلك الجيش الذي يحارب جيش أمير المؤمنين عليه السلام، وببقائه بقيت الحرب، أما حين عُقِر فقد انتهت، تماماً كما لو سقط لواء أي جيش من الجيوش.

في اليوم الأول من الحرب «**برز علي رضي الله عنه فعبّى أصحابه**»، وفي المقابل «**برزت يومئذ عائشة على جملها عسكر، وهو الجمل الذي اشتراه لها يعلى بن منية بمئتي دينار! وعلى الجمل يومئذ هودج من خشب وقد غُشي بجلود الإبل وسُمِّرَ بالمسامير وأُلبس فوق ذلك الحديد**»![1]

ها هي عائشة قد خرجت في حصن عسكري محمول على جملها الذي أضحى «**راية عسكر البصرة، قُتلوا دونه كما تُقتل الرجال تحت راياتها**»![2]

وفي اليوم الثاني من الحرب «**دنا القوم من بعضهم بعضا، وتقدّمت عائشة على جملها عسكر حتى وقفت أمام الناس، والناس من ورائها وعن يمينها وشمالها، وصفَّ عليٌّ رضي الله عنه أصحابَه وعبّاهم كالتعبية الأولى، وعزم القوم على المناجزة، وتقدّم كعب بن سور الأزدي حتى أخذ بخطام الجمل وجعل يرتجز ويقول أبياتاً مطلعها:**

(١) الفتوح لابن أعثم ج٢ ص٤٦٨

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ج١ ص٢٥٢

يـا معـشَرَ النّـاسِ عَلـيْكُم أُمُّكـم فإنّهـا صَـلاتُكُمْ وصَـوْمُكُم!

فحمل عليه الأشتر فقتله (...) فلم تزل القوم كذلك؛ يتقدّم رجلٌ بعد رجل حتى قُطع على الخطام يومئذ ثمان وتسعون يداً! فنادت عائشة رضي الله عنها بأعلى صوتها: أيها الناس! عليكم بالصبر فإنما تصبر الأحرار! (...) فاقتتل القوم قتالاً شديداً لم يُسمع بمثله، وصار الهودج الذي فيه عائشة كأنه القنفذ مما فيه من النَّبل والسِّهام»![(١)]

وبدءاً من اليوم الثالث استعرت الملحمة واشتدّت، وبدأت فِرَق جيش عائشة تُفنى واحدة تلو الأخرى حول جملها الذي صار بالنسبة إليهم كالصنم يحفّون به! وكلّما كانت فرقة تُقتَل كانت تأتي أختها وتأخذ بخطام الجمل فتثني عليها عائشة وتحضّها على القتال!

الفرقة الأولى كانت من قريش حيث «**أخذ خطام الجمل سبعون من قريش، قُتِلوا كلّهم! ولم يكن يأخذ بخطام الجمل أحدٌ إلا سالت نفسه! أو قُطِعت يده**»![(٢)]

والفرقة الثانية كانت من بني ناجية - وبعضهم نصارى - وقد غازلتهم عائشة ودغدغت مشاعرهم حين زعمت أن سيوفهم قرشية وأن فيهم **شمائل قريش** وهم الذين لم تعترف قريش بنَسَبهم إليها! فاستمالتهم وحرّضتهم بهذه الكلمة حتى يمضوا على القتال! وذلك لمّا أقبلت عائشة «**على كتيبة بين يديها فقالت: مَن القوم؟ قالوا: بنو ناجية. قالت: بخٍ بخٍ! سيوف أبطحية وسيوف قرشية! فجالدوا جِلاداً يُتفادى منه**»[(٣)] ثم قالت لهم: «**صبراً يا**

(١) الفتوح لابن أعثم ج٢ ص٤٧٩

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ج١ ص٢٦٥ عن أبي مخنف، ونحوه في الكامل لابن الأثير ج٣ ص٢٤٩

(٣) تاريخ الطبري ج٣ ص٥٢٥ عن سيف بن عمر الضبّي، والكامل لابن الأثير ج٣ ص٢٤٧

بني ناجية فإني أعرف فيكم شمائل قريش! قالوا: وبنو ناجية مطعون في نسبهم إلى قريش! فقُتِلوا حولها جميعاً»![1] وبلغ مجموع قتلاهم كما ذكره ابن أعثم: «**أربعمئة رجل**»!

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج١ ص٢٦٥ عن أبي مخنف الكوفي. وقصة بني ناجية هي أنه كانت أمهم **ناجية** امرأة **سامة بن لؤي بن غالب القرشي** وهو أخو الجدّ السابع للنبي صلى الله عليه وآله، فمات من لدغة أفعى فتزوّجت امرأته رجلاً من أهل البحرين فولدت له **الحارث** ثم مات الرجل، فطمعت أمه في أن تلحقه بقريش فرحلت به إلى مكة ونزلت على **كعب** أخي زوجها الأول سامة وزعمت له أن الحارث هو ابن أخيه فصدّقها وأقامها عنده مدة إلى أن جاء ركب من البحرين فاكتشف أنه مخدوع وأن الحارث ابن رجل منهم**!** فنفاه كعب ونفى أمّه ناجية إلى البحرين، فرجعا إلى هناك حتى شبّ الحارث فتزوّج امرأة وأعقب هذا العقب المعروف ببني ناجية. ولم تعترف قريش بنسبهم إليها ولذا قال قائلها:

وسامَةُ منّا فأمّا بنوه ... فَأمْرُهُمْ عندنا مُظلمُ!

راجع الجمهرة لابن حزم ص١٦٢ والأغاني لأبي الفرج ج١٠ ص٢٠٣، وفي جمهرة النسب لهشام الكلبي ص١١٤ أن الحارث كان ابن سامة ولم تكن ناجية أمّه بل امرأة أبيه، فنكحها نكاح مقت**!** ولم يعقّب منها، فجاء قوم من بني امرأة أخرى يُقال لها ناجية وادّعوا أنهم أبناء هذه من الحارث بن سامة، فردّتهم قريش. ومهما يكن فإن المخالفين رووا عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه نفى نسبة بني ناجية إلى قريش من سامة ابن لؤي، فقال: «**عمّي سامة لم يعقِّبْ**» رواه أبو الفرج في الأغاني ج٩ ص١٠٠ وابن أبي الحديد في شرح النهج ج٣ ص١٢١، وكذا رووا أن أمير المؤمنين (عليه السلام) نفاهم قائلاً: «**ما أعقب عمّي سامة**» كما في تاج العروس للزبيدي ج٨ ص٣٥١ عن أبي الفرج بسنده. ويبدو أن بني ناجية كان لهم نفوذ قوي في ما بعد بحيث أن محدّثي المخالفين وضعوا لهم حديثاً على لسان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يومئ إلى كونهم من قريش بل من أهل البيت**!** إذ رووا كما في مجمع الزوائد للهيثمي ج١٠ ص٥٠ ومسند أحمد بن حنبل ج١ ص١٦٩ أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال عنهم: «**هم مني وأنا منهم**»**!**

ولا يعزب عنك أن فِعل عائشة ههنا في إلحاقهم يضاهي فِعلها في إلحاق زياد بن أبيه بأبي سفيان كما مرّ عليك في ص٥٣٢ من هذا الكتاب، خلافاً لحكم رسول الله (صلى الله عليه وآله) القاضي بأن الولد للفراش. غير أن كل حكم عند عائشة هو تحت قدميها إذا كان لا يوافق هواها ومراميها**!** =

وكانت الفرقة الثالثة من بني بكر بن وائل الذين جاءوا عن يمين عائشة فقالت: «**مَن القوم؟ قالوا: بكر بن وائل**» فخاطبتهم ببيت شعر استهضتهم به بمدح بسالة قبيلتهم وثبات

= هذا واعلم أن بني ناجية الذين كانوا من خُلَّص أنصار عائشة انقسم الناجون منهم بعد معركة الجمل إلى ثلاث فِرَق، أولاها قالت إنّا مسلمون ونتوب الآن فنبايع أمير المؤمنين عليه السلام، والثانية قالت إنّا نصارى على ديننا الأول ولم نُسلم لكن عائشة وأتباعها أخرجونا معهم قهرا فحاربنا مضطرين ونحن الآن ننزل على حكم أمير المؤمنين (عليه السلام) ونعطى الجزية، والثالثة قالت إنا كنا نصارى فأسلمنا ولكننا الآن نرتدّ بعد هذه الفتنة ونعود إلى ديننا الأول فهو خير لنا من هذا الدين الذي لم يعجبنا حيث يقاتل بعض أهله بعضاً! وهذه الأخيرة استتابها موفد أمير المؤمنين (عليه السلام) ثلاث مرات فلم يتوبوا ولم يرجعوا إلى الإسلام فأجرى عليهم حكم الردّة. وكان ذلك مثار حقدهم عليه حتى صار أبناؤهم بعد ذلك من أشد مبغضيه ومبغضي شيعته! ولا عجب فهم أبناء الأدعياء!

روى ابن هلال الثقفي في الغارات ج١ ص٣٣٠: «**لمّا بايع أهل البصرة عليّاً عليه السلام بعد الهزيمة؛ دخلوا في الطاعة غير بني ناجية فإنهم عسكروا، فبعث إليهم علي عليه السلام رجلاً من أصحابه في خيلٍ ليقاتلهم، فأتاهم فقال: ما بالكم عسكرتم وقد دخل الناس في الطاعة غيركم؟ فافترقوا ثلاث فرق، فرقة قالوا: كنا نصارى فأسلمنا ودخلنا في ما دخل فيه الناس من الفتنة ونحن نبايع كما بايع الناس. فأمرهم فاعتزلوا. وفرقة قالوا: كنا نصارى ولم نُسلم فخرجنا مع القوم الذين كانوا خرجوا، قهرونا فأخرجونا كرهاً! فخرجنا معهم فهُزموا! فنحن ندخل في ما دخل فيه الناس ونعطيكم الجزية كما أعطيناهم. فقال لهم: اعتزلوا. وفرقة قالوا: إنّا كنا نصارى فأسلمنا فلم يعجبنا الإسلام! فرجعنا إلى النصرانية، فنحن نعطيكم الجزية كما أعطاكم النصارى. فقال لهم: توبوا وارجعوا إلى الإسلام. فأبوا! فقتل مقاتلتهم وسبى ذراريهم فقَدِمَ بهم على علي عليه السلام**».

ونحوه في سنن البيهقي ج٨ ص٢٠٨

ويبدو أن المخالفين إذ رأوا أن بني ناجية كانوا من مبغضي أمير المؤمنين (عليه السلام) فإنهم استمرؤوا نسبتهم إلى سامة بن لؤي حتى أثبتوا ذلك في مؤلفاتهم وجعلوا بعضاً منهم شيوخاً لهم في الرواية! قال ابن كثير في السيرة النبوية ج١ ص٩١: «**وقال الزبير: وِلْدُ سامة بن لؤي غالباً والنبيت والحارث. قالوا: وكانت له ذرية بالعراق يبغضون علياً! ومنهم علي بن الجعد، كان يشتم أباه لكونه سمّاه علياً! ومن بني سامة بن لؤي محمد ابن عرعرة بن اليزيد شيخ البخاري**»!

رجالها، ثم حرّضتهم على قتال مَن بإزائهم من بني عبد القيس؛ قائلةً: «**لكم يقول القائل:**

وجـــاءُوا إلينـــا في الحديـــدِ كـــأَنَّهمْ مِن العِــزَّةِ القَعْـساءِ بَكْـر بـن وائـلِ!

إنما بإزائكم عبد القيس! فاقتتلوا أشدّ القتال من قتالهم قبل ذلك».[١] وقُتل منهم يومئذ «**ثمانمئة رجل**»![٢]

وكانت الفرقة الرابعة التي تحلَّقَت حول عائشة من بني ضُبّة، واستقبلتهم عائشة بمحفّزاتها الكلامية، فإنها «**لمّا أطافت بها بنو ضبّة؛ قالت: وَيْهاً جمرة الجمرات**»![٣] إلا أن الرياح جاءت بما لا تشتهيه عائشة فجرى السيف على هؤلاء «**حتى قُتل منهم على الخطام أربعون رجلاً**»![٤] وبلغ مجموع قتلاهم «**ألف رجل**»![٥] وانكسرت عائشة بمقتلهم انكساراً كبيراً ولاحت أمامها أعلام الهزيمة بترنّح جملها! حتى قالت: «**ما زال جملي معتدلاً حتى فقدتُ أصوات بني ضُبّة**»![٦]

وكانت الفرقة الخامسة من بني عَدِي الذين جاءوا وأحدقوا بجمل عائشة «**فقالت: مَن أنتم؟ قالوا: بني عَدِيٍّ خالَطْنا إخواننا**» فاستثارت عائشة حميّتهم بمدح الذين قُتِلوا من قبلهم من بني ضبة وأنها حيث فقدتهم الآن فقد اختلّ توازن جملها! «**فقالت: ما زال رأس الجمل**

(١) تاريخ الطبري ج٣ ص٥٢٥، والقعساء: أهل العزّة والثبات والمَنَعة.

(٢) الفتوح لابن أعثم ج٢ ص٤٨٨

(٣) تاريخ الطبري ج٣ ص٥٢٦، والكامل لابن الأثير ج٣ ص٢٤٧. ووَيْهاً: كلمة إغراء وتحريض، فمعنى «**ويهاً جمرة الجمرات**» أنْ هلمّوا يا بني ضبّة إلى القتال فأنتم في الحرب جمرة الجمرات حرارةً واشتعالاً!

(٤) تاريخ الطبري ج٣ ص٥٢٧، والكامل لابن الأثير ج٣ ص٢٤٩

(٥) تاريخ الطبري ج٣ ص٥٤٢

(٦) تاريخ الطبري ج٣ ص٥٢٧، والكامل لابن الأثير ج٣ ص٢٤٩

معتدلاً حتى قُتِلَتْ بنو ضبّة حولي»! فغار بنو عدي وأرادوا أن يثبتوا لعائشة أنهم ليسوا بأقل من بني ضبّة «**فأقاموا رأس الجمل ثم ضربوا ضرباً شديداً ليس بالتعذير ولا يُعدَلون بالتطريف**».[1] ثم قُتِلَ منهم «**تسعون رجلاً**»![2]

وكانت الفرقة السادسة من بني أزد غسّان الذين جاءوا عن يسار عائشة فقالت: «**مَن القوم؟ قال صَبْرة بن شَيْمان: بَنوك الأزد**» فبعثت الحميّة فيهم بدعوتهم لأن يُثبتوا جدارتهم التي كان الناس يسمعون بها في القتال، فقالت: «**يا آل غسّان حافظوا اليوم جِلادكم الذي كنّا نسمع به! وتمثّلتْ:**

وجالَدَ من غسّانَ أهلُ حِفاظِها وهِنْبٌ وأَوْسٌ جالدتْ وشبيبُ».[3]

وصبّرتهم قائلة: «**صبراً! فإنما يصبر الأحرار**» ثم عمدت إلى استثارة نخوتهم بالأسلوب الذي اتبعته مع بني عدي بذكر بلاء بني ضبّة، فقالت: «**مازلتُ أرى النصر مع بني ضبّة، فلمّا فقدتُهم أنكرتُه! فحرَّضتْ الأزد بذلك، فقاتلوا قتالاً شديداً**».[4] ثم ثنّت بذكر بلاء بني عدي وأنهم أقاموا رأس جملها فقالت: «**ما أنكرتُ رأس جملي حتى فقدتُ أصوات بني عَدي**»![5] فغاروا وقاتلوا بين يديها على أشد ما يكون حتى قُتل منهم «**أربعة آلاف رجل**»![6]

---

(١) تاريخ الطبري ج٣ ص٥٢٦، والكامل لابن الأثير ج٣ ص٢٤٧، والتعذير: التقصير، والتطريف: قطع الأيدي والأرجل، والمراد أنهم لم يقصّروا في قتالهم ولم يكن مثلهم في قطع أيدي وأرجل مقاتليهم.

(٢) الفتوح لابن أعثم ج٢ ص٤٨٨

(٣) تاريخ الطبري ج٣ ص٥٢٥ والكامل لابن الأثير ج٣ ص٢٤٧

(٤) شرح النهج لابن أبي الحديد ج٦ ص٢٢٨

(٥) تاريخ خليفة بن خياط ص١٤٣

(٦) الفتوح لابن أعثم ج٢ ص٤٨٧

وتوالى تساقط القتلى حول جمل عائشة بالآلاف، فكلُّ مَن كان يأخذ بخطام الجمل كان يُقتل أو تُقطع يده، إلى أن جاء عبد الله بن الزبير **«فقبض على خطام الجمل، فصرخت به عائشة رضي الله عنها: خلِّ عن الخطام ودونك القوم! فخلّاه والتقى بمالك النخعي الأشتر، فاعتركا مليّاً حتى سقطا إلى الأرض، فعلاه مالك بالسيف فلم يجد له سبيلاً إلى قتله، وعبد الله ينادي من تحته:**

اقتُلوني ومالكاً ... واقتُلوا مالِكاً معي

فلم يُجبه أحد، ولا أحد يعلم من الذي يعنيه لشدة اختلاط الناس ببعضهم وثور النَّقْع،[1] فلو قال: اقتُلوني ومالك الأشتر لقُتِلا جميعاً. فقال مالكٌ هذه الأبيات:

أَعايِشُ لولا أنني كنتُ طاوياً ... ثلاثاً لألفَيْتِ ابن أختِكِ هالكا

غَداةَ يُنادي والرِّماحُ تنوشُهُ ... كَوقْعِ الضَّياحي اقتُلوني ومالِكا

فنجّاهُ مِنّي أكلُهُ وشَبابهُ ... وأنّي شيخٌ لم أَكُنْ متماسِكا».[2]

---

(١) ثور النقع: هيجان الغبار الساطع بفعل شدة المعركة وهو ما حجب الرؤية بوضوح.

(٢) الجمل لضامن بن شدقم المدني ص١٤٤، وقد كان مالك الأشتر (رضوان الله تعالى عليه) قبل وقعة الجمل صائماً ثلاثة أيام بلا إفطار أي كان طاوياً، ولذا ضعفت قواه ولم يتمكن من قتل ابن الزبير لعنهما الله، فخاطب عائشة (لعنها الله) بهذه الأبيات.

وكان للأشتر (عليه الرحمة) موقف آخر مع عائشة بخصوص عبد الله بن الزبير، وذلك ما رواه أبو مخنف كما في شرح النهج لابن أبي الحديد ج١ ص٢٦٣ عن الأصبغ بن نباتة قال: **«دخل عمار بن ياسر ومالك ابن الحارث الأشتر على عائشة بعد انقضاء أمر الجمل، فقالت عائشة: يا عمّار مَن معك؟ قال: الأشتر. فقالت: يا مالك؛ أنت الذي صنعت بابن أختي ما صنعت؟ قال: نعم، ولولا أني كنت طاوياً ثلاثة أيام لأرحتُ أمة محمد منه»!**

والحق ما قال مالك، فإنه لم تمضِ إلا سنوات حتى أعلن ابن الزبير نفسَه خليفةً في مكة فأذاق أمة محمد =

هكذا صار ما حول عائشة وجملها مذبحةً لا مثيل لها، إلا أنها لم تُثِرْ فيها أدنى شفقة أو رحمة ولم تُرجعها عن الزجّ بالنفوس في هذه المهلكة! فمضت تحرّض أبناءها على الحرب والقتال وسفك الدماء حتى لَقِيَ هؤلاء حتوفهم واحداً تلو الآخر!

وكان بعض المسلمين يخاطبها أملاً في أن توقف القتال قائلاً ما معناه: ألا ترين كم رجلاً يُقتل؟! ألا ترحمين أبناءك يا من صارت أعقَّ الأمّهات؟!

ومن هؤلاء **الحارث بن زهير الأزدي** الذي مشى إليها وقال لها:

«يا أُمَّنا أَعَقَّ أمٍّ نعلمُ! والأمُّ تغذو وِلْدَها وتَرحمُ
أَما تَرينَ كم شُجاعٍ يُكلَمُ؟! وتُختلى هامَتُهُ والمِعْصَمُ»؟![1]

فتصدّى إليه **عمرو بن الأشرف العكبي** فتقاتلا حتى قتل كل واحد منهما صاحبه! وأما عائشة فلم تتأثر ولم تتراجع بل ظلّت على عنادها حتى آخر نفس أملاً في أن تنتصر في هذه الحرب وتعود إلى موقعها الذي كانت فيه أيام حكومة أبيها وصاحبه.. موقع السيدة الأولى، أو «**أميرة المؤمنين**»! بحسب تعبير أحد المخدوعين بها وهو **عمير بن الأهلب الضبّي**، وقد تقدّمت في الفصل الأول أبياته التي نطق بها ساعة احتضاره،[2] وبقي أن تعلم ما الذي قاله وصنعه بعدها.

= (صلى الله عليه وآله) ويلات العذاب وبلغ من نُصبه أنه لم يكن يصلّي على النبي (صلى الله عليه وآله) لئلّا يرتفع بذلك ذكر أهل البيت وبني هاشم!

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج١ ص٢٦٤ وتاريخ الطبري ج٣ ص٥٢٦ غير أنه منسوب إلى ربيعة العقيلي أو عمرة بن بحرة العدوي.

(٢) راجع ص١٠٦ من هذا الكتاب.

روى المسعودي عن المدائني «**أنه رأى بالبصرة رجلاً مصطلم الأذن**[١] **فسأله عن قصته، فذكر أنه خرج يوم الجمل ينظر إلى القتلى، فنظر إلى رجل منهم يخفض رأسه ويرفعه وهو يقول:**

لقدْ أوردَتْنا حَوْمةَ الموتِ أُمُّنا	**فَلَمْ تَنصرفْ إلاّ ونحنُ رِواءُ!**
أَطَعْنا بني تَيْمٍ لشَقْوَةِ جَدِّنا	**وما تَيْمٌ إلاّ أَعْبُدٌ وإِماءُ!**

فقلت: سبحان الله! أتقول هذا عند الموت! قل: لا إله إلا الله، فقال: يا ابن اللَّخْنَاء! إيايَ تأمر بالجزع عند الموت! فولَّيْتُ عنه متعجّباً منه، فصاح بي: ادْنُ منّي ولقّني الشهادة. فصرتُ إليه، فلمّا قَرُبْتُ منه استدناني؛ ثم التقم أذني فذهب بها! فجعلت ألعنه وأدعو عليه، فقال: إذا صرتَ إلى أمّك فقالت: مَن فعل هذا بك؟ فقل: عمير بن الأهلب الضبّي؛ مخدوع المرأة التي أرادت أن تكون أميرة المؤمنين»![٢]

إنه طموح عائشة في أن تغدو إمبراطورة على هذه الأمة! هذا ما اكتشفه هذا الرجل بعدما عاين الموت فندم على كونه مخدوع هذه المرأة التي ساقته إليها كما تُساق الإبل! ولله دَرُّ **الفضل بن العباس** الذي تهكّم على هؤلاء الحمقى الذين انساقوا وراءها، فقال:

آضَتْ أمورُ الوَرى إلى امرأة	**وليْتَها لم تَكُنْ إذا آضَتْ!**
مُبَشِّرٌ جاءنا يبشُّرُنا:	**أميرةُ المؤمنينَ قد باضَتْ!**
هَبْها تصلِّي بنا إذا طَهُرَتْ	**فَمَنْ يُصلّي بنا إذا حاضَتْ؟!**[٣]

---

(١) أي مقطوع الأذن.

(٢) مروج الذهب للمسعودي ج٢ ص٣٧٩، ونحوه في تاريخ الطبري ج٣ ص٥٣٢ والكامل لابن الأثير ج٣ ص٢٥٢

(٣) الصراط المستقيم للنباطي العاملي ج٣ ص١٦٣

لقد كانت حرباً مدمّرة وقودها طموح عائشة الشخصي، وقد خلّفت بعد فشلها في تحقيق هذا الطموح آلاف القتلى فضلاً عن الجرحى والمُعاقين ممّن فقدوا عيونهم أو أيديهم أو أرجلهم! وجُلُّهم من أبنائها أي الذين اعتقدوا فيها أُمّاً لهم تستحق أن تُبرَّ، فإذا بها تعقُّهم وترمي بهم في هذه التهلكة وكأنها «**هرّة تريد أن تأكل أولادها**»! على حدّ قول السيد الحِمْيري الذي رواه الجاحظ والزمخشري والنباطي. قال الزمخشري: «**قال السيد الحِمْيَري في عائشة رضي الله عنها حين نصبت الحرب يوم الجمل:**

جاءَتْ مع الأَشْقَيْنِ في هَوْدَجٍ ... تُزْجِي إلى البَصْرةِ أَجْنادَها

كأنها في فِعْلها هِرَّةٌ ... تُريد أنْ تأكُلَ أَولادَها»![1]

فكم رجلاً أكلتهم عائشة في هذه الحرب الطائشة الدامية بعدما «**كانت الرؤوس تُندَرُ عن الكواهل! والأيدي تطيح من المعاصم! وأقتاب البطن تندلق من الأجواف! وهم حول الجمل كالجراد لا تتحلحل ولا تتزلزل**»؟![2]

قد تراوحت روايات المؤرخين في أعداد قتلى حرب الجمل ما بين سبعة آلاف إلى ما يزيد على ثلاثين ألف قتيل!

فمن الذين ذكروا السبعة آلاف؛ خليفة بن خياط في روايته عن علي بن زيد قال: «**قُتِلَ يوم الجمل سبعة آلاف**»![3]

---

(١) المستقصى في أمثال العرب للزمخشري ص١٧ والحيوان للجاحظ ج١ ص٩١ والصراط المستقيم للنباطي العاملي ج٣ ص١٦٣، ويريد بالأشقيْن طلحة والزبير.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ج١ ص٢٥٣ عن المدائني والواقدي. وتُندر: تُقطع. والأقتاب: الأمعاء.

(٣) تاريخ خليفة بن خياط ص١٤٠

ومن الذين ذكروا العشرة آلاف؛ الطبري في روايته عن سيف بن عمر عن محمد وطلحة قالا: «**كان قتلى الجمل حول الجمل عشرة آلاف! نصفهم من أصحاب علي ونصفهم من أصحاب عائشة**»![1] غير أنه عاد وروى أن المجموع مع ضمّ المعركة الأولى يزيد على ذلك بخمسة آلاف قتيل من أهل الكوفة حيث قال: «**وقيل: قُتِلَ من أهل البصرة في المعركة الأولى خمسة آلاف، وقُتِلَ من أهل البصرة في المعركة الثانية خمسة آلاف، فذلك عشرة آلاف قتيل من أهل البصرة، ومن أهل الكوفة خمسة آلاف**»![2] فيكون المجموع خمسة عشر ألفاً!

ومن الذين ذكروا الثلاثة عشر ألفاً؛ خليفة بن خياط في روايته عن خالد بن العاص عن أبيه قال: «**قُتِلَ ثلاثة عشر ألفاً، من أصحاب علي ما بين الأربعمئة إلى الخمسئة**»![3]

ومن الذين ذكروا الثمانية عشر ألفاً؛ المسعودي حيث قال: «**قُتِل من أصحاب علي في ذلك اليوم خمسة آلاف نفس، ومن أصحاب الجمل وغيرهم من أهل البصرة وغيرهم ثلاثة عشر ألفاً**»![4]

ومن الذين ذكروا العشرين ألفاً؛ خليفة بن خياط في روايته عن قتادة قال: «**قُتِلَ يوم الجمل عشرون ألفاً**»![5] وروى أيضاً عن أبي حاتم قال: «**حدّثتني جدّتي قالت: خرجنا إلى قتلى الجمل فعددناهم بالقصب عشرين ألفاً**»![6]

---

(١) تاريخ الطبري ج٣ ص٥٤٢

(٢) المصدر نفسه.

(٣) تاريخ خليفة بن خياط ص١٤٠

(٤) مروج الذهب للمسعودي ج١ ص٣٢٢

(٥) تاريخ خليفة بن خياط ص١٣٩

(٦) المصدر نفسه ص١٤٠

وزاد ابن عبد ربّه الأندلسي على هذا العدد خمسمئة من الشيعة في روايته عن قتادة حيث قال: «**قُتِلَ يوم الجمل مع عائشة عشرون ألفاً (...) وقُتِل من أصحاب علي خمسمئة رجل**»![1] فيكون المجموع عشرون ألفاً وخمسمئة قتيل! أما اليعقوبي واليافعي فقد رويا أن عدد القتلى زاد على الثلاثين ألفاً! حيث قال اليعقوبي: «**روى بعضهم أنه قُتِلَ في ذلك اليوم نيِّفٌ وثلاثون ألفاً**»! وقال اليافعي: «**وبلغت القتلى يومئذ ثلاثة وثلاثين ألفاً على ما ذكر أهل التواريخ**»![2]

وأما أسماء أبرز المقتولين في تلك الحرب الضّروس من وجوه القبائل والبطون فقد دوّنها خليفة بن خياط في تاريخه وبدأ بأصحاب عائشة ثم أصحاب علي عليه السلام، ونحن نوردها كما جاءت. قال: «**تسمية من حُفِظَ لنا ممن قُتِلَ يوم الجمل. من بني أمية: عبد الرحمن عتاب بن أسيد. ومن بني حبيب بن عبد شمس: عبد الرحمن بن عبد الله بن عامر. ومن بني عبد العزى بن عبد شمس: علي بن عدي بن محرز بن حارثة بن ربيعة بن عبد العزى. ومن بني أسد بن عبد العزى: الزبير بن العوام قتله عمير بن جرموز، وعبد الله بن حكيم بن حزام. ومن بني عبد الدار بن قصي: عبد الله بن مسافع بن طلحة بن أبي صالحة. ومن بني عبد ابن قصي: عبد الله مولى الحارث بن نقيد. ومن بني زهرة بن كلاب: الأسود بن عوف، وعبد الله ابن المغيرة بن الأخنس ابن شريق، وعبد الله بن أبي عثمان بن الأخنس بن شريق، حليفان لهم من ثقيف، ومعبد بن المقداد بن الأسود، حليف لهم من بهراء. ومن بني مخزوم بن يقظة: عبد الرحمن بن الوليد بن عبد شمس وعبد الله بن أبي بردة بن معبد بن وهب بن عائذ، ومعبد ابن زهير بن أبي أمية. ومن بني تيم بن مرة: طلحة بن عبيد الله، وابنه محمد بن طلحة وعبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان، وعبد الرحمن بن أبي سلمة بن الحارث. ومن بني جمح:**

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي ج٢ ص١٠٦

(٢) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص١٨٣ ومرآة الجنان لليافعي ص٤٥

صفوان مولى مطيع، وعبد الرحمن بن وهب بن أسيد، وعبد الله بن أبي بن خلف، وابن لعميرة ابن وهب، ومسلم بن عامر بن حميل، ونعيم بن الصلت حليف لهم من كندة، وعبد الله ابن هانئ مولى عبد الله بن أبي سلمة. ومن بني سهم بن عمرو: ابن لقيس بن عدي. ومن بني عامر بن لؤي: عمرو بن عبد الله بن أبي قيس، وأبو سفيان بن حويطب، وأبو الأخنس مولى لهم. ومن بني الحارث بن فهر: رجل. ومن بني تميم: هلال بن وكيع الدارمي، وأبو الجرباء الغيلاني. ومن بني غيلان بن مالك: أخوة مازن بن مالك بن عمرو بن تميم. قال أبو اليقظان: وقتل السجف بن سعد بن عوف العجيفي، وفرافصة، وعمار رجلان. ومن بلهجيم: حنظلة ابن ضرار الضبي. ومن قيس بن عيلان ثم من بني سليم: عاصم بن قيس بن الصلت وابنه عمرو بن عاصم، وشبيب بن الهيثم، ومعوض بن أسماء بن الصلت، ومعوض بن علاط أخو الحجاج بن علاط، وقُتِل من باهلة: كليب بن عمرو عم قتيبة بن مسلم. ومن اليمن: كعب ابن سور اللقيطي، وابن لصبرة بن شيمان الحداني. قال أبو اليقظان: وقتل من طاحية ثلاثون رجلاً دُفِنوا عند مسجد نافع بن خالد الطاحي. وقُتِل من الجهاضم ثلاثون رجلاً منهم: قيس ابن صهبان، وجودان بن عائذ أبو عبد الله بن جودان. وقُتِل عمرو بن الأشرف وهو أبو زياد ابن عمرو وهو آخذ بخطام الجمل قتله الحارث بن عبد الشارق الغامدي، وقتله عمرو ابن الأشرف، قتل كل واحد منهما صاحبه.

وقُتِل من أصحاب علي ممّن حُفِظ لنا: زيد وسيحان ابنا صوحان، وعلباء بن الحارث السدوسي، وهند الجملي، والصقعب وعبد الله ابنا سليم أخوا مخنف بن سليم».[(١)]

فكل هؤلاء دماؤهم في رقبة عائشة! سواء كانوا ممن حاربها وقاوم حركتها الانقلابية الإرهابية؛ أو ممن حارب معها من الذين غرّرت بهم وخدعتهم! فكلُّهم قتلتهم عائشة! واللهُ

(١) تاريخ خليفة بن خياط ص١٤٠ وما تلاها.

وحده العالم أيُّ عذابٍ تتلقّاه عائشة اليوم في جهنّم بسبب هذه المجازر الدموية التي وقعت بين المسلمين بسببها! وقد قال الإمام الصادق عليه السلام: «**عائشة كبير جُرمها! عظيم إثمها! ما أُهرِقَت محجمة من دم إلا وإثم ذلك في عنقها وعنق صاحبيها**»![1]

ولا يرتاب مؤمن في أن هذه المرأة وجبت لها النار بعد الذي ارتكبته وأحدثته في الإسلام، فإن يدها ملطّخة بدماء آلاف الضحايا، ولو أنها قتلت واحداً صغيراً منهم لوجبت لها النار؛ فكيف وقد قتلت آلاف الأكابر منهم في صعيد واحد؟!

ومن الحريِّ ههنا ذكر ما دار بين عائشة وإحدى الأمهات الثكلى ممن فقدن أبناءهنّ في يوم الجمل، حيث ألزمتها تلك الأمّ حكمها على نفسها بأنها تستوجب النار!

روى ابن عبد ربّه الأندلسي وابن قتيبة الدينوري عن ابن أبي شيبة قال: «**دخلت أم أوفى العبدية على عائشة بعد وقعة الجمل، فقالت لها: يا أم المؤمنين؛ ما تقولين في امرأة قتلت ابناً لها صغيراً؟ قالت: وجبتْ لها النار. قالت: فما تقولين في امرأة قتلت من أولادها الأكابر عشرين ألفاً في صعيد واحد؟! قالت: خذوا بيد عدوة الله**»![2] وفي رواية ابن الدمشقي الشافعي قولها: «**خذوا بيد عدوة الله وأخروجها عن محضري**»![3]

إن هذه المحاروة تبيّن لنا كيف أن عائشة لم تأبه بكل تلك الدماء التي سُفكت بسببها! كما تبيّن لنا كيف أنها ظلت على عنجهيّتها حتى بعد انتهاء الحرب الطاحنة حيث أمرت بطرد تلك المرأة المسكينة ونعتتها بعدوة الله! مع أن المرأة لم تفعل شيئاً سوى أنها ألزمتها بحكمها

---

(١) دلائل الإمامة للطبري الإمامي ص٢٦٠

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربّه الأندلسي ج٢ ص١٠٩ عن أبي بكر بن أبي شيبة، وعيون الأخبار لابن قتيبة ج١ ص٢٠٢

(٣) جواهر المطالب لابن الدمشقي الشافعي ج٢ ص٢٨

على نفسها، فإنها حيث حكمت بأن المرأة التي تقتل ابناً لها صغيراً تستوجب النار؛ فيكون من باب أولى أن تحكم على نفسها بالحكم ذاته وقد قتلت في صعيد واحد عشرين ألفاً من أولادها الأكابر! بيْد أن عائشة حيث لم تكن تملك جواباً ولا حجة فقد أمرت بطرد المرأة من محضرها! وهذا هو ديدن جميع الكفار والمجرمين الذين يلجأون إلى مثل ذلك حين يعجزهم ردّ الحجة بالحجة.

وهذه المحاورة تُنبئنا أيضاً أن ما يتناقله المخالفون من ندمها وتوبتها وبكائها بعد سنوات من حرب الجمل؛ ما هو إلا ضرب من ضروب تصنّعها أو أنه حسرة على خيبة أملها، فإن المرأة لم تهتزّ ولم تخشع حين أذكرتها أم أوفى العبدية بأنها السبب في مقتل كل هؤلاء الناس! بل أظهرت على العكس من ذلك رباطة جأشها وبقاءها على موقفها وكأن قلبها من حجر! وسيوافيك إن شاء الله تعالى ردّ دعوى أنها خرجت لطلب الإصلاح ثم ندمت وردُّ ما يتصّل بذلك مما تشبّث به المخالفون أو اعتذرت به هي وحزبها لأجل تبرئة ساحتها وغسل عارها!

■ **سقوط صنم عائشة وجملها!**

لم يُفتتن بامرأة في الإسلام كما افتُتِنَ بعائشة، فقد أُشرِبَت في قلوب عشاقها المغفّلين حتى ذابوا فيها تقديساً وحبّاً! وبلغ تقديسهم لها مبلغاً أشبه بأسطورة خيالية لا يمكن تصديقها، إلا أن الواقع أثبت أنها حقيقة! فقد اتُّخِذَت هذه الحميراء الملعونة عند أنصارها ربّاً يُعبد من دون الله تعالى جرياً على عادة الأقوام السابقة التي وصفها الله تعالى بقوله: «**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ الله**»![1]

(١) التوبة: ٣١، ولاحظ أن الله تعالى وصفهم بذلك مع أنهم ما اتخذوا أحبارهم أرباباً اعتقاداً، وإنما عملاً من حيث أنهم أطاعوهم وعصوا الله تعالى، فكذلك حال أتباع عائشة والمفتونين بها.

ولا يُظَنُّ بأن في هذا الكلام مبالغة أو تهويلاً، فإنه الواقع بعينه الذي كشفت عنه الشواهد التي لم يُرَ لها في تاريخ الإسلام والمسلمين نظيراً. فأيُّ امرأة في تاريخ الإسلام صارت الآلاف المؤلّفة من الرجال الصناديد يتبعونها اتّباع الماشية لراعيها ويأتمرون بأمرها ائتمار العبيد لمالكها ويُتلفون أنفسهم وأرواحهم في الحرب دونها ودون دابّتها التي تركبها؟!

وأيُّ امرأة في تاريخ الإسلام قيل فيها:[1]

يا معشَرَ النّاسِ عَلَيْكُم أُمُّكم ... فإنّها صَلاتُكُمْ وصَوْمُكُم!

فاختُزل فيها الدين وانتهت إليها الشريعة وحلّت محلّ الصلاة والصوم وسائر العبادات التي لله عز وجل لكنها صارت لعائشة وفي عائشة؟!

وأيُّ امرأة في تاريخ الإسلام قيل فيها:[2] «**هذه أُمُّكم نصرها دين وخذلانها عقوق**»؟! فصارت نُصرتها مقياساً للدين وكأن وحياً أو حديثاً ورد فيها يقول: عائشة مع الحق، والحق مع عائشة، يدور معها الحق حيثما دارت!

وأي امرأة في تاريخ الإسلام بلغ تعظيم أتباعها لها مبلغ تبرّكهم بالخُرْء الذي يخرج من دبر الجمل الذي تركبه! فقد روى الطبري وابن الأثير وغيرهما عن أبي البختري الطائي قال: «**أطافت ضبّة والأزد بعائشة يوم الجمل، وإذا رجالٌ من الأزد يأخذون بَعْرَ الجمل فيفتّونه ويشمّونه ويقولون: بَعْرُ جملِ أُمِّنا ريحه ريح المسك**»![3]

---

(١) والقائل **كعب بن سور الأزدي** قُبيل مقتله كما تقدّم في ص٥٩٨ من هذا الكتاب.

(٢) والقائل **عمرو بن يثربي** كما في شرح النهج لابن أبي الحديد ج١ ص٢٦٠

(٣) تاريخ الطبري ج٣ ص٥٣٠ والكامل لابن الأثير ج٣ ص٢٤٧ وإمتاع الأسماع للمقريزي ج١٣ ص٢٤٥ ونحوه في الفتوح لابن أعثم ج٢ ص٤٨١. والبَعْر هو الخُرْء أو النَّجْو والرَّوْث. والمعتذر القائل: إن هذا الفعل القبيح صنعه أُناس جهلة من ضبّة والأزد بلا أمر من عائشة فلا تُعاب هي عليه؛ يُجاب عليه =

قد علمنا مثلاً بقصة **سجاح التميمية** المتنبّية المعروفة، وأوقفنا التاريخ على ما كان لها من تعظيم وتبجيل عند أصحابها الذين آمنوا بها واتبّعوها، غير أنّا لم نجدهم يوماً وصفوها بأنها «**صلاتهم وصومهم**»! بل كان غاية ما يقولونه فيها:

أمستْ نَبيَّتُنا أُنثى نَطيفُ بها وأصبَحتْ أنبياءُ الناس ذُكرانا![1]

ولم نجدهم يتبرّكون بعَذِرَتها فضلاً عن عَذِرَة الدواب التي تركبها! فلا قياس إذن بين عائشة وسجاح من حيث ما أصاب الأتباع من افتتان وما بلغ بهم الحال من تقديس، ولئن كانت سجاح نبيّة في عيون أصحابها؛ فعائشة إلهة في قلوب أتباعها! بل إن جملها الذي كانت تركبه أضحى إلهاً كعجل بني إسرائيل وصار قبلةً للقوم!

ويرسم لنا هذه الصورة المرعبة مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه، عندما أمر عمار ابن ياسر والأشتر النخعي (رضوان الله عليهما) بعقر الجمل قائلاً: «**اذهبا فاعقرا هذا الجمل، فإن الحرب لا يبوخ ضرامها ما دام حياً، إنهم اتخذوه قبلة**»![2]

= بالقول: إنهم كما في الرواية «**أطافوا بها**» أي أنها كانت تراهم وهي على جملها وهم يفعلون ذلك، فعدم نهيها إياهم يكشف عن أنها كانت تستحسن ما يصنعون وإلا فلماذا لم توقفهم؟! وألا حَكَم عليها السلفيّون والوهابيون المعاصرون بالشرك أو البدعة لرضاها بتبرّك أصحابها بخُرْءٍ لا يضرّ ولا ينفع؟!

ولسنا ندري لو أن هؤلاء حصلوا لا على روث الجمل فحسب بل على ما يخرج من دبر عائشة من غائط فماذا كانوا سيصنعون وقتئذ من آيات التبرّك والتقديس؟! وكيف سيكون ريحه عندهم حينما يشمّونه؟! وماذا سيقولون؟! خُرْء أمّنا ريحه كريح الياسمين؟! غائط أمّنا ريحه كريح الريحان؟!

(١) أُسد الغابة لابن الأثير ج٣ ص٤١١ والقائل **عطارد التميمي** أحد أصحاب سجاح.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ج٦ ص٢٢٨ عن أبي مخنف، ولا يبوخ ضرامها: لا يخمد اشتعالها.

ثم لما عُقِرَ الجمل وانتهت الحرب؛ أمر (عليه السلام) أن يُحرَق ثم يُذَرَّى في الريح، وقال حينئذ: «**لعنه الله من دابة فما أشبهه بعجل بني إسرائيل! ثم قرأ: وَانْظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّـذِي ظَلْـتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا**»![1]

وسبب قيامه (عليه السلام) بذلك يرجع إلى أن هذا الجمل الذي سُمِّيَ «**عسكراً**» لم يكن أصلاً جملاً طبيعياً، بل كان مسكوناً بشيطان أو هو شيطان تمثّل بـه، وهـذا مـا وصـفه (عليـه السلام) به حين صرخ بأعلى صوته في الحرب: «**ويلكم! اعقروا الجمل فإنه شـيطان! اعقـروه وإلا فُنِيَت العرب**»![2] وقد أثبت هذه الحقيقة أيـضاً الإمـام البـاقر (عليـه الـسلام) إذ قـال: «**اشتروا عسكراً بسبعمئة درهم وكان شيطاناً**»![3]

ولهذا كان سلمان (رضوان الله تعالى عليه) إذا ما رأى هـذا الجمـل يـضربه! وذلـك قبـل وقوع حرب الناكثين بمدة طويلة إذ كان يعلم بسرّه مما علّمه إياه الرسـول الأعظـم ووصـيه (عليهما وآلهما السلام) من علم المنايا والبلاء، فقد روى الكشي بسنده عن الحسن بن حمّاد بلغ به قال: «**كان سلمان إذا رأى الجمل الذي يُقال له: عسكر؛ يضربه. فيُقال: يـا أبـا عبـد الله مـا تُريدُ من هذه البيهمة؟ فيقول: ما هذا بهيمة! ولكن هذا عسكر بن كنعان الجنّي! يا أعـرابي؛ لا ينفق جملك ههنا، ولكن اذهب به إلى الحوأب فإنك تُعطى به ما تريد**»![4]

وقد كانت عائشة عالمةً بأن الجمل الذي تركبه إنـما هـو شـيطان في الحقيقـة، وذلـك لأن النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) كان قد أنبأها بذلك وحذّرها منه، فقد روى الطبرسي عن

---

(١) المصدر نفسه ج١ ص٢٦٦

(٢) المصدر نفسه ج١ ص٢٥٣ عن المدائني والواقدي.

(٣) رجال الكشي ج١ ص٥٨

(٤) المصدر نفسه ج١ ص٥٧، ومعلوم أن الجنّي المقصود ههنا شيطان من شياطين الجنّ.

الصادق (عليه السلام) في حديث أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال لعائشة: «**يا عائشة؛ إنك لتقاتلين عليّاً، ويصحبك ويدعوكِ إلى هذا نفرٌ من أهل بيتي وأصحابي، فيحملونك عليه، وليكوننّ في قتالك له أمر يتحدث به الأولون والآخرون! وعلامة ذلك أنك تركبين الشيطان**»![(١)]

إنها حقاً صورة مرعبة، شيطانة ركبت شيطاناً! فصار المجموع صنماً يُعبد من دون الله تعالى كعجل السامري، وعكف عليه المخدوعون يفدونه بأرواحهم ويقاتلون به وصيّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) ويسفكون به دماء المسلمين.

وصار جمل عائشة قبلةً، وصارت هي ملاذاً لأهل البغي، فقد قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في كتابه إلى **قرظة بن كعب الأنصاري** خليفته على الكوفة: «**ولاذ أهل البغي بعائشة**»![(٢)]

ولم يكن من شيء في الحرب يحرص عليه أهل البغي هؤلاء إلا بقاء أمّهم عائشة راكبة على جملها معتدلاً، فإنه الرمز بل الصنم الذي ينبغي أن لا يسقط! فلمّا بلغت الحرب أوجها «**استدار الجمل كما تدور الرحاة، وتكاثف الرجال حوله، واشتدّ رغاؤه، واشتدّ زحام الناس عليه، ونادى الحتّات المجاشعي: أيها الناس! أمكم! أمكم! واختلط الناس وضرب بعضهم بعضاً، وتقصّد أهل الكوفة قصد الجمل، ودونه كالجبال كلّما خفّ قومٌ جاء أضعافهم، فنادى علي: ويحكم! ارشقوه بالنّبل، اعقروه لعنه الله! فرُشِقَ بالسّهام فلم يبقَ فيه موضع إلا أصابه**

---

(١) الاحتجاج للطبرسي ج١ ص٢٩٣، ومراده (صلى الله عليه وآله) من أهل بيته الذين ينصرونها المعنى العام لا الخاص، أي أنه أراد العشيرة والأقارب لا أهل الكساء الخمسة صلوات الله عليهم، وقد كان الزبير ابن العوّام من أقاربه إذ هو ابن عمّته.

(٢) الكافئة للمفيد ص٢٨ وجواهر المطالب لابن الدمشقي الشافعي ج١ ص٣٦٩

النّبل، وكان متجفجفاً فتعلَّقتْ السّهام به فصارت كالقنفذ! ونادت الأزد وضُبّة: يـا لثـارات عثمان! فأخذوها شعاراً، ونادى أصحاب علي: يا محمد! فاتخذوها شعاراً، واختلط الفريقـان، ونادى علي بشعار رسول الله صلى الله عليه وآله: يا منصور أَمِتْ»![1]

لم يكن – بعد أسبوع كامل من القتال – من بُدٍّ عند أمير المـؤمنين (عليـه الـسلام) إلا أن يتوجّه لإسقاط هذا الصنم وكسره فإنه بذلك تنكسر جبهة الباطل وينقطع دابر هـذه الفتنـة. ولم يكن أمامه بعد ظهور هذا العناد المتواصل من عائشة وأصحابها وإصرارهـم عـلى القتـال إلا أن يعمل بوصية أخيه النبي (صلى الله عليه وآله) التي أمره فيها بقتـال عائـشة وأصـحابها قائلاً: «**يا علي؛ إذا أدركتها فاضربها واضرب أصحابها**»!**[2]**

كان لا بدّ في هذه الحرب الشيطانية من أن يتدخّل أمير المـؤمنين (عليـه الـسلام) بنفـسه لإنهائها، وكان لا بدّ من أن يفصل فيها سيفه ذو الفقار، وهذا هو ما وقع.

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج١ ص٢٦٢، وما أعظم الفرق بين الفريقين، بين مَن شـعاره: «**يـا لثـارات عثمان**»**!** وبين من شِعاره: «**يا محمد**»**!** وشعار إمامه وقائده: «**يا منصور أمت**»**!**

أما **الحتّات المجاشعي** (لعنه الله) صاحب النداء: «**أيها الناس! أمكم! أمكم**»! فيكفيك للوقوف على دناءتـه أن تعلم أنه كان عثماني الهوى، فلمّا وفد على معاوية أيام ملكه أنقص معاويـة جائزتـه حيـث أعطـاه سـبعين ألفـاً وأعطى غيره من الباقين مئة ألف، فقال لمعاوية: «**ما بالك خسـست بي دون القـوم؟ فقـال: إني اشـتريت مـن القوم دينهم ووكلتُكَ إلى دينك ورأيك في عثمان بن عفان! فقال: وأنا فاشترْ منّي دينـي! فـأمر لـه بـتمام جـائزة القوم**»**!** راجع تاريخ الطبري ج٤ ص١٨٠ وأسد الغابة لابن الأثير ج١ ص٣٧٩. ورجلٌ يعرض دينـه للبيـع ماذا تنتظر منه في يوم الجمل غير أن يتمسّك بذيل عائشة ويحضّ على نصرتها عسى أن تشتري منه دينه! هذا إنْ لم تكن قد اشترته من قبلُ بعدما استولت على بيت مال البصرة وفرّقت ما فيه على جُندها!

(٢) الكافئة للمفيد ص٣٨ عن يوسف بن كليب المسعودي.

قال ابن أعثم: «**وضرب علي رضي الله عنه بيده إلى سيفه فاستلّه، ثم حمل على القوم فضرب فيهم يميناً وشِمالاً، ثم رجع وقد انحنى سيفه! فجعل يسوّيه بركبته! فقال له أصحابه: نحن نكفيك ذلك يا أمير المؤمنين! فلم يُجِبْ أحداً حتى سوّاه، ثم حمل ثانيةً حتى اختلط بهم، فجعل يضرب فيهم قدماً قدماً حتى انحنى سيفه! ثم رجع إلى أصحابه ووقف يسوّي السيف بركبته وهو يقول: والله ما أريد بذلك إلا وجه الله والدار الآخرة**»![1]

وقال زيد بن حساس: «**سمعتُ محمد بن الحنفية يقول: دفع إليَّ أبي الراية يوم الجمل وقال: تقدّم. فتقدّمتُ حتى لم أجد متقدَّماً إلا على رمح! قال: تقدّم لا أمَّ لك! فتكأكأتُ وقلتُ: لا أجد متقدَّماً إلا على سنان رمح! فتناول الراية من يدي متناولٌ لا أدري من هو، فنظرتُ فإذا أبي بين يديَّ وهو يقول:**

أنتِ التي غَرَّكِ منيّ الحُسنى ... يا عَيْشُ إن القوم قومٌ أعدا

الخفضُ خيرٌ من قتالِ الأبْنا»![2]

وقال المدائني والواقدي: «**وأخذتْ عائشة كفّاً من حصى فحصبتْ به أصحاب علي عليه السلام وصاحت بأعلى صوتها: شاهت الوجوه! كما صنع رسول الله صلى الله عليه وآله يوم حنين. فقال لها قائل: وما رميتِ إذ رميتِ ولكن الشيطان رمى! وزحف علي عليه السلام نحو الجمل بنفسه في كتيبته الخضراء من المهاجرين والأنصار وحوله بنوه حسن وحسين**

(١) الفتوح لابن أعثم ج٢ ص٤٧٤

(٢) تاريخ الطبري ج٣ ص٥٢٤، ومحمد بن الحنفية هو ابن أمير المؤمنين (عليه السلام) غير أنه غلبت عليه النسبة إلى أمّه **خولة الحنفية** لمكان التمييز. وقوله عليه السلام: «**لا أمّ لك**» يريد به أنك لم تتلقَّ تربية جيّدة من أمّك وكأنه لا أمّ لك. وتكأكأتُ: نكصتُ وتراجعتُ. والأبيات موجّهة إلى عائشة (لعنها الله) حيث فيها: «**يا عيشُ..**» وأما الخفض فهو الدّعة.

ومحمد عليهم السلام، و دفع الراية إلى محمد وقال: أَقْدِمْ بها حتى تركزها في عين الجمل ولا تَقِفَنَّ دونه. فتقدّم محمد فرشقته السهام فقال لأصحابه: رويداً حتى تنفد سهامهم، فلم يبقَ لهم إلا رشقة أو رشقتان فأنفذ إليه علي عليه السلام يستحثُّه و يأمره بالمناجزة، فلمّا أبطأ عليه جاء بنفسه من خلفه فوضع يده اليسرى على منكبه الأيمن وقال له: أَقْدِمْ لا أُمَّ لك! فكان محمد رضي الله عنه إذا ذَكر ذلك بعدُ يبكي ويقول: لكأنّي أجدُ ريح نَفَسِهِ في قفاي! والله لا أنسى ذلك أبداً! ثم أدركتْ عليا عليه السلام رقّةٌ على ولده فتناول الراية منه بيده اليسرى وذو الفقار مشهور في يمنى يديه، ثم حمل فغاص في عسكر الجمل ثم رجع وقد انحنى سيفه فأقامه بركبته! فقال له أصحابه وبنوه والأشتر وعمار: نحن نكفيك يا أمير المؤمنين! فلم يجب أحداً منهم و لا ردَّ إليهم بصره وظلَّ ينحط[1] ويزأر زئير الأسد حتى فرق مَن حوله وتبادروه و إنه لطامح ببصره نحو عسكر البصرة لا يُبصر مَن حوله ولا يردُّ حواراً! ثم دفع الراية إلى ابنه محمد ثم حمل حملة ثانية وحدَه فدخل وسطهم فضربهم بالسيف قُدُماً قُدُماً و الرجال تفرُّ من بين يديه وتنحاز عنه يمنة ويسرة حتى خضَّبَ الأرض بدماء القتلى! ثم رجع وقد انحنى سيفه فأقامه بركبته! فاعصوصب به أصحابه[2] و ناشدوه اللهَ في نفسه وفي الإسلام وقالوا: إنك إن تُصَبْ يذهب الدين! فأمسِكْ ونحن نكفيك. فقال: والله ما أريد بما ترَوْنَ إلا وجه الله والدارالآخرة. ثم قال لمحمد ابنه: هكذا تصنع يابن الحنفية! فقال الناس: مَن الذي يستطيع ما تستطيعه يا أمير المؤمنين»؟![3]

---

(١) ينحط: يزفر.

(٢) اعصوصب به أصحابه: تجمّعوا حوله والتفّوا حوله.

(٣) شرح النهج لابن أبي الحديد ج١ ص٢٥١

وقال حبّة العرني: «لمّا رأى علي عليه السلام أن الموت عند الجمل وأنه ما دام قائماً فالحرب لا تُطفأ؛ وضع سيفه على عاتقه وعطف نحوه وأمر أصحابه بذلك، ومشى نحوه والخطام مع بني ضبّة، فاقتتلوا قتالاً شديداً واستحرّ القتال في بني ضبّة، فقُتِلَ منهم مقتلة عظيمة! وخَلُصَ عليٌّ في جماعة من النخع وهمدان إلى الجمل، وقال لرجلٍ من النخع اسمه بجير: دونك الجمل يا بجير! فضرب عجز الجمل بسيفه فوقع لجنبه، وضرب بجرانه الأرض وعجّ عجيجاً لم يُسمع بأشد منه، فما هو إلا أن صُرِعَ الجمل حتى فرّت الرجال كما يطير الجراد في الريح الشديدة الهبوب»![1]

وقال أبو رجاء: «لقد رأيتُ الجمل يومئذ كأنه قنفذ من النَّبْل! ورجلٌ آخذ بالخطام وهو يقول:

نحن بنو ضُبَّةَ أصحابُ الجمَلْ! نُنازِلُ الموتَ إذا الموتُ نزلْ!

والموتُ أحلى عندنا من العسلْ! ننعى ابن عفّانَ بأطرافِ الأسلْ!

قال: فأقسم بالله ما برح حتى بري قوائم البعير فسقط! فقالوا: أمّنا! أمّنا! فقال رجلٌ لأبي رجاء: ما صنعتَ يومئذٍ؟ قال: رميتُ بأسهمٍ فما أدري ما فعلنَ»![2]

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج١ ص٢٦٥ عن أبي مخنف.

(٢) تاريخ خليفة بن خياط ص١٤٢، وأطراف الأسل: أطراف الرّماح. وبري قوائم البعير: ذهب لحم قوائم البعير مما تلقّاه من ضرب السيوف.

وفي الفتوح لابن أعثم ج٢ ص٤٧٥ أن أصحاب علي (عليه السلام) ردّوا على رجز بني ضبة هذا بقولهم:

يا قائلَ الزّورِ من أصحابِ الجملْ نحن قتلنا نعثلاً فيمن قتلْ!

وردّ عليهم بنو ضبة بقولهم:

نحن بنو ضبّةَ أعداءُ علي! ذاك الذي يُعرفُ فيكم بالوصي!

وفي هذه اللحظة العصيبة بدأت عائشة تصرخ وتنادي أبناءها وتستغيث بهم ولا من مجيب! وحين رأت نفسها على وشك أن تُقتل بعدما رُمِيَ بها من الهودج صاحت صيحة تستعطف بها جُند أمير المؤمنين (عليه السلام) بالإبقاء على حياتها، فقد روى سبط ابن الجوزي: «**لمّا عقروا الجمل ورموا عائشة من الهودج جعلت تنادي: يا بَنِيَّ! البقية البقية! اذكروا الله**»![(١)]

الآن وقد هوت إلى الأرض وخيّم عليها شبح الهزيمة المرّة تقول: «**اذكروا الله**»! خشية أن تُقتَل ويُسفك دمها. أفلا ذكرت الله وذكَّرَت به قبل ذلك حين كانت تحرّض على الحرب والقتل وسفك الدماء؟! «**آلْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ**»؟![(٢)]

ها هو الصنم يسقط إذ عُقِرَ الجمل ففرّ الرجال كالجراد في الريح الشديدة الهبوب إلا من قائل يقول: «**أمُّنا! أمُّنا**»! وآخر يرمي بأسهم عشواء بعد اليأس من النصر! ويسقط هودج عائشة وترتطم بالأرض فتذهب آمالها أدراج الرياح وتضيع أمنياتها في أن تغدو «**أميرة المؤمنين**»!

انتصر الخليفة الشرعي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليهما الصلاة والسلام) غير أنه لم تدفعه نشوة الانتصار إلا إلى مزيد من الرفق والحلم، فأعلن عفوه العام وأمر مناديه أن ينادي: «**ألا لا يُجهَزُ على جريح، ولا يُتبَعُ مُوَلٍّ، ولا يُطعَنُ في وجه مُدبر، ومَن ألقى السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن. ثم آمَنَ الأسودَ والأحمر**».[(٣)]

---

(١) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي ص٧٣

(٢) يونس: ٩٢

(٣) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص١٨٣

إلا أنه (عليه السلام) رغم مَنِّه عليهم بالعفو فإنه لعنهم وأبان حقيقة أنه لم يكن بينهم مؤمن! فقد روى المفيد عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال: «**قال علي صلوات الله عليه: لُعِنَ أهلُ الجمل! فقال رجلٌ: يا أمير المؤمنين؛ إلا مَن كان منهم مؤمناً. فقال عليه السلام: ويلك ما كان فيهم مؤمن**»![1]

وتقدّم أمير المؤمنين (عليه السلام) صوب المهزومة الخائبة المدحورة ومعه عمار بن ياسر ومحمد بن أبي بكر رضوان الله عليهما «**فانتهى إلى الهودج وكأنه شوك القنفذ مما فيه من النَّبْل! فضربه بعصا ثم قال: هيه يا حميراء! أردتِ أن تقتليني كما قتلتِ ابن عفّان؟! أَ بهذا أمركِ الله أو عهد إليك رسول الله صلى الله عليه وآله؟! قالت: ملكتَ فاسجح**»![2]

وفي رواية الطبري أنه (عليه السلام) وقف عليها وقال: «**استفززتِ الناس وقد فزّوا! فألَّبْتِ بينهم حتى قتل بعضهم بعضاً! - في كلام كثير - فقالت عائشة: يابن أبي طالب؛ ملكتَ فاسجح**»![3]

وفي رواية المسعودي أنه (عليه السلام) لمّا وقف عليها «**ضرب الهودج بقضيب وقال: يا حميراء! رسول الله صلى الله عليه وآله أمركِ بهذا؟! ألم يأمركِ أن تقرّي في بيتك؟! والله ما أنصفكِ الذين أخرجوكِ إذ صانوا عقائلهم وأبرزوكِ**»![4]

(١) الكافئة للمفيد ص٤١ عن يوسف بن كليب المسعودي، وعنه بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج٣٢ ص٣٢٦

(٢) أمالي المفيد ص٢٤، واسجح: أحسن العفو واصفح.

(٣) تاريخ الطبري ج٣ ص٥٢٠، ولاحظ أن الطبري حجب «**الكلام الكثير**» لأنه يوهن سيدته! غير أن بعضه قد وصلنا من رواية المفيد الآتية.

(٤) مروج الذهب للمسعودي ج١ ص٣٢٠

وفي رواية المفيد أنه (عليه السلام) عن الأصبغ بن نباتة قال: «**لمّا عُقِرَ الجمل وقف علي عليه السلام على عائشة فقال: ما حملكِ على ما صنعتِ؟ قالت: ذَيْتَ وذَيْتَ!**[1] **فقال: أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لقد ملأتِ أذنيْكِ من رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يلعن أصحاب الجمل وأصحاب النهروان! أما أحياؤهم فيُقتلون في الفتنة! وأما أمواتهم ففي النار على ملة اليهود**»![2]

وفي رواية الصدوق عن عوانة قال: «**قال علي بن أبي طالب صلوات الله عليه يوم الجمل لعائشة: كيف رأيتِ صُنعَ الله بكِ يا حميراء؟ فقالت له: ملكتَ فاسجَح**»![3]

هكذا سقط الصنم! وفرّ الناس عن ربّة الجمل فرار الجراد! وأما هي فحيث انكسرت انكساراً لا ينجبر فقد اضطرت لأن تستسمح وتطلب العفو والصفح قائلةً: «**ملكتَ فاسجح**»! وما ذلك إلا لأنها خشيت أن تُقتل أو تُعاقب عقاباً مبرّحاً بعد الذي ارتكبته من فظائع. غير أن أمير المؤمنين (عليه السلام) كان حليماً حكيماً، لم يوقع عليها عقاباً آنذاك تغليباً للمصلحة، وأخّر ذلك لحفيده الإمام المهدي المنتظر صلوات الله عليه. هذا في الدنيا، أما في الآخرة فويلاً لعائشة وأيُّ ويل من عدالة الله تعالى!

نعم؛ لو كانت عائشة حاربت غير علي (عليه السلام) ثم ظفر بها «**لقتلها ومزّقها إرباً إرباً**»! فهذا ابن أبي الحديد يقول: «**ولو كانت فعلتْ بعمر** (ابن الخطاب) **ما فعلت به،**

---

(١) كَكَيْتَ وكَيْتَ، أي أشياء لا أريد التصريح بها الآن.

(٢) الكافئة للمفيد ص٣٤

(٣) معاني الأخبار للصدوق ص٣٠٤

وشقّت عصا الأمة عليه، ثم ظفر بها، لقتلها ومزّقها إرباً إرباً! ولكن عليّاً كان حليماً كريماً».[١]

هذا مع أن عائشة لم تكن لتقصِّرَ بعد ذلك في إيقاع الشر من جديد نظراً لطبيعتها الإجرامية! ولذا أصرّ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) على إرجاعها قهراً إلى المدينة لتمكث في مسكنها. وحين أبت ذلك قال ابن عباس لأمير المؤمنين عليه السلام: «**دعها في البصرة ولا ترحِّلْها. فقال عليه السلام: إنها لا تألو شرّاً! ولكنّي أردّها إلى بيتها**».[٢] ومعنى «**إنها لا تألو شراً**» أنها لا تقصّر في إيقاع الشر والفساد، فلذا ينبغي إرجاعها إلى المدينة المنورة لأن بقاءها في البصرة سيؤدي إلى حرب جمل ثالثة!

إنه لا بد من إخماد عائشة وإقعادها في مسكنها بالمدينة ولو بضربها على أم رأسها! وإلا لم يؤمَن أن تعود هذه الأمة في فتنة تتلوها فتن. وهذه حقيقة يدركها علماء المخالفين ومحققوهم وأدباؤهم؛ أن عائشة ربّة كل فتنة ولا تألو شرّاً، وهذا **طه حسين** حين سُئل عن رأيه عن عائشة أجاب: «**كان أحد الأساتذة يقول: لو أدركتُ عائشة لأوجعتها ضرباً حتى أقعدتها في بيتها! لقوله تعالى: وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ**».[٣]

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج١٧ ص٢٥٤

(٢) الاقتصاد للطوسي ص٢٢٨، وقد تقدّم في ص٢٧٣ من هذا الكتاب أن عائشة تثاقلت عن الرحيل عن البصرة رغم أمر أمير المؤمنين (عليه السلام) إياها بذلك غير مرّة، ولم ترحل إلا بعد أن جاءها الإمام الحسن (عليه السلام) برسالة تهديد من والده (عليه السلام) أنها إنْ لم تفعل فسيطلقها طلاقاً بائناً من النبي صلى الله عليه وآله! فرحلت من فورها.

(٣) راجع كتاب «مع رجال الفكر في القاهرة» للسيد مرتضى الرضوي ص١٦٠

لقد استحوذت عائشة على رجال البصرة فأنستهم ذكر الله، واقتادتهم وراء بهيمتها إلى حربين مدمّرتيْن ضد وصيّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) وشيعته الأبرار، فيا للرجال - وأيُّ رجالٍ - الذين يجعلون أنفسهم جُنداً لمرأة وأتباعاً لبهيمة!

وما أبلغ كلام مولى الموحّدين (صلوات الله عليه) في ذمّ هؤلاء الذين تهابطوا في الوعي حتى غرّتهم عائشة، فقد روى أبو حنيفة الدينوري أنه (عليه السلام) قال لهم حين دخل البصرة وصعد المنبر وخطب: «**أما بعد؛ فإن الله ذو رحمة واسعة وعقاب أليم، فما ظنكم بي يا أهل البصرة؛ جند المرأة وأتباع البهيمة! رغا فقاتلتم! وعُقِر فانهزمتم! أحلامكم دِقاق! وعهدكم شقاق! وماؤكم زُعاق! أرضكم قريبة من الماء، بعيدة من السماء! وأيمُ الله ليأتينَّ عليها زمان لا يُرى منها إلا شُرفات مسجدها في البحر مثل جؤجؤ السفينة! انصرفوا إلى منازلكم**»![1]

وفي رواية الشريف الرضي في نهج البلاغة أنه (عليه السلام) قال: «**كنتم جُندَ المرأة! وأتباع البهيمة! رغا فأجبتم! وعُقِرَ فهربتم! أخلاقكم دِقاق! وعهدكم شقاق! ودينكم نفاق! وماؤكم زُعاق! والمقيم بين أظهركم مرتَهَنٌ بذنبه! والشاخص عنكم متدارَكٌ برحمةٍ من ربّه. كأني بمسجدكم كجؤجؤ سفينة قد بعث الله عليها العذاب من فوقها ومن تحتها! وغرق مَن**

(١) الأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري ص١٥١، ورغا الجمل: أصدر صوته المعروف. وأحلامكم دِقاق: عقولكم دنيئة. وماؤكم زعاق: ماؤكم مالح والمراد أنه أثّر في أخلاقكم وجعلكم متعنتين. وجؤجؤ السفينة: صدر السفينة الظاهر للأبصار من بعيد، والمراد أنه سيأتي على البصرة زمان تغرق فيه حتى لا يظهر فيها إلا ظهر مسجدها، وقد تحقّق هذا مرّتين كما أنبأ عليه السلام، مرّة في زمان القادر بالله ومرة في أيام القائم بأمر الله، كما نصّ عليه ابن أبي الحديد في شرح النهج ج١ ص٢٥١ ولم يبقَ من البصرة في المرّتيْن إلا مسجدها الجامع بارزاً بعضه كجؤجؤ الطير، وهذا من جملة إخباراته (عليه السلام) بالغيب الكاشفة عن اتصاله بالوحي الإلهي وأنه حجة الله تعالى على خلقه.

في ضمنها! وفي رواية: وأيمُ الله لتغرقنَّ بلدتكم حتى كأني أنظر إلى مسجدها كجؤجؤ سفينة أو نعامة جاثمة! وفي رواية: كجؤجؤ طير في لُـجَّةِ بحر! وفي رواية أخرى: بلادكم أنتنُ بلاد الله تُربةً! أقربها من الماء وأبعدها من السماء! وبها تسعة أعشار الشر! المحتبَس فيها بذنبه! والخارج بعفو الله. كأني أنظر إلى قريتكم هذه قد طبَّقها الماء حتى ما يُرى منها إلى شُرَف المسجد كأنه جؤجؤ طير في لُـجَّةِ بحر»![1]

وفي رواية علي بن إبراهيم القمي أنه (عليه السلام) قال: «يا أهل البصرة، ويا أهل المؤتفكة! ويا جُند المرأة وأتباع البهيمة! رغا فأجبتم! وعُقِر فهربتم! ماؤكم زُعاق! وأحلامكم رِقاق! وفيكم خُتِمَ النفاق! ولُعنتم على لسان سبعين نبيّاً! إن رسول الله صلى الله عليه وآله أخبرني أن جبرئيل أخبره أنه طُوي له الأرض فرأى البصرة أقرب الأرضين من الماء وأبعدها من السماء! وفيها تسعة أعشار الشر والداء العضال! المقيم فيها مذنب! والخارج منها متدارَك برحمة. وقد ائتفكت بأهلها مرّتين، وعلى الله تمام الثالثة، وتمام الثالثة في الرجعة».[2]

وفي رواية المفيد عن الحرث بن سريع قال: «لمّا ظهر أمير المؤمنين عليه السلام على أهل البصرة وقسّم ما حواه العسكر؛ قام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على رسول الله وقال: أيها الناس! إن الله عزّ وجل ذو رحمة واسعة ومغفرة دائمة لأهل طاعته، وقضى أن نقمته وعقابه على أهل معصيته. يا أهل البصرة! يا أهل المؤتفكة! ويا جند المرأة وأتباع البهيمة! رغا فرجفتم! وعُقِر فانهزمتم! أحلامكم دِقاق! وعهدكم شِقاق! دينكم نفاق! وأنتم فسقة مِراق! أرضكم قريبة من الماء بعيدة عن السماء! خفَّت عقولكم! وسفهت أحلامكم!

(١) نهج البلاغة: ١٣ ومن كلام له عليه السلام في ذم أهل البصرة

(٢) تفسير القمي ج٢ ص٣٣٩

شهرتم سيوفكم علينا! وسفكتم دماءكم! وخالفتم إمامكم! فأنتم أكلة الآكل! وفريسة الظافر! والنار لكم مدخر! والعار لكم مفخر! يا أهل البصرة! نكثتم بيعتي! وظاهرتم على ذوي عداوتي! فما ظنّكم يا أهل البصرة الآن؟ فقام إليه رجلٌ منهم فقال: نظنّ خيراً يا أمير المؤمنين ونرى أنك ظفرت وقدرت، فإن عاقبتَ فقد أجرمنا، وإن عفوتَ فالعفو أحبّ إلى رب العالمين. فقال عليه السلام: قد عفوتُ عنكم، فإياكم والفتنة! فإنكم أول من نكث البيعة وشقّ عصا الأمة، فارجعوا عن الحوبة، وأخلصوا في ما بينكم وبين الله بالتوبة».[١]

وفي رواية الحموي: «**إن عليا رضي الله عنه لمّا فرغ من وقعة الجمل؛ دخل البصرة فأتى مسجدها الجامع، فاجتمع إليه الناس، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال: أما بعد؛ فإن الله ذو رحمة واسعة فما ظنكم يا أهل البصرة؟ يا أهل السبخة! يا أهل المؤتفكة! ائتفكت بأهلها ثلاثاً وعلى الله الرابعة! يا جُند المرأة!** ثم ذكر الذي قبله ثم قال: **انصرفوا إلى منازلكم وأطيعوا الله وسلطانكم**».[٢]

إن هذا الكلام الحادّ ما كان ليأتي من إمام المتقين (صلوات الله عليه) لولا عِظَم الجرم الذي أقدم عليه أهل البصرة، فإن الذي وقع كان حرباً أهلية ضروساً أثكلت النساء وأيتمت العيال وراح ضحيّتها ما علمتَ من الآلاف المؤلفة، فلا بدّ من وقفة توبيخية على أقلّ تقدير تسجّل في التاريخ درساً وعظةً وعبرةً.

---

(١) الجمل للمفيد ص٢١٧

(٢) معجم البلدان للحموي ج١ ص٤٣٦، ومراده من قوله: «**ثم ذكر الذي قبله**» ما رواه قبله من نحو ما جاء في الروايات السابقة من قوله عليه السلام: «**يا جند المرأة وأتباع البهيمة.. إلى آخره**» غير أن فيه زيادة قوله عليه السلام: «**يا بقايا ثمود**».

غير أن من جملة ما يلفت الانتباه في كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) هو مخاطبته أهل البصرة بقوله: «**يا أهل المؤتفكة**» وهو ما رُوي من طريقنا وطريق أهل الخلاف على السواء، ولاستطلاع المغزى ينبغي أن نرجع إلى قوله تعالى: «**وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ**»[1] حيث ذكرت تفاسير أهل الخلاف أن المعنيّ بها قرية قوم لوط (عليه السلام) حيث ائتفكت بهم أي قُلبَت عليهم وخُسفت بهم، وكذلك ذكرتهم تلك التفاسير في المعنيّ بقوله تعالى: «**وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**».[2]

بيد أن الذي يتجلّى من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) أن البصرة كانت أرضاً مؤتفكة أيضاً إلى جانب قرية قوم لوط عليه السلام، وقد نصّ (عليه السلام) على أنها ائتفكت مرّتين وبقيت الثالثة في زمان الرجعة وهو قوله عليه السلام: «**وقد ائتفكت بأهلها مرّتين، وعلى الله تمام الثالثة، وتمام الثالثة في الرجعة**». هذا على روايتنا، أما على رواية المخالفين التي ذكرها الحموي فإنها ائتفكت بأهلها ثلاثاً وبقيت الرابعة، وذلك قوله: «**ائتفكت بأهلها ثلاثاً وعلى الله الرابعة**».

والبلدة المعنيّة في الآية الأولى هي البصرة، أما المعنيّة في الآية الأخرى فهي بلدة قوم لوط عليه السلام، وذلك بدلالة ما رواه الكليني عن أبي بصير أنه سأل الصادق (عليه السلام) في قول الله عز وجل: «**وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ؟ قال عليه السلام: هم أهل البصرة، هي المؤتفكة. قلتُ: وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ؟ قال عليه السلام: أولئك قوم لوط، ائتفكت عليهم، انقلبت عليهم**».[3]

---

(١) النجم: ٥٤

(٢) التوبة: ٧٠

(٣) الكافي للكليني ج٨ ص١٨٠

ويومئ قوله عليه السلام: «**هم أهل البصرة**» دون قوله: «**هي البصرة**» إلى أن الآية الكريمة تستبطن معنى الذمّ لأهل البصرة الذين خرجوا مع عائشة على أمير المؤمنين عليه السلام، وأن الله تعالى سيهوي بهم إلى النار، أي أن الآية لا تقتصر دلالتها على بيان وقوع الانقلاب والخسف في أرض البصرة، بل تبيّن أيضاً ما سيُقدم عليه أهلها من عصيان يوجب الهوي في النار.

وينضمّ إلى ذلك ما رُوي عن الإمامين الباقرين الصادقين (عليهما السلام) في تأويل قوله تعالى: «**وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالخاطِئَةِ**»[١] فقد روى البرقي بسنده عن حمران قال: «**سمعتُ أبا جعفر عليه السلام يقرأ: وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالخاطِئَةِ. قال: وَجَاءَ فِرْعَوْنُ؛ يعني الثالث. وَمَنْ قَبْلَهُ؛ الأوَّلَيْن. وَالْمُؤْتَفِكَاتُ؛ أهل البصرة. بِالخاطِئَةِ؛ الحميراء**»![٢]

وكذا روى البرقي بسنده عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: «**وَجَاءَ فِرْعَوْنُ؛ يعني الثالث. وَمَنْ قَبْلَهُ؛ الأوَّلَيْن. وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالخاطِئَةِ؛ يعني عائشة**»![٣]

فعلى هذا يكون أبو بكر وعمر وعثمان وعائشة من المذمومين في هذه الآية الكريمة، فعثمان فرعون ومَن قبله أي أبو بكر وعمر حملا الوصف نفسه فهم جميعاً فراعنة! أما الحميراء عائشة فهي الخاطئة المذنبة! وقد جاء أولئك الثلاثة وأهل البصرة بهذه الخاطئة. أما الثلاثة فلأنهم بانقلابهم على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتمرّدهم بعده على أهل بيته (عليهم السلام) فقد مهّدا الطريق لها لأن تحذو حذوهم في التمرّد والعصيان حتى وقع منها في يوم

---

(١) الحاقة: ١٠

(٢) تأويل الآيات الباهرة لشرف الدين النجفي ج٢ ص٧١٤

(٣) المصدر نفسه.

الجمل الدامي ما وقع، وأما المؤتفكات أي أهل البصرة فهم مَن عاضدها وحارب دونها وصار تبعاً لبهيمتها!

ولئن جرّت عائشة القوم خلف بهيمتها؛ فقد جرّها طلحة والزبير وابنه عبد الله ومروان قبل ذلك «**كما تُجرُّ الأَمَةُ عند شرائها**»! وذلك تعبير أمير المؤمنين (عليه السلام) في كلام له ذكر فيه أصحاب الجمل حيث قال: «**فخرجوا يجرّون حُرمة رسول الله صلى الله عليه وآله كما تُجرُّ الأَمَة عند شرائها! متوجّهين بها إلى البصرة، فحبسا نساءهما في بيوتهما وأبرزا حبيس رسول الله صلى الله عليه وآله لهما ولغيرهما! في جيش ما منهم رجلٌ إلا وقد أعطاني الطاعة وسمح لي بالبيعة طائعاً غير مُكرَه، فقَدِموا على عاملي بها وخُزّانِ بيت مال المسلمين وغيرهم من أهلها، فقتلوا طائفةً صبراً! وطائفةً غدراً! فوالله لو لمْ يصيبوا من المسلمين إلا رجلاً واحداً معتمدين لقتله بلا جُرمٍ جرّه لحلَّ لي قتل ذلك الجيش كلّه إذ حضروه فلم ينكروا ولم يدفعوا عنه بلسان ولا يد، دَعْ ما أنهم قد قتلوا من المسلمين مثل العدّة التي دخلوا بها عليهم**»![1]

ولا يفوت التأمل في قوله عليه السلام: «**وأبرزا حبيس رسول الله صلى الله عليه وآله لهما ولغيرهما**»! فعائشة كانت حتى تلك اللحظة محبوسة بأمر الشرع في بيتها وراء الحجاب حفظاً لرسول الله صلى الله عليه وآله، ولا يجوز لها الخروج من بيتها إلا لضرورة كالسفر إلى الحج أو العمرة، فأغوياها حتى أخرجاها من حجابها وأبرزاها «**لهما ولغيرهما**» فهتكا بذلك حجاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولم يحفظاه! وكان غرضهما من إبرازها كغرض المشركين في إبراز اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى! أن تغدو عائشة وجملها قبلةً يتوجّه إليها الناس وصنماً يقدّسونه فيُقادون بذلك إلى حرب ولي الله!

(١) نهج البلاغة: ١٧٢ ومن كلام له عليه السلام في ذكر أصحاب الجمل

غير أن سنة الله تعالى قضت بأن ينتصر الحق على الباطل ولو بعد حين، وقد عجَّل سبحانه النصر لأمير المؤمنين (عليه السلام) وشيعته على عائشة وطلحة والزبير وشيعتهم، فكان ذلك سروراً للمؤمنين ونقمة على الكافرين.

وهكذا ردّ الله سبحانه عائشةَ خاسرة مدحورة بعدما قتل طلحة والزبير شرّ قتلة! ففي الكتاب الذي أرسله أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام) إلى عمّاله في الآفاق لتبشيرهم بانتصاره وفتحه يوم الجمل قال عليه السلام: «**إن الله تعالى قتل طلحة والزبير على بغيهما وشِقاقهما ونكثهما، وهزم جمعهما، وردّ عائشة خاسرة**»![1]

أما في كتابه الذي كتبه إلى أهل الكوفة بيد كاتبه **ابن أبي رافع** وأرسله بيد **عمر بن سلمة الأرحبي** فقد قال عليه السلام: «**من عبد الله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلى قُرَضة بن كعب ومن قِبَلِه من المسلمين؛ سلامٌ عليكم. فإني أحمد الله الذي لا إله هو. أما بعد؛ فإنا لقينا القوم الناكثين لبيعتنا، المفرّقين لجماعتنا، الباغين علينا من أمتّنا، فحاججناهم إلى الله فنصرنا الله عليهم، وقتل طلحة والزبير، وقد تقدّمتُ إليهما بالنُّذُر، وأشهدتُ عليهما صُلحاء الأمة، ومكّنتهما في البيعة فما أطاعا المرشدين، ولا أجابا الناصحين. ولاذ أهل البغي بعائشة! فقُتِل حولها جمعٌ لا يُحصي عددهم إلا الله، ثم ضرب الله وجه بقيّتهم فأدبروا! فما كانت ناقة الحجر بأشأم منها على ذلك المصر مع ما جاءت به من الحوْب الكبير في معصيتها لربّها ونبيّها من الحرب! واغترار من اغترّ بها، وما صنعته من التفرقة بين المؤمنين وسفك دماء المسلمين، ولا بيّنة ولا معذرة ولا حجة لها! فلمّا هزمهم الله؛ أمرتُ أن لا يُقتل مدبر ولا يُجهَز على جريح، ولا يُهتك ستر، ولا يُدخل دارٌ إلا بإذن أهلها. وقد آمنتُ الناس، واستشهد منا رجال صالحون ضاعف الله لهم الحسنات ورفع درجاتهم، وأثابهم ثواب الصابرين، وجزاهم من**

---

(١) الفصول المختارة للمفيد ص١٤٢

أهل مصرٍ عن أهل بيت نبيهم أحسن ما يجزي العـاملين بطاعتـه، والـشاكرين لنعمتـه، فقـد سمعتم وأطعتم، ودُعيتم فأجبتم، فنعم الإخوان والأعوان على الحق أنـتم، والـسلام علـيكم ورحمة الله وبركاته. كتب عبيد الله بن أبي رافع في رجب سنة ست وثلاثين».[(١)]

إن هذا الكتاب يشتمل على معاني جديرة بالتأمل، ومن أهمها أن عائشة جـاءت **بحـوْبٍ كبير** أي إثم كبير، وأنها كانت عاصية لربّهـا ونبيّهـا صـلى الله عليـه وآلـه، وأنهـا فرّقـت بـين المؤمنين وسفكت دماء المسلمين، وقد اغترّ الناس بها. ثم إنها في هذا كلّه «**لا بيّنـة ولا معـذرة ولا حجة لها**» وإنما جاءت بما جاءت قاصدة للإثم والعدوان، عالمةً بعصيانها مُدركةً لإثمهـا، لا أنها مجتهدة وأخطأت! أو طالبة للإصلاح كما يزعم السفهاء والذين لا يعلمـون! الحـالمون بصورة مثالية خيالية عن مجتمع ما يسمى بالصحابة. وإذ إن دعوى خروج عائشة للإصـلاح هي الدعوى المتفشّية جهلاً اليوم بين أبناء الأمة؛ فقد ارتأينا أن نُفصّل في نقضها بما يأتي.

■ **يا لله وللإصلاح!**

كانت الحرب التي فجّرتها عائشة ضد أمير المؤمنين (عليه السلام) ولا تزال معضلة أمام الغارقين في وحل ما يسمى بعدالة الصحابة! ذلك لأنه بعد ثبـوت وقـوع هـذه الحـرب بـين الطرفين فلا مناص من القـول بأحـد أمـريْن: إمـا أن عائـشة كانـت عـلى حـق فيكـون عـلي – والعياذ بالله – على باطل ويكون ظالماً! وإما أن عليّاً كان على حق فتكون عائشة على باطـل وتكون ظالمة باغية! وعلى كِلا القولين ينتفي مـا يُـزعم مـن عدالـة الـصحابة وتـذوب تلـك الصورة البيضاء الخيالية المرسومة لأهل القرن الأول!

---

(١) الكافئة للمفيد ص٢٧

ولكي يخرج أهل الخلاف من هذا المأزق ابتدعوا قولاً سخيفاً مفاده أن عائشة لم تخرج لحرب أمير المؤمنين عليه السلام؛ بل اجتهدت وخرجت للإصلاح بين الناس ولطلب الثأر لعثمان بن عفان بالاقتصاص من قتلته! ثم إنها حين ظهر لها أن اجتهادها كان خاطئاً تابت وندمت وكانت تبكي على ما وقع من الحرب حتى تبلَّ خمارها!

قال ابن العربي: «**وأما خروجها إلى حرب الجمل فما خرجت لحرب، ولكن تعلّق الناس بها وشكوا إليها ما صاروا إليه من عظيم الفتنة وتهارج الناس، ورجوا بركتها في الإصلاح وطمعوا في الإستحياء منها إذا وقفت للخلق! وظنّت هي ذلك، فخرجتْ مقتديةً بالله في قوله: لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ، وبقوله: وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا، والأمر بالإصلاح مخاطَبٌ به جميع الناس من ذكر أو أنثى؛ حُرٍّ أو عبد، فلم يُرِد الله بسابق قضائه ونافذ حكمه أن يقع إصلاح! ولكن جرتْ مطاعنات وجراحات حتى كاد يفنى الفريقان! فعمد بعضهم إلى الجمل فعرقبه، فلمّا سقط الجمل لجنبه أدرك محمد بن أبي بكر عائشة فاحتملها إلى البصرة، وخرجت في ثلاثين امرأة قرنهنّ عليٌّ بها، حتى أوصلوها إلى المدينة، برّةً تقيّةً مجتهدةً مصيبةً ثابتةً في ما تأوّلت مأجورةً في ما تأولت وفعلت! إذ كل مجتهد في الأحكام مصيب**»![1]

وقال ابن تيمية: «**إن عائشة لم تقاتل ولم تخرج لقتال؛ وإنما خرجت لقصد الإصلاح بين المسلمين، وظنّت أن في خروجها مصلحة للمسلمين، ثم تبيّن لها في ما بعد أن ترك الخروج كان أولى، فكانت إذا ذكرت خروجها تبكي حتى تبلَّ خمارها! (...) وبهذا يُجاب عن خروج عائشة رضي الله عنها، وإذا كان المجتهد مخطئاً فالخطأ مغفور بالكتاب والسنة**»![2]

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي ج٦ ص٣٥٣

(٢) منهاج السنة لابن تيمية ج٤ ص١٤٧ وص١٤٩

حسناً.. كيف وقعت تلك الحرب الدموية إذن بين علي (عليه السلام) من جانب وعائشة وطلحة والزبير من جانب آخر؟ يجيب ابن تيمية نيابةً عن أهل الخلاف: «**لم يكن يوم الجمل لهؤلاء قصدٌ في الاقتتال، ولكن وقع الاقتتال بغير اختيارهم! فإنه لمّا تراسل علي وطلحة والزبير وقصدوا الاتفاق على المصلحة وأنهم إذا تمكنوا طلبوا قتلة عثمان أهلَ الفتنة وكان علي غير راضٍ بقتل عثمان ولا معيناً عليه كما كان يحلف فيقول: والله ما قتلتُ عثمان ولا مالأتُ على قتله! وهو الصادق البار في يمينه، فخشيَ القتلةُ أن يتّفق علي معهم على إمساك القتلة، فحملوا على عسكر طلحة والزبير، فظنّ طلحة والزبير أن عليّاً حمل عليهم! فحملوا دفعاً عن أنفسهم! فظن علي أنهم حملوا عليه فحمل دفعاً عن نفسه! فوقعت الفتنة بغير اختيارهم! وعائشة رضي الله عنها راكبة لا قاتلت ولا أمرت بالقتال! هكذا ذكره غير واحد من أهل المعرفة بالأخبار**»![1]

هكذا يستحمق ابن العربي وابن تيمية وأضرابهما الناسَ! فيرمون بتبعة ما جرى على «**قتلة عثمان أهل الفتنة**»! فيما يبرئون ساحة طلحة والزبير ويصوّرون عائشة بصورة الحمل الوديع الذي جاء للإصلاح فحسب! أما المتهمون فهم هؤلاء الدخلاء من أهل الفتنة الذين أوقعوا الناس بعضهم ببعض مع مَن فيهم من «كبار الصحابة» على حدّ زعمهم!

وإنّا ههنا نورد على هذا القول السخيف نواقض وإيرادات على سبيل الإيجاز، إذ إن كل منصف عاقل وقف على أخبار التاريخ وما تقدّم آنفاً منها يدرك أن هذا القول ليس سوى تخرّص سمج جاء للتعمية على حقيقة النزاع الدموي الذي وقع بين الطرفين.

• **الإيراد الأول**؛ إن قول المخالفين هذا ينقض أوله آخرَه! فإن عائشة لو كانت لم تخرج لحرب بل اجتهدت في خروجها للإصلاح؛ فما بالها تتوب بعد ذلك وتندم وتبكي! أَيتوب

(١) المصدر نفسه ص١٤٨

المرء من إرادته الإصلاح؟! أم يندم ويبكي على أنه اجتهد ونال أجر المجتهدين؟! فإن قيل: إنما كان بكاؤها وندمها بسبب الدماء التي سُفِكت؛ قلنا: فهذا كاشف عن كونها ترى لنفسها ضلوعاً في هذه المجزرة وإلا فلا محلّ للبكاء والندم! ثم إنّا لم نعلم كيف يسوغ الاجتهاد في زجّ الأمة إلى الفتنة والقتال؟! كما لم نعلم هل أنها في اجتهادها المزعوم هذا كانت «مخطئة مغفور لها» كما قال ابن تيمية؛ أم «مصيبة برّة تقية مأجورة» كما قال ابن العربي؟! وإذا كان اجتهادها صائباً مع ما خلّفه من قتلى هم بالآلاف؛ فأيُّ اجتهاد يكون خاطئاً بالله عليكم؟!

• **الإيراد الثاني**؛ لو أن عائشة أرادت الإصلاح كما زُعم؛ فما بالها توجّهت من مكة إلى البصرة دون المدينة؟! أليس الخليفة الذي نقموا عليه عدم القصاص من قتلة عثمان موجود في المدينة؟ ألا كان عليها إن رامت الإصلاح حقاً أن تتوجّه إليه وتحاوره في ذلك وتكون وسيطاً بينه وبين الذين طلبوا الثأر لعثمان؟! ثم أَ أهل البصرة قتلوا عثمان أم مَن كان لا يزال في المدينة ومنهم أخوها محمد بن أبي بكر وعمرو بن الحمق الخزاعي وعبد الرحمن بن عديس البلوي وكنانة بن بشر بن عتاب وسودان بن حمران ورومان اليمامي وعمير بن ضابئ وغيرهم.. فكل هؤلاء كانوا في المدينة وقد باشروا قتل عثمان، أما من مهّد وأجلب وسبّب فكان عامة المسلمين هنالك، فإذا كان هؤلاء مطلوب عائشة وحزبها فلماذا لم يتوجّهوا إليهم في المدينة وما الذي أمال وجهتهم إلى البصرة إلا أن يكون الدراهم التي في بيت مالها كما صرّح ابن العوّام؟![1]

وألم يكن من الأحرى بعائشة إنْ كانت تريد الإصلاح أن ترسل إلى الخليفة علي (عليه السلام) ولو رسالة واحدة تعرض فيها مطالبها ومطالب حزبها من قتل قتلة عثمان عسى أن

---

(١) راجع ص٥٥٩ من هذا الكتاب.

يستجيب لها؟! فما الذي دعاها إلى أن تهيج وتثور إلى البصرة إلا أن تكون الرغبة في الاستيلاء عليها وتشكيل حكومة معارضة لحكومة الخليفة الشرعي في المدينة؟!

ومتى كانت الأمور فوضى في الإسلام ليحق لجماعة أن تشكل جيشاً بدعوى القصاص قبل الاحتكام إلى الحاكم الشرعي وهو الموكّل بإقامة الحدود؟! أَ فلا أصلحت عائشة بدعوة من التجأ إليها بالاحتكام إلى علي (عليه السلام) وهو الخليفة والحاكم الذي ينبغي الرجوع إليه في مثل هذه الموارد؟! فإنها لو فعلت ذلك وامتنعت عن السير مع هؤلاء الأراذل والسفهاء إلى البصرة لما وقع قتال ولا تناجز!

• **الإيراد الثالث**: كيف يُزعم أن عائشة إنما خرجت للإصلاح لا لقتال أمير المؤمنين (عليه السلام) وقد كان بيتها في مكة مركز التخطيط الحربي لذلك وكان المجتمعون فيه يعلنون هدفهم بصراحة فيقولون: «**نسير إلى علي فنقاتله**» وذلك على مرأى منها ومسمع؟! روى الطبري بسنده عن الزهري قال: «**ثم ظهرا - يعني طلحة والزبير - إلى مكة بعد قتل عثمان رضي الله عنه بأربعة أشهر، وابن عامر يجرّ الدنيا، وقَدِمَ يعلى بن أمية معه بمال كثير وزيادة على أربعمئة بعير، فاجتمعوا في بيت عائشة رضي الله عنها، فأرادوا الرأي، فقالوا: نسير إلى علي فنقاتله! فقال بعضهم: ليس لكم طاقة بأهل المدينة ولكنّا نسير حتى ندخل البصرة والكوفة، ولطلحة بالكوفة شيعة وهوى، وللزبير بالبصرة هوى ومعونة، فاجتمع رأيهم على أن يسيروا إلى البصرة وإلى الكوفة**»![1] فهل يسع عائشة الاعتذار بأنها لم تكن تعلم بنوايا طلحة والزبير وابن عامر ويعلى بن أمية في شنّ الحرب على وصي رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهم يجتمعون في بيتها؟!

(١) تاريخ الطبري ج٣ ص٤٧١

● **الإيراد الرابع**؛ هب أنها كانت مختلة العقل في بدو مسيرها معهم أو متسرّعة فلم تـدرك العواقب؛ غير أنها بعدما وصلت إلى البصرة قـد رأتْ بـأم عينيهـا كيـف تعـسكر النـاس إلى معسكريْن وأوشكوا على القتال، فلماذا لم تخرج وتقدم على أمير المؤمنين (عليه السلام) لتضع يدها في يده لإخماد الفتنة؟! ولمـاذا لم تـصرخ بالنـاس مـثلاً: «أيهـا النـاس إنـما جئـت لطلـب الإصلاح لا لإيقاع الحرب والقتال والفتنة بينكم»؟!

وهب أنها حين وقعت مجزرة الجمل الأصغر لم يكن لها فيها يد؛ غير أنها رأت بـأم عينيهـا هول ما وقع وفداحة ما ارتُكب من سفك دماء الناس بعضهم لبعض، فلـماذا تابعـت أمرهـا إلى يوم الجمل الأكبر؟! أين ندمها وتوبتها وبكاؤها بعد يوم الجمل الأصـغر؟! وألا أدركـت أن ما وقع فيه لم يكن إلا توطئة لما سيقع لاحقاً مما هو أفـدح وأعظـم؟! وحيـنما وصـل أمـير المؤمنين (عليـه الـسلام) إلى البـصرة أفـلا تـداركت وأصـلحت مـا أفـسدته بـالرجوع إليـه والوقوف إلى جواره ليرى الناس «أم المؤمنين مع أمير المؤمنين» يداً واحـدة تعـصم الـدماء؟! فإن الإصلاح إنما يكون هكذا لا بمقاطعتها للإمام (عليه السلام) وعدم رجوعهـا أو لقائهـا به! بل إنها كما علمتَ ردّت على رسائل النصح التي وجّههـا إليهـا بـأعنف الكـلام وأخـشنه قائلة: «**ما بيننا وبينك إلا السيف**»![1] فهل هكذا يكون الإصلاح؟!

● **الإيراد الخامس**؛ كيف تجتمع رغبتها في الإصلاح مع رسـائلها وكتبهـا وتحرّكاتهـا مـع هذا وذاك كقائدة جيش تأمر وتنهى، وتستنصر الرجال، وتستنفر للقتال، وتدعو إلى خـذلان علي عليه السلام؟!

فهذا كتابها الذي رواه الطبري إلى أحد أصحاب رسول الله (صلى الله عليـه وآلـه) وهـو **زيد بن صوحان العبدي** تقول فيه: «**من عائشة ابنة أبي بكر أم المؤمنين، حبيبة رسول الله صـلى**

---

(١) راجع ص٥٩٠ من هذا الكتاب.

الله عليه وسلم! إلى ابنها الخالص زيد بن صوحان. أما بعد؛ فإذا اتاك كتابي هذا فأقْدِمْ فانصُرْنا على أمرنا هذا، فإن لم تفعل فخذِّل الناس عن علي! فكتب إليها: من زيد بن صوحان إلى عائشة ابنة أبي بكر الصديق رضي الله عنه حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم! أما بعد؛ فأنا ابنك الخالص إن اعتزلتِ هذا الأمر ورجعتِ إلى بيتك، وإلا فأنا أول مَن نابذكِ! قال زيد ابن صوحان: رحم الله أم المؤمنين! أُمِرَتْ أن تلزم بيتها وأُمِرْنا أن نقاتل، فتركت ما أمرتْ به وأمرتنا به! وصنعتْ ما أُمِرْنا به ونهتنا عنه»![1]

وهذا إغواؤها **لكعب بن سور** حتى حملته وقومه الأزد على القتال معها، فقد روى ابن سعد: «**إن كعب بن سور لمّا قَدِمَ طلحة والزبير وعائشة البصرة؛ دخل في بيت وطيَّنَ عليه وجعل فيه كوّة يُناوَل منها طعامه وشرابه اعتزالاً للفتنة. فقيل لعائشة: إن كعب بن سور إنْ خرج معكِ لم يتخلّف من الأزد أحدٌ! فركبت إليه فنادته فلم يجبها، فقالت: يا كعب! ألستُ أمك ولي عليك حق؟! فكلّمها فقالت: إنما أريدُ أن أصلح بين الناس! فذلك حين خرج وأخذ المصحف فنشره ومشى بين الصفين يدعوهم إلى ما فيه فجاءه سهم غرب فقتله**»![2]

فهل كان يضرّها أن يبقى الرجل في بيته لا له ولا عليه بدلاً من أن تغويه بكلامها المعسول وادعائها الزائف أنها تريد الإصلاح والحال أنها غرّرت به حتى قتلته؟!

وهذا أحد أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو **أبو بكرة** كاد أن يقاتل مع طلحة والزبير ظنّاً منه أنهما على حق لولا أنه رأى أن عائشة هي الآمرة الناهية فتراجع مستذكراً حديث النبي صلى الله عليه وآله! فقد روى الشعبي بسنده عن أبي بكرة قال: «**لمّا قَدِمَ طلحة والزبير البصرة؛ تقلّدتُ سيفي وأنا أريد نصرهما، فدخلتُ على عائشة وإذا هي**

(١) تاريخ الطبري ج٣ ص٤٩٢

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ج٧ ص٩٢

تأمر وتنهى! وإذا الأمر أمرها! فذكرتُ حديثاً كنتُ سمعته عن رسول الله صلى الله عليه وآله: لن يُفلح قومٌ تدبِّرُ أمرهم امرأة! فانصرفتُ واعتزلتهم. وقد رُوي هذا الخبر على صورة أخرى: **إن قوماً يخرجون بعدي في فئة، رأسها امرأة، لا يفلحون أبداً»!**(١)

وقد روى البخاري وغيره ما يقرب من هذا عن أبي بكرة قال: «**لقد نفعني الله بكلمة سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام الجمل بعدما كدتُ أن ألحق بأصحاب الجمل فأقاتلَ معهم. قال: لّما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل فارس قد مَلَّكوا عليهم بنت كسرى قال: لن يُفلح قومٌ ولَّوْا أمرهم امرأة»!**(٢)

وروى الترمذي عن أبي بكرة قال: «**عصمني الله بشيءٍ سمعتُه من رسول الله صلى الله عليه وسلم. لّما هلك كسرى قال: من استخلفوا؟ قالوا: ابنته. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لن يفلح قومٌ وَلَّوْا أمرهم امرأة! قال: فلمّا قَدِمَتْ عائشة - يعني البصرة - ذكرتُ قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فعصمني الله به**».(٣)

إن هذه الأحاديث تثبت أن عائشة كانت رأس هذه الحركة، فهي الآمرة الناهية، والحكم حكمها، والقوم قد ولَّوْها أمرهم وجعلوها ملكةً أو أميرة عليهم كابنة كسرى، وقد كان أبو بكرة يظن في بادئ الأمر أن قيادة هذه الحركة بيد طلحة والزبير ولذا تقلّد سيفه مستعدّاً لنصرتهما، غير أنه لّما وجد أن القوم إنما تقودهم عائشة رجع بعدما تذكّر حديث النبي صلى الله عليه وآله، فعُصِمَ بذلك.

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج٦ ص٢٢٧

(٢) صحيح البخاري ج٨ ص٩٧

(٣) سنن الترمذي ج٣ ص٣٦٠ وقال: هذا حديث صحيح.

فعائشة إذن لم تكن مجرّد وسيط يهدف إلى الإصلاح بين المتنازعين كما يقول هؤلاء المستبلهون! بل كانت قائدة جيش ورأس حركة يتلقّى أفرادها الأوامر منها، ولا أدلّ على ذلك مما تقدّم من رجوعهم إليها في كل شاردة وواردة يستفتونها فتقول لهم: «**اقتلوهم**»! ومن دورها أثناء الحرب حيث كانت تصبّر الرجال وتحضّهم على مواصلة القتال وتثير فيهم النخوة والعزيمة! فبعد هذا يُقال أنها كانت مجرد وسيط مصلح؟!

وليت شعري كيف يمكن تصديق كونها قد خرجت للإصلاح وسلوكها منذ خروجها يدلّ على أنها إنما خرجت للحرب والقتال؟! ولذا تعامل معها أمير المؤمنين (عليه السلام) وشيعته على أنها عدو قد أعلن الحرب، فهم يحاربونه.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في خطبته التي خطبها حين بلغه أن عائشة ومَن معها ساروا إلى البصرة: «**أيها الناس؛ إن عائشة سارت إلى البصرة، ومعها طلحة والزبير، وكلٌّ منهما يرى الأمر له دون صاحبه! أما طلحة فابن عمّها! وأما الزبير فختنها! والله لو ظفروا بما أرادوا - ولن ينالوا ذلك أبدا - ليضربنَّ أحدهما عنق صاحبه بعد تنازع منهما شديد!**[1] **والله إن راكبة الجمل الأحمر ما تقطع عقبة ولا عقدة إلا في معصية الله وسخطه حتى تورد نفسها ومَن معها موارد الهلكة! إي والله ليُقتلنَّ ثلثهم وليهربنّ ثلثلهم وليتوبنّ ثلثهم، وإنها التي تنبحها كلاب الحوأب! وإنهما ليعلمان أنهما مخطئان! ورُبَّ عالمٍ قتله جهله ومعه علمه لا ينفعه! وحسبنا الله ونعم الوكيل! فقد قامت الفتنة وفيها الفئة الباغية. أين المحتسبون؟! أين المؤمنون؟! مالي ولقريش؟! أما والله لقد قتلتهم كافرين، ولأقتلنّهم مفتونين! وما لنا إلى**

(١) قد مرّ في ص٥٥٩ من هذا الكتاب وسيأتي أيضاً أنهما تنازعا على إمامة الناس في الصلاة حتى كادت الشمس أن تطلع ففصلت بينهما عائشة! فلو ظفرا لكان تنازعهما على الخلافة أشدّ وأشد حتى يضرب أحدهما عنق صاحبه كما أنبأ أمير المؤمنين روحي فداه.

عائشة من ذنبٍ إلاّ أنّا أدخلناها في حيّزنا! والله لأبقرنّ الباطل حتى يظهر الحقّ من خاصرته، فقل لقريش فلتضجّ ضجيجها»![1]

يلاحَظ أن الإمام (صلوات الله عليه) في خطبته هذه بدأ بذكر مسير عائشة قائلاً: «**إن عائشة سارت إلى البصرة، ومعها طلحة والزبير**» أي أنها هي الرأس المدبِّر وما طلحة والزبير والقوم إلا أتباع لها! ثم إنه قال: «**والله إن راكبة الجمل الأحمر ما تقطع عقبة ولا عقدة إلا في معصية الله وسخطه حتى تورد نفسها ومَن معها موارد الهلكة**»! أي أن عائشة لم تكن في خروجها تنشد الإصلاح بل تقصد العصيان لله عزّ وجل في كل المواقف والمنازل! وهي القائدة التي ستسوق هؤلاء المغفّلين إلى موارد الهلكة!

ثم إن قوله عليه السلام: «**مالي ولقريش؟! أما والله لقد قتلتهم كافرين، ولأقتلنّهم مفتونين! وما لنا إلى عائشة من ذنبٍ إلاّ أنّا أدخلناها في حيّزنا**»! يشير إلى حقيقتين مهمّتيْن: **الأولى**؛ أن قريشاً افتتنت بعائشة فلذا وجب قتالهم كما قوتلوا زمان كفرهم. **والثانية**؛ أن مردّ حقد عائشة على النبي وآله (عليهم السلام) هو أنهم «قد أدخلوها في حيّزهم» أي أنهم أوجبوا عليها كما أوجبوا على نسائهم البقاء في حيّز الدار لا تبرحه مصداقاً لقوله تعالى: «**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ**» إلا أن عائشة امرأة «متحرّرة» تريد أن تخرج وتسرح كيف تشاء! وقد كانت كذلك في زمان أبي بكر وعمر وعثمان، فلا قيد عليها، أما حيث جاء عهد علي بن أبي طالب (عليهما السلام) فقد اسودّت الدنيا في وجهها! إذ علمتْ أنها لن تُترك بعد الآن تسرح وتمرح خارج فناء دارها، وأن عليّاً (عليه السلام) سيعيد لجمها وسيُقِرُّها في بيتها كما كان عليه وضعها أيام رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا ما لم تكن تطيقه!

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج١ ص٢٣٣ عن أبي مخنف الكوفي، ونحوه في المعيار والموازنة لأبي جعفر الإسكافي ص٥٣ وتاريخ أبي الفداء ج١ ص٧٨

وفي خطبة الإمام (عليه السلام) إشارة واضحة إلى محورية عائشة في هذه الحركة التمرّدية، فإنه قال: «**وكلٌّ منهما يرى الأمر له دون صاحبه! أما طلحة فابن عمّها! وأما الزبير فختنها**»! أي أن كل واحد من هذيْن إنما يعوّل على أن ينال الحكم بقرابته منها، فهي المحور والأساس، وبيدها أن تعيّن هذا خليفةً أو ذاك!

ولا أدلّ على ذلك من أنها كانت هي الفصل والحكم بينهما حين تنازعا على إمامة الناس في الصلاة يوم الجمل الأصغر، فقد روى الطبري عن أبي المليح قال: «**لمّا قُتِلَ حُكيم بن جبلة أرادوا أن يقتلوا عثمان بن حُنيف، فقال: ما شئتم، أما إن سهل بن حُنيف والٍ على المدينة وإن قتلتموني انتصر، فخلّوا سبيله، واختلفوا في الصلاة، فأمرت عائشة رضي الله عنها عبد الله ابن الزبير فصلّى بالناس**»![1]

وروى الواقدي: «**وحضرت الصلاة فتدافع طلحة والزبير حتى كادت الصلاة تفوت! ثم اصطلحا على أن يصلي عبد الله بن الزبير صلاة ومحمد بن طلحة صلاة**»![2] وتقدّم أن هذا كان بأمر عائشة على ما رواه اليعقوبي: «**فلما حضر وقت الصلاة تنازع طلحة والزبير وجذب كل واحد منهما صاحبه حتى فات وقت الصلاة! وصاح الناس: الصلاة الصلاة يا أصحاب محمد! فقالت عائشة: يصلّي محمد بن طلحة يوماً وعبد الله بن الزبير يوماً**»![3] وقد روى أبو الفرج الأصفهاني عن أبي مخنف الكوفي قال: «**ولمّا صاروا إلى البصرة تنازع طلحة والزبير في الصلاة! فاتّفقا على أن يصلي ابنُ هذا يوماً وابنُ هذا يوماً! وقال شاعرهم في ذلك:**

---

(١) تاريخ الطبري ج٣ ص٤٩٠

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ج٥ ص٥٤ عن الواقدي.

(٣) تاريخ اليعقوبي ج١ ص١٧٩

تبــــارى الغُلامــــان إذْ صَــــلَّيا وشَـــحَّ عـــلى المُلــك شــيخاهما!
ومـــا لي وطلحـــةَ وابـــنَ الـــزُّبير وهـــذا بـــذي الجَـــزْعِ مَوْلاهمـــا؟!
فـــــأمُّهما اليــــومَ غَـــــرَّتْهُما ويَعـــلى بـــنُ منيَّـــةَ دَلاّهُمـــا»![1]

إذن فالقول كان قول عائشة والحكم حكمها والفصل فصلها، وهي التي غـرَّتْ طلحـة والزبير وغيرهما من أبنائها كما قال الشاعر: «**فأمُّهما اليومَ غَرَّتْهُما**»! فهي القائدة والزعيمة التي لا يتوانى الناس عن إطاعتها والامتثال إلى أوامرها، وقد قال أمير المؤمنين عليه الـسلام: «**إني مُنيتُ بأربعةٍ ما مُنِيَ أحدٌ بمثلهنّ: بأطوع الناس في النـاس؛ عائـشة بنـت أبي بكـر! وبأشـجع الناس؛ الزبير بن العوّام! وبأخصم الناس؛ طلحة بن عبيد الله! وبأكثر الناس مالاً؛ يعـلى ابـن منية التميمي! أعان عليَّ بأصواع الدنانير**»![2]

(١) الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ج١٢ ص٣٩٠، وتدافع طلحة والزبير وتشّاحهما على الصلاة كاشف عـن أن الملك كان غايتهما لا الطلب بثأر عثمان ولا الإصلاح بين الناس كما يحلم الحالمون! وأما **يعلى بـن أميـة** فهـو اللعين الذي موّل هذه الحرب بستين ألف دينار من بيت مال اليمن الذي نهب ما فيه حينما كان عـاملاً لعـثمان ابن عفان! فلمّا بلغه نبأ تولّي علي (عليه السلام) الخلافة خاف من عقابـه فانـضمّ إلى عائـشة وطلحـة والـزبير وأغدق عليهم بهذه الأموال أملاً في إسقاط علي (عليه السلام) وإزاحته عن الخلافة فلا ينالـه عقـاب! راجـع الفتوح لابن أعثم ج٢ ص٤٥٣

هذا وأبو مخنف **لوط بن يحيى الكوفي** لم يكن شيعياً كما يزعم بعض الكَذَبة من أهـل الخـلاف ابتغـاء ردّ بعـض رواياته التاريخية التي فيها فضيحة أسلافهم رغم اعتماد جلّة علمائهم عليه في التاريخ! بل كان كـما يقـول ابـن أبي الحديد في شرح النهج ج١ ص١٤٧: «**من المحدّثين وممن يرى صحة الإمامة بالاختيار، وليس مـن الـشيعة ولا معدودا من رجالها**».

(٢) المسترشد للطـبري الإمـامي ص٤١٩ ونحـوه في الاسـتيعاب لابـن عبـد الـبر ج٢ ص٤٩٩ والأنـساب للسمعاني ج١ ص١٣٩

وحينما طولب (عليه السلام) بسبي نساء الجمل ردّهم بقوله: «**فهاتوا سهامكم وأقرِعوا على عائشة فهي رأس الأمر وقائدهم**»![1]

إن حقيقة أن عائشة كانت هي رأس هذه الحرب وقائدة الجيش لا يمكن لأحدٍ إنكارها لأنها من قبيل إنكار المحسوس، فإن المحاربين معها ما كانوا في الحرب يرتجزون إلا بذكرها كقائدة لهم وأنهم لها تبع وأنصار، وقد مرّ بعض تلك الأراجيز، ومنها أيضاً قولهم:

نحنُ صِحابُ الجملِ المُكَرَّمْ! ومانعو هَوْدَجِهِ المُعظَّمْ!

وناصرو زوْجِ النبيِّ الأكرمْ ذلك دينُ الله فينا الأَقدَمْ![2]

وقولهم:

يا أُمِّ يا أُمِّ خلا منّي الوطنْ لا أبتغي القبرَ ولا أبغي الكفنْ!

من ههنا محشرُ عوف بن قَطَنْ إنْ فاتَنا اليومَ عليٌّ فالغَبَنْ!

أو فاتَنا ابناهُ حُسينٌ وحسنْ إذن أَمُتْ بطولِ همٍّ وحَزَنْ![3]

وقولهم:

يا أُمَّنا يا عيشُ لن تراعي كلُّ بَنيكِ بطلٌ شجاعِ!

ليس بوهّامٍ ولا براعي![4]

---

(١) كنز العمال للمتقي الهندي ج١١ ص٣٣٥

(٢) الجمل للمفيد ص١٨٨

(٣) شرح النهج لابن أبي الحديد ج١ ص٢٥٦، **وعوف بن قطن** (لعنه الله) هو المنادي في تلك الحرب: «**ليس لعثمان ثارٌ إلا علي بن أبي طالب ووُلدُه**»! وقد قُتل وانتقل إلى جهنم وبئس المصير «**بطول همٍّ وحَزَن**»!

(٤) تاريخ الطبري ج٣ ص٥٣٣

وكذا المحاربون مع علي (عليه السلام) ما كانوا يـروْن عائشة في تلك الحرب إلا أكبر أعدائهم ورأس الباغين عليهم، ولذا كان من أشعارهم وأراجيزهم في الحرب قولهم لها:

عائشُ إنْ جئتِ لتهزمينا وتَنشُري البَرَّ لتغلبينا

وتقذفي بالحصباتِ فينا تُصادفي ضرباً وتُنكرينا!

بالمَشْرَفِيَّاتِ إذا غُزينا نسفكُ من دمائكمْ ما شينا![1]

وقولهم لأصحاب الجمل:

دليلُكمْ عِجلُ بني أميّة! وأُمُّكمْ خاسرةٌ شقيّة!

هاويَةٌ في فتنةٍ عميّة![2]

وقد تقدّم قول أمير المؤمنين (عليه السلام) حين مشى لعقر جملها:

أنتِ التي غَرِّكِ منيّ الحُسنى يا عَيْشُ إن القوم قومٌ أعدا

الخفضُ خيرٌ من قتالِ الأبْنا!

وقبل ذلك كله؛ لدينا رسالة أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) التي حمّلها ابن عباس لعائشة قبيل نشوب الحرب، وفيها قوله لها: «**إن هذه الأمور لا تصلحها النساء، وإنك لم تؤمري بذلك، فلم ترضيْ بالخروج عن أمر الله في تبرّجكِ وخروجكِ من بيتكِ الذي أمركِ**

---

(١) المصدر نفسه ص١٨٦، و«**تنشري البَرَّ**» إشارة إلى فعلتها التي سبق ذكرها في الفصل السابق حيث أخذت كفّاً من بَرٍّ وحصى وحصبت به وجوه أصحاب علي (عليه السلام) قائلةً: «**شاهت الوجوه**»! فكان من ردّهم عليها أن قالوا: «**وما رميتِ إذ رميتِ ولكن الشيطان رمى**»! و«**المَشرفيّات**» هي سيوف خاصة منسوبة إلى مشارف الشام، يُضرب بها المثل في حدّتها. و«**ما شينا**» أي ما شئنا، إلا أنها مخفّفة.

(٢) المصدر نفسه ص١٨٤

النبي صلى الله عليه وآله بالْمُقام فيه حتى سرتِ إلى البصرة فقتلتِ المسلمين! وعمدتِ إلى عمّالي فأخرجتهم! وفتحتِ بيت المال! وأمرتِ بالتنكيل بالمسلمين! وأبحتِ دماء الصالحين! فارعيْ وراقبي الله عز وجل، فقد تعلمين أنك كنتِ أشد الناس على عثمان، فما عدا مما بدا»؟![1]

إنّا نلاحظ في رسالته (صلوات الله عليه) نسبته كل تلك الجرائم إلى عائشة مباشرة، فهي التي قتلت المسلمين وأخرجت العمّال وانتهبت بيت المال وأمرت بالتنكيل وأباحت دماء الصالحين.. ولذا يخاطبها (عليه السلام) بقوله: «**فقتلتِ.. وعمدتِ.. وفتحتِ.. وأمرتِ بالتنكيل.. وأبحتِ**»! أي أن عائشة هي الرأس المدبّر، هي قائدة هذه الحملة الإرهابية المرعبة، هي المجرم الأول!

ولم يكن من جوابها على رسالته (صلوات الله عليه) إنكار أو تبرئة للنفس، ولم تقل مثلاً: «لم أفعل هذه الجرائم، إنما أردت الإصلاح»، بل أقرّت وتحدّت وجعلت نفسها نـدّاً لأمير المؤمنين (عليه السلام) وتوعّدت بأن ملكه سيزول لأن ما بيدها من البلاد أكثر! ولمّا ناشدها ابن عباس اللهَ في دماء المسلمين؛ استهانت وحمّلت جريرة ذلك عليّاً عليه السلام!

قال ابن عباس: «**فلمّا جئتها وأدّيتُ الرسالة إليها وقرأتُ كتاب علي عليه السلام عليها؛ قالت: يابن عباس! ابن عمّك يرى أنه قد تملّك البلاد؟! لا والله ما بيده منها شيء إلا وبيدنا أكثر منه! (...) قلتُ: الله الله في دماء المسلمين! قالت: وأيُّ دمٍ يكون للمسلمين إلا أن يكون علي يقتل نفسه ومن معه**»![2]

والحاصل أن مجموع هذه الآثار يورّث القطع بأن عائشة لم تكن مجرّد وسيط مصلح كما يزعمون، بل كانت أميرة الجيش وقائدة العسكر!

---

(١) الجمل للمفيد ص١٦٨

(٢) المصدر نفسه.

● **الإيراد السادس:** قد صحّ أن النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) حذّر عائشة من خروجها وعصيانها هذا، وقد تحقّقت العلامة التي ضمّنها تحذيره وهي نباح كلاب الحوأب،[١] وهذا موجب للعلم بأن هذا الخروج كان معصيةً لله تعالى، فهل يكون اجتهاد أو إصلاح في معصية بيّنة؟!

أخرج البزّار عن ابن عباس قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لنسائه: ليتَ شعري أيّتكنَّ صاحبة الجمل الأدبب تخرج فتنبحها كلاب الحوأب! يُقتل عن يمينها وعن يسارها قتلى كثير ثم تنجو بعدما كادت**»![٢]

وأخرج الحاكم عن أم سلمة (سلام الله عليها) قالت: «**ذكر النبي صلى الله عليه وسلم خروج بعض أمهات المؤمنين، فضحكت عائشة! فقال: انظري يا حميراء أن لا تكوني أنتِ**»![٣]

---

(١) الحوأب: موضع مياه لبني عامر في طريق البصرة وفيه بئر يُنسب إلى الحوأب بنت كلب بن مرة. قال أبو منصور كما في معجم البلدان للحموي ج٢ ص٣١٤: «**الحوأب موضع بئر نبحت كلابه عائشة عند مقبلها إلى البصرة**». علماً أن حديث الحوأب الذي سيأتي عن النبي (صلى الله عليه وآله) هو من أصح الأحاديث كما نصّ على ذلك الألباني، ويعدّ من جملة ما يحتج به أهل الإسلام على أهل الكفر في إثبات نبوة النبي (صلى الله عليه وآله) حيث أخبر بالغيبيات التي تحقّقت بتفاصيلها.

(٢) مجمع الزوائد للهيثمي ج٧ ص٢٣٤ وفتح الباري لابن حجر ج١٣ ص٤٥ عن البزار، وذكر أن رجاله ثقات. وفي لفظ رواية أبي مخنف كما في شرح النهج ج٩ ص٣١١: «**يُقتل عن يمينها وشِمالها قتلى كثيرة كلهم في النار! وتنجو بعدما كادت**»!

(٣) مستدرك الحاكم ج٣ ص١٢٩، وضحكها يُظهر استهتارها! وقد مرّ في الفصل الثاني أن أم سلمة (سلام الله عليها) واجهت عائشة حين رامت الخروج وذكّرتها بحديث كلاب الحوأب وضحكها عنده فلم تكترث! راجع ص٢٤١ من هذا الكتاب.

وحين بلغت عائشة موضع الحوأب ونبحتها كلابه؛ صاحت واعترفت بأنها هي المعنيّة بهذا التحذير، فقد روى ابن قتيبة: «**فلـمّا انتهوا إلى ماء الحوأب في بعض الطريق ومعهم عائشة؛ نبحتها كلاب الحوأب، فقالت: ما أراني إلا راجعة. قال: ولِمَ؟ قالت: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لنسائه: كأنّي بإحداكنَّ قد نبحها كلاب الحوأب، وإياكِ أن تكوني أنتِ يا حميراء! فقال لها محمد بن طلحة: تقدّمي رحمكِ الله ودعي هذا القول! وأتى عبد الله بن الزبير فحلف لها بالله لقد خلّفتْهُ أوّل الليل! وأتاها ببيّنة زور من الأعراب فشهدوا بذلك! فزعموا أنها أول شهادة زور شهد بها في الإسلام**»![1]

وروى أحمد بن حنبل عن قيس بن أبي حازم: «**إن عائشة قالت لـمّا أتت على الحوأب سمعتْ نباح الكلاب فقالت: ما أظنني إلا راجعة، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا: أيّتكنّ تنبح عليها كلاب الحوأب؟! فقال لها الزبير: ترجعين! عسى الله عز وجل أن يصلح بك بين الناس**»![2] وروى أيضاً عن قيس قال: «**لمّا أقبلتْ عائشة بلغت مياه بني عامر ليلاً نبحت الكلاب، فقالت: أي ماءٍ هذا؟ قالوا : ماء الحوأب. قالت: ما أظنّني إلا أني راجعة. فقال بعض مَن كان معها: بل تقدمين فيراكِ المسلمون فيُصلح الله ذات بينهم! قالت: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا ذات يوم: كيف بإحداكنَّ تنبح عليها كلاب الحوأب**»![3]

---

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج١ ص٨٢، وفي مروج الذهب للمسعودي ج٢ ص٣٩٥ أن شهود الزور كانوا خمسين رجلاً! وكذا في رواية البلاذري كما سيأتي.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص٩٧

(٣) المصدر نفسه ج٦ ص٥٢ وعنه البداية والنهاية لابن كثير ج٦ ص٢٣٦

وروى ابن حبان عن قيس قال: «**لمّا أقبلت عائشة مرّتْ ببعض مياه بني عامر طرقتهم ليلاً، فسمعتْ نباح الكلاب فقالت: أيُّ ماء هذا؟ قالوا: ماء الحوأب، قالت: ما أظنّني إلا راجعة. قالوا: مهلاً يرحمكِ الله! تقدمين فيراكِ المسلمون فيصلح الله بكِ! قالت: ما أظنّني إلا راجعة، إني سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: كيف بإحداكنّ تنبح عليها كلاب الحوأب**»؟![1]

وروى الطبري عن الزهري قال: «**فسمعتْ عائشة رضي الله عنها نباح الكلاب فقالت: أيُّ ماءٍ هذا؟ فقالوا: الحوأب. فقالت: إنا لله وإنا إليه راجعون! إني لِهِيَه! قد سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وعنده نساؤه: ليتَ شعري أيّتكنَّ تنبحها كلاب الحوأب! فأرادت الرجوع فأتاها عبد الله بن الزبير فزعم أنه قال: كذب مَن قال إن هذا الحوأب! ولم يزلْ حتى مضت فقدموا البصرة**»![2]

وروى البلاذري: «**وسمعتْ عائشة في طريقها نباح كلاب فقالت: ما يُقال لهذا الماء الذي نحن به؟ قالوا: الحوأب. فقالت: إنا لله وإنا إليه راجعون! ردُّوني ردُّوني! فإني سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وعنده نساؤه: أيتكنَّ تنبحها كلاب الحوأب؟! وعزمتْ على الرجوع، فأتاها عبد الله بن الزبير فقال: كذب مَن زعم أن هذا الماء الحوأب! وجاء بخمسين من بني عامر فشهدوا وحلفوا على صدق عبد الله**»![3]

---

(١) صحيح ابن حبان ج١٥ ص١٢٦

(٢) تاريخ الطبري ج٣ ص٤٨٥

(٣) أنساب الأشراف للبلاذري ص٢٢٤، وفي أنساب السمعاني ص٢٨٦ أن ابن الزبير بعدما حلف كذباً على ذلك كفّر عن يمينه رضي الله عنه!

وروى أبو مخنف وابن إسحاق: «**لمّا خرجتْ عائشة وطلحة والزبير من مكة إلى البصرة؛ طرقت ماء الحوأب وهو ماء لبني عامر بن صعصعة، فنبحتهم الكلاب، فنفرت صعاب إبلهم، فقال قائل منهم: لعن الله الحوأب فما أكثر كلابها! فلمّا سمعتْ عائشة ذكر الحوأب قالت: أَهذا ماء الحوأب؟ قالوا: نعم. فقالت: ردّوني ردّوني! فسألوها ما شأنها؟ ما بدا لها؟ فقالت: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: كأني بكلاب ماءٍ يُدعى الحوأب قد نبحت بعض نسائي! ثم قال لي: إياكِ يا حميراء أن تكونيها! فقال لها الزبير: مهلاً يرحمكِ الله! فإنّا قد جزنا ماء الحوأب بفراسخ كثيرة! فقالت: أَعندكَ مَن يشهد بأن هذه الكلاب النابحة ليست على ماء الحوأب؟ فلفَّق لها الزبير وطلحة خمسين أعرابياً جعلا لهم جعلاً فحلفوا لها وشهدوا أن هذا الماء ليس بماء الحوأب! فكانت هذه أول شهادة زور في الإسلام! فسارت عائشة لوجهها**»![1]

إن هذه الأحاديث تثبت أن عائشة قد أدركت أنها هي المعنيّة بالتحذير الصادر عن رسول الله صلى الله عليه وآله، كيف وقد سبق توجّهه بالتحذير إليها على وجه الخصوص حين ضحكت فقال لها: «**انظري يا حميراء أن لا تكوني أنتِ**»! وها قد ركبت الجمل الأدبب ونبحتها كلاب الحوأب، وعلمتْ بذلك أن ما تُقْدِمُ عليه منهيٌّ عنه شرعاً، فتردّدها في الرجوع ومضيّها إلى البصرة لا يكون إلا عصياناً وإثماً مع علمها بالنهي المتجه إليها، فكيف يُزعم أنها خرجت مجتهدةً ومصلحةً؟! ولا يخرجها من الذنب أن يكون الزبير أو ابنه أو شهود الزور قد أثنوها عن الرجوع ودفعوها إلى المضي في حركتها الملعونة، إذ كان ينبغي لها أن تلتزم بالأمر النبوي ولا تلتفت إلى ما يعارضه من تلبيسات إنقاذا لنفسها وللأمة من الهلاك، على أن أحداً ما كان يجرؤ على أن يأمرها أمر المطاع فهي صاحبة الأمر والنهي كما مرّ

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج٩ ص٣١١ عن أبي مخنف وابن إسحاق.

عن أبي بكرة! وإنما غاية ما كان يقدر عليه الزبير أو طلحة أو ابناهما أن يشيروا عليها لا غير، فلماذا لم تصر على الرجوع مع تحقّق ما أنبأ به رسول الله صلى الله عليه وآله؟!

ثم إن في الأحاديث ما هو أصرح عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) في تحذير عائشة من الخروج على أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وإنبائه إياها بأنها ستكون إذ ذاك ظالمةً، فأنّى يُفَرُّ من حقيقة أنها خرجت ظلماً وعصياناً لا إصلاحاً واجتهاداً كما يُدَّعى؟!

روى المفيد عن رافع مولى عائشة قال: «**كنت خادماً لعائشة وأنا غلام أعاطيهم إذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله عندها، فبينا رسول الله صلى الله عليه وآله عند عائشة إذ جاءَ جاءٍ فدقَّ الباب، فخرجتُ إليه فإذا جارية معها إناءٌ مغطّى، فرجعتُ إلى عائشة فأخبرتها، فقالت: أدخلها. فدخلتْ فوضعته بين يدي عائشة، فوضعته عائشة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله، فمدّ يده يأكل، ثم قال: ليتَ أمير المؤمنين وسيد المسلمين يأكل معي. قالت عائشة: ومَن أمير المؤمنين؟ فسكت. ثم أعادت فسألت؛ فسكت. ثم جاءَ جاءٍ فدقَّ الباب، فخرجتُ إليه فإذا علي بن أبي طالب عليه السلام، فرجعتُ إلى النبي صلى الله عليه وآله فأخبرتُه، فقال: أدخله. فدخل فقال: مرحباً وأهلاً؛ لقد تمنّيتك حتى لو أبطأتَ عليَّ لسألتُ الله أن يجيء بك، اجلس فكُلْ. فجلس فأكل. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: قاتل الله مَن يقاتلك ومَن يعاديك! فسكت ثم أعادها. فقالت عائشة: مَن يقاتله ومَن يعاديه؟ قال: أنتِ ومَن معكِ! أنتِ ومَن معكِ**»![1]

---

(١) الكافئة للمفيد ص٣٤

وحديث رافع هذا مبتور عند المخالفين، أخرجه أبو نعيم وابن منده وفيه قوله: «**كنتُ غلاماً أخدم عائشة إذا كان النبي صلى الله عليه وسلم عندها، وإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: عادى الله مَن عادى عليّاً**».(١)

وبترهم لهذا الحديث معلومةٌ علّته، إذ يتحاشون نقل ما هو صريح في سبق إصرار عائشة على قتال أمير المؤمنين عليه السلام، حفظاً لأكذوبة أنها خرجت للإصلاح لا للقتال! إلا أنه مع ذلك أفلتت منهم أحاديث تؤكد خروجها ظالمة للقتال، ومنها ما رواه ابن عبد ربّه الأندلسي أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال لها: «**يا حميراء! كأني بكِ تنبحكِ كلاب الحوأب! تقاتلين عليّاً وأنتِ له ظالمة**»!(٢)

على أن مجرّد علمها بقوله صلى الله عليه وآله: «**عادى الله مَن عادى عليّاً**» يوجب عليها أن لا تعاديه ولا تعصيه وإنْ كانت قد خرجت للإصلاح حقاً في قرارة نفسها، لأن خروجها هذا هو في نظر علي (عليه السلام) ليس إصلاحاً، فإصرارها عليه يكون عصياناً له ومعاداةً، فلا محيص لها من إطاعته والامتثال لأمره، سيّما أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال في حقّه: «**من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع عليّاً فقد أطاعني، ومن عصى عليّاً فقد عصاني**».(٣) فلماذا لم تطع عليّاً (عليه السلام) وفي إطاعته إطاعة الله ورسوله صلى الله عليه وآله؟! ولماذا لم توفّر على هذه الأمة المنكوبة «إصلاحها» الذي أراق من الدماء ما أراقه؟!

---

(١) أُسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير ج٢ ص١٥٤ والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ج٢ ص٣٧٣

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربّه الأندلسي ج٢ ص١٠٩

(٣) مستدرك الحاكم ج٣ ص١٢١ ونصّ على صحّته الذهبي في التلخيص.

كلا! إن الحميراء لم تخرج مجتهدة مصلحةً كما يزعم السفهاء، بل خرجت لغرض إسقاط حكومة أمير المؤمنين (عليه السلام) وتنصيب ابن عمّها وحبيبها طلحة مكانه خليفةً! فقد كانت بعد مقتل عثمان لا تشكّ في أن الناس سيبايعون طلحة، وهو الذي كان أقربهم إلى الخلافة من جهة أنه أكثرهم تأليباً على عثمان وسعياً في قتله حتى أنه منع عنه الماء واستولى على بيت المال في حياته وتصرّف وكأنه خليفة ليس بينه وبين نيل منصبه رسمياً إلا ضرب عنق نعثل!

ولّما قُتل نعثل بالفعل استبشرت عائشة فقالت: «**بُعداً لنعثلٍ وسُحقاً! (...) أبعده الله! قتله ذنبه وأقاده الله بعمله! يا معشر قريش لايسومنّكم قتل عثمان كما سام أحيمر ثمود قومه! إن أحق الناس بهذا الأمر ذو الإصبع**»! ثم خاطبت طلحة قائلة: «**إيهٍ ذا الإصبع! إيهٍ أبا شبل! إيهٍ يابن عم! لكأني أنظر إلى إصبعه وهويبايع له: حُثُّوا الإبل ودعدعوها! (...) إيهٍ ذا الإصبع! لله أبوك! أما إنهم وجدوا طلحة لها كفواً**»![1]

غير أن الرياح جرت بما لا تشتهي عائشة فبايعت الأمة أمير المؤمنين (عليه السلام) وتركت طلحة يندب حظّه العاثر! وحين وصل هذا النبأ المزعج لعائشة وَلْوَلَتْ وقالت: «**وما لعليٍّ يستولي على رقابنا؟! لا أدخل المدينة ولعليٍّ فيها سلطان**»![2] ثم قالت: «**والله لَيومٌ من عثمان خيرٌ من عليٍّ الدهرَ كُلَّه**»![3]

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج٦ ص٢١٥ عن المدائني وأبي مخنف الكوفي. وذكرها لإصبع طلحة تمييزاً راجع إلى ما يُقال من أنها كانت شلّاء.

(٢) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج١ ص٦٦

(٣) المحصول للفخر الرازي ج٤ ص٣٤٣، وراجع ص٥٣٠ من هذا الكتاب.

فهاهي تفصح عن مكنون سرّها، إنها لا تتحمّل أن يكون عليٌّ (عليه السلام) خليفة وسلطاناً، ولذا خرجت عليه بغية إسقاطه وإعادة الخلافة والسلطنة إلى ابن عمّها ذي الإصبع! لتغدو بذلك أميرةً أو ملكةً لها الكلمة النافذة!

هذا هو هدف الحميراء حين أتت إلى البصرة في كتيبة يسوقها أعلاجها! ولو أنها كانت قد خرجت للإصلاح لما بدر منها هذا الذي بدر، ولما عبّر عن خروجها هذا حذيفة بن اليمان عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بقوله: «**حيث تسوء وجوهكم**»! فإن الإصلاح لا تسوء فيه الوجوه!

ونعيد عليك الحديث الذي مرّ في الفصل الثاني، وهو ما رواه الحاكم والطبراني عن خيثمة بن عبد الرحمن وفلفة الجعفي، واللفظ للأول قال: «**كنا عند حذيفة رضي الله عنه فقال بعضنا: حدِّثنا يا أبا عبد الله ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله. قال: لو فعلتُ لرجمتموني! قلنا: سبحان الله أَ نحن نفعل ذلك؟! قال: أَ رأيتكم إنْ حدّثتكم أن بعض أمهاتكم تأتيكم في كتيبة كثيرٌ عددها شديدٌ بأسها صدّقتم به؟ قالوا: سبحان الله ومن يصدّق بهذا؟! ثم قال حذيفة: أتتكم الحميراء في كتيبة يسوقها أعلاجها حيث تسوء وجوهكم! ثم قام فدخل مخدعاً**».[(١)]

فتدبّر في هذا التعبير وسَلْ نفسك: هل يصدق على التي تخرج لطلب الإصلاح بين الناس مجتهدة برّة تقية؟! أم يصدق على التي تخرج مفسدة في الأرض ظالمةً جائرةً باغية شقيّة؟!

(١) مستدرك الحاكم ج٤ ص٤٧١ وحكم بصحته على شرط الشيخين، والمعجم الأوسط للطبراني ج٢ ص٣٥

ثم تلقَّ تصريح أمير المؤمنين (عليه السلام) هذا الذي يؤكد فيه أن عائشة «قد كرهت بيعته» وأن النبي (صلى الله عليه وآله) قد خبّرها بأن خروجها عليه «بغي وعدوان» ومع ذلك خرجت!

روى خاتمة المحدثين الميرزا النوري عن الصادق (صلوات الله عليه) حديثاً عن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في الاحتجاج على أهل النهروان، وقد جاء فيه قوله عليه السلام: «**إنما أخرجوا عائشة زوج النبي صلى الله عليه وآله معهم لكراهتها بيعتي! وقد خبّرها رسول الله صلى الله عليه وآله بأن خروجها خروج بغيٌ وعدوان! من أجل قوله عز وجل: يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ، وما من أزواج النبي صلى الله عليه وآله واحدةٌ أتت بفاحشة غيرها! فإن فاحشتها كانت عظيمة! أولها خلافها في ما أمرها الله في قوله عز وجل: وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ، فإن تبرّجها أعظم من خروجها وطلحة والزبير إلى الحج![1] فوالله ما أرادوا حجة ولا عمرة. ومسيرها من مكة إلى البصرة وإشعالها حرباً قُتل فيها طلحة والزبير وخمسة وعشرون ألفاً من المسلمين! وقد علمتم أن الله عز وجل يقول: وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا**»![2]

وما ذِكْرُهُ (عليه السلام) لهذه الآية في هذا المقام إلا إشارة واضحة إلى أن عائشة كانت «متعمدة» لإشعال فتيل هذه الحرب المدمّرة، لا أنها كانت مصلحة. إنما كرهت بيعته (عليه السلام) فأخرجها أعداؤه وانضمّت إليهم زعيمة وقائدة تتعمّد إذكاء نار الحرب وتهييج الناس للقتال، متعمدة في كل ذلك، وهو ما يوجب غضب الله عليها ولعنته وعذابه العظيم!

---

(١) سيأتي إن شاء الله تعالى تعليقنا على هذا المقطع، فإن فيه نكتة ترتبط بخيانتها وفجورها لعنها الله.

(٢) مستدرك الوسائل للميرزا النوري ج١١ ص٦٠ عن الخصيبي وسمّاه الحضيني.

• **الإيراد السابع**؛ لو أن عائشة كانت قد قصدت الإصلاح حقاً لكان ينبغي لها أن تقعد وترجع إلى المدينة بعد يوم الجمل الأصغر، لأنها رأت كيف أن قيامها وخروجها أفضى إلى مقتلة عظيمة وفتنة عارمة هي أكبر وأخطر من فتنة قتل عثمان الذي زعمت أنها خرجت طلباً بثأره، فعثمان رجل واحد، وأما قتلى يوم الجمل الأصغر فستمئة والجرحى سبعمئة كما مرّ! أي أن عائشة قد زادت الطين بلة وأدركت أن خروجها لا صلاح فيه، والدليل هو ما وقع من مقتلة وفتنة، فلو أنها كانت خارجةً للإصلاح حقاً لتراجعت بعد الذي حدث من فساد، إلا أن عدم رجوعها وإصرارها على المضيّ في حركتها الانقلابية شاهد على أن شعار الإصلاح الذي رفعته لم يكن إلا شعاراً دعائياً لا حقيقة له، وأنها كانت تبيّت إسقاط حكومة أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فهذا هو هدفها الحقيقي.

وبما يقرب من هذه الحجة واجه **القعقاع بن عمرو التميمي** عائشة وصاحباها حين جاءهم موفداً عن أمير المؤمنين عليه السلام، فقد روى الطبري وابن الأثير: «**لمّا نزل عليٌّ ذا قار (...) دعا القعقاع بن عمرو فأرسله إلى أهل البصرة وقال: الْقَ هذين الرجليْن يابن الحنظلية - وكان القعقاع من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم - فادعهما إلى الألفة والجماعة وعظِّمْ عليهما الفُرقة. وقال له: كيف أنت صانع في ما جاءك منهما مما ليس عندك فيه وصاة مني؟ فقال: نلقاهم بالذي أمرتَ به فإذا جاء منهما أمر ليس عندنا منك فيه رأي اجتهدنا رأينا وكلّمناهم على قدر ما نسمع ونرى أنه ينبغي. قال: أنت لها. فخرج القعقاع حتى قَدِمَ البصرة فبدأ بعائشة رضي الله عنها، فسلّم عليها وقال: أي أَمَّهْ؛ ما أشخصكِ وما أقدمكِ هذه البلدة؟ قالت: أي بنيّ! إصلاح بين الناس! قال: فابعثي إلى طلحة والزبير حتى تسمعي كلامي وكلامهما. فبعثت إليهما فجاءا، فقال: إني سألتُ أم المؤمنين ما أشخصها وأقدمها هذه البلاد فقالت: إصلاحٌ بين الناس؛ فما تقولان أنتما؟ أَ متابعان أم مخالفان؟ قالا: متابعان. قال: فأخبراني ما وجه هذا الإصلاح فوالله لئن عرفناه لنصلحنَّ ولئن أنكرناه لا**

نُصلح! قالا: قتلة عثمان رضي الله عنه فإن هذا إن تُرك كان تركاً للقرآن وإن عُمِلَ به كان إحياءً للقرآن! فقال: قد قتلتم قتلة عثمان من أهل البصرة وأنتم قبل قتلهم أقرب إلى الاستقامة منكم اليوم، قتلتم ستمئة إلا رجلاً! فغضب لهم ستة آلاف واعتزلوكم وخرجوا من بين أظهركم، وطلبتم ذلك الذي أفلت - يعني حرقوص بن زهير - فمنعه ستة آلاف وهم على رجل، فإن تركتموه كنتم تاركين لما تقولون! فإن قاتلتموهم والذين اعتزلوا فأُديلوا فالذي حذِرتم وقرّبتم به هذا الأمر أعظم مما أراكم تكرهون»![1]

إن شاهدنا من هذا الخبر هو أن الحجة قد أقيمت على عائشة وصاحباها، وقد أُلزموا بأن دعواهم الإصلاح توجب عليهم التراجع بعد الذي وقع من قتل وفساد وتحزّب وتطاحن وتشرذم بين الناس، فعدم تراجعهم واستمرارهم في التمرّد إلى أن وقعت حرب الجمل الأكبر ليس له تفسير سوى أن غايتهم من وراء ذلك غير الإصلاح.

ولا يشفع لهم ما يدّعيه المخالفون من أن الحرب الكبرى لم تقع بإرادة منهم، ولا ما نسجه بعض الرواة من أساطير بإلقاء تبعة نشوبها على أشخاص لا وجود لهم كابن السوداء ومن أشبه، فإن هذا خيال مثير للسخرية ولا يُحتج به، وينقضه أنه لو كانت إرادة جدية في الإصلاح من عائشة وصاحباها لكان عليهم بمجرّد أن وصل أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى البصرة أن يهرعوا إليه ليبايعوه، فقد تبيّن لهم أن حركتهم آلت إلى ما آلت إليه من فتن ومجازر، وأنه لا صلاح فيها ولا إصلاح، وهذا هو الخليفة الشرعي وأمير المؤمنين الواجبة طاعته، وهو الذي عليه المعوّل في إحياء القرآن وإجراء حدود الله تعالى، وهو بعدُ الذي قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيه: «**علي مع القرآن والقرآن مع علي، لن يفترقا حتى يَرِدا**

(١) تاريخ الطبري ج٣ ص٥٠٢ والكامل لابن الأثير ج٣ ص٢٣٣، **والقعقاع بن عمرو** بطل مشهور وكان من أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) وقاتل معه في الجمل ضد عائشة وطلحة والزبير وأتباعهم.

عليَّ الحوض»،[١] فكان الواجب عليهم أن يمثلوا بين يديه ويعلنوا بيعتهم له ويرفعوا أمرهم إليه حتى ينصلح حال الأمة الممزقة، لا أن يتحشّدوا مع جيشهم الأرعن قِباله وهم يتهيأون للنفير كذئاب تتحيّن الفرصة للاجتياح!

إن مَن يقصد الإصلاح لا يجيّش جيشاً! وإن مَن يقصد الإصلاح لا يسفك دماً! وإن من يقصد الإصلاح لا يوقع الإحن! وإن من يقصد الإصلاح لا يمضي من حرب إلى أخرى ومن جمل أصغر إلى أكبر مع ما خلّفته الأولى من دماء وقتلى!

● **الإيراد الثامن**؛ كان أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) يبذل جهده وطاقته في نُصح القوم تفادياً لوقوع الحرب وحقناً للدماء، ومن جملة هؤلاء الذين نصحهم؛ الزبير بن العوام، حيث ذكّره الأمير (عليه السلام) بحديث لرسول الله (صلى الله عليه وآله) فتراجع وأقسم على أن لا يقاتل ويشترك في الحرب. إلا أن عائشة لامته وجبّنته واستفزّته وانضمّ إليها في ذلك ابنه عبد الله الذي حضّه على حنث قسمه بعتق غلامه **مكحول** كفارةً حتى عاد الزبير للمناجزة والقتال! وفي آخر حملته تراجع ثانية وخرج عن ساحة المعركة حتى قتله **عمرو بن جرموز** الذي بشّره أمير المؤمنين (عليه السلام) بالنار لأنه سيكون من الخوارج من بعد ولم يكن قتله لابن العوام لله بل طمعاً في جائزة الأمير (عليه السلام) التي لم ينلها![٢]

كان من قول أمير المؤمنين (عليه السلام) للزبير بن العوام: «**أَتذكر يوم مررتَ مع رسول الله صلى الله عليه وآله في بني غنم فنظر إليَّ فضحك وضحكتُ إليه؛ فقلتَ: لا يدع ابن**

---

(١) مستدرك الحاكم ج٣ ص١٢٤ والمعجم الأوسط للطبراني ج٥ ص١٣٥ وعنه مجمع الزوائد للهيثمي ج٩ ص١٣٤ وكنز العمال للمتقي الهندي ج٦ ص١٥٣

(٢) القضية مشهورة في مصادر التاريخ ومنها مروج الذهب للمسعودي ج٢ ص٣٦٢ وتاريخ الطبري ج٣ ص٥١٤ والاستيعاب لابن عبد البر ص٢٠٣ وتاريخ أبي الفداء ص١٢٠ وغيرها كثير.

أبي طالب زهوه! فقال لك رسول الله صلى الله عليه وآله: صه! إنه ليس به زهو، ولتقاتلنّه وأنت له ظالم؟ فقال: اللهم نعم! ولو ذكرتُ ما سرتُ مسيري هذا. والله لا أقاتلك أبداً». [(١)]

هنا جاء دور عائشة في إغوائه من جديد، إذ قالت له حين نكص عن القتال على رواية ابن قتيبة: «**يا أبا عبد الله! خفتَ سيوف بني عبد المطلب**»![(٢)] وعلى رواية ابن شهراشوب: «**لا والله بل خفتَ سيوف ابن أبي طالب! أما إنها طِوال حِداد تحملها سواعد أنجاد، ولئن خفتَها فلقد خافها الرجال من قبلك! فرجع إلى القتال! فقيل لأمير المؤمنين عليه السلام: إنه قد رجع! فقال: دعوه! فإن الشيخ محمول عليه! ثم قال: أيها الناس! غضّوا أبصاركم وعضّوا نواجذكم وأكثروا من ذكر ربّكم، وإياكم وكثرة الكلام فإنه فشل. ونظرت عائشة إليه وهو يجول بين الصفّين، فقالت: انظروا إليه كأن فعله فعل رسول الله يوم بدر! أما والله ما يُنتظر بك إلا زوال الشمس! فقال علي عليه السلام: يا عائشة! عمّا قليل لتصبِحُنَّ نادمين**»![(٣)]

وعلى هذا؛ فلو كانت عائشة على ما يزعمون طالبةً للإصلاح؛ فلماذا أرجعت الزبير إلى القتال باستثارتها إياه وتعييره بالجُبن والخوف من سيوف ابن أبي طالب وبني عبد المطلب؟! لماذا تدفعه إلى القتال من جديد بدلاً من أن تثني على خطوته بالتراجع وتطلب منه أن يخطب بالناس ناصحاً ذاكراً حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي نصّ فيه على أن علياً (عليه السلام) في هذه الحرب هو المظلوم، وأن الزبير يقاتله وهو ظالم، فيكون جميع من يقاتله ظالماً بالتبع، فيكفّ الناس عن القتال وتُحقن الدماء؟!

---

(١) تاريخ الطبري ج٣ ص٥١٤ ونحوه في فتوح ابن أعثم ج٢ ص٣٠٩

(٢) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج١ ص٩٢

(٣) مناقب آل أبي طالب عليه السلام لابن شهراشوب ج٢ ص٣٤

إن الحميراء كانت في ذلك الموقف تتعطّش للدماء، والذي كانت تطلبه إنما هو رأس علي عليه السلام! وكانت تظنّ - لكثرة عدّتها وجندها - أنه لن تمضِ إلا ساعات قلائل إلى زوال الشمس ويكون رأس علي بين يديها! ولذا قالت له: «**أما والله ما يُنتظر بك إلا زوال الشمس**»!

إلا أنه (صلوات الله عليه) خاطبها خطاب الواثق بوعد ربّه: «**يا عائشة! عمّا قليل لتصبِحُنَّ نادمين**»! وهذا ما حصل حين تحقق الوعد بالنصر لولي الله على عدوة الله!

● **الإيراد التاسع**؛ قد علمنا في ما تقدّم أن حرب الجمل الأكبر دامت سبعة أيام، كانوا يقتتلون فيها نهاراً ويقعدون ليلاً. وكان طلحة والزبير قد قُتلا في صدر نهار اليوم الأول، ومن وسطه قادت عائشة الناس في الحرب لوحدها إلى سبعة أيام!

روى الطبري عن محمد وطلحة قالا: «**كان القتال الأول يستحِرُّ إلى انتصاف النهار، وأُصيب فيه طلحة رضي الله عنه، وذهب فيه الزبير، فلمّا أووا إلى عائشة وأبى أهل الكوفة إلا القتال ولم يريدوا إلا عائشة؛ ذمّرتهم عائشة!**[1] **فاقتتلوا حتى تنادوا فتحاجزوا، فرجعوا بعد الظهر فاقتتلوا، وذلك يوم الخميس في جمادى الآخرة، فاقتتلوا صدر النهار مع طلحة والزبير، وفي وسطه مع عائشة**»![2]

إذن؛ فقد ذهب طلحة والزبير بمقتلهما في اليوم الأول، ومن وسط ذلك اليوم لم يكن هناك قائد للجيش يقاتل الناس معه سوى عائشة! وحيث أن الحرب استمرّت لسبعة أيام كما ذكر ابن قتيبة؛ فمعنى ذلك أن الحميراء كانت تركب جملها كل يوم تذمّر أي تحرّض الناس

(١) أي حضّتهم على القتال ولامتهم على القعود، وهو دليل إضافي على أنها كانت رأس هذه الحرب الملعونة.

(٢) تاريخ الطبري ج٣ ص٥٢٤

على القتال – كما هو صريح رواية الطبري – ثم يأتي الليل فيتحاجز الناس ويتوقف القتال فتنزل هي وتنام مستعدة لجولة اليوم التالي!

وطوال هذه الأيام كانت القتلى تتساقط أمام مرأى عائشة فوجاً بعد فوج وكتيبة بعد كتيبة! إلا أن ذلك لم يجعلها تراجع نفسها في تلك الليالي فتوقف الحرب وتحقن الدماء! قد كانت تنزل من هودجها كل ليلة بعد مقتلة عظيمة فلو أنها أرادت الإصلاح حقاً فلماذا لم توقف الحرب؟! ولماذا كانت تركب جملها الملعون في كل صباح وتحرّض الناس على القتال؟! ها قد ذهب طلحة وذهب معه الزبير ولم يبقَ للناس قائد من الرجال كما لم يبقَ مرشّح للخلافة من رجالها؛ فعلى ماذا مضت المرأة على القتال؟! أَوَ كانت تطلب الخلافة لابن أختها عبد الله بن الزبير مثلاً؟! أم كانت تريد الانتقام من ابن أبي طالب مهما يكن؟! أم لعلّها فكّرت بأن للنساء أن يلين الخلافة أيضاً فتنصب نفسها خليفة وأميرة للمؤمنين كما قيل؟!

وبالله يا قوم كيف يصدّق العاقل بأنها رامت الإصلاح وهي التي تمضي بالحرب إلى آخر نفس ورمق لأسبوع كامل! أَفلا كان عليها بعد مقتل طلحة والزبير أن تصرخ بالناس معلنةً: «أيها الناس! قد خرجتُ لطلب الإصلاح لا للقتال فما بالكم تسفكون الدماء»؟! أَفلا استغلّت الليلة الأولى حيث توقف القتال فوعظت جُندها قائلة: «أيها الناس! كفى حرباً وقتالاً واحقنوا دماءكم ودماء إخوانكم»؟! أَفلا أخذتها الرأفة بالناس فانسلّت في إحدى تلك الليالي أو الأيام وعادت أدراجها لئلا تنشب الحرب في اليوم التالي؟! فإن الحرب ما كانت لتنشب كل صباح لولا أنها كانت تركب جملها الملعون وتُتَّخَذ قبلة ولواءً ورايةً ثم هي تستنفر الناس وتذمّرهم على القتال! فبالله أي إصلاح هذا ومن أي جنس هو؟!

ألا حدّث العاقل بما لا يُعقل فإن صافقك عليه فهو معتوه لا يَعقل!

• **الإيراد العاشر**؛ إنّا لو احتكمنا إلى الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله: «**علي مع الحق والحق مع علي، ولن يفترقا حتى يَرِدا عليَّ الحوض يوم القيامة**»[١] والذي قال فيه: «**رحمَ الله عليّاً، اللهم أَدِر الحق معه حيث دار**»[٢] والذي قال فيه: «**علي مع القرآن والقرآن مع علي، ولن يتفرّقا حتى يَرِدا عليَّ الحوض**»[٣] والذي قال فيه حين مرّ: «**الحق مع ذا، الحق مع ذا**»[٤] أقول: إنّا لو احتكمنا إلى هذا الحقّ الذي تجسّد في هذا العظيم العملاق لمعرفة حقيقة نوايا عائشة في خروجها، وهل أنها كانت تطلب الإصلاح أم الإفساد؟ لوجدناه يقول بملء الفم: «**والله إن طلحة والزبير وعائشة ليعلمون أني على الحق وأنهم مبطلون**»**!**[٥]

وإن عليّاً (عليه السلام) الذي يدور الحق معه حيث دار أتقى لله عز وجل من أن يقسم على ما لا يكون يقيناً، وها هو قد أقسم بالله على أن عائشة وصاحباها يعلمون أنه على الحق، وأنهم على الباطل، فلا محالة يكون خروج عائشة بقصد إيقاع الفساد لا الإصلاح، لأن قصد الإصلاح لا يكون باطلاً ولا يسوغ وصف صاحبه بالمبطل شرعاً.

ولا بدّ من تصديق أمير المؤمنين (عليه السلام) في قوله هذا، لأن النبي (صلى الله عليه وآله) منحه الشهادة له بأنه على حق دوماً وأبداً، فتكون النتيجة هي أن عائشة كانت تعلم أنها مُبطلة**!** وما خروجها إلا للباطل، فما أغبى الذين يزعمون اليوم أنها كانت مُصلحة**!**

هذه إيرادات عشر تُبطل مزاعم أشياع عائشة في أن خروجها كان للإصلاح.

---

(١) تاريخ بغداد للخطيب ج١٤ ص٣٢٠ ومجمع الزوائد للهيثمي ج٧ ص٢٣٥ عن البزّار.

(٢) سنن الترمذي ج٥ ص٥٩٢ ومستدرك الحاكم ج٣ ص١٣٤ وقد نصّ على صحته.

(٣) مستدرك الحاكم ج٣ ص١٣٤ وقد نصّ على صحته.

(٤) مجمع الزوائد للهيثمي ج٧ ص٢٣٤ عن أبي يعلى.

(٥) الاستيعاب لابن عبد البر ج٢ ص٤٩٩

وأما بكاؤها حتى تبلّ خمارها الذي احتجّوا به على أنها قد ندمت وتابت من إثمها؛ فلا دلالة فيه على ما يدّعون، إذ لا يلازم البكاءُ الندمَ والتوبةَ بالضرورة، وإنّما حيث علمنا أن عائشة لم تبدِ أدنى ندم ولا دمعت عيناها دمعة بعد يوم الجمل الأصغر رغم ما سبّبته من مجازر؛ وحيث علمنا جوابها لأم أوفى العبدية وما فيه من إصرارها على المكابرة والغيّ كما مرّ،[1] وحيث علمنا أنها ظلّت على عدائها لأمير المؤمنين وأهل بيته (عليهم السلام) وشنّت عليهم حرب «البغل» من بعدُ كما سيأتي.. أقول: حيث علمنا بكل ذلك فلا يستقرّ في النفس أن بكاءها كان ندماً وتوبةً، وإنما هو تصنّع في بعض المواقف، وتنفيس في أخرى عن احتقان داخلي مردّه شعورها بخيبة أملها وضياع آمالها إذ هُزمت هزيمة منكرة وأُرجعت صاغرة! فهذا الذي يجعلها تبكي حين تتذكر أنها كانت قاب قوسين أو أدنى من أن تصير ملكة أو أميرة فيما هي اليوم قابعة في بيتها بين أربع جدران والعمر يتقدّم بها شيئاً فشيئاً حتى تموت!

إنها خيبة الأمل التي حرقت قلبها وأصابتها باكتئاب مزمن كان يتفجّر حيناً وآخر على شكل زخّات بكاء أو نفثات غمّ أو زفرات حزن ولوعة! فإن من أصعب الأمور وآلمها على الإنسان أن يعيش حياته منكسراً.

وأهل مصر ما زالوا يردّدون إلى اليوم مثلاً شعبياً يعبّر عن الانكسار والخيبة، وهو مأخوذ مما جرى لعائشة بعد معركة الجمل، إذ يقولون للخاسر والخاسرة والخائب والخائبة: «**خيبة الأمل.. راكبة جمل**»! فيما يتوعّدون بعضهم بعضاً بقولهم: «**أنا حاخليك تعمل عيشه**»! أي سأجعل حالك بعد العراك كحال عائشة التي رجعت خائبة مهزومة صاغرة لم يتحقق شيء من أحلامها![2]

---

(١) راجع ص٦١٥ من هذا الكتاب.

(٢) هذا المثلان الشائعان إلى اليوم بين أهل مصر يبدو أنهما يرجعان إلى موروث الدولة الفاطمية، وقد =

وبالعودة إلى دعوى ندمها وتوبتها؛ نرى أن من المناسب ههنا عرض مناظرة الشيخ المفيد (رضوان الله تعالى عليه) مع أحد أعلام المخالفين وهو **علي بن عيسى الرماني** في شأن واقعة الجمل، وذلك حين كان المفيد شاباً صغيراً ما زال يقرأ على المشايخ، وفيها النقض على دعوى التوبة بأنها رواية، فيما حرب أهل الجمل دراية، ولا توجب الرواية ما توجبه الدراية! أي أن لنا أن نبقى على موقفنا المناهض لعائشة وطلحة والزبير لأنهم بغوا على إمام الحق وحاربوه وإن زعم زاعم أو روى راوٍ أنهم قد تابوا، فتلك مجرّد رواية لا تفيد إلا الظن، أما بغيهم وخروجهم فدراية تورّث القطع واليقين.

روى ابن ادريس أن أبا ياسر شيخ المفيد قال له: «**لمَ لا تقرأ على علي بن عيسى الرماني الكلام وتستفيد منه؟ فقال: ما أعرفه ولا لي به أُنس، فأرسل معي من يدلّني عليه. قال المفيد: ففعل ذلك وأرسل معي من أوصلني إليه، فدخلتُ عليه والمجلس غاصٌّ بأهله، وقعدتُ حتى انتهى بي المجلس، فكلّما خفَّ الناس قَرُبتُ منه. فدخل عليه داخل فقال: بالباب إنسان**

= ذكرهما صالح الورداني في كتابه «**مصر الوجه الآخر.. فراعنة وعبيد**» ص١٦٣ وذكر فيه أيضاً أمثالاً شعبية أخرى رائجة، وهي بالأصل من الأمثال الشيعية، ومنها قول الرجل لمن يريد تحقيره أو التشكيك في رجولته: «**الله الله يا عمر! سي عمر**»!

والطريف أن بعض المشايخ والدعاة البكريين المصريين يستخدمون بعض هذه الأمثال عن حماقة وجهل بما تنطوي عليه من توهين كبرائهم كعائشة! ففي تعليقه على سفر الداعية «المتعصرن» **عمرو خالد** إلى لندن للدراسة الدينية الأكاديمية قال الشيخ السلفي المعاصر **يوسف البدري** مستصغراً شأنه ومتنبئاً بخيبته: «**تخيّل معي أن عمرو خالد يذهب لكي يدرس الإسلام في إنجلترا! يا خيبة الأمل راكبة جمل**»! راجع جريدة (المصريون) بتاريخ ٣ يوليو ٢٠٠٩ والمقال لسليم عزوز.

علما أن يوسف البدري هذا صاحب فضيحة شهيرة وثّقتها وسائل الإعلام المصرية مرئياً حيث اجتمع بفتاتيْن في بيته على أساس أن يرقّيهما رقية شرعية طالباً مبلغ أربعمئة جنيه مصري منهما نصباً واحتيالاً! ويا خيبة الأمل راكبة جمل!

يؤثر الحضور مجلسك وهو من أهل البصرة. فقال: هو من أهل العلم؟ فقال غلامه: لا أعلم إلا أنه يؤثر الحضور مجلسك. فأذِنَ له فدخل عليه، فأكرمه وطال الحديث بينهما، فقال الرجل لعلي بن عيسى: ما تقول في يوم الغدير والغار؟ فقال: أما خبر الغار فدراية، وأما خبر الغدير فرواية، والرواية ما توجب ما توجبه الدراية.[١] قال: وانصرف البصري ولم يحر خطاباً يورد إليه. قال المفيد رضي الله عنه: قلتُ: أيها الشيخ مسألة. فقال: هاتِ مسألتك. فقلت: ما تقول فيمن قاتل الإمام العادل؟ فقال: يكون كافراً، ثم استدرك فقال: فاسقاً. فقلت: ما تقول في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام؟ فقال: إمام. قال: قلتُ: فما تقول في يوم الجمل وطلحة والزبير؟ فقال: تابا. فقلتُ: أما خبر الجمل فدراية وأما خبر التوبة فرواية! فقال لي: كنتَ حاضراً وقد سألني البصري؟ فقلت: نعم؛ رواية برواية ودراية بدراية! فقال: بمن تُعرف وعلى مَن تقرأ؟ فقلتُ: أُعرف بابن المعلّم وأقرأ على الشيخ أبي عبد الله الجعل. فقال: موضعك. ودخل منزله وخرج ومعه رقعة قد كتبها وألصقها وقال لي: أوصل هذه الرقعة إلى أبي عبد الله. فجئتُ بها إليه فقرأها ولم يزل يضحك بينه وبين نفسه! ثم قال: أيش جرى لك في مجلسه فقد وصّاني بك ولقّبك بالمفيد؟ فذكرتُ له المجلس بقصّته، فتبسّم».[٢]

■ لولا عائشة لفتح الإسلام العالم أجمع!

إن التمرّد الذي قادته عائشة ضد أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) كان أول حرب أهلية حقيقية بين المسلمين، شقّت بها عائشة عصا الطاعة، وفرّقت بها بين الأمة، فإن الأمة ما

---

(١) لا يخفى أن هذه مغالطة من الرماني فإن خبر الغدير دراية لأنه متواتر في أعلى درجات التواتر، ثم إن خبر الغار لا يوجب فضيلة ولا منزلة لابن أبي قحافة بل على العكس كما سبق بيانه في الفصل الأول فراجع.

(٢) السرائر لابن إدريس الحلي ج٣ ص٦٤٨، ومنه يظهر أن لقب المفيد لشيخنا **محمد بن محمد النعمان** (رضوان الله تعالى عليه) جاء من قبل أهل الخلاف أولاً، وإلا فإنه كان معروفاً في بغداد بابن المعلّم.

كادت تجتمع بعد فتنة مقتل عثمان على خليفة واحد يلمّ شعثها حتى فتقت عائشة بخروجها إلى البصرة فتقاً أعادت به الأمة إلى الفتنة والتشتّت من جديد.

وما وضعت تلك الحرب اللعينة أوزارها إلا وخلّفت أحقاداً في الصدور لا تهدأ، ونيران ثأر في النفوس لا تطفأ، وأغرت الطلقاء وأبناء الطلقاء وأهل النفاق والشقاق بتكرار البغي والتمرّد، كما أطمعت كل ذا مأرب في السلطة والإمرة بالخروج وانتزاع الخلافة بالقوة، ومن هنا سنّت عائشة سنة الحروب الأهلية والانقلابات التي جعلت الخلافة كرة تتداولها الأقوام حتى غدا الحكم إلى يومنا هذا لمن غلب! وجوّز ذلك فقهاء العامة حيث جعلوا الخلافة بالغَلَبة شرعية سائغة!

إن حرب الجمل هي التي ولّدت جميع الحروب التي تلتها في ما بين أمة الإسلام، فهي التي أفضت إلى حرب صفين والنهروان وكربلاء وغيرهنّ، بل هي التي أفضت إلى كل حرب أُتيت منها هذه الأمة المنكوبة إلى اليوم، لأن هذه المآسي والكوارث إنما ترجع إلى ذلك اليوم الذي أوهنت فيه عائشة هذه الأمة وجعلتها تنقسم على نفسها إلى الأبد، فلو أن عائشة اتقّت الله وظلّت حبيس بيتها لصَلُح حال الناس ولتوطّدت أركان الخلافة ولعادت إليها قوتها وهيبتها بما لا يدع أحداً ينزع إلى شقّ عصاها أو التمرّد عليها، حتى معاوية؛ إنْ لم تفعل عائشة ما فعلت لوجد نفسه مضطراً إلى النزول على حكم أمير المؤمنين (عليه السلام) إذ لن يجد له ولأهل الشام قِبَلٌ بجماعة المسلمين، غير أنه بعد حرب الجمل تشجّع وتقوّى لأن الأمير (عليه السلام) فقد بعض من كان يتقوّى بهم، وتخاذل عنه آخرون للإحن والحزازات، فلم يبقَ له إلا الذين حارب بهم من قبلُ وهم أنفسهم منهكون، وفيهم أهل الشقاق كالخوارج الذين لا بطاعته يتعبّدون ولا بأمره يأتمرون.

قال العلامة شرف الدين في وصف تداعيات ما ارتكبته عائشة لعنها الله: «**وما زالت تستفزّ حميّتهم حتى عُقِرَ الجمل بعد أن قُتِلَ على خطامه أربعون رجلاً، وكانت الهزيمة بإذن الله. ولولا عناية أمير المؤمنين عليه السلام ساعتئذ في حفظها ووقوفه بنفسه على صونها لكان ما كان مما أعاذها الله منه في هذه الفتنة العمياء التي شقّت عصا المسلمين إلى يوم الدين، وعلى أسسها كانت صفين والنهروان ومأساة كربلاء وما بعدها حتى نكبة فلسطين في عصرنا هذا**»![1]

نعم؛ إن نكبة فلسطين ما كانت لتقع لولا أن الأمة كانت ضعيفة آنذاك، وضعفها ناشئ من ضعف سلطتها وقيادتها التي كانت بيد آل عثمان الأتراك فأزاحهم الاستعمار، وآل عثمان ما كانوا ليتولّوا على هذه الأمة لولا أن غلبوا آل العباس، وآل العباس ما كانوا ليتولّوا لولا أن غلبوا آل أمية، وآل أمية ما كانوا ليتولّوا لولا أن غلب رأسهم معاوية، ومعاوية لم يكن ليخرج لولا أن خرجت عائشة أولاً! فنكبة فلسطين ترجع أسبابها بالأصل إلى عائشة!

وحين خرجت عائشة على الخليفة الشرعي وضعضعت حال هذه الأمة؛ قام ناعي الإسلام فنعاه، فإن المسلمين بدلاً من أن يتحّدوا خلف قائدهم لنشر دينهم وفتح البلدان؛ انشغلوا بحروبهم الأهلية الداخلية التي مزّقتهم وعطّلت ما ينبغي أن ينصرفوا إليه من الجهاد في سبيل الله تعالى ونشر الإسلام في العالم.

وهاكَ شهادة أحد المفكرين الغربيين وهو **هربرت جورج ولز**[2] التي نقلها محمود أبو رية قائلاً: «**وقال الفيلسوف الإنجليزي المشهور ولز الذي يُعدّ في طليعة مفكري هذا**

---

(١) النص والاجتهاد لعبد الحسين شرف الدين ص٤٤٩

(٢) H. G. Wells مفكر بريطاني شهير وُلد سنة ١٨٦٦ وتوفي سنة ١٩٤٩ حسب التقويم النصراني، له مؤلفات عدّة من بينها (تجربة في التاريخ العام) وفيه تصريحات في الثناء على إنسانية الرسول الأعظم (صلى =

العصر في كتابه (تجربة في التاريخ العام - في مبحث الإسلام) عن موقف عائشة من الحرب الداخلية ما ترجمته: إن الإسلام كاد أن يفتح العالم أجمع لو بقى سائراً سيرته الأولى ولم تنشب في وسطه من أول الأمر الحرب الداخلية، فقد كان همُّ عائشة أن تقهر عليّاً قبل كل شيء»![1]

أجل؛ هذا كان همّ عائشة، ولولا الذي ارتكبته من حرب أهلية داخلية هي الأولى والأفظع؛ لفتح الإسلامُ العالمَ أجمع! ولعمّ نوره كل الآفاق! فعائشة سببٌ في حرمان أجيال وأجيال من نور الإسلام! وسببٌ في تأخر هذه الأمة وضعفها! وسببٌ في انحراف مسيرها وتعبّدها بدين مكذوب على رسول الله (صلى الله عليه وآله) أُخِذ شطره منها! فإنا لله وإنا إليه راجعون.

■ أم النواصب!

يُعرَّف الناصبي بالتعريف الذي ذكره ابن منظور في لسان العرب حيث قال: «**النواصب: قوم يتديّنون ببَغضة علي عليه السلام**».[2] وغير خافٍ أن من كواشف هذا البغض معاداته (عليه السلام) ومحاربته وإيذاؤه واستحلال لعنه وسبّه والقدح فيه وفي أهل بيته عليهم السلام.

= الله عليه وآله) وعدالته وقيادته الفذة، ولطالما استدل بتصريحاته المسلمون، ومن جملتها قوله عن دعوة النبي صلى الله عليه وآله: «**إنها أسست في العالم تقاليد عظيمة للتعامل العادل الكريم، وإنها لتنفخ في الناس روح الكرم والسماحة، كما أنها إنسانية السمة ممكنة التنفيذ، فإنها خلقت جماعة إنسانية يقل ما فيها مما يغمر الدنيا من قسوة وظلم اجتماعي، عما في أي جماعة أخرى سبقتها. لقد مُنح العرب ثقافة جديدة، وأقاموا عقيدة لا تزال إلى اليوم من أعظم القوى الحيوية في العالم، أما الرجل الذي أشعل ذلك القبس العربي، فهو محمد**».

(١) شيخ المضيرة لمحمود أبو رية ص١٧٣

(٢) لسان العرب لابن منظور - مادة نصب.

والذي يُطلب في هذا المطلب هو تعداد ما يُظهر صدق هذه الصفة على عائشة التي لم يعرف التاريخ امرأة أشدّ نُصباً وعداءً وحقداً على آل محمد (عليهم السلام) منها! فصارت إثر ذلك جديرة بأن تُكنّى بأم النواصب! وكيف لا وهي مرجعهم عبر الزمان إذ اتخذوها رمزاً وشعاراً لحرب شيعة علي (عليه السلام) كما مرّ عليك![1] بل كيف لا وهي التي يقول عنها النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: «**ما تدع عائشة عداوتنا أهل البيت**»![2]

ولا يتوهمنَّ متوهِّمٌ أن ما كان من تنافر بين أهل البيت (عليهم السلام) وعائشة يعود إلى واقعة الجمل، وأنه لولاها لما وقع هذا التنافر أو التباعد في ما بعد، فإن أصحاب هذا الوهم لم يتلفتوا إلى جذور هذا التنافر ودواعيه التي سبقت يوم الجمل بكثير، وتُنبئ عن روح عدائية شخصية كانت تحرّك عائشة ضد أهل بيت النبوة عليهم السلام، وإن تنطّع متنطّعو أهل الخلاف في نفي ذلك والتهوين مما جرى بين الطرفين اعتماداً على قول عائشة: «**إنه والله ما كان بيني وبين علي في القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها! وإنه عندي على معتبتي من الأخيار**»![3]

إن هذا الذي اعتذرت به عائشة بعد انكسار شوكتها في البصرة واضطرارها إلى النزول على حكم أمير المؤمنين عليه السلام؛ إن صحّ فهو مما لا يقبله عقل صبي له حظ من إدراك! فأين قيادة الجيوش والإفتاء بالقتل والتحريض على الحرب وسفك الدماء لأسبوع كامل.. مما يكون فقط «ما بين المرأة وأحمائها»! وهل رأى الناس امرأة تصنع هذا مع أحمائها ثم

(١) راجع ص٥٨٨ من هذا الكتاب.

(٢) الصراط المستقيم للنباطي العاملي ج٣ ص١٦٧ عن سعيد بن المسيب عن وهب.

(٣) تاريخ الطبري ج٣ ص٥٤٧ وأضافوا له تقريراً مكذوباً من علي (عليه السلام) أن الأمر لم يكن إلا هذا! وينقضه ما يأتي من أخبار وأحاديث فيها تصريح علي (عليه السلام) بأن عائشة كانت ذات ضغينة عليه من قديم، وتصريح عائشة بأنها لا تحبّه أبداً! وسجودها لله شكراً حين بلغها نبأ مقتله!

أعذروها من هذا الباب؟! كلا! بل يرونها خرجت عما يكون «بين المرأة وأحمائها» إلى ما يكون «بين الأعداء الألداء»! وبعبارة أخرى؛ إن العرف يستوعب أن يقع بين المرأة وأحمائها شيء من التخاصم أو التنازع ضمن أُطُرٍ محدودة، أما أن تتجاوز المرأة الحدود فترفع سيفاً على أحمائها فإن العُرف لا يراها حينذاك إلا مجرمة جانية كحال سائر المجرمين الجناة، بل إن جنايتها أعظم وأبشع لكونها تقع على أحمائها وذوي الصلة بها، هذا إن رفعت سيفاً، فكيف بالتي تقود جيشاً وتُجري أنهاراً من الدماء؟! أَ فهل يقول عاقلٍ عندها: إن ما كان منها ليس إلا من قبيل ما يكون بين المرأة وأحمائها؟!

كلا! إن ما كان في صدر عائشة على علي وأهل البيت (عليهم السلام) أعظم من ذلك، إنها ضغائن وأحقاد منقطعة النظير، كانت تلتهب في صدر عائشة كالتهاب النار في قِدْر الحدّاد! وهذا عين ما عبّر عنه مولانا أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) حين خاطب أهل البصرة فقال: «**وأما عائشة فأدركها رأي النساء، وضِغْنٌ غلا في صدرها كَمِرجَلِ القَيْن! ولو دُعِيَت لتنال من غيري ما أَتَتْ إليَّ لم تفعل! ولها بعد حُرمتها الأولى، والحساب على الله تعالى**».[1]

إن إمير المؤمنين (عليه السلام) في كلامه هذا كشف عن أن ما أقدمت عليه عائشة تجاهه لم يكن راجعاً إلى ما يكون «بين المرأة وأحمائها» بل كان راجعاً إلى «**ضِغْن غلا في صدرها كَمِرجَلِ القَيْن**»! أي حقدٍ قديم شديد كان يغلي في صدرها كما يغلي قِدر الحدّاد! فالمِرجَل هو القِدْر والقَيْن هو الحدّاد. ثم إن أمير المؤمنين (عليه السلام) يؤكد في كلامه أن حقد عائشة كان ينصبّ عليه هو بالذات، فكان حقداً شخصياً، ولذا «**لو دُعِيَت لتنال من غيري ما أَتَتْ**

(١) نهج البلاغة – الخطبة رقم: ١٥٦، ومن كلام له عليه السلام خاطب به أهل البصرة على جهة اقتصاص الملاحم.

إليّ لم تفعل»! أي لو كان غير علي (عليه السلام) هو الخليفة لما أقدمت عائشة على سبّه والتحريض عليه وتجهيز الجيوش لقتاله، فإنها كانت تحقد عليه حقداً شخصياً شديداً ولذا لم تتحمّل أن يصير خليفة حاكماً!(١)

وهاكَ هذه الصور التي توقفك على أن عداء عائشة ونُصبها لعلي وآل النبوة (عليهم السلام) لم يكن وليد ماجرى في الجمل، ولا كان نتيجة انفعال لحظي أو جفوة عابرة مما يكون بين المرأة وأحمائها، بل كان حقداً متأصّلاً متجذّراً في نفسها من قديم، وله علله الظاهرة والباطنة، التي سيأتي بيان بعضٍ منها.

● **الصورة الأولى**: قد مرّ عليك في الفصل الثاني أن عائشة رفعت ذات مرة صوتها – بمنتهى الوقاحة – على رسول الله (صلى الله عليه وآله) في مشاجرة بينهما قائلةً: «**والله لقد عرفتُ أن عليّاً أحبُّ إليك من أبي ومني**»! الأمر الذي دفع أباها لأن يهوي إليها ليلطمها تأديباً.(٢)

وهذا يُنبئ عن أن عائشة كانت تنتفخ غيظاً من علي (عليه السلام) فتغار منه وتحسده ولا تطيق أن تكون له هذه المنزلة العليا عند رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو كاشفٌ عن أنها كانت ترى في علي (عليه السلام) ندّاً لها ولأبيها، فمجرد محبة رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام) وتفضيله إياه عليها وعلى أبيها كان قد أشعل قلبها حقداً عليه ونقمة على النبي صلى الله عليه وآله، وذلك منذ أمد بعيد عن معركة الجمل التي وقعت في سنة ست

---

(١) وأما قوله عليه السلام: «**ولها بعد حُرمتها الأولى، والحساب على الله تعالى**» فسيوافيك – إن شاء الله – الوجه فيه وردّ ما توهّمه بعضهم من أن لها حرمة من حرمة النبي (صلى الله عليه وآله) تمنع من القدح فيها. فترقّب.

(٢) راجع ص٢٨١ من هذا الكتاب.

وثلاثين، ومثل تلك السنون الطوال كفيلة بتأصيل حقدها هذا ومضاعفته حتى بلغ ذروته يوم البصرة، فما يُقال من أنه كان وليداً له هو وهم كبير.

• **الصورة الثانية**: كانت عائشة تكره حضور أمير المؤمنين (عليه السلام) عند النبي صلى الله عليه وآله، وحين يحضر كانت تتعمّد إهانته والتجاسر عليه بقبيح الكلام! وهو ما اضطر النبي (صلى الله عليه وآله) إلى أن يضربها على ظهرها!

روى ابن مردويه بسنده عن عبد الله قال: «**دخل عليٌّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده عائشة، فجلس بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين عائشة. فقالت عائشة: ما كان لك مجلس غير فخذي! فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ظهرها فقال: مَهْ! لا تؤذيني في أخي، فإنه أمير المؤمنين، وسيد المسلمين، وقائد الغرِّ المحجَّلين. يوم القيامة يقعد على الصراط، يُدخل أولياءه الجنة، ويُدخل أعداءه النار**».[1]

وروى إبراهيم بن هلال الثقفي بسنده عن عبد الله بن الحارث عن علي عليه السلام: «**أنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وعنده أبو بكر وعمر، فجلس بين رسول الله وعائشة، فقالت: ما وجدتَ لإستك مجلساً غير فخذي أو فخذ رسول الله؟! فقال صلى الله عليه وآله: مهلاً! لا تؤذيني في أخي، فإنه أمير المؤمنين، وسيد المسلمين، وأميرُ الغرِّ المحجَّلين. يوم القيامة يُقعده الله على الصراط، فيُدخل أولياءه الجنة وأعداءه النار**».[2]

هنا تظهر وقاحة عائشة وبذاءة منطقها ولسانها، فإن وجود رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم يجعلها ترتدع تأدّباً عن أن تخاطب أخاه بقولها: «**ما كان لك مجلس غير فخذي! ما**

---

(١) أرجح المطالب لعبيد الله الحنفي اللآمرتسري ص١٦ عن ابن مردويه.

(٢) اليقين لابن طاووس ص١٩٥ عن الثقفي. ونحوه في شرح النهج لابن أبي الحديد ج٩ ص١٩٥ عن اللمعاني.

وجدتَ لإستك مجلساً غير فخذي»! تريد أنه قد زاحمها في المكان والقرب من النبي صلى الله عليه وآله!

أين تجد امرأة ذات حياء وعفاف تتلفّظ بمثل هذه الألفاظ وتستخدم مثل هذا التعبير في محضر الرجال؟! ناهيك أن يكون ذلك في محضر سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله! إلا أنها الحميراء.. تطلق للسانها العنان فتسيل منه قبائح الألفاظ السوقية بلا حياء ولا أدب ولا احترام لوجود رسول الله صلى الله عليه وآله!

وموقفها هذا يرجع إلى بغضها لأمير المؤمنين (عليه السلام) لأنه ذو حظوة ومكانة خصيصة عند رسول الله صلى الله عليه وآله. لقد كانت تعضّ أناملها من الغيظ لأن النبي (صلى الله عليه وآله) كان يفضّل عليها عليّاً (عليه السلام) ويدنيه منه دونها، وما ذلك - لو كانت تعقل - إلا لأنها لم تكن أهلاً لمثل هذا القرب ولمثل هذه المنزلة، لخُبث نفسها وسوء أخلاقها وبذاءة لسانها، ولو أنها عالجت ذلك كلّه لحظيت عند النبي الخاتم (صلى الله عليه وآله) بالمنزلة والمكانة كما حظيت عنده خديجة وأم سلمة ومارية عليهن السلام.

لم تكن عائشة مستعدة للتخلي عن نفاقها وخُبث سريرتها وسوء أعمالها وبذاءة لسانها، ومع ذلك كله كانت تريد أن تحظى عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالجاه الرفيع وأن يطلق يدها كملكة تتصرّف كيفما تشاء! وهذا هو الذي كانت تتمنّاه من زواجها به، كما كانت تتمنّى أن يكون أبوها هو المفضّل عنده والمقرّب منه. بيد أنها وجدت أنها وأبوها أبعد ما يكونا عن النبي صلى الله عليه وآله، وأنه يفضّل عليهما فاطمة وعليّاً عليهما السلام، ويحبوهما بالمكارم والفضائل والمناقب وضروب الثناء، ويوصي الأمة بهما وبنسلهما، أما هي وأبوها فلا شيء لهما!

هذا ما جعلها تنفجر فتصرخ في وجه النبي صلى الله عليه وآله: «**والله لقد عرفتُ أن عليّاً أحبُّ إليك من أبي ومني**»! وهذا ما كان يجعلها تكاد تميّز من الغيظ حين ترى عليّاً (عليه السلام) يدخل فيأنس به النبي (صلى الله عليه وآله) ويُدنيه ويجعله أقرب مكاناً إليه منها ومن أبيها وصاحبه عمر، فلا تملك لتفريغ شحنة غيظها إلا أن تقول له بقصد الإهانة: «**ما كان لك مجلس غير فخذي! ما وجدتَ لإستك مجلساً غير فخذي**»!

وهذا أيضاً هو الذي كان يدفعها إلى الحيلولة دون دخول علي (عليه السلام) واجتماعه برسول الله (صلى الله عليه وآله) حين يكون في حجرتها، فكانت حين يطرق علي (عليه السلام) الباب تردّه بدعوى أن النبي (صلى الله عليه وآله) راقد أو على حاجة!

روى الطبرسي عن أبي عبد الله الصادق عن آبائه (عليهم السلام) عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال: «**كنت أنا ورسول الله صلى الله عليه وآله في المسجد بعد أن صلّى الفجر، ثم نهض ونهضت معه، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا أراد أن يتّجه إلى موضع أعلمني بذلك، وكان إذا أبطأ في ذلك الموضع صِرْتُ إليه لأعرف خبره، لأنه لا يتصابر قلبي على فراقه ساعة واحدة، فقال لي: أنا متّجهٌ إلى بيت عائشة، فمضى صلى الله عليه وآله ومضيتُ إلى بيت فاطمة الزهراء عليها السلام، فلم أزل مع الحسن والحسين فأنا وهي مسروران بهما، ثم إني نهضتُ وسرتُ إلى باب عائشة، فطرقتُ الباب فقالت: من هذا؟ فقلت لها: أنا علي. فقالت: إن النبيَّ راقد! فانصرفتُ، ثم قلتُ: النبيُّ صلى الله عليه وآله راقدٌ وعائشةُ في الدار! فرجعتُ وطرقتُ الباب، فقالت لي عائشة: من هذا؟ فقلتُ لها: أنا علي. فقالت: إن النبي على حاجة! فانثنيتُ مستحيياً من دقِّ الباب، ووجدتُ في صدري ما لا أستطيع عليه صبراً، فرجعتُ مسرعاً فدققتُ الباب دقّاً عنيفاً، فقالت لي عائشة: من هذا؟ فقلت: أنا علي. فسمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يا عائشة! افتحي له الباب!**

ففتحتْ ودخلتُ، فقال لي: اقعد يا أبا الحسن أحدّثك بما أنا فيه أو تحدّثني بابطائك عنّي. فقلتُ: يارسول الله حدّثني فإن حديثك أحسن. فقال: يا أبا الحسن؛ كنتُ في أمرٍ كتمته من ألم الجوع، فلمّا دخلتُ بيت عائشة وأطلتُ القعود ليس عندها شيء تأتي به؛ فمددتُ يدي وسألت الله القريب المجيب، فهبط عليَّ حبيبي جبرئيل عليه السلام ومعه هذا الطير، ووضع اصبعه على طائر بين يديه، فقال: إن الله عزّ وجل أوحى إليَّ أن آخذ هذا الطير وهو أطيب طعام في الجنة فآتيك به يا محمد. فحمدتُ الله عز وجل كثيراً، وعرج جبرئيل فرفعتُ يدي إلى السماء فقلت: اللهم يسِّر عبداً يحبك ويحبني يأكل معي من هذا الطير. فمكثتُ مليّاً فلمْ أَرَ أحداً يطرق الباب. فرفعتُ يدي ثم قلت: اللهم يسِّرْ عبداً يحبّك ويحبني وتحبّه وأحبّه يأكل معي من هذا الطير. فسمعتُ طرْقَ الباب وارتفاع صوتك، فقلتُ لعائشة: أدخلي عليّاً، فدخلتَ، فلم أزلْ حامداً لله حتى بلغتَ إليَّ إذ كنتَ تحبُّ الله وتحبني ويحبك الله وأحبك، فكُلْ يا علي. فلمّا أكلتُ أنا والنبي صلى الله عليه وآله الطائر، قال لي: يا علي حدِّثني. فقلتُ: يا رسول الله؛ لم أزلْ منذ فارقتك أنا وفاطمة والحسن والحسين مسرورين جميعاً، ثم نهضتُ أريدك فجئتُ فطرقتُ الباب فقالت لي عائشة: من هذا؟ فقلت: أنا علي. فقالت: إن النبي راقد! فانصرفتُ، فلمّا أن صرت إلى بعض الطريق الذي سلكته رجعت فقلتُ: النبي صلى الله عليه وآله راقدٌ وعائشة في الدار! لا يكون هذا! فجئتُ فطرقتُ البابَ فقالت لي: من هذا؟ فقلتُ لها: أنا علي. فقالت: إن النبي على حاجة! فانصرفتُ مستحيياً، فلمّا انتهيتُ إلى الموضع الذي رجعت منه أول مرّة وجدتُ في قلبي ما لا أستطيع عليه صبراً، وقلتُ: النبي صلى الله عليه وآله على حاجة وعائشة في الدار! فرجعتُ فدققتُ الباب الدقَّ الذي سمعتَه، فسمعتُك يا رسول الله وأنت تقول لها: أدخلي عليّاً. فقال النبي صلى الله عليه وآله: أبى الله الا أن يكون

الامر هكذا. يا حميراء! ما حملكِ على هذا؟ قالت: يا رسول الله؛ اشتهيتُ أن يكون أبي يأكل من هذا الطير! فقال لها: ما هو بأول ضِغْنٍ بينكِ وبين علي»![1]

ودقّق في قوله صلى الله عليه وآله: «**ما هو بأول ضِغْنٍ بينكِ وبين علي**» فإنه يشير إلى أنه قد سبق ذلك ضغائن وضغائن، فقد كانت الحميراء حقودة على أبي الحسن (عليه السلام) إلى أقصى حد!

● **الصورة الثالثة**: من شدة بغض عائشة لأمير المؤمنين (عليه السلام) لم تكن تطيق حتى ذكر اسمه الشريف! فكانت حين تحدّث بحديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولعلي (عليه السلام) فيه فضيلة أو منقبة أو ذكر بخير؛ تحجب اسمه وتستبدله بقولها: «**رجل**»! وما ذلك إلا لأنها «**لا تطيب له نفساً بخير**»!

روى البخاري ومسلم والنسائي: «**عن عَمْرَة بنت عبد الرحمن - وكانت في حَجر عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم - عن عائشة: أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث رجلاً على سَريّة، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بقُل هو الله أحد، فلمّا رجعوا ذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال: سلوه لأي شيءٍ يصنع ذلك؟ فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحبُّ أن أقرأ بها. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أخبروه أن الله يحبه**».[2]

إن هذا الحديث ألقته عائشة إلى بنت كانت تربّيها في حجرها، وصارت تلك البنت عند المخالفين في ما بعد فقيهة ذات شأن، اسمها **عمرة بنت عبد الرحمن النجارية**. ولم تُرِد عائشة حين حدّثت ربيبتها هذه بهذا الحديث أن تخبرها عن اسم الرجل المذكور فيه، لأنه يثبت له فضيلة أن الله تعالى يحبّه، وذلك ما جاء في ذيل الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله:

(١) الاحتجاج للطبرسي ج١ ص٢٩٢ وعنه بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج٣٨ ص٣٤٨

(٢) صحيح البخاري ج٨ ص١٦٤ وصحيح مسلم ج٢ ص٢٠٠ وسنن النسائي ج١ ص٣٤١

«**أخبروه أن الله يحبه**». لذا تعمّدت عائشة أن تحجب الاسم وتقول: «**أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث رجلاً على سرية**».. رجلاً وكفى!

وهذا الرجل المظلوم الذي حاولت عائشة طمس فضيلته بحجب اسمه ما هو إلا علي ابن أبي طالب عليهما السلام! فإن غيرها حدّث بالحديث نفسه وكان أميناً في نقله فسمّاه وأثبت فضيلته، وهذا المحدّث هو صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله) **عمران بن حصين الخزاعي** رضوان الله تعالى عليه.

روى الصدوق عن عمران بن حصين: «**أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعث سرية واستعمل عليها عليّاً عليه السلام، فلمّا رجعوا سألهم فقالوا: كل خير؛ غير أنه قرأ بنا في كل صلاة بقُلْ هو الله أحد. فقال: يا علي؛ لمَ فعلتَ هذا؟ فقال: لحبّي لقُلْ هو الله أحد. فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ما أحببتَها حتى أحبّك الله عزّ وجل**».[1]

ولو أن أحداً أعرض عن هذا الحديث الأخير بدعوى أنه مروي من طرق الشيعة؛ وفتّش في مصادر مخالفيهم عن قرينة يمكن أن يتعرّف بها على الرجل المذكور في القصة، لما عداه الإنصاف عن أن يقول: إنه علي بن أبي طالب لا سواه، ذلك لأنه الذي جاء في أحاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن الله تبارك وتعالى «**يحبّه**»، فيكون ذلك قرينة وشاهداً على أنه الرجل الذي أبهمته عائشة. ومن تلك الأحاديث ما رواه البخاري ومسلم والترمذي وأحمد بن حنبل وغيرهم، واللفظ للأول بسنده عن سهل بن سعد قال: «**قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم خيبر: لأُعطِيَنَّ الراية غداً رجلاً يُفتح على يديه، يحبُّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسولُه. فبات الناس ليلتهم أيُّهُم يُعطى، فغدوا كلُّهم يرجوه، فقال: أين علي؟ فقيل: يشتكي عينيه. فبصق في عينيه ودعا له فبرأ كأن لم يكن به وجع. فأعطاه فقال: أقاتلهم حتى**

---

(١) التوحيد للصدوق ص٩٤ وعنه بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج٨٢ ص٣٦

يكونوا مثلنا. فقال: انفُذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعُهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً خيرٌ لك من أن يكون لك حُمْرُ النِّعَمْ».[١]

ومنها ما رواه الترمذي في قصة وشاية خالد بن الوليد بعلي (عليه السلام) حيث روى عن البراء بن عازب: «**أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث جيشين وأَمَّرَ على أحدهما علي ابن أبي طالب وعلى الآخر خالد بن الوليد، وقال: إذا كان القتال فعليٌّ. قال: فافتتح عليٌّ حصناً فأخذ منه جارية، فكتب معي خالد إلى النبي صلى الله عليه وسلم يشي به! فقدمتُ على النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ الكتاب فتغيّر لونه! ثم قال: ما ترى في رجلٍ يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله؟ قلتُ: أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله، وإنما أنا رسول! فسكت**».[٢]

ومنها ما رواه ابن ماجة عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: «**كان أبو ليلى يسمر مع علي، فكان يلبس ثياب الصيف في الشتاء وثياب الشتاء في الصيف، فقلنا: لو سألته؟**[٣] **فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إليَّ وأنا أرمدُ العين يوم خيبر، قلتُ: يا رسول الله إني أرمدُ العين! فتفل في عيني ثم قال: اللهم أذهب عنه الحرَّ والبرد. قال: فما وجدتُ حرّاً ولا برداً بعد يومئذ. وقال: لأبعثنَّ رجلاً يحبُّ الله ورسولَه ويحبُّه الله ورسولُه، ليس بفرّار. فتشرَّف له الناس فبعث إلى عليٍّ فأعطاه إياه**».[٤]

---

(١) صحيح البخاري ج٤ ص٢٠ وصحيح مسلم ج٧ ص١٢١ وسنن الترمذي ج٥ ص٣٠٢ ومسند أحمد ابن حنبل ج٥ ص٣٣٣ وغيرها كثير.

(٢) سنن الترمذي ج٣ ص١٢٤

(٣) أي لو سألت علياً (عليه السلام) أنه لماذا يلبس ثياب الصيف في الشتاء وثياب الشتاء في الصيف؟ وكيف لا يصيبه إثر ذلك الحر والبرد؟

(٤) سنن ابن ماجة ج١ ص٤٤

ومنها ما رواه مسلم والترمذي وغيرهما في قصة امتناع سعد بن أبي وقاص من الامتثال لأمر معاوية في سبّ علي (عليه السلام) حيث رُوي عن عامر بن سعد: «**أمر معاوية بن أبي سفيان سعداً فقال: ما منعك أن تسبَّ أبا تراب؟ فقال: أمّا ما ذكرتَ ثلاثاً قالهنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فلن أسبّه، لأَن تكون لي واحدة منهنّ أحبُّ إليَّ من حُمْرِ النَّعَمْ. سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له خَلَّفه في بعض مغازيه فقال له علي: يا رسول الله؛ خلَّفتني مع النساء والصبيان؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي؟ وسمعته يقول يوم خيبر: لأُعطيَنَّ الراية رجلاً يحبُّ الله ورسولَه ويحبُّهُ اللهُ ورسولُه. قال: فتطاولنا لها فقال: ادعوا لي عليّاً. فأُتيَ به أرمَدَ فبصق في عينه ودفع الراية إليه ففتح الله عليه. ولمّا نزلت هذه الآية: فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ.. الآية؛ دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليّاً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: اللهم هؤلاء أهلي**».[1]

فهذه الأحاديث التي تنصّ على أن عليّاً عليه السلام «**يحبّه الله ورسوله**» هي التي تجانس ذلك الحديث الذي فيه النصّ: «**أخبروه أن الله يحبه**»، فلا محيص من القطع بأنه علي (عليه السلام) لا غير، ومن يكون سواه الذي تتحرّج عائشة من ذكر اسمه وتبغي إطفاء نوره؟! وقد قال تعالى: «**يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**».[2]

وإنْ أردتَ شاهداً أصرح من هذا في أن عائشة لم تكن تطيق ذكر أمير المؤمنين (عليه السلام) بخير؛ فإليك هذا الشاهد.

---

(١) صحيح مسلم ج٧ ص١٢٠ وسنن الترمذي ج٥ ص٣٠٢ وغيرهما كثير.

(٢) التوبة: ٣٢

روى البخاري ومسلم بسندهما عن عبيد الله بن عبد الله قال: «**قالت عائشة: لما ثَقُل النبي صلى الله عليه وسلم واشتدّ وجعُه؛ استأذن أزواجه أن يُمرَّضَ في بيتي، فأَذِنَّ له، فخرج بين رَجُليْن تَخُطُّ رِجلاه الأرض، وكان بين العباس ورجلٍ آخر! قال عبيد الله: فذكرتُ ذلك لابن عباس ما قالت عائشة، فقال لي: وهل تدري مَن الرجل الذي لم تُسَمِّ عائشة؟ قلتُ: لا. قال: هو علي بن أبي طالب**»![1]

استعملت عائشة الأسلوب نفسه، فأبهمت اسم علي (عليه السلام) في هذا الحديث قائلةً: «**وكان بين العباس ورجلٍ آخر**»! وحين توجّه **عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود** إلى عبد الله بن عباس وحدّثه بالحديث؛ كشف له الأخير أن الرجل الآخر ليس إلا علي ابن أبي طالب عليهما السلام!

ولئن خانت عائشة الأمانة ههنا فأبهمت اسم الرجل الآخر؛ فقد خانها أيضاً البخاري ومسلم إذ إنهما أوقفا تدوين الحديث في صحيحيهما عند حدّ قول ابن عباس: «**هو علي بن أبي طالب**» ولم يُتِمّاه ليُعرف تفسير ابن عباس لما فعلته عائشة! وما ذلك إلا لأن في تفسيره هذا إدانة صريحة لعائشة في أنها كانت تبغض علياً (عليه السلام) ولا تطيب نفسها له بخير!

فما هي تتمة الحديث وأين نجدها؟ والجواب أنّا نجدها في شرح صحيح البخاري لابن حجر وفي غيره من المصادر التي روت تمام هذا الحديث دون بتر ذيله.

قال ابن حجر في شرح هذا الحديث: «**زاد الإسماعيلي من رواية عبد الرزاق عن مَعْمَر: ولكنّ عائشة لا تطيب نفساً له بخير! ولابن إسحاق في المغازي عن الزهري: ولكنها لا تقدر على أن تذكره بخير**»![2]

---

(١) صحيح البخاري ج١ ص١٦٢ وصحيح مسلم ج٢ ص٢٢

(٢) فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ج٢ ص١٣١، وأتبعه بردّ على مَن أنكر =

وروى ابن سعد بسنده عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عائشة قالت: «**لما ثَقُلَ النبي صلى الله عليه وسلم واشتدّ وجعُه؛ استأذن أزواجه في أن يُمَرَّضَ في بيتي، فأَذِنَّ له، فخرج بين رَجُلَيْن تَخطُّ رِجلاه في الأرض، بين ابن عباس – تعني الفضل – ورجلٍ آخر! قال عبيد الله: فأخبرتُ ابن عباس بما قالت، قال: فهل تدري مَن الرجل الآخر الذي لم تُسَمِّ عائشة؟ قال: قلتُ: لا. قال ابن عباس: هو علي! إن عائشة لا تطيب له نفساً بخير**»![1]

وروى الطبري بسنده عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عائشة قالت: «**رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من البقيع فوجدني وأنا أجد صداعاً في رأسي وأنا أقول: وا رأساه! قال: بل أنا والله يا عائشة وا رأساه! ثم قال: ما ضرَّكِ لو متِّ قبلي فقمتُ عليكِ وكفّنتكِ وصلّيتُ عليكِ ودفنتكِ؟ فقلتُ: والله لكأني بك لو فعلتَ ذلك رجعتَ إلى بيتي فأعرستَ ببعض نسائك! قالت: فتبسّمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وتنامَ به وجعه وهو يدور على نسائه، حتى استعزّ به وهو في بيت ميمونة، فدعا نساءه فاستأذنهنّ أن يُمَرَّضَ في بيتي، فأَذِنَّ له، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بين رَجُلَيْن من أهله أحدهما الفضل بن العباس ورجلٌ آخر! تخطُّ قدماه الأرض، عاصباً رأسه، حتى دخل بيتي. قال عبيد الله: فحدّثتُ هذا الحديث عنها عبد الله بن عباس فقال: هل تدري مَن الرجل؟ قلتُ: لا. قال: علي بن أبي طالب! ولكنها كانت لا تقدر على أن تذكره بخير وهي تستطيع**»![2]

= هذه الزيادة فقال: «**ولم يقف الكرماني على هذه الزيادة فعبّر عنها بعبارة شنيعة، وفي هذا ردّ على من تنطّع فقال: لا يجوز أن يُظَنَّ ذلك بعائشة**»!

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص٢٣٢

(٢) تاريخ الطبري ج٢ ص٤٣٣

وروى أحمد بن حنبل بسنده عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عائشة قالت: «**أول ما اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت ميمونة، فاستأذن أزواجه أن يُمَرَّضَ في بيتها، فأَذِنَّ له. قالت: فخرج ويدٌ له على الفضل بن عباس ويدٌ له على رجلٍ آخر! وهو يخطُّ برِجليْه في الأرض. قال عُبيد الله: فحدَّثتُ به ابن عباس فقال: أَتدرونَ مَن الرجل الآخر الذي لم تُسَمِّ عائشة؟ هو علي! ولكن عائشة لا تطيب له نفساً**»![1]

فها أنتَ ترى أن الحديث هو الحديث، والراوي هو الراوي، والمروي عنه هو المروي عنه، والمراجَع هو المراجَع.. ومع ذلك يتعمّد البخاري ومسلم ومن لفّ لفّهما بتر ذيل الحديث حتى لا تقع أعين الناس على قول ابن عباس في عائشة أنها كانت لا تطيب نفساً لعلي بخير! فيعرف الناس حقيقة أن هذه المرأة كانت ناصبية تبغض وصي رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتتحاشى ذكر اسمه الشريف وتتعمّد دفن فضائله ومناقبه!

إنها لم تكن تقدر على أن تذكر عليّاً (عليه السلام) بخير، ولم تكن تريد له الخير، ولا تطيب نفسها له بخير، وإنما الذي تقدر عليه وترمي به عليه هو الشرّ وحده!

● **الصورة الرابعة**: معلومٌ أن عليّاً (عليه السلام) كان مختصّاً بتلقي علوم الوحي من رسول الله (صلى الله عليه وآله) بأمر الله تعالى، فإن الله تعالى هو الذي أمر نبيّه بأن يخصّ عليّاً بذلك، حيث قال النبي (صلى الله عليه وآله) لعلي عليه السلام: «**إن الله أمرني أن أعلّمك ولا أجفوك، وأن أدنيك ولا أقصيك، فحقٌّ عليَّ أن أعلّمك، وحقٌّ عليكَ أن تعي**».[2]

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص٢٢٨ وقد نصّ الألباني على صحّته في إرواء الغليل ج١ ص١٧٨

(٢) مسند البزار ج٥ ص٢٩١ وتفسير الطبري ج٢٩ ص٦٩ وذكر أنه نزلت بعدئذ: «**وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ**». الحاقة: ١٣

وهكذا كان النبي والوصي (عليهما وآلهما السلام) يقضيان أوقاتاً خاصة يجتمعان فيها لهذا الغرض، حيث لا بدّ للنبي من أن ينقل ما لديه من علم وحكمة إلى الوصي، حتى قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**علّمني رسول الله صلى الله عليه وآله ألف باب من العلم، واستنبطتُ من كل باب ألف باب**»![1] ثم وقف النبي (صلى الله عليه وآله) معلناً: «**أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم فيأتِ الباب**».[2]

إلا أن عائشة كانت تستشيط غضباً من إدناء رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأمير المؤمنين (عليه السلام) وكثرة اختلائه به ومناجاته وهما على هذه الحال، ولم تكن تتحمّل أن يكون علي (عليه السلام) الذي تبغضه وتمقته هو المختصّ بعلوم النبوة والرسالة، إذ كانت تريد تلك الحظوة وذلك الاختصاص لأبيها دونه!

لذا كانت الحميراء - ما إن ترى النبي والوصي (عليهما وآلهما السلام) يتناجيان معاً - تتعمّد أن تفسد اجتماعهما بأن تحشر أنفها وسطهما وتقطع حديثهما حتى لا يظل علي (عليه السلام) متلقّياً لأسرار العلوم من رسول الله صلى الله عليه وآله.

وفي إحدى تصرّفاتها الطائشة خرجت الحميراء من البيت ودخلت بين النبي والوصي (عليهما وآلهما السلام) بينما كانا يسيران في الطريق! الأمر الذي أغضب النبي صلى الله عليه وآله.

روى اللمعاني حديث مسايرة رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأمير المؤمنين (عليه السلام) في بعض الطريق، فقال: «**إنه سايره يوماً وأطال مناجاته، فجاءت** (عائشة) **وهي**

---

(١) تفسير الرازي ج٨ ص٢١ وغيره في معناه كثير.

(٢) مستدرك الحاكم ج٣ ص١٢٦ وغيره كثير.

سائرة خلفهما حتى دخلت بينهما! وقالت: فيمَ أنتما فقد أطلتما! فيُقال: إن رسول الله صلى الله عليه وآله غضب ذلك اليوم»![1]

ولا يخفى أن خروج المرأة من بيتها ودخولها بهذه الطريقة الفجّة بين زوجها ورجل آخر يناجيه في الطريق.. هو أمر لا يدلّ إلا على قلة حيائها ودناءة أخلاقها! ولم يكن باعثها على فعله إلا كرهها لعلي بن أبي طالب عليهما السلام! فلو أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان يناجي غيره لما حرّكت ساكناً!

● **الصورة الخامسة:** ما إن استشهد النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) واستولى أبو بكر على الحكم حتى استطالت عائشة وتفرعنت على علي والزهراء صلوات الله عليهما! فكانت تفرغ عليهما دلاء الحقد والشتيمة والتشفّي بعدما أضحت ابنة سلطان ذلك الوقت الذي بدأ حكمه بظلم وقهر بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله! فكان ذلك مثار سرور عائشة أن غُصبت الزهراء (عليها السلام) إرثها!

روى اللمعاني في توصيف الحالة التي كانت بين علي وفاطمة (عليهما السلام) من جانب وعائشة من جانب آخر: «**وكان يبلغه وفاطمة عنها كل ما يكرهانه منذ مات رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أن توفيت فاطمة! وهما صابران على مضض ورمض.**[2] **واستظهرت بولاية أبيها، واستطالت وعظم شأنها، وانخذل علي وفاطمة وقُهِرا، وأُخِذت فدك، وخرجت فاطمة تجادل في ذلك مراراً فلم تظفر بشيء، وفي ذلك تبلغها النساء والداخلات والخارجات عن عائشة كل كلام يسوؤها»!**[3]

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج٩ ص١٩٥ عن اللمعاني.

(٢) الرمض: شدة الغيظ.

(٣) شرح النهج لابن أبي الحديد ج٩ ص١٩٨ عن اللمعاني.

وهكذا استمرّت الحميراء تؤذي الزهراء (صلوات الله عليها) بكل كلام يسوؤها إلى آخر أيام حياتها، ولّما استشهدت مظلومة مقهورة كان ذلك سبباً لفرحة غمرت عائشة حتى أخمص قدميها! فلم تشترك في العزاء متصنّعة المرض، ثم بانت حقيقة مشاعرها بأن بلغ عليّاً (عليه السلام) عنها كلام يدلّ على السرور!

قال اللمعاني: «**ثم ماتت فاطمة، فجاء نساء رسول الله صلى الله عليه وآله كلهنَّ إلى بني هاشم في العزاء إلا عائشة! فإنها لم تأتِ وأظهرت مرضاً، ونُقِل إلى علي عليه السلام عنها كلام يدل على السرور**»![1]

هذه هي عائشة! امرأة ليس لها إحساس كسائر بني البشر! امرأة قلبها من حجر! تُسَرُّ وتفرح باستشهاد سيدة نساء العالمين (صلوات الله عليها) كما سُرَّت وفرحت من قبل حين مات إبراهيم بن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأبطنت شماتة وإن أظهرت كآبة! ولم يكن سرورها وفرحها آنذاك إلا لأن إبراهيم (عليه السلام) كان قرة عين رسول الله وعلي وفاطمة ومارية صلوات الله عليهم!

قال اللمعاني في بيان دور علي (عليه السلام) في تبرئة مارية (عليها السلام) أن ذلك «**مما كان يوغر صدر عائشة عليه ويؤكد ما في نفسها منه! ثم مات إبراهيم فأبطنت شماتة وإن أظهرت كآبة! ووجم علي عليه السلام من ذلك وكذلك فاطمة**»![2]

أ فهل تجد نظيراً لامرأة حاقدة خسيسة مثل هذه؟!

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه ج٩ ص١٩٥

● **الصورة السادسة:** صرّحت عائشة بأنها لا تحبّ عليّاً (عليه السلام) أبداً! فقد نقمت عليه أنه أشار على رسول الله (صلى الله عليه وآله) بسؤال جاريتها بريرة عن شأنها حسب روايتها عمّا رُمِيَت به، فاعتبرت ذلك شكّاً فيها وكان مثار نقمتها المزعومة!

روى ابن عقدة أن عائشة قالت: «**لا أحب عليّاً أبدا! أليس هو الذي خلا وصاحبه بجاريتي يسألانها عني**»؟![1]

أقول: إن المهم تصريحها بأنها لا تحبّ أمير المؤمنين (عليه السلام أبداً، وليس بعد هذا التصريح منها كلام في نصبها!

● **الصورة السابعة:** كانت عائشة تبتهج وتحثّ على الابتهاج قبيل نشوب الحرب بينها وبين الإمام (عليه السلام) كنوع من التفاؤل بقرب انتصارها عليه! وقد حكى المؤرّخون كيف أنها أرسلت إلى أختها حفصة كتاباً شبّهت فيه حال علي (عليه السلام) بحال الفرس الأشفر الذي إن تقدَّمَ عُقِر وإن تأخَّرَ نُحِر! فتلقَّت حفصة الكتاب مسرورة وأقامت حفلاً غنائياً بهذه المناسبة في المدينة! كل هذا يُنبئ عن حجم الحقد المتأصل في نفوس هاتين المرأتين الخبيثتيْن على آل النبوة عليهم السلام.

روى أبو مخنف الكوفي: «**لمّا نزل علي ذا قار؛ كتبت عائشة إلى حفصة بنت عمر: أما بعد؛ فإني أخبرك أن عليا قد نزل ذاقار، وأقام به مرعوباً خائفاً لما بلغه من عدّتنا وجماعتنا! فهو بمنزلة الأشفر إن تقدم عُقر وأن تأخر نُحر! فدعت حفصة جواري لها يتغنّين ويضربن بالدفوف، فأمرتهن أن يقلن في غنائهن: ما الخبر؟ ما الخبر؟ علي في السفر! كالفرس الأشفر! إن تقدم عُقر! وإن تأخر نُحر! وجعلت بنات الطلقاء يدخلن على حفصة ويجتمعن لسماع ذلك الغناء! فبلغ أم كلثوم بنت علي، فلبست جلابيبها ودخلت عليهن في نسوة متنكّرات، ثم**

---

(١) الجمل للمفيد ص٢٢٦ عن ابن عقدة، وتعني بصاحبه رسول الله صلى الله عليه وآله!

أسفرت عن وجهها، فلـمّا عرفتها حفصة خجلت واسترجعت! فقالت أم كلثوم: لئت تظاهرتما عليه منذ اليوم لقد تظاهرتما على أخيه من قبل فأنزل الله فيكما ما أنزل! فقالت حفصة: كفّي رحمكِ الله! وأمرت بالكتاب فمُزِّقَ واستغفرت الله»![1]

لقد كانت الحمقاء عائشة تظنّ أن نزول أمير المؤمنين (عليه السلام) في ذي قار دليل على خوفه وأنه قد هاب عدّتها وجماعتها! فكتبت هذا الكتاب الذي يدلّ على توقها لهزيمته ومقتله كما يُقتل الفرس الأشفر! لقد كانت تعدّ الأيام والليالي لترى دماء علي تُسفك وتجري! وكذلك كانت أختها منظمة الحفلات الغنائية.. حفصة!

● **الصورة الثامنة:** كانت عائشة تقرّب إليها من هم أشد الناس عداوة لعلي بن أبي طالب عليهما السلام، وكانت تلتمس هؤلاء لتبعث معهم برسائلها إليه في مجريات معركة الجمل وهي تحرّضهم عليه بأنه ساحر والعياذ بالله!

روى الصفار والقطب الراوندي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «**إن عائشة قالت: التمسوا لي رجلاً شديد العداوة لهذا الرجل - تعني عليا عليه السلام - فأُتِيَت برجل، فمَثُل بين يديها، فرفعت رأسها، فقالت: ما بلغ من عداوتك لهذا الرجل؟ قال: كثيراً ما أتمنّى على ربّي أنه وأصحابه في وسطي فضربتُ ضربةً بالسيف فسبق السيف الدم![2] قالت: فأنت لها! فاذهب بكتابي هذا إليه، فادفعه إليه ظاعناً[3] رأيته أو مقيماً، أما إنك إن رأيته راكباً رأيتَه**

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج٢ ص١٥٧، والدر النظيم ليوسف بن حاتم الشامي ص١١٤

(٢) أي أنه يتمنّى لو كانوا مشدودين في وسطه فيضرب ضربة يسبق فيها السيف الدم كناية عن السرعة والنفاذ، فيكون في تلك الضربة هلاكهم وهلاكه معاً لأنهم في وسطه. وهذا تعبير منه عن شدة بغضه وعداوته لعلي (عليه السلام) وأصحابه بحيث أنه لا يكترث بأن يموت وتزهق نفسه ما دام في ذلك قتلهم.

(٣) ظاعناً: راكباً أو سائراً.

على بغلة رسول متنكّباً قوسه، معلّقاً كنانته بقربوس سرجه،[١] وأصحابه خلفه كأنهم طير صوافٌّ. وإنْ عرض عليك طعامه وشرابه فلا تنالنَّ منه، فإن فيه السحر! فمضى واستقبله راكباً، فناوله الكتاب، ففضَّ خاتمه. ثم قال عليه السلام: تبلغ إلى منزلنا فتصيب من طعامنا وشرابنا ونكتب جواب كتابك. فقال: هذا والله ما لا يكون! فثنى رجله فنزل، وأحدق به أصحابه. ثم قال له: أسألك؟ قال: نعم. قال: وتجيبني؟ قال: نعم. قال: أنشدك الله؛ أَ قالت: التمسوا لي رجلاً شديد العداوة لهذا الرجل؛ فأوتِيَت بك فقالت لك: ما مبلغ عداوتك لذلك الرجل؟ فقلتَ: كثيراً ما أتمنى على ربّي أنه وأصحابه في وسطي وأني ضربتُ ضربةً بالسيف سبق السيف الدم؟ قال: اللهم نعم! قال: فأنشدك الله؛ أَ قالت لك: اذهب بكتابي هذا فادفعه إليه ظاعناً كان أو مقيماً، أما إنك إن رأيتَه ظاعناً رأيته راكباً على بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله متنكّباً قوسه معلّقاً كنانته بقربوس سرجه وأصحابه خلفه كأنهم طير صواف؟ قال: اللهم نعم! قال: فأنشدك الله؛ هل قالت لك: إن عرض عليك طعامه وشرابه فلا تنالنَّ منه فإن فيه السحر؟ قال: اللهم نعم! قال: فمبلِّغٌ أنتَ عني؟ قال: اللهم نعم، فإني أتيتك وما في الأرض خلقٌ أبغض إليَّ منك، وأما الساعة ما في الأرض خلقٌ أحبُّ إليَّ منك! فمُرني بما شئت. فقال: ادفع إليها كتابي هذا وقل لها: ما أطعتِ الله ولا رسوله حيث أمركِ بلزوم بيتك، فخرجتِ تردّدين في العساكر. وقل لهما - يعني طلحة والزبير -: ما أنصفتما الله ورسوله حيث خلّفتما حلائلكما في بيوتكما وأخرجتما حليلة رسول الله صلى الله عليه وآله. فجاء بكتابه إليها حتى طرحه إليها، وأبلغها مقالته، وإليهما كلامه، ثم رجع إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فأصيب بصفّين. فقالت: ما نبعث إليه والله بأحدٍ إلا أفسده علينا»![٢]

---

(١) قربوس السرج: ذلك الجزء المقوّس المرتفع منه من قدّام المقعد ومؤخّره، فهما اثنان، وكان الراكب يعلّق عليه الأشياء.

(٢) بصائر الدرجات للصفار ص٢٦٣ والخرائج والجرائح للراوندي ج٢ ص٧٢٣

أقول: إن اتهامها أمير المؤمنين (عليه السلام) بالسحر هو مضاهاة لاتهام المشركين رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالسحر كذلك! وتلك هي نزعة أهل الباطل في بهت أهل الحق والافتراء عليهم لئلّا ينقاد إليهم الناس.

• **الصورة التاسعة: قد** مرّت عليك أرجوزة **عوف بن قَطَن** (لعنه الله) التي كان ينشدها وهو آخذ بخطام الجمل حيث يقول مخاطباً أمه الحميراء:

يا أُمِّ يا أُمِّ خلا منّي الوطنْ ... لا أبتغي القبرَ ولا أبغي الكفنْ!

من ههنا محشرُ عوف بن قَطَنْ ... إنْ فاتَنا اليومَ عليٌّ فالغَبَنْ!

أو فاتَنا ابناهُ حُسينٌ وحسنْ ... إذن أَمُتْ بطولِ همٍّ وحَزَنْ![1]

وكونه آخذا بخطام الجمل معناه أنه لم تكن بينه وبين صاحبته عائشة إلا خطوة أو خطوتان على الأكثر، أي أنه كان على مقربة منها، تراه ويراها، وتسمعه ويسمعها، ومع ذا لم تنهره ولم تنكر عليه قوله هذا ولم تقل له مثلاً: «ويلك! كيف تتوعّد بالقتل عليّاً وهو ابن عمّ رسول الله! وكيف تتمنى أن لا يفوتك ذبح الحسن والحسين وهما سبطا رسول الله! إنما جئنا للطلب بثأر عثمان وللإصلاح لا لقتل علي وأهل بيت النبي»!

وسكوتها عن هذا الزنيم يؤكد أنها كانت ترتضي ما يقوله وتستأنس به، أي أنها كانت تتمنى في قرارة نفسها أن يتحقق ما في هذه الأبيات فترى رؤوس علي والحسن والحسين (عليهم السلام) مقطوعة أمامها! وهذا ما يؤكد أنها كانت تكنّ النُّصب والعداء لأهل هذا البيت! وإلا هل من تفسير آخر لسكوتها المطبق هذا ولتسليمها خطام جملها إلى هذا اللعين الذي كان يصيح في الحرب: «**ليس لعثمان ثارٌ إلا علي بن أبي طالب ووُلدُه**»؟!

---

(١) راجع ص٦٤٨ من هذا الكتاب.

• **الصورة العاشرة**: قد مضى في ما تقدّم أن عائشة كانت رأس المحرّضين جُندها على القتال أثناء حرب الجمل، فهي التي زجّت إلى القتال حتى الذين تورّعوا منهم عنه في بادئ الأمر، كأبي رجاء الذي تقدّم ذكره،[1] والذي كان يستعظم سفك الدماء ويتجنّب الخوض في الحروب، ويضرب مثلاً تورّع أهل الجاهلية عن الحرب في الأشهر الحُرُم ونزعهم أسنّتهم فيها من رماحهم، إلا أنه مع ذلك حين رأى عائشة على الهودج فُتِنَ بها ولم يتمالك نفسه فاندفع للقتال برمي الأسهم!

روى ابن شبة عن أبي رجاء «**أنه ذكر الدماء فعظّمها وقال: كان أهل الجاهلية إذا دخل الشهر الحرام نزع أحدهم سِنانه من رمحه وجعلها في علوم النساء، ويقولون: جاء مُنَصِّلُ الأسِنَّة. ثم والله لقد رأيتُ هودج عائشة يوم الجمل كأنه قنفذ! فقيل له: قاتلتَ يومئذ؟ قال: لقد رميتُ بأسهم! فقيل له: كيف ذلك وأنت تقول ما تقول؟! فقال: ما كان إلا أن رأيْنا أم المؤمنين فما تمالكْنا**»![2]

هكذا فتنت عائشة الناس وزّجت بهم إلى الحرب الأهلية، حتى بأولئك الذين كانوا يتورّعون عن الخوض فيها ويستعظمون سفك الدماء ويتجنّبون المشاركة في القتل والضراب.

وبعد أيام من القتال المتواصل؛ رأت عائشة أن جُندها بدأوا يتململون من الحرب، وأن أعلام الهزيمة والانكسار بدأت تلوح أمام نواظرهم وضعفوا إثر ذلك عن القتال، فأدركت حينها أن حسم هذه المعركة بانتصارها لن يكون إلا بقطع شيء واحد هو: **رأس علي عليه السلام!** ولهذا أعلنت عن جائزة مالية يسيل لها اللعاب لمن يأتيها برأسه! «**فأخرجت يدها من**

---

(١) راجع ص٦٢٤ من هذا الكتاب.

(٢) فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر ج٨ ص٧١ عن أخبار البصرة لعمر بن شبة.

الهودج تحمل بَدْرةً من الدنانير، ونادت بأعلى صوتها: من يأتيني برأس الأصلع وله هذه البَدْرة؟! فضجّ العسكر ضجة واحدة وأمعن في قتال ذريع»![١]

وتعني الحميراء بالأصلع عليّاً عليه السلام، إذ قد عُرِف بهذه الصفة من كثرة لبسه خوذة الحرب على رأسه الشريف.[٢]

والبَدْرة كما يقول ابن منظور: «**كيس فيه ألف أو عشرة آلاف، سُمِّيَت ببَدْرة السخلة، والجمع البدور**».[٣] والمقصود أن فيه ألف دينار أو عشرة آلاف درهم، وهذا مبلغ ضخم جداً يعادل في زماننا نحو مئة ألف دولار! وذلك بحساب القوة الشرائية للدينار والدرهم في ذلك الزمان، فإن الشاة كانت تُشترى بدينار أو عشرة دراهم، فالألف دينار أو العشرة آلاف درهم يُشترى بها ألف شاة، واليوم فإن الشاة الواحدة ثمنها نحو مئة دولار، فالألف منها ثمنها مئة ألف دولار!

---

(١) سيرة الأئمة عليهم السلام لهاشم معروف الحسني ج١ ص٤٥٦ وسيرة الإمام علي عليه السلام لمحمد حسين الصغير ص٢٦٧

(٢) بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج٣٥ ص٦١، والحق أنه (عليه السلام) لم يكن أصلع بل أنزع، فقد كان شعره منحسراً عن جانبي جبهته، وهذا معنى الأنزع أي الذي ظهرت نزعتاه، والعرب كانت تحب النزع وتتيمّن بالأنزع، وعكسه الغمم والأغمّ الذي كانت العرب تتشاءم به. راجع لسان العرب لابن منظور – مادة نزع.

غير أن أعداء علي (عليه السلام) وصفوه بالأصلع مبالغةً وقصداً لإهانته! مع أنه كانت بينه وبين صدق هذه الصفة مراحل، فإن الذي انحسر شعر رأسه عن جانبي الجبهة يسمى **الأنزع**، فإذا زاد قليلاً فهو **أجلح**، فإذا بلغ النصف ونحوه فهو **أجلى**، ثم إذا زاد عن ذلك فهو **أصلع**. راجع لسان العرب لابن منظور – مادة جله.

وأمير المؤمنين (عليه السلام) إنما كان على الصفة الأولى فحسب، ولم يكن ذلك فيه إلا علامة الحُسن والبهاء.

(٣) لسان العرب لابن منظور – مادة بدر

وهكذا ترتسم الصورة الناصبية الخارجية بأبشع ما تكون، فإن الحميراء تستهدف شخص علي (عليه السلام) لا غير! تريد رأسه! وتضع جائزة مالية ضخمة لمن يحزّ رأس وصي رسول الله (صلى الله عليه وآله) ويأتي بها إليها! وتستحق عائشة بهذا أن تكون سيدة النواصب والخوارج الأولى!

● **الصورة الحادية عشرة**: قد تقدّم في الفصل السابق ما كشفه محمد بن أبي بكر من أن أخته عائشة «**لم يكن لسانها يفتُر من السبّ لعلي**» بعد انتهاء معركة الجمل![1]

كان ذلك حين حمل محمد أخته إلى دار **عبد الله بن خلف الخزاعي** بالبصرة لتمكث فيه ريثما تُعاد إلى المدينة بأمر أمير المؤمنين عليه السلام، فطوال طريقها إلى هناك؛ لم يكن لعائشة تسبيح إلا سب علي بن أبي طالب (عليهما السلام) وسبّ محمد أخوها والترحّم على من قُتِل معها من أصحاب الجمل الملعون!

وحين حلّت الحميراء في تلك الدار؛ اجتمعت مع النسوة الثكلى لعقد مجالس النوح على قتلاهنّ والنيل من علي (عليه السلام) بالسب والشتم والدعاء عليه بالهلاك حتى يصير أبناؤه أيتاماً! كل ذلك كان يجري في محضر عائشة التي صيّرت هؤلاء النسوة لها كلاباً ينبحنَ! فيما خبّأت في ذلك البيت عبد الله بن الزبير ومروان بن الحكم وعبد الله بن عامر وغيرهم من أنصارها ممن نجى من جرحى الجمل. ورغم أن الإمام (صلوات الله عليه) كان عالماً باختبائهم هناك؛ إلا أنه أعرض عن كبسهم وقتلهم تكرّماً.

روى ابن أعثم وابن الأثير واللفظ للأول: «**فدعا علي ببغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستوى عليها، وأقبل إلى منزل عائشة، ثم استأذن ودخل، فإذا عائشة جالسة وحولها نسوة من نساء أهل البصرة وهي تبكي وهُنَّ يبكين معها! قال: ونظرت صفية بنت الحارث**

---

(١) راجع ص٥٣٢ من هذا الكتاب.

الثقفية امرأة عبد الله بن خلف الخزاعي إلى علي فصاحت هي ومَن كان معها هناك من النسوة وقلنَ بأجمعهن: يا قاتل الأحبة! يا مفرّق الجمع! أيتم الله منك بنيك كما أيتمتَ وُلد عبد الله ابن خلف منه! فنظر إليها علي فعرفها فقال: أما إني لا ألومكِ أن تبغضيني وقد قتلتُ جدكِ في يوم بدر! وقتلتُ عمّكِ في يوم أُحُد! وقتلتُ زوجكِ الآن! ولو كنتُ قاتل الأحبة كما تقولين لقتلتُ مَن في هذا البيت ومَن في هذه الدار! قال: فأقبل علي على عائشة فقال: ألا تنحّين كلابكِ هؤلاء عنّي؟! أما إنني قد هممتُ أن أفتح باب هذا البيت فأقتل مَن فيه! ولولا حبي للعافية لأخرجتهم الساعة فضربتُ أعناقهم صبراً! قال: فسكتت عائشة وسكتت النسوة فلم تنطق واحدة منهن! قال: ثم أقبل على عائشة فجعل يوبّخها ويقول: أمركِ الله أن تقرّي في بيتكِ وتحتجبي بستركِ ولا تبرّجي، فعصيتِه وخضتِ الدماء! تقاتليني ظالمةً وتحرّضين عليَّ الناس! وبما شرّفكِ الله وشرّف آباءك من قبلك وسمّاك أم المؤمنين وضرب عليكِ الحجاب؟ قومي الآن فارحلي واختفي في الموضع الذي خلّفكِ فيه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أن يأتيكِ فيه أجلكِ! ثم قام علي فخرج من عندها».(١)

وفي هذا الخبر موارد جديرة بالملاحظة، منها أن قوله عليه السلام: «**ألا تنحّين كلابكِ هؤلاء عنّي**»؟! يدلّ على أن وقاحة هؤلاء النسوة وشتائمهنّ بلغت أمدها، وإلا لم يكن أمير المؤمنين (عليه السلام) ليصفهنّ بالكلاب ويطلب من عائشة التي جعلتهن تنبحن أن تنحيهنّ عنه.

ومنها أن قوله عليه السلام: «**تقاتليني ظالمةً وتحرّضين عليَّ الناس**»! يؤكد أن الحميراء (لعنها الله) كانت تحمل في قلبها غلاً شخصياً له ولذا كانت تحرّض على قتله الناس.

(١) الفتوح لابن أعثم ج٢ ص٤٨٤ والكامل في التاريخ لابن الأثير ج٣ ص٢٥٦

ومنها أن قوله عليه السلام: «**وبما شرّفكِ الله وشرّف آباءك من قبلك وسمّاك أم المؤمنين وضرب عليكِ الحجاب**»؟ فيه تذكير لعائشة بأنها لم تكن شيئاً مذكوراً لولا أن شرّفها الله وشرّف آباءها بأن تزوّجها رسول الله (صلى الله عليه وآله) فسُمِّيَت إثر ذلك بأم المؤمنين وضُرب عليها الحجاب، أي أنها لولا بني هاشم لما كانت لها هذه المنزلة، وبدلاً من أن تشكرهم وتبرّهم فقد عقّتهم فحاربته وحرّضت الناس عليه. وسيأتي هذا المعنى في كلام ابن عباس لها في ما يأتي إن شاء الله تعالى.

ومنها أن قوله عليه السلام: «**قومي الآن فارحلي واختفي في الموضع الذي خلّفكِ فيه رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أن يأتيكِ فيه أجلكِ**»! يفيد ما ذكرناه آنفاً من أن عائشة لا يؤمَن جانبها في الشر وإيقاع الفساد في الأرض، ولذا فإنه لا علاج لها إلا أن (تختفي) حيث خلّفها النبي (صلى الله عليه وآله) إلى أن يأتي أجلها فيه وتهلك! أي أنه لا بد من حبسها وتقييد إقامتها جبراً، وإلا عاثت فساداً وخاضت دماءً.

والمهم في هذه الصورة هو أن عائشة لم تكتفِ بسبّ أمير المؤمنين (عليه السلام) بل دفعت الأخريات إلى ذلك أيضاً في مجالسها! وقد مرّ عليك في الفصل السابق أنها كانت مشهورة باللسان القذر الذي يكيل سباباً للناس.

ولو أنّا أرجعنا سبّ عائشة لأمير المؤمنين (عليه السلام) إلى حكم رسول الله (صلى الله عليه وآله) لخلصنا إلى أنها بذلك قد خرجت عن الإسلام واستحقت القتل! ذلك لأنه (صلى الله عليه وآله) قال في الحديث الصحيح: «**من سبّ عليّاً فقد سبّني، ومن سبّني فقد سبَّ الله تعالى**».[1]

---

(١) مستدرك الحاكم ج٣ ص١٢١ ومسند أحمد بن حنبل ج٦ ص٣٢٣ كلاهما عن أم سلمة رضوان الله تعالى عليها، وسنن النسائي ج٥ ص١٣٣ عنها وعن بريدة الأسلمي رضوان الله تعالى عليه، وغيرها كثير. وقد =

ومعلومٌ أن السابّ لله تعالى ولرسوله (صلى الله عليه وآله) يكون مهدور الدم ومحكوماً بالارتداد، وحيث أن سبّ علي (عليه السلام) هو سبّ لله ولرسوله صلى الله عليه وآله؛ فتكون عائشة وصويحباتها وكذا كل من ثبت أنه سبّه وتنقّصه ووقع فيه - كعبد الله بن الزبير كما سيأتي - مرتدّاً كافراً قد استوجب القتل.

● **الصورة الثانية عشرة:** لم تعترف عائشة بعلي (عليه السلام) أميراً للمؤمنين وخليفة شرعياً! بل اعتبرته سالباً لدين الناس! ثم صرّحت بعداوتها له ولبني هاشم أجمع وأن أبغض البلدان إليها هو البلد الذي يقطنون فيه!

روى الشيخ الطوسي بسنده عن موسى بن عبد الله الأسدي قال: «**لمّا انهزم أهل البصرة؛ أمر علي بن أبي طالب عليه السلام أن تنزل عائشة قصر أبي خلف، فلمّا نزلت جاءها عمار ابن ياسر رضي الله عنه فقال لها: يا أُمَّه كيف رأيتِ ضرب بنيك دون دينهم بالسيف؟ فقالت: استبصرت يا عمار من أجل أنك غلبتَ! قال: أنا أشد استبصاراً من ذلك، أما والله لو ضربتمونا حتى تبلغونا سَعْفات هَجَر لعلمنا أنّا على الحق وأنكم على الباطل! فقالت له عائشة: هكذا يُخيَّل إليك! اتّقِ الله يا عمار! فإن سنّك قد كبرت، ودقَّ عظمك، وفنى أجلك، وأذهبتَ دينك لابن أبي طالب! فقال عمار رحمه الله: إني والله اخترتُ لنفسي في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، فرأيتُ علياً أقرأهم لكتاب الله عز وجل، وأعلمهم بتأويله، وأشدّهم تعظيماً لحرمته، وأعرفهم بالسنة، مع قرابته من رسول الله صلى الله عليه وآله، وعِظَمِ عنائه وبلائه في الإسلام. فسكتت**».[1]

= نصّ على صّحته الذهبي في التلخيص والهيثمي في مجمع الزوائد والسيوطي في الجامع الصغير والألباني في صحيحته برقم ٣٣٣٢

(١) أمالي الطوسي ص١٤٣ ورواه ما يقرب منه عن الواقدي في الاقتصاد ص٢٢٨، وقول عمار عليه =

ومحل الشاهد قولها له: «**أذهبتَ دينك لابن أبي طالب**»! فإنه ينطوي على اتهام لأمير المؤمنين (عليه السلام) بأنه يستلب دين الناس! وأما قولها: «**هكذا يُخيَّل إليك**»! فهو يُنبئ عن إصرارها على الغي، وأنها رغم ما اهريق من دماء بسببها ما زالت تعاند بأنها على حق!

والذي دار بين ابن عباس وعائشة من كلام إثر واقعة الجمل يكشف اللثام عن حقيقة ما تكنّه المرأة تجاه علي وأهل بيت النبوة (صلوات الله عليهم) من البغض والنُّصب.

روى ابن عبد ربّه الأندلسي عن عكرمة عن ابن عباس قال: «**لمّا انقضى أمر الجمل؛ دعا علي بن أبي طالب بآجرتين فعلاهما، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا أنصار المرأة وأصحاب البهيمة! رغا فجئتم! وعُقِرَ فهُزِمتم! نزلتم شرّ بلاد، أبعدها من السماء، بها مغيض كل ماء، ولها شر أسماء، هي البصرة والبُصيرة والمؤتفكة وتدمر. أين ابن عباس؟ قال: فدُعيت له من كل ناحية، فأقبلتُ إليه، فقال: ائت هذه المرأة، فلترجع إلى بيتها الذي أمرها الله أن تقرَّ فيه. قال: فجئتُ فاستأذنتُ عليها فلم تأذن لي، فدخلت بلا إذن! ومددتُ يدي إلى وسادة في البيت فجلستُ عليها. فقالت: تالله يابن عباس ما رأيتُ مثلك! تدخل بيتنا بلا إذننا وتجلس على وسادتنا بغير أمرنا! فقلتُ: والله ما هو بيتكِ! ولا بيتكِ إلا الذي أمركِ الله أن تقرّي فيه فلم تفعلي! إن أمير المؤمنين يأمرك أن ترجعي إلى بلدك الذي خرجت منه. قالت: رحم الله أمير المؤمنين! ذاك عمر بن الخطاب! قلت: نعم، وهذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. قالت: أبيتُ أبيتُ! قلت: ما كان إباوك إلا فُواق ناقةٍ بكيئةٍ ثم صرتِ ما تُحلِّين ولا تُمرّين ولا تأمرين**

= الرضوان: «**والله لو ضربتمونا حتى تبلغونا سَعْفات هَجَر لعلمنا أنّا على الحق وأنكم على الباطل**» مشهور رواه المحدّثون والمؤرّخون عنه في الجمل وصفين حتى صار مثلاً. والسعفات هي جرائد النخل ما دامت بالخوص، وقد اشتهرت بها هجر أي الإحساء وناحية البحرين، والمراد أنكم حتى لو ظهرتم علينا في القتال حتى أبعدتمونا إلى أبعد مسافة فلن يتغير اعتقادنا بأنّا على حق وأنكم على باطل وأنّ قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار.

ولا تنهين![(١)] **قال: فبكتْ حتى علا نشيجها، ثم قالت: نعم، أرجع؛ فإن أبغض البلدان إلي بلدٌ أنتم فيه! قلتُ: أما والله ما كان ذلك جزاؤنا منكِ إذ جعلناكِ للمؤمنين أُمّاً وجعلنا أباكِ لهم صدِّيقاً! قالت: أَتمنُّ في برسول الله يابن عباس؟ قلت: نعم، نمنُّ عليكِ بمن لو كان منكِ بمنزلته منّا لمننتِ به علينا. قال ابن عباس: فأتيتُ علياً فأخبرته، فقبَّلَ بين عينيّ وقال: بأبي ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ».**[(٢)]

وروى ابن أعثم: «**ثم دعا علي رضي الله عنه بعبد الله بن عباس فقال له: اذهب إلى عائشة فقُل لها أن ترتحل إلى المدينة كما جاءت ولا تقيم بالبصرة. فأقبل إلى عائشة فاستأذن عليها، فأبت أن تأذن له، فدخل عبد الله بغير إذن! ثم التفتَ فإذا راحلةٌ عليها وسائد، فأخذ منها وسادةً وطرحها، ثم جلس عليها. فقالت عائشة: يابن عباس! أخطأت السنة! دخلتَ منزلي بغير إذني! فقال ابن عباس: لو كنتِ في منزلك الذي خلَّفَكِ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخلتُ عليكِ إلا بإذنكِ، وذلك المنزل الذي أمرك الله عزَّ وجل أن تقرّي فيه فخرجتِ منه عاصيةً لله عزَّ وجلّ ولرسوله محمد صلى الله عليه وسلم. وبعد؛ فهذا أمير المؤمنين يأمرك بالارتحال إلى المدينة فارتحلي ولا تعصي، فقالت عائشة: رحِمَ الله أمير المؤمنين! ذاك عمر بن الخطاب! فقال ابن عباس: وهذا والله أمير المؤمنين وإن رغمت له الأنوف**

---

(١) **فُواق ناقة بكيئة**: ما بين حلْبتيْن لناقة قلّ لبنها، والمراد أن رفضك وإبائك الاعتراف بكون علي (عليه السلام) أميراً للمؤمنين لم يدم إلا فترة قصيرة حيث حاولتِ إسقاط خلافته في الجمل إلا أنك فشلتِ وهُزِمتِ وتثبّت علي (عليه السلام) خليفةً رغما عن أنفكِ! ثم صرتِ بعد ذلك «**ما تُحلّين**» أي لا تُطاعين في حلو، «**ولا تُمرّين**» أي لا تُطاعين في مُرٌّ «**ولا تأمرين ولا تنهين**» فلا أحد يطيعك بعد الآن بعدما صرتِ خائبةً خاسرة! وقد فهمت عائشة هذا المعنى المؤلم من ابن عباس ولذا «**بكتْ حتى علا نشيجها**».

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربّه الأندلسي ج٤ ص٣٢٩ ونحوه في مروج الذهب للمسعودي ج٥ ص١٩٧ وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص١٨٣، ولا يخفى أن ما في الخبر من تقبيل الأمير (عليه السلام) لابن عباس مستبعد.

وأربدت له الوجوه! فقالت عائشة: أبيْتُ ذلك عليكم يابن عباس! فقال ابن عباس: لقد كانت أيامكِ قصيرة المدة ظاهرة الشؤم بيِّنَةَ النكد! وما كنتِ في أيامك إلا كقَدْرِ حلب شاة حتى صرتِ ما تأخذين وما تعطين ولا تأمرين ولا تنهين! وما كنتِ إلا كما قال أخو بني أسد:

ما زالَ إهداءُ القصائِدِ بينَنَا شتم الصَّديقِ وكثرة الألقابِ!
حتى تُرِكْتِ كأنَّ قولَكِ عندَهُمْ في كلِّ مُحتفَلٍ طَنين ذُبابِ![1]

قال: فبكت عائشة بكاءً شديداً، ثم قالت: نعم والله أرحلُ عنكم؛ فما خلق الله بلداً هو أبغضُ إليَّ من بلدٍ أنتم به يا بني هاشم! فقال ابن عباس: ولمَ ذلك؟ فوالله ما هذا بلاؤنا عندكِ يا بنت أبي بكر! فقالت عائشة: وما بلاؤكم عندي يابن عباس؟ فقال: بلاؤنا عندكِ أننا جعلناكِ أم المؤمنين وأنت بنتِ أم رومان! وجعلنا أباكِ صدّيقاً وهو ابن أبي قحافة! وبنا سُمِّيتِ أم المؤمنين لا بتَيْمٍ وعَدِيْ! فقالت عائشة: يابن عباس! أتمنّون عليَّ برسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: ولمَ لا نمنُّ عليكِ برسول الله صلى الله عليه وسلم ولوْ كانت فيكِ شعرة منه أو ظفر لمننتِ علينا وعلى جميع العالمين بذلك! وبعد فإنما كنتِ إحدى تسع حشايا من حشاياه،[2] لستِ بأحسنهنَّ وجهاً ولا بأكرمهنَّ حسباً ولا بأرشحهنَّ عِرقاً! وأنت الآن تريدين أن تقولي ولا تُعصيْ، وتأمري ولا تخالَفين ونحنُ لحم الرسول صلى الله عليه وسلم ودمه؛ وفينا ميراثه وعلمه؟! فقالت عائشة: يابن عباس ما باذلك عليك علي بن أبي طالب؟ فقال ابن عباس: والله أقرُّ له وهو أحقُّ به مني وأولى، لأنه أخوه وابنُ عمه، وزوج الطاهرة ابنته وأبو سبطيه، ومدينة علمه وكشّاف الكرب عن وجهه، وأما أنتِ؛ فلا والله ما شكرتِ

---

(١) المراد أنه جرى بيننا وبينكِ من التنافر كقصائد الهجاء التي يكثر فيها شتم الصديق والتنابز بالألقاب حتى فُضحتِ وتُركتِ عند الناس ولم يعد لكلامك قيمة حتى صار في كل محتفلٍ منهم مجرد «طنين ذباب»!

(٢) الحشايا جمع الحشيّة وهي الفراش المحشوّ، يُكنّى بها عن الزوجة.

نعماءنا عليك وعلى أبيكِ من قبلكِ! ثم خرج وسار إلى علي فأخبره بما جرى بينه وبينها من الكلام».[1]

وروى ابن أبي الحديد: «بعث علي عبد الله بن عباس إلى عائشة يأمرها بالرحيل إلى المدينة، قال: فأتيتُها فدخلتُ عليها، فلم يوضع لي شيء أجلس عليه، فتناولتُ وسادة كانت في رحلها فقعدتُ عليها! فقالت: يابن عباس! أخطأت السنة! قعدتَ على وسادتنا في بيتنا بغير إذننا! فقلتُ: ليس هذا بيتكِ الذي أمركِ الله أن تقرّي فيه، ولو كان بيتكِ ما قعدتُ على وسادتكِ إلا بإذنكِ. ثم قلتُ: إن أمير المؤمنين أرسلني إليكِ يأمرك بالرحيل إلى المدينة. فقالت: وأين أمير المؤمنين! ذاكَ عمر! فقلت: عمر وعلي! قالت: أبيتُ! قلتُ: أما والله ما كان أُبوّك إلا قصير المدة عظيم المشقة قليل المنفعة! ظاهر الشؤم بيِّن النكد! وما عسى أن يكون أُبوّك! والله ما كان أمرك إلا كحلب شاة حتى صرتِ لا تأمرين ولا تنهين! ولا تأخذين ولا تُعطين! وما كنتِ إلا كما قال أخو بني أسد:

ما زالَ إهداءُ الصغائر بينَنا نثَّ الحديثِ وكثرة الألقابِ!

حتى نزلتِ كأنَّ صوتكِ بينَهم في كلِّ نائبةٍ طَنين ذُبابِ!

قال: فبكتْ حتى سُمع نحيبها من وراء الحجاب! ثم قالت: إني معجّلةٌ الرحيل إلى بلادي إن شاء الله تعالى، والله ما مِنْ بلدٍ أبغضُ إليَّ من بلدٍ أنتم فيه! قلتُ: ولمَ ذاك! فوالله لقد جعلناك للمؤمنين أمّاً وجعلنا أباك صدّيقاً! قالت: يابن عباس! أتمنُّ عليَّ برسول الله؟ قلتُ: مالي لا أمنُّ عليكِ بمن لو كان منكِ لمننت به عليَّ! ثم أتيتُ علياً عليه السلام فأخبرتُه بقولها

---

(١) الفتوح لابن أعثم ج٢ ص٣٣٧ ونحوه في جواهر المطالب لابن الدمشقي الشافعي ج٢ ص٢٥

وقولي، فسُرَّ بذلك، وقال لي: ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. وفي رواية: أنا كنت أعلمُ بك حيث بعثتك». [(١)]

وروى الكشي: «لمّا هزم علي بن أبي طالب عليه السلام أصحاب الجمل؛ بعث أمير المؤمنين عليه السلام عبدالله بن عباس رحمة الله عليهما إلى عائشة يأمرها بتعجيل الرحيل وقلة العرجة.[(٢)] قال ابن عباس فأتيتُها وهي في قصر بني خلف في جانب البصرة. قال: فطلبتُ الإذن عليها فلم تأذن، فدخلتُ عليها من غير إذنها! فإذا بيت قفار لم يعد لي فيه مجلس، فإذا هي من وراء سِتْرين. قال: فضربتُ ببصري فإذا في جانب البيت رَحْلٌ عليه طنفسة. قال: فمددتُ الطنفسة فجلستُ عليها، فقالت من وراء السِّتر: يابن عباس! أخطأت السنة! دخلتَ بيتنا بغير إذننا وجلست على متاعنا بغير إذننا! فقال لها ابن عباس رحمة الله عليه: نحن أولى بالسنة منك! ونحن علّمناك السنة! وإنما بيتكِ الذي خلّفكِ فيه رسول الله صلى الله عليه وآله فخرجتِ منه ظالمةً لنفسكِ غاشّةً لدينكِ عاتيةً على ربّكِ عاصيةً لرسول الله صلى الله عليه وآله! فإذا رجعتِ إلى بيتكِ لم ندخله إلا بإذنكِ، ولم نجلس على متاعكِ إلا بأمركِ. إن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعث إليكِ يأمركِ بالرّحيل إلى المدينة وقلة العرجة. فقالت: رحم الله أمير المؤمنين! ذاك عمر بن الخطاب! فقال ابن عباس: هذا والله أمير المؤمنين وإن تربّدت فيه وجوه ورغمت فيه معاطس! أما والله لهو أمير المؤمنين وأمسُّ برسول الله رحماً وأقرب قرابةً وأقدم سبقاً وأكثر علماً وأعلى مناراً وأكثر آثاراً من أبيك ومن عمر! فقالت: أبيتُ ذلك! فقال: أما والله إنْ كان إباؤك فيه لقصيرَ المدة عظيم التبعة ظاهر الشوم

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج٦ ص٢٢٩

(٢) أي قلة المُقام.

بيّن النكد! وما كان إباؤك فيه إلا حلْبَ شاةٍ حتى صرتِ ما تأمرين ولا تنهين ولا ترفعين ولا تضعين! وما كان مثلكِ إلا كمثل الحضرمي بن نجمان أخي بني أسد حيث يقول:

ما زالَ إهداءُ القصائِدِ بينَنا ... شتم الصَّديقِ وكثرة الألقابِ!
حتى تركتُهم كأنَّ قلوبهم ... في كلِّ مجمعةٍ طَنين ذُبابِ!

قال: فأراقت دمعها وأبدت عويلها وتبدّى نشيجها! ثم قالت: أخرج والله عنكم فما في الأرض بلدٌ أبغضُ إليَّ من بلدٍ تكونون فيه! فقال ابن عباس رحمه الله: فلِمَ؟! والله ما ذا بلاؤنا عندكِ ولا بصنيعنا إليك! إنّا جعلناكِ للمؤمنين أُمّاً وأنت بنت أم رومان! وجعلنا أباكِ صدِّيقاً وهو ابن أبي قحافة حاملِ قصاع الوَدَكِ لابن جُدعان إلى أضيافه! فقالت: يابن عباس تمنّون عليَّ برسول الله؟! فقال: ولمَ لا نمنُّ عليكِ بمن لو كان منك قُلامةٌ منه مننتنا به! ونحن لحمه ودمه ومنه وإليه، وما أنت إلا حشيَّتهُ من تسع حشايا خلّفهن بعده، لستِ بأبيضهنَّ لوناً ولا بأحسنهنَّ وجهاً ولا بأرشحهنَّ عَرقاً ولا بأنضرهنَّ ورقاً ولا بأطراهنَّ أصلاً! فصرتِ تأمرين فتُطاعين وتدعين فتُجابين! وما مثلكِ إلا كما قال أخو بني فهر:

مننتُ على قومي فأبدوا عداوةً! ... فقلتُ لهم: كفّوا العداوة والشكرا
ففيهِ رضا مِن مثلكُم لصديقه ... وأحجّ بِكُمْ أن تجمعوا البَغيَ والكفرا

قال: ثم نهضتُ وأتيتُ أمير المؤمنين فأخبرته بمقالتها وما رددتُ عليها فقال: أنا كنتُ أعلم بك حيث بعثتك». [1]

---

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج٣٢ ص٢٦٩ عن الكشي، ورجال الكشي المعروف باختيار معرفة الرجال للشيخ الطوسي ج١ ص٢٧٧، وقد مضت الإشارة إلى هذا الخبر في الفصل الأول ص١٠٩ وفي الفصل الثاني ص٢٤٣

ها هي الحميراء تعلن عدم اعترافها بإمرة علي (عليه السلام) للمؤمنين ورفضها للإقرار به خليفة، فما الخليفة الحق وأمير المؤمنين عندها إلا أبو حفص! فتقول مجيبةً ابن عباس: «**رحم الله أمير المؤمنين! ذاك عمر ابن الخطاب! وأين أمير المؤمنين! ذاكَ عمر**»! وحين يؤكد ابن عباس أن أبا الحسن (عليه السلام) هو أمير المؤمنين؛ تعاند وتأبى بقولها: «**أبيتُ أبيتُ! أبيْتُ ذلك عليكم يابن عباس**»!

ثم إنه حين يأمرها بالرجوع إلى المدينة بعد تـرادٍّ في الكلام تُخرج ما في صدرها من النُّصب والعداوة قائلةً بمنتهى الصراحة: «**نعم والله أرحلُ عنكم؛ فما خلق الله بلداً هو أبغضُ إليَّ من بلدٍ أنتم به يا بني هاشم**»! وفي رواية المفيد أنها قالت: «**فبالله أحلفُ؛ ما كان مكانٌ أبغض إليَّ من مكان يكون هو فيه**»[1] تعني عليّاً عليه السلام!

إنها تكره بني هاشم وتحقد على علي وآل محمد (عليهم السلام) ولا تطيق الاجتماع معهم في بلد من البلدان! وما مردّ ذلك الكره إلا شعورها بالنقص والحقارة بسبب وضاعة أصلها ونسبها على ما فصّلناه في الفصل الأول. ومعلومٌ أن متسافل الدرجات يحسد ويحقد على مَن علا.

لقد كانت عائشة تريد من وراء زواجها بنبي الإسلام (صلى الله عليه وآله) أن تنتشل نفسها من تلك الوضاعة والحقارة اللتان تشعر بهما وأن تصير ملكة للإمبراطورية التي أسسها ذلك النبي، وكانت تتوقع منه (صلى الله عليه وآله) أن يجعلها صاحبة المقام الأول، غير أنها صُدمت بأنه قدّم عليها فاطمة وخديجة وأم سلمة ومارية وحتى أم أيمن (سلام الله عليهن) فاشتعلت نار الحقد في صدرها!

---

(١) الجمل للمفيد ص٨٥

ثم لمّا استشهد ذلك النبي (صلى الله عليه وآله) وتولّى والدها الحكم؛ تنفسّت الصعداء وعاشت عصرها الذهبي كسيدة أولى. ولمّا هلك والدها وتولّى صاحبه عمر؛ استمرّ عصرها الذهبي لما كان بينها وبينه من المودة الخاصة. وكانت تتوقع أن يستمر الحال هكذا في عهد عثمان، غير أنه بدّل وغيّر، وقلب لها ظهر المجن، فحقدت وحرّضت عليه إلى أن قتلته!

وكانت خطتها تقضي بأن يتولّى ابن عمّها وحبيبها طلحة مقاليد الأمور؛ غير أن الرياح جرت بما لا تشتهي السفن، فتولّى علي بن أبي طالب عليهما السلام، وكان ذلك ككابوس يحلّ عليها! إنها عودة لبني هاشم، عودة لآل محمد، عودة لمحمد نفسه الذي لم تكد تخلص منه ومن عهده حيث كانت منزوية قهراً بين أربعة جدران وليس لها شأن إلا كونها «**إحدى تسع حشايا من حشاياه، ليست بأحسنهنَّ وجهاً ولا بأكرمهنَّ حسباً ولا بأرشحهنَّ عِرقاً**»! كما عبّر ابن عباس!

هذا الذي قتلها جزعاً؛ فأعلنت الحرب على علي (عليه السلام) وبني هاشم، رامية إسقاط حكومتهم، ليعود عصرها الذهبي الامبراطوري!

وكانت قاب قوسين أو أدنى من النجاح والانتصار بعدما سيطرت على البصرة واستولت على بيت مالها وتزّعمت رجالها مكوّنة (ميليشيا) مسعورة! وتصوّرت أن حسم معركتها مع ابن أبي طالب ليس إلا مسألة وقت، فهو «**بمنزلة الأشفر إن تقدم عُقر وأن تأخر نُحر**»! ثم لمّا تواجهت معه على أرض المعركة تباهت قائلةً له: «**أما والله ما يُنتظر بك إلا زوال الشمس**»!

إلا أن زوال الشمس لم يأتِ إلا بهزيمتها هزيمة منكرة! وبعد هذا كله؛ يكون من المنطقي لمرأة حسودة ترى ضياع آمالها وأحلامها أن تمتلئ غيظاً وتتفجّر حقداً على علي وأهل

بيته عليهم السلام! فهم الذين بدّدوا كل أحلامها وأحبطوا كل مخططاتها وأعادوها «حشيّة» لتقرّ في الموضع الذي خُلِّفَت فيه إلى أن تموت كمداً!

هذا ولا يفوتنّك الالتفات إلى قولها لابن عباس على رواية ابن أعثم: «**يابن عباس ما باذلك عليك علي بن أبي طالب**»؟ فمؤدّاه - إن لم يكن ثمَّ تصحيف - اتهامها عليّاً (عليه السلام) بأنه يشتري ذمم الناس وأديانهم! لأن معنى عبارتها مساءلتها ابن عباس: «ما الذي بذله لك علي وبذلته له على نفسك لتكون معه»؟!

والمهم هو أنها بتصريحها أن أبغض البلدان إليها هو البلد الذي يكون فيه بنو هاشم؛ تكون قد شهدت على نفسها بأنها ناصبية! وتكون بذلك خارجةً عن الإسلام أيضاً، لأنها لم تدفع أجره الذي هو مودّة ذوي قُربى النبي صلى الله عليه وآله، حيث يقول تعالى: «**قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ**»[1] وقد استبدلت عائشة مودّتهم ببُغضهم وكُرههم!

● **الصورة الثالثة عشرة**: إنْ كانت عائشة هي رأس حرب التمرّد على أمير المؤمنين عليه السلام؛ فإن عبد الله بن الزبير هو يدها ورجلها، ولولا تهييجه لها لما قامت حرب الجمل ولا استَعَرَت.

وابن الزبير هذا كان ابن أخت عائشة، وعلاوة على هذه العلاقة الأسرية التي تربط بينهما؛ فإنه كانت ثمة علاقة خاصة بينهما، إذ لم يحظَ أحدٌ من ذوي قرباها بمثل ما حَظِيَ به عبد الله من القرب إلى قلبها والمحبة الشديدة، حتى أنها تكنّت باسمه[2] ومنحت للذي

---

(١) الشورى: ٢٤

(٢) راجع الاستيعاب لابن عبد البر بترجمة ابن الزبير، وأُسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير بترجمتها.

بشّرها بسلامته عشرة آلاف![1] وأوصت إليه ووهبته الحجرة التي سيطرت عليها كما فصّلناه في الفصل الثاني.[2]

قال عروة: «**لم يكن أحدٌ أحبُّ إلى عائشة بعد رسول الله من أبي بكر وبعده ابن الزبير**».[3] وقال هشام بن عروة: «**ما سمعتُ عائشةَ وأمي أسماء تدعوان لأحد من الخلق دعاءهما لعبد الله**».[4]

وقد علمتَ أن حبّ عائشة الشديد لابن الزبير حملها على حرب أمير المؤمنين عليه السلام، وذلك مما تقدّم من كتابه (عليه السلام) إليها حيث جاء فيه: «**ولا يحملنّكِ قرابة طلحة وحبّ عبد الله بن الزبير على الأعمال التي تسعى بكِ إلى النار**»![5] وقال محمد بن أبي بكر لأخته حين سألت عن ابن الزبير بعد انتهاء المعركة: «**ولمَ تسألين عن عبد الله؟ فوالله ما سامكِ أحدٌ سواه**»![6]

ولعلّك تتساءل ههنا عن سرّ حب عائشة المفرط لابن الزبير، فإن أحداً من قرباها لم ينل مثله. لماذا لم نرَها مثلاً تخصّ أخاها محمداً بما خصّت به ابن الزبير من المحبة والمودة والدعاء له؟ بل رأيناها بدلاً من ذلك تبغضه وتدعو عليه بالإبادة والقتل وتسمّيه مذمَّماً![7] ولماذا لم

(١) راجع سير أعلام النبلاء للذهبي ج٣ ص٣٧١

(٢) راجع ص٢١٤ وص٤٣٥ من هذا الكتاب.

(٣) راجع سير أعلام النبلاء للذهبي ج٣ ص٣٧١

(٤) شرح النهج لابن أبي الحديد ج٢٠ ص١١١ عن يحيى بن معين.

(٥) راجع ص٥٨٨ من هذا الكتاب.

(٦) الفتوح لابن أعثم ج٢ ص٤٨٥، وسامك بمعنى أوردكِ حِياض الموت.

(٧) راجع ص٥٣١ من هذا الكتاب.

نجد نظير هذه العلاقة الوثيقة التي كانت تربط بينها وبين ابن الزبير؛ بينها وبين أخيها الذي هو من حيث القُربى أقرب؟

إن السر في ذلك هو أن محمد بن أبي بكر كان موالياً مخلصاً لعلي عليه السلام، أما عبد الله ابن الزبير فقد كان معادياً شديداً له! ولذا كرهت عائشة الأول فيما أحبّت الثاني!

كان ابن الزبير ناصبياً لدوداً لعلي وأهل البيت عليهم السلام، حكى عنه التاريخ أنه كان «**يبغض عليّاً عليه السلام وينتقصه وينال من عِرضه**»![1] حتى بلغ من كفره أن خطب يوم البصرة على رؤوس الأشهاد قائلاً: «**قد أتاكم الوغد اللئيم علي بن أبي طالب**»![2] وقد صرّح بنُصبه وبغضه لأهل البيت إذ يقول لابن عباس: «**إني لأكتم بغضكم أهل هذا البيت منذ أربعين سنة**»![3] وكان أيام حُكمه وادعائه الخلافة لا يذكر النبي (صلى الله عليه وآله) بُغضاً لأهل بيته الذين وصفهم بأنهم «**أُهَيْلُ سوء**»! إذ يقول الزهري: «**كان من أعظم ما أُنكر على عبد الله بن الزبير تركه ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبته، وقوله حين كُلِّمَ في ذلك: إن له أُهَيْلَ سوء إذا ذُكِرَ استطالوا ومدّوا أعناقهم لذكره**»![4] وقال عنهم: «**والله ما كنتُ لآتي لهم سروراً وأنا أقدر عليه! والله لقد هممتُ أن أحظر لهم حظيرة ثم أضرمها عليهم ناراً! فإني لا أقتل منهم إلا آثماً كفّاراً سحّاراً! لا أنماهم الله! ولا بارك عليهم! بيت سوء! لا**

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج٤ ص٦١

(٢) المصدر نفسه ج١ ص٢٢

(٣) المصدر نفسه ج٤ ص٦٢ ومروج الذهب للمسعودي ج٥ ص١٦٣ وعنه سمط النجوم العوالي للعصامي ج٢ ص١١٠

(٤) أنساب الأشراف للبلاذري ج٢ ص٤١٨ ونحوه في العقد الفريد لابن عبد ربّه الأندلسي ج٤ ص٤١٣

أول لهم ولا آخر»![1] وقد جمعهم بالفعل في الشعب ليحرقهم بالنار ولم ينقذهم إلا جيش المختار الذي أرسله إلى مكة لهذا الغرض فأنقذ أرواحهم في اللحظة الأخيرة![2]

وهذا اللعين هو الذي قلب أباه عن موالاة آل محمد (عليهم السلام) إلى معاداتهم ومحاربتهم، إذ يقول أمير المؤمنين عليه السلام: «**ما زال الزبير منّا أهل البيت حتى نشأ ابنه عبد الله فقلبه**»![3] وفي لفظ آخر: «**فأفسده**»![4]

وعلى هذا؛ لو أن عائشة كانت محبّة لعلي وأهل البيت (عليهم السلام) كما يدّعي المخالفون؛ لكان ينبغي أن نرى إعراضاً منها عن ابن الزبير، بل إنكاراً منها عليه، لأنه ناصبي وغد سافل خارج عن الإسلام لبغضه آل النبوة صلوات الله عليهم، ولا أقل من أن تعامله كما تعامل غيره من أقربائها. غير أنّا لم نجد من عائشة تجاهه إلا الحب المفرط والمودة البالغة والتفضيل له على من سواه، ولم نجده إلا بمنزلة الولد المدلّل عندها! وهذا كاشفٌ عن كونها مثله في النُّصب والعداء، بل هي التي أشربته ذلك لأنها كانت له أمّاً ومعلّمةً!

● **الصورة الرابعة عشرة**: قد مرّ أن عائشة تضرّعت إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) بأن يصفح عنها بعد معركة الجمل قائلةً: «**ملكتَ فاسجح**»، ففعل (عليه السلام) ذلك ومنَّ عليها وجعلها من جُملة طلقائه ولم يوقع عليها عقاباً مع أنها أعظم الناس جُرماً ورأس هذه الفتنة. إلا أنها مع ذلك لم تشكر عفوه عنها وإحسانه إليها بل ظلّت تنال منه وتحرّض عليه وتكتب الكتب في الحثّ على قتاله مجدّداً! ولنِعم ما قال الشاعر:

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج٢٠ ص١٢٧ وقد

(٢) راجع مروج الذهب للمسعودي ج١ ص٣٨١ والأغاني لأبي الفرج الأصبهاني ج٩ ص١٦

(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر ج١٨ ص٤٠٤ ونحوه في أُسد الغابة لابن الأثير ج٣ ص١٦٢

(٤) شرح النهج لابن أبي الحديد ج٤ ص٧٩

إذا أنــتَ أكرمــتَ الكــريمَ ملكتَــهُ وإنْ أنــتَ أكرمــتَ اللئــيمَ تمــرّدا![1]

كان أمير المؤمنين (عليه السلام) قد أمر بإرجاع الحميراء إلى المدينة، وجَعل مَـن يحرسـها ويحوطها في هذا المسير نساءً ملثّمات لبسن أزياء الرجال حتى لا يتيح لها مجالاً لأن تقول غداً: «قد هتك ابن أبي طالب ستري ووجّه معي الرجال»! إلا أنها (لعنها الله) مع ذلك فعلتـه إذ لم تكن تعلم بأن هؤلاء نساء! وظلّت تنال من أمير المؤمنين (عليه السلام) أثنـاء مـسيرها إلى أن كشفت النسوة لها أنهنّ نـساء لا رجـال! فاضـطرت لأن تعتـذر وتبـدي الندامـة أمـامهنّ إذ وبّخنها.

قال ابن عبد ربّه الأندلسي في ذكر العفو عند المقدرة: «**منه قولهم: ملكتَ فاسـجح، وقـد قالته عائشة رضوان الله عليها لعلي بن أبي طالب كرّم الله وجهه يـوم الجمـل حـين ظهـر عـلى الناس، فدنا من هودجها وكلّمها فأجابته: ملكتَ فاسـجح، أي ظفـرتَ فأحـسِنْ. فجهَّزهـا بأحسن الجهاز وبعث معها أربعين امرأة، وقال بعضهم: سبعين؛ حتى قَدِمَتْ المدينة**».[2]

وروى ابن أعثم: «**ثم دعا علي رضي الله عنه بنسوة مـن نـساء أهـل البـصرة فـأمرهنَّ أن يخرجنَ مع عائشة إلى المدينة، فرحلت عائشة من البصرة في تلك النسوة. وقد كـان عـلي رضي الله عنه أوصاهنّ وأمرهنّ أن يتزَيَّيْنَ بزيِّ الرجال، عليهنّ العمائـم، فجعلـت عائـشة تقـول في طريقها: فعل بي عليٌّ وفعل ثم وجّه معـي رجـالاً يـردّوني إلى المدينـة! فـسمعتها امـرأة مـنهنّ فحرّكت بعيرها حتى دنت منها ثم قالت: ويحكِ يا عائشة! أما كفـاكِ مـا فعلـتِ حتـى أنـكِ تقولين في أبي الحسن ما تقولين؟! ثم تقدّمتْ النـسوة وسـفرنَ عـن وجـوههنّ، فاسـترجعت**

(١) ديوان أبي الطيب المتنبي ج١ ص٢٨٨

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربّه الأندلسي ج١ ص٢٨٧

عائشة واستغفرت وقالت: هذا ما لقيتُ من ابن أبي طالب! ثم دخلت عائشة المدينة وصارت إلى منزلها نادمةً على ما كان منها، وانصرفت النسوة إلى منازلهنّ بالبصرة».[(١)]

وروى ابن قتيبة: «**فبعث معها علي رضي الله عنه أربعين امرأة وأمرهنّ أن يلبسنَ العمائم ويتقلَّدْنَ السيوف، وأن يكُنَّ من الذين يلينها، ولا تطلّع على أنهنّ نساء. فجعلت عائشة تقول في الطريق: فعل الله في ابن أبي طالب وفعل! بعث معي الرجال! فلمّا قدِمْنَ المدينة وضعنَ العمائم والسيوف ودخلنَ عليها، فقالت: جزا الله ابن أبي طالب الجنة»!**[(٢)]

وروى المفيد: «**ولمّا عزم أمير المؤمنين عليه السلام على المسير إلى الكوفة؛ أنفذَ إلى عائشة يأمرها بالرحيل إلى المدينة، فتهيَّأت لذلك، وأنفذ معها أربعين امرأة ألبسهنَّ العمائم والقلانس، وقلَّدَهُنَّ السيوف، وأمرهنَّ أن يحفظنها ويكُنَّ عن يمينها وشِمالها ومن ورائها، فجعلتْ عائشة تقول في الطريق: اللهم افعل بعلي بن أبي طالب وافعل! بعث معي الرجال! ولم يحفظ بي حرمة رسول الله! فلمّا قَدِمْنَ المدينة معها؛ ألقيْنَ العمائم والسيوف ودخلنَ معها، فلمّا رأتهنَّ ندمت على ما فرَّطتْ بذمِّ أمير المؤمنين عليه السلام وسبّه، وقالت: جزا الله ابن أبي طالب خيراً فلقد حفظ فيَّ حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله».**[(٣)]

إن مما يبعث على السخرية أن عائشة التي تلوم وتسبّ أمير المؤمنين (عليه السلام) على أنه لم يحفظ حُرمة رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيها وبعث معها رجالاً يحرسونها.. هي نفسها التي خرجت في جيش جرّار أحاطت بها الرجال من كل جانب إلى البصرة! أليست هي التي هتكت حرمة وحجاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) أصلاً؟! ألم يكن الرجال

(١) الفتوح لابن أعثم ج٢ ص٤٨٤

(٢) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج١ ص٩٨

(٣) الجمل للمفيد ص٢٢١

آخذين بخطام جملها يوم البصرة محتشدين عن يمينها وشمالها تحرّضهم على القتال؟! ألم يكن الرجال يطوفون بها ويأخذون بعْرَ جملها من ورائها يشمّونه قائلين: «**بَعْرُ جملِ أُمِّنا ريحه ريح المسك**»؟! فكيف لم تعتبر نفسها هاتكةً للحُرمة واعتبرت ابن أبي طالب (عليهما السلام) هاتكاً لها؟! سبحان الله! هذا مع أنه قد تبيّن أن مَن كان حولها حين رجوعها إلى المدينة إنما هنّ نسوة تزيَّيْن بزيِّ الرجال لا غير!

حقاً.. إنها العقربُ تلدُغُ وتَصيءُ!

وإنه لأمرٌ يُضحك الثكلى أن تتحدث عائشة عن الحُرمة كما تتحدّث العاهرة عن الشرف! وحقاً.. إن أنتَ أكرمتَ اللئيم تمرّدا! فإن عائشة ما إن وصلت إلى المدينة حتى بدأت حملة تحريض جديدة ضد أمير المؤمنين عليه السلام!

روى ابن إسحاق أن عائشة حين «**وصلت إلى المدينة راجعةً من البصرة؛ لم تزل تحرّض الناس على أمير المؤمنين عليه السلام! وكتبت إلى معاوية وأهل الشام مع الأسود ابن أبي البختري تحرّضهم عليه**»![1] وفي رواية عماد الدين الطبرسي أن معاوية لمّا تلقى الكتاب قرأه على وجوه أهل الشام فتشجّعوا على إعداد الحرب لعلي (عليه السلام) في صفين![2]

---

(١) الشافي للشريف المرتضى ج٤ ص٣٥٦ والاقتصاد للشيخ الطوسي ص٢٢٩ كلاهما عن ابن إسحاق. **والأسود بن أبي البختري** (لعنه الله) قُتِل أبوه يوم بدر فظلّ حاقداً على رسول الله وأمير المؤمنين صلوات الله عليهما وآلهما، ولّما جاء فتح مكة اضطر لأن يُسلم خوفاً، ثم صار من أزلام معاوية وشفى غليله حين سيّره مع **بُسر ابن أرطأة** إلى المدينة ليقتل شيعة أمير المؤمنين عليه السلام! وتواصل عائشة مع هذا الرجل الناصبي وتحميلها إياه كتابها إلى معاوية يؤكد أنها كانت تعيش في محيط النواصب وهي جزء منه، ذلك المحيط النجس الذي يتآمر فيه أهله للقضاء على أهل بيت رسول الله صلى الله عليهم أجمعين.

(٢) أسرار الإمامة لعماد الدين الحسن بن علي الطبرسي، نسخة الكترونية عن المخطوط.

وهذا الأمر عدا عن أنه يكذِّبَ توبتها وندمها؛ فإنه يثبت مُقامها على النُّصب والعداوة لأمير المؤمنين صلوات الله عليه، إذ لا يهدأ لها بال إلا بالإعداد لشنّ حرب جديدة عليه! وهو ما حصل إذ كانت وقعة صفين التي شاركت عائشة في إضرام نيرانها بكتابها إلى معاوية!

• **الصورة الخامسة عشرة**: ظلّت عائشة تتربّص الموت بأمير المؤمنين عليه السلام، إذ لا يشفي صدرها الممتلئ حقداً عليه إلا هذا الخبر؛ أن عليّاً قد مات! أما إن قيل: إنه قُتِل قتلاً؛ فلا شك أن ذلك اليوم يكون يوم سرورها وفرحها بل وطربها!

وهذا هو الذي جرى فعلاً؛ فقد روى الطبري وابن الأثير وأبو الفرج وابن الدمشقي الشافعي وابن سعد والبلاذري، واللفظ للأول قال: «**لمّا انتهى إلى عائشة قتل علي رضي الله عنه قالت:**

فألقتْ عَصاها واستقرَّت بها النَّوى   كما قرَّ عيْناً بالإيابِ المُسافرُ![1]

ثم قالت: من قتله؟ فقيل: رجلٌ من مُراد. فقالت:

فإنْ يكُ نائِياً فلقد نعاهُ   غلامٌ ليسَ في فيهِ التُّرابُ![2]

---

(١) النّوى هو الوجه الذي ينويه المسافر من قُربٍ أو بعد. والبيت لعبد ربّه السُّلَمي أو سُلَيم بن ثمامة الحنفي أو لبيد بن ربيعة أو معقر بن حمار البارقي، راجع لسان العرب لابن منظور ج١٥ ص٦٥. وهو يُضرب مثلاً للفرح والبهجة بخبر تهدأ به النفس وترتاح وتقرّ به العين كما تستقرّ المسافرة في منزلها وتلقي عصاها وتقرّ عينها! وعادةً ما يتمثّل بهذا البيت الذين قتلوا خصومهم أو بلغهم ذلك، كما فعله **المنصور** حين قتل **أبا مسلم الخراساني**، راجع سير أعلام النبلاء للذهبي ج٦ ص٧٠

(٢) تريد أنه (عليه السلام) وإن كان بعيداً إلا أن خبر نعيه جاءها بشارةً من فم الثقة الذي لا يكذب وهو **سفيان بن عبد شمس بن أبي وقاص الزهري** كما في تاريخ الطبري ج٥ ص١٥٠

فقالت زينب بنت أبي سلمة:[(١)] **أَ لعليٍّ تقولين هذا؟! فقالت: إني أنسى! فإذا نسيتُ فذكّروني»!**[(٢)] وفي رواية المفيد: «**فقالت لها زينب بنت أبي سلمة: أَ لعليٍّ تقولين؟! فتضاحكت ثم قالت: أنسى! فإذا نسيتُ فذكّروني! ثم خرّت ساجدةً شكراً على ما بلغها من قتله**»![(٣)]

ويؤكد سجودها شكراً أبو الفرج الأصبهاني في ما يرويه بسنده عن عمرو بن مرة عن أبي البختري قال: «**لمّا أن جاء عائشةَ قتلُ عليٍّ سجدت**»![(٤)]

أما الزبير بن بكّار فيروي عن **زينب بنت أبي سلمة** أن عائشة اعتبرت أن الله تعالى قد قتل عليّاً بيد **عبد الرحمن بن مُلجم المرادي!** قالت زينب: «**كنتُ يوماً عند عائشة ابنة أبي بكر الصديق زوج النبي صلى الله عليه وآله، فإني لعندها إذ دخل رجلٌ مُعتَمٌّ عليه أثر السفر، فقال: قُتِلَ علي بن أبي طالب عليه السلام! فقالت عائشة:**

إنْ تكُ ناعياً فلقد نعاهُ نَعِيٌّ ليسَ في فيهِ التُّرابُ!

ثم قالت: مَن قتله؟ قالوا: رجلٌ من مُراد. قالت: رُبَّ قتيل الله بيديْ رجلٍ من مُراد! قالت زينب: فقلتُ: سبحان الله يا أم المؤمنين! أَ تقولين هذا لعليٍّ في سابقته وفضله؟!

(١) وهي ربيبة رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذ هي بنت زوجه أم سلمة سلام الله عليها.

(٢) تاريخ الطبري ج٤ ص١١٥ والكامل في التاريخ لابن الأثير ج٣ ص٣٩٤ ومقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني ص٢٦ وجواهر المطالب لابن الدمشقي الشافعي ج٢ ص١٠٤ ونحوه في طبقات ابن سعد ج٣ ص٤٠ وأنساب الأشراف للبلاذري ص٥٠٥

(٣) الجمل للمفيد ص٨٤

(٤) مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني ص٢٧

فضحكت وقالت: بسم الله! إذا نسيتُ فذكّريني»![١]

هذه هي الملعونة عائشة! ففي الوقت الذي يهدُّ استشهاد أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) أركان المؤمنين والمؤمنات؛ تفرح وتستبشر وتضحك!

وفي الوقت الذي يصيح فيه جبرئيل (عليه السلام) بين السماء والأرض: «**تهدّمت والله أركان الهدى، وانطمست والله نجوم السماء وأعلام التُّقى، وانفصمت والله العروة الوثقى، قُتِل ابن عم محمد المصطفى، قُتِل الوصي المجتبى، قُتِل علي المرتضى، قُتِل والله سيد الأوصياء، قتله أشقى الأشقياء**»[٢] في هذا الوقت تسجد عائشة شكراً وتعبّر عن عينها بأنها قرّت إذ تتشمّت قائلةً:

فألقتْ عَصاها واستقرَّ بها النَّوى كما قرَّ عيْناً بالإيابِ المُسافرُ!

وفي الوقت الذي يصف فيه جبرئيل (عليه السلام) ومن قبله رسول الله (صلى الله عليه وآله) عبد الرحمن بن ملجم المرادي (لعنه الله) بأنه «**أشقى الأشقياء**»[٣] تأتي عائشة لتثني عليه بقولها: «**رُبَّ قتيل الله بيديْ رجلٍ من مُراد**»! فعبد الرحمن عندها يد الله التي قتلت عليّاً!

وحين تنكر زينب بنت أبي سلمة عليها ذلك؛ تضحك وتتهكّم قائلةً: «**إني أنسى! إذا نسيتُ فذكّروني**»! وكيف لا تغتبط وتتهكّم وقد شُفي صدرها برحيل مَن تراه أكبر أعدائها؟! وكيف يُراد منها أن لا تفرح وقد انهدّ الجبل الذي كان محاصراً لها؟!

(١) الأخبار الموفقيات للزبير بن بكّار ص١٢١

(٢) بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج٤٢ ص٢٨٢

(٣) هكذا وصفه النبي (صلى الله عليه وآله) وكان من جُملة إخباراته الغيبية المشهورة. راجع ما رواه الحاكم في مستدركه ج٣ ص١١٣ والبيهقي في سننه ج٨ ص٥٩ والطبراني في معجمه ج١ ص١٠٦ وغيرهم كثير.

الآن صار بإمكانها أن تخرج إلى الشارع وتنفلت من مربطها ولا أحدٌ يسيطر عليها أو يجبرها على القرار في بيتها تنفيذا لحكم القرآن! ها قد رحل القرآن الناطق علي بن أبي طالب (عليهما السلام) وغابت سلطته التي حالت دون أن تغدو عائشة «امرأة متحررة» تحقق ما تشاء من نزواتها ورغباتها!

الآن تحرّرت عائشة وانفكّت عنها قيودها! وتحرّر معها كل المنافقين والفاسقين والمجرمين والمفسدين! فوقفت الحميراء لتبشّرهم بذلك معلنةً بداية عهد جديد لا وجود فيه لأبي الحسن وأوامره ونواهيه! فليصنعوا ما شاءوا فليس أحدٌ ينهاهم!

روى ابن عبد البر والمحب الطبري والصفدي وابن قتيبة: «**قالت عائشة رضي الله عنها لمّا بلغها قتل علي: لتصنع العرب ما شاءت فليس أحدٌ ينهاها**»![1]

● **الصورة السادسة عشرة**: من شدة ابتهاج عائشة باستشهاد أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) سمّت أحد غلمانها باسم **عبد الرحمن** حبّاً في عبد الرحمن بن ملجم الذي حقّق لها أعظم أمانيها!

روى المفيد والمرتضى - واللفظ للأخير - عن مسروق قال: «**دخلتُ على عائشة فجلستُ إليها فحدّثتني واستدعت غلاماً لها أسود يُقال له: عبد الرحمن؛ حتى وقف. فقالت: يا مسروق؛ أَتدري لِمَ سمَّيْتُه عبد الرحمن؟ فقلتُ: لا. فقالت: حبّاً مني لعبد الرحمن ابن ملجم**»![2] وفي رواية أبي الصلاح الحلبي أنها قد أعتقت هذا الغلام بعد ذلك![3]

---

(١) الاستيعاب لابن عبد البر ج١ ص٣٤٦ والرياض النضرة في مناقب العشرة للمحب الطبري ص٢٩٦ والوافي بالوفيات للصفدي ج٦ ص٤٤٦ والجوهرة للبرّي ص١٢٢ عن ابن قتيبة في المعارف.

(٢) الجمل للمفيد ص٨٤ والشافي في الإمامة للمرتضى ج٤ ص٣٥٦

(٣) تقريب المعارف لأبي الصلاح الحلبي ص٤١١

• **الصورة السابعة عشرة:** لم ترَ عائشة ما مرّ من السجود شكراً وإنشاد أبيات الفرح وإعلان البشارة وتسمية عبدٍ لها بعبد الرحمن.. لم ترَ ذلك كافياً لإفراغ بهجتها وفرحها باستشهاد أمير المؤمنين عليه السلام، فأضافت إلى كل ذلك توزيعها أربعين ديناراً على مبغضيه كهدايا نقدية بهذه المناسبة السعيدة!

هذا السرّ هو ما كشفه مولانا الإمام الحسن المجتبى (صلوات الله عليه) حين جَبَه به عائشة التي تصنّعت تأسفاً كاذباً على استشهاد أمير المؤمنين صلوات الله عليه، فتصدّى لها الإمام الحسن (عليه السلام) بما أسقط في يدها حين واجهها بهذا السرّ. ولم تستحِ المرأة إذ انكشف ذلك؛ بل أخذتها العزة بالإثم فأقرّت وباحت بمكنون صدرها تجاه علي وأهل البيت (عليهم السلام) أكثر وأكثر! وصرّحت بأن مقتل علي (عليه السلام) قد أشفاها!

روى الحافظ رجب البُرسي أنه لّما قَدِمَ الإمام الحسن (عليه السلام) من الكوفة إلى المدينة بعد الصلح «**جاءت النسوة يعزّينه في أمير المؤمنين عليه السلام، ودخلت عليه أزواج النبي صلى الله عليه وآله، فقالت عائشة: يا أبا محمد؛ ما مِثْلَ فَقْدِ جدّك إلا يومَ فُقِدَ أبوك! فقال لها الحسن عليه السلام: نسيتِ نبشكِ في بيتكِ ليلاً بغير قَبَسٍ بحديدة حتى ضربت الحديدة كفَّكِ فصارت جُرحاً إلى الآن فأخرجتِ جَرْداً أخضر[١] فيه ما جمعتِه من خيانة حتى أخذتِ منه أربعين ديناراً عدداً لا تعلمين لها وزناً ففرّقتيها في مبغضي علي صلوات الله عليه من تَيْمٍ وعَدِيٍّ وقد تشَفَّيْتِ بقتله! فقالت: قد كان ذلك**»![٢]

(١) الجَرْدُ والجَرْدة: البُردةُ المُنْجَرِدَةُ الخَلَقُ، أي قماش أو كساء انجَرَدَ خَمَلُها وخَلَقَتْ، تُحفظ فيها الأشياء كالنقود وتُربط من ثمَّ.

(٢) مشارق أنوار اليقين للحافظ رجب البُرسي ص١٣٤ وعنه إثبات الهداة للحر العاملي ج٢ ص٥٥٩

وفي رواية الحسين بن حمدان الخصيبي تفصيل أكثر، فقد روى بسنده عن المفضّل بن عمر الجُعفي عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: «**لمّا قَدِمَ أبو محمد الحسن بن علي عليهما السلام من الكوفة؛ تلقّاه أهل المدينة معزّينَ بأمير المؤمنين عليه السلام ومهنّينَ بالقدوم. ودخلت عليه أزواج رسول الله صلى الله عليه وآله، فقالت عائشة: والله يا أبا محمد ما فُقِدَ جدّك إلا حين فُقِدَ أبوك، ولقد قلتُ يوم قام عندنا ناعيه قولاً صدقتُ فيه وما كذبتُ! فقال لها الحسن عليه السلام: عسى هو تمثّلكِ بقول لبيد بن ربيعة حيث يقول:**

فبشَّرَتْها واستعجلتْ عن خِمارها	**وقد تستخِفُّ المعجَّلينَ البشائرُ**
وأخبرَها الرُّكبانُ أنْ ليس بينها	**وبين قُرى نجرانَ والشام كافرُ**
فألقتْ عَصاها واستقرَّ بها النَّوى	**كما قرَّ عيْناً بالإيابِ المُسافرُ**

ثم أتبعتِ الشعر بقولكِ: أما إذا قُتِل عليٌّ فقولوا للعرب تعمل ما تشاء! فقالت له: يابن فاطمة! حذوتَ حذوَ جدّك وأبيك في علم الغيب؟! من الذي أخبرك بهذا عنّي؟! فقال لها: ما هذا غيبٌ لأنكِ أظهرتيه وسُمِعَ منكِ! والغيب نبشُكِ عن جَرْدٍ أخضرٍ في وسط بيتك بلا قبس، وضربتِ بالحديدة كفّكِ حتى صار جُرحاً وإلا فاكشفي عنه وأريهِ مَن حولَكِ من النساء! ثم إخراجكِ الجَرْدَ وفيه ما جمعتِهِ من خيانةٍ! وأخذتِ منه أربعين ديناراً عدداً لا تعلمين ما وزنها، وتفريقكِ لها في مبغضي أمير المؤمنين عليه السلام من تيْمٍ وعَدِيٍّ شكراً لقتل أمير المؤمنين عليه السلام! فقالت: يا حسن! والله لقد كان ما قلتَه! ولله ابن هند لقد شفى وأشفاني! فقالت لها أم سلمة زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله: ويحكِ يا عائشة! ما هذا منكِ بعجب! وإني لأشهد عليكِ أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي وأنت حاضرة وأم أيمن وميمونة: يا أم سلمة؛ كيف تجديني في نفسكِ؟ فقلتُ: يا رسول الله؛ أجده قُرباً ولا أبلغه وصفاً. فقال: فكيف تجدين عليّاً في نفسكِ؟ فقلتُ: لا يتقدّمكَ يا رسول الله ولا يتأخّرُ

عنكَ، وأنتما في نفسي بالسواء. فقال: شكر الله لكِ ذلك يا أم سلمة، فلو لم يكن عليٌّ في نفسك مثلي لبرئتُ منكِ في الآخرة ولم ينفعكِ قُربي منكِ في الدنيا. فقلتِ أنتِ لرسول الله صلى الله عليه وآله: وكذا كل أزواجك يا رسول الله؟ فقال: نعم. فقلتِ: والله ما أجد لعليٍّ في نفسي موضعاً قريباً أو بعيداً! فقال لكِ: حسبكِ يا عائشة! فقالتْ:[١] يا أم سلمة! يمضي محمد ويمضي علي ويمضي الحسن مسموماً ويمضي الحسين مقتولاً كما أخبر جدّهما! فقال لها الحسن عليه السلام: فما أخبركِ جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله وبأي موتةٍ تموتين وإلى ما تصيرين؟ قالت له: ما أخبرني إلا بخير! فقال الحسن عليه السلام: تالله لقد أخبركِ جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله أنكِ تموتين بالداء والدُّبَيْلةِ[٢] وهي ميتة أهل النار! وإنك تصيرين أنتِ وحزبكِ إلى النار! فقالت: يا حسن متى قال هذا؟ قال: حيث أخبركِ بعداوتكِ عليّاً أمير المؤمنين عليه السلام وإنشائكِ حرباً تخرجين فيها عن بيتكِ متأمّرةً على جمل ممسوخ من مَرَدة الجنّ يُقال له بكير،[٣] وأنكِ تسفكين دمَ خمسة وعشرين ألف رجلٍ من المؤمنين الذين يزعمون أنكِ أمّهم! قالت له: جدّك أخبركَ بهذا أم هذا من علم غيبكَ؟! قال لها: من علم غيب الله وعلم رسوله صلى الله عليه وآله وعلم أمير المؤمنين عليه السلام. قال:[٤] فأعرضت عنه بوجهها وقالت في نفسها: والله لأتصدَّقَنَّ بأربعين ديناراً! ونهضت. فقال لها الحسن عليه السلام: والله لو تصدَّقْتِ بأربعين قنطاراً ما كان ثوابكِ عليها إلا النار»![٥]

---

(١) أي عائشة بعدما شهدت عليها أم سلمة (سلام الله عليها) وذكّرتها بهذا الحديث.

(٢) الدُّبَيْلة: خُراجٌ ودُمَّلٌ كبير يظهر في جوف الإنسان فيقتله.

(٣) قد سبق أن أمير المؤمنين (عليه السلام) نصّ على أن هذا الجمل كان شيطاناً من الجن، وهنا معلومة جديدة هي أن اسم ذلك الشيطان هو بكير، فلمّا مُسخ إلى جمل صار اسمه **عسكر** كما تقدّم.

(٤) أي الإمام الصادق (عليه السلام) راوي الحديث.

(٥) الهداية الكبرى للخصيبي ص١٩٦ وعنه مدينة المعاجز للبحراني ج٢ ص٨٠

إن مما يلفت النظر في هذا الخبر قول عائشة بعدما واجهها الحسن (عليه السلام) بحقيقة أنها وزّعت أربعين ديناراً استبشاراً بمقتل أمير المؤمنين عليه السلام: «**يا حسن! والله لقد كان ما قلتَه! ولله ابن هند لقد شفى وأشفاني**»! وهذا تصريح منها بالابتهاج باغتياله (عليه السلام) والثناء على قاتله! والظاهر من السياق أنها تثني على عبد الرحمن بن ملجم الذي أشفاها بما فعل، وإن كان الاحتمال الآخر هو أنها تثني على معاوية، فهو ابن **هند بنت عتبة** كما هو معلوم، غير أنه بعيد، فالأرجح أنها تعني ابن ملجم، فيكون اسم أمه هند أيضاً. وإني لم أظفر باسمها وكل ما ظفرت به هو أنها وُصفت باليهودية في حديث أمير المؤمنين عليه السلام: «**قتلني ابن اليهودية**».[1] وعلى أيٍّ كان؛ فإن ثناءها على ابن ملجم أو ابن أبي سفيان كاشفٌ عن حبّها للخوارج والباغين والنواصب المعادين لأمير المؤمنين صلوات الله عليه.

ومما يلفت النظر أيضاً في هذا الخبر تذكير أم سلمة (سلام الله عليها) لعائشة بقولها الذي قالته في محضر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «**والله ما أجد لعليٍّ في نفسي موضعاً قريباً أو بعيداً**»! فإنها قد صرّحت بأنها لا تحبّ عليّاً (عليه السلام) ولا تحترمه لا من قريب ولا من بعيد! هذا مع أن النبي (صلى الله عليه وآله) قد قال أمامها للتوّ أن التي تكون من أزواجه ولا ترى لعليٍّ من المنزلة مثل ما له فإنه سيبرأ منها في الآخرة ولن ينفعها قُربه منها في الدنيا! أي أن عائشة استهانت بهذا التحذير النبوي ولم تُقِمْ له اعتباراً فأصرّت على نُصبها وكُرهها لأمير المؤمنين عليه السلام! وهذا يُفضي إلى تأكيد أنها كانت منافقة، لأن المؤمن لا يسعه إذا ما سمع تحذيراً كهذا إلا أن يعالج نفسه لئلّا يخسر الآخرة ويصلى نار جهنّم ببغضه عليّاً عليه السلام، وهذا هو ما فعله **بُريدة الأسلمي**[2] (رضوان الله تعالى عليه) الذي كان في

---

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج٤٢ ص٢٨٤

(٢) روى الشيخ الطوسي في أماليه ص٢٤٩ بسنده عن عبد الله بن بُريدة عن أبيه قال: «**بعث رسول الله صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب عليه السلام وخالد بن الوليد كل واحد منهما وحده، وجمعهما فقال: إذا** =

بادئ الأمر ناصبيّاً ثم تاب بعدما حذّره النبي (صلى الله عليه وآله) فغدا من شيعة علي (عليه السلام) ومحبّيه. أما عائشة فلم تكترث ولم تهتم، وهذا يؤكد كفرها الباطني وعدم إيمانها

= **اجتمعتما فعليكم علي. قال: فأخذنا يميناً أو يساراً. قال: وأخذ علي فأبعد، فأصاب سبياً فأخذ جارية من الخمس. قال بريدة: وكنت أشد الناس بغضاً لعلي وقد علم ذلك خالد بن الوليد، فأتى رجل خالداً فأخبره أنه أخذ جارية من الخمس فقال: ما هذا؟ ثم جاء آخر، ثم أتى آخر، ثم تتابعت الأخبار على ذلك، فدعاني خالد فقال: يا بريدة؛ قد عرفت الذي صنع، فانطلق بكتابي هذا إلى رسول الله فأخبره. وكتب إليه. فانطلقت بكتابه حتى دخلتُ على رسول الله وأخذ الكتاب فأمسكه بشماله، وكان كما قال الله لا يكتب ولا يقرأ، وكنت رجلاً إذا تكلمتُ طأطأت رأسي حتى أفرغ من حاجتي، فطأطأت وتكلّمتُ، فوقعت في عليٍّ حتى فرغت! ثم رفعت رأسي فرأيت رسول الله قد غضب غضباً شديداً لم أره غضب مثله قطُّ إلا يوم قريظة والنضير! فنظر إلي فقال: يا بريدة! إن علياً وليّكم بعدي، فأحب علياً فإنما يفعل ما يُؤمر. قال: فقمتُ وما أحدٌ من الناس أحبُّ إليَّ منه. وقال عبد الله بن عطاء: حدثت بذلك أبا حرب بن سويد بن غفلة، فقال: كتمك عبد الله بن بريدة بعض الحديث أن رسول الله قال له: أنافقت بعدي يا بريدة»؟!**

وعن طريق المخالفين روى النسائي في الخصائص ص٩٩ عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: «**بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن مع خالد بن الوليد، وبعث عليا رضي الله عنه على جيش آخر، وقال: إن التقيتما فعليٌّ كرم الله وجهه على الناس، وإن تفرّقتما فكلٌّ واحدٍ منكما على جنده. فلقينا بني زيد من أهل اليمن وظفر المسلمون على المشركين، فقاتلنا المقاتلة وسبينا الذرية، فاصطفى علي جارية لنفسه من السبي، وكتب بذلك خالد بن الوليد إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأمرني أن أنال منه! قال: فدفعتُ الكتاب إليه ونلتُ من علي رضي الله عنه! فتغيّر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: لا تبغضنَّ يا بريدة لي عليّاً، فإن عليّاً مني وانا منه وهو وليّكم بعدي**».

وفي رواية الطبراني في المعجم الأوسط ج٦ ص١٦٣ قال صلى الله عليه وآله: «**يا بريدة! أما علمتَ أن لعليٍّ أكثر من الجارية التي أخذ وأنه وليكم بعدي؟! فقلتُ: يا رسول الله؛ بالصحبة إلا بسطتَ يدكَ حتى أبايعكَ على الإسلام جديداً! فما فارقتُه حتى بايعته على الإسلام**». أي أن بُريدة (رضوان الله تعالى عليه) اعتبر نفسه قد كفر لأنه أبغض عليّاً (عليه السلام) فبايع النبي (صلى الله عليه وآله) على الإسلام جديداً، فقارن ذلك بموقف عائشة التي لم تُبدِ أي اهتمام!

الحقيقي بنبوة خاتم الأنبياء (صلى الله عليه وآله) كما مرّ من دلائل على ذلك في الفصل الثالث. والنتيجة هي أن عائشة (لعنها الله) لا يمكن أن تجتمع برسول الله (صلى الله عليه وآله) في الجنة كما يتوهّم الحالمون، إذ هو بريء منها بمقتضى هذا الحديث والإقرار منها، وهي الآن في النار كما أنذرها الإمام الحسن (عليه السلام) بقوله عن جدّه صلى الله عليه وآله: «**وإنك تصيرين أنتِ وحزبكِ إلى النار**»!

ومما يلفت النظر أيضاً قول عائشة لأم سلمة بعدما ذكّرتها بذلك الحديث الذي فيه إدانة لها من رسول الله صلى الله عليه وآله: «**يا أم سلمة! يمضي محمد ويمضي علي ويمضي الحسن مسموماً ويمضي الحسين مقتولاً كما أخبر جدّهما**»! وهو يومئ إلى مدى كراهيتها للنبي وآله (عليهم السلام) واستخفافها بهم! فهم في نظرها يمضون ويرحلون بالسم والقتل فيخلو لها الجوّ لما تريد!

والطريف أن عائشة بعدما خوّفها الإمام الحسن (عليه السلام) بأن مصيرها إنما هو إلى النار؛ أسرّت في نفسها قائلةً: «**والله لأتصدَّقَنَّ بأربعين ديناراً**»! وكأنها ظنّت - في لحظة وخز فطرة وضمير - أن ذلك يكفّر عنها تفريقها أربعين ديناراً في مبغضي أمير المؤمنين (عليه السلام) بعدما استُشهد. وكان ردّ الإمام الحسن (عليه السلام) حاسماً على ما قالته في نفسها وأطلعه الله عليه: «**والله لو تصدَّقْتِ بأربعين قنطاراً ما كان ثوابكِ عليها إلا النار**»! أي أنه لا توبة حقيقية يمكن أن تُرتجى من عائشة! كما لا عمل يُقبل منها إذ «**إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ المُتَّقِينَ**».[١] وأي تقوى لرأس الكفر وقرن الشيطان وأم النواصب؟!

(١) المائدة: ٢٨

وأما ما أبانه السبط الأكبر (عليه السلام) من أن عائشة أخذت أربعين ديناراً من جَرْدٍ أخضر فيه ما جمعت «**من خيانة**» فنترك شأنه إلى الفصل الذي نثبت فيه خيانتها في الفراش، فإن في هذا كلاماً شديد المِراس نوكله إلى محلّه إن شاء الله تعالى، فتريّث.

● **الصورة الثامنة عشرة**: قد مضى في الفصل الثاني أن عائشة استولت على الحجرة النبوية المقدسة وضمّتها إلى حجرتها مستقويةً بسلطان أبيها وصاحبه اللذيْن ما إن هلكا حتى أدخلتهما في تلك الحجرة ودفنتهما غصباً إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وآله.

ثم إن عائشة تركت الحجرة وانتقلت للعيش في بيت أرحب وأوسع هو على مسافة من المسجد النبوي الشريف، ويبدو أنها انتقلت إليه ضمن حركة التمدد العمراني في المدينة المنورة، ولعله كان قد وُهب لها من معاوية أو أنها اشترته بما كنزته من «مال سياسي» كان يرشوها به! فإن ابن أبي سفيان كان يغدق عليها من أموال المسلمين مبالغ ضخمة يشتري بها سكوتها عنه في السنوات الأولى من حكمه، حيث خاف أن تنقلب عليه كما انقلبت على عثمان وأسقطت حكمه، فمعلومٌ أن عائشة ليس لها قرار!

ومن الصور التاريخية المنقولة عن رشاوى معاوية لعائشة؛ ما رواه ابن كثير من أن معاوية بعث إليها وهي بمكة بطوق قيمته مئة ألف، فقبلته! وأنه قضى عنها ثمانية عشر ألف دينار![١] وما رواه أبو نعيم من أن معاوية أهدى لها ثياباً وورقاً وأشياء توضع في أسطوانها![٢] وما رواه ابن سعد من أنه بعث لها في ليلة واحدة مبلغاً عظيماً من المال يتجاوز

(١) راجع سيرة ابن كثير ج٧ ص١٣٧ وج٨ ص١٣٦

(٢) راجع حلية الأولياء لأبي نعيم ج٢ ص٤٨

عشرة آلاف درهم**!**[(١)] وأن والي معاوية على البصرة **عبد الله بن عامر** أرسل إليها بنفقة وكسوة من بيت مال البصرة**!**[(٢)]

ومهما يكن؛ فإن عائشة لم تنتقل للسكن في ذلك البيت الجديد إلا بعدما أقفلت باب الحجرة النبوية المقدسة إشعاراً بإصرارها على ملكيّتها لها وحرصاً على أن لا تعود الحجرة إلى الورثة الشرعيين من آل محمد عليهم السلام**!**

وكان الإمام الحسن المجتبى (صلوات الله عليه) قد أوصى قبيل استشهاده بأن يُدفن إلى جوار جدّه (صلى الله عليه وآله) أو يُجدّد عهدا به لأنه الأحق به والأولى بميراثه، فلمّا استشهد وأراد وصيّه الإمام الحسين (صلوات الله عليه) إنفاذ الوصية؛ ركبت عائشة من بيتها بغلاً وجاءت إلى الحجرة المقدسة وهي تقود عصابة من أوغاد بني أمية لمنع دفن الحسن (عليه السلام) عند النبي صلى الله عليه وآله**!** متذرّعةً بأن «البيت بيتها»**!** ومصرّحةً بأنها «لا تريد أن يُدفن فيه مَن لا تحبّ»**!** ثم إنها أمرت برشق جنازة سبط رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالسهام وشاركت بنفسها في ذلك**!** الأمر الذي كاد أن يوقع حرباً تُسفك فيها الدماء من جديد، فاضطر الإمام الحسين (عليه السلام) لأن يعدل بالجنازة إلى البقيع حيث دُفن أخوه (عليه السلام) هناك التزاماً بوصيته بأن لا يُهراق الدم في تشييعه ودفنه مهما يكن.

والنصوص التاريخية التي تروي هذه الحادثة الشهيرة كثيرة مبثوثة في مصادر الفريقيْن، فمنها ما رواه ابن عبد البر: «**لمّا مات الحسن أرادوا أن يدفنوه في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأبتْ ذلك عائشة! وركبت بغلةً وجمعت الناس! فقال لها ابن عباس: كأنكِ أردتِ أن**

---

(١) راجع الطبقات الكبرى لابن سعد ٥ ص١٨

(٢) راجع مسند أحمد ج٦ ص٧٧

يُقال: يوم البغلة كما قيل يوم الجمل؟! قالت: رحمكَ الله؛ ذاك يومٌ نُسِيَ! قال: لا يومَ أذْكَرُ منه على الدهر»![١]

ومنها ما رواه المسعودي: «**وكان الحسين عليه السلام قد عزم على دفنه مع رسول الله صلى الله عليه وآله، فمنعت عائشة من ذلك وركبت بغلة لها وخرجت تؤلِّب الناس عليه وتحرّضهم! فلمّا رأى الحسين عليه السلام ذلك دفنه بالبقيع مع أمه، ولقيها بعض بني هاشم - ورُوي أن ابن عباس لَقِيَها - منصرفةً إلى منزلها فقال لها: أما كفاكِ أن يُقال يوم الجمل حتى يُقال يوم البغل! يوماً على جمل ويوماً على بغل بارزةً عن حجاب رسول الله صلى الله عليه وآله؛ تريدين إطفاء نور الله! والله متمّ نوره ولو كره المشركون، إنا لله وإنا إليه راجعون. فقالت له: إليك عنّي أفٍّ لك**»![٢]

ومنها ما رواه ابن عساكر عن عبّاد بن عبد الله بن الزبير قال: «**سمعتُ عائشةَ تقول يومئذ: هذا الأمر لا يكون أبداً! يُدفن (الحسن) ببقيع الغرقد ولا يكون لهم رابعاً، والله إنه لبيتي أعطانيه رسول الله في حياته! وما دُفن فيه عمر وهو خليفة إلا بأمري! وما أثر علي عندنا بحسن**»![٣]

ومنها ما رواه أبو الفرج الأصبهاني عن علي بن طاهر بن زيد قال: «**لمّا أرادوا دفنه ركبت عائشة بغلاً واستنفرتْ بني أمية ومروان بن الحكم ومن كان هناك منهم ومن حشمهم! وهو القائل: فيوماً على بغل ويوماً على جمل**»![٤]

---

(١) بهجة المجالس لابن عبد البر ص٣٤

(٢) إثبات الوصية للمسعودي ص١٧٣

(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر ج١٣ ص٢٩٣

(٤) مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصبهاني ج١ ص٢٠

ومنها ما رواه سبط ابن الجوزي عن الواقدي وابن سعد: «**لمّا احتضر الحسن قال: ادفنوني عند أبي، يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأراد الحسين أن يدفنه في حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقامت بنو أمية ومروان بن الحكم وسعيد بن العاص - وكان والياً على المدينة - فمنعوه! وقامت بنو هاشم لتقاتلهم، فقال أبو هريرة: أَرأيتم لو مات ابنٌ لموسى؛ أما كان يُدفن مع أبيه؟! قال ابن سعد: ومنهم أيضاً عائشة! وقالت: لا يُدفن مع رسول الله أحد**»![1]

ومنها ما رواه اليعقوبي وابن أعثم وأبو الفداء، واللفظ للأول قال: «**قيل إن عائشة ركبت بغلةً شهباء وقالت: بيتي لا آذنُ فيه لأحد! فأتاها القاسم بن محمد بن أبي بكر، فقال لها: يا عمة! ما غسّلنا رؤوسنا من يوم الجمل الأحمر؛ أَتريدين أن يُقال: يوم البغلة الشهباء**»؟![2]

وجاء أحد أقارب عائشة ليخفّف من جُرمها بدعوى أن مروان بن الحكم وبني أمية كادوا أن يقاتلوا بني هاشم يومذاك لمنعهم من دفن الحسن (عليه السلام) إلى جنب جده صلى الله عليه وآله؛ فخافت عائشة أن تُسفك الدماء فانضمت إلى المانعين! روى المدائني عن هشام بن عروة - وهو كما ذكرنا حفيد أخت عائشة - قال: «**قال الحسن عند وفاته: ادفنوني عند قبر رسول الله صلى الله عليه وآله إلا أن تخافوا أن يكون في ذلك شرٌّ. فلمّا أرادوا دفنه قال مروان بن الحكم: لا يُدفن عثمان في حَشِّ كوكب[3] ويُدفن الحسن ههنا! فاجتمع بنو هاشم**

---

(١) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي ص٢١٣

(٢) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٢٢٥ والفتوح لابن أعثم ج٤ ص٣٢٠ وتاريخ أبي الفداء ج١ ص١٨٣، وراجع ص٤٤٩ من هذا الكتاب.

(٣) موضع على أطراف البقيع كان اليهود يدفنون موتاهم فيه، وقد أُلقيت فيه جثة عثمان بعدما رجمها المسلمون بالحجارة رفضاً لأن يُدفن داخل البقيع مع المسلمين! راجع تاريخ الطبري ج٣ ص٤٣٨

وبنو أمية، وأعان هؤلاء قوم وهؤلاء قوم، وجاءوا بالسلاح، فقال أبو هريرة لمروان: أَ تمنع الحسن أن يُدفن في هذا الموضع وقد سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة! قال مروان: دعنا منك! لقد ضاع حديث رسول الله إذ كان لا يحفظه غيرك وغير أبي سعيد الخدري! وإنما أسلمتَ أيام خيبر! قال أبو هريرة: صدقتَ! أسلمتُ أيام خيبر، ولكنني لزمتُ رسول الله ولم أكن أفارقه، وكنتُ أسأله، وعنيتُ بذلك حتى علمتُ مَن أحبَّ ومَن أبغضَ، ومَن قرَّبَ ومَن أبعد، ومَن أقرّ ومَن نفى، ومَن لعنَ ومَن دعا له![1] فلمّا رأتْ عائشةُ السلاح والرجال وخافت أن يعظم الشرّ بينهم وتُسفك الدماء؛ قالت: البيت بيتي! ولا آذنُ لأحدٍ أن يُدفن فيه! وأبى الحسين عليه السلام أن يدفنه إلا مع جده، فقال له محمد بن الحنفية: يا أخي؛ إنه لو أوصى أن ندفنه لدفنّاه أو نموت قبل ذلك، ولكنه قد استثنى وقال: إلا أن تخافوا الشر، فأي شرٍّ أشد مما نحن فيه؟! فدفنوه في البقيع».[2]

والرواية كما ترى، يريد بها حفيد أخت عائشة الاعتذار عنها بما لا تساعد عليه سائر الروايات المنقولة عن غيره، التي نصّت على أنها كانت هي **الآبية والمؤلّبة والجامعة والمستنفرة!** أي أنها هي الرأس في هذه الحملة الإجرامية كما كانت يوم الجمل، فيوماً على بغل ويوماً على جمل! ولو صحّت رواية هشام هذه لأمكن أيضاً تجريم عائشة، فإنها انحازت إلى بني أمية دون بني هاشم وانضمت إلى المانعين لدفن سبط النبي (صلى الله عليه وآله) عنده، فلماذا لم تنحز بدلاً من ذلك إلى بني هاشم وتقف في وجه بني أمية قائلةً مثلاً: «البيت بيتي ولا آذنُ لكم أن تمنعوا الحسن من أن يُدفن فيه مع جده»! فإن ذلك أيضاً كان سيُبعد الشرّ

---

(١) يعرّض ههنا بمروان إذ هو وأبوه طريدا رسول الله صلى الله عليه وآله.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ج١٦ ص١٤

ويحقن الدماء! أم أن عائشة لا يكون «خروجها للإصلاح» إلا على ظُلم أهل البيت (عليهم السلام) وبني هاشم والانتصار لآل أبي سفيان وبني أمية!

ويزيدنا يقيناً في أن عائشة كانت هي السبب في هذه الحملة الناصبية الظالمة؛ ما رُوي عن الأئمة الأطهار (عليهم السلام) وأصحابهم في هذا الشأن، وهي روايات متضافرة تفصّل الدور الإجرامي لعائشة ومروان بن الحكم وبني أمية، بخلاف روايات أهل الخلاف التي يغلب عليها الإجمال وإن كانت أشارت بالإصبع إلى عائشة قائدةً للحملة كما سبق.

روى الكليني بسنده عن محمد بن مسلم عن الإمام أبي جعفر الباقر (صلوات الله عليه) قال: «**لما احتضر الحسن بن علي عليهما السلام قال للحسين: يا أخي؛ أوصيك بوصية فاحفظها، فإذا أنا متُّ فهيّئني ثم وجّهني إلى رسول الله صلى الله عليه وآله لأحدث به عهداً، ثم اصرفني إلى أمي فاطمة عليها السلام، ثم ردّني فادفنّي في البقيع. واعلم أنه سيصيبني من الحميراء ما يعلم الناس من صنيعها وعداوتها لله ولرسوله صلى الله عليه وآله وعداوتها لنا أهل البيت! فلمّا قُبض الحسن عليه السلام وُضع على سريره، وانطلقوا به إلى مصلّى رسول الله صلى الله عليه وآله الذي كان يصلّي فيه على الجنائز، فصلّى** (الحسين) **على الحسن عليه السلام، فلمّا أن صلّى عليه حُمل فأُدخل المسجد، فلمّا أُوقف على قبر رسول الله صلى الله عليه وآله بلغ عائشة الخبر، وقيل لها:**[1] **إنهم قد أقبلوا بالحسن بن علي ليدفن مع رسول الله! فخرجتْ**

---

(١) في رواية أخرى رواها الكليني في الكافي ج١ ص٣٠٠ عن الباقر (عليه السلام) جاء: «**فصلّى عليه الحسين عليه السلام وحُمل وأُدخل إلى المسجد، فلمّا أُوقف على قبر رسول الله صلى الله عليه وآله ذهب ذو العوينيْن إلى عائشة فقال لها: إنهم قد أقبلوا بالحسن ليدفنوه مع النبي! فخرجت مبادرةً على بغلٍ بسرج فكانت أول امرأة ركبت في الإسلام سرجاً**»! و(ذو العوينيْن أو ذو العُيَيْنتيْن) كناية عن الجاسوس، ومعنى ذلك أنه كان لعائشة جاسوس داخل المسجد يخبرها بالأخبار! أما كونها «أول امرأة ركبت في الإسلام سرجاً» فنترك التعليق عليه إلى الفصل الذي نبحث فيه عن مجونها وفجورها، فاصبر.

مبادرةً على بغل بسَرْج، فكانت أول إمرأة ركبت في الإسلام سَرْجاً! فوقفت فقالت: نحّوا ابنكم عن بيتي فإنه لا يُدفن فيه شيء ولا يُهتك على رسول الله حجابه! فقال لها الحسين ابن علي عليهما السلام: قديماً هتكتِ أنتِ وأبوكِ حجاب رسول الله صلى الله عليه وآله وأدخلتْ بيته مَن لا يحبُّ رسول الله صلى الله عليه وآله قُربه! وإن الله سائلكِ عن ذلك ياعائشة! إن أخي أمرني أن أقرّبه من أبيه رسول الله صلى الله عليه وآله ليُحدث به عهداً، واعلمي أن أخي أعلم الناس بالله ورسوله، وأعلم بتأويل كتابه من أن يهتك على رسول الله صلى الله عليه وآله ستره، لأن الله تبارك وتعالى يقول: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ، وقد أدخلتِ أنتِ بيت رسول الله صلى الله عليه وآله الرجال بغير إذنه! وقد قال الله عزوجل: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ، ولعمري لقد ضربتِ أنتِ لأبيكِ وفاروقِه عند أُذُنِ رسول الله صلى الله عليه وآله المعاول! وقال الله عزّ وجل: إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ، ولعمري لقد أدخل أبوكِ وفاروقُه على رسول الله صلى الله عليه وآله بقربهما منه الأذى! وما رعيا من حقّه ما أمرهما الله به على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله! إن الله حرّم من المؤمنين أمواتاً ما حرّم منهم أحياءً، وتالله ياعائشة لو كان هذا الذي كرهتيه من دفن الحسن عليه السلام عند أبيه صلوات الله عليهما جائزاً فيما بيننا وبين الله؛ لعلمتِ أنه سيُدفن وإن رَغِمَ مَعْطُسِكِ! قال: ثم تكلّم محمد بن الحنفية وقال: ياعائشة! يوماً على بغلٍ ويوماً على جملٍ! فما تملكين نفسك ولا تملكين الأرض عداوةً لبني هاشم! قال: فأقبلتْ عليه فقالت: يابن الحنفية! هؤلاء الفواطم يتكلّمون فما كلامك؟ فقال لها الحسين عليه السلام: وأنّى تبعدين محمداً من الفواطم؟ فو الله لقد ولدته ثلاث فواطم: فاطمة بنت عمران بن عائذ بن عمرو بن مخزوم، وفاطمة بنت أسد بن هاشم، وفاطمة بنت زائدة بن الأصم بن رواحة بن حجر بن عبد معيص بن عامر. قال: فقالت

عائشة للحسين عليه السلام: نحّوا ابنكم واذهبوا به فإنكم قومٌ خَصِمون! قال: فمضى الحسين عليه السلام إلى قبر أمّه، ثم أخرجه فدفنه بالبقيع».[1]

وروى القطب الراوندي عن الإمام أبي عبد الله الصادق (صلوات الله عليه) قال: «لمّا حضرت الحسن بن علي عليه السلام الوفاة؛ بكى بكاء شديداً وقال: إني أقدم على أمر عظيم وهولٍ لم أقدم على مثله قط. ثم أوصى أن يدفنوه بالبقيع، فقال: يا أخي؛ احملني على سريري إلى قبر جدي رسول الله صلى الله عليه وآله لأجدّد به عهدي، ثم رُدّني إلى قبر جدّتي فاطمة بنت أسد فادفنّي، فستعلم يابن أمِّ أن القوم يظنّون أنكم تريدون دفني عند رسول الله صلى الله عليه وآله، فيُجْلِبون في منعكم! وبالله أقسم عليكَ أن تهرقَ في أمري محجمة دم. فلمّا غسلّه وكفّنه الحسين عليه السلام وحمله على سريره، وتوجّه إلى قبر جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله ليجدّد به عهداً؛ أتى مروان بن الحكم ومن معه من بني أمية فقال: أَيُدفنُ عثمان في أقصى المدينة ويُدفن الحسن مع النبي! لا يكون ذلك أبداً! ولحقت عائشة على بغل وهي تقول: مالي ولكم؟! تريدون أن تدخلوا بيتي مَن لا أحب! فقال ابن عباس لمروان بن الحكم: لا نريد دفن صاحبنا فإنه كان أعلم بحرمة قبر رسول الله من أن يطرق عليه هدماً كما طرق ذلك غيره ودخل بيته بغير إذنه! انصرف فنحن ندفنه بالبقيع كما وصّى. ثم قال لعائشة: واسوأتاه! يوماً على بغلٍ ويوماً على جملٍ! (قال الراوندي:) وفي رواية: يوماً تجملتِ ويوماً تبغّلتِ وإنْ عشتِ تفيَّلْتِ»![2]

(١) الكافي للكليني ج١ ص٣٠٢

(٢) الخرائج والجرائح للقطب الراوندي ج١ ص٢٤٢، وقد تقدّم أن ابن الحجّاج البغدادي أخذ هذا المعنى ونظمه شعراً، راجع ص٤٤٩ من هذا الكتاب.

وروى الصدوق عن الإمام أبي عبد الله الصادق (صلوات الله عليه) قال: «**أول امرأة ركبت البغل بعد رسول الله صلى الله عليه وآله عائشة! جاءت إلى المسجد فمنعت أن يُدفن الحسن بن علي عليهما السلام مع رسول الله صلى الله عليه وآله**».[(١)]

وروى المفيد عن زياد المخارقي قال: «**لمّا حضرت الحسن عليه السلام الوفاة، استدعى الحسين عليه السلام وقال: يا أخي إني مفارقك، ولاحقٌ بربّي، وقد سُقيت السم ورميت بكبدي في الطست! وإني لعارفٌ بمن سقاني السم ومن أين دُهيت، وأنا أخاصمه إلى الله عزّ وجل، فبحقّي عليك إنْ تكلّمتَ في ذلك بشيء، وانتظر ما يحدث الله عزّ وجل فيَّ، فإذا قضيتُ نحبي فغمّضني، وغسّلني وكفّني، وأدخلني على سريري إلى قبر جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله لأجدّد به عهداً، ثم رُدّني إلى قبر جدتي فاطمة بنت أسد رحمة الله عليها فادفني هناك. وستعلمُ يابن أمِّ؛ إن القوم يظنّون أنكم تريدون دفني عند رسول الله صلى الله عليه وآله فيُجْلبون في ذلك ويمنعونكم منه، وبالله أقسم عليكَ أن تُهرَق في أمري محجمة دم. ثم وصّى إليه بأهله وولده وتركاته، وما كان وصّى إليه أمير المؤمنين عليه السلام حين استخلفه وأهله بمقامه، ودلّ شيعته على استخلافه، ونصبه لهم علماً من بعده. فلمّا مضى لسبيله؛ غسّله الحسين عليه السلام وكفّنه وحمله على سريره، ولم يشك مروان ومن معه من بني أمية أنهم سيدفنونه عند رسول الله صلى الله عليه وآله فتجمّعوا ولبسوا السلاح، فلمّا**

(١) علل الشرائع للصدوق ج١ ص٢٢٥، ولعلّ المراد أنها أول امرأة ركبت البغل بسرج عطفاً على ما تقدّم، أو أنها أول امرأة ركبت البغل في حملة كالرجال.

هذا وقد روى البخاري في كتاب الكِنى ص٥ أن عائشة ركبت بغلاً وسعت بها حتى استهزأ بها ابن عباس! فقد أخرج عن أبي إدريس العبدي أنه «**رأى عائشة تسعى بين الصفا والمروة على بغلٍ أو بغلة، فجالت بها البغلة! فقال ابن عباس: كان يوم البغلة**»! فالظاهر أن عائشة بعدما فقدت خليلها الحيواني وهو الجمل استعاضت عنه بخليل جديد هو البغل حتى أنها سعت بين الصفا والمروة عليه حتى جال ودار بها!

توجّه به الحسين عليه السلام إلى قبر جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله ليجدّد به عهداً، أقبلوا إليه في جمعهم، ولحقتهم عائشة على بغل! وهي تقول: مالي ولكم؟! تريدون أن تُدخلوا بيتي من لا أحب! وجعل مروان يقول: يا رُبَّ هَيْجا هي خيرٌ من دَعَة![1] أَيُدفن عثمان في أقصى المدينة ويُدفن الحسن مع النبي؟! لا يكون ذلك أبداً وأنا أحمل السيف! وكادت الفتنة أن تقع بين بني هاشم وبين بني أمية. فبادر ابن عباس إلى مروان فقال له: إرجع يا مروان من حيث جئت، فإنّا ما نريدُ دفن صاحبنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله لكنّا نريد أن نجدّد به عهداً بزيارته، ثم نردّه إلى جدته فاطمة فندفنه عندها بوصيته بذلك، ولو كان أوصى بدفنه مع النبي صلى الله عليه وآله لعلمتَ أنك أقصر باعاً من ردّنا عن ذلك، لكنه كان أعلم بالله وبرسوله وبحرمة قبره من أن يطرق عليه هدماً كما طرق ذلك غيره ودخل بيته بغير إذنه! ثم أقبل على عائشة وقال لها : واسوأتاه! يوماً على بغلٍ ويوماً على جمل! تريدين أن تطفئي نور الله وتقاتلي أولياء الله! ارجعي فقد كُفيتِ الذي تخافين وبلغتِ ما تحبّين! والله منتصرٌ لأهل هذا البيت ولو بعد حين. وقال الحسين عليه السلام: والله لولا عهد الحسن إليَّ بحقن الدماء وأن لا أُهريقَ في أمره محجمة دم؛ لعلمتم كيف تأخذ سيوف الله منكم مآخذها، وقد نقضتم العهد بيننا وبينكم، وأبطلتم ما اشترطنا عليكم لأنفسنا. ومضوا بالحسن عليه السلام فدفنوه بالبقيع

(١) أي رُبَّما تكون الحرب خيرٌ من السلم! فقد كان مروان وبنو أمية يريدون اختلاق أي سبب للانقضاض على أهل البيت (عليهم السلام) وبني هاشم بعدما أضحى الحكم في أيديهم بتولي معاوية لعنه الله، وقد وجدوا أمر دفن الحسن (عليه السلام) إلى جوار جده (صلى الله عليه وآله) فرصة سانحة لاختلاق النزاع والإقدام على تنفيذ خطتهم الخبيثة في إفناء آل النبوة عليهم السلام، وهذا هو الذي دفع الحسين (عليه السلام) إلى العدول بالجنازة الشريفة إلى البقيع ودفنها هناك لتفويت الفرصة عليهم.

عند جدته فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف رضي الله عنها وأسكنها جنّات النعيم».[(١)]

وروى الطبري الإمامي أن الحسين (عليه السلام) لّما فرغ من تجهيز الحسن (عليه السلام) والصلاة عليه «سار بنعشه يريد قبر جده رسول الله صلى الله عليه وآله ليلحده معه، فبلغ ذلك مروان بن الحكم طريد رسول الله صلى الله عليه وآله، فوافى مسرعاً على بغلة حتى دخل على عائشة فقال لها: يا أم المؤمنين! إن الحسين يريد أن يدفن أخاه الحسن عند قبر جده! ووالله لئن دفنه معه ليذهبنَّ فخر أبيك وصاحبه عمر إلى يوم القيامة! فقالت له: فما أصنع يا مروان؟ قال: تلحقي به وتمنعي من الدخول إليه. قالت: فكيف ألحقه؟ قال: هذا بغلي فاركبيه والحقي القوم قبل الدخول. فنزل لها عن بغله وركبته! وأسرعت إلى القوم، وكانت أول امرأة ركبت السروج هي! فلحقتهم وقد صاروا إلى حرم قبر جدهما رسول الله صلى الله عليه وآله، فرمت بنفسها بين القبر والقوم وقالت: والله لا يُدفن الحسن ههنا أو تُحلق هذه! وأخرجت ناصيتها بيدها! وكان مروان لّما ركبت بغله جمع مَن كان من بني أمية وحثّهم، فأقبل وأصحابه وهو يقول: يا ربّ هَيْجا هي خيرٌ من دَعَة! أَيُدفن عثمان في أقصى المدينة ويُدفن الحسن مع رسول الله؟! والله لا يكون ذلك أبداً وأنا أحمل السيف! وكادت الفتنة تقع، وعائشة تقول: والله لا يدخل داري مَن أكره! فقال لها الحسين: هذه دار رسول الله! وأنتِ حشيَّةٌ من تسع حشيّاتٍ خلَّفَهُنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله، وإنما نصيبكِ من الدار موضع قدميْكِ! فأراد بنو هاشم الكلام وحملوا السلاح، فمنعهم الحسين عليه السلام وقال: الله الله؛ لا تفعلوا فتضيّعوا وصيّة أخي. وقال لعائشة: لولا أنه أوصى إليَّ أن لا أُهرِقَ فيه محجمة دم لدفنته ههنا ولو رَغِمَ لذلك أنفكِ! وعدل به إلى البقيع فدفنه مع الغرباء! وقال عبد الله بن عباس: يا

(١) الإرشاد للمفيد ج٢ ص١٧

حميراء! كم لنا منكِ؟! فيوم على جمل ويوم على بغل! فقالت: إن شاء أن يكون يومٌ على جمل ويومٌ على بغل! والله ما يدخل الحسن داري»![1]

وروى الحسين بن حمدان الخصيبي والحسين بن عبد الوهاب - واللفظ للأخير - أن الحسن قال للحسين عليهما السلام: «**يا أخي؛ إذا أنا متُّ فغسّلني وحنّطني وكفّني واحملني إلى جدي حتى تُلحدني إلى جانبه، فإن مُنعتَ من ذلك فبحق جدك رسول الله صلى الله عليه وآله، وأبيك أمير المؤمنين عليه السلام، وأمك فاطمة الزهراء عليها السلام؛ أن لا تُخاصِمَ أحداً، واردُد جنازتي من فورك إلى البقيع حتى تدفنّي مع أمي عليها السلام. فلمّا فرغ من شأنه وحمله ليدفنه مع رسول الله صلى الله عليه وآله؛ ركب مروان بن الحكم طريد رسول الله صلى الله عليه وآله بغلةً، وأتى عائشة فقال لها: يا أم المؤمنين! إن الحسين يريد أن يدفن أخاه الحسن مع رسول الله! والله إنْ دُفِنَ معه ليذهبنَّ فخر أبيك وصاحبه عمر إلى يوم القيامة! قالت: فما أصنع يا مروان؟ قال: الحقي به وامنعيه من أن يُدفن معه. قالت: وكيف ألحقه؟ قال: اركبي بغلتي هذه! فنزل عن بغلته وركبتها، وكانت تثوِّرُ الناس وبني أمية على الحسين عليه السلام وتحرّضهم على منعه مما همَّ به! فلمّا قربت من قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وكانت قد وصلت جنازة الحسن عليه السلام؛ رمتْ بنفسها عن البغلة وقالت: والله لا يُدفن الحسن ههنا أبداً أو تُجَزَّ هذه! وأومأت بيدها إلى شعرها! فأراد بنو هاشم المجادلة فقال الحسين عليه السلام: الله الله؛ لا تضيّعوا وصية أخي، واعدلوا إلى البقيع فإنه أقسم عليَّ إنْ أنا مُنِعتُ من دفنه مع جده صلى الله عليه وآله أن لا أخاصم فيه أحداً وأن أدفنه بالبقيع مع أمه عليها السلام. فعدلوا به ودفنوه بالبقيع معها عليها السلام. فقام ابن عباس وقال: يا حميراء! ليس يومنا منكِ بواحد! يوم على الجمل ويوم على البغلة! أما كفاكِ أن يُقال يوم الجمل حتى يُقال**

---

(١) دلائل الإمامة للطبري الإمامي ص١٦٢

يوم البغل؟! يوم على هذا ويوم على هذا بارزةً عن حجاب رسول الله تريدين إطفاء نور الله والله متمٌّ نوره ولو كره المشركون! إنا لله وإنا إليه راجعون! فقالت له: إليك عني! أُفٍّ لك ولقومك»![(١)]

وروى الطوسي بسنده عن ابن عباس في حديث وصية الحسن للحسين (عليهما السلام) قال: «فإني أوصيك يا حسين بمن خلّفتُ من أهلي ووُلدي وأهل بيتك أن تصفح عن مسيئهم وتقبل من محسنهم وتكون لهم خَلَفاً ووالداً، وأن تدفنني مع جدي رسول الله صلى الله عليه وآله، فإني أحقُّ به وببيته ممن أُدخل بيته بغير إذنه ولا كتاب جاءهم من بعده! قال الله تعالى في ما أنزله على نبيّه صلى الله عليه وآله في كتابه: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ، فوالله ما أَذِنَ لهم في الدخول عليه في حياته بغير إذنه، ولا جاءهم الإذن في ذلك من بعد وفاته، ونحن مأذون لنا في التصرف في ما ورثناه من بعده، فإنْ أبتْ عليك الامرأة[(٢)] فأنشدك بالقرابة التي قرَّب الله عز وجل منك، والرحم الماسّة من رسول الله صلى الله عليه وآله؛ أن لا تهريق فيَّ محجمةً من دم حتى نلقى رسول الله صلى الله عليه وآله فنختصم إليه، ونخبر بما كان من الناس إلينا بعده. ثم قُبِض عليه السلام. قال ابن عباس: فدعاني الحسين عليه السلام وعبد الله بن جعفر وعلي بن عبد الله بن العباس فقال: اغسلوا ابن عمكم، فغسّلناه وحنّطناه وألبسناه أكفانه، ثم خرجنا به حتى صلّينا عليه في المسجد، وإن الحسين عليه السلام أمر أن يُفتح البيت، فحال دون ذلك مروان بن الحكم وآل أبي سفيان ومَن حضر هناك من وُلد عثمان بن عفان، وقالوا: أَيُدفن أمير المؤمنين عثمان الشهيد القتيل ظُلماً بالبقيع بشرِّ مكانٍ ويُدفن الحسن مع رسول الله! والله لا يكون ذلك أبداً حتى تُكسر السيوف بيننا

(١) الهداية الكبرى للحسين بن حمدان الخصيبي ص١٧٧ وعيون المعجزات للحسين بن عبد الوهاب ص٥٨

(٢) أي عائشة لعنها الله.

وتنقصف الرماح وينفد النَّبْل! فقال الحسين عليه السلام: أما والله الذي حرّم مكـة؛ لَلحسن ابن علي بن فاطمة أحقُّ برسول الله وببيته ممن أُدخل بيته بغير إذنه، وهو والله أحقُّ به من حمّال الخطايا![1] مُسيِّرِ أبي ذر رحمه الله! الفاعل بعمّارٍ ما فعل! وبعبد الله ما صنع! الحـامي الحِمـى! المؤوي لطريد رسول الله صلى الله عليه وآله! لكنّكم صرتم بعده الأمراء! وبايعكم على ذلـك الأعداء وأبناء الأعداء! قال (ابن عباس): فحملناه فأتينا بـه قـبر أمـه فاطمـة عليهـا الـسلام فدفنّاه إلى جنبها رضي الله عنه وأرضاه. قال ابن عباس: وكنـتُ أول مـن انـصرف فـسمعتُ اللغط وخفتُ أن يعجل الحسين عليه السلام على مَن قد أقبل، ورأيت شخصاً علمـتُ الـشرَّ فيه، فأقبلتُ مبادراً فإذا أنا بعائشة في أربعين راكباً على بغلٍ مُرَحَّلٍ تقدمهم وتأمرهم بالقتـال! فلمّا رأتني قالت: إليَّ إليَّ يابن عباس! لقد اجترأتم عليَّ في الـدنيا تـؤذونني مـرة بعـد أخـرى! تريدون أن تدخلوا بيتي مَن لا أهوى ولا أحبُّ! فقلتُ: واسوأتاه! يومٌ عـلى بغـلٍ ويـومٌ عـلى جملٍ! تريدين أن تطفئي فيه نور الله وتقاتلي أولياء الله! وتحولي بـين رسـول الله صـلى الله عليـه وآله وبين حبيبه أن يُدفن معه! ارجعي فقد كفى الله تعالى المؤنة، ودُفن الحسن إلى جنـب أمـه، فلم يزدد من الله تعالى إلا قُرباً، وما ازددتم منه والله إلا بُعداً، يا سوأتاه! انصرفي فقد رأيتِ مـا سَرَّكِ! قال: فقطَّبَتْ في وجهي ونادت بأعلى بصوتها: أما نسيتم الجمـل يـابن عبـاس؟! إنكـم لذووا أحقاد! فقلتُ: أما والله ما نسيه أهل السماء فكيـف ينـساه أهـل الأرض؟! فانـصرفت وهي تقول:

فألقتْ عَصاها فاستقرَّت بها النَّوى ... كما قـرَّ عيْنـاً بالإيـابِ المُـسافرُ»![2]

---

(١) يعني عثمان بن عفان لعنه الله، والتالي تعداد بعـض جرائمـه كتـسيير أبي ذر إلى الرّبَـذة وفتـق بطـن عـمّار وضرب عبد الله بن مسعود وحماية الطلقاء وإيواء الحكم بن أبي العاص طريد رسول الله صلى الله عليه وآله.

(٢) أمالي الطوسي ص١٦٠، وترى أنها كرّرت التمثّل بهـذا البيـت إمعانـاً في التـشفّي مـن آل النبـوة علـيهم السلام! فكانت المرة الأولى بعد استشهاد أمير المؤمنين والثانية هي هذه بعد استشهاد الحسن عليهما السلام!

ولعلّك التفتّ إلى ما في هذه الرواية الأخيرة من تهديد مروان بن الحكم بقوله: «**والله لا يكون ذلك أبداً حتى تُكسر السيوف بيننا وتنقصف الرماح وينفد النَّبْل**»! فتستشعر أن ثمة قتالاً قد وقع أو لا أقلَّ من مناوشات بالنّبل، والاستشعار في محلّه إذ قد سجّل التاريخ في جنازة الحسن (عليه السلام) أكبر مأساة، حين رشق المجرمون جسده الطاهر بالنّبل حتى أصابه سبعون نبْلاً! وهذا مما لم يقع لأية جنازة أخرى في التاريخ.

روى الذهبي وابن عساكر - واللفظ للثاني - عن الحسن بن محمد بن الحنفية في حديث شهادة الإمام الحسن عليه السلام: «**وأبردَ**[١] **مروان إلى معاوية يخبره بموت حسنٍ وأنهم يريدون دفنه مع النبي وأنهم لا يصلون إلى ذلك أبداً وأنا حي! فانتهى حسين بن علي إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال: احفروا ههنا، فنكب**[٢] **عنه سعيد بن العاص وهو الأمير فاعتزل ولم يَحُلْ بينه وبينه، وصاح مروان في بني أمية ولفها وتلبّسوا السلاح! وقال مروان: لا كان هذا أبدا! فقال له حسين: يابن الزرقاء!**[٣] **ما لكَ ولهذا؟ أَ والٍ أنت؟! قال: لا كان هذا**

(١) أي بعث بريداً.

(٢) أي مال وعدل، والمعنى أن والي المدينة آنذاك **سعيد بن العاص الأموي** كان قد اعتزل - بحسب هذه الرواية - عن أن يتصدى للإمام الحسين (عليه السلام) وبني هاشم في دفن الإمام الحسن (عليه السلام) في حجرة رسول الله صلى الله عليه وآله.

(٣) الزرقاء هي **أمية بنت موهب** جدة مروان بن الحكم لأبيه، وكانت عاهرة من ذوات الرايات تقف بسوق عكاظ تدعو إلى نفسها! وقيل أنها سُمِّيت زرقاء لعينيها. وكان النبي (صلى الله عليه وآله) قد ثلب مروان بأمّه العاهرة هذه حين أُتِيَ به وليداً ليدعو له فأبى، قائلاً كما رواه ابن حمّاد في الفتن ج١ ص١٢٩: «**ابن الزرقاء! هلاكُ عامة أمتي على يديه ويدي ذريّته**»!

وقد روى سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص ص١١٩ عن ابن إسحاق قال: «**بعث مروان بن الحكم وكان والياً على المدينة رسولاً إلى الحسن عليه السلام فقال له: يقول لك مروان: أبوكَ الذي فرّق الجماعة وقتل أمير المؤمنين عثمان وأباد العلماء والزهاد - يعنى الخوارج - وأنت تفخر بغيرك! فإذا قيل لك: من أبوك؟ تقول:** =

ولا يُخلَص إليه وأنا حي! فصاح حسينٌ بحلف الفضول، فاجتمعت بنو هاشم وتيْم وزهرة وأسد وبنو جعونة بن شعوب من بني ليث قد تلبّسوا السلاح، وعقد مروان لواء وعقد حسين بن علي لواء، فقال الهاشيون: يُدفن مع النبي صلى الله عليه وسلم. حتى كانت بينهم المراماة بالنّبْل»![1]

= **خالي الفرس! فلمّا سمعها الحسين عليه السلام قال للرسول: قُل له: يقول لك الحسين بن علي بن فاطمة: يابن الزرقاء الداعية إلى نفسها بسوق ذي المجاز! صاحبة الراية بسوق عكاظ! ويابن طريد رسول الله ولعينه! اعرف مَن أنت ومَن أمك ومَن أبوك! (...) قال الأصمعي: أما قول الحسين: يابن الداعية إلى نفسها؛ فذكر ابن إسحاق أن أم مروان اسمها أميّة وكانت من البغايا في الجاهلية وكان لها راية مثل راية البيطار تُعرف بها! وكانت تسمى أم حبتل الزرقاء»!**

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ج٣ ص٢٧٦ وتاريخ دمشق لابن عساكر ج١٣ ص٢٩١، **وحلف الفضول** حلف جمع بين القبائل المذكورة في الجاهلية بقيادة عبد المطلب (عليه السلام) جد النبي (صلى الله عليه وآله) بهدف حماية مكة المكرمة وحماية الضعفاء وإنصاف المظلومين ومنع الظلم وكفّ الظالمين والمعتدين حتى ولو كانوا من أبناء هذه القبائل المتحالفة نفسها، ويسمى أيضاً **بحلف المطيّبين** لأنهم حين تحالفوا وتعاقدوا غمسوا أيديهم في الطيب. ويقابله **حلف الأحلاف** الذي جمع بني عبد الدار وبني مخزوم وبني سهم وبني جمع وبني عدي بهدف إعزاز بعضها بعضاً والدفع عن أبنائها ظالمين كانوا أم مظلومين! فهو مجرّد حلف قبلي مجرّد عن المبادئ والمُثُل الإنسانية، ويسمى أيضاً **بحلف لعقة الدم** لأنهم حين تحالفوا وتعاقدوا لعقوا دم بقرة!

والحلف الأول أمضاه الإسلام كما ذكره النووي في المجموع ج١٩ ص٣٨٤ لأنه في واقع الأمر ينسجم مع تعاليمه في نصرة المظلوم وصدّ الظالم، بخلاف الحلف الثاني الذي أبطله الإسلام لأنه كان يقوم على الظلم والعدوان.

على أن ما ورد في الرواية من أن تيماً كانت مع حلف الفضول فيه ما فيه من الغرابة والاستبعاد لما مرّ في الفصل الأول من أنها لم تكن ذات شأن يُذكر في الجاهلية كما لم يكن بها اعتداد، إلا أن يُقال أنها ألحقت نفسها به في ما بعد استقواءً بالقبائل القوية، أو أن المقصود بنو تيم اللات لا تيم.

وتَرى أن هذه الرواية وأمثالها من روايات المخالفين قد أثبتت وقوع المراماة بالنّبل أثناء تشييع جنازة السبط الأكبر عليه السلام، بيْد أنها سكتت عن بيان مقدار إصابة النّبال للجنازة الشريفة، كما سكتت عن بيان أول من ابتدأ الرَّميْ وجرّأ القوم عليه، وما العلة في ذلك السكوت إلا محاولة حجب الجريمة الأقبح لعائشة وأبنائها! حين يظهر أنها كانت أول مَن رمى وتبعها على ذلك بنو أمية وعسكرهم الشاميّون حتى أصيبت الجنازة الشريفة بسبعين نبْلاً!

روى ابن شهراشوب عن ابن عباس في وصفه لمجريات الأمور آنذاك: «**ورموا بالنِّبال جنازته حتى سُلَّ منها سبعون نبْلاً**»![1]

وذكر الشهيد التستري أن عائشة «**ركبت على البغلة مع مروان وجماعة من أتباعه للمدافعة حتى جرى بينها وبين ابن العباس رضي الله عنه ما نقلناه سابقاً، وآل الأمر إلى أن رموا جنازة الحسن عليه السلام بالسهام! ووصل النِّصال إلى بدنه الشريف**»![2]

أما فتح الدين الحنفي فقد نصّ على ثبوت منع دفن الحسن (عليه السلام) مع جده (صلى الله عليه وآله) وأن هذا المنع تضمّن رمي جنازته بالحجارة أيضاً! فقال: «**واعلم أنه قد ثبت أن جنازة الحسن رُميت بالحجارة وغيرها ومُنع من الدفن**»![3]

(١) المناقب لابن شهراشوب ج٣ ص٢٠٤

(٢) الصوارم المهرقة للشهيد التستري ص١٦١

(٣) فلك النجاة لفتح الدين الحنفي ص٥٥، وقد كان عالماً بكرياً حنفياً ثم تشيّع بسبب أحد تلامذته ممن تشيّع قبله لاتصاله بأحد علماء الشيعة، وقد استغرقت رحلة بحثه عشر سنوات على ما هو مذكور في ترجمته في كتابه هذا.

وكما كان الحال في يوم الجمل حين أشعلت عائشة شرارة الحرب بفتواها بقتل مسلم العبدي؛ كذلك جرى الحال في يوم البغل! فقد روى عماد الدين الطبرسي أن عائشة ابتدأت المناوشات بالنّبال حين «**استدعت من مروان قوساً وسهماً ورمت بالنُّشّاب إلى جنازته! ثم رشق عسكر الشام بمتابعتهم**»![1]

فعائشة إذن هي التي جرّأت هؤلاء على رمي الجنازة الشريفة، وكانت تلك نذالة منها تُفصح عن خسّتها وإجرامها ونُصبها، وأنها امرأة عديمة الضمير إذ تستهدف بالنُّشّاب الجثمان الشريف لسبط رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسيد شباب أهل الجنة! وهو أمر لم يبدأه مروان نفسه وهو مَن هو في الكفر والإجرام! كما لم يتجرّأ أن يبدأه أحدٌ من أعداء أهل البيت (عليهم السلام) في ذلك الموقف، بمن فيهم عسكر أهل الشام في المدينة. أما عائشة فقد تجرّأت واستهانت إعلاناً منها أنها لا تقيم وزناً لأحكام الشرع مطلقاً، فإن الشرع يحرّم هذا الذي ارتكبته حتى لو كان الميّت كافراً! فكيف إذا كان فلذة كبد رسول الله صلى الله عليه وآله؟!

وتأمل في أن الحميراء كانت قائدة هذه الحملة الغاشمة وزعيمة (ميليشيا) بني أمية وحلفائهم! وما مروان إلا الذي استنجد بها فحسب ثم سلّمها دفّة القيادة لتتصرّف في موضوع دفن الحسن عليه السلام! فإنها هي التي «**استنفرتْ بني أمية ومروان بن الحكم ومن كان هناك منهم ومن حشمهم**» وجاءت «**في أربعين راكباً على بغلٍ مُرَحَّلٍ تقدمهم وتأمرهم بالقتال**»! ويؤكد دورها المحوري في ذلك أن الحسن قال للحسين عليهما السلام: «**فإنْ أبتْ عليك الامرأة**»! وهي إشارة إلى أنها رأس هذه الحملة وأن إباءها هو السبب في حرمانه من

(١) أسرار الإمامة لعماد الدين الحسن بن علي الطبرسي - نسخة إلكترونية عن المخطوط. والنُّشّاب جمع النُّشّابة، أي السهام.

الدفن إلى جوار جده صلى الله عليه وآله، لا تنطّعات مروان وبني أمية، إذ هم جميعاً أذناب لعائشة في تلك المرحلة!

ثم تأمّل في ما جاء في الروايات السابقة من أقوال الحميراء ومواقفها التي تكشف عن شدة نُصبها وعدائها لأهل بيت النبوة عليهم السلام. من ذلك قولها: «**ما أثر عليٍّ عندنا بحسن**»! وقولها: «**مالي ولكم؟! تريدون أن تدخلوا بيتي مَن لا أحب! والله لا يُدفن الحسن ههنا أو تُحلق هذه! والله لا يدخل داري مَن أكره! لقد اجترأتم عليَّ في الدنيا تؤذونني مرة بعد أخرى! تريدون أن تدخلوا بيتي مَن لا أهوى ولا أحبُّ**»!

وهو كما ترى تصريح منها بأنها لا تحب الحسن (عليه السلام) بل تكرهه! مع أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال فيه: «**اللهم إني أحبُّه فأحِبَّه، وأحِبَّ مَن يُحبُّه**».[1] ومفهومه أن عائشة مبغوضة عند الله تعالى لأنها تكره الحسن (عليه السلام) ولا تحبه.

وقولها لابن عباس حين أنكر عليها ما تفعل: «**إليك عني! أفٍّ لك ولقومك**»! يفصح عمّا يعتمل في صدرها من أحقاد على بني هاشم، إلا أن الطريف أنها ترميهم بها على نحو (رمتني بدائها وانسلّت) إذ تقول لابن عباس: «**أما نسيتم الجمل يابن عباس؟! إنكم لذووا أحقاد**»!

وجوابها لابن عباس حين قال: «**يا حميراء! كم لنا منكِ؟! فيوم على جمل ويوم على بغل**»! يؤكد ما سبق من أنها لم تندم قط على ما وقع منها في الجمل، إذ قالت: «**إن شاء أن يكون يومٌ على جمل ويومٌ على بغل! والله ما يدخل الحسن داري**»!

---

(١) صحيح البخاري ج٧ ص٥٥ وصحيح مسلم ج٧ ص١٢٩ ومسند أحمد بن حنبل ج٢ ص٣٣١ وغيرها كثير.

ثم لا تغفل عن استهانتها وتشفّيها باستشهاد سبط رسول الله (صلى الله عليه وآله) وفرحها بمنعها جنازته من أن تُدفن إلى جواره حين أعادت التمثّل بقول القائل:

فألقتْ عَصاها فاستقرَّت بها النَّوى — كما قرَّ عيْناً بالإيابِ المُسافرُ!

وإن لم يكن هذا هو النُّصب بعينه؛ فأي شيء يكون؟! ولو قُدِّرَ لعائشة أن تعيش إلى يوم عاشوراء حيث قُتل أبو عبد الله الحسين (صلوات الله عليه) لكنّا رأيناها قد ركبت فيلاً أو زرافة وهي تحرّض الناس على قتله! إذ لا يُتصوّر أن يكون دورها في ذلك الموقف إلا هذا لشدة عدائها لأهل هذا البيت عليهم السلام. وقد مرّ عليك قول الشاعر:

أَيا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ — لا كانَ وَلا كُنْتِ!

تَجَمَّلْتِ تَبَغَّلْتِ — وَإنْ عِشْتِ تَفَيَّلْتِ!

● **الصورة التاسعة عشرة**: قد عرفتَ من مطاوي البحوث السابقة أن عائشة كانت تستحل الكذب وتستسهله حتى غدت أكثر الناس كذباً واختلاقاً، وقد طالت أكاذيبها ما في العقيدة والأحكام والسيرة والتاريخ حتى لم يبقَ حجر على حجر!

وقد عرفتَ أيضاً أنه ما من حقد لعائشة على أحد أعظم من حقدها على علي بن أبي طالب عليهما السلام، وبعد هذا يكون من الطبيعي أن يتلقى علي (عليه السلام) منها أكاذيب تحطّ من مقامه ومنزلته عند الناس، فذلك من عائشة تنفيس عن حقدها المتجذّر في نفسها تجاهه، سيّما بعد الجمل إذ بحثت عن وسيلة تشفي بها غليلها منه، فكان اختلاق الأحاديث التي تطعن فيه إحدى وسائل الانتقام تلك.

ولم تكن تلك الأحاديث المختلَقة تنتقص علياً (عليه السلام) فحسب؛ بل كانت تطعن في أصل إيمانه وعاقبته، فقد نسبت عائشة كذباً إلى النبي (صلى الله عليه وآله) أنه أنبأ عن أن وصيّه عليّاً (عليه السلام) سيرتدّ ويموت على غير دينه ويهوي إلى النار والعياذ بالله!

وقد أشركت عائشة العباس بن عبد المطلب في هذه الأحاديث الموضوعة أيضاً، ولعل ذلك لحقدها على ابنه عبد الله الذي جرى بينه وبينها ما تقدّم. وعلى أية حال؛ فإن حديثيْن من هذه الأحاديث كان قد حدّث بهما ابن أخت عائشة، عروة بن الزبير، الذي كان من خاصّة تلامذتها كما سبق بيانه. وكان في هذين الحديثيْن من البشاعة ما جعل أحد أعظم رواة المخالفين في زمان بني أمية وهو **ابن شهاب الزهري** لا يسعه إلا اتهام عائشة وعروة في أنهما يضعان الأحاديث القبيحة في ثلب بني هاشم!

روى عبد الرزاق عن معمّر قال: «**كان عند الزهري حديثان عن عروة عن عائشة في علي، فسألته عنهما يوماً فقال: ما تصنع بهما وبحديثهما؟! الله أعلم بهما! إني لأتّهمهما في بني هاشم**»![1]

فما هما هذان الحديثان اللذان حجبهما الزهري عن معمّر متهماً عائشة وعروة بوضع الأحاديث القادحة في بني هاشم؟!

الأول هو ما رواه عن عروة بن الزبير قال: «**حدثتني عائشة قالت: كنت عند رسول الله إذ أقبل العباس وعلي، فقال: يا عائشة؛ إن هذين يموتان على غير ملّتي! أو قال: ديني**»![2]

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج٤ ص٦٤ عن عبد الرزاق.

(٢) المصدر نفسه ج٤ ص٦٣

والثاني هو ما رواه عن عروة بن الزبير أيضاً عن عائشة قالت: «**كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ أقبل العباس وعلي، فقال: يا عائشة؛ إن سرَّكِ أن تنظري إلى رَجُلَيْن من أهل النار فانظري إلى هذين قد طلعا. فنظرتُ فإذا العباس وعلي بن أبي طالب**»![1]

ووضع عائشة لهذين الحديثيْن المكذوبيْن وأشباههما يثبت نُصبها ونفاقها بلا كلام. ومن الحريّ ههنا الإشارة إلى أنها كما كانت تضع المطاعن في علي (عليه السلام) فإنها كانت تستحسن أن يقوم الآخرون بذلك، فإن كان بينها وبين بعضهم شيء من حزازة أو خلاف فإنه يزول فور ما تعلم أنه من الوضّاعين على علي (عليه السلام) أو الصارفين مناقبه إلى غيره سيّما إن كان أباها وصاحبه عمر!

ومثال ذلك ما كان بينها وبين أبي هريرة، فقد سبق واتهمته بالكذب والإكثار عن رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنكرت عليه البذخ حين ركب بغلة مطوّقة بالذهب بعدما أقبلت عليه الدنيا حين صار عاملاً لمعاوية وبني أمية، فما كان منه إلا أن أحرجها بأنه الذي وضع من الأحاديث ما وضع رفعاً لشأن أبيها وصاحبه وحطّاً لشأن علي عليه السلام، وكأنه يعاتبها قائلاً: «أَ هذا جزائي»؟ فسكتت وكفّت عنه!

روى الحاكم عن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص عن عائشة «**أنها دَعَتْ أبا هريرة فقالت له: يا أبا هريرة! ما هذه الأحاديث التي تبلغنا أنك تحدّث بها عن النبي صلى الله عليه وسلم؟! هل سمعتَ إلا ما سمعنا؟! وهل رأيتَ إلا ما رأينا؟! قال: يا أمّاه! إنه كان يشغلكِ**

---

(١) المصدر نفسه ج٤ ص٦٤ ونحوهما في الصراط المستقيم للنباطي البياضي ج٣ ص١٦٦ وشيخ المضيرة لمحمود أبو رية ص١٩٩

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم المرآة والمُكحِلَة والتصنّع لرسول الله صلى الله عليه وسلم! وإني والله ما كان يشغلني عنه شيء»![١]

وروى الذهبي عن إسحاق بن سعيد عن أبيه قال: «**دخل أبو هريرة على عائشة فقالت له: أكثرتَ يا أبا هريرة عن رسول الله! قال: إي والله يا أماه! ما كانت تشغلني عنه المرآة ولا المُكْحِلَة ولا الدهن»!**[٢]

وروى ابن عبد البر وابن عساكر وأحمد بن حنبل واللفظ للأول عن أبي حسان «**أن رَجُليْن دخلا على عائشة وقالا: إن أبا هريرة يحدِّثُ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إنما الطِّيَرَةُ في المرأة والدار والدابة! فطارتْ شِقَّةٌ منها في السماء وشِقَّةٌ في الأرض! ثم قالت: كَذِبَ والذي أنزل الفرقان على أبي القاسم! مَن حَدَّثَ عنه بهذا؟! ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: كان أهل الجاهلية يقولون: الطِّيَرَةُ في المرأة والدار والدابة**».[٣]

فهذا كان موقف عائشة تجاه أبي هريرة، وهو كما ترى موقف تكذيبي تخويني عدائي لا يهمّنا البحث عن دواعيه الآن، غير أن من المؤكد أنه لم يكن بداعي الحرص على تنزيه الساحة النبوية من الأكاذيب لأنه قد عرفنا أن عائشة كانت رأس إشاعة الأكاذيب في واقع الأمر،

---

(١) مستدرك الحاكم ج٣ ص٥٨٢

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي ج٢ ص٦٠٤

(٣) التمهيد لابن عبد البر ج٩ ص٢٨٨ وتاريخ دمشق لابن عساكر ج٦٧ ص٣٥٢ ونحوه في مسند أحمد ابن حنبل ج٦ ص١٥٠ غير أنه حذف التكذيب الصريح! والطِّيَرَة ههنا بمعنى التشؤّم. ومعنى «**فطارتْ شِقَّةٌ منها في السماء وشِقَّةٌ في الأرض**» أنها غضبت غضباً شديداً حتى لكأنها انتفخت غيظاً فانفجرت وانشقّت فطارت شِقَّةٌ منها صوب السماء وأخرى صوب الأرض!

وما أبو هريرة بأكاذيبه إلا كضرطة من ضرطاتها، فلا بدّ إذن من أن يكون لهذا الموقف دوافع أخرى.

وعلى أية حال فإن هذا الموقف قد تبدّل لاحقاً، حين عمد أبو هريرة إلى تنفيذ خطة معاوية في وضع الأخبار القبيحة في علي (صلوات الله عليه) وتحريف فضائله ومناقبه بصرفها إلى أبي بكر وعمر لعنهما الله!

قال أبو جعفر الإسكافي: «**إن معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي عليه السلام، تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جَعْلاً وعطايا مغرية! فاختلفوا ما أرضاه، منهم: أبو هريرة! وعمرو بن العاص! والمغيرة بن شعبة! ومن التابعين: عروة بن الزبير**»![1]

ومن نماذج تلك الموضوعات ما رواه ابن أبي الحديد عن الأعمش قال: «**لمّا قَدِمَ أبو هريرة العراق مع معاوية عام الجماعة؛ جاء إلى مسجد الكوفة، فلمّا رأى كثرة مَن استقبله من الناس جثا على ركبته ثم ضرب صلعته مراراً وقال: يا أهل العراق! أَتزعمون أني أكذب على الله وعلى رسوله وأحرق نفسي بالنار؟! والله لقد سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّ لكل نبي حرماً، وإن حرمي بالمدينة ما بين عير إلى ثور، فمَنْ أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. وأشهد بالله أن عليّاً أحدث فيها! فلمّا بلغ معاوية قوله أجازه وأكرمه وولّاه إمارة المدينة**».[2]

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج٤ ص٦٣ عن أبي جعفر الإسكافي.

(٢) المصدر نفسه ج٤ ص٦٧

وإذ صار أبو هريرة أميراً للمدينة ولو في غياب مروان بن الحكم؛ فقد أقبلت عليه الدنيا من جديد، وصار يلبس أفخر الثياب حتى أنه كان يتمخّط بالكَتّان![1] كما صار يركب أحسن الدواب المزيّنة بالذهب! ولمّا أنكرت عليه عائشة ذلك أسكتها بأنه هو الذي حوّل فضائل علي (عليه السلام) إلى فضائل لأبي بكر وعمر! وله المنّة عليها بذلك!

روى عماد الدين الطبرسي أن أبا هريرة «**ركب بغلة مطوّقةً بالذهب مجلّلاً، فأنكرت عليه عائشة وكانت على غرفة، فقال: يا أم المؤمنين! كُفِّي فإني غيَّرتُ سبعمئة حديث من أحاديث رسول الله قالها في علي بن أبي طالب إلى أبيك وصاحبه تمشيةً لأمرهما! فأطرقت عائشة رأسها خجلاً**»![2]

بعد هذا من الطبيعي أن يتبدّل موقف عائشة تجاه أبي هريرة وأن يزول ما كان في قلبها تجاهه، وأن تشكر له ما صنعه من وضع وتحريف وتبديل، فالنُّصب ملة واحدة، وأهله أخوة متحابّون!

● **الصورة العشرون**: وهي تنقسم إلى صور متعددة تضمنّها حديث أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في بيان أسباب ودواعي حقد عائشة عليه، إذ كشف (عليه السلام) بعضاً مما اختزنه صدرها من الغلّ والبغض له في مواقف شتّى، كان منها ما كان تبعاً لأبيها الذي كان يؤلّبها عليه أكثر وأكثر.

روى المفيد عن عمر بن أبان قال: «**لمّا ظهر أمير المؤمنين على أهل البصرة جاءه رجال منهم فقالوا: يا أمير المؤمنين؛ ما السبب الذي دعا عائشة إلى المظاهرة عليك حتى بلغت من**

---

(١) راجع صحيح البخاري ج٩ ص٣١٧ وفيه حديث يقول فيه أبو هريرة لنفسه: «**بَخْ بَخْ! أبو هريرة يتمخَّطُ في الكَتَّان**»!

(٢) أسرار الإمامة لعماد الدين الحسن بن علي الطبرسي، نسخة الكترونية عن المخطوط.

خلافك وشقاقك ما بلغت وهي امرأة من النساء لم يُكتب عليها القتال ولا فُرض عليها الجهاد ولا أُرخِصَ لها في الخروج من بيتها ولا التبرّج بين الرجال وليست مما تولّته في شيء على حال؟ فقال عليه السلام: سأذكر أشياء حقدتها عليَّ ليس في واحد منها ذنب إليها ولكنها تجرَّمَت بها عليَّ.

أحدها؛ تفضيل رسول الله لي على أبيها وتقديمه إياي في مواطن الخير عليه، فكانت تضطغن ذلك ويصعب عليها، وتعرفه منه فتتبع رأيه فيه![1]

وثانيها؛ لمّا آخى بين أصحابه، آخى بين أبيها وبين عمر بن الخطاب، واختصَّني بأخوّته، فغَلُظَ ذلك عليها وحسدتني لسعدي منه!

وثالثها؛ أوصى صلى الله عليه وآله بسدّ أبوابٍ كانت في المسجد لجميع أصحابه إلا بابي، فلما سدّ باب أبيها وصاحبه وترك بابي مفتوحاً في المسجد تكلّم في ذلك بعض أهله فقال صلى الله عليه وآله: ما أنا سددتُ أبوابكم وفتحت باب علي، بل الله عز وجل سدّ أبوابكم وفتح بابه. فغضب لذلك أبو بكر وعَظُمَ عليه وتكلّم في أهله بشيء سمعته منه ابنته فاضطغنته عليَّ!

وكان رسول الله أعطى أباها الراية يوم خيبر وأمره أن لا يرجع حتى يفتح أو يُقتل، فلم يلبث لذلك وانهزم! فأعطاها في الغد عمر بن الخطاب وأمره بمثل ما أمر صاحبه فانهزم ولم يلبث! فساء رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك وقال لهم ظاهراً معلناً: لأُعطينَّ الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله، كرّارٌ غير فرار، لا يرجع حتى يفتح الله على يده. فأعطاني الراية، فصبرتُ حتى فتح الله على يدي، فغمَّ ذلك أباها وأحزنه! فاضطغنه عليَّ ومالي إليه ذنبٌ في ذلك، فحقدت لحقد أبيها!

---

(١) أي كانت تعرف من أبيها أنه ناقم لتقديم رسول الله (صلى الله عليه وآله) أمير المؤمنين (عليه السلام) عليه في مواطن الخير، فكانت تتبع رأي أبيها وتحمل النقمة والضغينة عنه على أبي الحسن عليه السلام.

وبعث رسول الله صلى الله عليه وآله أباها ليؤدي سورة براءة، وأمره أن ينبذ العهد للمشركين، فمضى حتى الجرف، فأوحى الله إلى نبيه أن يردّه ويأخذ الآيات فيسلّمها إليَّ، فعرَّفَ أباها بإذن الله عز وجل، وكان في ما أوحى الله عز وجل إليه: لا يؤدي عنك إلا رجلٌ منك. وكنتُ من رسول الله وكان منّي، فاضطغن لذلك عليَّ أيضاً وأتبعته عائشة في رأيه!

وكانت عائشة تمقت خديجة بنت خويلد وتشنئها شنآن الضرائر، وكانت تعرف مكانها من رسول الله صلى الله عليه وآله فيثقل ذلك عليها، وتعدّى مقتها إلى ابنتها فاطمة فتمقتني وتمقت فاطمة وخديجة! وهذا معروف في الضرائر.

ولقد دخلتُ على رسول الله ذات يوم قبل أن يُضرب الحجاب على أزواجه وكانت عائشة بقرب رسول الله صلى الله عليه وآله، فلمّا رآني رحَّب وقال: ادنُ مني يا علي. ولم يزل يدنيني حتى أجلسني بينه وبينها، فغَلُظَ ذلك عليها، فأقبلت إليَّ وقالت بسوء رأي النساء وتسرّعهنَّ إلى الخطاب: ما وجدتَ لإستك يا علي موضعاً غير موضع فخذي! فزَبَرها[(١)] النبي صلى الله عليه وآله وقال لها: أَ لعليٍّ تقولين هذا! إنه والله أول من آمن بي وصدّقني، وأول الخلق وِرْداً عليَّ الحوض، وهو أحق الناس عهداً إليَّ، لا يبغضه أحد إلا أكبَّهُ الله على مَنْخِرِه في النار! فازدادت بذلك غيضاً عليَّ!

ولمّا رُمِيَتْ بما رُمِيَتْ اشتدّ ذلك على النبي صلى الله عليه وآله، فاستشارني في أمرها فقلت له: يا رسول الله؛ سَلْ جاريتها بريرة واستبرئ الحال منها، فإن وجدتَ عليها شيئاً فخلِّ سبيلها، فالنساء كثيرة. فأمرني أن أتولّى مسألة بريرة واستبرئ الحال منها، ففعلتُ ذلك،

---

(١) أي انتهرها.

فحقدت عليَّ! والله ما أردتُ بها سوءاً لكنّي نصحتُ لله ولرسوله.[١]

وأمثال ما ذكرتُ، فإن شئتم فاسألوها ما الذي نقمتْ عليَّ حتى خرجَتْ مع الناكثين لبيعتي وسفك دماء شيعتي والتظاهر بين المسلمين بعداوتي إلا البغي والشقاق والمقت لي بغير سبب يوجب ذلك في الدين؟! والله المستعان. فقال القوم: القول والله ما قلت يا أمير المؤمنين، ولقد كشفتَ الغمة، ولقد نشهد إنك أولى بالله ورسوله ممن عاداك».[٢]

فهذه صور عشرون تفصح عن كون عائشة أمّاً للنواصب والخوارج والمعادين لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله، ينضمّ بعضها إلى بعض مع ما سبق ذكره من مواقفها المناوئة المعلومة ليورّث كل ذلك القطع واليقين بكونها أكبر امرأة ناصبية عرفها التاريخ على الإطلاق!

---

(١) هذا لا يناقض بالضرورة ما انتهينا إليه في الفصل الثاني من خرافة قصة الإفك التي جاءت عن عائشة، إذ يمكن الجمع بأنها رُمِيت في حادثة ما لريبة ما، ثم ضخّمتها عائشة وجعلت آيات الإفك نازلةً في تبرئتها باختلاق قصة ما جرى لها في غزوة المريسيع، فتأمّل. ويتراءى لي أن ما رُمِيت به ترتّب على بعض أفعالها كإدخالها رجالاً في بيتها زمان رسول الله (صلى الله عليه وآله) بدعوى أنهم إخوانها من رضاعة الكبير كما سيأتي إن شاء الله تعالى. وعلى أية حال فإن ذلك لم يكن له ربط بغزوة المريسيع وحادثة الإفك الحقيقية التي نزلت فيها آيات، بقرينة أن ههنا ذكراً لبريرة الجارية، وقد قدّمنا في ص٣٥٣ أنها لم تغدُ جارية لعائشة إلا بعد فتح مكة، وبين ذلك وبين غزوة المريسيع نحو سنتيْن، فالحادثة إذن - إن كانت - لا ربط لها بما جرى في تلك الغزوة مما روته عائشة كذباً.

هذا وقد روى المفيد عنها في الجمل ص٨٢ أن أمير المؤمنين (عليه السلام) لمّا تولّى تقرير جاريتها بريرة: «**قطع لها عليٌّ عسباً من النخل وخلا بها يسألها عنّي، ويتهدّدها ويرهّبها، لا جرم أني لا أحبُّ عليّاً أبداً**»!

(٢) الجمل للمفيد ص٢١٨

■ **وأيّة حرمة للتي انتهكت الحرمة؟!**

يتشدّق المخالفون والبتريّون ومَن انساق وراءهم من الغافلين بكلام لأمير المؤمنين (صلوات الله عليه) خاطب به أهل البصرة لترويج دعوى عدم جواز القدح في عائشة ووجوب احترامها لأن لها حرمة خاصة في الإسلام!

وكلام الأمير (عليه السلام) هو ما تقدّم مما وعدنا ببسط الكلام فيه، وهو قوله: «**ولها بعدُ حُرمتها الأولى، والحساب على الله تعالى**».(١)

ودعوى هؤلاء أوهن من بيت العنكبوت، إذ لو كان المراد بهذا الكلام هو ما يزعمون من حرمة القدح في عائشة أو ذمّها؛ لكان كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) ينقض آخرُه أوله! لأن أوله ذم صريح لها، وهذا تمام كلامه عليه السلام: «**وأما عائشة فأدركها رأي النساء، وضِغْنٌ غلا في صدرها كَمِرجَلِ القَيْن! ولو دُعِيَت لتنال من غيري ما أَتَتْ إليَّ لم تفعل! ولها بعد حُرمتها الأولى، والحساب على الله تعالى**».

ولو كان المراد هو ما يزعمون لكان مناقضاً للقرآن والحديث والسيرة، أما القرآن فلأنه تضمّن من الآيات في ذم عائشة وحفصة وإلحاقهما بزوجتيْ نوح ولوط (عليهما السلام) ما سبق ذكره في الفصل السابق، وأما الحديث والسيرة فتلكم أحاديث رسول الله والأئمة الطاهرين (عليهم السلام) التي عدّدنا كثيراً منها آنفاً في ثلب عائشة والقدح فيها، وهي سيرة قطعية تشهد على بطلان هذا التأويل الفاسد الذي يؤوِّل به هؤلاء كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) ويحمّلونه أكثر مما يحتمل.

---

(١) نهج البلاغة – الخطبة رقم: ١٥٦، ومن كلام له عليه السلام خاطب به أهل البصرة على جهة اقتصاص الملاحم.

وينضمّ إلى سيرة النبي وآله (عليهم السلام) في هذا الشأن سيرة أصحابهم الأبرار، الذين لم يجدوا حرجاً شرعياً في ثلب عائشة بالحق، بل والمطالبة بإهدار دمها وقتلها! كما فعله أبو اليقظان عمّار بن ياسر (رضوان الله تعالى عليهما) في الحديث الذي رواه المخالفون، فقد روى ابن قتيبة في تفاصيل ما جرى في وقعة الجمل: «**وعُرقِبَ الجمل الذي عليه عائشة، وانهزم الناس، وأُسِرَتْ عائشة وأُسِرَ مروان بن الحكم وعمرو بن عثمان وموسى بن طلحة وعمرو بن سعيد بن العاص، فقال عمار لعلي: يا أمير المؤمنين؛ اقتُل هؤلاء الأسرى! فقال علي: لا أقتل أسير أهل القبلة إذا رجع ونزع**».[1]

والمطالبة بقتل أحدٍ كاشفٌ عن أن المطالِب لا يرى للمطلوب قتله حرمة الدم وهي أعظم الحرمات، فحرمة جرحه أو ثلبه أو التشنيع عليه - وهي أخف - تكون إذ ذاك منتفية عنده بطريق أولى. وعمّار الذي كان من كبار أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) وفقهائهم لا يُتصوَّرُ عنه في هذا المقام إلا أنه لا يرى لعائشة حرمة مطلقاً بحجة اعتصامها بعصمة الزواج برسول الله صلى الله عليه وآله، فهذه العصمة أو العلقة الاعتبارية تنتفي حين تخونه وتخرج على خليفته، ولذا طالب عمار بقتلها مع سائر أسرى الجمل جزاءً لمحاربتها إمام زمانها، إلا أن هذا الإمام (عليه السلام) امتنع عن قتلهم على سبيل المنّ دفعاً للمفسدة الأعظم، كما سيتضح لك بعد برهة.

وقد سبق منّا مفصّلاً في التوطئة ردّ مزاعم الساعين لتحريم نقد عائشة ولصون ذاتها كما تُصان ذات رسول الله صلى الله عليه وآله، فراجع.

ومن ثمَّ؛ لا ريب في أن قول أمير المؤمنين عليه السلام: «**ولها بعدُ حُرمتها الأولى**» لا يحمل بحالٍ إرادة المنع من ثلب عائشة، فهذا تأويل مبالغ فيه. فما هو المراد بالحرمة إذن وما

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ج١ ص٩٧

كان القصد من هذا البيان؟ الجواب يكون بملاحظة مجاري الأحكام والتأمل في الأحاديث الشريفة المعلّلة لما وقع من أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد الجمل، فهاك التفصيل.

إن الإنسان إذا أسلم تَحَرَّم بحرمات ثلاث هي حرمة الدم، وحرمة العرض، وحرمة المال، ويجمعها عنوان (حرمة الإسلام) مع صرف النظر عن صدق إسلام هذا الإنسان في القلب والسريرة، فحتى لو لم يكن مصدّقاً بقلبه - كالمنافق والشاك - فإنه يكفي أن يصدّق بلسانه ليجري عليه الحكم ويتحرّم بحرمة الإسلام. ولا تنسلخ عنه هذه الحرمة إلا إذا أتى بناقض من النواقض، كالارتداد أو محاربة الله ورسوله (صلى الله عليه وآله) أو إنكار الضروري أو الزنا مع الإحصان وما إلى ذلك مما يجوز بسببه قتله وإباحة عرضه[1] وتوريث ماله أو ضمه إلى بيت المال.

وإن المرأة إذا تزوّجت أحداً فإنها تتحرّم بحرمته، فلا يجوز أن يتعرّض لها الرجال، كأن ينكحها أحدهم أو أن يخطبها أو يغريها بالطلاق ليتزوّجها أو أن يجتمع بها - ولو بغير خلوة - دون إذن الزوج، لأنها حينئذ (حرمة الرجل) الذي يجب حفظه فيها ما دام حياً ولم يطلّقها. فإذا كان هذا الرجل هو خاتم الأنبياء (صلى الله عليه وآله) فإن الحرمة حينذاك تمتد وتتسع لتكون (حرمة النبي). أما امتدادها فهو إلى ما بعد استشهاده (صلى الله عليه وآله) فتحرم المرأة على غيره حرمة أبدية، وأما اتساعها فهو لكل ما من شأنه المبالغة في سترها عن الرجال ولذا وجب أن لا تُسأل متاعاً إلا من وراء حجاب وأن تقرّ في بيتها ولا تخرج إلا للضرورة القصوى. ولا تنسلخ عنها هذه الحرمة الخاصة إلا إذا أتت بناقض من النواقض،

---

(١) بمعنى الحكم بفسخ عقد نكاحه ولو في حياته كما إذا كان مرتدّاً، ثم إباحة نكاح زوجته بعد أن تعتدّ.

كالارتداد أو الخيانة أو التبرّج أو الخروج على الخليفة الشرعي وما إلى ذلك مما يجوز بسببه قتلها أو سبيها أو تطليقها وإباحة الزواج بها على ما سبق بيانه في الفصل الثاني.[1]

والشاهد على معنى (حرمة النبي صلى الله عليه وآله) وضرورة حبس زوجته في بيتها وحفظها عن أن تبرز أمام أعين الرجال؛ ما تقدّم من كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي أنكر به على طلحة والزبير حين قال: «**فخرجوا يجرّون حُرمة رسول الله صلى الله عليه وآله كما تُجرُّ الأَمَة عند شرائها! متوجّهين بها إلى البصرة، فحبسا نساءهما في بيوتهما وأبرزا حبيس رسول الله صلى الله عليه وآله لهما ولغيرهما**»![2]

وهذا المعنى للحرمة تدركه عائشة جيداً، فقد تقدّم أنها حاولت التشنيع على الإمام (صلوات الله عليه) بقولها: «**اللهم افعل بعلي بن أبي طالب وافعل! بعث معي الرجال! ولم يحفظ بي حرمة رسول الله**»![3]

إذن؛ فليس المعنى من (حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله) في مثل هذا المقام إلا هذا، وهو أن يُبالَغ في سترها وحفظها في بيتها لئلّا يتعرّض الرجال إليها ولو بالنظر إلى ظلّها.

إذا عرفتَ ذلك؛ فنقول أن الحرمة التي عُنيت بقوله عليه السلام: «**ولها بعدُ حُرمتها الأولى**» إما أن تكون (حرمة الإسلام) أو هي و(حرمة النبي صلى الله عليه وآله)، وعلى التقديريْن ليس ثمة إرادة أو بيان لحرمة ثلب عائشة، ذلك لأن (حرمة الإسلام) لا تعني إلا حرمة الدم والعرض والمال، و(حرمة النبي صلى الله عليه وآله) لا تعني إلا إرجاع عائشة إلى مسكنها وإرخاء الستر عليها، وهذا ما تمّ.

---

(١) راجع ص٢٦٤ من هذا الكتاب.

(٢) راجع ص٦٣٤ من هذا الكتاب.

(٣) راجع ص٧١٣ من هذا الكتاب.

ولئن سألتَ عن الداعي لهذا البيان من أمير المؤمنين (عليه السلام) إذا كان هكذا تحصيلاً للحاصل؟ قيل في جوابك: إنه (عليه السلام) بعدما أفصح في أول كلامه عن إثمها وجُرمها وكشف عن عظيم حقدها وأظهر الشكوى من فعلتها؛ أراد في آخر كلامه إعلام أهل البصرة أنه لن يعاقبها بما تستوجب شرعاً، فقد كان بإمكانه (عليه السلام) أن يسقط ما لها من الحرمة بعدما هتكتها بنفسها، وأن يقتلها أو يسبيها، إلا أنه استبقاها باستصحاب ما كان لها من الحرمة على سبيل المنّ منه عليها قائلاً: «**ولها بعدُ حُرمتها الأولى، والحساب على الله تعالى**» فأوكل أمر جزائها إلى ربّه جل وعلا. واستصحاب أو استبقاء حرمتها بعد انتفائها يومئ إليه تعبيره (عليه السلام) عنها بالحرمة «الأولى»، وقد كان بإمكانه أن يقول مثلاً: «ولها بعد حرمتها والحساب على الله تعالى» إلا أنه أضاف ذلك الوصف بهذا اللحاظ لهذه النكتة على الأرجح.

وبعبارة أخرى: إن عائشة بعد الذي أحدثته من خروجها ومحاربتها لإمام زمانها (عليه السلام) وقتلها لخيار الناس وإيقاعها الفساد في الأرض؛ لم تبقَ لها حرمة مطلقاً، فكان بإمكان الإمام (عليه السلام) قتلها أو استرقاقها، كما كان له قتل سائر الخارجين عليه واسترقاق نسائهم واغتنام أموالهم، إلا أنه (عليه السلام) منّ عليهم كما منّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) على أهل مكة حين فتحها، فصار أهل الجمل من طلقائه عليه السلام، ومنهم عائشة التي أُرجعت إلى مسكنها في المدينة استصحاباً للحرمة الأولى.

والأحاديث التي تدل على هذا المضمون كثيرة، منها ما رواه الطبرسي والطبري الإمامي عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**إني مننتُ على أهل البصرة كما منَّ رسول الله صلى الله عليه وآله على أهل مكة، فإن عدوا علينا أخذناهم بذنوبهم، ولم نأخذ صغيراً بكبير**».[1]

---

(١) الاحتجاج للطبرسي ج١ ص٢٧٨ والمسترشد للطبري الإمامي ص٣٩٣

ومنها ما رواه الطوسي عن زين العابدين (عليه السلام) إذ سُئِل: «**بما سار علي بن أبي طالب عليه السلام؟ فقال: إن أبا اليقظان كان رجلاً حادّاً رحمه الله، فقال: يا أمير المؤمنين؛ بما تسير في هؤلاء غداً؟ فقال عليه السلام: بالمنّ كما سار رسول الله صلى الله عليه وآله في أهل مكة**».(١)

ومنها ما رواه الكليني عن الصادق عليه السلام: «**الواجب على أمير المؤمنين عليه السلام أن يعدل فيهم حيث كان ظفر بهم كما عدل رسول الله صلى الله عليه وآله في أهل مكة، إنما منَّ عليهم وعفا، وكذلك صنع أمير المؤمنين عليه السلام بأهل البصرة حيث ظفر بهم مثل ما صنع النبي صلى الله عليه وآله بأهل مكة، حذو النعل بالنعل**».(٢)

ومنها ما رواه الصدوق عن الباقر عليه السلام: «**لولا أن عليّاً عليه السلام سار في أهل حربه بالكفّ عن السبي والغنيمة للقيت شيعته من الناس بلاءً عظيماً. ثم قال: والله لسيرته كانت خيراً لكم مما طلعت عليه الشمس**».(٣)

ومنها ما رواه الصدوق أيضاً عن الصادق عليه السلام: «**إن عليّاً عليه السلام إنما منَّ عليهم كما منَّ رسول الله صلى الله عليه وآله على أهل مكة، وإنما ترك علي عليه السلام لأنه كان يعلم أنه سيكون له شيعة، وأن دولة الباطل ستظهر عليهم، فأراد أن يُقتدى به في شيعته، وقد رأيتم آثار ذلك، هو ذا يُسار بسيرة علي عليه السلام، ولو قتل علي عليه السلام أهل**

(١) تهذيب الأحكام للطوسي ج٦ ص١٥٤، وأبو اليقظان هو عمار بن ياسر رضوان الله تعالى عليه، وقد مضت رواية المخالفين في أنه كان يصرّ على قتل أسرى الجمل ويحثّ الإمام (عليه السلام) على ذلك، وحديث زين العابدين (عليه السلام) يعزو هذا إلى أنه كان رجلاً حادّاً رحمه الله. وقد قال الصادق (عليه السلام) كما في البحار للعلامة المجلسي ج٥ ص٢٤١: «**من علامة المؤمن أن تكون فيه حدّة**».

(٢) الكافي للكليني ج٨ ص١٨٠

(٣) علل الشرائع للصدوق ج١ ص١٥٠

البصرة جميعاً واتخذ أموالهم لكان ذلك له حلالاً، لكنه منَّ عليهم ليُمَنَّ على شيعته من بعده».[١]

ومنها ما رواه الطوسي عن الصادق عليه السلام: «**إن عليّاً عليه السلام سار بالمنِّ والكفِّ لأنه عَلِمَ أن شيعته سيُظهر عليهم، وإن القائم إذا قام سار فيهم بالسيف والسبي، وذلك أنه يعلم أن شيعته لن يُظهر عليهم من بعده أبداً**».[٢]

ومنها ما رواه الطوسي أيضاً عن الصادق عليه السلام: «**لسيرة علي عليه السلام في أهل البصرة كانت خيراً لشيعته مما طلعت عليه الشمس، إنه عَلَمَ أن للقوم دولة فلو سباهم لسُبيت شيعته. قلتُ: فأخبرني عن القائم أَ يسير بسيرته؟ قال: إن عليّاً عليه السلام سار فيهم بالمنّ لما عَلِمَ من دولتهم، وإن القائم يسير فيهم خلاف تلك السيرة لأنه لا دولة لهم**».[٣]

وهذه الأخبار توقفنا على علة مَنِّ أمير المؤمنين (عليه السلام) عليهم، إنه لم يمن عليهم لاستحقاقهم ذلك؛ بل منَّ عليهم دفعاً لمفسدة أشد وهي أن يكرّوا بعد استشهاده (عليه السلام) على شيعته فيسبون نساءهم انتقاماً لسبيه نساءهم بعد الجمل لو كان فعل. وإذ أنبأه الله تعالى بأن لأعدائه دولة جائرة من بعده هي دولة بني أمية؛ عمد الإمام (عليه السلام) إلى المنِّ ليُتَّخذ ذلك سيرة ويضطر القوم لأن يسيروا بها ولو بداعي المقابلة بالمثل.

وعلى هذا؛ لقد كان بإمكان أمير المؤمنين (عليه السلام) قتل أو سبي عائشة مثلاً، فهو الإمام وله ما لرسول الله صلى الله عليه وآله، سواءً قتل وسبى أم صفح وعفا، بحسب ما يراه من المصلحة، إلا أن ذلك لو وقع لاستتبع من المفاسد والمضاعفات الخطيرة ما قد لا يُتَخيَّل،

(١) المصدر نفسه ج١ ص١٥٤

(٢) تهذيب الأحكام للطوسي ج٦ ص١٥٤

(٣) المصدر نفسه ج٦ ص١٥٥

إذ يكفي أنه كان سيُحدث بلبلة واضطراباً في جيشه الذي كان عامّته من المخالفين، وما كان هؤلاء ليتحمّلوا أن يروا عائشة تُسبى مثلاً، وإذ عَلِمَ الإمام (عليه السلام) ذلك منهم فإنه خصمهم حين أصرّوا على سبي سائر النساء بأن يقرعوا سهامهم عليها باعتبار أنها رأس الفتنة وقائد هذه الجماعة الناكثة فسبيها أولى من سبي غيرها! فما كان منهم إلا أن تراجعوا عن إصرارهم مرعوبين!

روى المتقي الهندي عن أبي البحتري قال: «**لمّا انهزم أهل الجمل؛ قال علي: لا يُطلَبَنَّ عبدٌ خارجاً من العسكر، وما كان من دابة أو سلاح فهو لكم، وليس لكم أم ولد، والمواريث على فرائض الله، وأي امرأة قُتِلَ زوجها فلتعتد أربعة أشهر وعشراً. قالوا: يا أمير المؤمنين! تحلُّ لنا دماؤهم ولا تحلُّ لنا نساؤهم؟! فقال: كذلك السيرة في أهل القبلة، فخاصموه! قال: فهاتوا سهامكم وأقرعوا على عائشة! فهي رأس الامر وقائدهم! قال: ففرقوا وقالوا: نستغفر الله! فخصمهم علي**».[1]

ولو أقدم الأمير (عليه السلام) فعلاً على سبي عائشة لأدى ذلك إلى انقلاب أكثر جيشه عليه كما انقلب عليه الخوارج في صفّين بعد خدعة رفع المصاحف، ومؤدّى ذلك إما قتله (عليه السلام) أو خلعه، أو على أقل تقدير إضعاف شوكته بما يجعل لمعاوية وحزبه السبيل عليه في برهة قصيرة، بلا صفين ولا نهروان ولا غارات، وإنما هي وقعة واحدة.

ولو أنه (عليه السلام) أقدم على قتل عائشة لجُعل ذلك أعظم التشنيع عليه، ولصار أكبر محفّزٍ لاجتماع سيوف الناس عليه. وقد صرّح بذلك عمرو بن العاص حين قال لعائشة:

(١) كنز العمال للمتقي الهندي ج١١ ص٣٣٥

«لوددتُ أنكِ كنتِ قُتِلتِ يوم الجمل! فقالت: ولمَ لا أباً لـك؟! فقـال: كنـتِ تمـوتين بأجلـك وتدخلين الجنة، ونجعلكِ أكبر التشنيع على علي»![1]

هذا ناهيك عمّا أفصحت عنه الروايات الشريفة المزبورة من أنه (عليه السلام) لو لم يمـنّ لجرى سبي نساء شيعته من بعـده وهتـك أعراضـهن. فلهـذا اسـتبقى أمـير المـؤمنين (عليـه السلام) حرمة عائشة الأولى، لا لاستحقاقها؛ بل لاستحقاق شيعته، ولتفويت الفرصـة عـلى أعدائه من أن يشنّعوا ويؤلّبوا عليه أكثر، ولحفظ تماسك جيشه الذي لم يكن قـد تبـصّر بـالحق بعد، وإنما تبصّر لاحقاً بعد مقدّمات وأعمال، كما سبقت الإشارة إليه في التوطئة.

وهذا هو معنى ما أنشأه (عليه السلام) حين قـال: «**ولهـا بعـدُ حرمتهـا الأولى**»، فهـو لا يعني أن لها كرامة أو مقاماً يمنع من ثلبها أو القـدح فيهـا، كيـف وهـي التـي انتهكـت هـذه الحرمة بخروجها وتبرّجها تـبرّج الجاهليـة الأولى؟! وإنـما كلامـه (عليـه الـسلام) نـاظر إلى استصحاب حرمة دمها وعرضـها، وإرجاعهـا إلى المدينـة لتكـون حبيـسة بيتهـا إلى أن يتهيـأ تطليقها وإباحة نكاحها،[2] كل ذلك منّاً منه (عليه السلام) عليهـا وعـلى سـائر أهـل الجمـل الناكثين، لا أكثر من ذلك.

■ إجرامٌ يطال الأيتام بالضرب المبرّح!

أمرنا الله تعالى بأن نعطف على اليتيم ولا نقهره، فقـال عـزّ مـن قائـل: «**فَأَمَّـا الْيَتِـيمَ فَـلَا تَقْهَرْ**»،[3] كما أمرنا سبحانه بأن نُحسن إلى اليتامى إذ قال في محكم في كتابه: «**وَاعْبُـدُوا اللهَ وَلَا**

---

(١) الكامل للمبرد ص٧٠ وشرح النهج لابن أبي الحديد ج٦ ص٣٢٢

(٢) راجع ص٢٧٨ من هذا الكتاب حيث ذكرنا أن الحسين (عليه السلام) طلّقها في زمانه.

(٣) الضحى: ١٠

تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ»،[1] ولأهمية ذلك جعل الله الإحسان إلى اليتامى من ميثاقه الذي أخذه من بني إسرائيل، حيث قال سبحانه: «**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ**».[2]

وقد أوصى نبينا الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) بالشفقة والعطف على اليتيم بأروع الوصايا التي جذبت قلوب الناس إلى الإسلام، إذ رأوا فيه تلك الرحمة الواسعة التي لا يحدّها حد، فكان من قوله صلى الله عليه وآله: «**كن لليتيم كالأب الرحيم**»[3] وقوله: «**ادنُ اليتيم منك، وألطفه، وامسح برأسه، وأطعمه من طعامك، فإن ذلك يليِّنُ قلبك وتدرك حاجتك**».[4] وبلغ من وصايته (صلى الله عليه وآله) باليتيم أن ضَمِنَ على مَن يتكفّله بأن يكون رفيقاً له في الجنة! فقال صلى الله عليه وآله: «**أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا. وقال بإصبعيه السبابة والوسطى**».[5]

وقد أنذر (صلى الله عليه وآله) مَن يُبكي اليتيم بأن عرش الجبار يهتزّ إثر ذلك! وأوعد من يسكت اليتيم عن البكاء بالجنة، فقال صلى الله عليه وآله: «**إن اليتيم إذا بكى اهتزّ له**

---

(١) النساء: ٣٧

(٢) البقرة: ٨٤

(٣) كنز الفوائد للكراجكي ص١٩٤ ومجمع الزوائد للهيثمي ج٨ ص١٦٣

(٤) تاريخ دمشق لابن عساكر ج٤٧ ص١٥٣ وكنز العمال للمتقي الهندي ج١٦ ص٢٢١ ومصنف عبد الرزاق الصنعاني ج١١ ص٩٧

(٥) صحيح البخاري ج٦ ص١٧٨ وموطأ مالك ج٢ ص٩٤٨ ومسند أحمد ج٥ ص٣٣٣ وغيرها كثير.

العرش! فيقول الرب تبارك وتعالى: مَن هذا الذي أبكى عبدي الذي أسلبتُه أبويه في صغره؟! فوعزّتي وجلالي لا يسكته أحد إلا أوجبت له الجنة».[١]

وكان من تعاليم مولانا أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) قوله: «**ما من مؤمن ولا مؤمنة يضع يده على رأس يتيم ترحّماً له إلا كتب الله له بكل شعرة مرّت يده عليها حسنة**».[٢] وكذا قال إمامنا الصادق صلوات الله عليه: «**ما من عبدٍ مسح يده على رأس يتيم رحمةً له إلا أعطاه الله بكل شعرة نوراً يوم القيامة**».[٣]

هكذا هي تعاليم السماء وسيرة الأنبياء والأوصياء عليهم السلام. والآن قارن ذلك بسيرة عائشة في التعامل مع الأيتام.

روى البخاري بسنده عن شميسة العتكية قالت: «**ذُكِرَ أدب اليتيم عند عائشة رضي الله تعالى عنها فقالت: إني لأضرب اليتيم حتى ينبسط**»![٤]

وروى ابن الأعرابي بسنده عن شعبة عن شميسة العتكية قالت: «**سألتُ عائشة عن أدب اليتيم، فقالت: إني لأضرب أحدهم حتى ينسبط**»![٥]

وإنْ أردتَ معناه فهاكَ إيّاه من الصغاني إذ يقول: «**وأسْبطَ: أي امتدَّ وانبسطَ من الضرب! ومنه حدَيث عائشة رضي الله عنها: أنها كانت تضرب اليتيم يكون في حجرها حتى**

---

(١) ثواب الأعمال للصدوق ص٢٠٠

(٢) المصدر نفسه ص١٩٩

(٣) المصدر نفسه.

(٤) الأدب المفرد للبخاري ص٤١

(٥) معجم ابن الأعرابي ج١ ص٢٤٧

يسبِط؛ أي يمتدَّ على وجه الأرض»![١]

وروى الزمخشري: «**عن عائشة رضي الله عنها: إنها كانت تضرب اليتيم وتلبطه**»![٢]

وإنْ أردتَ معناه فهاكَ إيّاه من ابن منظور إذ يقول: «**وفي الحديث: أن عائشة رضي الله عنها كانت تضرب اليتيم حتى يتلبّط، أي ينصرع مُسبطاً على الأرض ممتدّاً! وفي رواية: تضرب اليتيم وتلبطه، أي تصرعه إلى الأرض**»![٣] وهاكَ أيضاً ما يقوله ابن الأثير: «**ومنه حديث عائشة: تضرب اليتيم وتلبطه، أي تصرعه إلى الأرض**»![٤]

يا لهذه المرأة المتوحشة التي ليس في قلبها ذرة من رحمة أو شفقة!

إنه لم يبلغنا عن عتاة المشركين في الجاهلية أنهم صنعوا مثل هذا الصنيع مع الأيتام، بل كان غاية ما يصنعون أنهم لا يكرمون اليتيم ويدعّونه أي يدفعونه عن حقه كما قال سبحانه: «**كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ**»[٥] وقال: «**أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ**».[٦]

ولئن بلغت بأحدهم القسوة مبلغها فلعلّه كان يضرب اليتيم أو يدفعه في صدره، أما أن يضربه بشكل متواصل ضرباً مبرّحاً موجعاً حتى ينسبط ويتلبّط ويُصرع أرضاً من شدة الضرب.. فهذا ما لم نجد له نظيراً في سيرة أحد إلا هذه المرأة المفترسة المتوحشة!

---

(١) العباب الزاخر للصغاني - مادة: سبط.

(٢) الفايق للزمخشري ج٣ ص١٨٦

(٣) لسان العرب لابن منظور - مادة: لبط.

(٤) النهاية لابن الأثير ج٤ ص٢٢٦

(٥) الفجر: ١٨

(٦) الماعون: ٢ - ٣

■ وبعد.. كان إجرامها يعمّ حتى الحيوانات!

قد بدأنا هذا الفصل بتعداد بعضٍ من جرائم عائشة لبيان طبيعتها الوحشية الإجرامية، وأنها امرأة دموية كانت ميّالةً إلى العنف والإرهاب وسفك الدماء. وقد أوردنا الأحاديث والآثار التي عرّفتنا أن جرائم عائشة عمّت الإنس والجن! أما الإنس فدونك الجمل وما قبله وما بعده، وأما الجنّ فقد مضى في بداية هذا الفصل أنها قتلت جاناً مسلماً بريئاً!

ونختم هذا الفصل بحديث يعرّفنا أن جرائمها عمّت حتى الحيوانات البريئة إذ كانت تضربها بما استدعى انتهاراً من رسول الله صلى الله عليه وآله.

روى مسلم وأحمد بن حنبل والبيهقي واللفظ للأخير عن عائشة «**أنها كانت على جمل فجعلت تضربه! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: يا عائشة! عليكِ بالرّفق، فإنه لم يكن في شيء إلا زانه، ولم يُنزع من شيء إلا شانه**».[1]

أقول: شتّان ما بين منهاج الرسول الأعظم وأهل بيته الأطهار (عليهم السلام) في التعامل مع المخلوقات ومن بينها الحيوانات؛ وبين منهاج عائشة وأمثالها! ففي الوقت الذي يأمر فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالرفق بالحيوانات؛ تضرب عائشة حيواناً بريئاً!

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إن الله تبارك وتعالى يحب الرّفق ويعين عليه، فإذا ركبتم الدواب العجاف فأنزلوها منازلها، فإن كانت الأرض مجدبة فانجوا عليها، وإن كانت مخصبة فأنزلوها منازلها**».[2]

---

(١) صحيح مسلم ج٨ ص٢٣ ومسند أحمد بن حنبل ج٦ ص١٢٥ سنن البيهقي ج١٠ ص١٩٣ وشعب الإيمان له أيضاً ج٧ ص٤٨٠

(٢) من لا يحضره الفقيه للصدوق ج٢ ص٢٨٩

ولئن أردتَ المقارنة؛ فقارن بين تعامل عائشة مع دابّتها وبين تعامل الإمام علي ابن الحسين زين العابدين عليهما السلام - مثلاً - مع دابّته، فقد قال الإمام الصادق عليه السلام: «**حجّ علي بن الحسين عليهما السلام على راحلته عشر سنين ما قرعها بسوط**».[(١)]

أجل.. هكذا هي أخلاق أهل بيت الرحمة (صلوات الله عليهم) وتلك هي أخلاق عائشة التي لو كانت حيّة في زماننا لتظاهرت ضدّها جميع منظمات حقوق الحيوان في العالم! ناهيك عن منظمات حقوق الإنسان! ولربّما تتظاهر منظمات حماية البيئة ضدها أيضاً! فإن امرأة تخرج عن طبيعة الإناث وتتحوّل إلى وحش كاسر يفتك بالإنس والجن والحيوان بما لا يفعله أعتى العتاة الرجال في العالم؛ هي امرأة يُخشى على كوكب الأرض منها ومن جرائمها! فأنّى لأرضٍ أن يعمّها الخير والسلام والأمان والبيئة النقية وفيها عائشة؟!

لقد كانت عائشة امرأة مجرّدة من الضمير الإنساني، بل والحيواني! كانت كالجماد، كالحائط! لا ضمير ولا مروءة ولا إحساس ولا مشاعر! ولسنا في ذلك نتجنّى عليها أو نبالغ، فها هي أم المؤمنين أم سلمة (رضوان الله عليها) قد عرفت كنه عائشة تمام المعرفة فقاطعتها بعد معركة الجمل ولم تكلّمها حتى آخر لحظة من حياتها، ولمّا حاولت الحميراء استرضائها ردّت عليها بقولها لها: «**يا حائط**»!

روى البيهقي «**عن عائشة رضي الله عنها أنها دخلت على أم سلمة بعد رجوعها من وقعة الجمل، وقد كانت أم سلمة حلفت أن لا تكلّمها أبداً من أجل مسيرها إلى محاربة علي بن أبي طالب، فقالت عائشة: السلام عليك يا أم المؤمنين. فقالت: يا حائط! ألم أنهكِ؟! ألم أقل**

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي ج١١ ص٥٤٣

لكِ؟! قالت عائشة: فإني أستغفر الله وأتوب إليه، كلّميني يا أم المؤمنين! قالت: يا حائط! ألم أقل لكِ؟! ألم أنهكِ؟! فلم تكلّمها حتى ماتت»!(١)

وإن من الحسن أن يُجعل نبز (الحائط) لعائشة عند المؤمنين والمسلمين اقتداءً بالسيدة الجليلة أم سلمة سلام الله عليها، فيقال: عائشة الحائط!

❋ ❋ ❋

بعد إذ وقفتَ على الطبيعة الإجرامية لعائشة؛ فإن ذلك يكون لك مقدّمة لاستقبال حقيقة إقدامها على أبشع جريمة في التاريخ الكوني كلّه، ألا وهي إزهاق روح أعظم شخصية في الوجود، أعني سيد الخلائق النبي محمد المصطفى صلى الله عليه وآله! حيث إنها (لعنها الله) أقدمت على قتله غيلةً بدسّ السمّ إليه.

وهذه الحقيقة لا تكون لك مستبعدة بعدما وقفتَ على طبيعتها الإجرامية في هذا الفصل، إذ عرفتَ أنها حين تريد شيئاً فإنها تهدم كل شيء يقف في طريقها كعقبة أو حاجز عن بلوغ مُرادها.

ولأهمية وعِظَم هذه الجريمة الأبشع؛ فقد ارتأينا أن نُفرد لها فصلاً خاصاً، فهلمَّ إليه وعلى الله توكّلنا.

---

(١) المحاسن والمساوئ للبيهقي ج١ ص٤٨١ ونحوه في الحاوي الكبير للماوردي ج١٥ ص٩٩٥ وقد حملوه على دعوى فرار أم سلمة (عليها السلام) من الحنث بيمينها أن لا تكلّم عائشة، ولا يخفى وهنه.

الفصل الخامس

قاتلـة الرســول صلى الله عليـه وآلـه

مَن يقف على سيرة عائشة يستشعر أنها كانت امرأة ذات طموح جامح في أن تكون في الصدارة والمحور، لهذا سعت وأبوها لأن تتزوج بنبي الله (صلى الله عليه وآله) إذ رأياه سلطان ذلك الوقت الذي لا بد من اغتنام ما لديه. وكانت آمال عائشة منعقدة على أن تحظى عند هذا النبي (صلى الله عليه وآله) بما يجعلها (سيدة أولى) لا تنازعها في المنزلة امرأة أخرى، بل ولا رجل آخر، وكانت تنتظر منه أن يستنزل آيات في مدحها، وأن يطلق أحاديث في الثناء عليها، وأن يجعل لها شأناً عظيماً ومقاماً رفيعاً، إلا أنها حين لم تجده يتجاوب مع رغباتها تلك تحوّلت إلى إيذائه وتعكير صفو حياته والتظاهر عليه حتى أنزل الله تعالى في ذمّها وتهديدها قرآناً يُتلى كما سبق بيانه في الفصل الثالث.

قد غاظ الحميراء هذا التجاهل المتكرر من قبل رسول الله (صلى الله عليه وآله) لطموحاتها، فقد كانت تتوقع منه أن يفضّلها ويشرّفها فإذا به يجعلها كسواها حبيسة بيته وحَشِيَّةً من حشاياه ليس إلا، بل فضّل عليها غيرها كخديجة وأم سلمة ومارية عليهن السلام، وقام في الناس آمراً وخطيباً مرّات ومرّات يجهر بفضل فاطمة وبعلها وبنيها عليهم السلام، ويوجب على أمته التعبّد بمحبتهم وموالاتهم، والانقياد لهم، والصلاة عليهم في كل صلاة، وتقديمهم على الأنفس والأولاد والأموال، أما هي وأبوها فلا ينالان شيئاً من ذلك!

وكان من عادته (صلى الله عليه وآله) الإقبال على فاطمة وعلي (عليهما السلام) بما يوغر صدرها حسداً وحقداً، فلا يخرج مسافراً إلا انتهى بفاطمة، ولا يَقْدِمُ إلا بدأ بها، وهو يصفها ويعبّر عنها «**بضعة مني**»[١] تارةً، و«**نور عيني**»[٢] تارةً أخرى، و«**ثمرة فؤادي**»[٣] ثالثةً، و«**روحي التي بين جنبي**»[٤] رابعةً، و«**الحوراء الإنسية**»[٥] خامسةً، و«**سيدة نساء أهل الجنة**»[٦] سادسةً، و«**فداها أبوها**»[٧] سابعةً، و«**أن الله يغضب لغضبها ويرضى لرضاها**»[٨] ثامنةً، إلى ما لا يعدّ ولا يُحصى من الفضائل والمناقب والمدائح. أما هي - أي عائشة - فلا تتلقى منه شيئاً من ذلك، بل تتلقى منه نقيضه من التقريع والتبكيت بسبب سوء أعمالها وخُبث نواياها، كقوله لها: «**أَ تظنّين ياحميراء أني لا أعرفكِ؟! أما إن لأمتي منكِ يوماً**

(١) الخصال للصدوق ص٥٧٣ وكفاية الأثر للخزاز القمي ص٣٧ وصحيح البخاري ج٤ ص٢١٠ وصحيح مسلم ج٧ ص١٤١ وسنن النسائي ج٥ ص٩٧ وغيرها كثير.

(٢) أمالي الصدوق ص١٧٥ وروضة الواعظين للفتال النيسابوري ص١٥٠ وبشارة المصطفى (صلى الله عليه وآله) لمحمد بن علي الطبري ص٣٠٦

(٣) أمالي الصدوق ص١٧٥ وبشارة المصطفى (صلى الله عليه وآله) لمحمد بن علي الطبري ص٣٠٦ واللمعة البيضاء للتبريزي الأنصاري ص٨٥٣

(٤) اعتقادات المفيد ص١٠٥ وعيون أخبار الرضا (عليه السلام) للصدوق ج٢ ص٢٦ وأمالي الطوسي ج٢ ص٤١

(٥) الفضائل لشاذان بن جبرئيل القمي ص٩ ودلائل الإمامة لمحمد بن جرير الطبري الإمامي ص١٤٨ والمحتضر لحسن بن سليمان الحلي ص١٠٩

(٦) كمال الدين للصدوق ص٢٦٣ وروضة الواظين للفتال النيسابوري ص١٤٩ وصحيح البخاري ج٤ ص١٨٣ وسنن الترمذي ج٥ ص٣٢٦ ومسند أحمد بن حنبل ج٣ ص٨٠

(٧) أمالي الصدوق ص٣٠٥ ومناقب ابن شهراشوب ج٣ ص١٢١

(٨) عيون أخبار الرضا (عليه السلام) للصدوق ج٢ ص٢٦ ومستدرك الحاكم ج٣ ص١٥٤ والمعجم الكبير للطبراني ج١ ص١٠٨ وغيرها كثير.

أحمر»![١] وقوله لها: «**قطع الله يدكِ**»**!**[٢] وقوله لها: «**اتخذتِ الدنيا بطنكِ**»**!**[٣] وقولها عنها: «**ما تدع عائشة عداوتنا أهل البيت**»**!**[٤] وضربه لها في صدرها حتى أوجعها**!**[٥] ووصفه إياها بأنها: «**رأس الكفر**»**!**[٦] و«**قرن الشيطان**»**!**[٧] وكان كل هذا مما يزيد في إضرام النار التي تشتعل في صدرها.

وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) لا يزال يرفع شأن أخيه علي (عليه السلام) فيما يحطّ من شأن أبيها، فينتصر لعلي (عليه السلام) ويتعصّب له إذا ما مُسَّ بشطر كلمة، فيقول: «**ما بال أقوامٍ ينتقصون عليّاً؟! مَن تنقَّص عليّاً فقد تنقَّصَني، ومَن فارق عليّاً فقد فارقني، إن عليّاً مني وأنا منه، خُلِق من طينتي، وخُلِقتُ من طينة إبراهيم، وأنا أفضل من إبراهيم، ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**»[٨] ثم لا يكتفي بذلك حتى يؤكد نصبه وليّاً لأمر هذه

---

(١) إثبات الهداة للحر العاملي ج١ ص٣٩١ عن اختصاص المفيد.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص٥٢ وسنن البيهقي ج٩ ص٨٩ وإمتاع الأسماع للمقريزي ص٢٦٥. وراجع ص٢٨٥ من هذا الكتاب.

(٣) كنز العمال للمتقي الهندي ج١٥ ص٢٦٢ والعهود المحمدية للشعراني ص٧٧٧ عن البيهقي. وراجع ص٥٢٠ من هذا الكتاب.

(٤) الصراط المستقيم للنباطي العاملي ج٣ ص١٦٧ عن سعيد بن المسيب عن وهب.

(٥) راجع ص٤٧٩ من هذا الكتاب.

(٦) صحيح مسلم ج٨ ص١٨٠ وغيره كثير.

(٧) صحيح البخاري ج٤ ص١٠٠ وغيره كثير.

(٨) مجمع الزوائد للهيثمي ج٩ ص١٢٨ عن الطبراني.

الأمة بعده قائلاً: «**إنه مني وأنا منه، وهو وليكم بعدي**».[١] أما أبو بكر فلا يحظى بمثل هذه الحميّة، بل يستمرئ النبي (صلى الله عليه وآله) إهانته بأقذع الكلام ولا يكون منه إلا التبسّم![٢] ولكي يصرف عن الناس فكرة أنه جدير بخلافته فإنه يحمّله راية الفتح في خيبر فيرجع مهزوماً مدحوراً «**يجبّن أصحابه ويجبّنونه**»![٣] ويأمره بَدْواً بأن يبلغ سورة براءة في الموسم للمشركين ثم يعزله ويجعل عليّاً (عليه السلام) مكانه لأنه «**لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجلٌ منك**»[٤] فأبو بكر إذن ليس من النبي في شيء!

فما عسى عائشة – وهي الطموحة الجموحة – أن تفعل وهي ترى النبي (صلى الله عليه وآله) يصرف كل شيء مما كانت تحلم به إلى أهل بيته (عليهم السلام) بينما يصرف عنها وعن أبيها كل شيء؟! وما عساها أن تفعل وهي ترى نفسها محرومة من ميراثه المادي والاعتباري؟! سيّما أنها حُرمت منه الولد، بينما هو يشير في جميع المواطن إلى أن فاطمة

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ج٥ ص٣٥٦ وكنز العمال للمتقي الهندي ج١١ ص٦٠٨ وتاريخ دمشق لابن عساكر ج٤٢ ص١٨٩ ونحوه في مسند الطيالسي ص١١١ ومصنف ابن أبي شيبة ج٧ ص٥٠٤ وسنن النسائي ج٥ ص١٣٢ وصحيح ابن حبان ج١٥ ص٣٧٤ ومعجم الطبراني ج١٢ ص٧٨ وسنن الترمذي ج١٣ ص١٦٥ وغيرها كثير.

(٢) راجع ص١٢٣ من هذا الكتاب في حديث إهانة دغفل بن حنظلة لأبي بكر، وكذا راجع حديث أبي هريرة في مسند أحمد بن حنبل ج٣ ص١٦٧ في أن رجلاً شتم أبا بكر فجعل النبي (صلى الله عليه وآله) يعجب ويتبسّم! وأما حديث البخاري في مغاضبة أبي بكر لعمر ودفاع النبي (صلى الله عليه وآله) عن أبي بكر؛ فأمارات الوضع عليه لائحة.

(٣) راجع تاريخ الطبري ج٣ ص٩٣ وسنن البيهقي ج٩ ص١٠٦ ومستدرك الحاكم ج٣ ص٣٨ وذخائر العقبى للمحب الطبري ص٨٢ وحلية الأولياء لأبي نعيم ج١ ص٦٢ وغيرها كثير.

(٤) راجع تفسير السيوطي ج٣ ص٢٠٩ وتفسير البغوي ج٢ ص٢٦٧ وكنز العمال للمتقي الهندي ج١ ص٢٤٧ وتاريخ ابن كثير ج٥ ص٣٨ وغيرها كثير.

وذريتها (عليهم السلام) هم ورثته والامتداد له، وينص - لتأكيد هذه الحقيقة - على أن الحسنين (عليهما السلام) ابناه موافقةً لقول الله تعالى: «**أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ**»[1] وأن «**ذرية كل نبي من صلبه، وذريتي من صلب علي**».[2]

إنه لا يسع عائشة وهي ترى كل آمالها تتلاشى وتنهار أمام ثبات موقف النبي (صلى الله عليه وآله) في تسليم دفّة القيادة لأهل بيته (عليهم السلام) إلا أن تتناغم مع مخططات أبيها وأصحابه للاستيلاء على الحكم! فذلك وحده هو ما يتيح لها أن تتبوأ المكانة التي تصبو إليها، فيؤخذ منها نصف الدين! ويُأتمر بأمرها كأميرة للمؤمنين! وتُفضَّل في العطاء بألفين! وتصير منزلتها بعدُ بمنزلة «فضل الثريد على سائر الطعام»! وتُقدَّسَ إلى حدٍّ أن يُتَبرَّكَ ببعر جملها ويكون ريحه عند الناس كريح المسك!

ومن هنا بدأت قصة اغتيال رسول الله صلى الله عليه وآله، وقلب نظام الحكم من بعده، وتزوير أوامره، وتحريف تعاليمه. وكان للحميراء في هذه القصة المؤلمة دور أساسي ومحوري.

■ بنت الزنا أفعى قاتلة في صورة حمامة سلام!

يسود اعتقاد مؤسف بين المسلمين هو أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد مات حتف أنفه! والحق أنه قد قُتل قتلاً وقبضه الله تعالى إليه شهيداً، غير أن الذي يحجب هذه الحقيقة عن الناس عاملان: **أولهما**؛ حرص المخالفين على إبعاد أبنائهم عن كل ما يكشف حقيقة إجرام أئمتهم كأبي بكر وعمر وعائشة، ومن هنا أغلق هؤلاء باب البحث في مسألة شهادة النبي (صلى الله عليه وآله) بتحاشيهم ذكرها أو مجرد الإشارة إليها، لئلّا يقود ذلك إلى البحث

(١) آل عمران: ٦٢ والمُراد الحسنان (صلوات الله عليهما) إجماعاً.

(٢) الاحتجاج للطبرسي ج١ ص٧٧ ونحوه في ينابيع المودة للقندوزي الحنفي ص١٩٣ عن الطبراني.

في السبب الحقيقي لشهادته (صلى الله عليه وآله) فتقع الإدانة على أمهم عائشة! **وثانيهما؛** تجنب الموالين كشفَ هذه الحقيقة خوفاً من أن يستفزّ ذلك مشاعر المخالفين الذين فُتنوا بأمهم عائشة! وكانت النتيجة ضياع مظلومية خاتم النبيين (صلى الله عليه وآله) وحرمان الأمة من معرفة سبب استشهاده مع أنه أعظم الخلق حقّاً عليها!

ولا ينبغي الشك في أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد قُتل قتلاً مع صراحة قوله تعالى: «**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ**»[١] فإنه بعد معلومية أن الله تعالى لا يجوز عليه الشك والترديد؛ تكون (أو) ههنا للإضراب فتأخذ معنى (بل) نحو قوله تعالى: «**وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ**»[٢] وقوله تعالى: «**ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً**»[٣] وقوله تعالى: «**فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا**»،[٤] وقوله تعالى: «**وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ**»[٥] وعليه يكون المعنى: «**أفإنْ ماتَ بل قُتِل**» ويكون المفاد أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) سيُقتل حتماً، وإن كان في صيغة الكلام نوع إبهام قد يكون لمكان المشركين الذين كانوا يطلبون حين نزول الآية قتل النبي (صلى الله عليه وآله) في أُحُدٍ وما تلاها، وإلا فإن الإضراب بداعي تدارك الغلط محال على علّام الغيوب جلّ وعلا.

---

(١) آل عمران: ١٤٥

(٢) الصافات: ١٤٨

(٣) البقرة: ٧٥

(٤) البقرة: ٢٠١

(٥) النحل: ٧٨

فهذا القرآن شاهدٌ إذن على حقيقة شهادة النبي صلى الله عليه وآله، وأما الأحاديث فقد استفاض عندنا قولهم عليهم السلام: «**والله ما منّا إلا مقتول شهيد**»[(١)] وهو يدل بعمومه على أنه (صلى الله عليه وآله) مقتول شهيد.

وأما خصوصاً ونصّاً؛ فقد روى سُليم بن قيس الهلالي عن عبد الله بن جعفر في حديث أن النبي (صلى الله عليه وآله) قام خطيباً فقال: «**أيها الناس؛ إذا أنا استشهدت فعلي أولى بكم من أنفسكم، فإذا استشهد علي فابني الحسن أولى بالمؤمنين منهم بأنفسهم، فإذا استشهد ابني الحسن فابني الحسين أولى بالمؤمنين منهم بأنفسهم، فإذا استشهد ابني الحسين فابني علي بن الحسين أولى بالمؤمنين منهم بأنفسهم، ليس لهم معه أمر. ثم أقبل على علي عليه السلام فقال: يا علي؛ إنك ستدركه فأقرأه مني السلام. فإذا استشهد فابنه محمد أولى بالمؤمنين منهم بأنفسهم، وستدركه أنت يا حسين فأقرأه مني السلام. ثم يكون في عقب محمد رجالٌ واحد بعد واحد وليس لهم معهم أمر. ثم أعادها ثلاثاً ثم قال: وليس منهم أحد إلا وهو أولى بالمؤمنين منهم بأنفسهم، ليس معه أمر، كلهم هادون مهتدون، تسعة من وُلد الحسين. فقام إليه علي بن أبي طالب عليه السلام وهو يبكي فقال: بأبي أنت وأمي يا نبي الله؛ أَتُقتل؟! قال: نعم! أهلك شهيداً بالسم، وتُقتل أنت بالسيف وتُخضَّب لحيتك من دم رأسك! ويُقتل ابني الحسن بالسم! ويُقتل ابني الحسين بالسيف! يقتله طاغي بن طاغي! دعي بن دعي! منافق بن منافق**»![(٢)]

(١) إعلام الورى للطبرسي ج٢ ص١٣٢ عن الصادق عليه السلام، وعيون الأخبار للصدوق ج١ ص٢٨٧ عن الرضا عليه السلام، ونحوه في كافية الأثر للخزاز ص٢٢٧ عن المجتبى عليه السلام.

(٢) كتاب سُليم بن قيس الهلالي ص٣٦٢ وعنه بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج٣٣ ص٢٦٦

وروى الراوندي وابن شهراشوب – واللفظ للأول – عن الصادق عن آبائه عليهم السلام: «**أن الحسن عليه السلام قال لأهل بيته: أنا أموتُ بالسم كما مات رسول الله صلى الله عليه وآله. قالوا: ومَن يفعل ذلك بك؟ قال: امرأتي جعدة بنت الأشعث، فإن معاوية يدسّ إليها ويأمرها بذلك. فقالوا: أخرجها من منزلك وباعدها عن نفسك! قال: كيف أخرجها ولم تفعل بعدُ شيئاً؟! ولو أخرجتُها ما قتلني غيرها**».[1] ومقتضى الحديث مطابقة كيفية الشهادة، فكما يموت الحسن (عليه السلام) بالسم؛ كذلك مات رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالسم. وكما تقتل امرأة الحسن (عليه السلام) زوجها؛ كذلك قتلت امرأة رسول الله (صلى الله عليه وآله) زوجها.

وروى العياشي عن عبد الصمد بن بشير عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: «**تدرون مات النبي صلى الله عليه وآله أو قُتل؟ إن الله يقول: أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ، فُسَمَّ قبل الموت! إنّهما سقتاه! فقلنا: إنهما وأبويهما شرّ من خلق الله**»![2] ولا يخفى أن المُراد عائشة وحفصة وأبواهما.

وروى العياشي أيضاً عن الحسين بن المنذر قال: «**سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ، القتل أم الموت؟ قال: يعني أصحابه الذين فعلوا ما فعلوا**»![3]

---

(١) إثبات الهداة للحر العاملي ج٢ ص٥٥٨ عن الخرائج والجرائح للراوندي، وبحار الأنوار للعلامة المجلسي ج٤٣ ص٣٢٧ عن مناقب ابن شهراشوب.

(٢) تفسير العياشي ج١ ص٢٠٠

(٣) المصدر نفسه.

وقد مرّ عليك في الفصل الثالث حديثان في ذلك أيضاً، **إحداهما** ما رواه النباطي البياضي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «**أنه أعلم حفصة أن أباها و أبا بكر يليان الأمر، فأفشت إلى عائشة فأفشت إلى أبيها، فأفشى إلى صاحبه، فاجتمعا على أن يستعجلا ذلك على أن يسقياه (صلى الله عليه وآله) سُمّاً**»![1]

وثانيهما ما رواه علي بن إبراهيم القمي في تفسيره لسورة التحريم: «**كان سبب نزولها أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان في بعض بيوت نسائه وكانت مارية القبطية تكون معه تخدمه، وكان ذات يوم في بيت حفصة، فذهبت حفصة في حاجة لها فتناول رسول الله (صلى الله عليه وآله) مارية، فعلمت حفصة بذلك فغضبت! وأقبلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقالت: يا رسول الله؛ في يومي وفي داري وعلى فراشي! فاستحيى رسول الله (صلى الله عليه وآله) منها فقال: كُفّي فقد حرَّمتُ مارية على نفسي ولا أطأها بعد هذا أبداً، وأنا أفضي إليك سراً إنْ أنتِ أخبرتِ به فعليك لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. فقالت: نعم؛ ما هو؟ فقال: إن أبا بكر يلي الخلافة بعدي ثم من بعده أبوكِ. فقالت: مَنْ أَنْبَأَكَ هٰذَا؟ قَالَ: نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الخَبِيرُ، فأخبرت حفصة به عائشة من يومها ذلك! وأخبرت عائشة أبا بكر، فجاء أبو بكر إلى عمر فقال له: إن عائشة أخبرتني عن حفصة بشيء ولا أثق بقولها! فاسأل أنت حفصة. فجاء عمر إلى حفصة فقال لها: ما هذا الذي أخبرت عنكِ عائشة؟ فأنكرت ذلك وقالت: ما قلتُ لها من ذلك شيئاً! فقال لها عمر: إنْ كان هذا حقاً فأخبرينا حتى نتقدّم فيه! فقالت: نعم قد قال رسول الله ذلك. فاجتمعوا أربعةً على أن يسمّوا رسول الله صلى الله عليه وآله**»![2]

---

(١) الصراط المستقيم لعلي بن يونس النباطي البياضي ج٣ ص١٦٨ وعنه بحار الأنوار ج٢٢ ص٢٤٦

(٢) تفسير القمي ج٢ ص٣٧٦ وعنه البحار ج٢٢ ص٢٣٩، وراجع ص٤٦٧ من هذا الكتاب وما بعدها.

وجمهور أهل الخلاف وافقونا في أصل الموضوع وقالوا بشهادته (صلى الله عليه وآله) على أثر تناوله السم، ومما استندوا إليه في ذلك ما رواه أحمد بن حنبل والطبراني وعبد الرزاق الصنعاني عن عبد الله بن مسعود قال: «**لأن أحلف تسعاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قُتل قتلاً أحبُّ إليَّ من أن أحلف واحدةً أنه لم يُقتل! وذلك بأن الله جعله نبياً واتخذه شهيداً**».(١)

بيد أن أهل الخلاف افترقوا عنّا في تشخيص القتلة، ففي حين نقول نحن تبعاً لأئمتنا (عليهم السلام) بأن القتلة المتواطئين هم عائشة وحفصة وأبواهما؛ يقول أهل الخلاف أن القتلة المتواطئين هم اليهود، وذلك أن امرأة منهم تُدعى **زينب بنت الحارث** أرادت أن تستكشف هل أن محمداً (صلى الله عليه وآله) نبي حقاً أم لا؟ كما أرادت أن تثأر لمقتل أخيها **مرحب** في خيبر على يد أمير المؤمنين عليه السلام، فدعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأصحابه إلى وليمة دسّت فيها السم، فتناول النبي (صلى الله عليه وآله) منها شيئاً قليلاً وبقي يعاني من أثر هذا السم إلى أن مات. وكان قد أمر بقتل زينب بنت الحارث هذه!

ونحن إذا أدخلنا هذيْن القوليْن في المخاض العلمي لوجدنا أن قولنا يحالفه التصديق والاطمئنان دون قولهم، وذلك من جهات:

● **الجهة الأولى**؛ أن قولنا متلقّىً عن الأئمة الأطهار من آل محمد (صلوات الله عليهم) وهم أعرف من غيرهم بحقيقة ما جرى على جدّهم صلى الله عليه وآله، كما أنهم الصادقون بنص الكتاب، المبرّأون من كل عيب، فوجب طرح ما جاء عن سواهم إذا ما اصطدم بما جاء عنهم.

---

(١) مسند أحمد ج١ ص٤٠٨ والمعجم الكبير للطبراني ج١٠ ص١٠٩ ومصنف الصنعاني ج٥ ص٢٦٨

● **الجهة الثانية**؛ أن محاولة المرأة اليهودية لسمّ النبي (صلى الله عليه وآله) وقعت بُعيْد فتح خيبر، أي في أول السنة السابعة من الهجرة النبوية الشريفة، وقد استشهد النبي (صلى الله عليه وآله) في آخر السنة العاشرة، فيكون من البعيد جداً أن تكون وفاته بسبب تناوله لهذا السمّ قبل أكثر من ثلاث سنوات، فإن تأثير السم لا يبقى عادة إلى هذه الفترة، وحتى إن بقي فإن أعراضه تصاحبه، فتجد صحة المسموم تتراجع شيئاً فشيئاً، وتظهر عليه أمارات التدهور، غير أنّا وجدنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) من يوم فتح خيبر إلى أيام قليلة من استشهاده؛ يتمتع بكامل صحته وعافيته حتى أنه كان يشارك في المعارك والغزوات بشكل طبيعي، ولا أدلّ من هذا على أنه لم يكن لذلك السم في خيبر أثر عليه، هذا إن صحّ أنه تناوله، ولم يصحّ ذلك كما سيأتي.

● **الجهة الثالثة**؛ أن بعض الروايات ذكرت أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم يتناول من تلك الشاة المسمومة أصلاً، فقد أعلمه الله تعالى بأنها مسمومة فأمر أصحابه بأن لا يأكلوا منها، وكانت هذه معجزة من معاجزه (صلى الله عليه وآله) ودليلاً من دلائل نبوته.

روى أبو داود والبيهقي والخطيب عن أبي هريرة قال: «**إن امرأة من اليهود أهدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة مسمومة فقال لأصحابه: أمسكوا فإنها مسمومة. فقال: ما حملكِ على ما صنعتِ؟ فقالت: أردتُ أن أعلم إنْ كنتَ نبيّاً فسيطلعك الله عليَّ وإن كنتَ كاذبا أريح الناس منك! قال: فما عرض لها رسول الله صلى الله عليه وسلم**».[1]

وروى البخاري والدارمي عن أبي هريرة قال: «**لمّا فُتحت خيبر أُهدِيَت للنبي صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم، فقال النبي: اجمعوا إليَّ من كان ههنا من يهود، فجُمعوا له. فقال لهم: إني سائلكم عن شيء فهل أنتم صادقوني إن سألتكم عنه؟ فقالوا: نعم يا أبا القاسم.**

(١) السيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٩٦ عن البيهقي وأبي داود، وتاريخ بغداد ج٧ ص٣٨٤ وغيرها كثير.

فقال لهم من أبوكم؟ فقالوا: أبونا فلان. فقال لهم: كذبتم! بل أبوكم فلان. قالوا: صدقت وبررت. فقال لهم: هل أنتم صادقوني عن شيء إن سألتكم عنه؟ فقالوا: نعم يا أبا القاسم، وإن كذبناك عرفت كذبنا كما عرفته في أبينا. فقال لهم: من أهل النار؟ فقالوا: نكون فيها يسيراً ثم تخلفونا فيها. فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: اخسئوا فيها! والله لا نخلفكم فيها أبداً. ثم قال لهم: هل أنتم صادقوني عن شيء إن سألتكم عنه؟ فقالوا: نعم. فقال هل جعلتم في هذه سمّاً؟ فقالوا: نعم. فقال ما حملكم على ذلك؟ فقالوا: أردنا إنْ كنتَ كذاباً أن نستريح منك، وإن كنت نبياً لم يضرّك».(١)

● **الجهة الرابعة**؛ أن بعض الروايات أكدت أن النبي (صلى الله عليه وآله) لم يتعرّض لزينب بنت الحارث ولم يعاقبها ولم يقتلها، كما تقدّم في رواية أبي داود والبيهقي والخطيب، وكذا في رواية أبي داود عن جابر بن عبد الله قال: «**فعفا عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعاقبها**»(٢) بل في رواية الطبري: «**فضحك نبي الله صلى الله عليه وسلم وتركها**».(٣)

وروى عبد الرزاق الصنعاني وابن حجر العسقلاني عن الزهري أنها «**أسلمت فتركها النبي صلى الله عليه وسلم**».(٤)

ويؤيده أيضاً ما في رواية البخاري ومسلم من أنه (صلى الله عليه وآله) لّما سُئل: «**ألا نقتلها؟ قال: لا**».(٥)

---

(١) صحيح البخاري ج٤ ص٦٦ وسنن الدارمي ج١ ص٣٣ وغيرهما كثير.

(٢) السيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٩٧ عن أبي داود.

(٣) تهذيب الآثار للطبري ج٦ ص٣٨١

(٤) مصنف الصنعاني ج١١ ص ٢٨ وعنه سيرة ابن كثير ج٣ ص٣٩٨، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ج٨ ص١٥٥

(٥) صحيح البخاري ج٣ ص١٤١ وصحيح مسلم ج٧ ص١٥

وهذا أدعى للتصديق، لموافقته خُلُق النبوة في العفو والصفح، ولأقربية إسلام المرأة بعد الذي رأت من نطق رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالغيب وكشفه ما صنعت، أو لأقربية فرارها من العقاب وتحرّمها بالإسلام إذ هو يجبُّ ما كان قبله.

● **الجهة الخامسة**؛ أنّا لو قبلنا مضمون هذه الروايات التي تذكر تناول النبي (صلى الله عليه وآله) لتلك الشاة المسمومة دونما علمٍ منه بذلك؛ لفتح ذلك باب الطعن في نبوته وتكذيبه في دعواه أنه رسول الله! ذلك لأن المرأة قالت في مقام تعليل ما صنعت: «**أردتُ أن أعلم إنْ كنتَ نبيّاً فسيطلعك الله عليَّ وإن كنتَ كاذباً أريح الناس منك**»! فإن كان حقاً أن الله تعالى لم يُطْلِع رسوله (صلى الله عليه وآله) على ذلك فأكل - ولو لقمة - فإن ذلك يفضي إلى اعتقاد المرأة واليهود بكذبه والعياذ بالله، وهذا ما لا يكون من الحكيم جل وعلا، فإنه ينصر رسله في مثل مواقف التحدي هذه مُظهراً صدقهم في دعواهم النبوة، كما يشهد به تاريخ النبوة والأنبياء عليهم السلام.

إذن لا سبيل للقول بأنه (صلى الله عليه وآله) قد أكل من تلك الشاة المسمومة دونما علمٍ وإخبار، كما لا سبيل للقول بأنه (صلى الله عليه وآله) قد أكل منها شيئاً قليلاً ثم أطلعه الله على ذلك، لأن هذا في نظر المرأة واليهود لا يكون من الاطلاع على الغيب ولا من آيات ودلائل النبوة، إذ يقولون أنه بعدما لاكَ لقمةً أحسَّ بأن الطعام مسموم فامتنع عن مواصلة الأكل، فلا ثبوت قطعياً لدعوى نبوته إذ ذاك، وهذا من جملة ما يروّجه أعداء الإسلام اليوم من النصارى واليهود، فقد أخذوه مطعناً في نبوة خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله، وقد سمعناه من بعضهم ههنا في الغرب وجَهِدنا في إرجاعهم إلى روايات آل محمد (عليهم السلام) وما يوافقها التي تؤكد على نطق الذراع المسمومة وقولها للنبي صلى الله عليه وآله:

«**إني مسمومة**»[1] فلم يسمعوا! واحتجوا علينا بروايات البخاري ومسلم وأضرابهما من الذين رووا الأكاذيب والمختلَقات عن أمثال عائشة وأبي هريرة وأضرابهما!

وقد روى إمامنا العسكري (صلوات الله عليه) التفاصيل الدقيقة لما جرى ذلك اليوم، حيث قال في تفسيره الشريف: «**وأما كلام الذراع المسمومة فإن رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا رجع من خيبر إلى المدينة وقد فتح الله له؛ جاءته امرأة من اليهود قد أظهرت الإيمان ومعها ذراع مسمومة مشوية، فوضعتها بين يديه. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما هذه؟ قالت له: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، همّني أمرك في خروجك إلى خيبر فإني علمتهم رجالاً جلداً،[2] وهذا حملٌ كان لي ربّيتُه أعدّه كالولد لي، وعلمتُ أن أحبَّ الطعام إليك الشواء، وأحب الشواء إليك الذراع، فنذرتُ لله لئن سلّمك منهم لأذبحنّه ولأطعمنّك من شواء ذراعه، والآن قد سلّمك منهم وأظفرك بهم، فجئتُ بهذا لأفي بنذري. وكان مع رسول الله صلى الله عليه وآله البراء بن معرور[3] وعلي بن أبي طالب عليه السلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ائتوا بخبز. فأُتِيَ به فمدّ البراء بن معرور يده وأخذ منه لقمة فوضعها في فيه. فقال له علي بن أبي طالب عليه السلام: يا براء؛ لا تتقدّم رسول الله صلى الله عليه وآله. فقال له البراء - وكان أعرابياً[4] - : يا علي! كأنك تبخّل رسول الله صلى الله عليه وآله! فقال علي عليه السلام: ما أبخِّلُ رسول الله صلى الله عليه وآله، ولكني أبجّله وأوقّره، ليس لي ولا لك**

(١) الأمالي للصدوق ص٢٩٤ والثاقب في المناقب لابن حمزة الطوسي ص٨١ عن أمير المؤمنين عليه السلام.

(٢) تريد أنها اهتمّت وأشفقت على النبي (صلى الله عليه وآله) إذ توجّه لقتال رجال يهود فيهم جلادة وخشونة.

(٣) كذا جاء في النسخة والظاهر أنه قد سقط من الناسخ اسم ولده بشر الذي هو صاحب القصة فتكرّر هذا التصحيف في الخبر.

(٤) أي يحمل صفات الأعراب في ذلك الزمان من الغلظة والخشونة، لا أنه أعرابي انتماءً، فهو مدني أنصاري.

ولا لأحد من خلق الله أن يتقدّم رسول الله صلى الله عليه وآله بقول ولا فعل ولا أكل ولا شرب. فقال البراء: ما أبخِّلُ رسول الله صلى الله عليه وآله. فقال علي عليه السلام: ما لذلك قلتُ، ولكن هذا جاءت به هذه وكانت يهودية، ولسنا نعرف حالها، فإذا أكلتَه بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله فهو الضامن لسلامتك منه، وإذا أكلتَه بغير إذنه وُكِّلْتَ إلى نفسك. يقول علي عليه السلام هذا والبراء يلوك اللقمة، إذ أنطق الله الذراع فقالت: يا رسول الله! لا تأكلني فإني مسمومة! وسقط البراء في سكرات الموت ولم يُرفع إلا ميتاً! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ايتوني بالمرأة. فأُتي بها، فقال لها: ما حملكِ على ما صنعتِ؟ فقالت: وترتني وَتراً عظيماً! قتلتَ أبي وعمي وأخي وزوجي وابني! ففعلتُ هذا وقلتُ: إنْ كان ملكاً فسأنتقم منه، وإنْ كان نبياً كما يقول وقد وُعِد فتح مكة والنصر والظفر فسيمنعه الله ويحفظه منه[1] ولن يضرّه. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أيتها المرأة لقد صدقتِ. ثم قال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: لا يضرّكِ موت البراء فإنما امتحنه الله لتقدّمه بين يديْ رسول الله صلى الله عليه وآله، ولو كان بأمر رسول الله أكل منه لكُفِيَ شرّه وسَمَّه. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ادعُ لي فلاناً وفلاناً. وذكر قوماً من خيار أصحابه منهم سلمان والمقداد وعمار وصهيب وأبو ذر وبلال وقوم من سائر الصحابة تمام عشرة، وعلي عليه السلام حاضر معهم. فقال صلى الله عليه وآله: اقعدوا وتحلّقوا عليه. فوضع رسول الله صلى الله عليه وآله يده على الذراع المسمومة ونفث عليه وقال: بسم الله الرحمن الرحيم، بسم الله الشافي، بسم الله الكافي، بسم الله المعافي، بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء ولا داء في الأرض ولا في السماء، وهو السميع العليم. ثم قال صلى الله عليه وآله: كلوا على اسم الله. فأكل رسول الله صلى الله عليه وآله، وأكلوا حتى شبعوا، ثم شربوا عليه الماء. ثم أمر بها فحُبستْ.[2] فلمّا كان في اليوم الثاني

(١) أي يحفظه من الطعام المسموم.

(٢) أي المرأة.

جيء بها فقال صلى الله عليه وآله: أَ ليس هؤلاء أكلوا ذلك السم بحضرتك؟ فكيف رأيتِ دفع الله عن نبيّه وصحابته؟ فقالت: يا رسول الله! كنتُ إلى الآن في نبوتك شاكة، والآن فقد أيقنت أنك رسول الله حقاً، فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنك عبده ورسوله حقاً. وحَسُن إسلامها».(١)

وهذا الخبر يحلّ التعارض في أخبار أهل الخلاف، فقد جاء في بعضها أنه (صلى الله عليه وآله) قد أكل، وفي بعضها الآخر أنه لم يأكل وأن الذراع نطقت وقالت: «**إني مسمومة**» كما رواه القاضي عياض إذ قال: «**وفي رواية الحسن أن فخْذَها تكلّمني أنها مسمومة، وفي رواية أبي سلمة ابن عبد الرحمن قالت: إني مسمومة، وكذلك ذكر الخبر ابن إسحاق وقال فيه: فتجاوز عنها**».(٢) أي أنه (صلى الله عليه وآله) تجاوز عن المرأة فلم يعاقبها.

وكذا روى اليعقوبي: «**وجاءته زينب بنت الحارث أخت مرحب بالشاة المسمومة فأخذ منها لقمة وكلّمته الذراع فقالت: إني مسمومة**».(٣)

فالحل إذن هو أن النبي (صلى الله عليه وآله) لم يأكل إلا بعدما أطلعه الله تعالى على حقيقة مسمومية ذلك الطعام، ثم إنه أكله وأصحابه بعدما ذكر اسم الله الشافي الكافي عليه فلم يؤثر لا فيه ولا فيهم، كما رُوي عن أئمة أهل البيت عليهم السلام. ومهما يكن؛ فلا سبيل للقول بأنه (صلى الله عليه وآله) قد أكل من ذلك الطعام دونما علم وإخبارٍ لأن لازم ذلك الأكل تكذيب نبوته وإغراء اليهود وغيرهم بجحد رسالته، وهذا محال.

---

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام ص١٧٧ وعنه بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج١٧ ص٣١٧

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وآله للقاضي عياض ج١ ص٣١٧

(٣) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٥٧

وعليه كيف يُقال أن هذا الطعام الذي لم يأكله النبي (صلى الله عليه وآله) أو أنه أكله بأمر الله وقد جُعل السم فيه بلا تأثير إعجازاً كما لم تؤثّر النار بأمر الله في إبراهيم عليه السلام.. كيف يُقال أن هذا الطعام كان السبب في استشهاد رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد أكثر من ثلاث سنوات؟!

● **الجهة السادسة**؛ أن عائشة هي التي تروي أن استشهاد النبي (صلى الله عليه وآله) كان بفعل أكله قبل ثلاث سنوات تلك الشاة المسمومة! فقد وضعت حديثاً على لسان رسول الله (صلى الله عليه وآله) في هذا الشأن، فقالت كما رواه البخاري: «**كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في مرضه الذي مات فيه: يا عائشة؛ ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلتُ بخيبر، وهذا أوان وجدتُ انقطاع أبْهَري من ذلك السم**»![1]

ونحن لا يسعنا التسليم برواية عائشة هذه، لا فحسبْ لما مرّ من استحالة وجود السم سارياً في بدن الإنسان أكثر من ثلاث سنوات دون أن يصاحبه تدهور صحي؛ وإنما لكون راوية هذا الخبر معلومة الكذب مسلوبة الإيمان، فقد تقدّم في الفصليْن الثاني والثالث ما نزل من آيات في ذمّها وإدانتها وإثبات زيغها عن الحق، وما جاء في الحديث من نفي الحكم بإيمانها واعترافها بالكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله، فأنّى يسعنا الوثوق بإخباراتها وما ترويه؟! سيّما أنها هي المتهمة في جريمة قتل النبي صلى الله عليه وآله.

دع عنك ذا. كيف لنا أن نطمئن إلى حديثها هذا وقد جاءت في حديث آخر بخلافه؟! فقد زعمت أن النبي (صلى الله عليه وآله) قد توفي بسبب مرض **ذات الجنب** أو **ذات الخاصرة**، والذي يكون بسبب ورم باطني في الجنب أو الخاصرة، وعندما ينفجر يموت الإنسان.

---

(١) صحيح البخاري ج٥ ص١٣٧، والأبهر هو العرق أو الشريان المتصل بالقلب من الظهر، وهو معروف.

روى أبو يعلى عن عائشة قالت: «**مات رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذات الجنب**»![1]

هذا مع أنها جاءت بحديث ثالث مفاده نفي النبي (صلى الله عليه وآله) إمكان أن يُصاب بذات الجنب لأنها من الشيطان! فقد روى الحاكم عن عروة عن عائشة أنها حدّثته: «**إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال حين قالوا: خشينا أن الذي برسول الله ذات الجنب؛ قال: إنها من الشيطان وما كان الله ليسلّطه عليَّ**».[2]

وهذه كله من التهافت الواضح، فمرة تزعم أن النبي (صلى الله عليه وآله) أخبرها بأنه يمضى مسموماً بسمٍّ خيبر الذي قطع أبهر قلبه، وأخرى تزعم أنه قد توفي من ورم ذات الجنب! وثالثةً تزعم أنه (صلى الله عليه وآله) نفى إمكان أن يُصاب بذات الجنب! فلا يُدرى والحال هذه على أيٍّ من أحاديث عائشة يُعتمد؟! أَعلى حديث أنه (صلى الله عليه وآله) مات بسبب السم؟ أم على حديث أنه مات بذات الجنب؟ أم على حديث النفي فيُفتَّش عن سبب آخر؟!

وإذا كان النبي (صلى الله عليه وآله) قد نصّ على أنه يموت بفعل السم وقد أصيب في أبهر قلبه كما تزعم؛ فكيف زعمت تالياً أنه مات بسبب ذات الجنب وقد أصيب في خاصرته؟! إلا أن يكون ذلك تكذيباً منها للنبي صلى الله عليه وآله!

وكذا إذا كان النبي (صلى الله عليه وآله) قد نصّ على عدم إمكان أن يُصاب بذات الجنب لأنه داء شيطاني ولا يمكن للشيطان أن يتسلط عليه؛ فكيف أطلقت القول بأن موته كان بسبب ذات الجنب؟! إلا أن يكون ذلك تكذيباً منها له صلى الله عليه وآله!

---

(١) مسند أبي يعلى ج٨ ص٢٥٨

(٢) مستدرك الحاكم ج٤ ص٤٠٥

إن هذا التهافت يدلّل على أن عائشة عاشت حالةً من الارتباك في تفسير سبب شهادة النبي صلى الله عليه وآله، وهذا ما يشير بإصبع الاتهام إليها، فإن المريب يكاد أن يقول: خذوني!

● **الجهة السابعة**؛ أن هناك حديثاً يرويه المخالفون عن عائشة تبرّر فيه - بصيغة التمريض - إقدامها على وضع مادة غريبة في فم رسول الله (صلى الله عليه وآله) حين كان مغشياً عليه في مرضه! فقد زعمت أن هذه المادة هي (لدود) أي دواء يوضع في أحد شقّي الفم عنوة! وعندما أفاق النبي (صلى الله عليه وآله) واكتشف الأمر وسأل عن الفاعل قامت عائشة ومَن عاونها بإلصاق التهمة كذباً بالعباس بن عبد المطلب عمّ النبي! إلا أنه (صلى الله عليه وآله) برّأ ساحة عمّه وأمر بأن تتناول هي ومَن معها من نفس هذه المادة عقاباً، مفنّداً تبريرات عائشة بأنها كانت تخاف عليه ذات الجنب ومعيداً التأكيد على أنها داء شيطاني لا يمكن أن يُصاب به.

وهذا تمام الحديث كما رواه البخاري ومسلم: «**عن عائشة قالت: لددنا رسول الله في مرضه وجعل يشير إلينا أن لا تلدّوني، فقلنا: كراهية المريض بالدواء! فلمّا أفاق قال: ألم أنهكم أن تلدّوني؟! قلنا: كراهية الدواء! فقال صلى الله عليه وسلم: لا يبقى منكم أحدٌ إلا لُدَّ وأنا أنظر، إلا العباس فإنه لم يشهدكم**».[1]

وروى أحمد بن حنبل عن عائشة قالت: «**لددنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه فأشار إلينا أن لا تلدّوني، قلتُ: كراهية المريض الدواء! فلمّا أفاق قال: ألم أنهكم أن لا تلدّوني؟! قال: لا يبقى منكم أحدٌ إلا لُدَّ غير العباس فإنه لم يشهدكن**».[2]

---

(١) صحيح البخاري ج٨ ص٤٢ وصحيح مسلم ج٧ ص٢٤ وغيرهما كثير.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص٥٣

وروى الحاكم عن عائشة قالت: «**إن رسول الله كانت تأخذه الخاصرة فتشتد به وكنا نقول: أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله عرق الكلية، ولا نهتدي أن نقول الخاصرة، أخذت رسول الله يوماً فاشتدت به حتى أُغمي عليه وخفنا عليه، وفزع الناس إليه، فظننا أن به ذات الجنب فلددناه، ثم سُرِّيَ عن رسول الله وأفاق فعرف أنه قد لُدَّ ووجد أثر ذلك اللد، فقال: أظننتم أن الله سلّطها عليّ؟ ما كان الله ليسلّطها عليّ، والذي نفسي بيده لا يبقى في البيت أحد إلا لُدَّ إلا عمّي**».(١)

وفي رواية ابن كثير عن البيهقي عنها قالت: «**فأفاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: مَن فعل هذا؟ فقالوا: عمك العباس! تخوّف أن يكون بك ذات الجنب. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنها من الشيطان، وما كان الله ليسلطه عليَّ، لا يبقى في البيت أحدٌ إلا لددتموه إلا عمي العباس**».(٢)

إن مما تجدر ملاحظته ههنا أمور:

منها؛ أن ثمة مادة غريبة قد وُضعت في فم رسول الله (صلى الله عليه وآله) أثناء غيبوبته، وهذه المادة لا يمكن أن تكون في نفعه (صلى الله عليه وآله) وإلا لم ينهَ عنها ويشير إليهنّ أن لا يلدّوه، بل إن هذه المادة لا ريب في أنها كانت في ضرره ولذا أمر (صلى الله عليه وآله) بمعاقبة مَن شارك في هذه الجريمة بأن يُلَدَّ ويتناول من نفس تلك المادة.

ومنها؛ أن الفعل كان خطيراً ولذا جرت محاولة لاتهام العباس به للخلاص من تبعاته، غير أن النبي (صلى الله عليه وآله) برّأ ساحة عمه وأنبأ بعدم شهوده لهن، وإلا وجب تكذيبه (صلى الله عليه وآله) وتصديق عائشة التي نسبت إلى العباس قوله: «**إنّا لنرى برسول الله ذات**

---

(١) مستدرك الحاكم ج٤ ص٢٠٣

(٢) السيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٤٤٦ عن البيهقي بسنده.

الجنب فهلمّوا فلنلدّه! فلدّوه»![1] ويظهر من رواية أسماء بنت عُميس أنها أيضاً من جُملة من اتُّهِم زوراً، إذ تقول: «**فلمّا أفاق قال: ما هذا؟! فقلنا: هذا فعل نساء جئنَ من ههنا. وأشرن إلى أرض الحبشة وكانت أسماء بنت عميس فيهن**»![2]

ومنها؛ أن الذين تجرأوا وسقوا النبي (صلى الله عليه وآله) هذه المادة كُنّ نسوة من زوجاته، وذلك بدلالة قوله (صلى الله عليه وآله) في رواية أحمد المتقدّمة: «**غير العباس فإنه لم يشهدكنّ**» وهو لفظ خطاب للإناث، ويوافق ذلك ما جاء عن أسماء بنت عميس في رواية أحمد بن حنبل: «**أول ما اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت ميمونة، فاشتد مرضه حتى أغمي عليه، فتشاور نساؤه في لدِّه فلدّوه**»[3] إذن هنّ نساؤه لا غير.

ومنها؛ أن عائشة هي رأس الذين قاموا بهذا الفعل، بدلالة أنها هي التي ترويه بصيغة: «**لددنا**» ثم إنها رأس الذين عصوا أمره (صلى الله عليه وآله) بأن لا يلدّوه بدعوى أنه مريض لا يعرف مصلحته ولذا يكره الدواء! فهي تقول كما في رواية أحمد المتقدّمة: «**قلتُ: كراهية المريض الدواء**»! إذن هي صاحبة هذه المقولة ورأس المحرّضين على وضع هذه المادة عنوة في فم النبي صلى الله عليه وآله!

ولا يخفى أن عصيانها أمر النبي (صلى الله عليه وآله) وقيامها بلدّه رغماً عنه يوجب العلم بأنها الآن في جهنم خالدة فيها أبداً ولها عذاب مُهين! وذلك لأن الله تعالى يقول: «**وَمَنْ يَعْصِ**

(١) المصدر نفسه.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص٤٣٨

(٣) المصدر نفسه.

اللهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا»[(١)] ويقول تعالى: «**وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ**».[(٢)]

فالمتحصّل؛ أن جميع دلائل ومؤشرات الجريمة تحوم حول عائشة ومَن أعانها من نساء النبي (صلى الله عليه وآله) على وضع هذه المادة الغريبة في فمه الشريف، وغني عن القول أن أقربهنّ إليها ليست إلا حفصة. وبذا تكون هذه جميعاً قرائن على صدق ما جاء عن الأئمة الأطهار (عليهم الصلاة والسلام) في بيان سبب استشهاد الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

وإنّا لو دقّقنا النظر في مجريات الأيام والساعات الأخيرة من حياته الشريفة؛ لانتبهنا إلى أن التدهور الصحي المتسارع له قد بدأ بعد عملية (اللدود) هذه مباشرة، حتى أنه توفي في اليوم التالي!

إنه (صلى الله عليه وآله) قد بدأ به المرض **يوم الأربعاء** ولم يكن إلا حمى وصداع،[(٣)] وفي **يوم الخميس** اشتد به المرض ووقعت الحادثة المعروفة برزية الخميس حيث اتهم عمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالهجر والهذيان وغياب العقل ليمنعه من كتابة الكتاب الذي لا تضلّ الأمة بعده! وفي **يوم الجمعة** بدأ أبو بكر وعمر وأشياخ قريش يشيعون جو التمرد على قرار رسول الله (صلى الله عليه وآله) بتأمير أسامة بن زيد في سرية الروم، فخطب بهم (صلى

---

(١) الجن: ٢٤

(٢) النساء: ١٥

(٣) راجع طبقات ابن سعد ج٢ ص٢٤٩ وفيه: «**فلمّا كان يوم الأربعاء بدأ برسول الله صلى الله عليه وسلم المرض فحُمَّ وصُدع**».

الله عليه وآله) خطبة بليغة **يوم السبت** رادّاً عليهم ومؤكداً قراره ولاعناً من تأخر عن جيش أسامة.

إلى ههنا والأمر - من الناحية المرضية - طبيعي، ولا يُرى إلا مرضاً طبيعياً لا يؤدي إلى الموت، إلا أنه في **يوم الأحد** جرى لدُّ النبي (صلى الله عليه وآله) فقد روى ابن سعد: «**وثَقُل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول: أنفذوا بعث أسامة. فلمّا كان يوم الأحد اشتد برسول الله وجعه فدخل أسامة من معسكره والنبي مغمور، وهو اليوم الذي لدّوه فيه**»![1] وفجأة تدهورت الحالة الصحية للنبي (صلى الله عليه وآله) حتى أنه لم يكن يستطيع النهوض لإمامة المصلّين فكان يخرج متكئاً على علي (عليه السلام) والفضل بن العباس كما مرّ، وفي اليوم التالي وهو **يوم الإثنين** فارق رسول الله (صلى الله عليه وآله) الحياة شهيداً**!**

هذا يؤشّر إلى أن ما جرى يوم الأحد لم يكن أمراً عادياً، فإن التدهور المتسارع قد بدأ برسول الله (صلى الله عليه وآله) فيه حتى لم يلبث إلى ضحى اليوم التالي ففارق الحياة بأبي هو وأمي. إذن لم يكن الذي جرى يوم الأحد سوى استغلال عائشة لمرض النبي (صلى الله عليه وآله) واقتناصها فرصة نومه أو غيبوبته بوضع مادة السم في فمه بدعوى أنها دواء ولدود**!** لهذا تدهورت صحته (صلى الله عليه وآله) إلى اليوم التالي فاستشهد**!**

وإنّا لو فتّشنا عن الذين لهم المصلحة في قتل رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما وجدنا سوى أبي بكر وعمر، إذ هما اللذان تولّيا الحكم بعده بانقلاب دبّراه في سقيفة بني ساعدة بمعونة من أبي عبيدة بن الجراح وعثمان بن عفان وسالم مولى أبي حذيفة وخالد بن الوليد وأضرابهم، وإذ ذاك يكون منطقياً جدّاً أن يوعز أبو بكر وعمر إلى ابنتيهما بتنفيذ خطة اغتيال النبي (صلى الله عليه وآله) كما قال أئمة أهل البيت عليهم السلام**!**

---

(١) طبقات ابن سعد ج٢ ص١٩٠

وقد بيّن الأئمة (عليهم السلام) أن القوم هؤلاء قد تعاقدوا في الكعبة على أن يصرفوا الخلافة عن أهل بيت النبوة عليهم السلام، فقد روى الكليني عن الإمام أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال: «**كنت دخلتُ مع أبي في الكعبة، فصلّى على الرخامة الحمراء بين العمودين، فقال: في هذا الموضع تعاقد القوم إن مات رسول الله صلى الله عليه وآله أو قُتِل أن لا يردّوا هذا الأمر في أحدٍ من أهل بيته أبداً! قال: قلتُ: ومَن كان؟ قال: كان أبا بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح وسالم ابن الحبيبة**»![1]

لهذا حاول القوم اغتيال النبي (صلى الله عليه وآله) غير مرة، كانت إحداهن ما رواه أحد شيوخ أهل الخلاف وهو **الوليد بن جُميع** الذي حاول ابن حزم الأندلسي القدح فيه مع أنه في الوثاقة عندهم بمكان، ولذا يروي عنه مسلم في صحيحه والبيهقي في سننه وأحمد ابن حنبل في مسنده وابن شبة في مسنده وغيرهم، وقد نصّ ابن معين والعجلي على وثاقته.[2]

وداعي ابن حزم للقدح في شيخهم هذا هو أنه «**روى أخباراً فيها أن أبا بكر وعمر وعثمان وطلحة وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم أرادوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم وإلقاءه من العقبة في تبوك**»![3]

ونحن لا يهمّنا جرحه أو تعديله، وإنما يهمّنا أنه «**روى أخباراً**» - وإن كتموها - في أن هؤلاء القوم أرادوا من قبلُ اغتيال النبي صلى الله عليه وآله، وهذا يكفي اللبيب - ولو

---

(١) الكافي للكليني ج٤ ص٥٤٥

(٢) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ج٩ ص٨

(٣) المحلّى لابن حزم الأندلسي ج١١ ص٢٢٤، وقد روى كبراء أهل الخلاف روايات مؤامرة اغتيال النبي (صلى الله عليه وآله) بالنفر بناقته من العقبة غير أنهم حجبوا - كعادتهم - أسماء «الصحابة» الذين تواطئوا على ذلك! ومن تلك الروايات ما رواه أحمد بن حنبل في مسنده ج٥ ص٤٥٣ فراجع.

كقرينة - لتصديق ما جاء عن الأئمة الأطهار (عليهم السلام) في إثبات تواطؤ هؤلاء على قتل النبي (صلى الله عليه وآله) بالإيعاز إلى عائشة وحفصة بدسّ السم إليه، إذ إن الذين لم يتورّعوا عن ذلك سابقاً؛ لا يتورّعون عنه لاحقاً، وهم بالنتيجة أصحاب مخطط سياسي وشهوة للسلطان، وفي السياسة ولأجل السلطان؛ كل شيء يجوز ويمضي!

فعائشة إذن هي قاتلة سيد الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله! وستعلم أنها كانت من أهم محاور تنفيذ مخطط الانقلاب على عترته من بعده، فلا تستهن بالحميراء ولا تغرنّك فإنها أفعى قاتلة في صورة حمامة سلام![١]

وبعد العلم بأنها (لعنها الله) قاتلة النبي (صلى الله عليه وآله) يُعلم بأنها بنت زنا حتماً، ذلك لأنه (صلى الله عليه وآله) قال: «**لا يقتل الأنبياء وأولاد الأنبياء إلا أولاد الزنا**»،[٢] وعليه؛ إما أن تكون أم رومان قد زنت بغير أبي بكر فولدت عائشة ونسبتها له - وهو الأرجح - وإما أن يكون أبو بكر قد زنا بامرأة فضمّ وليدتها لامرأته أم رومان، وإما أن يكون أبو بكر قد زنا بأم رومان قبل عقد النكاح بينهما فجاء بعائشة من ماء أُفرغ في رحم حراماً.

---

(١) اتفق أن كتبتُ معظم ما جاء في هذا الفصل يوم الثامن والعشرين من صفر سنة ثلاثين وأربعمئة وألف للهجرة، وهو يوم استشهاد نبينا الأعظم صلى الله عليه وآله. وانتهيتُ إلى هذا الموضع ليلة التاسع والعشرين، وأنا أمتلئ حسرةً وأسفاً على ضياع مظلومية هذا النبي (صلى الله عليه وآله) إذ لا أحد يذكر القصة الحقيقية لاستشهاده على المنابر ووسائل الإعلام، ولا تعرف هذه الأمة المخدوعة بعدُ مَن هُم قتلته الظالمون! فإنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وإلى الله المشتكى، ومن رسوله (صلى الله عليه وآله) نطلب الصفح وله العتبى.

(٢) كامل الزيارات لابن قولويه ص١٦٤ عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) عن النبي صلى الله عليه وآله. وعنه بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج٢٧ ص٢٤٠ وفيهما أخبار عدّة بهذا المضمون أيضاً فراجع.

ومهما يكن فإن هذه النتيجة لا تكون غير متوقعة بعد الذي تقـدّم في الفـصل الأول مـن بيان أحوال نسبها الخبيث وكيف أن جدتها لأبيها كانت مـن ذوات الرايـات وقـد سـافحت عمّها الذي هو جدّ عائشة فأولدها أباها أبا بكر، فالبيت بيت الزنـاة والـزواني! فـبخ بـخ يـا عائشة! نِعْم الأصل أصلكِ!

■ **سيدة المكر والدهاء!**

حرصت العصابة الانقلابية بعد نجاحهـا في تزريـق الـسم لرسـول الله (صـلى الله عليـه وآله) على إحباط انتقال السلطة إلى الخليفة الشرعي أمـير المـؤمنين عـلي عليـه الـسلام، إذ إن فشلها في ذلك يعرّضها لخطر القتل والإعدام عقاباً، ناهيك عن أنه يُذهب سُدىً جميع الجهود التي بذلتها في سبيل الاستيلاء على السلطة، لهذا كانت الـساعات القليلـة التـي تلـت تنـاول النبي (صلى الله عليه وآله) للسم أهم الساعات عند أبي بكر وعمـر وعائـشة وحفـصة ومَـن إليهم، وكانت فترةً حبسوا فيها أنفاسهم، فالنبي (صلى الله عليه وآلـه) يحتـضر، ومـا هـي إلا ساعات ويرتحل عن الدنيا، وحينئذ إما هي الحياة أو الموت!

هنا جاء دور عائشة في تلك الساعات التي استنفر فيها أبو بكر وعصابته قواهم لتحقيـق هدفهم الانقلابي، فبينما كان النبي (صلى الله عليه وآله) يثقل وتتدهور صحته؛ كانـت عائـشة تراقبه عن كثب في بيته للحيلولة دون قيامه بتسليم دفة الحكم فعلياً لخليفته ووصيه الشرعي.

وكانت إحدى حلقات وترتيبات هذا التـسليم؛ أن يقـوم عـلي (عليـه الـسلام) في مقـام رسول الله (صلى الله عليه وآله) في محراب الصلاة، أي أن يسلّم النبي (صـلى الله عليـه وآلـه) إليه إمامة المصلّين في مسجده الشريف، ففي اليوم الأخير من حياته الشريفة وبعدما استشرى السم في بدنه الطاهر وقبل سويعات من استشهاده؛ لم يتمكن (صـلى الله عليـه وآلـه) مـن أن

يصلي بالناس، فأراد استدعاء وصيّه (صلوات الله عليه) ليأمره بأن يحلّ محلّه في إمامة الجماعة بالمسجد إيذاناً باستلامه مهامه في قيادة الأمة.

ولّما أدركت الحميراء خطورة هذا الاستدعاء؛ حالت دون ذلك من خلال ترشيح أبيها إليه (صلى الله عليه وآله) ليكون بديلاً عن علي عليه السلام! وكذلك فعلت صاحبتها حفصة بنت عمر حيث حاولت هي أيضا من جانبها ترشيح أبيها، إلا أن النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) أصرّ على قراره بطبيعة الحال، وزجر المرأتين زجراً شديداً.

ومع ذلك فقد استغلت عائشة هذه الفترة التي كان فيها رسول الله (صلى الله عليه وآله) طريح الفراش ولم يصل إليه علي (عليه السلام) بعد، فأرسلت إلى المؤذن **بلال بن رباح** تدعوه لتنفيذ أمر نبوي صدر للتوّ بتعيين أبيها أبي بكر بن أبي قحافة إماماً للمصلين! ولم يكن هذا إلا كذباً وتزويراً قامت به عائشة بخبث ودهاء، وواطأها عليه أبوها، إذ تجرّأ ووقف بالفعل في محراب رسول الله (صلى الله عليه وآله) منصّبا نفسه إماماً للمصلين!

وعندما شرع أبو بكر بالصلاة؛ سمع صوته رسول الله (صلى الله عليه وآله) حيث إن حجرته الشريفة داخل المسجد، فغضب مما جرى، وأصرّ على أن ينهض من فراشه - رغم كل آلامه - لكي يعزل ابن أبي قحافة عن إمامة الصلاة، ويصلي هو بنفسه بالناس. وبالفعل فقد اتكأ (صلى الله عليه وآله) على علي (عليه السلام) حين وصل إليه وعلى ابن عمّه **الفضل ابن العباس** فكانا يعاونانه على المشي إلى المسجد، وذلك لشدة الألم الذي أنهكه بفعل السم. وعندما وصل النبي إلى محراب الصلاة عزل أبا بكر ونحّاه، وأقام الصلاة من جديد، وهو ما يكشف عن عدم رضاه (صلى الله عليه وآله) ببقاء أبي بكر إماماً للجماعة، وأنه بالأصل لم يأمره بذلك.

كان هذا بطبيعة الحال افتضاحاً لعائشة إذ كُشف أنها زوّرت أمر النبي (صلى الله عليه وآله) لإيهام المسلمين بأنه قد عدل عن قراره القاضي بتعيين الإمام علي (عليه السلام) ولياً للأمر من بعده، وأنه ارتضى أبا بكر لهذا المنصب بدلاً عنه بدليل أنه قد عيّنه لإمامة المصلين في آخر يوم من حياته. وحسبت الحميراء أن خطتها ستنجح لظنّها أن نبي الله (صلى الله عليه وآله) لن يقوى على النهوض وإبطال ما صنعت، إذ إنه يعيش آخر لحظات حياته وقد أنهكه السم، إلا أن قيامه - بأبي هو وأمي - وتحامله على نفسه فضحها، فحاولت لاحقاً قلب صورة الحدث في أحاديثها كذباً وخداعاً، حيث زعمت أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم يتدخل لعزل أبيها عن الإمامة، وإنما جاء للاقتداء به في الصلاة بعدما وجد نفسه قد تشافى وفيه خِفَّة!

وسترى في ما يأتي أنها تناقض نفسها بنفسها، حيث ادعت في ما بعد أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) نحّى أباها بالفعل وكان هو الإمام إلا أن المسلمين اقتدوا بأبي بكر في الصلاة وكان أبو بكر يقتدي برسول الله صلى الله عليه وآله! وما هذا الاضطراب الذي ستلاحظه في ادعاءاتها إلا دليلاً على أنها استماتت في قلب الحقيقة حفظاً لمقام أبيها الذي رأى جميع المسلمين آنذاك كيف أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد نهض من فراش مرضه حتى ينحيّه عن الصلاة.

هذا ولا تفوتنا الإشارة إلى أن أبا بكر كان قد هرب من المدينة المنورة بعد هذه الحادثة إلى منطقة (السُّنْح) ولاذ بفراش امرأته هناك خوفاً من عقاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) وخجلاً مما ارتكبه! إلا أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان قد استشهد في اليوم نفسه وهو يوم الإثنين، فعاد أبو بكر أدراجه بعدما بلّغه صاحبه عمر بن الخطاب بالخبر لإبرام ما اتفقا عليه وليقودا معاً العملية الانقلابية في سقيفة بني ساعدة.

ولكي تتضح لنا صورة الحدث بأبعادها وتفاصيلها الدقيقة؛ فنحن بحاجة لاستنطاق مصادر الحديث والتاريخ، فنبدأ باستنطاق البخاري فنجده يروي عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود قوله: «**كنا عند عائشة رضي الله عنها فذكرنا المواظبة على الصلاة والتعظيم لها، فقالت: لمّا مَرِض رسول الله صلى الله عليه وسلم مرضه الذي مات فيه، فحضرتْ الصلاة، فأُذِّنَ، فقال: مُروا أبا بكر فليُصَلِّ بالناس. فقيل له: إن أبا بكر رجل أسيف[1] إذا قام مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس! وأعاد فأعادوا له، فأعاد الثالثة، فقال: إنكنَّ صواحب يوسف! مُروا أبا بكر فلْيُصَلِّ بالناس، فخرج أبو بكر فصلّى، فوجد النبي صلى الله عليه وسلم من نفسه خِفَّةً، فخرج يُهادى بين رَجُلَيْن،[2] كأني أنظر رِجْليه تخطّان من الوجع،[3] فأراد أبو بكر أن يتأخر، فأومأ إليه النبي صلى الله عليه وسلم أنْ مكانك، ثم أُتِيَ به حتى جلس إلى جنبه. فقيل للأعمش: وكان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي وأبو بكر يصلي بصلاته والناس يصلون بصلاة أبي بكر؟ فقال برأسه: نعم**»![4]

وللبخاري رواية أخرى عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة قالت: «**لما ثَقُلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بلال يوذِنُهُ بالصلاة، فقال: مُروا أبا بكر أن يصلي بالناس. فقلتُ: يا رسول الله! إن أبا بكر رجل أسيف وإنه متى ما يَقُمْ مقامك لا يُسمع الناس! فلو**

(١) أي أنه رقيق القلب سريع الحزن لا يتحمل أن يصلي دون أن يبكي من خشية الله! ففي لفظ آخر للبخاري: «**يا رسول الله، إن أبا بكر إذا قام في مقامك لم يسمع الناس من البكاء**»! راجع صحيح البخاري ج١ ص١٦٥. وفي لفظ مسلم: «**يا رسول الله، إن أبا بكر رجل رقيق! إذا قرأ القرآن لا يملك دمعه**»! راجع صحيح مسلم ج٢ ص٢٢.

(٢) أي يمشي بينهما معتمداً عليهما من شدة ما فيه من الوجع والألم والضعف.

(٣) أي يتركان أثراً على الأرض مثل الخطّ بسبب عدم استطاعته المشي بهما من شدة الإنهاك.

(٤) صحيح البخاري ج١ ص١٦٢

أمرت عمر؟ فقال: مُروا أبا بكر يصلي بالناس. فقلتُ لحفصة: قولي له إن أبا بكر رجل أسيف وإنه متى يَقُمْ مقامك لا يُسمع الناس فلو أمرت عمر؟ قال: إنكنَّ لأنـتُنَّ صـواحب يوسـف! مُروا أبا بكر أن يصلي بالناس. فلمّا دخل في الصلاة وجد رسول الله صـلى الله عليـه وسـلم في نفسه خِفَّةً فقام يُهادى بين رَجُلَيْن ورِجلاه يخطّان في الأرض حتى دخـل المـسجد، فلـمّا سـمع أبو بكر حِسَّهُ ذهب أبو بكر يتأخر فأومأ إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جلس عن يسار أبي بكر، فكان أبو بكر يصلي قائماً وكان رسـول الله صلى الله عليه وسلم يصلي قاعداً يقتدي أبـو بكـر بـصلاة رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم والناس مقتدون بصلاة أبي بكر رضي الله عنه».[(١)]

وها أنت ترى كيف تضاربت روايتا عائشة هاتان، ففي الأولى أسندت وصـف أبي بكـر بالأسيف إلى غيرها بقولها: «**فقيل له: إن أبا بكر رجـل أسـيف..وأعـاد فأعـادوا لـه**» بيـنما في الرواية الثانية اعترفت بأنها هي صاحبة هذا القول! إذ قالت: «**فقلتُ: يـا رسـول الله! إن أبـا بكر رجل أسيف.. فقلتُ لحفصة: قولي له إن أبا بكر رجـل أسـيف**»! وعـلى أيـة حـال؛ فـإن الروايات التي تنسب إلى عائشة هذا القول هي الأكثر والأشهر، فهي صاحبته إذن بلا مريـة، كما أن قوله صلى الله عليه وآله: «**إنكنَّ صواحب يوسف**» إنما توجّه إليها.

ولئن سألتَ عن معنى قوله (صلى الله عليه وآله) هذا وما يحملـه مـن اتهامـات خطـيرة؛ فالجواب هو أن عائشة مثل زليخا التي حاولت إغواء النبي يوسف عليه السلام، حيـث إنهـا دعت صاحباتها إلى مائدة مُظهرةً قصد الضيافة، في حين أنها كانت تضمر نيّة أخـرى وتقـصد باطناً شيئاً آخر، وهو أن يرين جمال وحُسن يوسف فيعذرنها في ما صـنعت. قـال ابـن حجـر العسقلاني في شرح هذه العبارة: «**وصواحب جمع صاحبة، والمراد أنهنّ مثل صواحب يوسف**

(١) صحيح البخاري ج١ ص١٧٥

في إظهار خلاف ما في الباطن. ثم إن هذا الخطاب وإن كان بلفظ الجمع فالمراد به واحد وهي عائشة فقط، كما أن صواحب صيغة جمع والمراد زليخا فقط».[١]

هذه العبارة النبوية كانت اتهاماً خطيراً لعائشة في أنها تُظهر عكس ما تبطن! وهي صفة أهل النفاق! ولا شك أن اتهاماً نبوياً على هذه الدرجة من الخطورة، بحيث يشبّه النبي (صلى الله عليه وآله) عائشة بالمرأة التي حاولت إغواء نبي من أنبياء الله؛ هو اتهام يجب التوقف عنده مليّاً، وهو يعطينا صورة واضحة عن شخصية عائشة.

إن صدور هذا الاتهام من رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي لا ينطق عن الهوى لا يمكن أن يكون لسبب غير عقلائي، والسبب المذكور هو أن عائشة لم تكن راضية عن أن يغدو أباها إمام الجماعة في الصلاة بسبب رقة قلبه وبكائه في الصلاة! ولئن كان هذا هو السبب الحقيقي فإنه لا يستأهل أن يصدر من رسول الله (صلى الله عليه وآله) مثل هذا الاتهام الخطير.

إن عائشة إنما اختلقت هذا السبب لتبرير اتهام النبي الموجه لها بما يحفظ صورتها، في حين أن السبب الحقيقي لصدوره هو أنها خالفت الأمر النبوي وزوّرته ودعت أباها لأن يؤم المصلين بدلاً عن الخليفة الشرعي علي بن أبي طالب عليهما السلام. وهذا التفسير أقرب إلى العقل من جهة أن عائشة كانت تتمتع بقدرة فائقة على تحوير الحقائق.

وبملاحظة القرائن الموضوعية الأخرى؛ كمحاولتها نسبة الوصف الذي أطلقته على أبيها بأنه «أسيف» إلى آخرين، ثم اعترافها بأنها هي التي وصفته بذلك؛ يُطمأن إلى أنها عمدت أيضا إلى تحوير السبب الحقيقي لصدور هذا الاتهام النبوي - أي كونها تشبه

---

(١) فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ج٢ ص١٢٨

صواحب يوسف – إلى ما يخرجها عن دائرة الإدانة ويظهرها بمظهر من لا تكترث بأن تميل كفة المصلحة إلى أبيها، إلا أن مطالعة سيرة حياتها تثبت أنها لم تكن لتفوّت أية فرصة لجرّ الخلافة إلى أبيها، بل لم تكن تفوّت أية فرصة لتقديمه وتقريبه إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) أملاً في أن يكون له موقع سياسي جيد في المستقبل القريب. وكذا فعلت مع سائر أقربائها، كانت تحاول دائماً أن تجعل الحكم لهم، فتحمّست مثلا لابن عمها طلحة بن عبيد الله، كما تحمّست لابن أختها عبد الله بن الزبير، على ما سبق بيانه في فصول هذا الكتاب.

ومن نافلة القول أن دعوى عائشة أن أبا بكر رجل أسيف رقيق القلب ولا يتمكن من الصلاة بالناس بسبب كثرة بكائه من شدة التقوى والخشوع.. يعني بعبارة أخرى؛ زعمها أن أباها كان أتقى وأخشع من رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي كان يؤم المصلين كل يوم متمكناً من أداء هذه الإمامة والصلاة بالجماعة على الوجه الأكمل، دون أن تختل صلاته أو صلاة الناس بسبب رقة قلبه وخشوعه في الصلاة، فكيف تتجرأ عائشة على أن تزايد على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتُظهر أباها بمظهر أنه كان أكثر خشوعاً في الصلاة منه؟!

كان هذا استنطاقنا للبخاري، فلنأتِ الآن لاستنطاق أحمد بن حنبل الذي نجده يروي عن ابن عباس قوله: «**لما مَرِضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم مرضه الذي مات فيه؛ كان في بيت عائشة، فقال: ادعوا لي عليّاً. قالت عائشة: ندعو لك أبا بكر؟ قال: ادعوه. قالت حفصة: يا رسول الله ندعو لك عمر؟ قال: ادعوه. قالت أم الفضل: يا رسول الله ندعو لك العباس؟ قال: ادعوه. فلما اجتمعوا رفع رأسه فلم يرَ عليّاً فسكت! فقال عمر: قوموا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. فجاء بلال يؤذنه بالصلاة، فقال: مُروا أبا بكر يصلي بالناس. فقالت عائشة: إن أبا بكر رجلٌ حَصِرٌ ومتى ما لا يراك الناس يبكون؛ فلو أمرت عمر يصلي بالناس؟ فخرج أبو بكر فصلى بالناس، ووجد النبي صلى الله عليه وسلم من نفسه خِفّة،**

فخرج يُهادى بين رَجُلين ورِجْلاه يخطّان في الأرض، فلما رآه الناس سبَّحوا أبا بكر فذهب يتأخر، فأومأ إليه أيْ مكانك، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم حتى جلس. قال: وقام أبو بكر عن يمينه وكان أبو بكر يأتم بالنبي صلى الله عليه وسلم والناس يأتمون بأبي بكر! قال ابن عباس: وأخذ النبي صلى الله عليه وسلم من القراءة من حيث بلغ أبو بكر ومات في مرضه ذاك عليه السلام. وقال وكيع: مرةً فكان أبو بكر يأتم بالنبي صلى الله عليه وسلم والناس يأتمون بأبي بكر».[(١)]

إن الذي يلفت الانتباه في هذا الحديث أن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) كان قد طلب استدعاء أخيه علي بن أبي طالب (عليهما الصلاة والسلام) إلا أن عائشة أقحمت نفسها في ما لا يعنيها وحاولت استدعاء أبيها، وكذلك فعلت صاحبتها حفصة، وأم الفضل. نفهم من ذلك أن الإرادة النبوية كانت تتجه في هذا الموقف إلى الوصي الشرعي، إلا أن المتآمرين على رسول الله (صلى الله عليه وآله) كانوا يحاولون دائماً تعطيل هذه الإرادة والحيلولة دون اتصال النبي بوصيّه بأي شكل من الأشكال!

ولما رأى رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنهم لم يستدعوا وصيّه الشرعي، واستدعوا أبا بكر وعمر والعباس عوضاً عنه «**رفع رأسه فلم يرَ عليّاً فسكت**» ولم ينطق لهم بكلمة واحدة! وهو ما يعني أنه كان كارهاً لوجودهم، ولا حاجة له فيهم، وقد فهم عمر هذا جيداً إذ قال كما في رواية الطبراني: «**قوموا عن النبي صلى الله عليه وسلم فلو كانت له إلينا حاجة ذكرها**»![(٢)]

---

(١) مسند أحمد ج١ ص٣٥٦.

(٢) المعجم الكبير للطبراني ج١٢ ص٨٩.

وبهذا ندرك أن في رواية أحمد بن حنبل زيادات مكذوبة، حيث نسبوا إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه سمح بدعوة أبي بكر وعمر والعباس، وهذا كذب لا محالة، إذ لو كانت هذه إرادته حقاً فلماذا لم يحترم وجودهم ولم يتكلم معهم بكلمة واحدة إلى أن قاموا منصرفين بعدما عرفوا أنهم غير مرغوب فيهم وأن رسول الله (صلى الله عليه وآله) إنما يريد وصيّه علياً (عليه السلام) وحده؟!

إن هذا التصرف لا يجوز أن يُنسب إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأن من القبيح أن يطلب رجلٌ أحداً ثم عندما يأتيه متعنّياً لا يكلّمه بشيء! بل الحقيقة أن عائشة وحفصة وأم الفضل لم يمتثلن أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) باستدعاء علي (عليه السلام) إذ اقتصر استدعاؤهن على أبي بكر وعمر والعباس!

والدليل البيِّنْ على أن إرادة النبي (صلى الله عليه وآله) إنما كانت في تكليف أمير المؤمنين علي (عليه السلام) بإمامة الجماعة؛ قوله (صلى الله عليه وآله) في بادئ الأمر: «**ادعوا لي عليّاً**».

ثم إن مما يلفت الانتباه في رواية أحمد هذه وروايتا البخاري المتقدّمتيْن زعم عائشة وابن عباس أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان إماماً في تلك الصلاة وقد اقتدى به أبو بكر واقتدى سائر الناس بأبي بكر! غير أنّا نجد أحمد بن حنبل وغيره يروون عن عائشة نفسها أن أبا بكر كان هو الإمام في تلك الصلاة وأن النبي (صلى الله عليه وآله) اقتدى به وصار مأموماً!

روى أحمد بن حنبل عن عروة بن الزبير عن عائشة أنها قالت: «**قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه: مُروا أبا بكر يصلي بالناس. قالت عائشة: إن أبا بكر رجل أسيف فمتى يقوم مقامك تدركه الرقة! قال النبي صلى الله عليه وسلم: إنكنّ صواحب**

يوسف! مُروا أبا بكر فليصلِّ بالناس. فصلّى أبو بكر وصلى النبي صلى الله عليه وسلم خلفه قاعداً»![١]

وكذا روى ابن حبان عن عائشة: «**إن أبا بكر صلى بالناس ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الصف خلفه**»![٢]

وها أنت ترى أن كِلا القولين مرويّان عن عائشة مع أنهما متضادان! وهذا ما دفع المخالفين إلى اختلاق توجيهات تحفظ ماء وجه عائشة وتبعد عنها تهمة الكذب! من بين تلك التوجيهات ما ذكره ابن حبان في صحيحه[٣] من أنهما كانتا صلاتان في الواقع، إحداهما كان النبي (صلى الله عليه وآله) فيها هو الإمام، والثانية كان أبو بكر فيها الإمام! والأولى كان النبي في طريقه إليها يُهادى بين علي (عليه السلام) والعباس أو الفضل ابنه، والثانية بين جاريتين هما بريرة ونوبة!

وقد فات ابن حبان وأضرابه أن الخبر ذو سياق واحد، وأن الرواي والمروي عنه متحدان غالباً، وأن المنقول باستفاضة يشير إلى صلاة واحدة فقط، إذ يُقال: «الصلاة التي صلاها رسول الله في مرضه التي توفي فيه»، فمن أين جيء بالصلاتين؟!

وعجباً! كيف يسمح النبي (صلى الله عليه وآله) لنفسه أن يدخل المسجد مستنداً إلى جاريتين وسط الرجال وأمام مرأى عيونهم أثناء الصلاة؟! ثم عجباً! لماذا ينهض (صلى الله عليه وآله) من فراشه في آخر لحظة في كلتا الصلاتين المزعومتين لينقض قراره بتنصيب

---

(١) مسند أحمد ج٦ ص١٥٩

(٢) صحيح ابن حبان ج٥ ص٤٨٣

(٣) صحيح ابن حبان ج٥ ص٤٨٦

أبي بكر إماما للجماعة؟! ألا يجد «في نفسه خِفَّةً» إلا عندما يشرع أبو بكر في الصلاة فيضطر لتحمّل السير إلى المسجد والصلاة بالناس؟!

ثم إن مما هو متفق عليه أن النبي (صلى الله عليه وآله) قد استشهد عند اشتداد ضحى يوم الإثنين، ومعنى ذلك أنه لم يدرك صلاة الظهر واقتصرت صلاته على الصبح، فكيف صلّى صلاتيْن في ذلك اليوم حتى يُقال أنه كان في الأولى إماماً وفي الثانية مأموماً؟!

وكيف جاز في الصلاة الثانية المزعومة أن يتقدّم أبو بكر على النبي (صلى الله عليه وآله) ويصير إماماً له؟! والله تعالى يقول: «**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**»[1] «**وهذا استدل به القاضي عياض على أنه لا يجوز لأحد أن يؤمّه صلى الله عليه وسلم، لأنه لا يصح التقدم بين يديه، في الصلاة ولا في غيرها، لا لعذرٍ ولا لغيره، ولقد نهى الله المؤمنين عن ذلك**».[2]

وعلى كل حال فإن الشافعي - إمام المذهب - صرّح بأنها كانت صلاة واحدة، إذ قال ابن حجر العسقلاني: «**صرّح الشافعي بأنه صلى الله عليه وسلم لم يصلِّ بالناس في مرض موته في المسجد إلا مرّة واحدة، وهي هذه التي صلى فيها قاعداً، وكان أبو بكر فيها أولاً إماماً ثم صار مأموماً يُسمع الناس التكبير**».[3]

---

(١) الحجرات: ٢ وقد ذكر المفسرون أن هذه الآية والتي تلتها قد نزلتا في ذم أبي بكر وعمر (عليهما اللعنة) حيث إنهما تصايحا وتشاجرا بين يدي خاتم الأنبياء (صلى الله عليه وآله) دون أدنى احترام لمحضره الشريف! قال الجلالان - المحلي والسيوطي - في تفسيرهما الموسوم بتفسير الجلالين عن هذه الآية: «**نزلت في مجادلة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما عند النبي صلى الله عليه وسلم في تأمير الأقرع بن حابس أو القعقاع بن معبد**»!

(٢) سيرة الحلبي ج٣ ص٣٦٥

(٣) فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ج٢ ص١٣٨

فهي إذن صلاة واحدة لا غير، وما من سببٍ منطقي يجعل النبي (صلى الله عليه وآله) ينهض من فراشه في اللحظات الأخيرة رغم حالته الصحية الحرجة ليتقدّم إلى المسجد ويصلي بالناس إلا أنه قد تفاجأ بابن أبي قحافة وقد أمّ المسلمين بلا أمر منه، فأبى إلا أن ينهض من فراشه ويتحمّل ما في ذلك من عناء حتى يعزله عن الإمامة. وإلا لو كانت إمامته بأمر منه (صلى الله عليه وآله) حقاً؛ فلا داعي لأن يتراجع عن قراره خلال دقائق معدودة، وهل ذلك إلا اعتباط! أن يكون قد أمر أبا بكر بإمامة المصلين حين الأذان ثم بمجرّد أن جاء وقت الإقامة وشرع أبو بكر بالصلاة ينهض من فراشه على تلك الحالة الصعبة ويعدل عن قراره بلا سبب وجيه!

نعم؛ إن السبب الذي تطرحه عائشة لهذا التبدّل المفاجئ في موقف رسول الله (صلى الله عليه وآله) هو أنه «**وجد في نفسه خِفَّةً**»، إلا أن أحداً من العقلاء لا يمكنه تصديق ذلك! لا فحسب لأن الفاصلة الزمنية ما بين الأذان والإقامة ضئيلة بما يدفع إمكان طروء هذا التحسن الصحي السريع؛ بل لأن حديث عائشة ينفيه! إذ كيف ينسجم قولها أنه «**وجد في نفسه خِفَّةً**» مع كونه قد خرج متكئاً على رَجُلَيْن يحملانه ورجلاه يخطان في الأرض من شدة الإنهاك؟! أليس هذا دليلاً واضحاً على حالته الصحية كانت لا تزال حرجة ومتدهورة وأنه ليس ثمة تحسّناً ههنا؟!

بل إن الإنسان المحتضر كلما تقدّم الوقت به كلما ازدادت حالته سوءاً، وقد اعترفت عائشة بأنه لم يكن يقوى على النهوض والمشي بنفسه إلا بالاعتماد على اثنين كانا يحملانه حملاً، وهو ما يعطينا صورة واضحة عن حالته الصحية الصعبة وأنها كانت أشد عليه من ذي قبل، خاصة إذا لاحظنا أنه (صلى الله عليه وآله) لم يسبق له أن خرج إلى الصلاة معتمداً على آخرين قط. فلا شك إذن أن قيامه كان اضطرارياً وقد تحمّل (صلى الله عليه وآله) ما تحمّله فيه من

أجل غاية مهمة تستحق كل هذا العناء في اللحظات الأخيرة من حياته الشريفة، وتلك الغاية لا تكون إلا عزل أبي بكر!

وللخروج من مأزق عزل رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأبي بكر كما هو ظاهر واضح في متون الروايات؛ ادّعى بعض علماء البكرية أن أبا بكر صلّى بالناس أكثر من صلاة، لا صلاة واحدة ولا صلاتيْن كما اقتصر عليه ادّعاء ابن حبّان المتقدّم! وأن تلك الصلوات بدأت بصلاة الظهر يوم السبت أو يوم الأحد كما احتمله البيهقي، وأن الصلاة التي صلاها رسول الله (صلى الله عليه وآله) ونحّى فيها أبا بكر عن المحراب كانت صلاة الصبح من يوم الإثنين الذي توفيّ فيه!

وهذه تمحّلات لا أصل لها، انبرى لها علماء البكرية لتصحيح الكذبة الكبرى وهي أن أبا بكر أمّ الناس بأمر النبي وأنه لم يُعزل بل كان ما وقع يوم الإثنين مردّه تحسّن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وحبّه للمشاركة في صلاة الجماعة ولم يكن عزلاً لأبي بكر بدليل أن الأخير قد صلّى بالناس من ذي قبل من دون أن يُعزل!

ولا ندري لماذا يستغفل علماء البكرية الناس إلى هذا الحد؟! وكيف يطلبون منهم تصديق هذه التمحّلات الواهية التي يكذّبها الواقع التاريخي؟! وكيف يزعمون أن أبا بكر صلّى بالناس منذ يوم السبت في حين أنه كان منذ ذلك اليوم خارج المدينة المنورة؟!

بيان ذلك: إن المؤرخين أثبتوا أن أبا بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح كانوا من المأمورين بالالتحاق بجيش **أسامة بن زيد** لغزو الروم، ذكر ذلك ابن سعد في طبقاته،[1] والذهبي في

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٤٨٠

تاريخه،[١] وابن الأثير في كامله،[٢] وابن الجوزي في منتظمه،[٣] وغيرهم.

وقد كان تحرّك جيش أسامة من المدينة يوم السبت حيث عسكر في منطقة (الجُرف) كما ذكره ابن حجر العسقلاني في شرحه للبخاري إذ قال: «**كان تجهيز أسامة يوم السبت قبل موت النبي صلى الله عليه وسلم بيومين**».[٤]

فكيف يكون أبو بكر قد صلّى بالناس بدءاً من يوم السبت في حين أن جيش أسامة نفسه قد تحرّك إلى منطقة الجرف يوم السبت؟! إنه إنْ التحق به منذ البداية فهذا يعني أنه – على أقل تقدير – كان يوم السبت وشطراً من الأحد خارج المدينة مع العسكر، إذ الجُرف تبعد نحو ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام كما ذكره الحموي في معجمه،[٥] فقطعه ستة أميال ذهاباً وإياباً مع العدة والعتاد وما يتخلّل ذلك من الوقوف للاستراحة وما أشبه، لا يستغرق أقلّ من ذلك عادةً.

وعلى هذا لا يمكن الادعاء بأنه صلّى بالناس أكثر من صلاة، بل لا يمكن الادعاء بأنه صلّى بالناس بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله! ذلك لثبوت أنه (صلى الله عليه وآله) قد أمره بالالتحاق بجيش أسامة، ولم يثبت أنه (صلى الله عليه وآله) استثناه من ذلك أو أمر برجوعه، فكيف يأمره بإمامة المصلين والمفروض أنه خارج المدينة في الجُرف تحت إمرة أسامة؟!

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي – كتاب المغازي ص٧١٤

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير ج٢ ص١٨٠

(٣) المنتظم لابن الجوزي ج٢ ص٤٥٨

(٤) فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ج٨ ص١١٥

(٥) معجم البلدان للحموي ج٢ ص١٢٨

بلى؛ إنه قد عاد إلى المدينة ليلة الإثنين بعدما أرسلت إليه عائشة أنْ عُدْ فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) على وشك أن يموت وها قد حانت فرصتك! فعاد هو وصاحباه عمر وأبو عبيدة، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد ثَقُل فلمّا أفاق قال: «**لقد طرق ليلتنا هذه المدينةَ شرٌّ عظيم! فقيل له: وما هو يا رسول الله؟ فقال: إن الذين كانوا في جيش أسامة قد رجع منهم نفرٌ يخالفون عن أمري، ألا إني إلى الله منهم بريء، ويحكم! نفِّذوا جيش أسامة. فلم يزل يقول ذلك حتى قالها مرات كثيرة**».[1]

ولإكمال الصورة نستنطق أخيراً أبا يعقوب اللمعاني إذ يروي عنه ابن أبي الحديد قوله: «**كان علي عليه السلام لا يشك أن الأمر له،[2] وأنه لا ينازعه فيه أحد من الناس، ولهذا قال له عمّه وقد مات رسول الله صلى الله عليه وآله: امدد يدك أبايعك، فيقول الناس: عم رسول الله بايع ابن عم رسول الله، فلا يختلف عليك اثنان. قال: ياعمِّ؛ وهل يطمع فيها طامع غيري؟ قال: ستعلم! قال: فإني لا أحب هذا الأمر من وراء رتاج وأحب أن أصحر به.[3] فسكت عنه.**

فلمّا ثَقُل رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه، أنفذ جيش أسامة، وجعل فيه أبا بكر وغيره من أعلام المهاجرين والأنصار، فكان علي عليه السلام حينئذ بوصوله إلى الأمر - إن حدث برسول الله حدث - أوثق، وتغلَّب على ظنه أن المدينة لو مات لخلت من منازع ينازعه الأمر بالكلية، فيأخذه صفواً عفواً وتتم له البيعة، فلا يتهيأ فسخها لو رام ضدٌّ منازعته عليها،

---

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج٢٨ ص١٠٨ عن كتاب سُليم بن قيس الهلالي رضوان الله عليه.

(٢) أي لم يكن يشك أن الخلافة له، فالأمر هو الحكم والإمارة.

(٣) الرتاج: القفل. والإصحار: الإظهار. والمعنى أنه (عليه السلام) لم يكن يحبّ أن يأخذ الخلافة فلتةً بتدبيرات سرية تجري وراء الكواليس استباقا للأحداث! كما فعله خصومه في ما بعد في سقيفة بني ساعدة المشؤومة! وإنما يريد أن يتولاها برضى وإقرار جميع الناس علناً.

فكان من عود أبي بكر من جيش أسامة بإرسال عائشة إليه وإعلامه بـأن رسـول الله صـلى الله عليه وآله يموت ما كان، ومن حديث الصلاة بالناس مـا عُـرف، فنـسب عـلي عليـه الـسلام عائشة أنها أمرت بلالاً مولى أبيها أن يـأمره فليـصلِّ بالنـاس، لأن رسـول الله كـما رُوِيَ قـال: ليصلِّ بهم أحدهم، ولم يعيّن. وكانت صلاة الـصبح، فخـرج رسـول الله وهـو في آخـر رمـق يتهادى بين عليٍّ والفضل بن العباس، حتى قام في المحراب كما ورد في الخبر، ثم دخـل، فـمات ارتفاع الضحى، فجعل[1] يوم صلاتِه حجةً في صرف الأمر إليه. وقال: أيُّكُم يطيـب نفـساً أن يتقدّم قدميْن قدّمهما رسول الله في الصلاة؟! ولم يحملوا خروج رسول الله صلى الله عليـه وآلـه إلى الصلاة لصرفه عنها، بل لمحافظته على الصلاة مهما أمكـن، فبويـع عـلى هـذه النكتـة التـي اتهمها علي عليه السلام أنها ابتدأت منها.[2]

وكان علي عليه السلام يذكر هذا لأصحابه في خلواته كثيراً، ويقول: إنه لم يَقُـلْ صـلى الله عليه وآله: إنكن لصويحبات يوسف؛ إلا إنكـاراً لهـذه الحـال، وغـضباً منهـا، لأنهـا وحفـصة تبادرتا إلى تعيين أبويهما، وأنه استدركها بخروجه وصرفه عن المحراب، فلم يُجدِ ذلك ولا أثّر مع قوة الداعي الذي كان يدعو إلى أبي بكر ويمهّد له قاعـدة الأمـر، وتقـرّرِ حالـه في نفـوس الناس ومن اتبعه على ذلك من أعيان المهاجرين والأنصار، ولما ساعد ذلك من الحـظ الفلكـي والأمر السمائي الذي جمع عليه القلوب والأهواء، فكانت هذه الحال عند عليٍّ أعظم مـن كـل عظيم، وهي الطامة الكبرى والمصيبة العظمى! ولم ينـسبها إلا إلى عائـشة وحـدها! ولا علّـق الأمر الواقع إلا بها! فدعا عليها في خلواته وبين خواصّه! وتظلّم إلى الله منها! (...) فقلتُ لـه رحمه الله: أ فتقول أنت إن عائشة عيّنت أباها للصلاة ورسول الله لم يعيّنه؟! فقال: أما أنـا فـلا

---

(١) أي أبو بكر لعنه الله.

(٢) أي من عائشة التي دبّرت هذا الأمر لأبيها حتى يقتنص الخلافة!

أقول ذلك، ولكن عليا كان يقوله! وتكليفي غير تكليفه، كان حاضراً ولم أكن حاضراً! فأنا محجوج بالأخبار التي اتصلت بي وهي تتضمّن تعيين النبي صلى الله عليه وآله لأبي بكر في الصلاة، وهو محجوج بما كان قد عَلِمَهُ أو يغلب على ظنّه من الحال التي كان حضرها».[1]

إن هذه الرواية المهمة تثبت حزمة من الأمور، منها أن أمير المؤمنين عليّاً (عليه السلام) لم يكن يشك أن الخلافة هي حق شرعي له، وأن المتهم أبا بكر كان في فترة مرض رسول الله (صلى الله عليه وآله) مأموراً من قبله بالالتحاق بجيش أسامة بن زيد لقتال الروم وهو الجيش الذي كان معسكراً خارج المدينة، وأن عائشة هي التي أوصلت إلى أبيها معلومة أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) يموت، فعاد أبو بكر أدراجه مخالفاً وعاصياً لأمره! وأن النبي (صلى الله عليه وآله) لم يأمره قط بإمامة المصلين غير أن عائشة استغلت الموقف فتقوّلت عليه (صلى الله عليه وآله) وأمرت بلالاً بأن يدعو أباها للصلاة بالناس بدعوى أنه (صلى الله عليه وآله) قد أمر بذلك! وأن أمير المؤمنين (عليه السلام) أثبت هذه الجريمة لها وأنه كان يدعو عليها في خلواته وبين خواصّه، كما كان (عليه السلام) يتظلّم إلى الله منها.

الحق أن عائشة كانت ركناً من أركان الانقلاب على رسول الله وعترته الطاهرة (عليهم الصلاة والسلام) ولولاها لما استطاع أبو بكر الوصول إلى سدة الحكم، ولا عمر من بعده، ولا مَن جاء بعدهما من حكام بني أمية وبني العباس وأضرابهم إلى حكام عصرنا هذا! فانظر أي شر وسوء جلبته هذه المرأة لهذه الأمة! وانظر كيف خدعتها بمكرها ودهائها إذ لا يزال الأغبياء يردّدون أن النبي (صلى الله عليه وآله) أمر أبا بكر بأن يخلفه في إمامة المصلين وهذه إشارة منه إلى أنه خليفته من بعده في قيادة الأمة! والحال أن هذه لم تكن إلا مؤامرة نفذتها

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج٩ ص١٩٨.

عائشة وأكذوبة روّجتها، وإلا فالمقطوع به أن النبي (صلى الله عليه وآله) قد نحّاه وعزله، فلو كان مرضيّاً عنده في أن يؤم الناس لما قام وتحمّل المشقة لتنحيته.

هكذا هي الحميراء.. السم الزُّعاف! سيدة الدهاء والمكر والحيلة!

الفصل السادس

عرَكـية زانيـة سُلحـوت ماجنـة

لا غرابة في أن يحمل المرء طبائع وسجايا قومه الذين نشأ وتربّى بينهم، إنما الغرابة هي في أن لا يحملها متطبّعاً بطبيعة أخرى تعاكس أو تخالف ما عليه قومه. وقد عرفتَ مما تقدّم في الفصل الأول أن قوم عائشة – بنو تيْم – كانوا «**أهل فُحْشٍ فاشٍ**» اجتمعت فيهم الرذائل ومساوئ الأخلاق وشاع فيهم الفساد من عهر ولواط وسِفاح، وعرفتَ أيضاً أن البيت الذي وُلدت فيه عائشة هو «**شرُّ بيتٍ في قريش**» كان **أبو قحافة** فيه لوّاطاً سافح ابنة أخيه **سلمى** التي كانت عاهرة من ذوات الرايات الحمراء فأنجبا أبناءً ثلاثة كانوا يخدمون في دار الدعارة التي هيّأها زعيم القبيلة **ابن جُدعان!** وأحد هؤلاء الثلاثة هو **عتيق** المكنّى **بأبي بكر** الذي كان ممن يشرب الخمر ويسكر**!** وقد أنجب أبناء منهم **عبد الرحمن** الشغوف بالنساء واللهو**!** **وأسماء** التي كانت تُبدي عورتها من وراء ثياب رقيقة شفافة**!**

عائشة فرعٌ من هذه الشجرة الخبيثة، فلا غرابة إذن في أن ترث هذه الطبائع القبيحة المتسافلة فتكون امرأة منحلة منحرفة الأخلاق، بل يحق للباحث أن يستغرب إذا لم يجدها كذلك وهي ابنة لأولئك القوم.

وقد تراكمت الشواهد الحديثية والتاريخية على أن عائشة كانت امرأة ذات نزوع إلى المجون والفجور، فقد كانت كَرِعةً مغتلمة، مسكونة بالشهوة، تهوى الكلام عن المضاجعة

وهَناتها، وتعشق الإيحاء بما يكون من الرجل والمرأة، وتتعرّى وتتبرّج، وتراود الشباب بالجواري، وتستدخل الرجال بعد أن تأمر بإرضاعهم.. إلى غير ذلك من الصور المخزية التي وصلتنا رغم كل أجواء التعتيم عبر العصور من الطرفين؛ أما المحبّون لعائشة فقد جهدوا في إخفاء فضائحها لكي لا يسقط اعتبارها، وأما المناوئون لعائشة فقد كتموها خوفاً على أنفسهم من القتل أو الاضطهاد من محبّيها الذين كانت السلطة بيدهم في أغلب الأمصار إلى يومنا هذا، ومع ذا أفلتت هذه الصور المخزية ووصلت هذه الفضائح وهي ليست إلا النزر اليسير مما خفي وهو أعظم.

وها نحن نذكر بعضاً من هذه الصور والشواهد التي تُنبئ عن النزعة الانحلالية المتأصلة في عائشة، ومن ثمَّ نذكر ما هو صريح في ارتكابها فاحشة الخيانة والزنا، ونجيب تالياً على ما يُتوهّم من إشكالات واعتراضات على ذلك.

■ تتبرّج بلبس ثوب أحمر وخواتم ذهب وهي محرمة في مكة!

من المعلوم ضرورةً في شريعة الإسلام حكم وجوب الحجاب على المرأة الحرة المسلمة. وليس الحجاب مجرّد ستر شعر المرأة أو بدنها إلا وجهها والكفّين كما تتوهمه دهماء الناس؛ بل الحجاب الشرعي وحقيقته هو حجب كل ما يؤدي إظهاره إلى لفت أنظار الرجال وافتتانهم، فيشمل ذلك ستر الوجه والكفّين أيضاً في معظم الحالات،[1] والامتناع عن لبس الثياب التي تميّز بين أجزاء البدن، وكذا الامتناع عن لبس أو إظهار كل ما يعدّ عرفاً أنه زينة، كالثوب

(١) كأن تكون شابة جميلة فيُخاف النظر إلى وجهها وكفّيها بشهوة، أو أن تكون متزيّنة بالكحل ومساحيق التجميل في وجهها، أو أن تكون كفّاها مصطبغتان بالحنّاء، أو أن تلحظ أن أحداً يتعمّد بريبة إدامة النظر إلى وجهها مثلاً، ونحو ذلك مما هو الأغلب الموجب لستر الوجه والكفّين أيضاً.

الملوّن بلون لافت، وحُلِيّ الذهب والفضة والمجوهرات ونحو ذلك، بل إن التعطّر والتطيّب مما ينافي الحجاب، وكذا الخضوع في القول أو رفع الصوت بما يستلزم الافتتان.

ويتأكد الحجاب على المرأة حال الإحرام لحج أو عمرة في مكة المكرمة،[1] فإنها إذا ما أتت بناقض من نواقض الحجاب كان إثمها عند الله مضاعفاً، فإذا ما تبرَّجت صار إثمها أكبر وأعظم، فإنها بذلك تهتك قدسية الشريعة، وقدسية شعائر الله تعالى، وقدسية مكة المعظمة. وقد فعلت عائشة هذا كله وهي بعدُ زوجة رسول الله (صلى الله عليه وآله) المضروب عليها حجاب خاص! فهتكت بذلك حرمته (صلى الله عليه وآله) أيضاً! فتخيّل ما ينتظرها من عذاب عند الله تعالى!

إنك ترى اليوم النساء المسلمات - حتى السافرات منهنّ - يحترمن الحجاب والأحكام في الديار الطاهرة حين الحج أو العمرة، ولذا تراهنّ لا يلبسن إلا الثوب الأبيض الذي لا يلفت الأنظار، ويتجنّبن التزيّن بالذهب وما أشبه، كما يتوخين الحذر في أصواتهنّ لئلّا تعلو عند الحجّاج من الرجال.

أما عائشة فلم تكن تعير اهتماماً لمثل ذلك، فقد كانت تتبرّج وهي مُحْرِمة! فتتعمّد لبس ثوب أحمر أو وردي وهما من أكثر الألوان التي تفتن الرجال! وتتختّم بخواتم زينة من ذهب! وعلاوة على ذلك كانت ترفع صوتها وهي تلبّي قاصدة أن تُسمع الرجال!

روى ابن سعد عن عن عبد الرحمن بن القاسم عن أمه قالت: «**رأيتُ على عائشة ثياباً حُمْراً كأنها شُرُرٌ وهي مُحْرِمة**»![2]

---

(1) إلا ما استثناه الشارع، فيحرم على المرأة المحرمة تغطية وجهها وإن كان يجوز لها ستره بيدها أو ببرقع وما أشبه بشرط أن يكون بعيداً عن الوجه بمقدار.

(2) الطبقات الكبرى لابن سعد ج8 ص73، والشُّرُر: اللحوم المجففة، والمراد لونها الأحمر.

وروى ابن أبي شيبة وابن البختري والبيهقي - واللفظ للأول - عن القاسم بن محمد ابن أبي بكر وعبد الله بن أبي مليكة: «**أن عائشة كانت تلبس الثياب المورَّدَة بالعُصفر وهي مُحْرِمة**»![1] وقال البخاري: «**ولبست عائشة الثياب المعصفرة وهي مُحْرِمة**»![2]

وروى ابن سعد عن أبي عامر الخزاز عن عبد الله بن أبي مليكة قال: «**رأيتُ على عائشة ثوباً مضرّجاً. فقلتُ: وما المضرّج؟ فقال: هذا الذي تسمونه المورَّد**»![3] وروى ابن أبي حاتم عن عبد العزيز بن رفيع قال: «**رأيتُ عائشة وعليها درع مورَّدٌ وهي مُحْرِمة**»![4]

وروى ابن سعد عن القاسم بن محمد بن أبي بكر: «**والله لقد رأيتُ عائشة تلبس المعصفرات وتلبس خواتم الذهب**»![5] وكانت تفتي بجواز لبس الحلي وهُنَّ مُحرِمات**!** فقد قال البخاري: «**ولم ترَ عائشةُ بأساً بالحلي**»![6]

ثم إنها - مع هذا التزيّن الفاتن في الحج - لم تكن تلبّي سرّاً، بل ولا جهراً إلى حد متعارف يقتصر على إسماع النساء ممن حولها، بل «**كانت ترفع صوتها حتى يسمعها الرجال**»![7] كما يقول الألباني.

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة ج٦ ص١٨ ومجموع ابن البختري ص٣٤٧ وسنن البيهقي ج٥ ص٨٩، والمورَّدة: المكتسبة لون الورد. والعُصفر: صبغ يُتَّخذ من نبات يعطي لوناً أحمر أو زهرياً، والثوب المصبوغ به يسمى المعصفر والمُفدم.

(٢) صحيح البخاري ج٢ ص١٤٦

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٨٧

(٤) العلل ومعرفة الرجال لابن أبي حاتم ج٢ ص١٩٧

(٥) الطبقات الكبرى لابن سعد ج٨ ص٧٠

(٦) صحيح البخاري ج٢ ص١٤٦

(٧) مناسك الحج والعمرة في الكتاب والسنة للألباني ص١٦

امرأة تلبس الثوب الأحمر المعصفر أو المورَّد وتتزيّن بالحلي وخواتم الذهب وترفع صوتها متعمدة لأن تُسمع الرجال فتلفت أنظارهم.. هل تجدها ذاهبة إلى حج أم حفلة عرس؟! وهل تجدها مع هذا التبرّج السافر وسط الحجيج تتحلّى بشيء من الورع والتقوى أم تجدها امرأة خبيثة ميّالةً إلى الفسق والفجور وهتك حرمة الحج؟!

إن النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) أنذر النساء من أن يلبسن المعصفرات ويتحلّيْن بالذهب أمام الرجال، فقد روى ابن حبان عن أبي هريرة عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: «**ويلٌ للنساء من الأحمريْن؛ الذهب والمعصفر**»[(١)] وقد لبستهما عائشة أمام الرجال لا في الأيام والأمكنة العادية فحسب؛ بل في أيام الحج وبجوار بيت الله تعالى وهي محرمة!

وقد تعمّدت عائشة أن تلبس ثوباً مضرّجاً باللون الأحمر، فلم تختر غيره من الألوان التي قد لا تثير شهوة الرجال، بل اختارت هذا اللون خاصة! وهو اللون الذي تختاره البغايا وذوات الرايات إلى يومنا هذا لما له من جاذبية للرجال. ولا عجب أن يكون الأحمر هو اللون المفضّل لعائشة في إغراء الرجال، فإن جدّتها **سلمى** كانت تضع راية حمراء على سطح منزلها داعية الرجال إلى نفسها كما تقدّم في الفصل الأول.

نعم؛ تعمّدت الحميراء اختيار اللون الأحمر، رغم أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: «**إياكم والحُمرة فإنها أحبُّ الزينة إلى الشيطان**»[(٢)]! ورغم أنه (صلى الله عليه وآله) لّما دخل فرأى زوجته **زينب بنت جحش** تصبغ ثياباً بالحمرة كره ذلك وخرج، فعادت زينب «**فغسلت ثيابها ووارت كل حُمرة، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم رجع فاطلّع فلمّا لم يرَ**

---

(١) صحيح ابن حبان ج١٣ ص٣٠٧

(٢) المعجم الكبير للطبراني ج١٨ ص١٤٨

شيئاً دخل».[١] هذا مع أن زينب زوجته ولم تظهر بهذه الثياب الحُمر على أحد غيره من الرجال، إلا أنه (صلى الله عليه وآله) مع هذا كره أن تلبسها له فخرج ولم يعد إلا بعدما غسلتها وأزالت الحمرة منها، فبأي شيء تراه يقابل زوجته الأخرى التي لبست الثياب الحُمر «**كأنها شُرُرٌ**» أمام أعين الرجال في الحج بلا حياء؟! فضاهت الحميراء بذلك فعل نساء آل قارون أو نساء آل فرعون إذ كُنّ «**أول مَن لبس الثياب الحُمر**»![٢]

وقد حرّم الأئمة الأطهار (عليهم الصلاة والسلام) لبس النساء ثياباً حُمراً وهُنّ محرمات، فعن عامر بن جذاعة «**أنه سأل أبا عبد الله الصادق (عليه السلام) عن مصبغات الثياب تلبسها المحرمة؟ فقال: لا بأس إلا المُفْدَم المشهور**».[٣] والمُفْدَم هو المصبوغ بالحمرة صبغاً مشبّعاً كالمعصفر. وبيّن الأئمة أيضاً أن من جملة موبقات قوم نوح (عليه السلام) أن نساءهم كُنّ يلبسن المعصفرات ويتحلّين ويقعدن مع الرجال في مجالسهم! ففي حديث عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال: «**حتى خرج نسوة من محاريبهن، وكنّ سبعمئة امرأة، فانطلقن فلبسن المعصفرات من الثياب وتحلّيْن وتعطّرْن ثم خرجن فتفرّقن في البلاد فجلسن مع الرجال وشهدن الأعياد معهم وجلسن في صفوفهم**»![٤]

فهكذا أحيت عائشة سنن الكافرات الفاسقات من الأمم التي خلت وأماتت في المقابل سنن الإسلام حين أباحت للنساء التبرّج بلبس الثياب الحُمر المعصفرة والتزيّن بالذهب والحلي أمام أعين الرجال في الحج!

---

(١) سنن أبي داود ج٢ ص٢٦٣

(٢) كتاب الورع للمروزي ص١٧٣

(٣) الكافي للكليني ج٤ ص٣٤٦

(٤) علل الشرائع للصدوق ج٢ ص٢٩٠

ثم ما هو الداعي لأن ترفع الحميراء صوتها بالتلبية لتُسمع الرجال؟! وقد قال ابن عباس وابن عمر: «**لا ترفع المرأة صوتها بالتلبية**»[١] وعلى هذا إجماع العلماء حيث يقول ابن عبد البر: «**أجمع العلماء على أن السّنة في المرأة أن لا ترفع صوتها بالتلبية، وإنما عليها أن تُسمع نفسها**».[٢]

لا يُقال: إنها أرادت تعليم الرجال التلبية فغايتها شريفة! **إذ يُقال**: وهل أن كل هذه الألوف المؤلفة من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) ليس فيهم رجلٌ يرجع إليه سائر الرجال لتعلّم التلبية فألجأهم الأمر إلى أن يتعلّموها من امرأة؟! بل إن التلبية مما لا يحتاج إلى تعليم لأن الحجيج يسمعون تلبية بعضهم بعضاً بصوت واحد له دويٌّ لا يمكن أن لا يصل لأحد ممن هو في الحج فيتعلّم، فلا يتوقف الأمر إذن على عائشة وكأن سائر الناس خُرس لا ينطقون!

إن أفعال عائشة هذه من لبس الثياب الحُمر والتزيّن بالحلي والذهب ولفت انتباه الرجال برفع الصوت.. لا يمكن أن تصنّف إلا في خانة التهتّك، ولا يمكن أن تصدر من امرأة تقية ورعة تلتزم بأحكام دينها وتخاف الله في أداء شعائره يوم الحج الأكبر.

إن هذه الأفعال لا تساوق إلا أفعال الماجنات الفاسقات اللائي لا يعرفن للحجاب في الإسلام معنى، ولا يُقمن وزناً لقوله تعالى: «**وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ**».[٣] مع أن عائشة هي المخاطَبة بقوله تعالى: «**وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ**».[٤]

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة ج٤ ص٤١٦ وسنن البيهقي ج٥ ص٤٦

(٢) التمهيد لابن عبد البر ج١٧ ص٢٤٢

(٣) النور: ٣٢

(٤) الأحزاب: ٣٤

روى ابن كثير عن أم سلمة (رضوان الله عليها) قالت: «**لمّا نزلت هذه الآية: يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ؛ خرج نساء الأنصار كأنَّ على رؤوسهن الغربان من السكينة، وعليهنَّ أكسيةٌ سودٌ يلبسنها**».[1]

أجل؛ هكذا يكون الحجاب، ثيابٌ سودٌ لا حمراء! وسكينةٌ لا رفع صوت! وحشمةٌ لا تبرج بالتختم بالذهب وإبداء الزينة!

ولله دَرُّ أبي القاسم الزاهي إذ هجا عائشة بما أوضح حقيقة كثرة تبرّجها، فقال:

كَمْ نُهِيَتْ عن تَبَرُّجٍ فَعَصَتْ ... وأصبَحَتْ للخلافِ مُتَّبِعَة!

قال لها اللهُ: في البُيوتِ قَرِّي ... فخالفتْهُ العَفيفَةُ الوَرِعَة![2]

هذا ولا تفوتنا الإشارة إلى أن أبناء عائشة وعشّاقها أرادوا التملّص من فضيحة تبرّجها فنسبوا أخباراً شاذة إلى غيرها من أزواج النبي (صلى الله عليه وآله) كأم سلمة (سلام الله عليها) فيها أنهنّ أيضاً كُنَّ يلبسن المعصفرات وهُنّ مُحرمات والعياذ بالله! وتلك كذبة مفضوحة؛ إذ لو كان للأمر حقيقة لاشتهر عن الأزواج ولذاع بقدر ما اشتُهر وذاع عن عائشة حتى سارت به الركبان.

وكيف يستقر في النفس أن تكون مثل أم سلمة التي رُوِيَ عنها الحديث السالف في حجاب نساء الأنصار؛ وهي المشهورة بالعفة والورع؛ وهي التي لم تخالف رسول الله (صلى الله عليه وآله) قط ولم تهتك حجابه المضروب عليها فقرّت في بيتها إلى أن وافاها الأجل.. كيف يستقر في النفس أن تكون كعائشة في التبرّج والتبذّل؟! حاشاها، فإن كل مَن يدرس

---

(١) تفسير ابن كثير ج٣ ص٥٢٦ عن عبد الرزاق الصنعاني بسنده.

(٢) الصراط المستقيم للنباطي البياضي ج٣ ص١٦٣، وعجزه الأخير تهكّم كما هو واضح.

تاريخ المرأتين؛ أم سلمة وعائشة؛ يلحظ الفروق السلوكية الواضحة بينهما كالفرق بين التبر والتراب!

■ جَلِعَةٌ متهتّكةٌ عديمة الحياء!

إن إيمان المرأة حياؤها، فقد قال صلى الله عليه وآله: «**الحياء من الإيمان**»،(١) ولا إيمان لمرأة لا حياء لها، إذ قال صلى الله عليه وآله: «**الحياء والإيمان قُرِنا جميعاً، فإذا رُفِعَ أحدهما رُفِعَ الآخر**».(٢) وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «**إن الحياء والعفة لمن خلائق الإيمان، وإنهما لسجية الأحرار، وشيمة الأبرار**».(٣)

ومن مقتضيات الحياء والعفة أن لا تنطق المرأة في محضر الرجال إلا لضرورة، فلا تبسط معهم الكلام، ولا تتبلْتَع أو تتضاحك أمامهم. وأشد ما يكون من منافيات الحياء أن تتهتّك المرأة ولا تخجل من الكلام الخليع بما يمسّ وتر الشهوة، سيّما إذا كان ذلك الكلام في معرض الرجال، فإن المرأة التي تصنع ذلك لا تكون في ميزان الشرع والأخلاق إلا جَلِعَةً بذيئةً سلفع عديمة الحياء والحشمة!

إذا أدركتَ هذا؛ فاعرض الآن هذين الشاهديْن اللذين سنوردهما على ميزان الشرع والأخلاق، وانظر هل أن التي تتلفّظ بهذا الكلام يمكن أن تكون حيِيَّةً عفيفةً أم أنها إلى ثقافة البغايا وذوات الرايات أقرب؟!

---

(١) صحيح البخاري ج١ ص١١ وصحيح مسلم ج١ ص٤٦ وغيرهما كثير.

(٢) مستدرك الحاكم ج١ ص٢٢

(٣) عيون الحكم والمواعظ لكافي الدين الليثي الواسطي ص١٥٣

● روى الثعلبي والقرطبي عن المسيب بن شريك في قوله تعالى: «**إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً، فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا**»[1] أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «**هُنَّ عجائز الدنيا، أنشأهنَّ الله عز وجل خلقاً جديداً، كلما أتاهُنَّ أزواجهنَّ وجدوهنَّ أبكاراً. فلـمّا سـمعت عائـشة قالـت: واوجعاه! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليس هناك وجع**».[2]

أقول: سواءً دار هذا الكلام بينها وبين النبي (صلى الله عليه وآلـه) في محـضر الرجـال أم لا؛ فإنها نقلته إليهم حتى وصل إلى المسيب بن شريك، فأوقفت هـؤلاء الرجـال عـلى قولهـا: «**واوجعاه**»! وهو من التهتّك والتفحّش بمكان، فإنها تصف وجع فض البكـارة حـين يـولج الرجل إحليله في قُبُل المرأة الباكر، وهذا إيحاء قبيح فاضح، لا تتلفظ به امرأة ذات حياء أمـام الناس، وكان يكفيها لو اضطرت أن تنقل قول النبي (صلى الله عليه وآله) في نفي الوجع دون أن تنقل قولها الذي يدغدغ غرائز الرجال! على أن سياق الرواية مُشعر بأن قولها الـشنيع هـذا كان في محضر النبي (صلى الله عليه وآله) وأصحابه، وهذا إن كان فهو أفحش وأقبح!

● روى ابن سعد والطحاوي عن عبد الرحمن بن الأسود قال: «**كنتُ أدخل عـلى عائـشة بغير إذن، حتى إذا كان عام احتلمتُ؛ سلَّمتُ واستأذنتُ، فعرفـتْ صـوتي، فقالـت: هِـيْ يـا عُدَيَّ[3] نفسه! فعلتَها؟! قلتُ: نعم يا أمّتاه! قالت: ادخُلْ أي بُني! قال: فأقبلت عليَّ فـسألتني عن أبي وأصحابه، فأخبرتها، ثم سألتها عمّا أرسلوني به إليها**».[4]

---

(١) الواقعة: ٣٦ – ٣٧

(٢) تفسير الثعلبي ج١٣ ص١٠٤ وتفسير القرطبي ج١٧ ص٢١١ وغيرهما من التفاسير.

(٣) تصغير عدو.

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد ج٦ ص٢٨٩ ومشكل الآثار للطحاوي ج٩ ص٢٧١

وروى ابن عساكر والذهبي عن عبد الرحمن بن الأسود أيضاً قال: «**كان أبي يبعثني إلى عائشة أسألها، فلمّا كان عام احتلمتُ أتيتُها فناديتُ من وراء الحجاب، فقلتُ: يا أم المؤمنين؛ ما يوجب الغسل؟ فقالت: أَ فعلتها يا لُكَع! إذا التقت المواسي**»![1]

أقول: يُعلم من الروايتيْن مدى وقاحة عائشة وميوعها، وكيف أنها امرأة تنتشي بإحراج المراهقين والشباب الذين احتلموا للتو، فهذا الشاب أتاها مرةً وقد استشعرت من صوته أنه احتلم أو أنها حدست ذلك، فلم تستحِ من أن تُخجله بالأمر بقولها له: «**هِيْ يا عُدَيَّ نفسه! فعلتَها**»؟! أي هل أمنيتَ؟! فيضطر هذا الشاب إلى أن يعترف بقوله لها: «**نعم يا أمّتاه**»! ثم هي لا تجد حرجاً أن تدخله عندها وتتبادل معه الحديث عن أبيه وأصحابه مع أنه قد أصبح بالغاً شرعاً ويحرم على المرأة إذ ذاك الخلوة به بل بالصبي المراهق الذي قارب البلوغ أيضاً!

وفي مرة أخرى يأتيها هذا الشاب ثانيةً فيسألها عمّا يوجب الغسل، فتقول له بلا حياء: «**أَ فعلتها يا لُكَع**»! أي هل نكحتَ يا صبي؟! ثم تجيبه عن مسألته بقولها: «**إذا التقت المواسي**» أي إذا التقى موضع ختان الذكر بموضع ختان الأنثى، والمراد حصول الإيلاج الذي يوجب الغسل!

فتأمل كيف تنزع الحميراء عن نفسها حجاب الحياء وتُظهر الميوعة، إذ كان بوسعها إنْ سُئلت أن تقتصر على الجواب، غير أنها كانت تتعمّد إطلاق مثل هذه التعابير الحرجة الحساسة، بل تبادر الشاب في مقتبل بلوغه قائلةً: «**فعلتها؟! أَ فعلتها يا لُكَع**»؟!

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ج٣٤ ص٢٢٦ وسير أعلام النبلاء للذهبي ج٥ ص١١ وفي رواية الدارقطني في سننه ج٢ ص١٨٩ قال عبد الرحمن: «**دخلتُ على عائشة وعندها رجلٌ فقال: يا أمّتاه ما يوجب الغسل؟.. إلخ**»!

وهذه صفة مَن لم تتأدب بالحياء والعفة، فإن المرأة التي لا تستحي من الكلام الكثير المباح مع الرجال تكون ساقطةً في ميزان الشرع والعرف إذ يُقال عنها أنها بلتعة، فكيف بالتي لا تستحي من الكلام عن الاحتلام والإمناء والتقاء المواسي! وما هو الداعي لأن تركّز عائشة كلامها على هذه المفاصل الجنسية الحرجة؟! إلا أن تشعر بنشوة من وراء ذلك تشبع نفسيتها القذرة المريضة! وإلا أن تكون عينها على هذا الشاب المقدود العطنطط ليشفي غليل شبقها![1]

وأين هي عائشة في كلامها البذيء المائع هذا من قوله تعالى: «**يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا**»؟[2] فإذا كان مجرّد الخضوع بالقول أي ترقيق الكلام محرّماً عليهنّ، فكيف بإطلاق التعابير والآهات والإيحاءات الجنسية كقولها: «**واوجعاه**»؟! وقولها: «**فعلتها؟! أَ فعلتها يا لُكَع؟! إذا التقت المواسي**»؟!

وتُرى.. حين يسمع الرجال (الذين في قلوبهم مرض) منها هذا الكلام المعبّر عن نفسها المسكونة بما يجري على الفراش واستعدادها؛ ألا يطمعون؟! ألا يشتهون؟!

---

(١) المقدود: الفارع الطويل. والعطنطط: القوي الجسيم. وقد جاء في مجمع الأمثال للميداني ج١ ص٥٦٢: «**أشبق من حبّى! امرأة مدنية كانت مزواجاً، فتزوّجت على كبر سنها فتى من بني كلاب، وكان لها ابن كهل، فمشى إلى مروان بن الحكم وهو والي المدينة، وقال: إن أمي السفيهة على كبر سنّها وسنّي تزوّجت شاباً! فصيّرتني ونفسها حديثاً. فاستحضرها مروان فحضرت، فقالت لابنها: يابن برذعة الحمار! أَ رأيتَ ذلك الشاب المقدود العطنطط! والله ليصرعنَّ أمك بين الباب والطاق! فليشفينَّ غليلها! ولتخرجنَّ نفسها دونه**»!

(٢) الأحزاب: ٣٣

■ **سيدة الفسق والمجون!**

حرّم الله تعالى الغناء في قوله سبحانه: «**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ**»،[١] فقد قرأ الإمام أبو جعفر الباقر (صلوات الله عليه) هذه الآية وقال: «**الغناء مما وعد الله عز وجل عليه النار**».[٢]

وقد جاء من طرق أهل الخلاف أحاديث نبوية عدّة في تحريم الغناء والمعازف، منها ما رواه البخاري عن أبي مالك أو أبي عامر الأشعري قال: «**والله ما كذبني سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ليكوننّ من أمتي أقوامٌ يستحلّون الحِرَ والحرير والخمر والمعازف**».[٣]

والحاصل؛ أنه قد اتفقت كلمة الفقهاء على حرمة الغناء وسماعه وتفسيق وتأثيم فاعله، بمن فيهم قُصّاص أهل الخلاف، وإن كان ثمة مَن يبيحه فليس هو بالذي يعتد بقوله.

قال أبو عمرو بن الصلاح: «**فليُعلم أن الدف والشبابة والغناء إذا اجتمعت، فاستماع ذلك حرام عند أئمة المذاهب وغيرهم من علماء المسلمين، ولم يثبت عن أحد ممن يعتدّ بقوله في الإجماع والاختلاف أنه أباح هذا السماع**».[٤] وقال القرطبي: «**ولم أسمع عن أحد ممن يُعتبر قوله من السلف وأئمة الخلف من يبيح ذلك، وكيف لا يحرم وهو شعار أهل الخمور والفسق، ومهيّج الشهوات والفساد والمجون، وما كان كذلك لم يُشك في تحريمه، ولا تفسيق فاعله وتأثيمه**».[٥]

---

(١) لقمان: ٧

(٢) الكافي للكليني ج٦ ص٤٣١

(٣) صحيح البخاري ج٦ ص٢٤٣، والحر هو الفرج.

(٤) غذاء الألباب للسفاريني الحنبلي ص٢٢٨ عن فتاوى ابن الصلاح.

(٥) الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيتمي ج٣ ص٢٥٨ عن القرطبي.

وما دام المغني فاسقاً ماجناً؛ فلا شك في وجوب أن يتجنّبه أهل الإيمان والصلاح، فلا يخالطوه أو يَصِلوه، لأن ذلك مما يعينه على منكره وإثمه وفساده، بل عليهم أن يقاطعوه ويقطّبوا في وجهه، هذا إن لم يقدروا على منعه وزجره وردعه، وإلا وجب عليهم ذلك لأنه من مصاديق النهي عن المنكر.

فإن وجدتَ أحداً يستظرف هذا المغني، ويسمع له، ويحبّه ويكرمه؛ فاعلم أنه لا يكون إلا مثله فاسقاً ماجناً، وهذا هو الذي بانَ في عائشة! فقد هوت مغنّياً فارسياً يُقال له **قَنْد**،[١] وكان لها معه شؤون مخزية!

روى ابن عبد ربه الأندلسي: «**كان في المدينة في الصدر الأول مُغَنٍّ يُقال له: قند، وهو مولى سعد بن أبي وقاص، وكانت أم المؤمنين رضي الله عنها تستظرفه! فضربه سعد، فحلفت عائشة لا تكلّمه حتى يرضى عنه قند! فدخل عليه سعد وهو وَجِعٌ من ضربه، فاسترضاه، فرضي عنه، وكلّمته عائشة**»![٢]

إن موقف عائشة هذا يوضّح كيف كانت ميّالةً إلى المجون وأهله، فبدلاً من أن تنصرف إلى العبادة والتهجد في الأسحار؛ نراها تقيم علاقة وثيقة الصلة مع مغنٍّ فارسي يسلّيها بغنائه! وهو معلنٍ متجاهر بالفسق! ثم هي لا تنكر عليه ولا تصرخ في وجهه بل «**تستظرفه**» أي يعجبها صوته وتستحسن غناءه!

وبدلاً من أن تدعو إلى تأديبه وتعزيره ليكفّ عن الفساد والإفساد؛ نجدها تغضب على ابن أبي وقاص لأنه ضرب عبده هذا المغني الفاسق! وتحلف أن لا تكلّمه حتى يرضيه! وما ذلك إلا لأنه محبوبها وسُرْسورُها والعزيز عندها!

---

(١) قند في الفارسية تعني سُكَّر.

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي ج٦ ص٣٤

قد بيّنا في ما مضى من هذا الكتاب أن عائشة بعد استشهاد النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) قد خلا لها الجو لتفعل ما تهوى. لقد أرادت لنفسها أن تلهو مع الشيطان ورجاله! وأن تعيش حياة المرأة المستهترة! وكان وجود النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) حاجزاً لها عن تحقيق هذه الأماني الخبيثة، لذا أقدمت على التخلّص منه باغتياله، فعاشت بعد ذلك أسعد لحظات حياتها في ظل حكومة أبيها، ثم صاحبه، ثم شطر من حكومة عثمان، حيث كانت تلهو وتفسق وتفجر وتشبع نفسها الشيطانية كما تشاء!

وقصتها مع (قند) هذا هي إحدى هذه الصور المخزية، فما إن شارك سعد بن أبي وقاص في فتح بلاد فارس، وجلب معه هذا الشاب الفارسي الجميل هيئةً وصوتاً، حتى وقعت عائشة في حبه حين رأته وسمعت صوته! فقد رقص قلبها طرباً، فاستظرفته وقرّبته وجعلته محظيّاً عندها إلى حدّ أنها تخاصم مثل سعد وتحلف أن لا تكلّمه إن لم يرض عنه قند!

إن هذا هو ما يفسّر أيضاً سرّ مجابهتها لأمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وخروجها عليه ومحاولتها قتله وإسقاط حكومته، لأنها لا تطيق أن يعود بها الزمن إلى الوراء، أي لا تطيق أن يفرض عليها الأمير (عليه السلام) ما كان يفرضه الرسول (صلى الله عليه وآله) من قيود تمنع تحقيق شهواتها الجامحة! وهو ما ألمعنا إليه في ما سبق.

لقد كانت امرأة تحب الطرب! تعشق المغنين والمغنيات! وتهوى جلسات العربدة التي كانت تعقدها في بيتها لتستأنس وتفرح! وقد مرّ عليك في الفصل الرابع أن أختها حفصة بنت عمر شاركتها في هذه الخصلة، فقد عقدت حفلة طرب ومجون ابتهاجاً بما جاء في رسالة عائشة إليها من البصرة من قرب الظفر على علي بن أبي طالب عليهما السلام![1]

(١) راجع ص٦٩٠ من هذا الكتاب.

ولكي تتملّص عائشة مما قد يردها من إنكار على ما تفعل من تقريب المغنين والمغنيات؛ عمدت إلى وضع أحاديث شائنة مكذوبة على النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) فيها أنه قد رخّص في الغناء والمعازف والمزامير بل والرقص في الطرقات والمساجد سيّما في الأعياد!

روى البخاري بسنده عن هشام عن أبيه عن عائشة: «**أن أبا بكر دخل عليها والنبي صلى الله عليه وسلم عندها يوم فطر أو أضحى، وعندها قَيْنتان تُغنِّيان بما تقاذفت الأنصار يوم بُعاث، فقال أبو بكر: مزمار الشيطان! - مرّتين - فقال النبي صلى الله عليه وسلم: دعهما يا أبا بكر! إن لكل قومٍ عيداً، وإن عيدنا هذا اليوم**»![1]

وروى البخاري أيضاً بسنده عن عن عروة عن عائشة قالت: «**دخل عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي جاريتان تُغنِّيان بغناء بُعاث، فاضطجع على الفراش وحوّل وجهه، ودخل أبو بكر فانتهرني وقال: مزمارة الشيطان عند النبي صلى الله عليه وسلم! فأقبل عليه رسول الله عليه السلام فقال: دعهما! فلـمّا غفل غمزتهما فخرجتا. وكان يوم عيد يلعب السودان بالدَّرق والحِراب، فإما سألتُ النبي صلى الله عليه وسلم وإما قال: تشتهين تنظرين؟ فقلتُ: نعم! فأقامني وراءه، خدي على خده! وهو يقول: دونكم يا بني أرفِدَة! حتى إذا ملِلْتُ قال: حسبكِ؟ قلتُ: نعم. قال: فاذهبي**».[2]

وروى الترمذي والنسائي عن عروة عن عائشة قالت: «**كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً، فسمعنا لغطاً وصوت صبيان، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا حبشية تَزْفِنُ والصبيان حولها! فقال: يا عائشة؛ تعاليْ فانظري! فجئتُ فوضعتُ لَحَيَيَّ على منكِبِ**

---

(١) صحيح البخاري ج٢ ص٢٢٥، والقيتتان: الأَمَتان المغنيّتان أو مطلق الأمتيْن كما ذكره ابن الأثير في النهاية ج٤ ص١٣٥ مادة: قين. ويوم بُعاث هو يوم مشهور انتصر فيه الأوس على الخزرج في الجاهلية.

(٢) صحيح البخاري ج١ ص١١٨، وبنو أرفدة: قيل أنه اسم الجد الأعلى للسودان الأحباش.

رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعلتُ أنظر إليها ما بين المنكب إلى رأسه، فقال لي: أما شبعتِ؟ أما شبعتِ؟ قالت: فجعلتُ اقول: لا! لأنظر منزلتي عنده، إذ طلع عمر، قالت: فارفضَّ الناس عنها. قالت: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني لأنظر إلى شياطين الإنس والجن قد فرّوا من عمر! قالت: فرجعتُ»!(١)

وروى مسلم بسنده عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت: «**جاء حَبَشٌ يَزْفِنون في يوم عيد في المسجد، فدعاني النبي صلى الله عليه وسلم، فوضعتُ رأسي على مَنْكِبِه، فجعلتُ أنظر إلى لعبهم حتى كنتُ أنا التي أنصرف عن النظر إليهم**»!(٢)

إن هذه الأحاديث الشائنة التي وضعتها عائشة كذباً وزوراً لهي من أعظم ما اتخذه أعداء الإسلام سبباً للإغارة عليه وعلى نبيّه الأقدس صلى الله عليه وآله، إذ قالوا: انظروا إلى هذا النبي الذي عِوَضَ أن يجعل بيته محلًّا للصلاة والعبادة؛ جعله محلًّا للطرب والأُنس بسماع أغاني القِيان! وانظروا إلى هذا النبي الذي ما إن يسمع صوت لغط في الشارع حتى ينهض ويدعو زوجته لمشاهدة رقص امرأة حبشية حولها صبيان! وانظروا إلى هذا النبي الذي بدلاً من أن يجعل مسجده محلًّا للعبادة والخشوع والروحانية؛ جعله محلًّا للعب والرقص ثم هو لا يستحي من أن يأتي بزوجته ويجعلها خلفه وسط الرجال لتنظر وتملأ عينها ممن يتراقص بالحِراب والدَّرَق! أ هذه صفة نبي؟!

لقد أرادت عائشة من وراء اختلاقها لهذه الأحاديث تحقيق جملةً من الأهداف:

---

(١) سنن الترمذي ج٥ ص٢٨٥ وسنن النسائي ج٥ ص٣٠٩. وتزفن: ترقص. واللحيان: الذقن. وارفضَّ الناس: فرّوا وتفرّقوا.

(٢) صحيح مسلم ج٣ ص٢٢. ويزفنون: يرقصون.

منها؛ تصوير النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم - والعياذ بالله - بصورة رجل خليع ينتشي بسماع الأغاني والنظر إلى الراقصين والراقصات!

ومنها؛ أن أبا بكر كان أتقى لله عز وجل وأورع من النبي (صلى الله عليه وآله) فقد رفض «**مزمارة الشيطان**» وأنكرها إلا أن النبي (صلى الله عليه وآله) استمرأها وأمضاها!

ومنها؛ أن عمر كان أكثر هيبة في دين الله تعالى ولذا كانت الشياطين تفرّ منه ما إن يطلع فيما هي لا تفرّ من النبي (صلى الله عليه وآله) الذي كان حاضراً في حفلة رقص المرأة الحبشية تلك!

ومنها؛ أن المساجد لا ينبغي أن تكون للصلاة والدعاء فحسب بل ينبغي أن تكون مراقص وملاعب ومحالاً للأُنس واللهو أيضاً!

ومنها وهو الأهم؛ أنها حين تستقدم المغنين والمغنيات في بيتها، وتصادق (قنداً) الفارسي وتستظرفه وتستمع إلى صوته العذب؛ لا تكون قد ارتكبت منكراً، بل تكون قد طبّقت السنة النبوية الشريفة بحذافيرها!

قاتل الله عائشة! فإنها كانت أعظم مصيبة على السنة! قد لوّثتها وشوّهتها وحرّفتها وجعلتها مثار سخرية الساخرين واستهزاء المستهزئين!

ألا من عاقل يرفض هذه الأحاديث ويكذِّبُ عائشة؟!

كيف يقبل مسلم عاقل أن يكون نبي الله (صلى الله عليه وآله) مستمعاً لمزامير الشيطان وغناء ومعازف الجواري القِيان اللاتي يحيين أمر الجاهلية فيغنّين بغناء بُعاث ويثيرون نعرة الخوارج على الأوس من جديد؟! كيف يقبل مسلم عاقل هذه الفرية على النبي (صلى الله عليه وآله) وهو القائل: «**بعثني الله رحمةً وهدى للعالمين، وأمرني بمحق المعازف والمزامير**

والأوثان والصلب وأمر الجاهلية»؟![1] وهو القائل أيضاً: «**يُمسخ قومٌ من أمتي آخر الزمان قردةً وخنازير! قالوا: يا رسول الله؛ ويشهدون أنك رسول الله وأن لا إله إلا الله؟ قال: نعم! ويصلّون ويصومون ويحجّون! قالوا: فما بالهم يا رسول الله؟ قال: اتخذوا المعازف والقينات والدفوف»!**[2]

كيف يقبل مسلم عاقل أن يكون النبي (صلى الله عليه وآله) مستهتراً إلى حد أنه يترك وظائفه الرسالية العظيمة ويهرع إلى امرأة حبشية ترقص وحولها صبيان لينظر إليها ثم لا يكتفي بذلك بل يدعو زوجته قائلاً: «**يا عائشة؛ تعاليْ فانظري**»**!** مع إقراره بأن هذا الذي يراه ويحضره كان محفلاً محرّماً تحضره شياطين الإنس والجن التي لم تفرّ إلا حينما طلع عمر**!** كيف يقبل مسلم عاقل غيور على نبيّه (صلى الله عليه وآله) ذلك وهو يعلم أنه (صلى الله عليه وآله) كان أمضى الخلق في النهي عن المنكر والدعوة للتقوى والورع عمّا حرّم الله**؟!**

كيف يقبل مسلم عاقل أن يكون النبي (صلى الله عليه وآله) قد أجاز للسودان أن يلعبوا ويرقصوا في مسجده الشريف وهو ثاني الحرمين الشريفين مع ما للمساجد عموماً ولهذا المسجد الشريف خصوصاً من حرمة عظيمة عند الله تعالى القائل: «**وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ للهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا**»[3] فكيف يسمح النبي (صلى الله عليه وآله) بأن تُدعى الشياطين في مسجده وهو ينظر ويدعو امرأته معه لمشاهدة حفلة الرقص تلك واضعاً خدّها على خدّه أمام

---

(1) مسند أحمد بن حنبل ج5 ص268 والمعجم الكبير للطبراني ج8 ص197 وغيرهما كثير.

(2) عمدة القاري في شرح صحيح البخاري للعيني الحنفي ج31 ص167 وإتحاف الخيرة للبوصيري ج8 ص32 وتفسير السيوطي ج3 ص179 وغيرها كثير.

(3) الجن: 19

الرجال! ثم هو لا يكتفي بذلك بل يشجّع على هذا الرقص واللهو قائلاً للسودان: «**دونكم يا بني أرفِدَة**»! فيحضّهم على مواصلة رقصهم ولهوهم وكأنه شاب لعوب والعياذ بالله!

لئن قلتَ: إنما هما جاريتان أي صبيّتان صغيرتا السن! **قلنا**: قد صرّحت رواية عائشة في البخاري أنهما **قيْنتان** أي أَمَتان تغنّيان! وعلى فرض أنهما طفلتان تنزّلاً فإن الحرمة باقية على حالها لأن الغناء كله محرّم وإن جاء من صبي أو صبيّة! ثم ماذا تفعل مع حديث عائشة في المرأة الحبشية التي كانت ترقص وحولها الصبيان؟!

لئن قلتَ: إنما كان الغناء بلا تفحّش! **قلنا**: بل الغناء بأنواعه وضروبه حرام مطلقاً سواءً كان بتفحّشٍ أم لا، ويشهد على ذلك ما رواه ابن أبي شيبة عن صفوان بن أمية قال: «**كنّا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ جاء عمر بن قرة فقال: يا رسول الله؛ إن الله كتب عليَّ شقوةً، فلا أنال الرزق إلا من دفّي بكفّي، فائذن لي في الغناء من غير فاحشة. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا آذن لك ولا كرامة ولا نعمة! كذبتَ أيْ عدوَّ الله! لقد رزقك الله طيّباً فاخترتَ ما حرّم عليك من رزقه مكان ما أحلَّ الله لك من حلاله. إما إنك لو قلتَ بعد هذه المقالة لضربتكَ ضرباً وجيعاً**»![(١)]

لئن قلتَ: مهما يكن فاللازم تصديق هذه الأحاديث وتأويلها إذ محالٌ أن تكذب أم المؤمنين على رسول الله فتتبوّأ مقعدها من النار![(٢)] **قلنا**: لا ليس محالاً! فقد مرّ عليك أنها كذبت عليه صراحةً في قولها لأسماء بنت النعمان: «**إن النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه من**

---

(١) السيرة الحلبية ج٢ ص٦٣ عن ابن أبي شيبة.

(٢) قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**من كذب عليّ متعمّداً فليتبوّأ مقعده من النار**». وهو حديث متواتر روته أرباب الصحاح والحديث والسيرة بما لا يحتاج إلى تخريج.

المرأة إذا دخلت عليه أن تقول: أعوذ بالله منك»![١] ولم يكن النبي (صلى الله عليه وآله) يعجبه ذلك بل كان يكرهه ويعدّه ذنباً عظيماً استوجب أن يطلقّ أسماء ويُلحقها بأهلها بسببه! فعائشة هي الآن قد تبوّأت مقعدها من النار حتماً!

كلا! إنما هو هوى عائشة في الفسق والمجون والغناء والطرب والرقص! ولذا اخترعت هذه الأحاديث الشائنة التي نالت من مقام النبوة الخاتمة. ولأجل (قند) المغني وجلسات الأُنس والسمر والاستظراف معه؛ فإن كل شيء يهون عند عائشة! وليس الكذب على رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلا سهلاً يسيراً عندها في سبيل إشباع شهواتها وتحقيق نزواتها!

■ **أم الشيطنة والتبذّل!**

قد عرفتَ قبل برهة أن عائشة لم تكن امرأة محتشمة تحفظ الآداب، وعرفتَ كذلك من الفصل الثاني أنها كانت تعيش عقدة حقارة ونقص، وتعرف الآن أنها كانت شيطانة متبذِّلة! ذلك أنها أطلقت لسانها فحدّثت بأحاديث مبتذلة عمّا زعمت أنه جرى بينها وبين رسول الله (صلى الله عليه وآله) مما يقبح ذكره، كالتقبيل! ومصّ اللسان! والتزام الثدييْن! ووضع الصدر والخدّ على الفخذين! والإدخال بغير إنزال! والاغتسال معاً! ونحو ذلك مما يعدّ من أقبح ما يكون من المرأة إذ تفشي في الناس ما جرى بينها وبين زوجها في المخادع من الـضِّراب ومقدّماته ولواحقه، هذا إن كانت له حقيقة، فكيف إنْ لم تكن كما سيتبيّن لك؟!

والداعي الذي دعا عائشة إلى نسج هذه القصص واختلاق هذه الأحاديث هو ما أشرنا إليه، من أنها أرادت من جهة الحطّ من قداسة ومنزلة رسول الله (صلى الله عليه وآله) بتصويره رجلاً شهوانياً والعياذ بالله، ومن جهة أخرى أرادت إيهام العامة بأنها ذات حظ

---

(١) راجع ص٤٧٥ من هذا الكتاب.

عظيم من الحُسن والجمال والبهاء ولذا لم يكن النبي (صلى الله عليه وآله) يصبر عليها حتى في حال كونه صائماً أو كونها صائمةً! بل وحتى وهي طامث حائض! وبهذا تلفت الحميراء أنظار الرجال وتسيل لعابهم، وتسدّ ما تشعر به من نقص بسبب قُبحها، إذ يتفكّر جميع من بلغه أحاديثها في سرّ جاذبيتها التي جعلت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يهيم فيها عشقاً هكذا وهو شيخ قد تجاوز الخمسين! ويسرح المتلقّي لأحاديثها في خياله متسائلاً: أي سحرٍ في جسد عائشة؟ أَ في قَوامها؟ أم في شعرها؟ أم في عينيْها؟ أم في شفتيْها؟ أم في ثدييْها؟ أم في فخذيْها؟ أم في إليتيْها؟ أم في شُفْريْها؟ أم في ماذا؟!

هذا هو الذي أرادته عائشة من وراء بثّ هذه الأحاديث المكذوبة، وما جرّأها على ذلك هو لسانها المعتاد على الخنا والتفحّش والتبذّل، ونفسها التي انعدم فيها الحياء والتصاون. وإليك طائفة من هذه الأحاديث المنكرة:

روى أحمد بن حنبل وأبو يعلى وأبو خزيمة عن طلحة عن عائشة قالت: «**أهوى إليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقبّلني، فقلتُ: إني صائمة! قال: وأنا صائم! قالت: فأهوى إليَّ فقبّلني**»![1]

وروى البيهقي عن مسروق عن عائشة قالت: «**إنْ كان النبي صلى الله عليه وسلم ليظَلُّ صائماً فيُقبِّلَ أين شاء من وجهي حتى يفطر**»![2]

وروى أحمد بن حنبل وأبو داود وابن خزيمة عن مِصدع أبي يحيى عن عائشة: «**أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبِّلُها وهو صائم ويمصُّ لسانها**»![3]

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص١٣٤ ومسند أبي يعلى ج٨ ص٢٦ وصحيح ابن خزيمة ج٣ ص٢٤٧

(٢) سنن البيهقي ج٤ ص٢٣٣

(٣) مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص١٢٣ وسنن أبي داود ج١ ص٥٣٣ وصحيح ابن خزيمة ج٣ ص٢٤٦

وروى أحمد بن حنبل والدارمي والبيهقي والطيالسي واللفظ للأول عن عائشة قالت: «**كان النبي صلى الله عليه وسلم يتوشّحني وينال من رأسي وأنا حائض**»![1]

وروى البخاري وأحمد بن حنبل عن عائشة قالت: «**كان النبي صلى الله عليه وسلم يباشرني وأنا حائض! وكان يُخرج رأسه من المسجد وهو معتكف فأغسله وأنا حائض**»![2]

وروى أبو داود عن عائشة قالت: «**دخل النبي فمضى إلى مسجده، فلم ينصرف حتى غلبتني عيني وأوجعه البرد، فقال: ادني مني. فقلت: إني حائض! فقال: وإنْ! اكشفي عن فخذيْكِ! فكشفتُ فخذي فوضع خدّه وصدره على فخذي وحنيتُ عليه حتى دَفِئَ ونام**»![3]

وروى النسائي عن جُميع بن عمير قال: «**دخلتُ على عائشة مع أمي وخالتي، فسألتاها: كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع إذا حاضت إحداكنّ؟ قالت: كان يأمرنا إذا حاضت إحدانا أن تتّزر بإزار واسع ثم يلتزم صدرها وثدييْها**»![4]

وروى البخاري وابن ماجة واللفظ للأول عن عائشة قالت: «**كان النبي يقرأ القرآن ورأسه في حجري وأنا حائض**»![5]

---

(1) مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص١٨٧ وسنن الدارمي ج١ ص٢٤٤ وسنن البيهقي ج١ ص٣١٢ ومسند الطيالسي ص٢١٢، ويتوشّحني: يعانقني.

(2) صحيح البخاري ج٢ ص٢٥٦ ونحوه في مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص٥٥

(3) سنن أبي داود ج١ ص٦٧

(4) سنن النسائي ج١ ص١٨٩

(5) صحيح البخاري ج٨ ص٢١٥ ونحوه في مسند ابن ماجة ج١ ص٢٠٨

وروى ابن ماجة وأحمد بن حنبل واللفظ للأول عن عائشة قالت: «**إذا التقى الختانان فقد وجب الغسل، فعلته أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم فاغتسلنا**»![١] وفي حديث آخر لأحمد بن حنبل قالت: «**فعلناه مرّةً فاغتسلنا! في الذي يجامع ولا يُنزل**»![٢]

وروى البخاري عن عائشة قالت: «**كنتُ أغتسل أنا والنبي صلى الله عليه وسلم من إناء واحد من جنابة**»![٣] وفي رواية مسلم والنسائي: «**كنتُ أغتسل أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم من إناء بيني وبينه، فيبادرني حتى أقول: دعْ لي دعْ لي**»![٤] وفي رواية أحمد بن حنبل: «**أبقِ لي أبقِ لي**»![٥]

---

(١) سنن ابن ماجة ج١ ص١٩٩ ومسند أحمد بن حنبل ج٦ ص٢٦٥، والمراد من التقاء الختانين هو إدخال الذكر في فرج المرأة. وقد وضعت عائشة حديثاً مماثلاً على لسان رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو ما رواه مسلم في صحيحه ج١ ص١٨٧ عن عائشة قالت: «**أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يجامع أهله ثم يكسل، هل عليه الغسل؟ وعائشة جالسة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إني لأفعل ذلك أنا وهذه ثم نغتسل**»!

ومن المعلوم أنها أكذوبة من أكاذيب عائشة، فنبي الله (صلى الله عليه وآله) أجلّ مروءةً وأشد حياءً من أن ينطق بمثل هذه العبارة في محضر الرجال وزوجته حاضرة إلى جنبه، وإنك لو سألتَ مثل هذا السؤال اليوم إلى أحدٍ من المشايخ أو الدعاة وبجنبه زوجته ثم أجابك مومئاً إلى زوجته قائلاً: «**إني لأفعل ذلك أنا وهذه ثم نغتسل**» لقلتَ في نفسك: قد جئتُ إلى مَن لا يستحي ولا يغار على عرضه! وكان يكفيه أن يقول: نعم عليه الغسل.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص١١٠

(٣) صحيح البخاري ج١ ص٤١

(٤) صحيح مسلم ج١ ص١٧٦ وسنن النسائي ج١ ص٢٠٢

(٥) مسند أحمد ج٦ ص٩١

أقـول: إنّا لو تنزّلنا وسلّمنا بصحة هذا الذي حكته عائشة في أحاديثها؛ لما كان يجـوز لهـا أن تفشيه وتذكره، لأنها إذ ذاك تكون كشيطانة متعرّية تُنكح أمام الناس في الطريق! وهذا هـو الوصف الذي أطلقه رسول الله (صلى الله عليه وآله) على التي تفعل ذلك ولا تحفظ أسرار ما يجري بينها وبين بعلها في المهاجع.

روى أحمد بن حنبل عن أسماء بنت يزيد: «**أنها كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم والرجال والنساء قُعودٌ عنده، فقال: لعل رجلاً يقول ما يفعل بأهله ولعل امرأةً تُخبِر بما فعلت مع زوجها؟ فأَرَمَّ القومُ. فقلتُ: إي والله يا رسول الله! إنهنّ ليَقُلْنَ وإنهم ليفعلون! قـال: فـلا تفعلوا، فإنما ذلك مثل الشيطان لَقِيَ شيطانةً في طريق فغَشِيَها والناس ينظرون**»![1] وفي روايـة المتقي الهندي قال صلى الله عليه وآله: «**ألا هل عست امرأةٌ أن تخبر بما يكـون مـن زوجهـا إذا خلا بها؟! ألا هل عسى رجلٌ أن يخبر القوم بما يكون منه إذا خلا بأهله؟! فـلا تفعلـوا ذلـك، أَفلا أنبئكم ما مثل ذلك؟ مثل شيطان لَقِيَ شيطانةً بالطريق فوقع بها والناس ينظرون**»![2]

إذن؛ فإن إفضاء عائشة إلى الناس - على فـرض صـدق مـا أفـضت بـه - هـو مـن أكـبر المحرّمات، سيّما أن المحكي عنه هو رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي يجب حفظ حرمتـه حياً وميتاً. وهذا الذي فعلته عائشة كاشف عن طبيعتها الشيطانية طبقاً لمؤدّى الحديث.

لا يُقال: إنها عمدت إلى ذلك لبيان الحكـم الـشرعي. **إذ يُقـال**: عـلى فـرض أنهـا كانـت مضطرة فكان يكفيها أن تقتصر على بيانه دون الزوائد والحواشي التي أضافتها، والتـي تهتـك حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله.

---

(١) مسند أحمد ج٦ ص٤٥٧

(٢) كنز العمال للمتقي الهندي ج١٦ ص٣٥٦

كان يكفيها مثلاً حين تُسأل عن جواز تقبيل الصائم لزوجته أن تقول: «هو جائز» وتسكت، دون أن تتبع ذلك بقولها: «**أهوى إليَّ فقبّلني.. يُقبِّلَ أين شاء من وجهي حتى يفطر**»!

وكان يكفيها حين تُسأل عن جواز مباشرة الرجل امرأته حال الحيض أن تقول مثلا: «يتجنّب موضعه وله ما دون ذلك» لا أن تضيف قولها: «**يتوشّحني وينال من رأسي وأنا حائض.. فقلت: إني حائض! فقال: وإنْ! اكشفي عن فخذيْكِ! فكشفتُ فخذي فوضع خدّه وصدره على فخذي وحنيتُ عليه حتى دَفِئَ ونام.. كان يأمرنا إذا حاضت إحدانا أن تتّزر بإزار واسع ثم يلتزم صدرها وثدييْها**»!

وكان يكفيها حين تُسأل عن الغسل هل يوجبه الإدخال بغير إنزال أن تقول: «**نعم**» دون أن تسترسل فتقول: «**فعلته أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم فاغتسلنا.. فيبادرني حتى أقول: دعْ لي دعْ لي.. أبقِ لي أبقِ لي**»!

على أن الحميراء لو كانت امرأة ذات خدر وعفاف وحياء، ولو كانت امرأة كريمة تحترم نفسها؛ لامتنعت عن جواب مثل هذه المسائل الحرجة ولوبّخت السائلين وأحالتهم إلى الرجال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، لأنها امرأة مهما كان، ولا يصحّ أن يسأل الرجل امرأة عن مثل هذه المسائل. **فإن قلتَ**: ذلك للضرورة إذ كانت هي الخبيرة بهذه المسائل دونهم. **قلنا**: هذه مكابرة، فإن أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) كانوا بالمئات، ولا شك أنهم طوال تلك السنين التي عاصروه فيها قد وقفوا على أحكام هذه المسائل منه (صلى الله عليه وآله) لأنها مسائل تعمّ بها البلوى، فهل أن أحداً قط طوال تلك السنين لم يجامع بغير إنزال؟ أم هل أن أحداً قط لم يقبّل امرأته وهو صائم؟ أم هل أن أحداً قط لم يباشر امرأته وهي حائض؟ دع هذا.. أليس بيان الأحكام في هذه المسائل الابتلائية من

صُلب وظيفة النبي (صلى الله عليه وآله) فهل يُعقل أنه لم يُبلغها لأحد ولم يوقف عليها أحداً إلا عائشة؟! لا؛ لا يُعقل ذلك ولا يُتصوّر أصلاً، ولا بد أن يكون كثير من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) عالمين بهذه الأحكام، فكان الواجب على عائشة أن تُحيل الرجال إلى الرجال ليُفتوهم بما سمعوا من صاحب الشريعة صلى الله عليه وآله. نعم؛ لو كان السائل امرأة ساغ أن تجيب هي بشرط الاقتصار على الجواب، غير أنك عرفت كيف كانت تجيب بما يستقبح ذكره ويهتك حجاب النبوة!

إن هذه الأحاديث لم يسمع البشر مثلها في القبح والدناءة من امرأة نبي أو وصي أو حتى عالم أو رجل كريم قط! ودونك سيرة سائر نساء النبي صلى الله عليه وآله، هل تجد إحداهنّ حدّثت بمثل هذه الأحاديث وأفشت هذه الأسرار؟! مع أنها أيضاً كعائشة من حيث كونها زوجة للنبي صلى الله عليه وآله، فما السر في انحصار هذا النوع من الأحاديث القبيحة بعائشة؟! ولماذا كان الرجال يتوجّهون إليها بالسؤال عن هذه المسائل الحرجة الحساسة دون غيرها من نساء النبي صلى الله عليه وآله؟! إلا أنهم من الذين في قلوبهم مرض فأعرضوا عن جميع الرجال والنساء واتجهوا صوب عائشة! وإلا أنهم يعلمون منها أنها تهوى مثل هذه الأحاديث وتستأنس بها!

على أية حال؛ فإن هذه الأحاديث المنكرة ليس لها محل من الصدق والواقع، ولا يمكن لذي لبٍّ التسليم بها لصرف التهمة عن عائشة، ذلك لأن العقل يأبى أن يكون نبي على هذه الصفة من الهوس الجنسي، فالنبي إنما هو ذاك الذي يكون مستغرقاً في حب الله تعالى، منصرفاً عن الملذات الدنيوية البحتة وإن كانت مباحة، بل إن كل ما يقوم به لا يكون إلا بقصد القربة إليه سبحانه وتعالى، بما في ذلك طعامه وشرابه ونومه ونكاحه، إنما يقوم بهذه الأمور على سبيل اللابديّة وبقصد القربة، كأن يتقوّى على العبادة وأداء وظائف النبوة والرسالة.

هذا من جهة العقل؛ وأما من جهة النقل فإنه يكذّب أيضاً هذا الذي زعمته عائشة وقدحت به في أخلاقيات سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله، فإنه الذي يصفه أصحابه بأنه: «**أشد حياءً من العذراء في خدرها**»[1] والذي تكون هذه صفته لا يُتوقّع منه هذا الذي صوّرته عائشة، إنما يُتوقّع مثل هذا من الشباب المراهقين مثلاً!

وها هي عائشة نفسها تقرّ في أحاديث أخرى بما ينافي ما أشاعته عنه (صلى الله عليه وآله) من أكاذيب، كقولها: «**كنتُ إذا حضتُ نزلتُ عن المثال على الحصير، فلم نقرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ندنُ منه حتى نطهر**».[2] وهذا يكشف عن واقع أنه (صلى الله عليه وآله) لم يكن يسمح لها أو لغيرها من زوجاته أن تدنو منه في حال الحيض، ولذا كانت عائشة تنزل عن المثال - أي الفراش - إلى الحصير لئلّا تكون بقربه، فكيف يدنو هو ويقترب منها وهي على تلك الحال فيتوشّحها وينال من رأسها ويأمرها أن تكشف عن فخذها فيضع صدره وخده عليه ثم يلتزم صدرها وثدييْها؟!

وها هي عائشة تقول: «**ما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أحداً من نسائه إلا مقنّعاً يرخي الثوب على رأسه، وما رأيتُه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا رآه مني. تعني الفرج**»[3] وتقول: «**ما رأيتُ عورة رسول الله صلى الله عليه وسلم قط**»[4] وتقول: «**ما نظرتُ إلى فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نظر إلى فرجي قط**»[5] وتقول: «**ما رأيتُ فرج**

---

(١) مكارم الأخلاق للطبرسي ص١٧ وصحيح البخاري ج٤ ص١٦٧ وغيرهما كثير.

(٢) سنن أبي داود ج١ ص٣٤

(٣) أخلاق النبي صلى الله عليه وآله لأبي الشيخ الأصبهاني ص٧٣٨ وتخريج الأحاديث والآثار للزيعلي ج١ ص٤٥٧ كلاهما عن أبي يعلى بسنده، والأنوار في شمائل النبي المختار صلى الله عليه وآله للبغوي ص١٠٦٠

(٤) المعجم الأوسط للطبراني ج٢ ص٣٤٩

(٥) لسان الميزان لابن حجر ج٢ ص٥٠٤ عن الدارقطني عن مالك، وقد ضُعِّف لكنه منجبر بنظائره.

رسول الله صلى الله عليه وسلم قط».[١] ومع هذا فكيف تأتينا عائشة لتزعم أنها كانت تغتسل والنبي (صلى الله عليه وآله) معاً ومن إناء واحد! إلا أن نتكلّف بل نتخرّص فندّعي أنهما كانا يغمضان عيونهما أو يغتسلان من وراء ثوب! لكن يردّه ما في الحديث الأول من صراحة أنه (صلى الله عليه وآله) كان يرخي الثوب على رأسه حين يأتي أهله. ولعمري مَن يكون هذا أدبه وحياؤه - بأبي هو وأمي - كيف يُتصوّر أنه «**يهوي**» إلى امرأته ويقبّلها ويكاعمها وهو صائم ويلتزم ثدييْها ويمص لسانها ويضع خده على فخذها وهي حائض؟!

هذا من جهة النقل؛ وأما من جهة الشرع أعني خصوص الأحكام، فإن مما هو معلوم أن مباشرة الرجل امرأته وهي في الحيض دون الفرج مكروه، والمعصوم معصومٌ عن المكروه بل عن ترك الأولى ومطلق ما يخالف المروءة، والنبي (صلى الله عليه وآله) هو سيد المعصومين على الإطلاق، فلا يمكن أن يُقدم على مكروه.

كما أن من المعلوم أن مصّ لسان الغير يستلزم ابتلاع ريقه عادة، بل إن عدم ابتلاع شيء من ريقه هو فرضٌ نادر جداً، وعليه؛ فكيف مصّ النبي (صلى الله عليه وآله) لسان الحميراء وهو صائم؟! فإنه بذلك يُفطر بابتلاع ولو شيء يسير من ريقها، ولا يُظنّ بمثله (صلى الله عليه وآله) ذلك التهاون حتى لو افترضنا أنه كان يمصّ ثم لا يبتلع الريق بل يلفظه، فهذا ما لا يفعله المؤمن العادي لمكان الاحتياط والتحرّز، وهو (صلى الله عليه وآله) أولى، فهو المثل الأعلى والأسوة الحسنة.

إن هذه الأحاديث المخزية إنما جاءت بها عائشة لإرضاء ذاتها المهووسة بلفت أنظار الرجال، والتنفيس عن احتقاناتها الجنسية وعُقَدها النفسية، والحط من كرامة مَن بُعث ليتمّم مكارم الأخلاق صلى الله عليه وآله.

---

(١) مسند أحمد ج٦ ص١٩٠ وسنن ابن ماجة ج١ ص٢١٧ وسنن البيهقي ج٧ ص٩٤ وغيرها كثير.

■ **رجال ينزلون عليها فيُجنبون!**

إن المرأة الحَصان إذا مات عنها زوجها حفظته في مماته كما كانت تحفظه في حياته، ولذا تعتدّ في بيتها ولا ترى رجلاً ولا يراها رجل، إلى أن ييسّر الله لها أن تتزوّج بآخر بعد العدة إن رامت الزواج، وإلا ظلّت في خدرها صائنةً لنفسها حافظةً لعرضها وفيةً لزوجها.

وإنْ رأى الناس امرأة مات عنها زوجها وهي تفتح باب بيتها للرجال الأجانب فينزلون عليها ويبيتون عندها لقالوا: «إنها مطروفة»![1] ولزنّوها سيّما إذا لم تنقضِ عدّتها، فكفى بذلك ريبةً وفجوراً.

والذي عُلِمَ من سيرة عائشة أنها كانت تستدخل على نفسها الرجال وتستضيفهم في بيتها بعد استشهاد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكأنهم لها أخلّاء! فيمكثون عندها ويبيتون بل ويُجنبون وتعلّمهم كيف يحكّون المني الذي رأوه في ثيابهم بدلاً من غسله!

أخرج مسلم وابن حبان والبيهقي عن إبراهيم عن علقمة والأسود: «**أن رجلاً نزل بعائشة! فأصبح يغسل ثوبه! فقالت عائشة: إنما كان يجزئكَ إنْ رأيتَه أن تغسل مكانه! فإنْ لم تَرَ نضحتَ حوله، ولقد رأيتُني أفرُكُه من ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فركاً فيصلي فيه**»![2]

وأخرج مسلم والبيهقي عن عبد الله بن شهاب الخولاني قال: «**كنتُ نازلاً على عائشة! فاحتلمتُ في ثوبيَّ فغمستهما في الماء، فرأتني جارية لعائشة فأخبرَتْها، فبعثت إليَّ عائشة فقالت: ما حملكَ على ما صنعتَ بثوبيْك؟ قال: قلتُ: رأيتُ ما يرى النائم في منامه. قالت:**

---

(١) المطروفة: المرأة التي طرَفَها حب الرجال فهي تطمح وتُشرف لكل من أشرف لها منهم ولا تغض طرفها.

(٢) صحيح مسلم ج١ ص١٦٤ وصحيح ابن حبان ج٤ ص٢١٧ وسنن البيهقي ج٢ ص٤١٦

هل رأيتَ فيهما شيئاً قلتُ: لا. قالت: فلوْ رأيتَ شيئاً غسلْتَه، لقد رأيتُني وإني لأحُكُّهُ من ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم يابساً بظُفُري»!(١)

وأخرج البيهقي عن الأسود(٢) قال: «**رأتني عائشة رضي الله عنها أغسل أثر جنابة أصابت ثوبي! فقالت: ما هذا؟ فقلتُ: أثر جنابة أصابت ثوبي. فقالت: لقد رأيتُني وإنه ليصيبُ ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم فما نزيدُ على أن نفعل به هكذا. تعني نفركه**»!(٣)

وأخرج عبد الرزاق الصنعاني وابن حزم عن همام بن الحارث قال: «**أرسلت عائشة أم المؤمنين إلى ضيف لها تدعوه! فقالوا: هو يغسل جنابة في ثوبه! قالت: ولمَ يغسله؟ لقد كنتُ أفركه من ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم**»!(٤)

وأخرج ابن الجارود النيسابوري والحميدي عن همام بن الحارث قال: «**كان ضيفٌ عند عائشة رضي الله عنها فأجنب! فجعل يغسل ما أصابه، فقالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا بحتّه**»!(٥)

---

(١) صحيح مسلم ج١ ص١٦٦ وسنن البيهقي ج٢ ص٤١٧

(٢) هو الأسود بن يزيد بن قيس، وهو أبو فتاها عبد الرحمن بن الأسود الذي تقدّم ذكره وقولها له في موضوع الاحتلام والجنابة أيضاً: «**هيْ يا عُدَيَّ نفسه! فعلتها**»؟! فيبدو أن الوالد والولد نالا حظهما من عائشة ونالت هي حظها منهما!

(٣) سنن البيهقي ج٢ ص٤١٦

(٤) مصنف عبد الرزاق الصنعاني ج١ ص٣٦٨ المحلى لابن حزم ج١ ص١٢٥

(٥) المنتقى لابن الجارود النيسابوري ج١ ص٧٢ ومسند الحميدي ج١ ص٩٧ واللفظ للأول. والحتّ: فرك الشيء اليابس عن الثوب.

وأخرج أبو داود عن همام بن الحارث: «**أنه كان عند عائشة رضي الله عنها فاحتلم! فأبصرته جارية لعائشة وهو يغسل أثر الجنابة من ثوبه أو يغسل ثوبه، فأخبرتْ عائشةَ فقالت: لقد رأيتُني وأنا أفركه من ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم**»![1]

وبعد هذه الروايات التي تكشف عن واقع قذر دنيء؛ يحق للمرء أن يتساءل: ماذا كان يفعل أولئك الرجال الأجانب في بيت عائشة؟! وما الداعي لأن تدعوهم وتستضيفهم على هذا النحو المريب وهي بعدُ في حكم المعتدة أبداً إذ يحرم عليها الزواج؟!

وإذا تخرّص متخرّص بأن الداعي كان نشر حديث وسنة النبي (صلى الله عليه وآله) فإنه يرد عليه بأن عائشة لم تكن مضطرة لأن تدعو الرجال لأجل ذلك! فقد كانت لها مندوحة في دعوة النساء لتلقي إليهنّ ما تعلم من الحديث والسنة، ثم النساء يُبلغن الرجال، وفي هذا الغَناء والسلامة، وهو أبعد عن القيل والقال.

ونحن لم نرَ غيرها من زوجات رسول الله (صلى الله عليه وآله) استدخلت على نفسها الرجال الأجانب بهذه الذريعة، ولم نسمع أن إحداهنّ «**أرسلت إلى ضيف لها تدعوه**» و«**أن رجلاً نزل بها فأجنب فأصبح يغسل ثوبه**»! فقد كُنَّ يحرصن - إجمالاً - على أن لا يُهتك حجاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) المضروب عليهن، بل لا نعلم سيدة فاضلة اليوم تقبل على نفسها أن تدعو الرجال إلى بيتها بدعوى تعليمهم أحكام الدين، إذ لو فعلت ذلك لاستراب الناس في أمرها ولاتّهموها في عرضها وعفّتها!

ولو أنّا سلّمنا جدلاً بأنه لم تكن مندوحة إلا أن تدعو عائشة الرجال وكأن النساء في المدينة قد عُدِمنَ! فما الداعي لأن تدعهم يبيتون عندها؟! أَهل عُدِمتِ البيوت أيضاً فلا سبيل لأن يبيت هؤلاء «الشبقون» إلا في بيت الحميراء؟! ألا بيوت أو منازل لهم أو

(١) سنن أبي داود ج١ ص٩٢

لأصحابهم يأوون إليها؟! أمَا كان يغنيهم أن يبيتوا في المسجد مثلاً؟! فلماذا الإصرار على المبيت عند عائشة وهي امرأة عَزَبَة لا زوج لها بل ولا رجلاً من محارمها يسكن معها؟! سيّما أن بيتها أو حجرتها كانت صغيرة المساحة، وهذا يجعل الرجل على مقربة منها في الليل! إلا أن يُقال أنهم باتوا عندها حين انتقلت إلى بيتها الأوسع، ومع ذا ليس في هذا أمنٌ من الفساد.

وكيف سمحت الحميراء لأن يتحوّل بيتها إلى نُزُلٍ أو خانٍ أو فندق؟! إنها لو كانت عفيفة ورعة حقاً لكان ينبغي لها أن تقول للرجل حين يجنّ الليل: «قم واذهب إلى بيتك فإنه لا يبيت رجل عند امرأة»، لا أن تدعه يبيت عندها فيحصل ما يحصل في الليالي من الجنابة والاحتلام مما الله أعلم بسببه وموجبه! هذا على فرض أن اجتماعها به كان لغاية شريفة هي تعليم السنة لا غير!

ثم إن من الغريب أن رجالاً عدّةً يبيتون عند عائشة في ليالي مختلفة، وكلٌّ منهم يحتلم في الليل! ثم تأتيه عائشة وتعلّمه الاكتفاء بفرك المني لا غسله، فما هذا الاتفاق العجيب؟! وأي شيءٍ كان في بيت عائشة يثير شهوة الرجال فلا يملكون أنفسهم ليلاً؟!

وأما زعمها طهارة المني والاكتفاء بفركه بعد أن ييبس؛ فيردّه ما شهدت به من أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان يغسله من ثوبه حتى يطهر قبل أن يخرج إلى الصلاة، فقد روى مسلم عنها أنها قالت: «**إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يغسل المني ثم يخرج إلى الصلاة في ذلك الثوب وأنا أنظر إلى أثر الغَسْل فيه**».[1] وكذا روى عنها ابن الجارود النيسابوري أنها قالت: «**إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أصاب ثوبه المني غَسَل ما أصابه منه، ثم يخرج الى الصلاة وأنا أنظر الى البقع في ثوبه من أثر الغسل**».[2]

---

(١) صحيح مسلم ج١ ص١٦٥

(٢) المنتقى لابن الجارود النيسابوري ج١ ص٤٤

وليس إفتاؤها بطهارة المني وكفاية فركه إلا راجعاً إلى نجاستها الباطنية، فإن النجاسة الباطنية تقود إلى الظاهرية، والإنسان إذا استولى عليه الشيطان وأوقعه في الفجور والفساد والعصيان؛ هانت عليه النجاسات والأدناس، فلا يشعر بحاجة إلى التطهّر والتطهير، ويكتفي بمثل هذا الذي دعت إليه عائشة من إذهاب أثر المني بفركه أو حتّه! كما يكتفي بمثل هذا الذي كانت تصنعه عائشة مع دم الحيض على الثوب، فقد كانت تضع عليه شيئاً من ريقها ثم تعضّه بأسنانها وتحكّه بظُفُرها لإذهابه! قال ابن الأثير في شرح حديث عائشة: «**وفي حديث غسل دم الحيض: فَتَقُصُّه بريقها، أي تَعَضُّ موضعه من الثوب بأسنانها وريقها ليذهب أثره**»![1]

والحاصل؛ إن اختلاف الرجال على عائشة وبياتهم عندها في الليالي وقد أجنبوا، وما دار بينها وبينهم من الكلام الشنيع حول الجنابة وفرك المني؛ هو مما يؤكد نزوع هذه المرأة إلى مطارفة الرجال وكسر حاجز العفة والحياء وقابليتها للفجور، وإلا فإن التاريخ لم يحدثنا بمثل هذا الذي كان من عائشة إلا من ذات راية!

■ تتعرّى وتتكشّف أمام رجالٍ لتعليمهم الوضوء والغُسل!

إن النفس التي استولى عليها الشيطان تسوّل لصاحبها إذا انسدّ عليه باب الفساد العلني الصريح أن يلجأ إلى الفساد الخفي المقنّع، فيتظاهر بما هو من الدين لتحقيق مآربه الخبيثة من خلاله، ولهذا أمثلة كثيرة.[2]

---

(١) النهاية لابن الأثير ج٤ ص٧٢ والحديث في صحيح البخاري ج١ ص٨١ وسنن أبي داود ج١ ص٩٠ ومصنف عبد الرزاق الصنعاني ج١ ص٣٢٠

(٢) منها ما عاصرناه في الكويت قبل سنوات حيث افتُضح أمر قاصٍّ بكري سلفي شهير يُدعى **الشيخ الدكتور فلاح بن إسماعيل مندكار**، أستاذ كلية الشريعة الذي استغلّ حاجة امرأة عراقية مطلقة فأسكنها =

وعائشة امرأة من هذا الصنف من البشر، فإنها بعدما قُيِّدَت بقيود اجتماعية حالت دون أن تُشبع نفسها بلذائذ المعاصي جهرةً؛ عمدت إلى استدرارها بالدين خفيةً! فكان الدين والتظاهر بخدمته وترويج أحكامه جسراً يوصلها إلى ما تريد من الفساد والفجور.

إنها امرأة مغتلمة، شبقة، شغوفة بالرجال، وقد انقطعت بها السبل بعدما ضُرب عليها الحجاب ومُنعت عن مخالطة الرجال، فأي شيء تصنع لخرق هذا الطوق المفروض عليها؟

إنها لم تجد سبيلاً إلا التذرّع بمقاصد دينية، لذا كانت تخرج إلى الحج وهي تلبس الأحمر علّها تحظى بأحدهم، ولذا كانت أيضاً تدعو الرجال إلى بيتها بدعوى تعليمهم أحكام الدين وكأن الفناء أصاب سائر أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) فلم يبقَ أحدٌ يمكن الرجوع إليه لمعرفة الأحكام إلا عائشة!

والذي يطيش بسببه العقل أن عائشة لم تقتصر على «التعليم» مشافهةً؛ وإنما أضافت إليه التمثيل العملي! وبهذا كانت تتعمد كشف أجزاء من جسدها أمام الرجال بحجة أنها تقصد تعليمهم كيفية الوضوء والغُسل! وكانت تلك إحدى طرقها الماكرة لإغرائهم واستدراجهم إلى ما تبغي.

روى النسائي عن عبد الملك بن مروان بن الحارث بن أبي ذُناب قال: «**أخبرني أبو عبد الله سالمٌ سَبَلانُ قال - وكانت عائشة تستعجب بأمانته وتستأجره -: فأرتْني كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ! فتمضمضتْ واستنثرتْ ثلاثاً، وغسلتْ وجهها ثلاثاً، ثم**

= حجرة ملحقة بمسجده الذي يصلّي فيه إماماً للناس - مع أنه مسجد تابع لوزارة الأوقاف ولا يُرخّص مثل ذلك فيه - ثم أخذ يبتزّ المرأة ويراودها عن نفسها إلى أن قُبض عليه وحوكم وسُجن، وقد نشرت صحف الكويت آنذاك تفاصيل القضية على مدى أيام. الغريب أنه عاد بعد قضاء فترة سجنه إلى مزاولة عمله واستمرّ يلقي الدروس على التيوس عن التقوى والورع! فتبارك الله أحسن الخالقين!

غسلت يدها اليُمنى ثلاثاً، واليسرى ثلاثاً، ووضعت يدها في مُقدَّم رأسها ثم مسحت رأسها مسحةً واحدةً إلى مُؤَّخَره، ثم أَمَرَّتْ يدها بأُذُنيها ثم مرَّت على الخدّيْن! قال سالم: كنتُ آتيها مكاتَباً ما تختفي مني! فتجلس بين يديَّ وتتحدّث معي! حتى جئتُها ذات يوم فقلتُ: ادعي لي بالبركة يا أم المؤمنين. قالت: وما ذاك؟ قلتُ: أعتقني الله. قالت: بارك الله لك. وأرخت الحجاب دوني فلم أرها بعد ذلك اليوم»![1]

إن مما يُلاحَظ في هذه الرواية أن عائشة خلت برجل خلوة محرّمة، ثم دعته بنفسها لأن تُريه كيفية الوضوء، فكشفت له أجزاءً من جسدها كالوجه واليديْن والرأس والشعر والأذنيْن! ولا يبعد أنها قد كشفت له الرِّجليْن أيضاً - وإنْ سكتت الرواية عنه - لأن الوضوء لا يتم إلا بذلك.

فبأي مجوّزٍ شرعي تكشّفت عائشة لهذا الرجل؟! ومَن من الفقهاء أجاز للمرأة أن تتكشّف بلا حجاب أمام رجل بحجة تعليمه الوضوء؟! وقبل ذلك؛ كيف خلت عائشة بهذا الرجل كما هو ظاهر الرواية؟! ولماذا دعته لأن يرى كيف تتوضأ؟! أَ هل يُعقل أنه لا يعرف أمراً يفعله المسلمون جميعاً لأداء الصلاة خمس مرات في اليوم؟! ألم يتعلّم من أحدهم حتى تضطر عائشة لأن تُريه كيف يكون الوضوء؟! ألم يتوضأ من قبلُ ويصلي؟! ألم يرَ أحداً يتوضأ ويصلي قط؟!

إنْ قيل: إنما كان الطلب طلب الرجل لا عائشة، وذلك أنه أراد الوقوف على وصف لوضوء النبي (صلى الله عليه وآله) وهذا لا يتحقق إلا من زوجته التي كانت تعاينه. **قلنا**: ليس في الرواية أن الطلب كان طلب الرجل، بل فيها ما يُشعر بأن ما جرى كان مبادرةً من عائشة، إذ يقول الرجل ابتداءً: «**فأرتْني كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ**».

---

(١) سنن النسائي ج١ ص٨٦

وعلى فرض أن الطلب كان منه، فإنه كان يجب على عائشة أن تصرفه قائلةً: «لا يحلّ لي وأنا امرأة أن أتكشّف أمامك لأعلّمك الوضوء، دونك أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقد عاينوه كيف يتوضأ مراراً وعلّمهم ذلك كراراً، وهم بالعشرات بل المئات، فاذهب إليهم وسَلْهم وتعلّم منهم». هذا ما كان يجب عليها أن تفعل على فرض أن الرجل كان هو المبادر، فإن أمراً معهوداً بين المسلمين كالوضوء لا احتياج لتعلّمه إلى أحدٍ منهم بخصوصه، ولم يقصر الله تعالى بيان أحكام شرعه على عائشة! على أن صفة الوضوء التي جاءت بها كانت بِدْعية لا شرعية! فلم يكن هذا وضوء رسول الله (صلى الله عليه وآله) أصلاً! ولبيان ذلك محلّ آخر. والمهم أن الإشكال يبقى على حاله، وهو أنه كيف استحلّت عائشة أن تتكشّف بلا حجاب أمام رجل غير محرم؟

إنْ قيل: لعله كان صبيّاً لم يبلغ الحلم بعد. **قلنا**: هذا رجم بالغيب بلا دليل، ويردّه ظاهر الرواية فإن في أولها: «**وكانت عائشة تستعجب بأمانته وتستأجره**» وهو مُشعر ببلوغه، إذ لا يُستأجر الصبي ولا يعبّر عنه هكذا عادةً، ولا أقلّ من كونه صبيّاً مميزاً، وحكمه حكم البالغ في هذا المقام، فكيف رفعت عائشة الحجاب بينها وبينه؟

إنْ قيل: فإنه كان عبداً مملوكاً ويجوز لها رفع حجابها وإظهار زينتها له بدلالة قوله تعالى: «**وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ (...) أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ**».[1] **قلنا**: إن المراد مما ملكت أيمانهنّ هنا هو الإماء المشركات لا العبيد الذكران كما رُوي عن أئمة أهل البيت عليهم السلام،[2] وبه قال بعض أهل الخلاف أيضاً فقد قال ابن جرير الطبري: «**يعني من**

(١) النور: ٣٢

(٢) نصّ على ذلك شيخ الطائفة الطوسي (قدس سره) في الخلاف ج٤ ص٢٤٩، والأخبار المخالفة مردودة لموافقة مشهور العامة.

نساء المشركين، فيجوز لها أن تُظهر زينتها لها وإنْ كانت مشركةً لأنها أَمَتُها، وإليه ذهب سعيد ابن المسيب».[١] وروى الطبري أيضاً عن ابن جُرِيْج في قوله تعالى: «**أَوْ نِسَائِهِنَّ**» قال: «**بلغني أنهنّ نساء المسلمين، لا يحلّ لمسلمة أن تُرِيَ مشركةً عُرْيَتها إلا أن تكون أمةً لها، فذلك قوله: أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ**».[٢] وهذا هو الأوفق والأحوط بلا خلاف.

ثم لو تنزّلنا وسلّمنا بجواز أن يرى المملوك مولاته، فشرط ذلك أن لا يكون مُكاتَباً له ما يؤدي لقاء عتقه وحرّيته، فقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) في رواية أم سلمة رضوان الله عليها: «**إذا كان لإحداكنّ مكاتَبٌ وكان عنده ما يؤدي فلتحتجب منه**»[٣] وقد جاء في الرواية المزبورة أن سالماً هذا قال: «**كنتُ آتيها مكاتَباً ما تختفي مني! فتجلس بين يديَّ وتتحدّث معي**»! ولذا فإنه بعدما أُعتِق أرخت الحجاب بينها وبينه على ما جاء. فكيف لم تحتجب منه وهو عبدٌ مكاتَب لا يحلّ له أن ينظر إليها؟! على أن المجوّزين لرؤية العبد مولاته إنما أجازوا أن يرى منها الشيء اليسير كأطراف الشعر، لا مثل تمام الرأس وتمام اليديْن، فكفى بذلك فتنة.

ثم لو تنزّلنا وسلّمنا بهذه أيضاً وقلنا بجواز أن يرى العبد المكاتَب مولاته؛ فإن عائشة لم تكن مولاة سالمٍ هذا! ولم يذكر أحدٌ أن عائشة قد ملكته قط، وإنما ذكروا أنه كان مولى مالك ابن أوس بن الحدثان النصري،[٤] ومولى شداد بن الهاد، ومولى المهري، وهو المعروف بأبي عبد الله المدني وسالم الدوسي وسالم مولى النصريين.[٥] فكيف أدخلت عائشة هذا العبد

---

(١) تفسير ابن كثير ج٣ ص٢٩٥

(٢) تفسير الطبري ج١٨ ص١٦١

(٣) سنن أبي داود ج٢ ص٢٣٤ ومسند أحمد ج٦ ص٢٨٩ وسنن البيهقي ج١٠ ص٣٢٧ وغيرها كثير.

(٤) الثقات لابن حبان ج٤ ص٣٠٧

(٥) تهذيب التهذيب لابن حجر ج٣ ص٣٧٩

المكاتَب لغيرها وجعلته يشاهد من وجهها وخدّيْها ويديْها ورأسها وشعرها وأُذُنيْها ورِجليْها؟! ألا هل وجدنا امرأة تخاف الله تعالى تفعل مثل ذلك؟!

ويبدو أن أهل الخلاف لم ينتبهوا إلا أخيراً إلى ما في رواية النسائي من الشناعة إذ تفضح أمهم عائشة وتُظهر حقيقة أنها كانت تتكشّف أمام الرجال، لذا حاول بعضهم تضعيف الرواية والحكم عليها بالشذوذ والنكارة. ومن هؤلاء أحد كبار الوهابيين المعاصرين ويُدعى **عبد العزيز بن عبد الله الراجحي** فقد كان مما قال في معرض شرح هذه الرواية: «**هذا الحديث منكر المتن وشاذ وضعيف السند، فهو حديث ليس بصحيح، فأما الشذوذ والنكارة ففي موضعين أحدهما أشد من الآخر، الموضع الأول: أن عائشة لم تحتجب عن سالم سبلان وهو ليس عبداً لها! ولا مكاتباً لها! وقد قال الله تعالى في كتابه المبين: وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ، ثم قال: أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ، وهذا ليس مما ملكت يمينها وليس عبداً لها ولا مكاتباً لها، فكيف كشفت له عائشة وتجلس معه؟! والشاذ: هو مخالفة الثقة لمن هو أوثق منه، وهو هنا قد خالف نص القرآن. الموضع الثاني: في قوله: إنها لما مسحت رأسها أمرت يديها على خدها، فهذا أيضاً منكر شاذ مخالف للأحاديث، إذ ليس فيها مسح الخدين بعد مسح الرأس! (...) فالمقصود أن هذا الحديث ليس بصحيح**».(١)

غير أنه قد فات الراجحي أن **الألباني** وهو إمام السنة عندهم في هذا الزمان قد حكم على الرواية بالصحة ولم يرَ فيها هذه النكارة والشناعة! فقد علّق عليها بالقول: «**صحيح الإسناد**»!(٢) كما أن البخاري أخرجها في تاريخه وإنْ بترها!(٣)

---

(١) راجع شرحه لسنن النسائي - كتاب الطهارة ج٦

(٢) راجع كتابه (صحيح وضعيف سنن النسائي) ج١ ص٢٤٤

(٣) التاريخ الكبير للبخاري ج٤ ص١١٠

إذن؛ ليس تضعيف الراجحي للرواية إلا لما ورد في متنها كما هو محور كلامه المتقدّم، إذ وجد فيه ما يقدح في أمه عائشة وأنها قد خالفت نص القرآن الحكيم، ولو أنه كان منصفاً لجرّم عائشة بعد ثبوت صحة هذه الرواية بدلاً من إسقاط الرواية عن الاعتبار لتنزيه عائشة من هذا الجُرم قهراً!

ولئن أردتَ زيادةً عن أفعال عائشة الخلاعية التي تقشعر من شناعتها الأفئدة والأبدان؛ فإليك هذه التي رواها كبار محدّثي أهل الخلاف في صحاحهم المعتبرة، وهي أن عائشة كانت تتجرّد من ثيابها أمام الرجال لتغتسل!

أخرج البخاري عن أبي بكر بن حفص قال: «**سمعتُ أبا سلمة يقول: دخلتُ أنا وأخو عائشة على عائشة، فسألها أخوها عن غُسْل النبي صلى الله عليه وسلم، فدعَتْ بإناءٍ نحواً من صاع، فاغتسلت وأفاضت على رأسها وبيننا وبينها حجاب**»![(١)]

وأخرج مسلم والنسائي وأحمد بن حنبل والبيهقي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: «**دخلتُ على عائشة أنا وأخوها من الرضاعة! فسألها عن غُسْل النبي صلى الله عليه وسلم من الجنابة، فدعَتْ بإناءٍ قدر الصّاع وبيننا وبينها ستر! وأفرغت على رأسها ثلاثاً! وكان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يأخذنَ من رؤوسهنَّ حتى تكون كالوفرة**»![(٢)]

---

(١) صحيح البخاري ج١ ص٦٨

(٢) صحيح مسلم ج١ ص١٧٦ وسنن النسائي ج١ ص١٢٧ ومسند أحمد ج٦ ص٧٢ وسنن البيهقي ج١ ص١٩٥، واللفظ للأول. ومعنى أنهنّ يأخذن من رؤوسهنَّ حتى تكون كالوفرة؛ أنهنّ كُنَّ يحلقن شعورهنَّ ولا يبقين إلا ما لا يجاوز الأذنيْن. والظاهر أن أبا سلمة إذ رأى ذلك من عائشة أثناء اغتسالها ظنّ أن جميع أزواج النبي (صلى الله عليه وآله) كُنَّ كذلك! فما أدراه بهنّ وهو لم يَرَهُنّ؟ إنما رأى شعر عائشة وحدها.

وأخرج أحمد بن حنبل وأبو عَوانة عن أبي سلمة عن عائشة قالت: «**سألها أخوها من الرضاعة عن غسل النبي صلى الله عليه وسلم من الجنابة، فدعَتْ بماءٍ قدر الصّاع، فاغتسلت وصبّت على رأسها ثلاثاً**»![1]

وأخرج ابن رجب الحنبلي عن ابن وهْب والطبري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: «**دخلتُ على عائشة فقلتُ لها: كيف غُسْل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجنابة؟ فقالت: أَدْخِلْ معك يابن أخي رجلاً من بني أبي القُعَيْس - من بني أخيها من الرضاعة - فأخبرَ أبا سلمة بما تصنع، فأخذتْ إناءً فأكفأته ثلاث مرات على يدها قبل أن تُدخل يدها فيه، فقال: صبَّتْ على يدها من الإناء يا أبا سلمة ثلاث مرات قبل أن تُدخل يدها! فقالت: صدق! ثم مضمضت واستنثرت، فقال: هي تمضمض وتستنثر! فقالت: صدق! ثم غسلت وجهها ثلاث مرات ثم حفنت على رأسها ثلاث حفنات، ثم قالت بيدها في الإناء جميعاً ثم نضحت على كتفيها ومنكبيها! كل ذلك تقول إذا أخبر ابن أبي القُعَيْس ما تصنع: صدق**»![2]

أقول: إن ما اشتملت عليه هذه الروايات من شناعة لا نكاد نجد له نظيراً في ما نعلم؛ لا في العهود الماضية ولا في الحاضرة! فإنّا لا نعلم امرأة تجرّدت من الحياء وقامت واغتسلت أمام الرجال وإن كانوا من ذوي أرحامها! وإلا فهل طرق سمعك أن أختاً علَّمت أخاها كيف يغتسل من الجنابة عملاً وممارسةً على مرأى منه؟!

هذا إنْ صحّ أن هذا الرجل المُبهم ههنا هو أخو عائشة حقّاً، ذلك لأن أهل الخلاف احتاروا في تعيينه بما يبعث على الارتياب، إذ قال ابن حجر: «**زعم الداودي أنه عبد الرحمن ابن أبي بكر الصديق، وقال غيره: هو أخوها لأمّها وهو الطُّفَيْل بن عبد الله، ولا يصح واحد**

(١) مسند أحمد بن حنبل ج٦ ص١٤٣ ومستخرج أبي عوانة ج١ ص٣٩٧

(٢) فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن رجب الحنبلي ج٢ ص٨ عن ابن وهب والطبري.

منهما، لما روى مسلم من طريق مُعاذ والنسائي من طريق خالد بـن الحـارث وأبـو عَوانـة مـن طريق يزيد بن هارون كلهم عن شعبة في هذا الحديث أنه أخوها من الرضاعة. وقال النـووي وجماعة: إنه عبد الله بن يزيد، معتمدين على ما وقع في صحيح مسلم في الجنائز عـن أبي قِلابـة عن عبد الله بن يزيد رضيع عائشة عنها، فذكر حديثاً غير هذا. ولم يتعيّن عندي أنه المراد هنـا، لأن لها أخاً آخر من الرضاعة وهو كثير بن عُبيْد رضيع عائشة، روى عنهـا أيـضاً وحديثـه في الأدب المفرد للبخاري وسنن أبي داود من طريق ابنه سعيد بن كثير عنـه. وعبـد الله بـن يزيـد بصري، وكثير بن عُبيْد كوفي، فيُحتمَل أن يكون المُبهم هنا أحدهما، ويُحتمل أن يكون غيرهما، والله أعلم»![١]

وإنّا علمنا من حادثة سابقة أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كره أن تخلو عائـشة بـأخٍ لها من الرضاعة مجرد الخلوة، لبُعد أن يكون أخاً لها واقعاً، أي لعدم اكتمال الرِّضاع المحـرِّم في فترة ما قبل الفِطام حيث لا يسدّ جوع الطفل إلا اللبن.

أخرج البخاري عن عائشة: «**أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليهـا وعنـدها رجـلٌ! فكأنه تغيّر وجهه، فكأنه كره ذلك. فقالـت: إنـه أخـي! فقـال: انظُـرنَ مَـن إخـوانكنَّ فـإنما الرضاعة من المجاعة**».[٢]

---

(١) فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ج١ ص٣١٤

(٢) صحيح البخاري ج٦ ص١٢٦، ومعنى **الرضاعة من المجاعة**: أن ما يثبت به النسب وتنتـشر بـه الحرمـة وتحلّ به الخلوة لا يكون إلا ذلك الرضاع الذي يسدّ جوع الطفل، لا ذاك الذي يكون بعد افتطامه مثلاً حيـث يسدّ جوعه غير اللبن، ولا ذاك الذي يكون بعد الحوليْن، ولا ذاك الذي يكون دون إشـباعه في يـوم وليلـة أو خمس عشرة رضعة.

وأخرج مسلم والنسائي وأحمد بن حنبل والدارمي وابن ماجة عن عائشة قالت: «**دخل عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندي رجلٌ قاعد! فاشتدّ ذلك عليه ورأيتُ الغضب في وجهه! فقلتُ: يا رسول الله؛ إنه أخي من الرضاعة! انظرنَ إخوَتَكُنَّ من الرضاعة، فإنما الرضاعة من المجاعة**».(١)

إذا كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد كره مجرد خلوة عائشة واجتماعها بمن تدّعي أنه أخوها من الرضاعة، فغضب بسبب ذلك وحذّر عائشة منه، مع أن الأمر كان مجرد خلوة واجتماع، فكيف إذا كان فيه التعرّي والاغتسال؟! وكيف تتوقع أن يكون موقف رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذا ما دخل عليها ووجدها تغتسل أمام أخيها المزعوم هذا بحجة تعليمه غسل الجنابة؟!

لا يُقال: إنها لم تتعرَّ. **إذ يُقال**: كيف وقد ذكرت الروايات المزبورة وجود ساترٍ أو حجاب بينها وبين الرجليْن؟ فإنه لا يكون لوجود هذا الساتر داعٍ إذا لم تكن قد تعرّت وتجرّدت عن بعض ثيابها على الأقل. ثم كيف يتحقق الاغتسال مع وجود الثياب على البدن؟!

لا يُقال: فإن وجود هذا الساتر دليل على أن الرجليْن لم يَرَياها. **إذ يُقال**: فما الداعي لأن تقوم وتغتسل لتعليمهما إذن؟ فإنه لو كان هذا الساتر معتماً يمنع الرؤية؛ لا يكون محقّقاً لغرض التعليم، إذ لن يشاهدا شيئاً ولن يتعلّما شيئاً! فلا مفرّ إذن من واحد من احتمالات ثلاث:

---

(١) صحيح مسلم ج٤ ص١٧٠ وسنن النسائي ج٦ ص١٠٢ ومسند أحمد ج٦ ص٩٤ وسنن الدارمي ج٢ ص١٥٨ وسنن ابن ماجة ج١ ص٦٢٦ وغيرها كثير، واللفظ للأول.

(١) إما أن يكون هذا الساتر رقيقاً شفّافاً تنطبع عليه الصورة والخيال ويكون حاكياً للأفعال، فيتمكن الرجلان من رؤية كيفية اغتسال عائشة. وهذا إن كان فكفى به إغواءً وبعثاً على الافتتان إذ يرى رجلان يافعان ظل تقاسيم جسد امرأة تغتسل!

(٢) وإما أن يكون هذا الساتر ساتراً لجزء من البدن كأسافله دون جزء آخر كأعاليه، وهو ما ذهب إليه القاضي عِياض إذ قال: «**ظاهر الحديث أنهما رَأَيا عملها في رأسها وأعالي جسدها (...) ولولا أنهما شاهدا ذلك ورأياه لم يكن لاستدعائها الماء وطهارتها بحضرتهما معنى! إذ لو فعلت ذلك كله في ستر عنهما لكان عبثاً ورجع الحال إلى وصفها له! وإنما فعلت الستر ليستتر أسافل البدن وما لا يحلُّ للمَحْرَم نظره، والله أعلم**»![1] وهذا إن كان فكفى به إغواءً وبعثاً على الافتتان أيضاً إذ يفطن الرجلان إلى أن المرأة عارية من وراء ستار يحجب عنهما جزءاً من أسافلها وها هما ينظران إلى أعاليها! وهذا يثير في نفسيْهما هياجاً جنسياً أكثر! على أنّا لو سلّمنا بما يدّعيه المخالفون من أنهما مَحَرَمان لها فلا يخلّص ذلك عائشة من ذنب كشف ما لا يحلّ للمَحْرَم النظر إليه في هذه الصورة - كالثديْن - إلا على قول ضعيف شاذ، حيث يقول ابن رجب الحنبلي: «**وهذا يتوجه على قول من أباح للمَحْرَم أن ينظر إلى ما عدا ما بين السرة والركبة، وهو قول ضعيف شاذ**».[2]

(٣) وإما أن يكون الساتر ساتراً لها من أحدهما دون الآخر، وهذا هو الأرجح لأنه مقتضى الجمع بين الروايات المزبورة ورواية ابن وهْب والطبري التي صرّحت بأن إحداهما أدخلته عائشة إلى الداخل فكان يراها كيف تغتسل فيما كان الآخر من وراء الساتر! وكان الذي في الداخل يصيح ويُبلغ الآخر بتفاصيل ما يجري! قائلاً: «**صبَّتْ على يدها من الإناء يا**

(١) شرح صحيح مسلم للنووي ج٤ ص٣ عن القاضي عياض.

(٢) فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن رجب الحنبلي ج٢ ص٩

أبا سلمة ثلاث مرات قبل أن تُدخل يدها.. هي تمضمض وتستنثر.. قد غسلت وجهها ثلاث مرات.. قد حفنت على رأسها ثلاث حفنات.. قد قالت بيدها في الإناء جميعاً.. قد نضحت على كتفيْها ومنكبيْها»! وتتبع عائشة كلامه بكلمة تزيد من «التهاب» الموقف قائلةً: «**صدق.. صدق**»!

وعلى كل الاحتمالات؛ فإن هذا الذي صنعته عائشة كان من التهتّك والتسافل الأخلاقي بمكان، وهو يُظهر بوضوح كيف أنها كانت تدعو الرجال لأن يطلعوا عليها وهي في حالة هي من أكثر الحالات حراجةً وخصوصيةً بالنسبة للمرأة، فإن المرأة المتديّنة - بل المرأة الشريفة وإن لم تلتزم بالدين - تستحي من أن تدع رجلاً يطلّع عليها أو يكون على مقربة منها ليصف كيف تغتسل! وتعتبر ذلك إن تمّ هتكاً لعِرضها وشرفها وكرامتها! بل لو سألها أحد محارمها ذلك لصفعته أو لبصقت في وجهه! فكيف إذا لم يسأل وكانت هي المبادرة كما فعلت عائشة؟! فإن أحد الرجليْن إنما سألها عن كيفية الغُسل ولم يطلب منها أن تريه إياه! وكان يكفيها أن تصفه له بالقول - وإن كان جوابها مستهجناً أصلاً - بيْد أنها تعمّدت أن تدعوه لتصفه له بالفعل! ثم لم تكتفِ بذلك إذ أمرته بأن يدعو آخر ليشترك معه أيضاً! وذلك قولها: «**أَدْخِلْ معك يابن أخي رجلاً من بني أبي القُعَيْس**»!

وإن العجب لا يكاد ينقضي حين التأمل في هذه الروايات، فإنه إن كان أحدهما - الذي هو أبو سلمة بن عبد الرحمن - ابن أخيها كما جاء في رواية ابن وهْب والطبري، فلماذا لم تُشركه بالدخول وأخرجته إلى ما وراء الستار فيما سمحت للذي من بني أبي القُعيس أن يدخل ويعاين ويصف؟! إذ لو كان هذا الأخير محرَماً لها لأنه ابن أخيها من الرضاعة؛ فكذلك الأول هو محرَم لها لأنه ابن أخيها عبد الرحمن بن أبي بكر وهو أقرب! فما الداعي لإخراج ذاك وإدخال هذا إلا أن يكون في ذلك فنّاً من فنون عائشة في التشويق والتحضيض!

على أن الصحيح هو أن أبا سلمة هذا لم يكن ابن عبد الرحمن بن أبي بكر، بل كان ابن عبد الرحمن بن عوف، وهذا هو ما ذكره علماء أهل الخلاف في شروحاتهم. قال ابن حجر العسقلاني: «**هو ابن عبد الرحمن بن عوف**»[١] وكذلك قال بدر الدين العيني الحنفي[٢] وابن رجب الحنبلي.[٣]

ولئن قَفَّ شعرك عجباً وتساءلت: كيف سمحت عائشة لابن عبد الرحمن بن عوف وليس هو بابن أخيها أن يطلّع عليها أو يكون على مقربة منها وهي تغتسل؟! جاءك جوابان، **أحدهما** ما احتمله ابن رجب الحنبلي إذ قال: «**الظاهر أن أبا سلمة كان إذ ذاك صغيراً دون البلوغ**».[٤] وهو كما ترى مجرد تخرّص ويستبعده ما جاء في بعض الروايات من أنه كان هو السائل عن كيفية الغسل، ومَن يكون دون البلوغ لا يقع منه مثل هذا السؤال عادةً، كما أن الروايات كلها مُشعرة بكونه بالغاً وإلا لذكر ذلك.

وثانيهما ما ذكره القاضي عياض إذ قال: «**كان أبو سلمة ابن أختها من الرضاعة، أرضعته أم كلثوم بنت أبي بكر**».[٥] وهو جواب أطمُّ من الأول! لأن الفارق العمري بين أم كلثوم وأبي سلمة لا يتجاوز تسع سنين! وأشبه بالمحال أن تكون في سن التاسعة وقد أنجبت طفلاً وأرضعت بلبنه آخر هو أبو سلمة!

---

(١) فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ج١ ص٣١٤

(٢) عمدة القاري في شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني الحنفي ج٣ ص١٩٧

(٣) فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن رجب الحنبلي ج٢ ص٨

(٤) المصدر نفسه.

(٥) شرح صحيح مسلم للنووي ج٤ ص٣ عن القاضي عياض.

بيـان ذلك: إن أم كلثوم بنت أبي بكر وُلدت بحدود سنة ثلاث عشرة، لأنهم ذكروا أنها وُلدت بعد هلاك أبيها(١) الذي كان بعد سنتين وستة أشهر من استشهاد رسـول الله صـلى الله عليه وآله.(٢) وولادة أبي سلمة كانت بحدود سنة اثنتين وعشرين، لأنهم ذكروا أنه توفي عـلى الأثبت سنة أربع وتسعين وهو ابن اثنتين وسبعين سنة.(٣)

فالفارق بينهما إذن لا يتجاوز تسع سـنين، وهـي فـترة لا يـستقر في العقـل أن تكـون أم كلثوم قد تزوجت فيها وأنجبت، إذ يلزم أن يكون حبلها وهي في الثامنة من العمر وإنجابها وهي بعدُ لم تتخطّاها حتى تصيب على رأس التاسعة ولادة أبي سلمة فيمكن أن تغذوه بلبنها. فكيف صار ابناً لها من الرضاعة وصارت عائشة خالةً له؟!

ليس من جواب عند أهل الخلاف إلا أن يكون قد ارتضع من أم كلثوم وهو كبـير وبـذا كان يتولّج على عائشة! وهذا هو ما تومئ إليه عباراتهم، فقد نقلوا قول مصعب بـن عبـد الله ابن الزبير: «**أرضعت أم كلثوم بنت أبي بكر أبا سلمة فكان يتولّج على عائشة**»!(٤)

إنه (رضاع الكبير) إذن! حيث كانت عائشة تُرسـل «**مـن أحبـت**» أن يـدخل عليهـا إلى أختها أم كلثوم لترضعه بزعم أنه يغدو ساعتئذ ابناً لها من الرضاعة ويُباح لعائشة أن تخلـو بـه إذ يصبح محرماً عليها لأنه ابن أختها! وكذا كانت تُرسل بالرجال إلى بنات أخيها أيضاً!

---

(١) تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ج١٢ ص٤٢٥

(٢) التاريخ الصغير للبخاري ج١ ص١١٨

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ج٥ ص١٥٧

(٤) التمهيد لابن عبد البر ج٧ ص٦١ وأخبار القضاة لوكيع ص١١٧ والتعديل والتجريح لسليمان بن خلف الباجي ج٢ ص٩٣٢ وذكر ذلك أيضاً الذهبي في سير أعلام النبلاء ج٤ ص٢٨٨ وبدر الدين العيني الحنفـي في عمدة القاري ج٣ ص١٩٧

قال أبو بكر الكاشاني أن عائشة «**كانت إذا أرادت أن يدخل عليها أحد من الرجال أمرت أختها أم كلثوم بنت أبي بكر رضي الله عنها وبنات أخيها عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أن يُرضعنه**»![1]

وذاك حديث عروة بن الزبير الذي رواه مالك بن أنس وفيه أن عائشة «**كانت تأمر أختها أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق وبنات أخيها أن يُرضعن مَن أحبت أن يدخل عليها من الرجال**»![2]

ولسنا نريد الآن التوسع في فضيحة (رضاع الكبير) فإنّا سنتناولها بعد برهة تحت عنوان مفرد، إنما نريد ههنا أن نثبّت حقيقة أن أبا سلمة بن عبد الرحمن لم يكن ليدخل على عائشة ويتعلّم منها غسل الجنابة ويحظى منها بما حظي به من القرب واللطف إلا لأنها «**أحبت أن يدخل عليها**» فأرسلته إلى أختها أم كلثوم ليرتضع منها رضاع الكبير ومن ثمّ تستدخله ليرى ويسمع كيف تغتسل!

ولئن دار في ذهنك سؤال عن سبب إعجاب عائشة بأبي سلمة وحبها له؛ جاءك الجواب من ابن عبد البر إذ قال: «**كان أبو سلمة رجلاً جميلاً يخضِبُ بالوَسْمَة**»![3]

إن الرجل شاب جميل وسيم، وهو بعدُ ممن يتزيّن فيختضب بالوسمة، فكيف لا تقع عائشة في حبه وتهوى أن يدخل عليها لتعلّمه غسل الجنابة؟!

---

(١) بدائع الصنائع لأبي بكر الكاشاني ج٤ ص٥

(٢) موطأ مالك ج٢ ص٦٠٦

(٣) التمهيد لابن عبد البر ج٧ ص٦١، والوَسْمة شجرة باليمن ورقها يختضب به فيعطي لوناً أسود حسناً للشعر.

قاتلها الله! أية امرأة خبيثة هذه! فإنّا لو سلّمنا جدلاً بجواز (رضاع الكبير) وأثبتنا تنزّلاً انتشار الحرمة بسببه؛ لما انفكّ فعلها مع أبي سلمة عن القبح والدناءة، وإلا فهل سمعنا بخالة تعلم ابن أختها غسل الجنابة بالفعل والتطبيق العملي؟!

وما الداعي لكل هذا؟! أ ما من أحد من الرجال في مجتمع المدينة المنورة يمكن لعائشة أن تحيل إليه أبا سلمة وصاحبه ليتعلّما منه كيفية الغُسل؟! أين ذهب كل هؤلاء (الصحابة الأجلاء)؟! ولو أنّا قلنا أنهم ما كانوا يعرفون كيف يتوضأون ويغتسلون على أتم وجه فانحصر الأمر بعائشة وحدها؛ فما قيمتهم إذن وهم لا يعرفون حتى هذه المسائل الابتلائية البسيطة؟! وكيف كانوا يؤدون عباداتهم طوال تلك السنين من صلاة وصوم وغيرهما مما هو مشروط بالطهارة وهم لا يعرفون كيف يتوضأون ويغتسلون من الجنابة؟! وكيف يطلب منا أهل الخلاف أن نقدّس قوماً كهؤلاء ونبجّلهم ونهتدي بهداهم ونترضّى عليهم كل صبح ومساء وهم على هذه الحال من الجهل والتهاون بالأحكام الشرعية؟!

والحاصل؛ إن إقدام عائشة على هذه الأفعال يؤشر إلى أنها كانت تتوق للرجال وتشتهي دعوتهم إلى نفسها. غاية ما هنالك أنها كانت تصطنع لاستدراجهم أسباباً تبدو مشروعة، وتجعل لها عذراً صورياً أمام المجتمع، فهذا تدعوه لأن تعلّمه الوضوء فتكشف له رأسها ويديها! وذاك تدعوه لتعلّمه الغسل فتعرّي له أعالي بدنها! وليس لأحد أن يعترض لأنها تفتي بجواز (رضاع الكبير) فصار هؤلاء محارم لها يحق لهم الدخول عليها متى شاءت وشاءوا!

وبهذا أذهبت عائشة أدراج الرياح كل الأوامر الإلهية والوصايا النبوية بحفظ حجاب بيت النبوة والاحتراز عن مخالطة الرجال! فقد قال سبحانه: «**إِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاء حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ**»[1] فحرّم بذلك على الرجال مخالطة نساء نبيّه

(١) الأحزاب: ٥٤

(صلى الله عليه وآله) فإن اضطروا إلى سؤالهنّ متاعاً مما لا بد منه في حالات الضرورة؛ أوجب أن لا يُسألن إلا من وراء حجاب كيلا تبدو إحداهن لأحد مطلقاً. هكذا أمر الله تعالى وأمر رسوله (صلى الله عليه وآله) الذي حجب نساءه وضرب عليهنّ الأستار.

فانظر كيف خرقت عائشة تلك الحُجُب والأستار واستهانت بأمر الله تعالى في أن لا تُسأل هي وأمثالها إلا من وراء حجاب! فقد صار البيت الذي كانت تقطن فيه قبلةً لكل طامع ممن في قلبه مرض! وصار مقرّاً تختلي فيه بالرجال وتحدثهم بما يقبح حتى يبيتون عندها ويُجنبون! بل وتتكشّف وتتعرّى فيه أمامهم بدعوى تعليمهم الوضوء والغسل! كما صار محلاً لاستظراف مغنٍّ فارسي كان يُطربها بصوته! وعلاوة على هذا أضحى مركزاً تنطلق منه الفتاوى الإباحية كفتواها بجواز رضاع الكبير! وإليك تفصيل هذا الأخير.

■ وما أدراك ما رضاع الكبير!

أحدث اختلاف الرجال والغلمان على عائشة لغطاً وبلبلةً في بادئ الأمر على ما يظهر من رواشح الحديث والتاريخ، وكان لأم المؤمنين أم سلمة (رضوان الله تعالى عليها) موقف مشرّف في نهي عائشة عن هذا المنكر والمجون، وتابعها عليه سائر أزواج رسول الله (صلى الله عليه وآله) فإنهن رفضن العمل بفتوى عائشة في جواز (رضاع الكبير) لإدخال الرجال عليهنّ، عدا حفصة التي انحازت كعادتها إلى جانب عائشة، وهذا الانحياز أمر طبيعي لأن كُلًّا يميل إلى مثيله، ولن تجد حفصة فرصة أعظم من التي وفّرتها عائشة لتفريغ الشحنات الجنسية!

لقد كانت عائشة تستميت لأجل جعل بابها مفتوحاً أمام الرجال وأن لا تُحرم من دخولهم عليها، ولذا حين أُنكر عليها ذلك؛ اختلقت واقعةً لا حقيقة لها وهي أن النبي (صلى

الله عليه وآله) أجاز رضاع الكبير ورتّب عليه ما يترتّب من آثار رضاع الصغير! فادّعت أنه (صلى الله عليه وآله) أمر **سهلة بنت سهيل بن عمرو** أن تُرضع **سالماً مولى أبي حذيفة**[1] - مع أنه رجل كبير ذو لحية - ليكون في حكم ابنها من الرضاعة ويدخل عليها بلا حرج! وبهذا تتملّص عائشة من تبعات ما تفعل بحجة أنها لم تفعل شيئاً سوى الأخذ بهذه الرخصة!

روى مسلم وأحمد بن حنبل عن زينب بنت أبي سلمة قالت: «**قالت أم سلمة لعائشة: إنه يدخل عليكِ الغلام الأيفع الذي ما أحبُّ أن يدخلي عليَّ! فقالت عائشة: أما لكِ في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة؟ قالت: إن امرأة أبي حذيفة قالت: يا رسول الله؛ إن سالماً يدخل عليَّ وهو رجل، وفي نفس أبي حذيفة منه شيء. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أرضعيه حتى يدخل عليكِ**»![2]

---

(١) سالم هذا (لعنه الله) كان أحد رجال أبي بكر وعمر الذين يكنّون عداءً شديداً لآل محمد عليهم السلام، وكانت له أدوار خطيرة في إنجاح استيلائهما على الحكم، منها تعاقده مع المتعاقدين في جوف الكعبة على إقصاء آل محمد (عليهم السلام) عن حقهم في الخلافة كما مرّ ذكره في ص٧٩٠ من هذا الكتاب، ومشاركته من ثمَّ في الهجوم الإرهابي على بيت سيدة نساء العالمين (صلوات الله وسلامه عليها) لإجبار مَن فيه على مبايعة أبي بكر والرضوخ لحكومة الانقلابيين كما ذكره شيخنا المفيد في الاختصاص ص١٨٦. وقد حفظ له عمر بن الخطاب أفضاله وخدماته، فكان يتمنّى حين طُعن لو كان سالم حيّاً حتى يولّيه الخلافة بدلاً من جعلها شورى مع أنه عبد فارسي عتيق! وما ذاك إلا لأن سالماً ساق السلطة إلى عمر وإلى صاحبه عنوة بعدما كادت تطير من أيديهما إلى الأبد! فقد روى ابن عبد البر في الاستيعاب ج٤ ص١٠١ قول عمر: «لو كان سالمٌ حيّاً ما جعلتها شورى»! وهو ظاهر في التولية وإن جهدوا لتفسيره بمعنى أنه يحلّ محلّ الشورى فيختار هو الخليفة! على أن تلك أيضاً دلالة على عِظَم ما لسالم في قلب عمر إذ يكتفي برأيه ويقدّمه على كبار المهاجرين والأنصار.

(٢) صحيح مسلم ج٤ ص١٦٩ ومسند أحمد ج٦ ص١٧٤، والغلام الأيفع هو المراهق الذي بلغ للتوّ أو قارب البلوغ. والواضح من سيرة عائشة أنها كانت تهوى الغلمان الملاح وكانت تفضلهم على المسنّين من الرجال، وهذا ما يفسّر تقريبها لأمثال عبد الرحمن بن الأسود وأبي سلمة بن عبد الرحمن وأمثالهما.

وروى مسلم عن زينب بنت أبي سلمة قالت: «**سمعتُ أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم تقول لعائشة: والله ما تطيب نفسي أن يراني الغلام قد استغنى عن الرضاعة! فقالت: لِمَ؟! قد جاءت سهلة بنت سهيل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله؛ إني لأرى في وجه أبي حذيفة من دخول سالم. قالت: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أرضعيه! فقالت: إنه ذو لحية! فقال: أرضعيه يذهب ما في وجه أبي حذيفة! فقالت: والله ما عرفتُهُ في وجه أبي حذيفة**»![1]

وروى مسلم وأحمد بن حنبل والبيهقي عن زينب بنت أبي سلمة: «**أن أمها أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم كانت تقول: أبى سائر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أن يُدخِلنَ عليهنّ أحداً بتلك الرضاعة، وقُلْنَ لعائشة: والله ما نرى هذا إلا رخصة أرخصها رسول الله صلى الله عليه وسلم لسالمٍ خاصةً، فما هو بداخل علينا أحدٌ بهذه الرضاعة ولا رائينا**».[2]

وروى مالك بن أنس وابن حبان عن عروة بن الزبير: «**فأخذت بذلك عائشة أم المؤمنين فيمن كانت تحبُّ أن يدخل عليها من الرجال! وأبى سائر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أن يدخل عليهنّ بتلك الرضاعة أحدٌ من الناس، وقلنَ: لا والله! ما نرى الذي أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم سهلة بنت سهيل إلا رخصة من رسول الله صلى الله عليه وسلم في رضاعة سالم وحده. لا والله! لا يدخل علينا بهذه الرضاعة أحد. فعلى هذا كان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم في رضاعة الكبير**».[3]

---

(١) صحيح مسلم ج٤ ص١٦٩

(٢) صحيح مسلم ج٤ ص١٧٠ ومسند أحمد ج٦ ص٣١٢ وسنن البيهقي ج٧ ص٤٦٠

(٣) موطأ مالك ج٢ ص٦٠٦ وصحيح ابن حبان ج١٠ ص٢٨

وروى أحمد بن حنبل والطبراني عن عروة بن الزبير: «**فبذلك كانت عائشة تأمر أخواتها وبنات أخواتها أن يُرضعنَ من أحبّتْ عائشة أن يراها ويدخل عليها - وإن كان كبيراً - خمس رضعات ثم يدخل عليها! وأبت أم سلمة وسائر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أن يُدخلنَ عليهنَّ بتلك الرضاعة أحداً من الناس حتى يرضع في المهد. وقُلنَ لعائشة: والله ما ندري لعلّها كانت رخصةً من رسول الله صلى الله عليه وسلم لسالمٍ من دون الناس**».(١)

كان هذا موقف أم سلمة وسائر أزواج النبي (صلى الله عليه وآله) تجاه ما زعمت عائشة، فإنه على فرض صحة وقوعه لا يكون إلا رخصةً لسالمٍ وحده، ولا يكون ذريعة لأن تُدخل نساء النبي (صلى الله عليه وآله) عليهن الرجال! فكيف لو لم يصح وقوع هذا الذي زعمت عائشة أصلاً كما سيتبيّن!

أما موقف حفصة فيوقفك عليه الطبري إذ ينقل عنه ابن حجر أنه «**ساق بإسناده الصحيح عن حفصة مثل قول عائشة، وهو مما يخصُّ به عموم قول أم سلمة: أبى سائر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أن يُدخلنَ عليهنَّ بتلك الرضاعة أحداً**».(٢)

إذن؛ لقد انقسم أزواج النبي (صلى الله عليه وآله) إلى حزبيْن؛ حزب فيه أم سلمة وسائر الأزواج وقد رفضن رفضاً قاطعاً ما تفعل عائشة وأقسمن على ذلك إذ قُلنَ: «**لا والله! لا يدخل علينا بهذه الرضاعة أحد.. ما هو بداخل علينا أحدٌ بهذه الرضاعة ولا رائينا**»، والحزب الآخر فيه عائشة وحفصة اللتان سوّلتا لأنفسهما ذلك.(٣)

---

(١) مسند أحمد ج٧ ص٢٧١ ومسند الشاميين للطبراني ج٤ ص١٩١

(٢) فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ج٩ ص١٢٢ عن تهذيب الآثار للطبري.

(٣) كانت حفصة على الدوام أخلص مَن في حزب عائشة لها، ولم تتزحزح عن ولائها لها ولا ضعفت عن تأييدها قط كما وقع بعض الأحيان من الأخريات اللاتي كُنّ في هذا الحزب. روى البخاري في صحيحه =

وكانت الشرارة في هذا الانقسام ملاحظة أم سلمة دخول الغلمان المراهقين على عائشة، وذلك قولها لها: «**إنه يدخل عليكِ الغلام الأيفع الذي ما أحبُّ أن يدخلي عليَّ.. والله ما تطيب نفسي أن يراني الغلام قد استغنى عن الرضاعة**». وقد أكدت أم سلمة وسائر الأزواج الحكم الشرعي في أن رضاع الكبير لا ينشر الحرمة، وإنما الذي ينشر الحرمة هو ذاك الرضاع الذي يكون في المهد، أي يكون الرضيع فيه طفلاً صغيراً، وذلك ما جاء في رواية أحمد والطبراني: «**وأبت أم سلمة وسائر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أن يُدخلنَ عليهنَّ بتلك الرضاعة أحداً من الناس حتى يرضع في المهد**».

إلا أن عائشة لم تكترث، وطفقت تحدّث بأكذوبة سالم ورضاعه – وهو كبير ذو لحية – من سهلة بنت سهيل ليكون ذلك حجة لها وتبريراً لتوالي الرجال على الدخول عليها بعد إذ رضعوا من أخواتها وبنات أخواتها! وهكذا فشت هذه الأحاديث البشعة في رضاع الكبير، والتي كانت ولا تزال مطعناً من مطاعن الكفار في رسول الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم. وإليك طائفة منها:

روى مسلم وابن ماجة عن القاسم بن محمد عن عائشة قالت: «**جاءت سهلة بنت سهيل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله؛ إني أرى في وجه أبي حذيفة من دخول سالم وهو حليفه. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أرضعيه! قالت: وكيف أرضعه وهو رجل كبير؟! فتبسّم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: قد علمتُ أنه رجل كبير**»![1]

= ج٣ ص١٣٢ عن عروة بن الزبير عن عائشة: «**إن نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم كُنَّ حزبين؛ فحزب فيه عائشة وحفصة وصفية وسودة، والحزب الآخر أم سلمة وسائر نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم**».

(١) صحيح مسلم ج٤ ص١٦٨ وسنن ابن ماجة ج١ ص٦٢٥ واللفظ للأول.

وروى مسلم والنسائي عن القاسم عن عائشة: «**أن سالماً مولى أبي حذيفة كان مع أبي حذيفة وأهله في بيتهم، فأتت - تعني ابنة سهيل - النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: إن سالماً قد بلغ ما يبلغ الرجال وعقل ما عقلوا، وإنه يدخل علينا، وإني أظن أن في نفس أبي حذيفة من ذلك شيئاً. فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: أرضعيه تحرُمي عليه ويذهب الذي في نفس أبي حذيفة! فرجعتْ فقالت: إني قد أرضعته فذهب الذي في نفس أبي حذيفة**»![(١)]

وروى أحمد بن حنبل والنسائي والبيهقي عن القاسم بن محمد عن عائشة: «**جاءت سهلة بنت سهيل فقالت: يا رسول الله؛ إني أرى في وجه أبي حذيفة شيئاً من دخول سالمٍ عليَّ! فقال: أرضعيه! فقالت: كيف أرضعه وهو رجل كبير؟! فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: ألستُ أعلم أنه رجل كبير؟! ثم جاءت فقالت: ما رأيتُ في وجه أبي حذيفة شيئاً أكرهه**».[(٢)]

وروى أحمد بن حنبل عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت: «**أتت سهلة بنت سهيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له: يا رسول الله؛ إن سالماً كان منّا حيث قد علمتَ أنّا كنا نعدّه ولداً، فكان يدخل عليَّ كيف شاء، لا نحتشم منه، فلمّا أنزل الله فيه وفي أشباهه ما أنزل؛ أنكرتُ وجه أبي حذيفة إذا رآه يدخل عليَّ. قال: فأرضعيه عشر رضعات ثم ليدخل عليكِ كيف شاء فإنما هو ابنكِ! فكانت عائشة تراه عامّاً للمسلمين، وكان مَن سواها من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يرى أنها كانت خاصةً لسالم مولى أبي حذيفة الذي ذكرت سهلة من شأنه رخصةً له**».[(٣)]

---

(١) المصدر نفسه، وسنن النسائي ج٣ ص٣٠٥

(٢) مسند أحمد ج٦ ص٣٩ وسنن النسائي ج٦ ص١٠٤ وسنن البيهقي ج٧ ص٤٥٩ واللفظ للأوليْن.

(٣) مسند أحمد ج٧ ص٢٦٩

وروى أحمد بن حنبل والطبراني عن عروة عن عائشة قالت: «**أتت سهلة بنت سهيل ابن عمرو وكانت تحت أبي حذيفة بن عتبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: إن سالماً مولى أبي حذيفة يدخل علينا وأنا فُضُلٌ، وإنّا كنا نراه ولداً، وكان أبو حذيفة تبنّاه كما تبنّى رسول الله صلى الله عليه وسلم زيداً، فأنزل الله: ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ الله. فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك أن تُرضع سالماً! فأرضعته خمس رضعات! وكان بمنزلة ولدها من الرضاعة**»![1]

ولعلك لاحظت أن الحديثيْن الأخيريْن يتنافيان في عدد الرضعات اللازمة، ففي الأول أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: «**فأرضعيه عشر رضعات ثم ليدخل عليكِ**» ومعنى ذلك أن صيرورته ابناً من الرضاعة يحلّ دخوله عليها لا يكون إلا بإتمام هذا العدد من الرضعات وهو عشر، فكيف جاء في الحديث الثاني أنها اكتفت بخمس رضعات حيث تقول عائشة: «**فأرضعته خمس رضعات! وكان بمنزلة ولدها من الرضاعة**»؟!

ليس من المستغرب أن تقع عائشة في هذا التنافي، فقد مرّت عليك في هذا الكتاب موارد عدة من هذا القبيل في أحاديثها، وهي إنما تكشف عن أن عائشة كاذبة، لأن الكاذب يضطرب في أحاديثه فتأتي متنافية متضادة كما هو معلوم. غير أن الحميراء بعدما انتبهت لهذا التنافي؛ سعت لأن تُخرج نفسها من هذه الورطة بما يدعّم فتواها في رضاع الكبير، ولم تجد مخرجاً إلا أن تزعم أمراً هو أفظع من قصة سالم وسهلة، وهو أن تشريع رضاع الكبير قد جاء في القرآن الحكيم بعشر رضعات! ثم نُسخ بخمس رضعات! وبهذا يرتفع التنافي في أحاديثها! ولئن سأل سائل عن مآل هذه الآيات وكيف فُقدت من القرآن أجابته بأن السبب

---

(١) المصدر نفسه ج٧ ص٢٧١ ومسند الشاميين للطبراني ج٤ ص١٩١ واللفظ للأول. وأنا فُضُلٌ أي ألبس ثوباً واحداً رقيقاً للنوم.

في ذلك سخلة كانت قد أكلت الصحيفة التي فيها تلك الآيات تحت سريرها فضاعت! وبهذا قادت عائشة الأمة إلى الشك في سلامة القرآن الحكيم من النقصان والضياع!

روى ابن ماجة وأحمد بن حنبل عن القاسم بن محمد عن عائشة قالت: «**لقد نزلت آية الرجم ورضاعة الكبير عشراً! ولقد كان في صحيفة تحت سريري، فلمّا مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وتُشاغلنا بموته؛ دخل داجنٌ فأكلها**»![1]

وروى مسلم والنسائي والدارمي وابن حبان عن عمْرة بنت عبد الرحمن عن عائشة أنها قالت: «**كان في ما أُنزل من القرآن: عَشْرُ رَضَعاتٍ مَعْلُوماتٍ يُحَرِّمْنَ! ثم نُسخنَ بِخَمسٍ مَعْلوماتٍ! فتُوفِّيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهُنَّ في ما يُقرأ من القرآن**»![2]

---

(١) سنن ابن ماجة ج١ ص٦٢٦ ومسند أحمد ج٦ ص٢٦٩ واللفظ للأول. والداجن: سخلة أو شاة في البيت.

(٢) صحيح مسلم ج٤ ص١٦٧ وسنن النسائي ج٦ ص١٠٠ وسنن الدارمي ج٢ ص١٥٧ وصحيح ابن حبان ج١٠ ص٣٦ وغيرها كثير، واللفظ للأول.

ولا يخفى أن قولها: «**فتُوفِّيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وهُنَّ في ما يُقرأ من القرآن**» ظاهرٌ في أن آية الخمس المعلومات لم تُنسخ وإنما ضاعت كما ضاعت آية العشر بدخول داجن قد أكل الصحيفة تحت السرير، فتأويل أهل الخلاف بأنها عنت أن الناس لم يبلغهم النسخ فظلوا يقرأونها لتأخر نزولها إلى ما قارب استشهاد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله؛ هو تأويل سخيف متهافت، ولا يشفع له دليل ولا حتى قرينة متصلة أو منفصلة. على أنّا - أتباع أهل البيت عليهم السلام - لا نسلّم بوقوع النسخ في تلاوة القرآن الحكيم، وذلك لقوله تعالى: «**مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا**» فلا يرتفع اللفظ وإنما يبقى مع نزول آية أخرى تنسخ الحكم. وأيّاً كان فلا يمكن التسليم بأن الناسخ يُنسخ أيضاً! أعني أن تنزل آية ثم تتلوها آية تنسخها ولا تبقى الآية الناسخة بل تُنسخ وتذهب دون أن يؤتى بخير منها أو مثلها! فما ادّعته عائشة في هذا المقام لم يكن إلا ضرباً من الطيش ولم يبلغنا مثله عن أحد سواها!

وروى عبد الرزاق الصنعاني عن عائشة قالت: «**لقد كان في كتاب الله عز وجل عشر رضعات! ثم رُدَّ ذلك إلى خمس! ولكن من كتاب الله ما قُبِض مع النبي صلى الله عليه وسلم**»![1]

هكذا قدحت عائشة في كتاب الله عز وجل وجعلت إرادة سخلتها تغلب إرادة الله تعالى القائل: «**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**»[2] فلم يتمكن الله – حاشاه – أن يحفظ وحيه من سخلة أكلت الصحيفة التي فيها آياته مع أنها لم تُنسخ بدلالة أن النبي (صلى الله عليه وآله) قد استشهد «**وهُنَّ في ما يُقرأ من القرآن**»! والعجب كيف نزلت آيات رضاع الكبير عشراً ثم خمساً ولم يبلغنا من طريق من الطرق أن أحداً من المسلمين قد تلاها أو حفظها سوى عائشة! ومع ذا فقد ضاعت بسبب الداجن! أَ فهل يُعقل هذا؟![3]

---

(١) مصنف عبد الرزاق الصنعاني ج٧ ص٤٧٠

(٢) الحجر: ١٠

(٣) جاءت آثار عدة تفصح عن اعتقاد عائشة بوقوع التحريف والخطأ والنقصان في القرآن الحكيم! منها ما رواه السيوطي في تفسيره ج٢ ص٢٤٦ عن أبي عبيد وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن جرير وابن أبي داود وابن المنذر عن عروة قال: «**سألتُ عائشة عن لحن القرآن: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ و﴿إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾ فقالت: يابن أختي؛ هذا عمل الكُتّاب! أخطأوا في الكتاب**»! وفي لفظ ابن شبة في تاريخ المدينة ج٣ ص١٠١٤: «**أيْ بني! إن الكُتّابَ يُخطئون**»!

ومنها ما رواه السيوطي في تفسيره ج٢ ص٣٤٦ عن ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه عن عائشة قالت: «**كان الحواريون أعلم بالله من أن يقولوا: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ إنما قالوا: هل تستطيع أنتَ ربَّك هل تستطيع أن تدعوه**»!

ومنها ما رواه أحمد بن حنبل في مسنده ج٦ ص٩٥ عن أبي خلف مولى بني جمح: «**أنه دخل مع عبيد بن عمير على عائشة أم المؤمنين في سقيفة زمزم ليس في المسجد ظل غيرها، فقالت: مرحباً وأهلا بأبي عاصم! – يعني عبيد بن عمير – ما يمنعك أن تزورنا أو تُلِمَّ بنا؟ فقال: أخشى أن أُمِلَّكِ! فقالت: ما كنتَ تفعل! قال:** =

إن الحميراء لا يهمها أن تطعن في كتاب الله تعالى، وتطعن في رسوله صلى الله عليه وآلـه، وتطعن في الإسلام، وتطعن في كل شيء.. ما دام ذلك يساعدها على إبقاء بيتها مفتوحاً أمـام الرجال الأجانب والغلمان الحِسان! غير أن الحمقـاء لم تنتبـه إلى أن دعواهـا هـذه بنـزول آيـة الرضاع عشراً ثم نسخها بخمس لا يرفع التنافي في أحاديثها ولا يحل الإشكال! ذلـك لأنهـا زعمت في الحديث الأول أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال لسهلة: «**أرضعيه عشر رضـعات ثم ليدخل عليكِ كيف شاء فإنما هو ابنكِ**»، وفي الحديث الآخـر قالـت: «**فأمرهـا رسـول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك أن تُرضع سالماً، فأرضعته خمس رضعات، وكان بمنزلة ولـدها من الرضاعة**»، فإن قيل أن أمره (صلى الله عليه وآله) كان بالعشر رضـعات فمعنـى ذلـك أن

= **جئت أن أسألك عن آية في كتاب الله عز وجل كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها؟ فقالـت: أَيّةُ آية؟ فقال: ﴿الَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا﴾ أو: الذين يَأْتُونَ ما أَتَوْا؟ فقالت: أيّتهما أحبُّ إليك؟ قال: قلتُ: والذي نفسي بيده لإحداهما أحبُّ إليَّ من الدنيا جميعا أو الدنيا وما فيها! قالت: أيّتهما؟ قلـتُ: الـذين يَـأْتُونَ مـا أَتَـوْا. قالت: أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك كان يقرؤها وكذلك أُنزلت! أو قالت: أشهد لكـذلك أُنزلت وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها ولكن الهجاء حُرِّف»!**

ومنها ما رواه الدارقطني في سننه ج٢ ص١٩٢ عن عروة عن عائشة قالت: «**نزلتْ ﴿فَعِـدَّةٌ مِـنْ أَيَّـامٍ أُخَـرَ﴾ متتابعات! فسقطت: متتابعات»!**

ومنها ما رواه مسلم في صحيحه ج٢ ص١١٢ عن يونس مولى عائشة أنه قال: «**أمرتني عائـشة أن أكتـب لهـا مصحفاً، وقالت: إذا بلغتَ هذه الآية فآذنّي: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا للهِ قَـانِتِينَ﴾. فلمّا بلغتُها آذنتُها، فأملتْ عليَّ: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالـصَّلَاةِ الْوُسْـطَىٰ﴾ وصـلاة العـصر ﴿وَقُومُـوا للهِ قَانِتِينَ﴾! قالت عائشة: سمعتُها من رسول الله صلى الله عليه وسلم»!**

وقد ظلّت هذه الزيادة (وصلاة العصر) مثبتة في مصحفها إلى أن هلكت بدلالة وقوف هشام بن عروة عليهـا وهو ممن تأخر ميلاده، فقد روى عبد الرزاق الصنعاني في مـصنّفه ج١ ص٥٧٨ عـن هـشام بـن عـروة قـال: «**قرأتُ في مصحف عائشة رضي الله عنها: ﴿حَافِظُوا عَـلَى الـصَّلَوَاتِ وَالـصَّلَاةِ الْوُسْـطَىٰ﴾ وصـلاة العـصر ﴿وَقُومُوا للهِ قَانِتِينَ﴾»!**

النسخ بخمس لم ينزل بعد، وعليه كان لزوماً على سهلة أن ترضع سالماً عشراً ليكون بمنزلة ولدها من الرضاعة، فكيف اكتفت بخمس؟! إلا أن يُقال بأنها تأخرت في إرضاعه إلى ما بعد نزول النسخ بخمس، وهذا فضلاً عن غياب الدليل عليه وبُعده وخلو حديثها منه؛ فإنه لا يشفع له سياق كلامها، إذ فيه فاء العطف المفيدة للترتيب والتعقيب، أي أن إرضاعها إياه خمساً جاء مرتباً على أمره (صلى الله عليه وآله) بإرضاعه، فلازمه أن يكون أمره بخمس لا عشر! فالتنافي إذن على حاله!

وعلى أية حال؛ فإن عائشة باختلاقها قصة سالم وسهلة وتشريعها رضاع الكبير خَرِيَتْ خِرْيةً لا يغسلها ماء البحر! فإن أبناءها أعياهم غسلها عبر التاريخ رغم كل ما طرحوه ويطرحونه إلى اليوم من توجيهات ومخارج لمأزق رضاع الكبير، فقد ظلّت جميعها تمحّلات لم تغير من حقيقة بشاعة الموضوع شيئاً.

وأبرز تلك التمحّلات هو ما احتمله القاضي عياض إذ قال: «**لعلّها حلَبَتْهُ ثم شَرِبه من غير أن يمسَّ ثديها ولا التقت بشرتاهما**».[1] وحاول الزرقاني نصرة هذا الاحتمال وتنزيله منزلة الجزم باللّوْذ بما رواه ابن سعد، قال الزرقاني: «**وكأن القائلين بأن ظاهر الحديث أنه رضع من ثديها لم يقفوا في ذلك على شيء، فقد روى ابن سعد عن الواقدي عن محمد بن عبد الله ابن أخي الزهري عن أبيه قال: كانت سهلة تحلب في إناء قدر رضعته، فيشربه سالم في كل يوم، حتى مضت خمسة أيام، فكان بعد ذلك يدخل عليها وهي حاسر، رخصة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لسهلة**».[2]

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي ج١٠ ص٣١ عن القاضي عياض.

(٢) شرح موطأ مالك للزرقاني ج٣ ص٢٩١ والخبر في الطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ ص٨٥ وفيه اختلاف طفيف عن المنقول.

وهذا مردود من وجوه:

أولها؛ أن (الرضاعة) لغةً ليست إلا شرب اللبن من الضَّرْع أو الثدي، ولا يُقال لمن شرب لبناً أنه رضع أو ارتضع، كما لا يقال لمن سقى أحداً لبناً أنه أرضعه! قال ابن فارس في مقاييس اللغة: «**الراء والضاد والعين أصل واحد، وهو شرب اللبن من الضَّرْع أو الثدي**».(١) والذي نسبته عائشة إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حديث رضاع سالم هو قوله لسهلة: «**أرضعيه**» لا قوله لها: «اسقيه لبنكِ» مثلاً، وكذا عبّرت عائشة بقولها: «**فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك أن تُرضع سالماً فأرضعته خمس رضعات**» ولم تقل: «فأمرها عند ذلك أن تسقي سالماً لبنها فسقته خمس مرات»، ولو أن المراد هو الإسقاء لا الإرضاع لما عُبّر بهذا اللفظ الذي لا يبعث في دلالته إلا على التقام الثدي والارتضاع منه، لمكان الشبهة في فهم الأمر وإيقاع المأمور في المحظور. قال ابن حزم الأندلسي: «**لا يسمى إرضاعاً إلا ما وضعته المرأة المرضعة من ثديها في فم الرضيع. يُقال: أرضعته ترضعه إرضاعاً، ولا يسمى رضاعةً ولا رضاعاً إلا أخذ المرضع أو الرضيع بفيه الثديَ وامتصاصه إياه. تقول: رضع يرضع رضاعاً ورضاعةً، وأما كل ما عدا ذلك مما ذكرنا فلا يسمى شيء منه إرضاعاً ولا رضاعةً ولا رضاعاً، إنما هو حلْبٌ وسقاءٌ وشربٌ وأكل وبلع وحقنة وسعوط وتقطير، ولم يحرّم الله عز وجل بهذا شيئاً**».(٢)

وثانيها؛ لو أن الأمر الذي زعمت عائشة أن النبي (صلى الله عليه وآله) أمر به هو أن تسقي سهلة سالماً لبنها فقط؛ لما وجدناها تستوحش من ذلك على نحو ما نسبت إليها عائشة، فإن مجرد إسقاءه اللبن دون أن يطّلع على عورتها أو يمصّ ثديها لا يستوجب كل هذا

(١) مقاييس اللغة لابن فارس – مادة: رضع

(٢) المحلى لابن حزم ج١٠ ص٩

الاستيحاش الذي حملته أقوالها من قبيل: «**كيف أرضعه وهو رجل كبير؟! إنه ذو لحية**»! بل إنّا نجد أن بعض رواة أحاديث عائشة في رضاع الكبير استوحشها ولم يُطِق التحدث بها فكتمها، كابن أبي مليكة الذي مكث سنة لا يحدّث بهذا الحديث خوفاً ورهبةً لما فيه من الشناعة إلى أن أكد له القاسم بن محمد أن عائشة أخبرته به ودعاه لأن يحدّث به ولا يهابه. روى مسلم عن ابن أبي مليكة «**أن القاسم بن محمد بن أبي بكر أخبره أن عائشة أخبرته** (الحديث) **قال: فمكثتُ سنةً أو قريباً منها لا أحدّث به وهِبْتُه! ثم لقيتُ القاسم فقلتُ له: لقد حدّثتَني حديثاً ما حدّثتُه بعدُ. قال: فما هو؟ فأخبرتُه. قال: فحدّثه عني أن عائشة أخبرتنيه**» وفي لفظ النسائي: «**حدّث به ولا تهابه**»![1] وغنيٌّ عن البيان أنه لولا صراحة معنى الرضاعة في هذه الأحاديث وانصرافه إلى مصّ الكبير اللبن من الثدي مباشرةً لما كان ثمة داع للمهابة والرهبة والكتمان، إذ ليس في مجرد شرب اللبن من الإناء شيء يُستوحش من التحدث به. وهذه العلة كانت أيضاً من وراء بتر البخاري للحديث، فإنه رواه مرّتيْن إلا أنه لم يُتمّه واكتفى بالإشارة إليه قائلاً: «**فذكر الحديث**»![2]

---

(١) صحيح مسلم ج٤ ص١٦٨ وسنن النسائي ج٦ ص١٠٥، وقال النووي في شرح صحيح مسلم ج١٠ ص٣٢: «**وفي بعضها (رَهِبْتُه) بالراء، من الرهبة، وهي الخوف**».

(٢) روى البخاري في صحيحه ج٥ ص١٥ عن عروة بن الزبير عن عائشة: «**أن أبا حذيفة – وكان ممن شهد بدراً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم – تبنّى سالماً وأنكحه بنت أخيه هند بنت الوليد بن عتبة، وهو مولى لامرأة من الأنصار، كما تبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم زيداً، وكان مَن تبنّى رجلاً في الجاهلية دعاه الناس إليه وورث من ميراثه، حتى أنزل الله تعالى: ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ، فجاءت سهلة النبي صلى الله عليه وسلم. فذكر الحديث**»!

وروى البخاري أيضاً في صحيحه ج٦ ص١٢٢ عن عروة بن الزبير عن عائشة: «**أن أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس – وكان ممن شهد بدراً مع النبي صلى الله عليه وسلم – تبنّى سالماً وأنكحه بنت أخيه هند بنت الوليد بن عتبة بن ربيعة، وهو مولى لامرأة من الأنصار، كما تبنى النبي صلى الله عليه وسلم زيداً،** =

وثالثها؛ أن الحق الحقيق في نشر الحرمة بالرضاع هو أن شرطه التقام الصغير الثدي ومصّ اللبن منه، فلو فرضنا أنه جيء بطفل دون الحولين وغُذِّيَ بلبن امرأة بما يسد جوعه خمس عشرة مرةً سِقاءً لا رضاعةً فإن ذلك لا يكون له أثرٌ في نشر الحرمة ولا يكون هذا الطفل ابناً لتلك المرأة من الرضاعة، فكذلك الكبير على قول عائشة بجواز رضاعه. وهذا بحث فقهي لا مجال لتفصيله ههنا، غير أنّا نكتفي بالاستشهاد عليه الحديث الصحيح لأم سلمة (رضوان الله عليها) الذي رواه الترمذي أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «**لا يحرِّمُ من الرضاعة إلا ما فتق الأمعاء، في الثدي، وكان قبل الفِطام**».[1] فتأمل في قوله: «**في الثدي**» لتعلم أن شرط الرضاعة هو أن يرضع منه مباشرة، وإلا لم يحرّم. قال ابن حزم: «**وأما صفة الرضاع المحرِّم فإنما هو ما امتصّه الراضع من ثدي المرضعة بفيه فقط، وأما من سُقِيَ لبن امرأة فشربه من إناء أو حُلِبَ في فيه فبلعه أو أُطعِمَه بخبز أو في طعام أو صُبَّ في فمه أو في أنفه أو في أذنه أو حُقِنَ به؛ فكلُّ ذلك لا يحرّم شيئاً ولو كان ذلك غذاءه دهره كله**».[2]

ورابعها؛ أن الخبر الذي رواه ابن سعد في الطبقات عن أخي الزهري أن سهلة كانت تحلب في إناء ويشربه سالم كل يوم؛ مما لا يصح الاحتجاج به ولا التعويل عليه، لا لضعف سنده وإرساله وتفرّده فحسب؛ بل لأنه مُعارَضٌ بما هو أقوى منه مما ورد فيه التصريح بالأمر

= **وكان مَن تبنّى رجلاً في الجاهلية دعاه الناس إليه وورث من ميراثه، حتى أنزل الله: ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ، إلى قوله: وَمَوَالِيكُمْ؛ فرُدُّوا إلى آبائهم، فمَن لم يُعلم له أب كان مولى وأخاً في الدين. فجاءت سهلة بنت سهيل بن عمرو القرشي ثم العامري - وهي امرأة أبي حذيفة بن عتبة - النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله؛ إنّا كنا نرى سالماً ولداً وقد أنزل الله فيه ما قد علمت. فذكر الحديث»!**

(١) سنن الترمذي ج٢ ص٣١١، وهو حديث يمثّل ردّاً من أم سلمة على عائشة. ولا مجال للرد على من ادعى أن «**في الثدي**» حال لما فتق أي كائناً فيه، أو من ادعى أن معناه في زمنه.

(٢) المحلى لابن حزم ج١٠ ص٩

بمصّ الثدي، فقد روى الطبراني عن القاسم بن محمد عن سهلة بنت سهيل: «**أن سالماً مولى أبي حذيفة كان يدخل عليها وقد وضعتْ ثيابها، فذكرتْ ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أَمِصّيهِ تَحْرُمي عليه**»![1] أي اجعليه يمصّ ثديكِ حتى تَحرُمي عليه ويجوز لكِ أن تضعي ثيابك أمامه!

وأيّاً يكن؛ فإنّا لو تنزّلنا عن ذلك وسلّمنا بالحلب والسقاء دون الرضاع والإمصاص، فإن مكمن الشناعة ومورد الفظاعة هو في أن عائشة جعلته سبباً لدخول الرجال عليها وخلوتها بهم! وهذا هو أساس النكير عليها مع غض النظر عن التفاصيل المقزّزة لكيفية رضاع الكبير ولدوره في تهييج الشهوة الجنسية لدى الراضع والمُرضع!

ولا يتنطعنّ متنطّعٌ بدعوى أن الذي حمل عائشة على ذلك هو حرصها على تبليغ دين الله تعالى ونشر أحكامه، فلم يكن لها من حل لتجاوز حرمة الخلوة بأولئك الرجال وإلقاء العلم والحديث إليهم إلا أن يصبحوا محارم لها، ولذا دعت أخواتها وبنات أخواتها إلى إرضاعهم ليدخلوا عليها.

أقول: لا يتنطعنّ متنطّعٌ بذلك ويستبله نفسه! فإن دين الله سبحانه أعزّ من أن يتوقّف تبليغه ونشر أحكامه على عائشة وخلوتها بالرجال! ولو كانت ثمة ضرورة حقيقية في ذلك لبلغنا أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أوصى به أو دعا إليه، حاشاه!

---

(١) المعجم الأوسط للطبراني ج٧ ص١٦٨، والحديث إنما هو عن عائشة، إذ من البعيد إدراك القاسم لسهلة، وهي بعدُ ممن لم يُعهد عنها حديث، وسياق الحديث هو عن الغير فلا يُحتمل أن يكون من سهلة نفسها، وليس فيه أنها حدّثت القاسم، والعنعنة غير آبية لسقوط اسم، واختصاص القاسم بعائشة مما لا يخفى، وهو من أركان رواية رضاع الكبير عنها كما تبيّن لك، وقد رواه الطبراني في مواضع أخرى من معجمه عن القاسم ابن محمد عن عائشة بلفظ: «**أرضعيه تَحْرُمي عليه**»، فالحديث إذن حديث عائشة لا ريب في ذلك.

ثم إن سائر نساء النبي (صلى الله عليه وآله) رأينه كما رأته عائشة، وسمعنه كما سمعت عائشة، وعاشرنه كما عاشرته عائشة، ومع ذلك، لم نجد إحداهنّ - خلا حفصة في بعض الأحيان - أقدمت على ما أقدمت عليه عائشة من فتح الباب أمام الرجال ومجالستهم ومخالطتهم بحجة نقل أحكام الدين إليهم! فهل أن عائشة كانت أحرص على دين الله منهن؟!

دع هذا؛ لماذا لم تكتفِ عائشة بالنساء كما سبق وقلنا؟ فإنهنّ مأمورات بالتفقّه بالدين أيضاً، ولهنّ أن ينقلن ما سمعن من عائشة إلى أزواجهن وأبنائهن، وفي ذلك الغَناء عن مخالطتها الرجال وسماحها لهم بأن يبيتوا في بيتها حتى يجنبون!

دع هذا أيضاً؛ هل من ضرورة لأن يُصبح كل أولئك الرجال محارم لعائشة عبر رضاع الكبير ليسمعوا منها الحديث ويتعلموا منها الأحكام؟! إنْ كان الأمر لا يتم إلا بهذا فما بالنا نرى جمعاً غفيراً من الرجال قد حدّثوا عنها وما كانوا قط محارم لها؟!

فقد حدّث عنها عمر بن الخطاب، وابنه عبد الله، وأبو هريرة، وعمرو بن العاص، وابنه عبد الله، وأبو موسى الأشعري، وعبد الله بن عباس، وزيد بن خالد الجهني، وربيعة ابن عمرو الجرشي، والسائب بن يزيد، والحارث بن عبد الله بن نوفل، ومسروق بن الأجدع،[(١)]

---

(١) وكانت ممن تحبه أكثر من غيره! فقد روى ابن عساكر في تاريخ دمشق ج١٦ ص٢١٠ عن مسروق: «**قالت عائشة: يا مسروق؛ إنك من وُلْدي، وإنك لمن أحبِّهم إليَّ**»! وكان حين ملاقاته لها شاباً فتيّاً أيضاً، فيبدو أنها أُعجبت به، وكان هو في المقابل مفتوناً بها، فقد روى ابن سعد في الطبقات الكبرى ج٨ ص١٦: «**كان مسروق إذا حدّث عنها قال: حدّثتني الصدّيقة بنت الصدّيق! حبيبة حبيب الله! المبرّأة من كل عيب**»! وإن شئت أن تضحك فاضحك! فأن تكون صاحبة (رضاع الكبير) مبرّأة من كل عيب فتلك لعمري مضحكة الثكلى!

وسعيد بن المسيب، وعبد الله بن عامر بن ربيعة، وعلقمة بن قيس، وعلقمة بن وقاص، وعمرو بن ميمون، ومطرف بن عبد الله بن الشخير، وهمام بن الحارث، وأبو عطية الوادعي، وأبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عكيم، وعبد الله بن شداد بن الهاد، وجبير ابن نفير الحضرمي، وجميع بن عمير التيمي، والحسن البصري.. وغيرهم كثير ممن يصعب إحصاؤه، وتلكم أحاديثهم عنها مبثوثة في الصحاح والمسانيد مع أنهم ما كانوا من محارمها.

إذن؛ لم يكن ثمة احتياج لأن يُرضَعوا لتحدّثهم! فلماذا أصرّت على أن يُرضَع رجالٌ آخرون ممن «**أحبت أن يدخلوا عليها**»؟! لئن كانت «ورعة تقية» إلى حد أنها لا تقبل الحديث مع غير المحرم فكيف وجدناها تحدّث كل هؤلاء الذين ذكرناهم وما كانوا محارم لها قط؟! ولئن كان (رضاع الكبير) مما لا بد منه لكي يدخل عليها الرجال ويسمعوا منها فكيف دخل كل هؤلاء وسمعوا دون أن تُرسل بهم قبل ذلك زرافات ووحداناً إلى أخواتها وبنات أخواتها ليرضعوا منهن قبل أن يدخلوا عليها؟!

إن هذا الواقع يكشف عن أن دفعها بعضهم لأن يرضع (رضاع الكبير) كانت من ورائه مقاصد أكبر عن مجرد إلقائها الحديث إليهم في لقاء عابر. إنما أرادت الحميراء أن تخلو بهم وترفع الحجاب وتتكشّف وتغتسل أمامهم وتستظرف معهم وتبيّتهم عندها فيحدث الذي يحدث في الليالي! وجوابها في الصباح لمن أنكر عليها خلوة هؤلاء الرجال بها طوال الليل: «إنه محْرم عليَّ! قد رضع من أختي»! وكل هذا يقع بعد أن يُستثار الواحد من هؤلاء الرجال أعظم استثارة جنسية بارتضاعه من ثدي أختٍ لها أو ابنة أخت شابة! لذلك قلنا في عنونة هذا المبحث: وما أدراك ما رضاع الكبير! فإنه كان دعوةً للفجور وقنطرة للفاحشة!

هذا وقد احتار كبراء أهل الخلاف في كيفية الخلاص من ورطة (رضاع الكبير) بما يحفظ وجه عائشة ولا يعرّي سوأتها، ووقعوا في اضطراب كبير عبر التاريخ إلى يومنا هذا، **فهُم من**

جانب وجدوا أحاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) صريحةً في تقييد الرضاع بحال الصغر قبل الفطام بما ينبت بسببه اللحم وينشز العظم في الحوليْن، وذلك قوله صلى الله عليه وآله: «**إنما الرضاعة من المجاعة**» وقوله: «**لا يحرِّم من الرضاعة إلا ما فتق الأمعاء في الثدي وكان قبل الفطام**»[1] وقوله: «**لا يحرِّمُ من الرضاعة المصة ولا المصّتان، ولا يحرّم إلا ما فتق الأمعاء من اللبن**».[2] وقوله: «**لا يحرّم من الرضاع إلا ما أنبت اللحم وأنشز العظم**».[3] وقوله: «**لا رضاع إلا ما كان في الحوليْن**».[4] وقبل ذلك صريح قول الله سبحانه وتعالى في كتابه: «**وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ**»[5] فلا رضاعة بعد الحوليْن ولا أثر لها شرعاً. ثم أين المفرّ من حرمة اطلاع الأجنبي على ثدي المرأة ولو بقدر الحلمة ومسّه لها بفمه ولسانه؟! وكيف يكون الحرام مقدّمةً للحلال؟!

ومن جانب آخر؛ وجد هؤلاء أن عائشة خالفت صراحةً كل ذلك، وشرّعت (رضاع الكبير) بما لم يتابعها عليه أحد سوى أختها حفصة، فتضاربت أقوالهم في علاج ذلك.

فمن قائل – وهم الأكثر – أن القصة كانت رخصة من رسول الله (صلى الله عليه وآله) لسالمٍ وسهلة خاصة، فلا يجوز تعميمها أو القياس عليها، ولا يحلّ لأحد غير سالم أن يرضع

---

(١) مرّ تخريج الحديثين عن البخاري ومسلم والترمذي، والأخير أخرجه أيضاً ابن ماجة في سننه ج١ ص٦٢٦ بلفظ آخر عن عروة بن الزبير أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «**لا رضاع إلا ما فتق الأمعاء**».

(٢) أخرجه البيهقي في سننه ج٧ ص٤٥٦ عن أبي هريرة، وفيه أيضاً الدليل على أن الرضاعة تكون بالمصّ والتقام الثدي لا كما ادعوا من كفاية السقي.

(٣) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ج١ ص٤٣٢ عن ابن مسعود.

(٤) أخرجه الدارقطني في سننه ج٤ ص١٠٣ عن ابن عباس.

(٥) البقرة: ٢٣٤

وهو كبير من المرأة الأجنبية. وردّ على هؤلاء جمع منهم أبو بكر ابن العربي إذ قال: «**لو كان ذلك خاصاً بسالم لقال لها: ولا يكون لأحد بعدك. كما قال لأبي بردة في الجذعة**».[١] ومنهم الشوكاني والعظيم آبادي إذ قالا في مقام البحث: «**وأجيب بأن دعوى الاختصاص تحتاج إلى دليل (...) ولو كانت هذه السنة مختصة بسالم لبيّنها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما بيّن اختصاص أبي بردة بالتضحية بالجذع من المعز، واختصاص خزيمة بأن شهادته كشهادة رجلين**».[٢] على أن تثبيت أن القضية قضية عين خارجية يؤول إلى تجريم عائشة لتعميمها الحكم الخاص، وكان عليها التحرّي قبل أن تفتي، ولا أقل من الاحتياط، سيّما مع مخالفة سائر نساء النبي (صلى الله عليه وآله) لها وذكرهنّ الرخصة الخاصة لسالم على ما ادّعت.

ومن قائل أن الرخصة إنما كانت لأزواج النبي (صلى الله عليه وآله) فإن لهنّ أن يرضعن الكبير أو يأمرن بإرضاعه ليدخل عليهن وليس لسائر الناس ذلك! وهذا قول معمّر الذي رواه عبد الرزاق الصنعاني: «**إن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم إذا أرضعن الكبير دخل عليهن! فكان ذلك لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم خاصة، ولسائر الناس لا يكون إلا ما كان في الصغر**»![٣] وهذا كما ترى من أفظع ما قيل، ولعل الحامل لهم عليه إقدام عائشة على الإرضاع بنفسها فعلاً على ما حكاه بعضهم![٤]

---

(١) التعليق الممجد لعبد الحي اللكنوي ج٢ ص٥٧٩ عن أبي بكر ابن العربي.

(٢) نيل الأوطار للشوكاني ج٧ ص١١٩ وعون المعبود للعظيم آبادي ج٦ ص٤٧

(٣) مصنف عبد الرزاق الصنعاني ج٧ ص٤٦٧

(٤) فقد قال الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير ج١ ص٩٢٣: «**وكانت عائشة أم المؤمنين إذا أرادت أن يدخل عليها أحد الحجاب أرضعته! تأوّلت ذلك من إذن النبي صلى الله عليه وسلم لسهلة**». وقال موسى شاهين لاشين في فتح المنعم شرح صحيح مسلم ج٥ ص٦٢٢: «**وكانت عائشة رضي الله عنها ترى أن إرضاع الكبير يحرّمه، وأرضعت غلاماً فعلاً! وكان يدخل عليها! وأنكر بقية أمهات المؤمنين ذلك**». ولسنا ندري =

ومن قائل أنه إذا دعت الحاجة لرضاع الكبير فلا بأس وإلا فلا! وهذا قول ابن تيمية: «**إنه يعتبر الصغر في الرضاعة، إلا إذا دعت إليه الحاجة كرضاع الكبير الذي لا يُستغنى عن دخوله على المرأة وشقَّ احتجابها عنه! كحال سالم مع امرأة أبي حذيفة، فمِثْلِ هذا الكبير إذا أرضعته للحاجة أثَّر رضاعه، وأما من عداه فلا بد من الصغر**»![1] والقول بذلك يستلزم اطلاع الأجنبي على عورة المرأة ومسّه لها بشفتيْه ولسانه، وذلك عند هؤلاء مباح في هذا المقام، ولم يمنعه الألباني المعاصر في إحدى دروسه بدعوى أنه يكفي المرأة كشف مقدار حلمة الثدي فقط قائلاً: «**لا مانع عندي من أن يكون الرضاع مباشرةً من الحلمة لأن الفتنة إنما هي في إظهار الثدي الممتلئ أما الحلمة فهي سوداء قاتمة**»![2] وغاب عن الأحمق أن الحلمة أكثر مواضع الفتنة في ثدي المرأة! كما أنها ليست دائماً سوداء بل تكون عند كثير من النساء زهرية اللون! كما غاب عن هذا الأحمق أن الفتنة إنما هي في مصّ الرجل البالغ حلمة المرأة فذلك كفيل بإثارة شهوته وشهوتها على السواء! وكيف يتوقع أن ينظر زوج المرأة إلى هذا المنظر ولا تشتعل غيرته إلا أن يكون ديّوثاً مثله؟!

ومن قائل - وقد خلّص نفسه وسلّم لعائشة - أن رضاع الكبير جائز للجميع إنْ دعت إليه الحاجة أم لم تدعُ! وأنه يفيد رفع الاحتجاب! ومن هؤلاء ابن جريج وابن حزم وداود وابن المواز المالكي.[3]

= كيف أرضعت عائشة الغلام وليست ذات لبن لأنها لم تحبل ولم تلد في ما نعلم؟! إلا أن يُقال أن ذلك يتفّق أحياناً بسبب تغيّرات أو اختلالات هرمونية في جسد المرأة توجب إدرار اللبن من الثدي، وعلى أيٍّ فإنْ كانت عائشة قد كشفت ثديها وأرضعت الكبير بنفسها ثم جعلته يدخل عليها.. فواسوأتاه!

(١) سبل السلام لابن حجر العسقلاني ج٣ ص٢١٥ عن ابن تيمية واستحسنه.

(٢) سمعنا ذلك من إحدى أشرطة دروسه بصوته.

(٣) راجع فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ج٩ ص١٢٢

ولو أن هؤلاء السفهاء تدبّروا قليلاً لعرفوا أن قصة سالم وسهلة مجرد اختلاق جاءت به عائشة! ذلك أن جميع أخبارها انتهت إليها وحدها إلا المرسل منها وما لا تستقيم نسبته إلى أبي حذيفة لكونه قد مات مبكّراً في اليمامة، ولا ريب أنه عائد إليها أيضاً. وهذا الانحصار بعائشة مما يبعث في النفس الشك في صحة أصل القصة وثبوتها وإلا فلماذا اقتصرت روايتها على عائشة دون أحد من الناس؟!

وإليك البيان، فقد روى أحاديث وأخبار (رضاع الكبير) كلٌ من:

- البخاري في صحيحه عن عروة بن الزبير عن عائشة.
- مسلم في صحيحه عن القاسم بن محمد عن عائشة.
- أحمد بن حنبل في مسنده عن عروة والقاسم عن عائشة.
- النسائي في سننه عن عروة والقاسم وزينب بنت أبي سلمة عن عائشة.
- ابن ماجة في سننه عن عَمْرَة بنت عبد الرحمن والقاسم عن عائشة.
- أبو داود في سننه عن عروة عن عائشة.
- الدارمي في سننه عن عروة عن عائشة.
- ابن حبان في صحيحه عن عروة عن عائشة. وآخر عن عروة مرسلاً.
- الطبراني عن زينب وعروة والقاسم عن عائشة. وآخر عن القاسم عن سهلة لكنه في حكم المرسل.[1]
- الحاكم في مستدركه عن عروة وعمرة والقاسم عن عائشة. وآخر عن عمرة عن سهلة لكنه في حكم المرسل.
- ابن الجارود النيسابوري في منتقاه عن عروة عن عائشة.

(١) راجع هامش ص٨٧٤ من هذا الكتاب لتعرف وجه الحكم بالإرسال. وما قيل فيه يُقال في رواية عمْرة.

- ابن راهويه في مسنده عن عروة عن عائشة. وآخر عن القاسم مرسلاً.
- عبد الرزاق الصنعاني في مصنفه عن القاسم وعروة عن عائشة.
- مالك بن أنس عن عروة مرسلاً.
- ابن سعد في طبقاته عن القاسم وعمرة مرسلاً.
- الشافعي في مسنده عن عروة مرسلاً.

فها أنت ترى كيف أن جميع الطرق تنتهي إلى عائشة، والمرسل إنما هو عمّن أخذ عنها هذا الحديث بعينه، فهو إذن عائد إليها. وعليه؛ هل يستقر في النفس أن تكون واقعة كهذه مقصورٌ علمها على عائشة دون سائر الناس؟!

ولا يُقال: إن قول أزواج النبي (صلى الله عليه وآله) لعائشة: «**والله ما نرى هذا إلا رخصة أرخصها رسول الله صلى الله عليه وسلم لسالمٍ خاصةً، فما هو بداخل علينا أحدٌ بهذه الرضاعة ولا رائينا**» دليل على أن القصة ثابتة فإنهنّ لم ينكرنها. **إذ الجواب**: إنما هذا حديث عائشة أو مَن أخذ عنها وهو عائد إليها فلا حجة فيه، وإن احتُجَّ به فيُحمل على أنهنّ رددن على عائشة على تقدير صدقها في ما تدّعي، للحن الأحاديث إذ فيه قولهنّ: «**والله ما ندري لعلّها كانت رخصةً**» ولم نجد إحداهنّ تروي القصة استقلالاً بغير أن يكون في معرض الجواب والإباء على عائشة. فمن مجموع ذلك علمنا أن القصة من مخترعات عائشة! وإلا هل يصدّق عاقل أن دعوة كهذه لإرضاع الرجل الكبير ذو اللحية تصدر من النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) مع أنها تصادم أحكام القرآن والشرع بل الفطرة بانتهاكها حرمة المرأة كما مرّ عليك؟!

قال القرطبي: «**في قوله: فإنما الرضاعة من المجاعة؛ تثبت قاعدة كلية صريحة في اعتبار الرضاع في الزمن الذي يستغني به الرضيع عن الطعام باللبن، ويُعتضد بقوله تعالى: لِمَنْ أَرَادَ**

أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ؛ فإنه يدل على أن هذه المدة أقصى مدة الرضاع المحتاج إليه عادةً المعتبر شرعاً، فما زاد عليه لا يحتاج إليه عادةً فلا يُعتبر شرعاً، إذ لا حكم للنادر. وفي اعتبار إرضاع الكبير انتهاك حرمة المرأة بارتضاع الأجنبي منها لاطلاعه على عورتها ولو بالتقامه ثديها».(١)

ولسنا بحاجة إلى التذكير بأن قضية (رضاع الكبير) التي جاءت بها عائشة ظلّت إلى اليوم خنجراً مسموماً لليهود والنصارى في خاصرة الإسلام وخدشاً في شخصية النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) وانتهاكاً لكرامة النساء المسلمات. وقد افتعلت عائشة كل ذلك واختلقته لأجل إشباع نهمها وولعها بالرجال! أولئك الذين أدخلتهم بيت النبوة بلا إذن شرعي، ورفعت بينها وبينهم الحجاب، وتبادلت معهم أطراف الحديث بكل استئناس وخنا، ضاربةً وإياهم بعرض الحائط قوله تعالى: **«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ ۖ وَاللهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمًا».**(٢)

■ **قوّادةٌ ديْبوبةٌ تتصيّد شباب قريش!**

أوعد الله تعالى الذين يشيعون الفاحشة - ولو إخباراً - بالعذاب الأليم، فقال سبحانه: **«إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ وَاللهُ يَعْلَمُ**

(١) فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ج٩ ص١٢١ عن القرطبي.

(٢) الأحزاب: ٥٤

وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ».[١] وبهذا لا شك أن عذاب الذي يسعى في إشاعة الفاحشة - فعلاً وقيادة - يكون آلَمَ وأشد.

وقد عرفتَ إلى ههنا كيف أشاعت عائشة فواحش الكَلِم، فتلكم أحاديثها في التهتك والخنا، وتلكم فتاواها في رضاع الكبير. وبقي أن تعرف أنها أضافت إلى ذلك كله إشاعة فواحش الأفعال، أعني إغراء الشباب بالجواري وجرّهم إلى مضاجعتهنّ! وكان ذلك منها بعدما صارت مسنة.[٢]

روى أبو بكر بن أبي شيبة الكوفي - وهو من شيوخ البخاري الثقات - في مصنفه عن عائشة «**أنها شَوَّفَتْ جاريةً وطافتْ بها، وقالت: لعلنا نتصيَّدُ بها بعض شباب قريش**»! وفي نسخة: «**لعلنا نصيبُ بها بعض شباب قريش**»![٣]

ولكي تقف على معنى (شَوَّفَتْ) ههنا، نُرجعك إلى ابن الأثير وابن منظور والزبيدي؛ لترى أي انحطاط أخلاقي وصلت إليه عائشة!

قال ابن الأثير: «**في حديث عائشة أنها شوّفت جاريةً فطافتْ بها وقالت: لعلنا نصيد بها بعض فتيان قريش؛ أي زيَّنَتْها! يُقال: شوَّفَ وشِيفَ وتشوَّفَ، أي تَزيَّن. وتشوَّف للشيء أي طمح بصره إليه**»![٤]

---

(١) النور: ٢٠

(٢) بدلالة مَن يروي عنها الرواية التالية، وهو **عمار بن عمران** وهو رجلٌ من قبيلة **زيد الله**، يروي **عن امرأة منهم**. وهم متأخرون في مجتمع المدينة فلا يكون لقاؤهم بعائشة إلا متأخراً.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة الكوفي ج٩ ص٤٨٣ وج١١ ص٤٢٩

(٤) النهاية لابن الأثير ج٢ ص٥٠٩

وقال ابن منظور: «**ويُقال: شِيفتِ الجاريةُ تُشافُ شَـوْفاً؛ إذا زُيِّنَـتْ. وفي حـديث عائـشة رضي الله عنها: أَنها شَوَّفَتْ جاريةً فطافَتْ بها وقالت: لعلنا نصيد بها بعض فتيان قُـريش، أي زَيَّنَتْها**»![1]

وقال الزبيدي: «**المُشَوَّفةُ – كمُعَظَّمة – من النساء؛ التي تُظهر نفسها ليراها النـاس. عـن أبي علي. وشوّفها تشويفاً: زيَّنَهـا. ومنـه حـديث عائـشة رضي الله عنهـا أنهـا شَـوَّفَتْ جاريـةً فطافتْ بها وقالت: لعلنا نصيدُ بها بعض فتيان قريش**»![2]

هكذا أفسدت عائشة شباب وفتيان قـريش في المدينـة المنـورة حـين لم تـستأثم أن تأخـذ جاريةً لها فتزيّنها وتزوّقها ثم تطوف بها سكك المدينة – كأي قوّادةٍ ديْبوبـةٍ – حتـى تـستدرج بها الشباب إلى نفسها!

ونقول: «تستدرج» لأنّا وجدناها تقول: «**لعلنا نتصيَّدُ.. لعلنا نصيبُ بهـا بعـض شـباب قريش**» فنستظهر مـن ذلـك أن لهـا غرضـاً شخـصياً، إذ تريـد بالجاريـة أن تتـصيّد الـشباب وتُصيبهم لنفسها، فكأنها قد استخدمت جاريتها للفت أنظار أولئك الشباب والفتيان بعـدما تقدّم بها العمر وزادت قبحاً على قبح، وكأنها لم تجد سبيلاً للاجتماع بأولئك الشباب والفتيـان إلا بأن تغريهم بجواريها، فإن هرعوا إليهنّ ليصيبوهنّ اشترطت عليهم أن تصيب هي مـنهم أولاً! فتأمّل في قولها: «**لعلّنا نتصيَّد.. لعلنا نُصيب**»!

لقد كانت امرأة لعوباً! جلّ همّها الرجال وأعظم عشقها الفتيان اليافعون! وكان إعراض هؤلاء عنها – حينما بلغت من الكِبَرِ عِتِيّا وتكاد أن تكون عجوزاً – مُذهباً لنفـسها حـسرات،

---

(١) لسان العرب لابن منظور – مادة: شوف.

(٢) تاج العروس للزبيدي ج٦ ص١٦١

فلم يكن أمامها من متنفّس وقتذاك إلا أن تغدو قوّادةً علّها بذلك توقع بعض شباب قريش في مصيدتها!

وقد قصدت شباب قريش لما عُرفوا به من الفحولة والباه والإقبال على النساء، فيكون وقوعهم في تلك المصيدة أسرع من وقوع غيرهم فيها! ولذا كانت وصايا النبي (صلى الله عليه وآله) وتحذيراته لهم في هذا الشأن خاصة، فقد قال محذرّاً إياهم من الوقوع في الزنا: «**يا شباب قريش؛ لا تزنوا، احفظوا فروجكم، ألا من حفظ فرْجه فله الجنة**».(١)

وإن من المثير للسخرية أن يُدَّعى أن عائشة لم تقصد بها فعلت إلا تزويج جاريتها أو بيعها! فإن ذلك على فرضه لا يغيّر من قُبح فعلها شيئاً، لأنها قد تعمّدت تزيين الجارية وخرجت بها من بيتها وطافت بها في الطرقات والسكك لإظهار مفاتنها للشباب! وكأنها تقول لهم: «انظروا إلى حُسنها وجمالها! يا شباب قريش هلمّوا إليها»! فهل أن ذلك له نصيب من الشرع والأخلاق؟! وهل تجد امرأة ذات دين وحياء تصنع مثل هذا الصنيع الذي يستحي منه حتى الرجل النخّاس الذي يتقي الله؟! وهل بلغك في طول تاريخ المسلمين وعرضه أن امرأة فعلت هذا إلا أن تكون قوّادةً أو هَيْنَغاً أو داعرة؟!

وقبل هذا؛ أليست وظيفة التي تسمي نفسها «أم المؤمنين» أن تقرّ في بيتها تتلو كتاب الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة؟! أم أن وظيفتها أن تخرج من بيتها وتعمل نخّاسةً تدور وتتسكّع في الطرقات لعرض الجواري الحسان على الشباب والفتيان؟!

قد أمر الله تعالى نساء نبيّه (صلى الله عليه وآله) بقوله: «**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ**

---

(١) مجمع الزوائد للهيثمي ج٤ ص٢٥٣ عن البزار والطبراني، ومستدرك الحاكم ج٤ ص٣٥٨، ومسند أبي يعلى ج٣ ص١٨، ومسند الطيالسي ص٣٦٠ وغيرهم، واللفظ للأول.

الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا * وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللهِ وَالْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ اللهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا».[1]

فأين امتثال الحميراء لهذا وقد شوّفت جارية وطافت بها السكك قاصدةً أن تتصيّد بها بعض شباب قريش؟! كأن الله قال لها والعياذ بالله: «واخرجن من بيوتكن وشوِّفْنَ الجواري وطفنَ بهنَّ وتصيّدْنَ شباب قريش»! وكأنه لا سبيل لبيع الجارية أو تزويجها بإيكال أمرها إلى أحد ممن يوثق به بلا تشويف أو تزيين محرّم أو تسكّع في الطرقات!

هكذا كانت عائشة «سيدة الفساد والإفساد» الأولى في الإسلام! وكلٌّ يرجع إلى أصله، فبنت عشيرة ابن جُدعان الداعر نخّاس الجواري المومسات! وبنت أبي قحافة اللوّاط العضروط! وبنت سلمى ذات الراية الحمراء! وبنت أبي بكر الخمّار السكران! وأخت عبد الرحمن الذي ليست له همة إلا في اللهو والنساء! وأخت أسماء ذات الثياب الشامية الرقاق الكاشفة لعوراتها![2] لا تكون على العادة إلا داعرة قوّادة سلفع!

هي بنت مَن؟ هي أخت مَن؟ من ذا يجاري في الفجور مجارَها؟!

■ **أول فرْجٍ على سرج!**

نهت الشريعة النساء أن يركبن سروج الدواب، لأن ذلك يؤدي بسبب الحركة إلى احتكاك فروجهنّ بتلك السروج فيتهيّجنَ جنسياً، ويكون ذلك باعثاً لهنّ على الفساد والفجور.

---

(١) الأحزاب: ٣٤ – ٣٥، وآية التطهير خطاب لأصحاب الكساء (عليهم السلام) وإيماءٌ للزوجات بأن لا يُصبنَهم بالرجس بسبب أفعالهنّ.

(٢) راجع في كل ذلك الفصل الأول من هذا الكتاب.

روى ابن عدي والطبرسي عن ابن عباس قال: «**نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذوات الفروج أن يركبن السروج**».(١)

وبلغ النهي مبلغ لعن مَن تفعل ذلك، فقد قال السرخسي: «**ولا تركب امرأة مسلمة على سرج، وهذا لقوله صلى الله عليه وسلم: لعن الله الفروج على السروج**».(٢)

وروى الكليني والصدوق عن الحارث الهمداني: «**قال أمير المؤمنين عليه السلام: لا تحملوا الفروج على السروج فتهيّجوهنَّ للفجور**».(٣)

ولا يخفى أن ركوب المرأة دابةً بسرج علاوة على أنه يهيّجها؛ فإنه يُعدّ ضرباً من ضروب التبرّج، إذ يلزم منه ظهورها واضحة المعالم منفرجة الساقين، وكفى بذلك فتنة. ولذا لم تكن النساء الكريمات يقبلن ركوب دواب بلا هودج يجلسن فيه فيسترهنّ بشكل كامل.

إذا علمتَ هذا؛ فعُد الآن إلى ما ذكرناه في الفصل الرابع من أن عائشة حين أُخبرت بعزم بني هاشم على دفن الإمام أبي محمد الحسن (عليه السلام) بجوار جده صلى الله عليه وآله «**خرجتْ مبادرةً على بغل بسَرْج، فكانت أول إمرأة ركبت في الإسلام سَرْجاً**»! وكان البغل مقدّماً من مروان بن الحكم إذ قال لها: «**هذا بغلي فاركبيه والحقي القوم قبل الدخول. فنزل لها عن بغله وركبته! وأسرعت إلى القوم، وكانت أول امرأة ركبت السروج هي**»! وفي وصف ابن عباس: «**فإذا أنا بعائشة في أربعين راكباً على بغلٍ مُرَحَّلٍ تقدمهم وتأمرهم بالقتال**»! وهكذا قال الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «**أول امرأة ركبت البغل بعد رسول الله صلى الله عليه وآله عائشة**»! وهو بغل له علاقة خاصة بعائشة إذ روى البخاري عن

(١) الكامل لابن عدي ج٥ ص١٨٤ ومكارم الأخلاق للطبرسي ص٢٣١ واللفظ للأول.

(٢) السير الكبير للسرخسي ج١ ص١٣٦

(٣) الكافي للكليني ج٥ ص٥١٥ ومن لا يحضره الفقيه للصدوق ج٣ ص٤٦٨

أبي إدريس العبدي أنه «**رأى عائشة تسعى بين الصفا والمروة على بغلٍ أو بغلة، فجالت بها البغلة! فقال ابن عباس: كان يوم البغلة**»![1]

وبهذا نعلم بأن عائشة كانت تهيّج نفسها للفجور بتعمّدها ركوب بغل بسرج، وأصابتها بذلك لعنة رسول الله صلى الله عليه وآله، عدا عن أنها قد تبرّجت بذلك وأبرزت نفسها أمام الرجال والغلمان.

وما أعظم هذا الفخر! أن تكون عائشة سبّاقةً في تاريخ «**الفروج على السروج**» بكونها أول امرأة في الإسلام ركبت سرجاً! وقد فتحت بذلك باباً لم يُغلق إلى اليوم، إذ تبعتها على ذلك نساء ونساء تجرّأن عليه، وها هنّ يخرجن اليوم كاسيات عاريات على «سروج» الدراجات الهوائية والنارية ويعرّضن هذه الأمة المنكوبة إلى الخسف والمسخ! فقد روى ابن عدي عن أبي هريرة عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال: «**والذي بعثني بالحق؛ لا تنقضي هذه الدنيا حتى يقع بهم الخسف والمسخ والقذف! قالوا: ومتى ذاك يا رسول الله بأبي أنت وأمي؟ قال: إذا رأيت النساء ركبت السروج! وكثُرَت القينات! وشُهِد شهادات الزور! وشرب المصلي في آنية أهل الشرك الذهب والفضة! واستغنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء! فاستنفروا واستعدوا! وقال بيده هكذا؛ فوضعها على جبهته يستر وجهه**»![2]

نعوذ بالله من غضبه، ونبرأ إليه من عائشة وبناتها ذوات الفروج على السروج! ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

---

(١) راجع ص٧٣٠ من هذا الكتاب وما بعدها متناً وهامشاً. وبغل مرحَّل: عليه سرج.

(٢) الكامل لابن عدي ج٣ ص٢٧٦

■ معاوية يشهد إنها فاجرة!

بعدما سردنا كل تلكم الصور والشواهد؛ يغدو واضحاً أن الحميراء كانت امرأة ساقطة منحرفة تحوم حول العهر والفجور، وأنها كانت تميل إلى ما فيه التعرّض للرجال والغلمان اليافعين، وأنها في سبيل إشباع شهوتها إلى ذلك لم تكن تكترث بشيء أو تقيم وزناً لشيء.

ومن المعلوم أن مَن حام حول الحمى أوشك أن يقع فيه، لذا لا يكون من الصعب هضم أن المرأة قد وقعت فعلاً في فاحشة الزنا حتى وإن كان ذلك نتيجةً استقرائيةً، إذ قد عُلم من تلك الصور والشواهد أن لها استعداداً وقابلية ذاتية لذلك، وأن بعضها كان من مقدّماته الواضحة، فلا يبعد وقوعها فيه.

ولئن لم يبعد حتى لو كان نتيجةً استقرائيةً؛ فإنه يثبت ويستقر إنْ أسندته النصوص وتراكمت على تعضيده القرائن، فعند ذاك لا محيص من الإذعان بالحقيقة، أعني حقيقة أن عائشة امرأة فاجرة تسعى وراء الفاحشة.

وتلك حقيقة كان يدركها حتى أولئك الذين كانوا في فترة من الفترات من أشد أولياء عائشة وأنصارها، كمعاوية بن أبي سفيان الذي وصفها صراحةً بالفاجرة! فإنه بعدما أخذ يحمل الناس على البيعة لابنه يزيد بولاية العهد وهو قائم على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله؛ انقلبت عليه عائشة وجبهته معترضةً بالقول: «**هل استدعى الشيوخ لبنيهم البيعة؟ قال: لا. قالت: فبمن تقتدي**»؟! فلم يُحر جواباً وأخذ يخطط للتخلص منها، وإلى ذلك الحين وبينما كان يهدد الناس لأخذ البيعة ليزيد «**دخلت بعد عماها عليه راكبةً حماراً، فبال وراث على بساطه! فقال: لا طاقة لي بكلام هذه الفاجرة**»![1]

(١) الصراط المستقيم للنباطي العاملي ج٣ ص٤٥ وكتاب الأربعين لمحمد طاهر القمي الشيرازي ص٦٣٠

وقد مرّ عليك في الفصل الثالث قول عثمان بن عفان فيها: «**إن هذه الزعراء عدوة الله**»**!**[1] وهو في إحدى معانيه وصف لها بالفجور.

إذن؛ كان الفجور سمة معروفة لعائشة وإن جلّلها محبّوها عبر التاريخ وحاولوا طمس معالمها وآثارها أو تحريفها بما يحفظ ماء الوجه، وقد أفلت منهم ما أفلت منها مما عدّدنا بعضه آنفاً، والذي لا يسع المنصف الإغماض عن دلالته في أن المرأة كانت تسعى وراء الفجور، وآن أن نتجه إلى ما هو أدل منه وأصرح، مما يكون نصّاً أو شبه نص في ارتكابها فاحشة الزنا والخيانة.

■ الطريق إلى البصرة.. طريق إلى الزنا!

قد ألمعنا في الفصل الرابع إلى أن عائشة شعرت بمجيء عهد حكومة أمير المؤمنين (عليه السلام) بأنها ستعود مكتومة الأنفاس، مقيدة بحيز الدار، لا يُتاح لها أن تبرحه، كما كان عليه الحال في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذ ضُرب عليها الحجاب وأُقِرّت في البيت.

وقد انتابها هذا الشعور الخانق بعدما تحرّرت – ولو نسبياً – في عهود الحكومات الثلاثة الماضية من القيود الشرعية والأخلاقية، وكانت ترجو بمقتل عثمان ومجيء ابن عمها طلحة للحكم أن تتحرر تحرّراً كليّاً، بل كانت تعدّ نفسها لأن تكون الإمبراطورة الحقيقية وصاحبة الأمر والنهي، فلا يكون طلحة إلا خليفة صورياً يمتثل بأمرها، غير أن الذي جرى كان خلاف ما تتمنى وتشتهي، إذ جاء علي (عليه السلام) للحكم بدلاً من طلحة، فثارت ثائرتها عليه إذ رأت فيه ذلك الرجل الذي سيُدخلها من جديد إلى حيز الدار. وكان ذلك ذنبه (عليه

(١) راجع ص٥٢٩ من هذا الكتاب.

السلام) عندها، كما كشفه (صلوات الله عليه) بنفسه إذ قال: «**وما لنا إلى عائشة من ذنبٍ إلاّ أنّا أدخلناها في حيّزنا**»![(١)]

إنه الحيز الذي تكرهه عائشة أشد الكره، إذ إنه يكبت شهواتها ونزواتها، ويمنعها من الخروج والتعرض للرجال ودعوتهم إلى نفسها والمبيت عندها، وما دام علي (عليه السلام) هو الخليفة والحاكم فسيبقى هذا الوضع، كما كان عليه أيام رسول الله صلى الله عليه وآله. لهذا طارت المرأة فرحاً حين علمت باستشهاد علي (عليه السلام) قائلةً: «**لتصنع العرب ما شاءت فليس أحدٌ ينهاها**»![(٢)]

إنها حين تولّى الإمام (عليه السلام) مقاليد الحكم؛ لم يسعها أن تبقى مكتوفة الأيدي لتُقاد ثانية إلى ذلك الحيز، لذا عزمت على الخروج مع عصابة من أجلاف الرجال علّها تقلب الوضع، وتحقق لنفسها ما تصبو إليه من الحرية.. الحرية في أن تلتقي بالرجال ويلتقيها الرجال!

وكان ذلك الخروج منها صوب البصرة تجربة غاية في المتعة والإثارة بالنسبة لها، إذ ذاقت فيها طعم الإمرة والسلطة النافذة للمرة الأولى، حين كان جيش عرمرم يأتمر بأمرها بل ويقدسها تقديساً إلى حد التبرّك ببَعْر جملها!

كانت عائشة تشعر حينئذ بنشوة عارمة، فكل خطوة تخطوها صوب البصرة كانت تعني عندها خطوة نحو التحرر المطلق ونيل المُنى في الفجور، وكان عزمها منذ البداية معقوداً على أن تطلق لشهوتها العنان فتتبرّج وتلقي جلبابها وتُبدي شعيْراتها وتملأ حِرَها أيراً!

---

(١) راجع ص٦٤٥ من هذا الكتاب.

(٢) راجع ص٧١٨ من هذا الكتاب.

ولقد فطن مالك الأشتر النخعي (رضوان الله تعالى عليه) إلى نواياها تلك، وعلم أنها تريد بتمرّدها على أمير المؤمنين (عليه السلام) أن تبيح لنفسها الحرام، فكتب إليها رسالة شديدة اللهجة توعّدها فيها بالقتال إلى أن يردّها إلى ذلك الحيز رغماً عن أنفها صاغرة ذليلة.

روى أبو مخنف الكوفي: «**كتب الأشتر من المدينة إلى عائشة وهي بمكة: أما بعد؛ فإنك ظعينة رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد أمركِ أن تقرّي في بيتكِ، فإنْ فعلتِ فهو خيرٌ لكِ، فإنْ أبيتِ إلا أن تأخذي مِنْسَأتكِ**[١] **وتُلقي جلبابكِ**[٢] **وتُبدي للناس شُعَيْراتكِ؛ قاتلتكِ حتى أردّكِ إلى بيتكِ والموضع الذي يرضاه لكِ ربّكِ**»![٣]

رحم الله الأشتر! ما كان أفطنه وأبصره في شأنها، فلقد صكّ وجهها بحقيقة أنها تريد إلقاء جلبابها وإبداء شُعَيْراتها للناس! أي أنها تريد بخروجها هذا أن تتبرّج وتتهتّك وتخلع حجاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) المضروب عليها كحال الظعينة في الهودج!

ورحم الله أم سلمة التي علمت هي الأخرى نوايا عائشة المبيّتة في استباحة المحرّمات والتعرض للرجال، فقالت لها ناصحةً: «**ما كنتِ قائلةً لرسول الله صلى الله عليه وآله لو لقِيَكِ ناصّةً قَلوص قَعودكِ من منهل إلى منهل،**[٤] **قد تركتِ عُهيداه وهتكتِ ستره؟! إن عمود**

---

(١) المِنْسَأة: العصا. كناية عن ركوبها العصيان والتمرد.

(٢) الجِلباب: ثوب أوسع من الخِمار ودون الرداء تغطي به المرأة رأسها وصدرها لئلّا يبدو منهما شيء.

(٣) شرح النهج لابن أبي الحديد ج٦ ص٢٢٥ عن أبي مخنف، وكتاب الجمل لضامن بن شدقم المدني ص٣٠. وقد كتبت (لعنها الله) في جوابه إصراراً على الغي: «**أما بعد؛ فإنك أول العرب شبَّ الفتنة ودعا إلى الفرقة وخالف الأئمة وسعى في قتل الخليفة! وقد علمتُ أنك لن تعجز الله حتى يصيبك منه بنقمة ينتصر بها منك للخليفة المظلوم! وقد جاءني كتابك وفهمتُ ما فيه، وسيكفينيك الله وكلَّ مَن أصبح مماثلاً لك في ضلالك وغيّك إن شاء الله**»!

(٤) ناصّةً: رافعة. القَلوص: البكرة من النوق. القَعود: ما أمكن أن يُركب من الإبل قبل أن يصير جملاً أي =

الدين لا يقوم بالنساء، وصدعه لا يُرأب بهنّ. حُماديات النساء[1] خفض الأصوات، وخَفَرُ الأعراض، اجعلي قاعدة البيت قبرك حتى تلقينَه وأنتِ على ذلك».[2]

وفي رواية ابن قتيبة: «**إنكِ سُدَّةٌ بين محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أمته،[3] وحجابكِ مضروب على حرمته، قد جمع القرآن ذيلكِ فلا تندحيه![4] وسَكَّنَ عُقَيْراكِ فلا تُصحريها![5] الله من وراء هذه الأمة (...) حُماديات النساء غَضُّ الأطراف وخَفَرُ الأعراض وقِصَرُ الوَهازة[6] (...) لو سرتُ مسيركِ هذا ثم قيل لي: ادخلي الفردوس! لاستحييتُ أن**

= ما بين السنتين والست. المنهل: منازل المسافرين حيث ينزلون على المياه للشرب. والمراد أنها تنتقل من مكان إلى مكان بها يهتك ستر رسول الله (صلى الله عليه وآله) وينقض عُهَيْداه عليها، وهو تصغير العهد.

(١) أي ما يُحمد من النساء الصفات التالية.

(٢) المصدر نفسه ج٦ ص٢٢٠

(٣) السُدَّة: الباب. والمراد أنك بمثابة باب مضروب على حرمة رسول الله صلى الله عليه وآله، فلا تكسريه بإبراز نفسك للرجال فتُنتهك حرمته صلى الله عليه وآله.

(٤) الذيل: ما تجرّه المرأة من ثوبها من الخلف أو ما جرّته بسبب المشي والحركة من التراب والقَتام. الندح: الفتح والتوسعة. والمراد أن القرآن أقرّكِ في بيتك فلا تخرجي منه وتتمرّدي على أحكام القرآن.

(٥) عُقَيْراكِ: تصغير عُقر الدار. وتُصحريها: تُبرزيها في الصحاري والقِفار. والمراد أن الله تعالى سكَّنَكِ في بيتكِ وعقاركِ وسترِكِ فيه فلا تبرزي نفسكِ للرجال هنا وهناك. وهناك احتمال آخر ذكره الزمخشري إذ قال: «**كأنها تصغير العَقْرى على فَعْلى، من عَقِرَ إذا بقي على مكانه لا يتقدّم ولا يتأخر فزعاً أو أسفاً أو خجلاً، وأصله من عَقَرْت به إذا أطلتَ حبسه، كأَنك عَقَرْت راحلته فبقي لا يقدر على البَراحِ. وأَرادت بها نفسها أي سكِّني نفسك التي حقُّها أن تلزم مكانها ولا تَبْرُز إلى الصحراء، من قوله تعالى: وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ**». راجع لسان العرب لابن منظور - مادة: عقر.

(٦) غض الأطراف: جمع أطراف البدن أي عدم التهتّك، أو غض الطرف أي البصر بمعنى عدم النظر بشهوة إلى الرجال. خَفَرُ الأعراض: صون الأعراض. قِصَر الوَهازة: تقصير الخطى. والمراد التزام الحياء والخدر والعفة.

ألقى محمداً صلى الله عليه وسلم هاتكةً حجاباً قد ضربه عليَّ! اجعلي حصنكِ بيتكِ، ووقاعة الستر قبركِ، حتى تلقيْنَه».[١]

إن هذه النواهي والنصائح التي وجهتها أم سلمة لعائشة تكشف عن أن الأخيرة لم تكن تتّصف بها، وإلا لم يكن لتلك النواهي والنصائح في هذا المقام مكان من الحكمة، إذ يكون الكلام في غير موضعه. وعليه يكون قولها لها: «**حُماديات النساء خفض الأصوات وغَضُّ الأطراف وخَفَرُ الأعراض وقِصَرُ الوَهازة**» مومئاً في مفهومه إلى أنها تروم في خروجها التبرج للرجال وإباحة عرضها لا خفره! وكل نصائح أم سلمة تدور على هذا المدار، أن لا يُهتك ستر رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولا تُنتهك حُرمته، فمفهومه أن المرأة كانت تسير في هذا الاتجاه بخروجها إلى البصرة، وتلك نواياها منذ البداية.

أجل؛ إنها لم تخرج إلى البصرة محتشمة متسترّة، بل خرجت متهتكة متبرجة، تقصد إغواء الرجال والتعرّض لهم، وإلا لو كان هدفها من الخروج انقلابياً أو سياسياً محضاً؛ فلماذا تعمّدت الخروج متبرجةً متزيّنة؟! وقديماً قيل: «**تُخبِرُ عن مجهولها مَرآتُها**».

ولا يسع أحداً إنكار أنها خرجت متبرجة، فقد دلّت على ذلك نصوص تقدّم بعضها، منها ما رواه الديلمي في حديث حذيفة بن اليمان أن النبي (صلى الله عليه وآله) جمع نساءه في منزل أم سلمة (رضوان الله عليها) فكان مما قال لعائشة ثمَّة: «**بلى يا حميراء! قد خالفتِ أمري أشدّ خلاف، وأيْمُ الله لتخالفين قولي هذا ولتعصِينَّه بعدي، ولتخرجين من البيت الذي أخلّفك فيه متبرَّجةً، قد حفّ بك فئام من الناس**».[٢]

---

(١) غريب الحديث لابن قتيبة ج٢ ص١٨٧

(٢) راجع ص٢٧٣، وفي نوادر الأخبار للكاشاني ص٢٣٢: «**متبرجةً قد حفّ بك لفيفة من سفهاء الناس**».

ومنها ما رواه المفيد من احتجاج أمير المؤمنين (عليه السلام) عليها في رسالته التي حمَّلَها ابن عباس إليها حيث قال: «**فلم ترضيْ بالخروج عن أمر الله في تبرّجكِ وخروجك من بيتكِ الذي أمركِ النبي صلى الله عليه وآله بالمُقام فيه حتى سرتِ إلى البصرة فقتلتِ المسلمين**».[١]

وهذا التبرج منها ليس بالغريب، فقد عرفتَ في هذا الفصل أنها كانت تتبرج حتى في الحج فتلبس ثياباً حمراء وخواتم ذهب وترفع صوتها ليسمعها الرجال! فإذا كان هذا ما تصنعه في طريقها إلى الحج فلا غرابة في أن تصنعه في طريقها إلى البصرة وقد حفَّ بها فئام من عشّاقها والمفتونين بها!

بل إن الله تعالى لم يُنزل اعتباطاً قوله: «**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ**» فلم يكتفِ بنهيهنّ عن الخروج من البيوت؛ وإنما أضاف إليه النهي عن التبرّج. وهذه المغايرة تنطوي على مفهوم أنه يُخاف منهنّ الأمران معاً؛ الخروج والتبرج، لا الخروج وحده، وإلا لما كان ثمة داع للنهي عن التبرج أيضاً، إذ يكون هذا من فضول الكلام، وحاشى لله أن يجعله في كتابه المحكم.

وحيث إنه لا ريب في أن المعنية بهذه الآية هي عائشة، كونها التي لم تقر في بيتها وخرجت دون سائر نساء النبي (صلى الله عليه وآله)[٢] فتكون إذن هي التي تبرّجت تبرّج الجاهلية الأولى، لمكان المطابقة بين الأمريْن في الآية. وقد روى عبد الرزاق الصنعاني عن أبيه عن مينا مولى عبد الرحمن بن عوف عن عبد الله مسعود قال: «**قلتُ للنبي عليه السلام: يا رسول الله؛ مَن يغسّلكَ إذا مُتَّ؟ قال: يغسّل كل نبي وصيّه. قلتُ: فمن وصيك يا رسول الله؟ قال: علي ابن أبي طالب. قلت: كم يعيش بعدك يا رسول الله؟ قال: ثلاثين سنة، فإن يوشع بن نون**

(١) راجع ص٦٤٩ من هذا الكتاب.

(٢) إلا حفصة التي همّت بالخروج معها ثم أقعدها أخوها عبد الله بن عمر كما مرّ في الفصل الرابع.

وصي موسى عاش بعد موسى ثلاثين سنة، وخرجت عليه صفراء بنت شعيب زوجة موسى عليه السلام فقالت: أنا أحقُّ منك بالأمر! فقاتلها فقتل مقاتليها وأسرها فأحسن أسرها. وإن ابنة أبي بكر ستخرج على علي في كذا وكذا ألفاً من أمتي، فيقاتلها فيقتل مقاتليها ويأسرها فيحسن أسرها، وفيها أنزل الله عز وجل: وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ. يعني صفراء بنت شعيب». (١)

إذن؛ فعائشة هي المعنية بهذه الآية وفيها نزلت وعمّا جاء فيها نُهِيَت مما ارتكبته لاحقاً في خروجها وتبرّجها. والآية في وجهها الآخر كاشفة عن المستقبل، فلولا علم الله تعالى بأن إحدى نساء نبيه (صلى الله عليه وآله) ستتمرّد على القرار في البيت وستخرج متبرجة تبرج الجاهلية الأولى؛ لما أنزل هذه الآية وضمّنها هذا التحذير ليكون حجة له عليها «**فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ**». (٢) ومعلومٌ أنه يقبح من الحكيم نهي مَن لا يُتوَقَّع أو يُحتمَل منه النزوع إلى المنهي عنه، إلا أن يكون هذا النهي من قبيل (إياك أعني واسمعي يا جارة) وما شاكل، وليس هذا المقام مقامه كما لا يخفى.

وإذا استنطقنا ما ذكره المخالفون في رواياتهم وتفاسيرهم في معنى (الجاهلية الأولى) التي عُلِم أن عائشة حذت حذوها؛ فإن صورة الذي جرى ودواعيه تتضح لنا أكثر ولو على نحو الاستقراب.

روى ابن سعد في طبقاته حديثاً مطوّلاً عن جابر بن عبد الله الأنصاري وأبي سعيد الخُدري في ذكر ما هجر فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله) نساءه وتخييره إياهن، وفيه تفسير من جابر لقوله تعالى: «**وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ**» وتقرير من أبي سعيد. قال جابر:

---

(١) كمال الدين للصدوق ص٢٧ عن عبد الرزاق. ومعنى ذيله أن تبرج الجاهلية الأولى هو تبرج صفراء.

(٢) الأنعام: ١٥٠

«وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ. يقول: لا تخرجنَ من بيوتكن ولا تبرّجن، يعني إلقاء القناع، فعل أهل الجاهلية الأولى. فقال أبو سعيد: هذا الحديث على وجهه».[1]

وقال الطبري في تفسيره: «حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ أي إذا خرجتن من بيوتكنّ، قال: كانت لهنّ مشية وتكسُّر وتغنُّج، يعني بذلك الجاهلية الأولى فنهاهنّ الله عن ذلك. حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، قال: سمعت ابن أبي نجيح، يقول في قوله: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ قال: التبختر. وقيل: إن التبرّج هو إظهار الزينة، وإبراز المرأة محاسنها للرجال. حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن عيينة، عن أبيه، عن الحكم ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ قال: وكان بين آدم ونوح ثمان مائة سنة، فكان نساؤهم من أقبح ما يكون من النساء، ورجالهم حِسان، فكانت المرأة تريد الرجل على نفسه، فأُنزلت هذه الآية: وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ».

وقال الزمخشري في تفسيره: «والجاهلية الأولى هي القديمة التي يُقال لها الجاهلية الجهلاء، وهي الزمن الذي وُلد فيه إبراهيم عليه السلام: كانت المرأة تلبس الدرع من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق تعرض تفسها على الرجال»!

وقال البيضاوي في تفسيره: «قال مجاهد: كانت المرأة تخرج تمشي بين يدي الرجال، فذلك تبرج الجاهلية. وقال قتادة: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ يقول: إذا خرجتن من بيوتكن، وكانت لهنّ مشية وتكسُّرٌ وتغنُّج، فنهى الله تعالى عن ذلك. ﴿تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ تبرجاً مثل تبرج النساء في أيام الجاهلية القديمة، وقيل هي ما بين آدم ونوح، وقيل الزمان

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج٨ ص١٨١

الذي وُلِدَ فيه إبراهيم عليه الصلاة والسلام؛ كانت المرأة تلبس درعاً من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال»!

قال ابن الجوزي في تفسيره: «**قال ال أبو عبيدة: التبرج؛ أن يُبْرِزن محاسنهن. وقال الزجاج: التبرج؛ إظهار الزينة وما يُستدعى به شهوةُ الرجل (...) وفي صفة تبرُّج الجاهلية الأولى ستة أقوال: أحدها؛ أن المرأة كانت تخرج فتمشي بين الرجال، فهو التبرج، قاله مجاهد. والثاني؛ أنها مِشيةٌ فيها تكسُّر وتغنُّج، قاله قتادة. والثالث؛ أنه التبختر، قاله ابن أبي نجيح. والرابع؛ أن المرأة منهن كانت تتخذ الدِّرع من اللؤلؤ فتلبسه ثم تمشي وسط الطريق ليس عليها غيره وذلك في زمن إبراهيم عليه السلام، قاله الكلبي. والخامس؛ أنها كانت تُلقي الخِمار عن رأسها ولا تشُدُّه، فيُرى قُرْطها وقلائدها، قاله مقاتل. والسادس؛ أنها كانت تلبس الثياب تبلغ المال، لا تواري جَسدها، حكاه الفراء**».

وقال البغوي في تفسيره: «**قال أبو العالية: هي في زمن داود وسليمان عليهما السلام، كانت المرأة تلبس قميصاً من الدُّرِّ غير مخيط من الجانبين فيُرى خلقها فيه**»!

وقال الشوكاني في تفسيره: «**قال المبرد: الجاهلية الأولى كما تقول الجاهلية الجهلاء. قال: وكان نساء الجاهلية تُظهر ما يقبح إظهاره، حتى كانت المرأة تجلس مع زوجها وخليلها، فينفرد خليلها بما فوق الإزار إلى أعلى، وينفرد زوجها بما دون الإزار إلى أسفل، وربما سأل أحدهما صاحبه البدل**»![1]

الحاصل من ملاحظة هذه النقولات أن التبرج الذي كان في الجاهلية الأولى تدرّجت أشكاله بدءاً من إلقاء القناع والمشي وسط الرجال وإظهار المحاسن، مروراً بالتبختر والتكسّر

---

(١) راجع أقوالهم ورواياتهم تلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ من تفاسيرهم. وفي معناها ذكر القرطبي والرازي وغيرهما مما لا مجال لسرده جميعاً.

والتغنّج ولبس ما لا يواري الجسد كقمصان الدُّر، وانتهاءً باتخاذها خليلاً يشترك مع زوجها في مجامعتها بأن يكون لأحدهما الجزء العلوي من جسدها والآخر السفلي ثم يتبادلان.

وأيّاً كان ما فعلته عائشة في طريقها إلى البصرة من هذه الأشكال حتى يصدق عليها أنها تبرّجت تبرّج الجاهلية الأولى؛ فإن القدر المتيقن أنها خرجت متبرجة بقصد عرض نفسها على الرجال، إذ بغير هذا لا تصدق المضاهاة بين تبرجها وتبرج نساء الجاهلية الأولى، فإن تبرجهن على أشكاله وصوره لم يكن إلا بداعي مراودة الرجال وطلب الزنا بهم كما ذكروه، فكذلك هي.

إذا أدركتَ هذا؛ تُدرك ما الذي قصده الأشتر من قوله لها: «**وتُلقي جلبابكِ وتُبدي للناس شُعَيْراتكِ**» فإنه فطن إلى أنها تريد الخروج متبرجة بقصد الفجور والخيانة!

وإذا أدركتَ هذا؛ تُدرك لمَ ذكَّرَتْها أم سلمة بضرورة: «**غَضِّ الأطراف وخَفَر الأعراض**» فإنها فطنت إلى أن الحميراء عازمة على مطارفة الرجال وإباحة عرضها لهم!

إن هذا القصد الخبيث الذي قصدته عائشة في طريقها إلى البصرة أسوأ وأبشع من قصدها إسقاط حكومة أمير المؤمنين عليه السلام، وإن تبرجها أعظم وأفحش من خروجها عليه. وهذا هو ما نصّ عليه أمير المؤمنين (عليه السلام) نفسه، في حديث أومأ فيه إيماءةً واضحةً إلى طلبها الزنا، حيث ألفَتَ إلى أن «**فاحشتها كانت عظيمة**»، وليست تلك الفاحشة مقتصرة على خروجها، «**فإن تبرجها أعظم من خروجها**»!

روى خاتمة المحدثين الميرزا النوري عن الإمام الصادق (عليه السلام) حديثاً طويلاً في احتجاج أمير المؤمنين (عليه السلام) على الخوارج، جاء فيه قوله: «**إنما أخرجوا عائشة زوج النبي صلى الله عليه وآله معهم لكراهتها بيعتي، وقد خبّرها رسول الله صلى الله عليه وآله بأن خروجها خروج بغي وعدوان، من أجل قوله تعالى: يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ**

مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ، وما من أزواج النبي صلى الله عليه وآله واحدةٌ أَتَتْ بفاحشة غيرها! فإن فاحشتها كانت عظيمة! أولها؛ خلافها في ما أمر الله في قوله عز وجل: وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ، فإن تبرّجها أعظم من خروجها»!(١)

تلك إذن هي الفاحشة المبيِّنة العظيمة التي ذكر الإمام (عليه السلام) أنه ما من أحدٍ من أزواج النبي (صلى الله عليه وآله) أتتْ بها غير عائشة، فإن فواحش غيرها إنْ كانت فإنها لم تبلغ في ظهورها وعلانيتها إلى الحد الذي بلغت إليه فاحشة عائشة حتى يصدق عليها أنها «**فاحشة مبيِّنة**»، ذلك أن فاحشتها لم تقتصر على الخروج بالسيف فحسب؛ بل اشتملت أيضاً على التبرّج تبرج الجاهلية الأولى حيث كانت النساء البغايا يراودن بتبرجهنّ الرجال طلباً للزنا على عادة أهل الجاهلية الجهلاء.

وأنت إذا تنبّهتَ إلى قول أمير المؤمنين عليه السلام: «**فإن فاحشتها كانت عظيمة! أولها؛ خلافها في ما أمر الله في قوله عز وجل: وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ، فإن تبرّجها أعظم من خروجها**» فإنك تستشعر منه أن تبرجها كان أوّلاً له ثان، أي أنه كان مقدمة لتاليه، ولا يكون هذا التالي إلا الزنا لأنه مقتضى تبرج الجاهلية الأولى، ولذا كان «**تبرّجها أعظم من خروجها**» فإنه مقدمة لتلك الفاحشة العظيمة التي لم تأتِ واحدةٌ بها غيرها. من هنا عبّرنا بأنه (صلى الله عليه) قد أومأ إلى طلبها الزنا إيماءة واضحة.

والمرأة التي تطلب؛ لا بد تجد مَن يلبّي! فمَن هو ذاك الذي عَلِمَ من تبرّجها في طريق البصرة أنها تطلب وتنتظر من يُطفئ لهيب شهوتها فلبّى طلبها؟ إن الباحث لا يتوقعه إلا أحد

(١) مستدرك الوسائل للميرزا النوري ج١١ ص٦٠ عن الخصيبي وسمّاه الحضيني. وقد سبق ذكره في الفصل الرابع ص٦٥٧ من هذا الكتاب.

المقربين منها ممن رافقها في هذا السفر الطويل وكان ذا منزلة في فؤادها كما كانت ذات منزلة في فؤاده. فمن هو هذا؟ ستعرفه في الآتي.

■ طلحة بن الصعبة.. ما الحب إلا للحبيب الأول!

طلحة بن عبيد الله التيمي، ابن عم عائشة، ما يعني أنه أحد الذين نشأوا في البيئة نفسها التي نشأت فيها وهي بيئة قبيلة تَيْم وزعيمها سمسار البغايا ابن جُدعان! وقد أسهبنا في هذه البيئة القول في الفصل الأول حيث وقفتَ على أنها كانت أقذر بيئة للعهر والدعارة والمجون في قريش.

روى أبو المنذر هشام بن الكلبي: «**كان ابن جُدعان يبيع الرقيق، وكان قد أمر جواريه أن لا تدفضن كفَّ لامس، فكانت رجالات قريش يقعْنَ عليهنّ فيلِدْنَ! فإذا سأل الجارية: من أبو ولدك؟ قالت: فلان! فربما وهبه لأبيه، وربما باعه من أمه، وربما باعه من أبيه، وربما باع أمه من غيره أو أمسكها، فلذلك كَثُر ماله**»![1]

كان طلحة ابناً لهذه المؤسسة التوليدية الشريفة! فقد كان أبوه دعيّاً مستلحَقاً أَلِفَ الزنا! وكانت أمه بغيّةً مستبضعةً من ذوات الرايات! وقد اختصم فيه أبوه عبيد الله وأبو سفيان، كلٌّ منهما يدّعي أن طلحة ابنه لأنه وقع على أمه ليلة كذا!

قال أبو الصلاح الحلبي أن طلحة «**قدحوا في نسبه بأن أباه عبيد الله كان عبداً راعياً بالبلقاء** (وهي بالشام) **فلحق بمكة، فادّعاه عثمان بن عمرو بن كعب التيمي، فنكح الصعبة بنت دَزْمُهْر الفارسي، وكان بعث به كسرى إلى اليمن، فكان بحضرموت خرّازاً. وفيه يقول حسان بن ثابت:**

---

(١) مثالب العرب لهشام بن الكلبي ص٣٩، ولا تدفض: لا تكسر. كناية عن قبول الزنا والزناة.

ألم تَــــرَ أنَّ طَلْحَـــــةَ في قُـــــريْشٍ بَـــــةَّ مـــــن الغَطارِفَـــــةِ العِظـــــامِ
وكـــــان أَبـــــوهُ بالبَلْقـــــاءِ عَبْـــــداً في يَـــدِهِ الـــشَّوْكُ في جُـــنَحِ الظَّـــلامِ
هــو العَبْــدُ الــذي جَلَــبَ ابــنُ سَــعْدٍ وعـــــثمانُ مـــــن آل بَلَـــــدِ الـــــشّامِ

وقول الآخر:

بنـــي دَزْمُهْـــرَ والـــدَّعِيِّ أبـــوهمُ رجيـــعٌ قَـــدْ أُلْـــصِقَتْ بالأَكـــارعِ
فَـأنتُم ببيْـعِ اللَّحْـمِ أَحْـذَقُ مـنكمُ بقَرْعِ الكَمْأَةِ بالـسُّيوفِ القَواطـعِ»[(١)]

وتعليقاً على قول عمرو بن العاص في طلحة: «**إن ابن الصعبة ترك مئة بُهار، في كـل بُهـار ثلاثة قناطير ذهب وفضة**»! قال الزمخشري: «**ابن الصعبة: طلحة بن عبيد الله، أضـافه إلى أمـه وهي الصعبة بنت الحضرمي، وكانت قبل عبيـد الله تحـت أبي سـفيان بـن حـرب (...) وإنـما أضافه إليها غضّاً منه، لأنها لم تكن في ثقابة نسب**»![(٢)]

---

(١) تقريب المعارف لأبي الصلاح الحلبي ص٣٣٨. «**بَةَّ من الغطارفـة العظـام**» معنـاه أن طلحـة صـار أنبـلَ وأشرفَ من السادة الأشراف العظام! والحال أنه وضيع النسب كان أبوه عبدٌ يجمع الشوك في البلقاء! «**رجيـعٌ قد أُلصِقَتْ بالأكارع**» معناه أنهم روْثٌ أو خُرْءٌ قد التصق حين خروجه من الدبر بـها دون الركبـة إلى الكعـب فهم من أحقر وأوسخ الأدعياء! «**فأنتم ببيع اللحم أحذق منكم بقرع الكمأة بالسيوف القواطع**» تهكم معنـاه أنكم لا تجيدون شيئاً ولذا أنتم أحذق وأمهر ببيع اللحم من قرع الكمأة - وهي نبات معروف في الصحراء - بالسيوف القواطع!

(٢) الفائق للزمخشري ج١ ص١٤٠. البُهار: حِمْلٌ يبلغ ثلاثمئة رطل بالقبطية، وهـذا يكـشف كـمْ كـان هـذا اللعين يكتنز من الذهب والفضة ثروة هائلة! وأما «**لم تكن في ثقابة نسب**» فمعناه أنه لم يكن لهـا نـسب مـضيء شريف.

لطالما عُيِّرَ طلحةُ بأمه الصعبة هذه، فكان الناس إذا أرادوا إهانته والغض منه نسبوه إليها قائلين: «**ابن الصعبة**» أو «**ابن الحضرمية**»، وذلك لما عرفتَ من أن أمه كانت بنتاً لدزمهر الفارسي الذي استوطن **حضرموت** في اليمن بأمر من كسرى، وقد صارت بعدُ من ذوات الرايات والعاهرات المعروفات حين انتقلت إلى مكة حيث نكحها عبيد الله، ذلك العبد الذي ادّعاه عثمان بن عمرو التيمي بعدما جيء به من الشام.

ومن صور ذلك التعيير والقدح؛ ما رواه أبو جعفر الإسكافي من أن أمير المؤمنين (عليه السلام) كان يقول: «**لحا الله ابن الصعبة! أعطاه عثمان ما أعطاه وفعل به ما فعل**»![1]

وكان عثمان قد أعطى طلحة خمسين ألفاً، وكان جزاؤه عند طلحة أنه حرّض على قتله! ولذلك كان عثمان يقول قبيل مقتله: «**ويلي على ابن الحضرمية! أعطيته كذا وكذا بُهاراً ذهباً وهو يروم دمي يحرّض على نفسي**»![2] وواجهه ذات مرة قائلاً له: «**يابن الحضرمية! أَلَّبْتَ عليَّ الناس ودعوتهم إلى قتلي حتى إذا فاتك ما تريد جئت معتذراً**»![3] وكذا عاب عثمان طلحة بأمه حين استولى الأخير على بيت المال، إذ أرسل إلى أمير المؤمنين عليه السلام: «**أما إنك أولى بالأمر من ابن الحضرمية! فلا يغلبنّكَ على أمة ابن عمك**»![4]

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج٢ ص١٦١، ولحا الله: قبّح الله ولعن، فهذا دعاء من أمير المؤمنين (عليه السلام) على طلحة بأن يلعنه الله ويقبّحه.

(٢) المصدر نفسه ج٩ ص٣٥

(٣) أنساب الأشراف للبلاذري ج٢ ص٢٨٨ وتاريخ المدينة لابن شبة ج٤ ص١١٩٨

(٤) الكافئة للمفيد ص٨

وحين أمر أمير المؤمنين (عليه السلام) بإدخال الماء إلى عثمان حيث حوصر ومُنع منه؛ قال طلحة: «**والله لا أفعل! وما أنتَ من ذلك في شيء يا علي! فقام علي غضبان وقال: ستعلم يابن الحضرمية أكون في ذلك من شيء أم لا**»![1]

وفي موقف سابق؛ أراد طلحة أن يفرّ إلى الشام حيث صديقه النصراني بعدما كُسر المسلمون يوم أُحُد حيث خَشِيَ على نفسه، فاستأذن رسول الله (صلى الله عليه وآله) في ذلك مدّعياً أن له في الشام مالاً أخذوه! فغضب أمير المؤمنين (عليه السلام) وقال: «**يا رسول الله؛ ائذن لابن الحضرمية! فوالله لا عزّ مَن نصر ولا ذَلَّ مَن خذل**»![2]

ويوم بيعة أمير المؤمنين (عليه السلام) قال الأشتر للجمع: «**أَ تنتظرون أحداً؟! قم يا طلحة فبايع. فتقاعس. فقال: قم يابن الصعبة! وسلَّ سيْفه! فقام طلحة يجرُّ رِجْلَه حتى بايع**»![3]

وقد مرّ عليك في الفصل الرابع قول عثمان بن حُنيف (رضوان الله تعالى عليه) لطلحة بعدما شتمه الأخير شتماً قبيحاً ذكر فيه أمه: «**وإن الأمر بيني وبينك يا ابن الصعبة أعظم من**

(١) الجمل للمفيد ص١٤٥ وتاريخ المدينة لابن شبة ج٤ ص١٢٠٢. وكان منع الماء عن الخصم أو العدو من عادات الجاهلية التي أبطلها الإسلام، ولذا أمر أمير المؤمنين (عليه السلام) بأن يُرسل الماء إلى عثمان مع أنه كان ظالماً، رأفةً بنسائه وعياله، بل إن أمير المؤمنين (عليه السلام) لم يمنع الماء معاوية وأصحابه يوم صفين رغم أنه قد اقتُرِح عليه ذلك، وهكذا هي أخلاق النبي وآله الأطهار عليهم الصلاة والسلام.

(٢) عين العبرة للسيد أحمد آل طاووس عن السدي.

(٣) شرح النهج لابن أبي الحديد ج٤ ص٧ عن الأوائل لأبي هلال العسكري، غير أن في النسخة المطبوعة من الأوائل ص٥٨ حُذفت عبارة: «**فتقاعس. فقال: قم يابن الصعبة! وسلَّ سيْفه**»! وتلك من التزويرات والخيانات الأدبية المعهودة لدى الطائفة البكرية.

القول»![(١)]

فهؤلاء جميعاً عيّروا طلحة بأمّه هذه، الصعبة الحضرمية، وذلك لأن رائحة عهرها أزكمت أنوف الجميع! كيف لا وقد تناوب على النزو عليها رجالٌ ورجالٌ، حتى لمّا وُلِد طلحة تنازع عليه عبيد الله وأبو سفيان كما مرّ، فحسمت المرأة التنازع بأن ألحقته بعبيد الله مع أنه أقرب إلى أبي سفيان! وما ذلك إلا لأن عبيد الله كان يُنفق عليها أكثر فأحبّت أن تُلحق ابنها به حتى يستمر في الإنفاق عليها! ومع ذلك ظلّ أبو سفيان عاشقاً لها! وظلّ يعتبر طلحة ابنه حتى أنه لم يكن يرضى بأن ينال أحدٌ منه أو يمسّه بشعرة مؤكداً أنه ابنه من عشيقته ومستشهداً على ذلك أحد المعمّرين الخبراء بالأنساب!

قال أبو المنذر هشام بن الكلبي في باب (**تسمية ذوات الرايات وأمهاتهن ومَن ولدن**): **«وأما صعبة فهي بنت الحضرمي، كانت لها راية، فاستبضعت بأبي سفيان فوقع عليها! وتزوجها عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم، فجاءت بطلحة بن عبيد الله لستة أشهر، فاختصم أبو سفيان وعبيد الله في طلحة فجعلوا أمره إلى صعبة، فألحقته بعبيد الله! فقيل لها: تركتِ أبا سفيان! فقالت: يد عبيد الله طَلِقَة ويد أبي سفيان نكرة! فقال حسان ابن ثابت وعتب على طلحة:**

فيا عجباً من عَبْدِ شَمْسٍ وتَرْكِها … أخاها ذُنابى بَعْدَ ريشِ القَوادِمِ

قال: وكان أبو سفيان يعشقها بعد ذلك! وقال فيها:

وإنّي وَصَعْبَةُ في ما نرى … بَعيدانِ والوَدودُ قَريبُ

فإنْ لمْ يَكُنْ نَسَبٌ ثاقِبٌ … فعِنْدَ الفتاةِ بَهاءٌ وطِيْبُ

---

(١) راجع ص٥٦١ من هذا الكتاب.

فَمَـــنْ لامَنـــي اليـــومَ في حُبِّهـــا يحـــاوِلُ رَمْـــساً عليـــهِ الجُنـــوبُ

وقال عمرو التيمي لبني طلحة:

أَنْـــتُمْ جَـــوْهَرَةٌ لـــوْلا الـــذي نـالَكُمْ مِـنْ لَطْـخِ بِنْـتِ الحَـضْرَمي
مِـــسْكَةٌ ومَعجونَـــةٌ في جيفَـــةٍ! غَلُـبَ النَّـتَنُ عـلى المِسْكِ الزَّكـي!
فاصـــدِقونا قَوْمنـــا أَنْـــسابَكُمْ وأقيمونـــا عـــلى الأمْـــرِ الجَـــلِي
لعُبَيْـــــدِ الله أنـــــتُمْ مَعْــــشَرٌ أَمْ أبي سُـــــفيانَ ذاكَ الأُمَـــــوي؟
قُلـــتُمْ: إنّـــا كِـــرامٌ ســـادَةٌ قلـتُ: فالكـاذِبُ منّـا قُـصَمي»[(١)]

وروى هشام عن أبيه قال: «**افترى طلحة بن عبيد الله على الوليد بن عقبة، فغضب عثمان له وأراد ضرب طلحة، فغضب أبو سفيان وقال: هذا ثوْبُ بن تِلْدَة فَسَلْهُ إنْ كنتَ لا تعلم! فسكت عثمان. قال هشام: وإنما غضب أبو سفيان لأن أم طلحة كانت عند أبي سفيان، وكان بعض الناس ينسبه إليه**»![(٢)] وصدق رسولنا الأكرم (صلى الله عليه وآله) حين قال: «**يا علي لا يبغضك من قريش إلا سفاحي، ولا من الأنصار إلا يهودي، ولا من العرب إلا دعي**»![(٣)]

---

(١) مثالب العرب لهشام بن الكلبي ص٢٢ وما بعدها. وقول حسان: «**فيا عجباً من عَبْدِ شَمْسٍ وتَرْكِها أخاها ذُنابى بَعْدَ ريشِ القَوادِمِ**» يعبّر فيه عن تعجبه من بني عبد شمس - وهم بنو أمية وأبي سفيان - كيف تركوا أخاهم - أي طلحة - ذَنَباً لغيرهم والحال أنه منهم!

(٢) المصدر نفسه ص٥٨، وثوْبُ بن تِلْدَة هو المعمّر ذو الخبرة في الأنساب، وقد ذكره أبو سفيان لعثمان حتى يتأكد الأخير منه أن طلحة ابنه فيدرأ عنه الضرب بعدما افترى على الوليد. أي أن أبا سفيان كان أكثر غيرة على طلحة التيمي منه على الوليد الأموي، وما ذاك إلا لأنه يعلم أن طلحة أموي واقعاً وهو ابنه!

(٣) علل الشرائع للصدوق ج١ ص١٤٣، وراجع ص٢٠٢ من هذا الكتاب.

هذا حال الأم؛ وأما حال الأب - أعني عبيد الله - فقد كان زانياً لا يكتفي بصعبة؛ بل يتردّد على غيرها من ذوات الرايات، **ككريمة** التي أنجب منها **ذرّاً** أخا طلحة!

قال ابن الكلبي في باب (**تسمية ذوات الرايات وأمهاتهن ومن ولدن**): «**وأما كريمة فوقع عليها عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم، فولدت له ذر بن عبيد الله أخا طلحة بن عبيد الله**»!(١)

وأفظع من هذا؛ كان عبيد الله ممن يتخنّث وتنكحه الرجال وتلعب به! فقد روى ابن الكلبي في باب (**البغائين والمخنثين**) عن أبيه قال: «**كان ممن يُلْعَبُ به ويتخنّث عبيد الله أبو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب! وولده بالمدينة والكوفة**».(٢)

طلحة إذن هو ابن هذين؛ أمٌّ مومس بغيّة وأبٌ زانٍ ملوطٌ يُلعب به، ولعله لا يكون أباه الحقيقي بل أبو سفيان، إلا أنه على كل حال قد تربّى في كنفه. فكيف يُتوقّع أن تكون صفات الذي يولد في وسط أسرة تموج بالعهر والفجور وبيئة ملؤها الدعارة والفساد كهذه؟! لا ريب في أنه يُجبل على ما كان عليه أهله وذووه من الرذائل والموبقات.

وقد حدثنا التاريخ أن طلحة كان رجلاً شهوانياً لا يبالي بشيء حين يروم إشباع فرجه! حتى أنه في نزوة من نزواته ترك دين الإسلام وتهوَّدَ من أجل أن تقبل به يهودية عشقها وأراد أن ينكحها!

روى أبو الصلاح الحلبي: «**أن طلحة عشق يهودية، فخطبها ليتزوجها، فأَبَتْ إلا أن يتهوّد ففعل! وفيه قال الشاعر**:

---

(١) المصدر نفسه ص٢٢

(٢) المصدر نفسه ص٢٠

يهوديَّــةٌ قالــت وأَوْمَــتْ بِكَفِّهــا   حَــرامٌ عليْـكَ الـدَّهْرَ حتـى تَهَـوَّدا

وقال عثمان لطلحة وقد تنازعـا: والله إنـك أول أصـحاب محمـد تـزوج بيهوديـة! فقـال طلحة: وأنت والله لقد قلتَ: ما يحبسنا ههنا! ألا نلحق بقومنا»؟![1]

وروى البيهقي ما يؤكد ذلك عن أمير المؤمنين (عليه السلام) حيث قال: «**تـزوج طلحـة يهودية**»[2] إلا أنه اقتطع منها ما اقتطع على ما يبدو.

وكذا روى عبد الرزاق الصنعاني عن عامر بن عبد الرحمن بن نسطاس: «**أن طلحـة ابـن عبيد الله نكح بنت عظيم اليهود! قال: فعزم عليه عمر إلا ما طلّقها**».[3] وهي مُشعرة بـصدق ما رواه الحلبي إذ البنت بنت عظيمهم، فلا يبعد أنها وأباها اشترطا عليه أن يتهـوّد أولاً حتـى ينكحها ففعل بدافع العشق والغرام!

وفي نزوة أخرى من نزواته؛ أقدم طلحة على الزواج بمن عُدَّتْ أخته من الزنا! فقد روى ابن الكلبي: «**تزوج طلحة بعد ذلك في الإسلام بنت أبي سفيان بن حرب، فقال أهـل المدينـة: إن الحـرام لا يحللـه الحـلال**»![4] ومـرادهم أن أبـا سـفيان قـد نكـح أم طلحـة - الـصعبة الحضرمية - بالحرام فولدت طلحة الذي كان يطالب بـه أبـو سـفيان ويعتـبره ابنـه، غـير أن الصعبة حكمت به إلى عبيد الله، وكان كل ذلك في الجاهلية، فلما جاء الإسلام أقرّ بنوة طلحة لعبيد الله لأنـه يجُـبُّ مـا كـان قبلـه ويحكـم بالولـد للفـراش وللعـاهر الحجـر، فـلا يكـون أبو سفيان أباً لطلحة ولا أبناؤه إخوة له، غير أن زواج طلحة ببنته وإن كان حلالاً من حيـث

(١) تقريب المعارف لأبي الصلاح الحلبي ص٣٣٨

(٢) سنن البيهقي ج٧ ص١٧٢

(٣) مصنف عبد الرزاق الصنعاني ج٦ ص٧٩، وأشار إلى هذه القضية الماوردي في النكت والعيون ص١٥٨

(٤) مثالب العرب لابن الكلبي ص٢٧، والبنت هي **فارعة بنت أبي سفيان** كما ذكره في الإصابة ج٣ ص٤٣٢

صورة العقد - لانتفاء المانع - إلا أنه لا يحلّل ما جرى في الجاهلية ولا ينفي - بالقطع واليقين - واقعية كون بنت أبي سفيان أخته، فيؤول الحكم إلى المنع من هذا الزواج على الاحتياط الشرعي، كما دلّت عليه رواية البخاري المتقدّمة في الفصل الثالث في قصة ابن وليدة زمعة، حيث أمر (صلى الله عليه وآله) سودة بأن تحتجب منه رغم أنه أخوها حكماً.[1]

ومهما يكن؛ فإن رجلاً لا يأبه بالاحتياط الشرعي ولا يكترث بكلام أهل المدينة ولا يتحرّج من أن ينكح ابنة الذي يقول: «أنا والدك»؛ هو لا شك رجلٌ مهووس بالفروج لا يمنعه حكم شرعي أو عرفي من أن يُقدم على أي شيء لإشباع شهوته!

ورجلٌ يكون على هذه الجِبْلة لا يبعد منه الذي أقدم عليه في طريقه إلى البصرة مرافقاً لعائشة، إذ عرض عليها الزواج بدعوى أنه لا يحلّ لها أن تخرج بغير محرم! فما كان من الحميراء إلا أن استجابت لهذا العرض ومكّنته من نفسها! وكيف لا تفعل وهو ابن عمها العاشق لها من قديم الزمان؟!

في تفسير الآية الحادية عشرة من سورة التحريم قال علي بن إبراهيم القمي رضوان الله تعالى عليهما: «**ثم ضرب الله فيهما مثلاً فقال: ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا. فقال: والله ما عنى بقوله: فَخَانَتَاهُمَا؛ إلا الفاحشة! وليقيمنَّ الحدّ على عائشة في ما أَتَتْ في طريق البصرة، وكان طلحة يحبّها! فلمّا أرادت أن تخرج إلى البصرة قال لها طلحة: لا يَحِلُّ لكِ أن تخرجي من غير محْرَمْ! فزوَّجَتْ نفسها من طلحة**»![2]

---

(١) راجع ص٥٣٦ من هذا الكتاب.

(٢) تفسير القمي ج٢ ص٣٧٧ وعنه بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج٢٢ ص٢٤٠ وتفسير نور الثقلين للحويزي ج٥ ص٣٧٥ وتفسير كنز الدقائق للمشهدي ج١٣ ص٣٧٥ وغيرها كثير. والذي يقيم الحد هو =

كان طلحة منذ القديم متيّماً بعائشة، وكانت أمنيته أن ينكحها بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد صرّح بذلك في حياته فآذاه وأغضبه ونزل قوله تعالى: «**وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمًا**».[١]

قال البغوي وابن عادل في تفسير هذه الآية: «**نزلت في رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال: لئن قُبِض رسول الله لأنكحنَّ عائشة! قال مقاتل بن سليمان: هو طلحة ابن عبيد الله! فأخبره الله عز وجل أن ذلك محرَّم، وقال: إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمًا، أي ذنباً عظيماً**».[٢]

وروى ابن سعد عن أبي بكر بن عمرو بن حزم: «**نزلت في طلحة بن عبيد الله لأنه قال: إذا توفي رسول الله تزوَّجْتُ عائشة**»![٣]

وروى ابن كثير عن ابن عباس: «**نزلت في رجلٍ همَّ أن يتزوج بعض نساء النبي صلى الله عليه وسلم بعده. قال رجلٌ لسفيان: أَ هي عائشة؟ قال: قد ذكروا ذلك! قال مقاتل بن حيان وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وذكره بسنده، عن السُّدِّي أن الذي عزم على ذلك طلحة ابن عبيد الله**»![٤]

= مولانا صاحب الأمر (صلوات الله عليه وعجل الله فرجه الشريف) كما سبقت الإشارة إليه في الفصل الثاني، حيث ستُعاد عائشة إلى الحياة في زمن الرجعة ويضربها حدّيْن، إحداهما لفريتها على أم إبراهيم (عليهما السلام) والثاني هو هذا لتمكينها طلحة من الزنا بها في طريق البصرة.

(١) الأحزاب: ٥٤

(٢) تفسير البغوي ج٦ ص٣٧١ وتفسير اللباب لابن عادل ج١٣ ص١٠٥

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ج٨ ص٢٠١

(٤) تفسير ابن كثير ج٣ ص٥١٣

وروى القرطبي عن معمر عن قتادة: «**إن رجلاً قال: لو قُبِضَ رسول الله تزوّجتُ عائشة! فأنزل الله: وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ.. الآية. ونزلت: وَأَزْوَاجه أُمَّهَاتهمْ. قال مقاتل: هو طلحة بن عبيد الله! (...) وقال ابن عطية: رُوي أنها نزلت بسبب أن بعض الصحابة قال: لو مات رسول الله صلى الله عليه وسلم لتزوّجتُ عائشة! فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأذّى به**».[1]

وروى الرازي أن طلحة قال: «**لئن عشتُ بعد محمد لأنكحنّ عائشة**»![2]

والقضية مشهورة شهرة عظيمة، وقد نصّ عليها جمع كبير من مفسّري وأعلام أهل الخلاف، كالسمرقندي في بحر العلوم، والماوردي في النكت والعيون، وابن الجوزي في زاد المسير، والفيروزابادي في تفسيره، وابن عبد السلام في تفسيره، والخازن في لباب التأويل، والسيوطي في الدر المنثور، والغرناطي في التسهيل، وبدر الدين العيني الحنفي في عمدة القاري، وابن الأثير في أُسد الغابة، وابن حجر في الإصابة، وابن الملقن في غاية السُؤَل، وغيرهم كثير فراجع تفاسيرهم ومصنفاتهم.[3]

---

(١) تفسير القرطبي ج١٤ ص٢٢٨، وقال محاولاً تنزيه طلحة من هذا الإثم: «**وكذا حكى النحاس عن مَعْمَر أنه طلحة، ولا يصح! قال ابن عطية: لله دَرُّ ابن عباس. وهذا عندي لا يصح على طلحة بن عبيد الله! قال شيخنا الإمام أبو العباس: وقد حُكِيَ هذا القول عن بعض فضلاء الصحابة، وحاشاهم عن مثله! والكذب في نقله، وإنما يليق مثل هذا القول بالمنافقين الجهال**»! فانظر كيف ردّوا رواياتهم التي يروونها بأنفسهم لأنهم لم يتحملوا ثبوت هذا القول الشنيع الذي يدل على نفاق طلحة! وردّهم كما ترى لا يستند إلى دليل بل هو نابع من هواهم في طلحة فقط، و الحب يُعمي ويُصم!

(٢) تفسير الرازي ج١٢ ص٣٧٢

(٣) وبعضهم لم يجد مفرّاً من شناعة الأمر إلا دعوى أن طلحة تاب وكفّر عمّا صنع بعتق رقبة والتصدق بمال عظيم والحج ماشياً! فقد قال أبو حيان في البحر المحيط: «**وفي التحرير أنه طلحة، فنزلت: وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا** =

وبعض مفسّريهم لجأ إلى التعمية على اسمي طلحة وعائشة بإحلال كلمتيْ «**رجل**» و«**فلانة**» محلهما! ومن هؤلاء الطبري الذي قال في تفسيره: «**وذُكِر أن ذلك نزل في رجلٍ كان يدخل قبل الحجاب! قال: لئن مات محمد لأتزوجنَّ امرأة من نسائه سمّاها! فأنزل الله تبارك وتعالى في ذلك: وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا. ذِكْرُ مَن ذكر ذلك: حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد في قوله: وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمًا؛ قال: ربما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن الرجل يقول: لو أن النبي توفي تزوَّجْتُ فلانة من بعده! قال: فكان ذلك يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم**».(١)

وأنت إذا لاحظتَ قول الطبري: «**نزل في رجلٍ كان يدخل قبل الحجاب**» تفهم أن طلحة كان يدخل على عائشة قبل نزول آية الحجاب، أي أنه كان على تواصل ما معها في غياب رسول الله صلى الله عليه وآله! فلا غَرْوَ أن الآية نزلت لأجل ذلك، ولا شك أنه (صلى الله عليه وآله) قد وقف على هذا الأمر القبيح فمنعه، وعندئذ ثارت ثائرة طلحة وصمّم على أن ينكح عائشة انتقاماً من النبي (صلى الله عليه وآله) الذي منعه من الدخول عليها!

وهذا هو ما صرّحتْ به روايات أهل الخلاف أيضاً، ففي تفسير الطبراني: «**قوله تعالى: وَلاَ أَن تَنكِحُواْ أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَداً؛ نزل في طلحة بن عبيد الله، قال: ينهانا محمد أن ندخل**

= **أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا، فتاب وأعتق رقبة، وحمل على عشرة أبعرة في سبيل الله، وحج ماشياً**»! وهكذا هو حال المخالفين دوماً، كلما ثبت شيء من مثالب سادتهم أتبعوه بزعمهم: «قد تابوا»! فطلحة تاب من رغبته في عائشة! وعائشة تابت من ركوبها الجمل! ويزيد تاب من قتل الحسين عليه السلام! وصدام تاب من آثامه وجرائمه! فيا لله وللتوبة!

(١) تفسير الطبري ج٢٢ ص٥٠

على بنات أعمامنا؟! - يعني عائشة وهما من بني تَيْم بن مُرَّة - فلئن مات وأنا حيٌّ لأتـزوجنَّ عائشة»![١]

وفي تفسير مقاتل بن سليمان: «**ثم أعلمهم الله أنه يعلـم سِرَّهـم وعلانيـتهم، فقـال: ﴿إِن تُبْدُواْ﴾ إنْ تُظهروا ﴿شَيْئاً﴾ من أمركم، يعني طلحة لقوله: يمنعنـا محمـد مـن الـدخول عـلى بنات عمنا؟! فأعلن هذا القول، ثم قال: ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ يعني أو تُسِرُّوه في قلوبكم، يعني قوله: لأتزوجنَّ عائشة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم»!**[٢]

وجرياً على عادتهم؛ قام بعضهم بالتعميـة عـلى اسـمي طلحـة وعائـشة! ففـي تفـسيريْ الزمخشري والنـسفي: «**وذُكِـرَ أن بعـضهم قـال: أَنُنهـى أن نكلّـم بنـات عمّنـا إلا مـن وراء حجاب؟! لئن مات محمد لأتزوّجنَّ فلانة»!**[٣]

وتفصيل الأمر نجده في تفاسير أخرى، فيها أن رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه) وقـع ذات مرة على طلحة وعائشة وهما يتناجيان، فزجر طلحة وأمره أن لا يقـوم هـذا المقـام بعـد يومه هذا، فحاول اللعين أن يُبرئ نفسه ويعتذر بأنها ابنة عمه ولم يجرِ بينهما كلام منكر! إلا أن النبي (صلى الله عليه وآله) كرّر زجره وبيّن له أن غيرته لا تسمح له بأن يقبل بوقوع مثل هذا. فغضب طلحة وولّى قائلاً: «**يمنعني من كلام ابنة عمي! لأتزوّجنّها من بعده»!**

قال السيوطي والشوكاني: «**أخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عـن ابـن عبـاس رضي الله عنهما في قوله: وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ الله؛ قال: نزلت في رجـلٍ هَـمَّ أن يتـزوج بعـض**

---

(١) التفسير الكبير للطبراني - نسخة إلكترونية عن المطبـوع، وثمـة مـن ينـسبه للغزنـوي الحنفـي وآخـر إلى الحداد الحنفي.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان ج٣ ص٩٠، وهو من أقدم التفاسير.

(٣) تفسير الزمخشري ج٥ ص٣٤٥ وتفسير النسفي ج٣ ص٣١٣

نساء النبي صلى الله عليه وسلم بعده. قال سفيان: ذكروا أنها عائشة رضي الله عنها. وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رجلٌ: لئن مات محمد لأتزوّجنَّ عائشة. فأنزل الله: وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ. وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال: بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلاً يقول: إنْ توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوّجتُ فلانة من بعده، فكان ذلك يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم فنزل القرآن: وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ. وأخرج ابن أبي حاتم عن السُّدّي رضي الله عنه قال: بلغنا أن طلحة بن عبيد الله قال: أَ يحجبنا محمد عن بنات عمّنا ويتزوج نساءنا من بعدنا؟! لئن حدث به حدثٌ لنتزوجنّ نساءه من بعده! فنزلت هذه الآية. وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة رضي الله عنه قال: قال طلحة بن عبيد الله: لو قُبِضَ النبي صلى الله عليه وسلم تزوَّجْتُ عائشة! فنزلت: وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ. وأخرج ابن سعد عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم في قوله: وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ؛ قال: نزلت في طلحة لأنه قال: إذا توفي النبي صلى الله عليه وسلم تزوَّجْتُ عائشة رضي الله عنها. وأخرج البيهقي في السنن عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رجلٌ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: لو قد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوَّجْتُ عائشة أو أم سلمة. فأنزل الله: وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللهِ. وأخرج ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رجلاً أتى بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فكلّمها وهو ابن عمها! فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا تقومَنَّ هذا المقام بعد يومك هذا. فقال: يا رسول الله؛ إنها ابنة عمي! والله ما قلتُ لها منكراً ولا قالت لي! قال النبي صلى الله عليه وسلم: قد عرفتُ ذلك إنه ليس أحدٌ أغيَرُ من الله، وإنه ليس أحد أغيَرُ مني. فمضى ثم قال: يمنعني من كلام ابنة عمي! لأتزوجنّها من بعده»![١]

(١) تفسير السيوطي ج٦ ص٦٤٣ وفتح القدير للشوكاني ج٤ ص٢٩٩، واللفظ للأول.

ويبدو أن الجملة التي نطق بها طلحة لم تقتصر على قوله: «**لأنكحنّ عائشة.. لأتزوجنّ عائشة**» بل تعدّت ذلك إلى ما فيه مزيد وقاحة وبذاءة، فقد روى ابن أبي الحديد عن الجاحظ أن طلحة قال يوم نزلت آية الحجاب: «**ما الذي يعنيه حجابهنَّ اليوم وسيموت غداً فننكحنَّ**»![1] وروى العلامة المجلسي أنه قال: «**يحرِّمُ محمد علينا نساءه ويتزوّجُ هو بنسائنا! لئن أماتَ الله محمداً لنَرْكُضَنَّ بين خلاخيل نسائه كما ركض بين خلاخيل نسائنا**»![2] وروى السدي أنه قال: «**أَ ينكح محمد نسائنا إذا متنا ولا ننكح نساءه إذا مات؟! والله لئن مات لأجَلْنا على نسائه بالسهام**»![3]

إن هذه الكلمة التي نطق بها طلحة جعلت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يرتحل إلى جوار ربه وهو ساخط عليه، وقد كشف ذلك عمر بن الخطاب حين خاطب طلحة قائلاً: «**أما إني أعرفك منذ أصيبت إصبعك يوم أحد وائياً بالذي حدث لك! ولقد مات رسول الله صلى الله عليه وآله ساخطاً عليك بالكلمة التي قُلتَها يوم أُنزلتْ آية الحجاب**»![4]

والحاصل مما تقدّم؛ أنّا علمنا أن طلحة كان متيّماً بابنة عمه عائشة، وكان يلتقيها خلسة ويتواصل معها، وقد أقسم على أن ينكحها، وهو رجلٌ لا يتورّع عن شيء من الحرام في سبيل إشباع شهوته، ولذا تهوّد من أجل فتاة وتزوّج ممن عُدّت أخته من الزنا، وهو بعدُ سليل أسرة خبيثة غارقة في أوحال الرذيلة.

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج١ ص١٨٥ عن الجاحظ.

(٢) بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج١٧ ص٢٧، والخلاخيل جمع الخَلخال وهو ما تلبسه المرأة من الأسورة والحلي، وكلمته هذه كناية قبيحة عن المضاجعة.

(٣) عين العبرة للسيد أحمد بن طاووس ص٢٩ عن السدي، والعبارة قبيحة بها نأنف من شرحه.

(٤) شرح النهج لابن أبي الحديد ج١ ص١٨٥ عن الجاحظ. ووائياً: ضَجِراً.

هذا من جانب طلحة؛ وأما من جانب عائشة، فقد علمنا أنها كانت امرأة نهمة إلى الرجال شغوفة بهم، وقد تعمّدت التبرّج والتعرّض لهم في طريقها إلى البصرة، وهي امرأة لا تتورّع أيضاً عن شيء من الحرام في سبيل إشباع شهوتها. وقد عرف القاصي والداني أنها كانت تهوى ابن عمّها طلحة، وتستميت لأجل أن يتسنّم الحكم، ولذا قال المقدسي: «**وكان هواها في طلحة**»[1] وحين ظنّت أنه صار قاب قوسين أو أدنى من بلوغ الخلافة؛ أطلقت تلك العبارات التي أفصحت عما يجيش في صدرها من حبه، من قبيل قولها: «**إيهٍ ذا الإصبع! إيهٍ أبا شبل! إيهٍ يابن عم! لكأني أنظر إلى إصبعه وهويبايع له! إيهٍ ذا الإصبع! لله أبوك! أما إنهم وجدوا طلحة لها كفواً**»![2]

والإثنان ابنا عمّ وُلدا في وسط مجون ودعارة، وكانا على علاقة تواصل خاص منذ القديم حيث كان طلحة يدخل عليها حتى نهره النبي صلى الله عليه وآله، وقد اجتمعا الآن معاً في سفر طويل من مكة إلى البصرة، وجرى بينهما فيه ما دوّنه المؤرخون من المجالسات المباشرة والكلام المتبادل، وهذا كفيل بإحياء مشاعر الحب القديم وبث الروح فيها. وهما بعدُ يريان نفسيْهما مبسوطيْ اليد ليس لأحد عليهما ولاية ولا سلطان، فأَمِنا العقاب وأطلقا لنفسيْهما العِنان في ما يشتهيان، ومن هنا وقعت الفاحشة بينهما!

وإن أي منصف حر يتبحّر في التاريخ ويرى كل هذه العوامل في تحقق انجذاب كلٍّ من طلحة وعائشة إلى الفجور، وانجذابهما إلى بعضهما بعضاً في السياق نفسه؛ لا يتسلّل إليه الشك في صدق ما رواه الثقة الأمين علي بن إبراهيم القمي (رضوان الله تعالى عليهما) من أن عائشة وطلحة فَجَرا في طريق البصرة.

---

(١) البدء والتاريخ للمقدسي ص٣٢٠، وقال فيه: «**وكانت عائشة تؤلِّب على علي وتطعن فيه**»!

(٢) راجع ص٦٥٧ من هذا الكتاب.

والملاحَظ ههنا أن شَنّاً وافق طبقة، فكما أن عائشة استباحت الخلوة بالفتيان والرجال بعذر رضاع الكبير مع أنه غير جائز إذ لا رضاع بعد الفطام ولا يترتّب عليه أثر؛ كذلك استباح طلحة وطء عائشة بعذر الزواج بها مع أنه غير جائز إذ هي محرّمةٌ عليه ولم تُطَلَّق بعدُ من رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالوكالة الخاصة الممنوحة منه لأمير المؤمنين (عليه السلام) على ما سبق بيانه في الفصل الثاني، إذ إن طلاقها تأخر إلى عهد الحسين عليه السلام، وعلى الجمع بين الروايات الذي ذكرناه هناك، كان طلاقها الخفي بعد الجمل لا قبله.[1]

ثم إنها محرّمةٌ على طلحة لسبب آخر؛ وهو كونه زوج أختها **أم كلثوم بنت أبي بكر**، فزواجه بعائشة معناه أنه جمع بين الأختيْن! ولم يحكِ أحدٌ من المؤرخين أو أصحاب السِّيَر أن طلحة طلّق أم كلثوم قبل مسيره إلى البصرة.

والشيء بالشيء يُذكر، فإن لطلحة من أم كلثوم بنت سمّاها عائشة، وقد ذكروا في أحوالها أنها كانت أشبه الناس بخالتها عائشة، وكانت ملازمةً لها بل قد تربّت في كنفها وروت عنها. ويهمّك أن تعرف أنها ورثت عن خالتها صفة حب التعرض للرجال ولذا كانت تحرص على كشف وجهها لهم بدعوى أن فيه جمال قد أحبّت أن يروه! فقد ذكر الزركلي في ترجمتها: «**عائشة بنت طلحة بن عبيد الله، من بني تيْم بن مُرّة، أديبة، عالمة بأخبار العرب، فصيحة. أمها أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق، وخالتها عائشة أم المؤمنين، وكانت أشبه الناس بها. كانت لا تستر وجهها! فعاتبها زوجها مصعب بن الزبير في ذلك، فقالت: إن الله قد وسمني بميسم جمال أحببتُ أن يراه الناس! فما كنتُ لأستره**»![2]

---

(١) راجع ص٢٧١ من هذا الكتاب وما بعدها.

(٢) الأعلام للزركلي ج٣ ص٢٤٠

نعم؛ هكذا تكون نتيجة تربية عائشة وطلحة وأم كلثوم! أن تصبح البنت مستهترة تتعرض للرجال وتكشف وجهها لإظهار جماله لهم على ما تظنّه! هذا مع أن زوجها قد عاتبها على ذلك فأصرّت على العناد ولم تكترث ولم تهتم! فانظر إلى هذه المدرسة وما تخرّجه من نماذج فاضلة! صدقاً قالوا: هل تلد الحية إلا حية!

بقي أن نلفت الانتباه إلى أمريْن، **الأول**؛ أن عائشة لو كانت امرأة فاضلة تخشى الله تعالى لكان عليها أن تُبعد نفسها عن مواطن التهمة، فقد كانت عارفة بمقولة طلحة فيها، تلك المقولة التي سارت بها الرُّكبان حتى فشت في كل مكان فأدرك الجميع أنه يحبّها ويتلهّف على أن ينكحها، وبدلاً من أن تنأى بنفسها عنه وتحرص على أن لا يراها أو يجتمع بها؛ فإنها قرَّبَتْهُ وجعلته ملازماً لها في سفرها ليلاً ونهاراً ملازمة الظل لذيه! وزادت على ذلك أقوالها في الثناء عليه ومدحه بما يحكي بقاء شدة إعجابها به!

ولو أن أية امرأة اليوم كانت في عصمة رجل وبلغها أن آخر يقول: «والله لو مات زوجها لأنكحنّها» لفرّت منه بعد موت زوجها فرارها من الوحوش! لا احتراماً لذكرى زوجها وتحاشياً لارتكاب المكروه شرعاً فحسْب؛ بل فراراً من الشهرة بالسوء بين الناس، ولأن رجلاً كهذا غير خليق بأن يكون زوجاً وهو الذي يرمق بنظره المحصنات!

أما الأمر الثاني؛ فهو أن طلحة لو كان هو الآخر يخاف الله تعالى لأبعد نفسه عن عائشة تمام البعد، ذلك لأن النبي (صلى الله عليه وآله) قال له لمّا رآه يتكلم معها كما مرّ: «**لا تقومَنَّ هذا المقام بعد يومك هذا**»، غير أن طلحة كسر هذا الأمر ولم يُقِمْ له وزناً، فقام هذا المقام نفسه مجتمعاً بعائشة كراراً ومراراً، سيّما في الطريق إلى البصرة، مع أن أمر النبي (صلى الله عليه وآله) مشتمل على النهي المؤبد، وحرمة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ميتاً كحرمته حيّاً بلا خلاف، وأوامره ونواهيه ماضية إلى يوم القيامة.

فلعنة الله على الفاجريْن الخائنيْن؛ عائشة وطلحة!

■ إلا الفاحشة.. لا تُنزَّه عنها عائشة!

كل مريدٍ لتنزيه عائشة عن وقوعها في الفاحشة لا بد أن تسدّ عليه الأدلة المفرّ، ذلك لأنها تضافرت بما يورّث الاطمئنان إلى أن المرأة كانت ذات نزعة شديدة إلى الفجور والمجون، فليس في تاريخ الإسلام الأول امرأةٌ ناهزتها في مراودة الرجال وإيلاجهم بيتها، وليس في تاريخ الإسلام الأول امرأةٌ تهتّكتْ وتفَحَّشَتْ كعائشة كمّاً وكيفاً.

وهذه الأدلة بمجموعها المتراكم كافية، ومع ذا قامت أدلة أخرى صريحة على وقوعها في الزنا، كالرواية المزبورة في نكاحها لطلحة في طريق البصرة، وتلك تقوّي هذه حتى إن لم تكن معتبرة لأنها تحفّها بالقرائن الجابرة، فكيف إذا كانت معتبرة كما سيتبيّن لاحقاً إن شاء الله؟

وههنا نورد دليلاً آخر هو في حكم الصريح، ثم نُتبعه بأدلة أخرى مؤيدة ومعضّدة، ومعها جميعاً لا يكون الإنكار أو التشكيك إلا مكابرة.

روى ثقة الإسلام الكليني (رضوان الله تعالى عليه) عن زرارة عن أبي جعفر الباقر صلوات الله عليه: «**قلتُ له: ما تقول في مناكحة الناس فإني قد بلغتُ ما تراه وما تزوَّجْتُ قطّ. فقال: وما يمنعك من ذلك؟ فقلتُ: ما يمنعني إلا أنني أخشى أن لا تحلَّ لي مناكحتهم، فما تأمرني؟ فقال: فكيف تصنع وأنت شاب؟ أَ تصبر؟ قلتُ: أَتَّخِذُ الجواري. قال: فهاتِ الآن؛ فبما تستحلُّ الجواري؟ قلتُ: إن الأَمَةَ ليست بمنزلة الحرة، إنْ رابتني بشيء بعتها واعتزلتها. قال: فحدّثني بما استحللتها؟ قال: فلم يكن عندي جواب! فقلتُ له: فما ترى؟ أتزوَّج؟ فقال: ما أبالي أن تفعل. قلتُ: أَ رأيتَ قولك: ما أبالي أن تفعل؛ فإن ذلك على جهتيْن. تقول: لست أبالي أن تأثم من غير أن آمرك. فما تأمرني؟ أفعل ذلك بأمرك؟ فقال لي: قد كان رسول**

الله صلى الله عليه وآله تزوَّج، وقد كان من أمر امرأة نوح وامرأة لوط ما قد كان، إنهما قد كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ. فقلتُ: إن رسول الله صلى الله عليه وآله ليس في ذلك بمنزلتي، إنما هي تحت يده وهي مقرّةٌ بحكمه، مقرّةٌ بدينه. قال: فقال لي: ما ترى من الخيانة في قول الله عز وجل: فَخَانَتَاهُمَا؟ ما يعني بذلك إلا الفاحشة! وقد زوّج رسول الله صلى الله عليه وآله عثمان. قال: قلتُ: أصلحكَ الله؛ فما تأمرني؟ أنطلق فأتزوج بأمرك؟ فقال لي: إنْ كنتَ فاعلاً فعليك بالبلهاء من النساء. قلتُ: وما البلهاء؟ قال: ذوات الخدور العفائف».[1]

ورواه الكليني باختلاف طفيف في موضع آخر بسند آخر، إذ جاء: «فما تأمرني؟ أفعل ذلك عن أمرك؟ قال: فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قد تزوّج، وكان من امرأة نوح وامرأة ما قَصَّ الله عز وجل، وقد قال الله تعالى: ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا. فقلتُ: إن رسول الله صلى الله عليه وآله لستُ في ذلك مثل منزلته، إنما هي تحت يديه وهي مقرّةٌ بحكمه، مظهرةٌ دينَه. قال: أما والله ما عنى بذلك إلا الفاحشة! في قول الله عز وجل: فَخَانَتَاهُمَا؛ ما عنى بذلك إلا الفاحشة! وقد زوَّجَ رسول الله صلى الله عليه وآله عثمان. قلتُ: أصلحك الله؛ فما تأمرني؟ أنطلق فأتزوَّجُ بأمرك؟ فقال: إنْ كنتَ فاعلاً فعليك بالبلهاء من النساء. قلتُ: وما البلهاء؟ قال: ذوات الخدور العفائف».[2]

---

(١) الكافي للكليني ج٢ ص٤٠٢ وعنه تفسير نور الثقلين للحويزي ج٥ ص٣٧٦

(٢) الكافي للكليني ج٥ ص٣٥٠، وعنه تفسير البرهان للبحراني ج٥ ص٤٣٠ ووسائل الشيعة للحر العاملي ج٢٠ ص٥٥٨. ومستثنى (إلا) محذوف، وهو: (الفاحشة) بقرينة الرواية الأولى، وقد نُبّه عليه في هامش الكافي أيضاً. أما داعي الحذف فقد قال الحر العاملي (رضوان الله عليه) في هامش الوسائل: «**المستثنى محذوف في الموضعين لعدم إمكان التصريح به**».

الشاهد في هذا الحديث هو قوله عليه السلام: «**ما يعني بذلك إلا الفاحشة.. والله ما عنى بذلك إلا الفاحشة**» فإنه ذو دلالة صريحة أو شبه صريحة على ارتكاب عائشة الفاحشة، وذلك بتقريب أن زرارة إنما احتجّ باختلاف المنزلتيْن لرد دعوة الإمام (عليه السلام) إياه إلى التأسي برسول الله (صلى الله عليه وآله) في النكاح، فتوهّم أن اللاتي كُنَّ تحته من زوجاته كُنَّ جميعاً مقرّاتٍ بحكمه ومُظهراتٍ لدينه، وذلك يجوّز نكاحهنّ، بخلاف حاله هو مع نساء العامة، فإنهنّ لسنَ على دينه أيْ مذهبه، وهذا مانع لجواز نكاحهن إذ يكنَّ والحال هذه كافرات حُكماً.

وكان إبطال الإمام (عليه السلام) لهذا التوهّم بأن قوله تعالى: «**فَخَانَتَاهُمَا**» لم يعنِ به إلا ارتكاب الفاحشة، وهذا كاشف عن عدم الإقرار بحُكمه ودينه صلى الله عليه وآله، وقد استحلّ نكاحهما كما أحلّ ابنته لعثمان وهو مَن هو، فكذلك افعل أنت يا زرارة وعليك بذوات الخدور العفائف.

والحامل على أن تكون المعنيّتان ههنا بركوب الفاحشة هما عائشة وحفصة دون امرأتيْ نوح ولوط (عليهما السلام) أمران، **أولهما**؛ السياق، فإن زرارة لّما قال: «**إن رسول الله صلى الله عليه وآله لستُ في ذلك مثل منزلته، إنما هي تحت يديه وهي مقرّةٌ بحكمه، مظهرةٌ دينَه**» جاءه جواب الإمام عليه السلام: «**ما ترى من الخيانة في قول الله عز وجل: فَخَانَتَاهُمَا؟ ما يعني بذلك إلا الفاحشة.. أما والله ما عنى بذلك إلا الفاحشة! في قول الله عز وجل: فَخَانَتَاهُمَا؛ ما عنى بذلك إلا الفاحشة**» فإن أُرجع هذا إلى استشهاده (عليه السلام) بامرأتيْ نوح ولوط (عليهما السلام) كان إشكال زرارة بلا جواب، وليس قوله عليه السلام: «**وقد زوّج رسول الله صلى الله عليه وآله عثمان**» جواباً له، بل إضافةً من وجه لتأكيد حكم الجواز نكاحاً وإنكاحاً. والإرجاع إلى مبدأ قوله عليه السلام: «**قد كان رسول الله صلى الله عليه وآله تزوّج**»

أولى، فيكون نصّه (عليه السلام) على أن المراد بالخيانة هو الفاحشة تنقيحاً لما احتجّ به من أنه (صلى الله عليه وآله) تزوّج مَن لم تكن على ما توهّمه زرارة من الإقرار بحكمه وبدينه، والكاشف عن ذلك ركوبها الفاحشة. وإنما استشهد بالآية لكونها تعريضاً بعائشة وحفصة بضرب مثل سابقتيْهما لهما، فهما على أدراجهما في الخيانة والإتيان بالفاحشة. فتأمل.

وثانيهما؛ القرينة، وهي رواية علي بن إبراهيم القمي (رضوان الله تعالى عليهما) المتقدّمة، فإنه في تفسيره للآية قال: «**والله ما عنى بقوله: فَخَانَتَاهُمَا؛ إلا الفاحشة! وليقيمنَّ الحدّ على عائشة في ما أَتَتْ في طريق البصرة**..الحديث»، وهذا يفيد ارتكاز مفهوم أن المعنيّ عائشة في مقام الاستشهاد بالآية، فإن القمي هو راوي خبر زرارة في الكافي ومبيِّنٌ هناك ما أُجْمِلَ فيه هنا. فلاحظ.

وعلى هذا يُقَدَّرُ جواب الإمام (عليه السلام) على إشكال زرارة بتقدير: «ما ترى من خيانة عائشة وحفصة في قول الله عز وجل تعريضاً بهما: فَخَانَتَاهُمَا؟ ما يعني بذلك إلا الفاحشة».

وأما أنه لمَ لا يكون المراد من الفاحشة؛ الكفر والنفاق والذنب الفاحش دون خصوص الفاحشة في الفراش أي الزنا؟ فسيأتيك جوابه بعد برهة في دفع الإشكالات إن شاء الله تعالى، وهناك تعرف سبب تعبيرنا عن رواية زرارة هذه التي رواها شيخنا الكليني بأنها في حكم الصريح. فترقّب.

إنما اللازم هنا أن نُلفت إلى أن حمل معنى الفاحشة على الكفر والنفاق وما شاكل دون الخيانة في الفراش؛ ليس بحمل سائغ، ذلك لما تقدّم في الفصل الرابع من رواية الحافظ البُرسي والحسين بن حمدان الخصيبي لقول الإمام الحسن المجتبى (صلوات الله عليه) لعائشة: «**نسيتِ نبشكِ في بيتكِ ليلاً بغير قَبَسٍ بحديدة حتى ضربت الحديدة كفَّكِ فصارت جُرحاً إلى**

الآن فأخرجتِ جَرْداً أخضر فيه ما جمعتِه من خيانة حتى أخذتِ منه أربعين ديناراً عدداً لا تعلمين لها وزناً ففرّقتيها في مبغضي علي صلوات الله عليه.. والغيب نبشُكِ عن جَرْدٍ أخضرٍ في وسط بيتك بلا قبس، وضربتِ بالحديدة كفّكِ حتى صار جُرحاً وإلا فاكشفي عنه وأريهِ مَن حولَكِ من النساء! ثم إخراجكِ الجَرْدَ وفيه ما جمعتِهِ من خيانةٍ! وأخذتِ منه أربعين ديناراً عدداً لا تعلمين ما وزنها، وتفريقكِ لها في مبغضي أمير المؤمنين عليه السلام».[١]

فههنا ورد النص على أنها جمعت في ذلك الجَرْد الأخضر مالاً «**من خيانة**» وأنفقت منه أربعين ديناراً على مبغضي علي صلوات الله عليه، أي أن نوع الخيانة هذه كانت استنفاعية يُجنى بها المال، فلا بد أن يكون ثمة طرف ثانٍ يبذله لقاءها، فينتفع هو بخيانة عائشة وتنتفع هي بماله. وبناء عليه؛ أن تكون الخيانة كفراً ونفاقاً وما شاكل هو أمرٌ غير متصوَّر ولا موضوع له في هذا المقام، إذ أيُّ انتفاعٍ يتحقق لذلك الطرف الثاني بمجرد حالة وجدانية حاصلة في الطرف الأول؟ نعم؛ يتحقق الانتفاع في ما لو استتبعت الحالة أفعالاً في الخارج يُنتفع بها، والزنا إحداها، ولا يمكن إخراجه عن هذا الإطلاق إلا بدليل، وهو مفقود كما سيتبيّن لك إن شاء الله تعالى. وإذ قامت الأدلة على وقوع عائشة في الزنا، تصريحاً كما في طريقها إلى البصرة، وتلويحاً كما في قضايا رضاع الكبير واستدخال الرجال والتبرج لهم؛ فإن الزنا إذ ذاك لا يمكن إخراجه عن إطلاق الخيانة مع حملها على حالة الكفر والنفاق المستتبعة أفعالاً، فكيف إنْ لم تُحمل عليها وإنما حُمِلت على ما هو المتبادر من خيانة المرأة؟ ففي الحديث عن الصادق عليه السلام: «**مَن وجد بَرْدَ حُبّنا على قلبه فليُكثر الدعاء لأمّه فإنها لم تَخُنْ أباه**».[٢]

---

(١) راجع ص٧١٩ من هذا الكتاب.

(٢) رواه الصدوق في من لا يحضره الفقيه ج٣ ص٤٩٣ وعلل الشرائع ج١ ص١٤٢

إن تعبير الإمام المجتبى (عليه السلام) بجمعها المال من خيانة؛ ظاهرٌ في أن الخيانة كانت في الفراش، فإن ذلك هو المتبادر العرفي من خيانة المرأة، وتؤيده سيرة عائشة. ودقِّقْ في تعبيره (عليه السلام) بالجمع في قوله: «**فيه ما جمعتِه من خيانة**» يتضّح لك المُراد كوضوح الشمس في رابعة النهار.

هذا وإن الروايات يفسّر بعضها بعضاً كما أن الآيات كذلك، فبِضَمِّ رواية القمي إلى رواية الكليني إلى رواية البُرسي والخصيبي يتحصّل العلم بوقوع عائشة في الزنا، كما ويتحصّل العلم من الرواية الأخيرة بأنها كانت بغيّاً مومساً أيضاً، إذ كانت تزني بأجر وتجمع المال من وراء ذلك.

■ **مؤيِّدات ومعضِّدات**

مُضافاً لكل ما سبق؛ ثمة أدلة خاصة وعامة تؤيِّد وتعضِّد وقوع الحميراء في فاحشة الزنا، ولا أقل من أنها تنفي عن ذلك البُعد، ويُستأنس بها.

● **منها**؛ ما تقدّم منّا في الفصل الثالث من استفادة من قوله سبحانه: «**ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ * وَضَرَبَ اللهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ**».[1]

---

(١) التحريم: ١١ – ١٣

قد قلنا هناك أن في هذه الآيات إشارة لطيفة إلى أن عائشة ليست بـالتي تحـصن فرجهـا، وكذا أختها حفصة، وذلك أن الله تعالى ضرب أولاً مثلاً (للذين كفروا) أي عائشة وحفصة، ثم ضرب تالياً مثلاً (للذين آمنوا) أي فاطمة ورقية عليهما السلام، وقد ضمّن كلا التمثيلـيْن صفاتاً، والتمثيل يقتضي تناظر صفات الممثَّل بـه والممثَّـل لـه، ثـم إن التقابـل بـين التمثيلـيْن يقتضي عكس تلك الصفات بين مَن قوبل به وقوبل له. وعليـه يكـون قولـه تعـالى: «**وَمَـرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا**» تعريضاً بعائشة وحفصة بأنهما لا تُحصنان فرجيْهما.[1]

والذي نراه ههنا أن ذكر إحصان مريم (عليها السلام) لفرجها يعدّ قرينةً متصلة عـلى أن المراد من قوله تعالى: «**فَخَانَتَاهُمَا**» خيانـة الفـراش كمـصداق أول، مـن بـاب التقابـل أيـضاً. فتدبّر.

● **ومنـها**؛ قوله تعالى: «**يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَـذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا**»،[2] وكما تقدّم منّا القول بأنه يقبح من الحكيم نهـي مَـن لا يُتوَقَّع أو يُحتمَل منه النزوع إلى المنهي عنه؛ كذلك يقبح من الحكيم تهديده وتخويفـه وإيعـاده، إلا أن يكون ذلك في مقام (إياك أعني واسمعي يا جارة)، وليس هذا مقامه كما هو واضح.

وعليه؛ فإن إتيان إحداهن بالفاحشة هو أمر مفروغ منه في مقـام الثبـوت، فيكفـي ورود دليل واحد على تحقق الإتيان – ولو بلحاظ القرائن والمقدّمات – للحكم بوقوعـه خارجـاً في مقام الإثبات. وقد رأيتَ أكثر من دليل على تحققه من عائشة بهذا اللحـاظ وبـما هـو صريـح أيضاً، وعلى فرض الشك في صحة تلك الأدلة جميعاً تكون الآية صارفةً له، إذ تجبر وتقوّي.

---

(١) راجع ص٤٧٤ من هذا الكتاب.

(٢) الأحزاب: ٣١

وأما أنه لمَ بُنِيَت هذه النتيجة على أن (الفاحشة المبيّنة) هي تلك التي في الفراش دون ما تفاحش من الكفر والنفاق والذنب العظيم؟ فنُرجئ الجواب عليه أيضاً إلى محلّه في دفع الإشكالات المتوهّمة حيث يتجلّى لك عمّا قريب إن شاء الله تعالى أن المراد هو الزنا كأولى المصاديق التي لا تُستثنى وينصرف إليه اللفظ ويؤيده الأثر كما ويؤيده الارتكاز. فتربّص حتى يوافيك البيان.

● **ومنها**؛ ما رواه ابن ادريس الحلي عن زرارة عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال: «**ما حَرَّمَ الله شيئاً إلا وقد عُصِيَ فيه، لأنهم تزوّجوا أزواج رسول الله صلى الله عليه وآله من بعده! فخيّرهُنَّ أبو بكر بين الحجاب ولا يتزوّجْن؛ أو يتزوّجْن، فاخترن التزويج فتزوَّجْنَ**»![(١)]

وفي لفظ الكليني: «**ما نهى الله عز وجل عن شيء إلا وقد عُصِيَ فيه، حتى لقد نكحوا أزواج النبي صلى الله عليه وآله من بعده**»![(٢)]

والرواية وإنْ جاءت في شأن العامرية والكندية اللتان طلقهما النبي (صلى الله عليه وآله) قبل أن يدخل بهما[(٣)] غير أنها تعمُّ شأن عائشة من وجه أن القوم - وعلى رأسهم أبوها

(١) مستطرفات السرائر لابن ادريس الحلي ص٥٥٠ وعنه بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج٢٢ ص١٩٩

(٢) الكافي للكليني ج٥ ص٤٢١ وعنه وسائل الشيعة للحر العاملي ج١٤ ص٣١٤، وبينها وبين سابقتها تباين في قائل: «**لو سألتهم عن رجل تزوج امرأة فطلّقها قبل أن يدخل بها أَ تَحِلُّ لابنه؟ لقالوا: لا. فرسول الله صلى الله عليه وآله أعظم حرمةً من آبائهم**» ففي رواية ابن ادريس أن القائل هو زرارة، وفي رواية الكليني أن القائل هو الإمام عليه السلام.

(٣) الأولى **سناة من بني عامر بن صعصعة** انطلت عليها خدعة عائشة وحفصة فقالت للنبي (صلى الله عليه وآله) حين دخلت عليه: «**أعوذ بالله**»! فانقبضت يده وطلّقها وألحقها بأهلها. والثانية **أسماء بنت النعمان بن أبي الجون الكندي** قالت حين مات إبراهيم عليه السلام: «**لو كان نبيّاً ما مات ابنُه**»! فألحقها (صلى الله عليه =

أبو بكر - استحلّوا نكاح نساء النبي (صلى الله عليه وآله) من بعده مع أنه لا فرق بين المدخول بها وغيرها، فإن الأثر ههنا يترتّب شرعاً على مجرد العقد، تماماً كمن يعقد على امرأة ثم يطلقها قبل أن يدخل بها، فإنها تحرم على أبنائه حرمةً أبديةً.

وعليه؛ لا يكون نكاح طلحة لعائشة مستبعداً والحال هذه، فإن القوم هم القوم، واستحلال المحرّمات هو الاستحلال. وما دام الإيمان مفقوداً في النفوس فإن أصحابها لن يتورّعوا عن شيء من المحرمات وإن اختلفت، ولذا يقول الإمام عليه السلام: «**ولا هُمْ يستحلّون أن يتزوّجوا أمهاتهم إنْ كانوا مؤمنين، وإن أزواج رسول الله صلى الله عليه وآله في الحرمة مثل أمهاتهم**».[1]

فلاحظ قوله عليه السلام: «**إنْ كانوا مؤمنين**» واعطفه على ما عرفتَه في الفصول السابقة وفي هذا من ثبوت عدم إيمان عائشة وطلحة؛ تدرك أن ما نطقت به الرواية مما جرى بينهما من نكاح في طريق البصرة لا يكون بعيداً بل لا يمكن دفعه، لأن عدم إيمانهما يعني أنهما لا يعتقدان بحرمة ما أقدما عليه. تماماً كحال **قتيلة بنت قيس الكندية** التي تزوّجها رسول الله (صلى الله عليه وآله) وارتدّت بعده ثم تزوّجت **عكرمة بن أبي جهل** رغم أن النبي لم يطلقها.

● **ومنها**؛ ما رواه العياشي عن إبراهيم (أبي ميثم) بن أبي يحيى عن جعفر بن محمد (عليهما السلام) قال: «**ما من مولودٍ يولد إلا وإبليس من الأبالسة بحضرته، فإنْ عَلِمَ الله أنه من شيعتنا حجبه عن ذلك الشيطان، وإنْ لم يكن من شيعتنا أثبت الشيطان إصبعه السبّابة في**

= وآله) بأهلها. ثم إنهما خُطِبتا فخيَّرهما أبو بكر فاختارتا الباه فتزوَّجَتا، فجُذِم أحد الزوجين وجُنّ الآخر. هذا ما في رواية الكليني عن الحسن البصري. ولا تغفل عن أن أسماء الكندية غير قتيلة الكندية.

(١) المصدر نفسه.

دبره فكان مأبوناً، فإن كان امرأةً أثبت في فرجها فكانت فاجرةً، فعند ذلك يبكي الصبي بكاءً شديداً إذا هو خرج من بطن أمه، والله بعد ذلك يمحو ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب».[١]

وجه الاستدلال بهذا الحديث هو أن الإمام (عليه السلام) أخبر أن مَن لم تكن من الشيعة تكون فاجرةً، فإنْ أُخرجت المستضعفات من أهل الخلاف عن هذا العموم بشفاعة الأدلة الأخرى - وهو الحق - فلا يمكن إخراج الناصبيات إلا أن يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب، كأن توفق الناصبية للدخول في ولاية آل محمد (عليهم السلام) فيصونها الله تعالى عن الوقوع في الفجور.

وليس من مصداق للنساء الناصبيات أعظم من عائشة بنت أبي بكر، فهي رأسهنّ بلا خلاف بين أهل الحق، فدخولها في عموم الحديث قطعي، فتكون فاجرةً وقد سبق للشيطان أن أثبت إصبعه السبّابة في فرجها، كيف لا وقد عرفتَ قوة العلاقة بينهما حتى شبّهها رسول الله (صلى الله عليه وآله) بقرنه ونعتها أمير المؤمنين (عليه السلام) باسمه؟!

كانت هذه بضع مؤيِّدات لما انتُهِيَ إليه من وقوع عائشة في الفجور والخيانة، والآن ننتقل إلى ما قد يُشكل به على هذا المنتهى لدفعه.

■ دفع ما قد يُتوَهَّمُ من إشكالات

بادئ ذي بدء ننبِّهُ إلى أن جُلَّ - إنْ لم يكن كل - ما قد يُعترَض ويُشكَل به على القول بوقوع عائشة في الفاحشة ليس مردّه إلا إلى المزاج العام الذي خلقه أهل الخلاف عبر العصور، بمعنى أن المعترض المشكل إنما يتقبَّضُ من هذا القول لطغيان ذلك المزاج العام

---

(١) تفسير العياشي ج٢ ص٢١٨ وعنه بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج٤ ص١٢١ وتفسير البرهان للبحراني ج٢ ص٣٠٠، والمأبون: المنكوح.

عليه حتى وإنْ لم يكن من أهل الخلاف، فيدفع بدفوع هي - إنْ دقَّقْتَ - دفوعاتهم التي تمضي على مبانيهم لا مبانينا، وتتفق مع رواياتهم لا رواياتنا، وتتماشى مع مسالكهم لا مسالكنا. يحمله على ذلك أيضاً الخوف من نائرتهم إنْ هو التزم بهذا القول الذي يساوق الكفر عندهم.

وههنا نعرض أهمّ تلك الإشكالات ونجيب عليها إن شاء الله تعالى.

● **قد يُقال**: إن خبر علي بن إبراهيم القمي في أن عائشة زوّجت نفسها من طلحة في طريق البصرة لا يُعتمد عليه، لأنه موقوف على علي ولا ينتهي إلى معصوم، ما يجعله أثراً لا رواية، على أنه لو كان رواية أيضاً لكانت مرسلة لا يحتج بها. ثم إن التفسير الذي ورد فيه هذا الخبر ملفّق من تفسيريْن أحدهما لعلي بن إبراهيم والآخر لأبي الجارود، فلا استقرار لنسبة هذا الخبر لعلي فلعلّه من أخبار أبي الجارود، وليس بثقة. على أنّ القسم المنسوب إلى علي لا طريق صحيحاً إليه ليثبت أنه مؤلّفه، وفيه ما يشهد ببطلانه كأخبار تحريف القرآن وخبر عدم إيمان أبي طالب عليه السلام، فلا اعتبار إذن لا به ولا بما فيه.

والجواب: إن هذا الخبر وإنْ كان في صورة الموقوف إلا أنه في حقيقته رواية عن المعصوم عليه السلام، ذلك لأن علي بن إبراهيم قال في ديباجة تفسيره: «**ونحن ذاكرون ومخبرون بما ينتهي إلينا ورواه مشايخنا وثقاتنا عن الذين فرض الله طاعتهم وأوجب ولايتهم ولا يُقبل عملٌ إلا بهم، وهم الذين وصفهم الله تبارك وتعالى وفرض سؤالهم والأخذ منهم فقال: فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**».[1] وهذا يفيد أن ما جاء في تفسيره إنما هو مما ينتهي إلى المعصومين صلوات الله عليهم، أعمّ مما لو كان مسنداً أو مرسلاً أو موقوفاً، فإنه لا يكون إلا رواية، وقد رواها عن مشايخه الثقات، وقد استفاد بعض العلماء من ذلك أنها جميعاً

(١) تفسير القمي ج١ ص٤

محكومة بالصحة والثبوت، كشيخنا الحر العاملي الذي قال: «**قد شهد علي بن إبراهيم أيضاً بثبوت أحاديث تفسيره، وأنها مروية عن الثقات عن الأئمة عليهم السلام**».[١] وكالمحقق الخوئي الذي قال: «**إن علي بن إبراهيم يريد بها ذكره إثبات صحة تفسيره وأن رواياته ثابتة وصادرة عن المعصومين عليهم السلام وأنها انتهت إليه بوساطة المشايخ والثقات من الشيعة**».[٢]

ويزيدك يقيناً أن خبره في زواج طلحة وعائشة إنما هو رواية لا مجرد أثر؛ أن العلامة المجلسي وإنْ ردّه واستبعده إلا أنه نصّ على أنه رواية، فقال في مقام تعليقه عليها: «**وهذا وإنْ كان روايةً فهي شاذة مخالفة لبعض الأصول، وإنْ كان يبدو من طلحة ما يدل على أنه كان في ضميره الخبيث مثل ذلك، لكن وقوع أمثال ذلك بعيد عقلاً ونقلاً وعُرفاً وعادة، وترك التعرض لأمثاله أولى**».[٣]

وشيخ المشايخ علي بن إبراهيم القمي (رضوان الله تعالى عليه) الذي كان معاصراً للإمام العسكري (صلوات الله عليه) وأطبقت الطائفة على صدقه ووثاقته وجلالته وأمانته؛ لا يُتصوَّر منه أن يأتي بأمر كهذا دون أن يكون روايةً ثابتةً عن المعصوم صلوات الله عليه، سيّما أنه قد أقسم عليه حين قال: «**والله ما عنى بقوله: فَخَانَتَاهُمَا؛ إلا الفاحشة! وليقيمنَّ الحدّ على عائشة في ما أَتَتْ في طريق البصرة، وكان طلحة يحبّها! فلمّا أرادت أن تخرج إلى البصرة قال لها طلحة: لا يَحِلُّ لكِ أن تخرجي من غير محْرَمْ! فزوَّجَتْ نفسها من طلحة**».

---

(١) وسائل الشيعة للحر العاملي ج٢٠ ص٦٨ - الفائدة السادسة.

(٢) معجم رجال الحديث للمحقق الخوئي ج١ ص٤٩ - المقدمة الثالثة.

(٣) بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج٣٢ ص١٠٧، واستبعاده ليس في محله لما تبيّن وسيتبيّن لك إن شاء الله تعالى. على أنك لاحظت أن في كلامه (رضوان الله تعالى عليه) شيئاً من التردد، ومردّه إلى ما ختم به كلامه من قوله: «**وترك التعرض لأمثاله أولى**» المشعر بالتقية والخشية من نائرة المخالفين.

فها أنت ترى أنه يقسم على أمرين: **أولهما**؛ أن عائشة وطلحة ارتكبا الفاحشة في طريق البصرة وأن هذا هو ما عناه الله تعالى في قوله: «**فَخَانَتَاهُمَا**». **وثانيهما**؛ أن الإمام صاحب الأمر (صلوات الله عليه) سيقيم حدّ الزنا على عائشة في ما أتتْ. فأنْ يُقال أن ذلك مجرد أثر لا رواية يستلزم الطعن في علي بن إبراهيم وأنه لم يكن يتورّع عن القسم على أمريْن خطيريْن كهذيْن لم يأخذهما عن المعصوم عليه السلام. وعلي بن إبراهيم أتقى لله وأورع من هذا بلا خلاف. فالحاصل أن ما جاء به كان روايةً عن المعصومين (عليهم السلام) في صورة الموقوف، ويمكن اعتباره بمنزلة المرفوعة أو المضمرة، ولولا أنه قاطع بصدقها لما أقسم على ما جاء فيها قسماً يحاسبه عليه الله تعالى أشد الحساب.

وأما دعوى أنها مرسلة ولا يصح الاحتجاج بها؛ فهذا من ضعيف القول، لأن ديدن أهل العلم والتحقيق الاحتجاج بكل ما يوثق به ويُطمأن إليه، مسنداً كان أم غيره، كما إذا حفّت به القرائن أو عضَّدَتْه المعضِّدات أو وافق الأصول أو اشتهر بين الأصحاب أو كان فيه خلاف العامة أو غاب معارضه، فالمهم هو أن تورّث الرواية الاطمئنان بصدقها وصدورها، وما نحن فيه هو من هذا القبيل بعد ملاحظة كل ما تقدّم من أخبار وروايات وقرائن ومعضِّدات، لا تؤدي إلا إلى مؤدى واحد وهو أن عائشة كانت تدور مدار الفاحشة.

والرواية لا يضرّها الإرسال حتى إنْ كانت في باب الأحكام إذا جُبِرت بإحدى تلك الجوابر، وعلى هذا قام الفقه كما يعرفه كل مشتغل به، فهناك ألوف الأحكام التي أُخذت من المراسيل، بل إن الرواية المرسلة يحتج بها في فروع العقائد وتوابعها، فكيف إذا كانت في شأن تاريخي؟ وحتى إن احتججْت بأن لها ارتباطاً بالتفسير، فإن علم التفسير نفسه قام جلّه على المراسيل بل الآثار الموقوفة والمقطوعة عند الخاصة والعامة على السواء، ولو حُذِفت عن نطاق الاحتجاج والاعتبار لضاع علم التفسير ولما بقي لأحدٍ علمٌ فيه مطلقاً، إذ الصحيح

سنداً فيه كمثل الملح في الزاد لا أكثر. ولا يمكن قبول ترك الرواية بدعوى أنها مرسلة ممن أبقى على غيرها من المراسيل وأخذ بها،[١] إذ يُقال له حينئذ: ما ميزانك في ترك هذه والإبقاء على تلكم والجميع مرسل؟ فإن قال: نهض بتلكم ما جبرها؛ قيل له: وكذلك هذه، فكان ينبغي عليك أن لا تتعلّل بالإرسال بل أن تناقش في الجابر، وإلا كان استحساناً ذوقياً، ولا محل له في سوق العلم.

وأما أن الرواية لعلّها من روايات أبي الجارود[٢] – وليس بثقة – لأن التفسير الموجود مركّب منه ومن تفسير علي بن إبراهيم، فمدفوع بأن في أوّلها: «**قال علي بن إبراهيم في قوله: ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا.. إلخ**»، فالرواية من تفسيره قطعاً. وفي حقيقة الأمر أن التمييز بين التفسيرْين في مثل ذلك سهل، فإن الجامع للتفسيرْين في واحد[٣] بعدما يُدخل ما رواه عن أبي الجاورد وغيره من مشايخه؛ يأتي ويعود إلى تفسير القمي وينبّه على ذلك بعبارات من قبيل: «**قال علي ابن إبراهيم.. رجع إلى رواية علي بن إبراهيم.. رجع إلى تفسير علي بن إبراهيم.. رجع الحديث إلى علي بن إبراهيم.. من هنا عن علي بن إبراهيم**» ونحو ذلك. وفي الروايات يمكن التمييز بين التفسيرْين بملاحظة طبقة الجامع وطبقة القمي وطبقة أبي الجارود، ومشايخ كلٍّ

---

(١) جميع المفسرين أخذوا بالمراسيل، سواء كانوا من أهل الحق أم أهل الخلاف، فراجع التفاسير.

(٢) هو زياد بن المنذر أبو الجارود الهمداني، كان من أصحاب الإمام الباقر (عليه السلام) ثم صار زيدياً لّما خرج زيد، وإليه تنتسب الفرقة الجارودية. له تفسير عن الباقر (عليه السلام) لم يصلنا. وثمة قول بأنه بعد مقتل زيد رجع إلى الحق كما يُستظهر من روايات الصدوق عنه. راجع معجم رجال الحديث للمحقق الخوئي ج٧ ص٣٢٥

(٣) وهو أبو الفضل العباس بن محمد بن القاسم بن حمزة بن موسى بن جعفر عليهما السلام. حفيد الإمام الكاظم عليه السلام، وهو تلميذ الشيخ علي بن إبراهيم القمي رضوان الله تعالى عليه، ووالده من أصحاب الإمام الهادي (عليه السلام) كما ذكره الشيخ في رجاله ص٤٢٤ برقم ٤١

منهم. هذا وقد ذهب المحقق الخوئي إلى أن كل ما في هذا التفسير هو من علي بن إبراهيم، فراجع معجمه. وعلى كلا الفرضيْن فالخدش في نسبة الرواية إليه من هذا الوجه مردود.

وأما أنه لا طريق معتبراً إلى تفسيره، فهو وهم، فإن له طريقيْن معتبريْن؛ إحداهما طريق الشيخ النجاشي[١] والثاني طريق الشيخ الطوسي[٢] وقد نقل عنه كثيراً في تفسيره الموسوم بالتبيان، فراجع. وشهرة نسبة التفسير إليه ونقل الأعاظم عنه يكفيان ويُغنيان حتى عن البحث في وثاقة الجامع مع أن المستظهر وثاقته، فإنك لا تكاد تجد مصنفاً في التفسير أو ما يعتمد عليه يخلو من روايات هذا التفسير الشريف.

وأما ما جاء فيه من أخبار ظاهرها تحريف القرآن، فإن أمثالها وارد في الكافي الشريف أيضاً، فإن كان مجرد الورود سبباً لإسقاط حجية الكتاب كليةً لوجب إسقاط الكافي! ولا قائل بمثل هذه المقالة الواهنة. وحتى ما جاء في ديباجة التفسير مما ظاهره القول بالتحريف، يُحمل على ما حُمِلت عليه الروايات من أن المقصود بالتحريف ههنا هو تحريف الوحي التأويلي المعبَّر عنه في الروايات بالتنزيلي، فإنّا نعتقد بأن تنزيل القرآن الحكيم رافقه تنزيل تأويله من لدن الخبير العليم، وما وقع فيه التحريف هو هذا التأويل الذي كان مُلحقاً بالآيات في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله، ويشهد لهذا بعض مرويات أهل الخلاف أيضاً، فقد روى السيوطي والشوكاني عن ابن مردويه عن ابن مسعود قال: «**كنا نقرأ على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم: يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ أَنَّ عَلِيًّا مَوْلَى الْمُؤْمِنِيْنَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**».[٣] وغير خافٍ أن عبارة:

(١) راجع رجال النجاشي ص٢٦٠ برقم ٦٨٠

(٢) راجع الفهرست للشيخ الطوسي ص١٥٣ برقم ٣٨٠

(٣) تفسير السيوطي ج٢ ص٢٩٨ وتفسير الشوكاني ج٢ ص٦٠

«**أَنَّ عَلِيًّا مَوْلَى الْمُؤْمِنِيْنَ**» ليست من القرآن، ومع ذا يشهد ابن مسعود بأنهم كانوا يقرأون الآية هكذا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو بشهادته هذه مُدركٌ أن المقروء حالياً بغير هذه العبارة ولذا قال: «**كنا نقرأ..**»، فلا محالة تكون هذه العبارة مما نزل تأويلاً وتفسيراً، وفي هذا وقع التحريف من أعداء ولاية علي عليه السلام.

وفي أيٍّ من أحاديثنا تجد قوله عليه السلام: «**كذا نزلت**» ونحو ذلك؛ إنما يُراد به أن الآية نزلت مع تأويلها ومعناها على هذا، فحذفوا أو حرّفوا المعنى وأبقوا نصّ القرآن الذي يُتعبَّد به فقط، مع أن القِسميْن من التنزيل، غير أن الأول هو النص، والثاني هو التأويل. يشهد لهذا حديث محمد بن الفضيل الذي رواه شيخنا الكليني عن أبي الحسن الكاظم (صلوات الله عليه) وفيه: «**قلتُ: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا؟ قال عليه السلام: بولاية علي عليه السلام تنزيلاً. قلتُ: تنزيل؟ قال: نعم، ذا تأويل**»[1] فقد نصّ أولاً على أنه تنزيل، ثم أوضح أنه تأويل، فالتنزيل إذن أعمّ من النص والمعنى، وفائدته أنه لو أُقِرَّ بهما جميعاً لما وقع الاختلاف على التأويل الذي اضطر علياً (عليه السلام) أن يقاتل عليه كما قاتل محمد (صلى الله عليه وآله) على التنزيل، فقد أخرج النسائي والحاكم وأحمد بن حنبل عن أبي سعيد الخدري قال: «**كنا جلوساً ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج إلينا قد انقطع شسع نعله، فرمى به إلى علي رضي الله عنه فقال: إن منكم رجلاً يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلتُ على تنزيله. قال أبو بكر: أنا! قال: لا. قال عمر: أنا! قال: لا. ولكن خاصف النعل - يعني**

---

(١) الكافي للكليني ج١ ص٤٣٥، وجاء في الحديث أيضاً ما يؤكد هذا المعنى، مثل قوله: «**قلتُ: ثُمَّ يُقَالُ هٰذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ؟ قال: يعني أمير المؤمنين عليه السلام. قلتُ: تنزيل؟ قال: نعم**». فلاحظ أنه (عليه السلام) قال: «**يعني**» أي أن معنى الآية هو هذا، التكذيب بولاية أمير المؤمنين عليه السلام، ثم سأله الراوي: «**تنزيل**»؟ أي أن هذا المعنى أو التأويل منزّل من لدن الله تعالى كما نص الآية؟ فقال عليه السلام: «**نعم**».

علياً - فأتيناه فبشرّناه، فلم يرفع به رأسه، كأنه قد كان سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم».[١]

وإن التأمل في ديباجة التفسير تُطمئن النفس إلى أن مراد علي بن إبراهيم من قوله: «**وأما ما هو محرّف منه..**» هو ما ذكرناه، فإنه يستخدم نفس تعبير الأئمة (عليهم السلام) بالتنزيل، كما في قوله: «**وأما ما هو محرّف منه فهو قوله: لٰكِنِ اللهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ فِيْ عَلِيٍّ، كذا أُنزلت**».[٢] ثم لو تنزّلنا وقلنا على سبيل الفرض أنه غلب على ظنه وقوع التحريف في النص، فذلك لا يسقط حجية تفسيره وما جاء فيه، إذ غاية ما يُقال حينئذ أنه أخطأ في فهم الروايات التي يرويها فظنّ أنها تفيد التحريف في النص لا التأويل، فيُردُّ عليه في فهمه هذا ويؤخذ بما يرويه عن الثقات عن الأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وأما زعم أنه روى رواية في عدم إيمان أبي طالب عليه السلام؛ فهو من سوء الفهم، إذ الرواية ليس فيها هذا المعنى، وإنما فيها أنه لم يجهر بإسلامه مع دعاء النبي (صلى الله عليه وآله) إليه في ذلك، وإنما أسرّ ثم جهر بأعلى صوته آخر حياته. قال علي بن إبراهيم: «**وأما قوله: إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ؛ قال: نزلت في أبي طالب عليه السلام، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول: يا عم؛ قُل: لا إله إلا الله بالجهر، نفعك بها يوم القيامة. فيقول: يابن أخي، أنا أعلم بنفسي وأقول بنفسي. فلمّا مات شهد العباس بن عبد المطلب عند رسول الله**

(١) خصائص النسائي ص٨٨ ومستدرك الحاكم ج٣ ص١٢٢ وفضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ج٢ ص٦٢٧ وكذا في مسنده ج٣ ص٨٢ وغيرها كثير.

(٢) تفسير القمي ج١ ص١٠

صلى الله عليه وآله أنه تكلّم بها عند الموت بأعلى صوته، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أما أنا فلم أسمعها منه وأرجو أن تنفعه يوم القيامة».(١)

فلاحظ أن القمي حين يأتي على ذكر اسم أبي طالب يردفه بقوله: «**عليه السلام**» ثم إن ما يرويه هو دعوة النبي (صلى الله عليه وآله) إياه لأن يجهر بكلمة التوحيد حين قال له: «**قُل: لا إله إلا الله بالجهر**» فكان عذر أبي طالب أنه يسرّها في نفسه لأنه أعلم بنفسه، وذلك قوله: «**يابن أخي، أنا أعلم بنفسي وأقول بنفسي**» ومع ذا تكلّم بها عند الموت «**بأعلى صوته**». فكيف يُزعم أن الرواية في نفي إيمانه عليه السلام؟! إنما هي في نفي بدو جهره بالإيمان، وفرقٌ كبير بين الأمريْن. أما القول بأن نزول قوله تعالى: «**إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ**» قادح في أبي طالب (عليه السلام) إذ تأخر في إجراء كلمة التوحيد جهراً على لسانه؛ فيوكل ردّه إلى محل آخر إذ هو خارج عن موضوعنا ويطول الكلام في بيان أن ذلك من قبيل ما ظاهره عتاب الله تعالى لأنبيائه (عليهم السلام) وليس بعتاب في الحقيقة، إنما هو إرشاد تمثيلي للغير، وغاية ما يُقال إنْ تنزّلنا عن ذلك أيضاً أنه كان تركاً لأولى لم يُعصم منه وصيٌّ كأبي طالب عليه السلام. وعلى كل حال فإن توجيه هذا الخبر بأي وجه من الوجوه لا يلزم منه إسقاط اعتبار تفسير القمي لوروده فيه، فأي ملازمة بين الأمريْن؟ ولو كان الأمر على هذا لوجب إسقاط اعتبار كل المجامع الحديثية لدينا إذ فيها نظائر ذلك من معضلات ومشكلات الأخبار الكثير، وتلك وظيفة الفقيه في فهمها وشرحها وتوجيهها.

فالحاصل مما تقدم؛ أن رواية علي بن إبراهيم القمي في زنا طلحة بعائشة في طريق البصرة غير خلية عن الاعتبار من جهة الوثوق بالصدور.

---

(١) تفسير القمي ج٢ ص١٤١

● **قد يُقال**: إن خبر الكليني عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) في أنه تعالى ما عنى بقوله: «**فَخَانَتَاهُمَا؛ إلا الفاحشة**» خبر ضعيف لا يعوَّل عليه، لوقوع رجل مجهول في إسناده فيكون مرسلاً، فقد رواه الكليني «**عن علي بن إبراهيم عن محمد بن عيسى عن يونس عن رجل عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام**».

والجواب: إن للخبر إسنادين لا إسناداً واحداً كما تُوُهِّم، فالأول هو هذا الذي رواه الكليني في باب الضلال من كتاب الإيمان والكفر، أما الثاني فقد رواه في باب مناكحة النُصَّاب والشُّكّاك من كتاب النكاح «**عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن ابن فضّال عن ابن بُكَيْر عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام**» ولا إرسال فيه، وجميع رواته ثقات كما ترى، وفيهم أحد مشايخ الثقات وهو **أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي** الذي لا يُسند ولا يُرسل إلا عن ثقة، فالخبر موثّق معتبر ويعوّل عليه ويُحتجّ به.

على أن كِلا الإسنادين داخلان في قسم الصحيح على تقسيم قدماء الفقهاء للأحاديث، حيث «**كان المتعارف بينهم إطلاق الصحيح على كل حديث اعتضد بما يقتضي اعتمادهم عليه، أو اقترن بما يوجب الوثوق به والركون إليه، وذلك لأمور منها (...) وجوده في أصل معروف الانتساب إلى أحد الجماعة الذين أجمعوا على تصديقهم كزرارة، ومحمد بن مسلم، والفضيل بين يسار، أو على تصحيح ما يصحّ عنهم، كصفوان بن يحيى، ويونس بن عبد الرحمن، وأحمد بمن محمد بن أبي نصر**».[١] وعلى هذا يكون معتبراً الخبر المروي بالإسناد الأول أيضاً، لأنه موجود في أصل يونس واعتضد بما يقتضي الاعتماد عليه واقترن بما يوجب الوثوق به والركون إليه مما تقدّم، فلا يضرّه الإرسال من هذه الجهة، سيّما أن علّته هي غالباً ما كان يقع على الراوي بسبب تشيّعه من المصائب والمحن المؤدية إلى اندراس بعض كتبه،

---

(١) مشرق الشمسين لبهاء الدين العاملي ص٣

فيضطر للتحديث تالياً من حافظته، فلربّما نسي اسم واحدٍ ممن يكون في إسناد خبره فيقول محتاطاً: «**عن رجل**». ولا يعني هذا أنه يضعِّفه أو يقدح فيه، وإنما هو يحتاط في تسميته لئلا يكون كاذباً، فروايته إذن موثوق بمتنها على كل حال.(١)

ثم إن الخبر بالإسنادين وارد في موضعين في الكافي الشريف الذي ذكر مؤلّفه ثقة الإسلام الكليني (رضوان الله تعالى عليه) في ديباجته أنه أدرج فيه «**الآثار الصحيحة عن الصادقين عليهم السلام**»(٢) وقال في وصفه خاتمة المحدثين الميرزا النوري رضوان الله تعالى عليه أنه «**كالشمس ين نجوم السماء، وامتاز عنها بأمور إذا تأمل فيها المنصف يستغني عن ملاحظة حال آحاد رجال سند الأحاديث المودعة فيه، وتورثه الوثوق ويحصل له الاطمئنان بصدورها وثبوتها، وصحتها بالمعنى المعروف عند الأقدمين**».(٣) وفضّله في المقطوعية بالصحة والصدور صاحب المراجعات علّامة عاملة السيد عبد الحسين شرف الدين حين قال: «**وأحسن ما جُمع منها الكتب الأربعة التي هي مرجع الإمامية في أصولهم وفروعهم من الصدر الأول إلى هذا الزمان وهي الكافي والتهذيب والاستبصار ومن لا يحضره الفقيه، وهي متواترة ومضامينها مقطوع بصحتها، والكافي أقدمها وأعظمها وأحسنها وأتقنها**».(٤) وقال

---

(١) مثال ذلك ما حكاه النجاشي عن محمد بن أبي عمير الذي هو كابن أبي نصر البزنطي وصفوان بن يحيى من مشايخ الثقات، قال النجاشي في رجاله ص٣٢٦ في بيان ما جرى له من الحبس والتعذيب أيام هارون العباسي لعنه الله: «**قيل: إن أخته دفنت كتبه في حال استتارها وكونه في الحبس أربع سنين، فهلكت الكتب، وقيل: بل تركتها في غرفة فسال عليها المطر فهلكت، فحدّث من حفظه وما كان سلف له في أيدي الناس، فلهذا أصحابنا يسكنون إلى مراسيله**».

(٢) الكافي للكليني ج١ ص٨

(٣) خاتمة المستدرك للميرزا النوري ج٣ ص٤٦٣ – الفائدة الرابعة.

(٤) المراجعات لشرف الدين ص٣٣٥ – المراجعة ١١٠

عن الخدش في أسناده فحل فحول الأصول وأستاذ الفقهاء والمحققين الشيخ محمد حسن النائيني رضوان الله تعالى عليه: «**إن المناقشة في أسناد روايات الكافي حرفة العاجز**».[1]

ولئن رُدّ فيه ما تعارض من باب الترجيح، أو ما شذّ من باب الشهرة، أو ما خالف من باب الأصول، أو ما طُرح من باب التقية؛ فلا يُرَدّ هذا الخبر ولا يناقِش في سنده إلا العاجز، إذ لا معارض له ولا شهرة تدفعه ولا أصلاً يخالفه ولا هو صادر على جهة التقية كما هو واضح. بل قام ما قام من الشواهد والمتابعات والقرائن والمعضّدات على الوثوق به والاطمئنان إليه والحكم باعتباره، فلا سبيل إلا الإذعان.

• **قد يُقال**: إنّا نُذعن بصدور هذا الخبر وأنه مروي عن الثقات، بيد أنه غير صريح في خيانة عائشة في الفراش، إذ نحمل قوله عليه السلام: «**إلا الفاحشة**» على أن المراد به الكفر والنفاق والذنب العظيم لا الزنا، وذلك بإرجاع اللفظ إلى معناه اللغوي وهو كل ما تفاحش قبحه من القول والفعل، كما في قوله تعالى: «**وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ**»[2] وكقوله سبحانه: «**الَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ**».[3] وفي الحديث نفسه قرينة تدلّ على أن هذا هو المراد لا الفجور، وذلك في قوله عليه السلام: «**وقد زوَّجَ رسول الله صلى الله عليه وآله عثمان**» فكأنه (عليه السلام) يقول أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد زوّج عثمان مع علمه بكفره الباطني ونفاقه وذنبه العظيم، فليس ذلك حائلاً دون انعقاد صحة إنكاحه.

---

(1) معجم رجال الحديث للمحقق الخوئي ج1 ص81 عن أستاذه النائيني في مجلس بحثه.

(2) الأعراف: 29

(3) آل عمران: 136

والجـواب: إن هذا الحمل والتأويل خلاف الظاهر، إذ المتبادر من لفـظ (الفاحـشة) هـو الزنا وما يقوم مقامه كاللواط والسحاق كما هو الشائع في الاستعمال عرفاً وشرعاً. أمـا عرفـاً فظاهر، وأما شرعاً فهذه بعض الآيات والأحاديث؛ فمن الآيـات قولـه تعـالى: «**وَلَا تَقْرَبُـوا الزِّنَا ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا**»[١] وقوله: «**وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَـشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ**»[٢] وقوله: «**وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَـدْ سَـلَفَ ۚ إِنَّـهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا**»[٣] وقوله: «**فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَـيْهِنَّ نِـصْفُ مَـا عَـلَى الْمُحْـصَنَاتِ مِـنَ الْعَـذَابِ**»[٤] وقولـه: «**وَلُوطًـا إِذْ قَـالَ لِقَوْمِـهِ أَتَـأْتُونَ الْفَاحِـشَةَ وَأَنْـتُمْ تُبْصِرُونَ**».[٥] والآيات التي جاء فيها لفظ (الفاحشة) ووقع الاتفاق على تفسيرها بالزنـا ومـا شاكل هي الأكثر من تلك التي اختُلف أو تُردِّدَ في تفسيرها به لتعمّ غيره مما تفاحش قبحه.

ومن الأحاديث خطبة رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه) وفيهـا: «**والمـرأة إذا طاوعـت الرجل فالتزمها حراماً أو قبّلها أو باشرها حراماً أو فاكهها وأصاب منها فاحشة فعليهـا مـن الوزر ما على الرجل**.. إلخ».[٦] وخطبة أمير المؤمنين (عليه السلام) وفيها: «**وأطيعوا الله في ما نهاكم عنه من قذف المحصنة وإتيان الفاحشة وشرب الخمر وبخس المكيال ونقـص الميـزان**.. إلخ»[٧] وحـديث زيـن العابـدين (عليـه الـسلام) وفيـه: «**وأمـا الخنزيـر فهـؤلاء المخنّثـون**

(١) الإسراء: ٣٣

(٢) النساء: ١٥

(٣) النساء: ٢٣

(٤) النساء: ٢٦

(٥) النمل: ٥٥

(٦) ثواب الأعمال للصدوق ص٢٨٤

(٧) من لا يحضره الفقيه للصدوق ج١ ص٥١٧

وأشباههم لا يُدْعَوْنَ إلى فاحشة إلا أجابوا».[1] وحديث الباقر عليه السلام: «**الذي يأتي بالفاحشة والذي يأتي البهيمة حدّه حدّ الزاني**».[2] وحديثه (عليه السلام) وفيه: «**إن رسول الله صلى الله عليه وآله تزوّج بالحرة متعة، فاطلع عليه بعض نسائه فاتهمته بالفاحشة**».[3] وحديث الصادق (عليه السلام) في قوله تعالى: «**وَاتَّقُوا اللهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ. قال: إلا أن تزني فتُخرج ويُقام عليها الحد**».[4] وحديثه عليه السلام: «**في العبد يتزوج الحرة ثم يُعتق فيصيب فاحشة. قال: لا يُرجم حتى يواقع الحرة بعدما يُعتق**».[5] وحديثه عليه السلام في اليهودي والنصراني والمجوسي: «**إنْ أُخِذوا في بلد المسلمين وهم يعملون الفاحشة أيُقام عليهم الحد؟ قال: نعم، يُحكم فيهم بأحكام المسلمين**».[6] وحديثه (عليه السلام) وفيه: «**أُتِيَ عمر بن الخطاب بجارية قد شهدوا عليها أنها بَغَتْ، وكان من قصتها أنها كانت يتيمة عند رجل وكان الرجل كثيراً ما يغيب عن أهله، فشبّت اليتيمة فتخوّفت المرأة أن يتزوّجها زوجها فدعت بنسوة حتى أمسكنها فأخذت عذرتها بأصبعها، فلمّا قَدِمَ زوجها من غيبته رَمَتِ المرأةُ اليتيمةَ بالفاحشة.. إلخ**».[7] وحديث الكاظم عليه السلام: «**إنْ لم تكن فاحشة فزوِّجْه؛ يعني الخنث**»[8] وفي حديث احتجاج أمير

(1) الخصال للصدوق 339

(2) الاستبصار للشيخ الطوسي ج4 ص224

(3) وسائل الشيعة للحر العاملي ج21 ص10، والظاهر أن التي اتهمت النبي (صلى الله عليه وآله) هي عائشة أو حفصة عليهما لعائن الله.

(4) من لا يحضره الفقيه ج3 ص499

(5) الكافي للكليني ج5 ص487

(6) من لا يحضره الفقيه للصدوق ج4 ص121

(7) الكافي للكليني ج7 ص426

(8) قرب الإسناد للحميري ص248

المؤمنين (عليه السلام) على أبي بكر لعنه الله: «**قال: فأخبرني لو أن شاهدين من المسلمين شهدا على فاطمة عليها السلام بفاحشة ما كنتَ صانعاً؟ قال: كنتُ أقيمُ عليها الحد كما أقيم على نساء المسلمين! قال: كنتَ إذن عند الله من الكافرين! قال: ولمَ؟ قال: لأنك كنتَ تردَّ شهادة الله وتقبل شهادة غيره، لأن الله عز وجل قد شهد لها بالطهارة**».(١)

وكما هو الحال في الآيات فإن الأحاديث التي جاء فيها لفظ (الفاحشة) بمعنى الزنا وما شاكل من لواط وسحاق هي أضعاف أضعاف ما جاء بهذا اللفظ مما ينصرف معناه إلى غيره، وهذا يثبت شيوع استعمال هذا اللفظ لهذا المعنى في اللسان الشرعي فضلاً عن العرفي، وقد نصّ على ذلك أهل اللغة والحديث، ففي لسان العرب عن ابن الأثير: «**وكثيراً ما تَرِدُ الفاحشة بمعنى الزنا، ويسمّى الزنا فاحشة**».(٢) وأقرّ بذلك حتى أولئك الذين حاولوا صرف هذا اللفظ عن هذا المعنى في خبر زرارة، كالعلامة المجلسي (رضوان الله تعالى عليه) الذي قال في مقام التعليق عليه: «**فالمراد بالفاحشة الزنا كما هو الشائع في استعمالها**».(٣)

وبهذا الملاك؛ أعني شيوع استعمال الفاحشة مرادفاً للزنا، يكون قوله عليه السلام: «**ما يعني بذلك إلا الفاحشة.. أما والله ما عنى بذلك إلا الفاحشة**» ذا معنى متبادر هو أن المعني الزنا، وهو ظاهر فيه، لا يُصرف عنه إلا بقرينة، وهي مفقودة.

ولا يُتَوَهَّمَنَّ أن ذكر عثمان في الخبر قرينة صارفة كما جاء في الإشكال، إذ لمَ لا يكون ذكره قرينة مؤيدة؟ فإنه لم يكن كافراً منافقاً فحسب؛ بل كان فاجراً منكوحاً أيضاً يأتي الفواحش،

---

(١) علل الشرائع للصدوق ج١ ص١٩١

(٢) لسان العرب لابن منظور – مادة: فحش.

(٣) مرآة العقول للعلامة المجلسي ج١١ ص١٩٤

فقد روى النباطي البياضي: «**كان عثمان ممن يُلعبُ به ويتخنّث وكان يضرب بالدف**»![١] ولذا وصفه إمامنا زين العابدين (صلوات الله عليه) بأنه: «**أبو الملاهي**»![٢] فيما وصفه حذيفة بن اليمان (رضوان الله تعالى عليه) بأنه: «**أبو المعازف**»![٣] وقال فيه: «**إنه دخل حفرته وهو فاجر**»![٤] وقد ورث ذلك عن أبيه إذ قال ابن الكلبي: «**وممن كان يُعلبُ ويُفتحَلُ به عفّان أبو عثمان**»![٥] وقال أبو حنيفة القاضي النعمان المغربي: «**وكان عفان هذا مخنّثاً يضرب الدف ويزمّر**»![٦] وهكذا عاب ابن عباس عثمان بأبيه في مجلس معاوية حين وصمه بقوله: «**ابن مخنّث قريش**»![٧]

ومهما يكن من تفصيل فإنه لا يُشك في كون عثمان منكوحاً يُؤتى، لأنه تسمّى بأمير المؤمنين زوراً، وقد جاء في الحديث الشريف عن الصادق عليه السلام: «**هذا اسم لا يصلح إلا لأمير المؤمنين عليه السلام، الله سمّاه به، ولم يُسمَّ به أحدٌ غيرُه إلا كان منكوحاً**».[٨] وعثمان مشمول بقولهم عليهم السلام: «**إن لنا حقاً ابتزّه منّا معادن الأُبَنْ**».[٩] والأُبَنُ جمع المأبون وهو المنكوح.

---

(١) الصراط المستقيم للنباطي البياضي ج٣ ص٣٠ عن الكلبي، وفي نسخة: عفان.

(٢) تفسير الإمام العسكري عليه السلام ص١٩٥ وعنه بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج١٧ ص٣٣٠

(٣) الخصال للصدوق ص٤٩٩

(٤) بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج٣١ ص٢٨٤

(٥) مثالب العرب لابن الكلبي ص٥٥

(٦) المناقب والمثالب لأبي حنيفة النعمان القاضي المغربي ص١٦٠

(٧) أخبار الدولة العباسية ص٤٩

(٨) تفسير العياشي ج١ ص٢٧٦ وعنه وسائل الشيعة للحر العاملي ج١٤ ص٦٠٠

(٩) شجرة طوبى للحائري ج١ ص٦٩ عن الصادق عليه السلام، ومهج الدعوات لابن طاووس ص٦٧ عن العسكري عليه السلام، وعنه بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج٨٢ ص٢٣٠

بهذا يجانس الكلام بعضه بعضاً في خبر زرارة، فكما احتج (عليه السلام) بجواز نكاح نساء أهل الخلاف بزواج رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعائشة وحفصة رغم أنهما منافقتان فاجرتان؛ كذلك احتج (عليه السلام) بجواز إنكاح رجال أهل الخلاف بتزويج رسول الله (صلى الله عليه وآله) عثمان رغم أنه منافق فاجر. كل ذلك إجراءً لاسم الإسلام على من تشهّد الشهادتيْن وإن عُلِمَ نفاقه وفجوره.

وعليه؛ فليس ذكر عثمان في الخبر بناهض على أن يكون قرينة تصرف (الفاحشة) عن معناها الظاهر المتبادر، إذ للدافع أن يحتج بما عُرف عن عثمان وثبت فيه من الفجور، فيشفع له السياق كما تشفع له المجانسة، فيستقر معنى (الفاحشة) على ما هو الشائع في الاستعمال من أنها ترادف الزنا والفجور.

ويدعم هذا استقراراً بما ينتهي إلى القطع أن منطوق الخبر جاءت فيه (الفاحشة) معرَّفةً بألف ولام، وهو ما يفيد أن لها معنى متعيّناً، ولم تأتِ منكَّرةً حتى يُحتمل أن يكون المراد بها غير ذلك المعنى المتعيّن، وليس من معنى متعيّن بالتعيّن العرفي إلا الزنا وما شاكل، ولذا حكى القرطبي: «**الفاحشة إذا وردت معرَّفةً فهي الزنا واللواط، وإذا وردت مُنكَّرةً فهي سائر المعاصي**».(١)

ثم إن منطوق الخبر اشتمل على أقوى صيغ الحصر، وهي صيغة الإثبات بعد النفي، وذلك قوله عليه السلام: «**ما ترى من الخيانة في قول الله عز وجل: فَخَانَتَاهُمَا؟ما يعني بذلك إلا الفاحشة.. أما والله ما عنى بذلك إلا الفاحشة**». فلا محالة ينحصر معنى (الفاحشة) في فرد خاص متبادر يُخرج سائر الأفراد، وإلا كان الكلام من سفه القول، حاشا الإمام (عليه السلام) عنه، إذ كأنه يقول حينئذ: «والله ما يعني بذلك إلا القبائح والذنوب الكبيرة»! وتلك

---

(١) تفسير القرطبي ج١٤ ص١٧٦

ركاكة ظاهرة في استخدام صيغة الحصر. وعليه يتحقق الجزم بأن المراد من (الفاحشة) ههنا هو المعنى المتبادر المتعيّن في العرف والشرع، وهو خصوص الزنا لا غير.

ولو لم يكن هذا هو المعنى الواضح؛ لما قال الحر العاملي في الوسائل في مقام تعليله لحذف كلمة (الفاحشة) من نسخة الخبر الثاني: «**المستثنى محذوف في الموضعين لعدم إمكان التصريح به**»، إذ فيه إشعار باعتقاده وقوع عائشة في فاحشة الزنا لأن هذا هو المتبادر من اللفظ ولذا أرجع حذف المستثنى إلى عدم إمكان التصريح به، ولو كان غير هذا لَما كان ثمة داعٍ للحذف ولا كان ثمة داعٍ لإرجاعه ذلك إلى عدم إمكان التصريح بالمحذوف، إذ باب التأويل واسع. غير أنه (رضوان الله تعالى عليه) رأى وضوح المعنى بما لا مجال لصرفه عنه إلى غيره، فلا يكون حذف الكلمة في الموضعيْن إلا لعدم إمكان التصريح آنذاك بحقيقة وقوع عائشة في الزنا.

● **قد يُقال:** قد ورد في بعض الأخبار أن (الفاحشة المبينة) هي الخروج على أمير المؤمنين (عليه السلام) بالسيف، وهذا يَرِدُ على حصر معناها في خبر زرارة بالزنا، فعن محمد ابن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام: «**قال: قال لي: أَتدري ما الفاحشة المبيِّنة؟ قلتُ: لا. قال: قتال أمير المؤمنين عليه السلام. يعني أهل الجمل**».[1] وعن حريز قال: «**سألتُ أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ؛ قال: الفاحشة الخروج بالسيف**».[2] وعلى هذا يكون معنى قوله (عليه

(١) تأويل الآيات لشرف الدين الحسيني ج٢ ص٤٥٣ وبحار الأنوار للعلامة المجلسي ج٣٢ ص٢٨٦ عن كنز الفوائد للكراجكي.

(٢) تفسير القمي ج٢ ص١٩٣ وعنه تأويل الآيات لشرف الدين الحسيني ج٢ ص٤٥٣

السلام) في خبر زرارة: «**ما عنى بذلك إلا الفاحشة**» أنه ما عنى بـذلك إلا الخـروج بالـسيف وقتال أمير المؤمنين (عليه السلام) في يوم الجمل، فإن الروايات يفسّر بعضها بعضاً.

والجـواب: إن خبر محمد بن مسلم وحريز لم يأتِ في تأويل (الفاحشة) بلا قيد، بـل أتـى في تأويلها بقيد وصفي هو أنها (مبيِّنة)، فالفاحشة المبينة في تلك الآية الكريمـة هـي الخـروج على أمير المؤمنين عليه الـسلام، لأنهـا ظـاهرة للعِيـان ولـذلك وُصـفت بالمبيِّنـة، أمـا مطلـق (الفاحشة) فإنها تنصرف أول ما تنصرف إلى الزنا وما شاكل على ما تقرّر آنفاً.

وبعبارة أخرى؛ إن الإمام (عليه السلام) حين أوّل قوله تعالى: «**فَخَانَتَاهُمَا**» لم يقـل: «مـا عنى بذلك إلا الفاحشة المبينة» حتى يتم ما قيل في الإشكال، بل اقتصر على قولـه: «**مـا عنـى بذلك إلا الفاحشة**» وهو ههنا يتحدث بلسان العرف لأنه في مقام البيان، والعـرف يفهـم أن (الفاحشة) بلا قيد هي الزنا، أما مع القيود فيحتـاج إلى تأمـل وتفـسير، إذ تكـون مـن قبيـل الموضوعات المستنبطة الشرعية.

ثم إن خبر محمد بن مسلم وحريز ليس فيه حصر بـ (إنما) وما شاكل، أي لم يُقصر معنـى (الفاحشة المبينة) على الخروج بالسيف والقتال. فإذا أعرضنا عن قيد (المبينة) تنقيحـاً؛ فغايـة ما يُقال حينئذ أن هذا تفسير ببيان المصداق غير المتبادر لئلّا يُغفل عنه، بمعنى أن الإمام (عليه السلام) كان في مقام ضمّه إلى مفهوم الآية توسيعاً، لئلّا يُقتصر على المصداق المتبادر تـضييقاً، وكم لهذا في الروايات الشريفة من نظير كما لا يخفى على المتتبع الخبير.

ولا بأس ههنا بذكر مثالَيْن أحدهما يرتبط بـما نحـن فيـه، أمـا **الأول** فقـد روى الكلينـي والقمي عن عبد الرحمن بن كثير عن أبي عبد الله عليه السلام: «**في قوله: حَبَّبَ إِلَـيْكُمُ الْإِيـمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ؛ يعني أمير المؤمنين عليه السلام. وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ؛ أبا**

بكر وعمر وعثمان».[(١)] وأما **الثاني** فقد روى الكليني والعياشي عن محمد بن منصور قال: **«سألته عن قول الله عز وجل: وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ. قال: فقال: هل رأيتَ أحداً زعم أن الله أمر بالزنا وشرب الخمر أو شيء من هذه المحارم؟ فقلتُ: لا. فقال: ما هذه الفاحشة التي يدّعون أن الله أمرهم بها؟ قلتُ: الله أعلم ووليُّه. قال: فإن هذا في أئمة الجور، ادّعوا أن الله أمرهم بالائتمام بقوم لم يأمرهم بالائتمام بهم، فردّ الله ذلك عليهم فأخبر أنهم قد قالوا عليه الكذب، وسمّى ذلك منهم فاحشة»**.[(٢)]

فهنا؛ لا ريب في أن المتبادر من (الكفر) هو جحود الدين أو الشرك، وأن المتبادر من (الفسوق) هو الخروج عن حد الطاعة،[(٣)] وأن المتبادر من (العصيان) هو كل عصيان وتمرد، غير أن الإمام (عليه السلام) أراد أن لا يُغفل عن مصاديق شخصية تُضَمّ إلى تلك المتبادرات، فيكون (الكفر) أبا بكر لأنه أكفر الناس، ويكون (الفسوق) عمر لأنه أفسق الناس، ويكون (العصيان) عثمان لأنه أعصى الناس.

وكذا؛ لا ريب في أن المتبادر من (الفاحشة) التي **«قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا»** يشمل ما عُلِمَ منهم في الجاهلية من الفواحش، كطوافهم عراةً مثلاً بدعوى أن ذلك من أمر الله تعالى وقد وجدوا عليه آباءهم، غير أن الإمام (عليه السلام) أراد أن لا يُغفل عن مصداق آخر جارٍ بعد إسلامهم حين لا أحد منهم يزعم أن الله أمره بالزنا وشرب الخمر أو شيء من

---

(١) الكافي للكليني ج١ ص٤٢٦ وتفسير القمي ج٢ ص٣١٩

(٢) الكافي للكليني ج١ ص٣٧٣ وتفسير العياشي ج٢ ص١٢

(٣) وقد رُوي عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) أنه الكذب كما في مجمع البيان للطبرسي ج٩ ص٢٢١، وهو مشمول بالخروج عن حد الطاعة، ويكون ذكره من باب التنبيه على أهم المصاديق.

هذه المحارم، وذلك المصداق هو أنهم كذبوا على الله تعالى حين ادّعوا أنه أمرهم بالائتمام بأئمة الجور،[١] فكان هذا الكذب منهم فاحشة، لأن أفحش الكذب ذاك الذي يكون على رب العالمين جل وعلا.

إذا أدركتَ هذا؛ تدرك أن قوله عليه السلام: «**أَ تدري ما الفاحشة المبيِّنة؟ قلتُ: لا. قال: قتال أمير المؤمنين عليه السلام.. الفاحشة الخروج بالسيف**» ليس بغرض قصر (الفاحشة) على مصداق الخروج على أمير المؤمنين (عليه السلام) وإخراج مصداق الزنا الذي هو المتبادر، بل بغرض إلفات السامع إلى ذلك المصداق الذي قد يكون بعيداً عن ذهنه فيغفل عنه لأنه غير متبادر من اللفظ، فحينئذ يضمّه إلى ذاك.

وذاك؛ أعني أن الزنا هو أولى مصاديق (الفاحشة) التي ينصرف إليها هذا اللفظ على وجه السبق؛ مما لا يمكن أن يُناقَش فيه بعد الذي اتضح من شيوع الاستعمال والارتكاز. وليس خبر محمد بن مسلم وحريز في مقام نفيه.

فتبيَّنَ من هذا؛ أن قوله تعالى: «**يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ**» يعمّ في معنى (الفاحشة) مصاديق، منها ما بقيد أنها (مبينة) أي ظاهرة وهو الخروج والقتال ورفع السيف، ومنها ما هو على الإطلاق تنقيحاً وتبادراً وهو الزنا والتبرج والتعرض للرجال وما ماثل، ومنها ما هو داخل تحت عنوان كل ما تفاحش قبحه كالكذب

---

(١) إن ثقافة أهل الخلاف في الخضوع والتذلل للحكام الجائرين مستمرة إلى اليوم بدعوى أن الله أمر بذلك! وتلك في الواقع ركيزة من ركائز عقيدتهم الفاسدة، فقد قال أبو جعفر الطحاوي كما شرح العقيدة الطحاوية ص١١٠: «**ولا نرى الخروج على أئمّتنا ولا ولاة أمرنا وإن جاروا! ولا ندعو على أحدٍ منهم! ولاننزع يداً من طاعتهم! ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضةً علينا ما لم يأمروا بمعصية**»!

على الله تعالى والتظاهر على رسوله (صلى الله عليه وآله) ونحو ذلك من الكبائر التي ركبتها عائشة.

ومن الحريّ هنا إيراد ما جاء في حديث جابر بن عبد الله وأبي سعيد الخدري الذي سبقت الإشارة إليه، لبيان أن أهل الصدر الأول لم يشذ فهمهم لمعنى (الفاحشة) في الآية الكريمة عن العرف، ففسرّوها بالزنا، قال جابر: «**ثم قال: يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ؛ يعني الزنا. يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ؛ يعني في الآخرة. وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا (...) فقال أبو سعيد: هذا الحديث على وجهه**».[1]

وفي قوله: «**يعني الزنا**» دلالة كافية على أنه لو كان ثمة معنى مرتكزاً في أذهانهم ينفي الزنا أو يدفعه عن الدخول في المراد من لفظ (الفاحشة) في الآية لذكروه دونه، كما أنهم لو كانوا سمعوا من رسول الله (صلى الله عليه وآله) غير ذلك لذكروه دونه، سيّما من مثل جابر (رضوان الله تعالى عليه) الذي كان من خيرة المؤمنين وأصلحهم وألزمهم لرسول الله وأهل بيته الأطهار عليهم السلام.

والطبري - صاحب أكثر التفاسير اعتباراً واعتماداً عند العامة - لم يدفع هذا المعنى أيضاً، بل لم يذكر غيره، فإنه قال في تفسيره للآية الكريمة: «**يقول تعالى ذكره لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم: يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ؛ يقول: مَن يَزْنِ منكنَّ الزنا المعروف الذي أوجب الله عليه الحد؛ يُضاعَف لها العذاب على فجورها في الآخرة ضِعْفَيْن على فجور أزواج الناس غيرهم**».[2]

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج٨ ص١٨١

(٢) تفسير الطبري ج٢١ ص١٩١

وإنك لو التفتَّ إلى أن علي بن إبراهيم القمي (رضوان الله تعالى عليه) هو راوي خبر حريز الذي فيه تأويل (الفاحشة) بالخروج بالسيف في تفسيره؛ وهو القائل أيضاً في تفسيره: «**والله ما عنى بقوله: فَخَانَتَاهُمَا؛ إلا الفاحشة! وليقيمنَّ الحدّ على عائشة في ما أَتَتْ في طريق البصرة، وكان طلحة يحبّها! فلمّا أرادت أن تخرج إلى البصرة قال لها طلحة: لا يَحِلُّ لكِ أن تخرجي من غير محْرَمْ! فزوَّجَتْ نفسها من طلحة**»؛ أقول: لو التفتَّ إلى هذا لفطنتَ إلى أن خبر حريز لا يصرف معنى الزنا عن لفظ (الفاحشة) في خبر زرارة من باب حمل ذاك على هذا، إذ لو كان كذلك لما تجرّأ علي بن إبراهيم على مثل هذا القول، فإن كونه راوي خبر حريز يعني أن هذا المعنى للفاحشة (وهو الخروج بالسيف) ليس غائباً عن إدراكه، وهو بعدُ يرويه عن إمام معصوم، فيمينه على أنها ارتكبت الفاحشة بتزويج نفسها من طلحة في طريق البصرة وأن هذا هو المعني بقوله تعالى: «**فَخَانَتَاهُمَا**»؛ لا يعني إلا أن (الفاحشة) في تفسير قوله تعالى: «**فَخَانَتَاهُمَا**» غير الفاحشة في تفسير قوله تعالى: «**مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ**»، فالمراد بالأول خصوص الزنا، والمراد بالثاني ما هو أعمّ ومصداقه الأبرز الخروج بالسيف.

وبعبارة أخرى؛ إنّا علمنا أن علي بن إبراهيم هو راوي خبر حريز وفيه أن «**الفاحشة الخروج بالسيف**»، وهو أيضاً راوي خبر زرارة وفيه أنه تعالى «**ما عنى بقوله: فَخَانَتَاهُمَا إلا الفاحشة**»، وهو أيضاً القاطع بقوله: «**والله ما عنى بقوله: فَخَانَتَاهُمَا؛ إلا الفاحشة! وليقيمنَّ الحدّ على عائشة في ما أَتَتْ في طريق البصرة.. إلخ**».

فإذا كان معنى (الفاحشة) في قوله عليه السلام: «**ما عنى بقوله: فَخَانَتَاهُمَا إلا الفاحشة**» محمولاً على «**الخروج بالسيف**» قصراً لما قال علي ما قال، فلا بد من أن يكون محمولاً على «**ما أَتَتْ في طريق البصرة**» سيّما وأن الكلامين من هيئة واحدة وسبكٍ واحد، غاية ما هنالك أن

قول علي تبيين وتفصيل لما أُجمِل في روايته عن زرارة عن الباقر عليه السلام، وذلك القول في حكم الرواية أيضاً كما ذكرنا آنفاً.

وإنك لو تدبّرتَ في لفظ وسياق خبر زرارة؛ لوجدتَ ما في هذا الحمل المدّعى من التكلّف بل التعسّف وسوء التقدير، فإنه يصوّر المعصوم عليه السلام – حاشاه وهو سيد البيان والحكمة وفصل الخطاب – بصورة مَن لا يعرف كيف يتكلم! ذلك أنه يحصر بما يعمّ ويفسّر بما يحتاج هو نفسه إلى تفسير! وكان يغنيه أن يقول مثلاً: «ما عنى بقوله: فَخَانَتَاهُمَا إلا الخروج بالسيف» أو «إلا الكفر والنفاق» حتى لا يذهب السامع يميناً وشِمالاً.

والإنصاف أنه لو كان معنى (الفاحشة) غير واضح جليٍّ عند السامع الذي هو زرارة؛ لوجدناه يعود ويسأل في الرواية نفسها عنه، لأن مراد الإمام (عليه السلام) حينئذ من إيصال المعنى إليه لم يتحقق، والمقام مقام الاحتجاج والاستدلال كما هو ظاهر من الرواية، وكل من خَبِرَ حال زرارة بن أعين (رضوان الله تعالى عليه) يعلم كَمْ كان مكثاراً في السؤال والاستفسار وأنه لم يكن يدع شاردة وواردة إلا استوضحها وتثبَّتَ منها، فسكوته ثم مضيّه في محاورة الإمام (صلوات الله عليه) يعني أنه أدرك جيداً معنى قوله عليه السلام: «**ما عنى إلا الفاحشة**» وأنه ليس إلا مرادفاً لقول: «**ما عنى إلا الزنا**».

بل إنه حتى لو لم تكن ثمة رواية هكذا في اليد، لما كان في تفسير قوله تعالى: «**فَخَانَتَاهُمَا**» بأن المراد هو وقوع المعرَّض بهما في الزنا والفجور كثير مجازفة، ذلك لأن (خيانة المرأة زوجها) هو الآخر تعبير ظاهر في خيانة الفراش، وأول ما يسبق إلى الذهن منه هو أن المرأة ارتكبت الزنا والفجور، والشواهد على هذا الظهور كثيرة، منها على سبيل المثال ما في حديث المسوخ عن أبي الحسن الرضا (صلوات الله عليه) قال: «**ومُسخت الأرانب لأنها كانت امرأة تخون**

زوجها ولا تغتسل من حيض ولا جنابة».[(١)] ومنها ما حكاه الأبشيهي وغيره من حال العرب في الجاهلية: «**الرَّتَمُ شجر معروف، كانت العرب إذا خرج أحدهم الى سفر عمد إلى شجرة منه فيعقد غصناً منها، فإذا عاد من سفره ووجده قد انحل قال: قد خانتني امرأتي! وإن وجده على حالته قال: لم تخني**».[(٢)]

وإذا لم يكن هناك كثير مجازفة في تفسير قوله تعالى: «**فَخَانَتَاهُمَا**» بأن المراد هو الزنا لأن هذا اللفظ ظاهر في هذا المعنى؛ فكيف إذا جاءت الرواية لتؤكده على صيغة الحصر بما هو أظهر حيث قال عليه السلام: «**ما عنى بقوله: فَخَانَتَاهُمَا إلا الفاحشة**»؟! بل كيف إذا جاء في الرواية القسم عليه ثم التكرار للتوكيد حيث قال عليه السلام: «**أما والله ما عنى بذلك إلا الفاحشة! في قول الله عز وجل: فَخَانَتَاهُمَا؛ ما عنى بذلك إلا الفاحشة**»؟!

إنه بعد ملاحظة كل هذا لا يكون الإنكار ومحاولة صرف المعنى عن المتبادر الظاهر الواضح إلا مكابرة، سيّما أنه ما من رواية أخرى معارضة لهذه في مقام تفسير الآية الكريمة حتى يُجتهَد في ترجيحها عليها. إنما القول في موضوع الخيانة قول واحد عن الحجج الطاهرين (عليهم السلام) وثقات أصحابهم ورواتهم.

بهذا يتبيَّن لك أن خبر زرارة عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) في حكم الصريح، أي أنه يصرّح بحقيقة ارتكاب عائشة فاحشة الزنا حيث عُرِّض بها وبأختها حفصة في قوله تعالى: «**فَخَانَتَاهُمَا**». ومما يُستفاد من الخبر أيضاً أن حفصة أقدمت على مثل ذلك، وإنْ لم نقف على اسم مَن زنت وإيّاه.

---

(١) علل الشرائع للصدوق ج٢ ص٤٨٥

(٢) المستطرف للأبشيهي ج٢ ص١٧٦ ومحاضرات الأدباء للراغب ج١ ص٦٧

● **قد يُقـال**: إن دعوى أنه ما مـن روايـة معارضـة تنفـي معنـى الزنـا عـن قولـه تعـالى: «**فَخَانَتَاهُمَا**» غير تامة، فهناك رواية ابن عباس التي جاءت في تفسير الشيخ الطـوسي وغـيره، وفيها قوله: «**كانت امرأة نوح كافرة تقول للناس إنه مجنـون، وكانـت امـرأة لـوط تـدل عـلى أضيافه، فكان ذلك خيانتها لهما، وما زنت امرأة نبي قط**».[١] وبهـذا الإطـلاق يكـون وقـوع عائشة في الزنا محالاً، ولا بد من طرح الأخبار في ذلك أو تأويلها.

والجـواب: إن هذه ليست رواية عن معصوم، إنما هو قـول موقـوف عـلى ابـن عبـاس لم يأخذه عن النبي (صلى الله عليه وآله) أو أحد مـن الأئمـة علـيهم الـسلام، وإلا لـذكر ذلـك خصوصاً أو عموماً. والمعلوم أن كثيراً مما ينتهي إلى ابن عباس في التفسير إنما هو إسرائيليات، حيث كان مع أبي هريرة من أبرز تلامذة كعب الأحبار اليهودي لعنة الله عليه.[٢]

ثم إن هذا القول المأثور عنه إنما جاء من طرق أهل الخلاف لا من طرقنا، ومنهم استورِدَ إلى بعض تفاسير أصحابنا وأُرسل، فقد أخرجه عنه مسنداً عبد الرزاق والفريابي وسعيد ابـن منصور وعبد بن حميد وابن أبي الدنيا وابن جرير وابن المنذر وابـن أبي حـاتم والحـاكم وابـن عساكر،[٣] وجاء في تفاسير الثوري والطبري والصنعاني والقرطبي وابـن كثـير وغـيرهم،[٤]

---

(١) التبيان للشيخ الطوسي عليه الرضوان ج١٠ ص٥٢

(٢) قال أحمد أمين في فجر الإسلام ص١٦٠: «**وأما كعب الأحبار أو كعـب بـن مـاتع فيهـودي مـن الـيمن كذلك، ومن أكبر من تسربت منهم أخبار اليهود إلى المسلمين، أسلم في خلافة أبي بكر وعمـر – عـلى خـلاف في ذلك – وانتقل بعد إسلامه إلى المدينة ثم إلى الشام، وقد أخذ عنه اثنان هما أكبر من نشر علمـه؛ ابـن عبـاس – وهذا يعلل ما في تفسيره من الإسرائيليات – وأبو هريرة**».

(٣) عدّدهم السيوطي في تفسيره ج٦ ص٢٤٥

(٤) تفسير الثوري ص١٣٠ وتفسير الطبري ج١٢ ص٦٧ وتفسير الصنعاني ج٢ ص٣١٠ وتفسير القرطبـي ج٩ ص٤٦ وج١٤ ص١٧٦ وج١٨ ص٢٠٢ وتفسير ابن كثير ج٤ ص٤١٩ وغيرها كثير.

فمعاملة هذا الأثر عن ابن عباس معاملة الرواية عن معصوم هو من الإجحاف، فكيف باعتباره وتقديمه على روايات المعصومين (عليهم السلام) وطرحها لأجله من باب التعارض؟! أ فهل يرقى مجرد أثر جاء به أهل الخلاف عن «حبر أمّتهم» لأن يكون معارضاً لأحاديث أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم؟!

ثم إنه لا يمكن الركون إلى ابن عباس أو الاطمئنان إليه كل الاطمئنان سيّما في مثل هذه الموارد، لأنه مذموم في الأحاديث ومنعوت بالخائن والخاسر والحائر والمدّعي والمنتحل والجاحد وسخيف العقل والأعمى في الدنيا والآخرة والفارّ بخيانته والهالك المُهلك ومَنْ في صلبه وديعة ذُرئت لنار جهنم.. وغير ذلك مما يقدح فيه ويبيّن أنه كان من المنحرفين عن الأئمة الأطهار (عليهم السلام) والمستأكلين الناس بهم.

ومن تلكم الأحاديث ما عن الفضيل بن يسار، عن أبي جعفر الباقر (صلوات الله عليه) أنه قال: «**أتى رجل أبي عليه السلام فقال: إن فلاناً - يعني عبد الله بن العباس - يزعم أنه يعلم كل آية نزلت في القرآن في أي يوم نزلت وفي مَ نزلت! قال: فسَلْهُ في مَن نزلت: وَمَن كَانَ فِي هَـٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا؟ وفي مَ نزلت: وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ؟ وفي مَ نزلت: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ؟ فأتاه الرجل، فقال: وددتُ الذي أمرك بهذا واجهني به فأسائله! ولكن سَلْهُ ما العرش ومتى خُلِقَ وكيف هو؟ فانصرف الرجل إلى أبي فقال له ما قال، فقال: وهل أجابك في الآيات؟ قال: لا! قال: ولكني أجيبك فيها بنور وعلم غير المدّعي والمنتحل! أما الأولتان فنزلتا في أبيه، وأما الأخيرة فنزلت في أبي وفينا، وذِكْرِ الرباط الذي أُمِرنا به بعدُ وسيكون ذلك من نسلنا المرابط ومن نسله المرابط. فأما ما سألك عنه فما العرش؟ فإن الله عزوجل جعله أرباعاً لم يخلق قبله شيئاً إلا**

ثلاثة أشياء؛ الهواء والقلم والنور، ثم خلقه من ألوان مختلفة من ذلك النور الأخضر الذي منه اخضّرت الخضرة، ومن نور أصفر اصفرّت منه الصفرة، ونور أحمر احمرّت منه الحمرة، ونور أبيض وهو نور الأنوار، ومنه ضوء النهار، ثم جعله سبعين ألف طبق غلظ كل طبق كأول العرش إلى أسفل السافلين، وليس من ذلك طبق إلا يسبّح بحمده ويقدّسه بأصوات مختلفة وألسنة غير مشتبهة، ولو سمع واحداً منها شيءٌ مما تحته لانهدم الجبال والمدائن والحصون ولُخسف البحار ولهلك ما دونه. له ثمانية أركان ويحمل كل ركن منها من الملائكة ما لا يُحصى عددهم إلا الله يسبّحون الليل والنهار لا يفترون، ولو أحس شيء مما فوقه ما قام لذلك طرفة عين، بينه وبين الإحساس الجبروت والكبرياء والعظمة والقدس والرحمة ثم العلم، وليس وراء هذا مقال. لقد طمع الخائن في غير مطمع! أما إن في صلبه وديعة قد ذُرِئَت لنار جهنم! سيُخرجون أقواماً من دين الله أفواجاً كما دخلوا فيه، وستُصبغ الأرض بدماء الفراخ من فراخ آل محمد، تنهض تلك الفراخ في غير وقت وتطلب غير ما تدرك، ويرابط الذين آمنوا ويصبرون لما يرون حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ الحَاكِمِينَ». (١)

(١) الاختصاص للمفيد ص٧١ ورجال الكشي ج١ ص٢٧٣ وتفسير القمي ج٢ ص٢٣ وتفسير العياشي ج٢ ص٣٠٥ وبحار الأنوار للعلامة المجلسي ج٨٥ ص٢٤، بألفاظ متقاربة. وقد حاول بعضهم الخدش في الحديث بوجود **إبراهيم بن عمر اليماني** في سنده وهو ضعيف عند ابن الغضائري، لكن ذلك مردود بأن النجاشي قد وثّقه وشيَّخَه ونقل اتفاق أبي العباس بن نوح وغيره على ذلك، والشيخ ذكر له أصولاً رواها عنه **حماد بن عيسى**، والعلامة نصّ على أن الأقوى قبول روايته، وابن الغضائري - الابن لا الأب - لا يعتد بتضيعفاته. ثم إن بعضهم خدش بأن الحديث رواه **جعفر بن معروف السمرقندي** ولم يوثق، وهو مردود بأن القمي يرويه بسند آخر موثق عن أبيه عن حماد بن عيسى عن إبراهيم بن عمر اليماني عن أبي الطفيل عن أبي جعفر عليه السلام، فالحديث له أكثر من طريق، وله نظائر ومعضّدات وتحفّ به قرائن الصدق بما يبعث على الاطمئنان. ولذا قال الميردامادي في التعليق عليه كما في هامش رجال الكشي ج١ ص٢٧٤: «**وبالجملة هذا الحديث الشريف طريقه صحيح على الأصح**».

ومما ورد من الأحاديث في ذمّه أيضاً ما رواه الكليني عن الحسن بن عباس بن حريش، عن أبي جعفر الجواد (عليه السلام) عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام)، قال: «**بينا أبي جالس وعنده نفر إذ استضحكَ حتى اغرورقت عيناه دموعاً، ثم قال: هل تدرون ما أضحكني؟ فقالوا: لا، قال: زعم ابن عباس أنه من الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا![1] فقلتُ له: هل رأيتَ الملائكة يابن عباس تخبرك بولائها لك في الدنيا والآخرة مع الأمن من الخوف والحزن؟! فقال: إن الله تبارك وتعالى يقول: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ؛ وقد دخل في هذا جميع الأمة! فاستضحكتُ! ثم قلتُ: صدقت يابن عباس! أُنشدك الله؛ هل في حكم الله جل ذكره اختلاف؟ فقال: لا، فقلتُ: ما ترى في رجلٍ ضرب رجلاً أصابعه بالسيف حتى سقطت ثم ذهب وأتى رجلٌ آخر فأطار كفّه فأُتيَ به إليك وأنت قاض؛ كيف أنت صانع؟ قال: أقول لهذا القاطع: أعطه دية كفه، وأقول لهذا المقطوع: صالحه على ما شئتَ وابعث به إلى ذوي عدل! قلتُ: جاء الاختلاف في حكم الله عز ذكره ونقضتَ القول الأول! أبى الله عز ذكره أن يُحدث في خَلْقه شيئاً من الحدود وليس تفسيره في الأرض، اقطع قاطع الكف أصلاً ثم أعطه دية الأصابع، هكذا حَكَمَ الله ليلة تنزَّلَ فيها أمره، إن جحدتها بعدما سمعتَ من رسول الله صلى الله عليه وآله فأدخلكَ اللهُ النارَ كما أعمى بصرك يوم جحدتها علي بن ابي طالب! قال: فلذلك عُمِيَ بصري؟! وما علمكُ بذلك؟! فوالله إنْ عُمِيَ بصري إلا من صفقة جناح الملك! ثم تركتُه يومه ذلك لسخافة عقله، ثم لقيتُه فقلتُ: يابن عباس! ما تكلَّمْتَ بصدقٍ بمثل أمس! قال لك علي بن أبي طالب: إن ليلة القدر في كل سنة، وأنه ينزل في تلك الليلة أمر السنة، وأن**

---

(١) وتتمة الآية الكريمة: «تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ» فصلت: ٣١. أي أن ابن عباس ادعى بذلك أنه ممن تتنزّل عليه الملائكة وقد بشّرته بالجنة! فكأنه أراد أن يوهم الناس أنه من الأئمة المعصومين عليهم السلام! ولذا قال له الباقر عليه السلام: «**هل رأيتَ الملائكة يابن عباس تخبرك بولائها لك في الدنيا والآخرة مع الأمن من الخوف والحزن**»؟!

لذلك الأمر ولاةٌ بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، فقلتَ: من هم؟ فقال: أنا وأحد عشر من صلبي أئمة محدَّثون، فقلتَ: لا أراها كانت إلا مع رسول الله صلى الله عليه وآله! فتبدّى لكَ المَلَك الذي يحدّثه، فقال: كذبتَ يا عبد الله! رأتْ عيناي الذي حدَّثَك به علي عليه السلام ولم تره عيناه ولكن وعى قلبُه ووقر في سمعه. ثم صَفَقَكَ بجناحه فعُميتَ! فقال ابن عباس: ما اختلفنا في شيء فحُكمه إلى الله تعالى! فقلتُ له: فهل حُكْم الله في حُكْمٍ من حُكمه بأمريْن؟ قال: لا، قلتُ: ههنا هلكت وأهلكت»![1]

فهنا ترى كيف أن ابن عباس زعم أنه ممّن تتنزل عليه الملائكة لأنه ممن آمنوا واستقاموا! وهو بذلك يدّعي خصيصة من خصائص الأئمة المعصومين عليهم السلام! والإمام الباقر (صلوات الله عليه) يرد عليه بما يثبت فيه معكوس تلك الخصيصة، فيبيّن جهله ويصفه بسخافة العقل ويكشف أن مَلَكاً من الملائكة أعماه يوم ردّ على المولى أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وأنكر نزول الملائكة بالأوامر الإلهية على أهل البيت في ليلة القدر بعد مضي رسول

---

(١) الكافي للكليني ج١ ص٢٤٧. وقد استبعد بعضهم صحة الحديث من جهة أن الباقر (صلوات الله عليه) لم يكن عمره آنذاك يتجاوز الحادية عشرة فكيف يتخاطب وابن عباس المسن على هذا النحو؟! وكيف تجتمع إليه الناس وتسمع منه والحال أنه كان صبيّاً قبل أن يتولى الإمامة؟ وهذا الاستبعاد ليس في محله، لأن الناس كانت تجتمع إلى الأئمة المعصومين (صلوات الله عليهم) وهم في أقل من هذا السن كالجواد (صلوات الله عليه) الذي بدأت إمامته في الثامنة، والعمر بالنسبة إلى الأئمة (عليهم السلام) لم يكن يوماً من الأيام بحاجب الناس عنهم، بل كانت الناس تتعامل معهم على أنهم كبار راشدون لا أطفال أو صبيان، وقد أنبأتنا السيرة عن اختلاف بعض الناس على الأئمة ومحاورات بعضهم مع كبار أهل الخلاف حتى قبل إمامتهم الفعلية، كما وقع بين الكاظم (عليه السلام) وأبي حنيفة (لعنه الله) حيث كان الكاظم حينها صبيّاً صغيراً فانبهر أبو حنيفة بعلمه. وعليه فلا يستبعد وقوع هذه القصة سيّما وأنه من جنس تلك إذ الحكمة فيه وقوعهما تبيان علم الإمام - وإنْ كان صغيراً وقبل إمامته الفعلية - في مقابل علم غير الإمام ممن يدّعي العلم وإنْ كان كهلاً أو شيخاً مسنّاً.

الله صلى الله عليه وآله وسلم. ثم ينبئه الإمام بأنه هالك في النار، وسيُهلك معه خَلْقاً أيضاً، وهذا واقع، فإنك تجد العامة قد أخذوا منه كثيراً من الأباطيل والإسرائيليات، وصار ذا منزلة عظيمة عندهم حتى لقّبوه بحَبر الأمة وترجمان القرآن! فيما تركوا الأئمة الشرعيين (صلوات الله عليهم) وأعرضوا عنهم، وهذا الإعراض هو ما سيوردهم حياض الهلاك.

إن ههنا تمايزاً ينبغي أن تكون ملتفتاً إليه، بين خط أهل البيت (عليهم السلام) وخط ابن عباس وأشباهه ممن صاحبوهم زمناً ما ليأخذوا منهم شيئاً من علومهم يستوجهون به أنفسهم عند الناس لترتفع مقاماتهم، حتى إذا نالوا ما أرادوا من الجاه والشهرة؛ قلبوا لأهل البيت (عليهم السلام) ظهر المجن وخانوهم ودعوا الناس إلى أنفسهم دونهم! وأفرغوا في الأمة ما يحملون من الضلال والباطل المأخوذ عن أمثال كعب الأحبار وأشباهه من المندسّين المنافقين.

إنك إذا تفحّصت ما جاء به ابن عباس وأضرابه وجدتَه في خطوطه العريضة مغايراً لتعاليم الأئمة (صلوات الله عليهم) ومتبايناً عنها، ومجرّد قبول العامة لابن عباس كل هذا القبول وتقديسهم إياه كل هذا التقديس يجعل ذا اللبّ والخبرة يرتاب في شأنه، فإن المخالفين كانوا يبتعدون عن كل مَن ينتسب بصدق إلى مدرسة أهل البيت (صلوات الله عليهم) ويُرسي في الأمة قواعد منهجهم وتعاليمهم، والمحبَّب المفضَّل عندهم هو ذاك الذي يكون بعيداً عن أئمة آل محمد عليهم السلام، ولا تكاد تجدهم يقبلون بأحدٍ ممن صاحب آل محمد (عليهم السلام) إلا إذا كان من جملة المنحرفين المنافقين الذين لم يصاحبوا إلا ليستأكلوا!

مثل هؤلاء تجدهم عادة مقبولين عند أهل الخلاف لأنهم يوافقون هواهم ولو في بعض الجوانب ذات الشأن عندهم.[1]

(١) وهذا له نظير في عصرنا، فإن أهل الخلاف يعظّمون كثيراً أحد منتحلي المرجعية في لبنان، ويُدعى **محمد** =

وعودةً إلى ما ورد في ذم ابن عباس، فقد رُويت عدة روايات في ذلك، منها ما رواه الكشي عن طاووس قال: «**كنا على مائدة ابن عباس، و محمد بن الحنفية حاضر، فوقعت جرادة فأخذها محمد، ثم قال: هل تعرفون ما هذه النقط السود في جناحها؟ قالوا: الله أعلم. فقال: أخبرني أبي علي بن أبي طالب عليه السلام أنه كان مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال: هل تعرف يا علي هذه النقط السود في جناح هذه الجرادة؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم. فقال صلى الله عليه وآله: مكتوب في جناحها: أنا الله رب العالمين، خلقتُ الجراد جنداً من جنودي أصيب به من أشاء من عبادي. فقال ابن عباس: فما بال هؤلاء القوم يفتخرون علينا يقولون إنهم أعلم منا؟! فقال محمد: ما ولدهم إلا مَن ولدني! قال: فسمع ذلك الحسن ابن علي عليه السلام فبعث إليهما وهما بالمسجد الحرام، فقال لهما: أما إنه قد بلغني ما قلتما إذ وجدتما جرادة، فأما أنت يابن عباس ففيمن نزلت ﴿لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾ في أبي أو في أبيك؟! وتلى عليه آيات من كتاب الله كثيراً، ثم قال: أما والله لولا ما نعلم لأعلمتُكَ عاقبة أمرك ما هو، وستعلمه، ثم إنك بقولك هذا مستنقص في بدنك، ويكون الجرموز من وُلْدِكَ، ولو أُذِنَ لي في القول لقلتُ ما لو سمع عامة هذا الخلق لجحدوه وأنكروه**»![(١)]

تبرز هنا نفسية ابن عباس، وكيف كان ينظر إلى الأئمة (عليهم السلام) بعين الحسد والغيظ لتقدّمهم عليه في العلم فيقول: «**فما بال هؤلاء القوم يفتخرون علينا يقولون إنهم أعلم منا**»؟! ومقصوده أنه وابن الحنفية قد أخذا من النبي والوصي (عليهما وآلهما السلام) كما

= **حسين فضل الله**، فيرّوجون له إعلامياً ودعائياً ويثنون عليه ثناءً عطراً، بينما يسبّون ويحاربون سائر المراجع والعلماء المخلصين الصادقين من الشيعة الأبرار، وما هذا إلا لأن المذكور وافق هواهم وأعطاهم ما يريدون باسم التشيع، كالثناء على أبي بكر وعمر وعائشة والترضّي عليهم وتحريم ثلبهم ولعنهم والبراءة منهم، وكخرق قواعد العقيدة الإسلامية وثوابتها وتمييعها لتمتزج مع العقيدة البكرية.

(١) رجال الكشي ج١ ص٢٧٦، والجرموز على الظاهر كناية عن أحد طغاة بني العباس.

أخذ الأئمة عليهم السلام، وها هو ابن الحنفية قد علم حتى ما هو مكتوب في جناح الجرادة روايةً عنهما، فبأي شيء يفتخر الأئمة من آل علي (عليهم السلام) ويفضلون أنفسهم؟! فإن زعموا النسب فابن الحنفية يشترك معهم فيه، وها هو يقول مؤيّداً لابن عباس: «**ما ولدهم إلا مَن ولدني**» أي أنه وهم سواء!

إن هذا يكشف عن أن الرجليْن كانا يريدان أن يحظيا بمقام الإمامة ظنّاً منهما أنهما يستحقّانه رغماً عن أمر السماء! فلذا سلك كلٌ منهما فجّاً في دعوة الناس إليه، فصار ابن عباس «حبر الأمة»، وصار ابن الحنفية زعيماً دينياً لفرقة أحد أبرز رجالها **المختار بن أبي عبيد الثقفي**. وقصته في منازعة الإمام السجاد (صلوات الله عليه) معلومة، ولئن قيل أنه رجع عن الحق بعدما رأى من المعجزة في نطق الحجر الأسود وشهادته للسجاد (عليه السلام) بالإمامة؛ فإن ابن عباس لم يرجع.

ولعل هذا هو ما جعل الإمام الحسن المجتبى (صلوات الله عليه) حين عَلِمَ بما قاله هذان يركّز ردّه على ابن عباس دون ابن الحنفية، فذكّره بأن أباه العباس هو المعني في قوله تعالى: «**لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ**»،[(١)] مضافاً إلى آيات كثيرة جاءت في ذمّه وذمّ ابنه وسلالته، فقد كان العباسيون شر سلالة أذاقت آل محمد (صلوات الله عليهم) العذاب، ومنهم الطاغية الذي كنّى عنه الإمام (عليه السلام) بالجُرموز، ولعله الدوانيقي أو هارون أو المتوكل.

والشاهد من مفهوم الحديث انقلاب ابن عباس على عقبيْه. وفي ذيل الحديث ما يدلّ على تعاظم قدره عند أهل الخلاف، حتى أنه لو قال الإمام الحسن (صلوات الله عليه) فيه القول الحق وعرّفهم حقيقته لجحدوا قوله وأنكروه. وفي هذا مزيد دلالة على أن الرجل إنما هو صاحبهم لا صاحبنا، وعلى هذا تدل السيرة ومجريات التاريخ، كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

---

(١) الحج: ١٤

ولا يفوتنا ذكر أن أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) قد لعن ابن عباس ولعن أخاه الآخر **عبيد الله**، فقد روى الكشي عن الفضيل بن يسار عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «**قال أمير المؤمنين عليه السلام: اللهم العن ابنيْ العباس وأعمِ أبصارهما كما أعميتَ قلوبهما، الآجليْن في رقبتي! واجعل عمى أبصارهما دليلاً على عمى قلوبهما**».[(١)]

ولعل تلك اللعنة صدرت من أمير المؤمنين (عليه السلام) لابن عباس بعدما خان الأمانة واختلس مليونيْ درهم من بيت مال البصرة - حين كان والياً عليها - وهرب بالمال كله إلى الحجاز! الأمر الذي أبكى أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وشكى بسببه لله تعالى معبّراً عن ملله ممن حوله من المنافقين والخونة!

روى الكشي بسنده عن الحارث الهمداني قال: «**استعمل علي عليه السلام على البصرة عبد الله بن عباس، فحمل كل مالٍ في بيت المال بالبصرة ولحق بمكة وترك عليّاً! وكان مبلغه ألفيْ ألف درهم! فصعد علي عليه السلام المنبر حين بلغه ذلك فبكى فقال: هذا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله في علمه وقدره يفعل مثل هذا! فكيف يُؤْمَنُ مَن كان دونه؟! اللهم إني قد مللتهم فأرحني منهم! واقبضني إليك غير عاجز ولا ملول**»![(٢)]

ثم إن الأمير (صلوات الله عليه) كتب إليه عاذلاً ومتوعّداً إياه بالقتل إنْ لَقِيَه بسيفه «**الذي ما ضرب به أحداً إلا دخل النار**». وبدلاً من أن يتوب الرجل ويُرجع حق الله

---

(١) رجال الكشي ج١ ص٢٧٠، والآجليْن في رقبتي: المهيّجيْن للشر والفتنة في رقبتي. وفي موضع آخر روى الكشي العبارة بلفظ: «**الآكليْن في رقبتي**». ولا يخفى أن هذه الأسرة العباسية كانت أسرة الخيانة، فقد خان عبد الله أمير المؤمنين عليه السلام، وخان عبيد الله الإمام الحسن عليه السلام. إنما كان هذان ومَن تناسل من العباسيين يلتصقون بأهل البيت (عليهم السلام) للمصالح الدنيوية، وأحياناً لمكان العرق والتعصب.

(٢) رجال الكشي ج١ ص٢٧٩

والناس؛ أخذته العزة بالإثم وردّ على الإمام (عليه السلام) برسائل جوابية تنضح خسّة ودناءةً، حيث زعم أن المال الذي سرقه أقل من حقه!

جاء في نهج البلاغة: «**ومن كتابٍ له عليه السلام إلى بعض عمّاله وهو عبد الله ابن العباس: أما بعد؛ فإني كنتُ أشركتك في أمانتي، وجعلتك شعاري وبطانتي، ولم يكن من أهلي رجلٌ أوثق منك في نفسي لمواساتي ومؤازرتي وأداء الأمانة إليَّ، فلما رأيتَ الزمان على ابن عمك قد كَلِبَ،[١] والعدو عليه قد حَرِبَ؛[٢] وأمانة الناس قد خَزِيَتْ،[٣] وهذه الأمة قد فَتَنَتْ وشَغَرَتْ،[٤] قلبت لابن عمك ظهر المِجَنْ![٥] ففارقْتَه مع المفارقين! وخذلتَه مع الخاذلين! وخُنتَه مع الخائنين! فلا ابن عمّك آسيْتَ! ولا الأمانة أدَّيْتَ! وكأنك لم تكن اللهَ تريدُ بجهادك، وكأنك لم تكن على بينة من ربك، وكأنك إنما كنتَ تكيد هذه الأمة عن دنياهم! وتنوي غِرَّتهم عن فيْئهم،[٦] فلـمّا أمكنتك الشدة في خيانة الأمة؛ أسرعت الكـرَّةَ وعاجلتَ الوثبة! واختطفت ما قدرتَ عليه من أموالهم المصونة لأراملهم وأيتامهم اختطاف الذئب الأزَلِّ داميةَ المِعزى الكسيرة![٧] فحملتَه إلى الحجاز رحيب الصدر بحمله! غير متأثِّمٍ**

---

(١) أي اشتد وصعب.

(٢) أي اشتد حرباً وعداوة وقتالاً.

(٣) أي هانت.

(٤) أي لم يبق فيها مَن يحميها.

(٥) المِجن: الترس، وقلبه كناية عن الخذلان والخيانة وخرق العهد.

(٦) أي تنوي استغفالهم والاحتيال للوصول إلى فيْئهم - أي أموالهم العامة من الغنائم - لتستولي عليه.

(٧) الذئب الأزل: الذئب السريع. دامية المعزى الكسيرة: المجروعة من المعزى - وهي أنثى الضأن - الكسيرة. والمراد أنه أسرع وانقض على المال كما ينقض الذئب السريع على معزى مجروحة دامية كسيرة ليس بوسعها الفرار منه.

من أخذه! كأنك - لا أبا لغيرك -[١] حدرتَ[٢] إلى أهلك تراثك من أبيك وأمك! فسبحان الله! أما تؤمن بالمعاد؟! أوَ ما تخاف نقاش الحساب؟! أيها المعدود - كان - عندنا من ذوي الألباب، كيف تُسيغ شراباً وطعاماً وأنت تعلم أنك تأكل حراماً وتشرب حراماً؟! وتبتاع الإماء وتنكح النساء من مال اليتامى والمساكين و المؤمنين والمجاهدين الذين أفاء الله عليهم هذه الأموال وأحرز بهم هذه البلاد؟! فاتّقِ الله واردُدْ إلى هؤلاء القوم أموالهم، فإنْ لم تفعل ثم أمكنني الله منك لأُعْذِرَنَّ إلى الله فيك، ولأضربنّك بسيفي الذي ما ضربتُ به أحداً إلا دخل النار! ووالله لو أن الحسن والحسين فَعَلا مثل الذي فعلتَ؛ ما كانت لهما عندي هَوادة،[٣] ولا ظفرا مني بإرادة، حتى آخذ الحق منهما، وأُزيح الباطل عن مظلَمتهما. وأقسم بالله رب العالمين ما يسرُّني أنَّ ما أخذتَه من أموالهم حلال لي أتركه ميراثاً لمن بعدي. فَضَحِّ رُوَيْداً،[٤] فكأنك قد بلغتَ المدى، ودُفِنْتَ تحت الثرى، وعُرِضتْ عليك أعمالك بالمحلِّ الذي ينادي الظالم فيه بالحسرة، ويتمنى المُضَيِّعُ الرجعة، وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ! والسلام».[٥]

---

(١) في نسخة الكشي: «**لا أبا لك**»! وهي في مقام الذم كلمة تقريع وتحقير شديدة معناها أنك في لؤمك كابن الزنا الذي لا أب له. وفي نسخة الرضي ههنا: «**لا أبا لغيرك**» وهي كلمة أخفّ من تلك، إذ تُستعمل في مقام «**لا أبا لك**» لكن مع التعريض والإشفاق.

(٢) أي أسرعت.

(٣) أي ملاطفة ورعاية ومصالحة.

(٤) كلمة «ضَحِّ» مأخوذة من «ضَحَّيْتَ الغنم» أي رعيْتَها في وقت الضحى، والمراد من قوله عليه السلام: «**فضَحِّ رويْدا**» أنْ البث قليلاً كما يلبث الراعي بأغنامه في وقت الضحى، ثم ترى عاقبة أمرك، فلن تتمتع بهذا المال المسروق الذي سيغدو وبالاً عليك.

(٥) نهج البلاغة - الكتاب رقم ٤١، ورجال الكشي ج١ ص٢٨٠ باختلاف طفيف في الألفاظ.

حين وصل الكتاب إلى عبد الله بن عباس كتب جواباً هـذا نـصه: «**أمـا بعـد؛ فقـد أتـاني كتابك تعظِّمُ عليَّ إصابة المال الذي أخذتُه من بيت مال البصرة، ولعمـري إن لي في بيـت مـال الله أكثر مما أخذتُ! والسلام**»! وفي لفظ ابن أبي الحديـد: «**ولعمـري إن حقـي في بيـت المـال لأكثر مما أخذتُ، والسلام**»![1]

فكتب إليه أمير المؤمنين صلوات الله عليه: «**أما بعد؛ فالعجب كـل العجـب مـن تـزيين نفسك أن لك في بيت مال الله أكثر مما أخذتَ وأكثر مما لرجلٍ من المسلمين! فقـد أفلحـتَ إنْ كان تمنيّك الباطل وادعاؤك ما لا يكون ينجيك من الإثم ويُحِلُّ لك ما حرّم الله عليك! عَمْرُكَ الله إنك لأنتَ العبد المهتدي إذن! فقد بلغني أنك اتخذت مكة وطنـاً، وضربـت بهـا عَطَنـاً،[2] تشتري مولَّدات مكة والطائف،[3] تختارهُنَّ على عينك، وتعطي فيهنَّ مال غيرك! واني لأقسم بالله ربي وربك، رب العزة، ما يسرُّني أن ما أخذتَ من أموالهم لي حلال أدعـه لعقبـي ميراثـا، فلا غَرْوَ أشدَّ باغتباطك تأكله رويداً رويداً، فكأنْ قد بلغتَ المدى وعُرِضَـتْ عليـكَ أعمالـك بالمحـل الـذي ينـادي الظـالم فيـه بالحـسرة، ويتمنـى المُضَيِّعُ الرجعـة، وَلَاتَ حِـينَ مَنَـاصٍ! والسلام**».

مع كل هذا؛ ظلّ ابن عباس على غيّه فكتب إلى أمير المؤمنين (عليه الـسلام) قـائلاً: «**أمـا بعد؛ فقد أكثرتَ عليَّ، فوالله لئنْ ألقى الله بجميع ما في الأرض من ذهبهـا وعقيانهـا[4] أحـبُّ**

---

(١) المصدر الأخير نفسه، وشرح النهج لابن أبي الحديد ج١٦ ص١٦٨، وعنه بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج٤٢ ص١٥٤

(٢) العطن: مبرك الإبل، والمراد أنك استقررت هناك مع ما بحوزتك.

(٣) أي الجواري.

(٤) العقيان: الذهب الخالص أو الذي ينبت نباتاً وليس مما يستذاب من الحجارة.

إليَّ من أن ألقى الله بدم رجل مسلم»![١] يريد بذلك أن جُرم أمير المؤمنين (عليه السلام) أعظم إذ قتل الناس وسفك دماءهم في الجمل وصفين والنهروان! أما هو فجُرمه في السرقة أقل وأصغر! فانظر إلى هذه الخسّة التي تُنبئ عن النفاق والضلالة، وكأن الأمير (عليه السلام) قد قاتل الناس على الباطل! وكأنه كان الباغي عليهم لا المبغي عليه!

أجل؛ هكذا كان ابن عباس منافقاً خائناً، ولم تصمد كل المحاولات في سبيل نفي هذه الحقيقة عنه، فقد حاول بعضهم التشكيك في خبر سرقته لبيت مال البصرة من جهة أنه مروي عن طريق **الشعبي** وهو ناصبي منحرف بلا خلاف، غير أن الخبر لم يقتصر في أصله عليه، فهناك أخبار أخرى في ذلك كالذي رواه الكشي بسنده عن الحارث الأعور الهمداني، وثمة أخبار تضمّنت ذكره، منها ما رواه شيخنا الكليني عن سماعة في حديث جاء فيه: **«وتوفي مولى لرسول الله صلى الله عليه وآله لم يخلف وارثاً، فخاصم فيه وُلْد العباس أبا عبد الله عليه السلام، وكان هشام بن عبد الملك قد حجّ في تلك السنة، فجلس لهم**[٢] **فقال داود ابن علي: الولاء لنا! وقال أبو عبد الله عليه السلام: بل الولاء لي. فقال داود ابن علي: إن أباك قاتل معاوية! فقال عليه السلام: إنْ كان أبي قاتل معاوية فقد كان حظُّ أبيك فيه الأوفر ثم فرّ بخيانته»!**[٣]

فالخبر إذن مشهور يُطمأن إليه، ويكفي التأمل في ألفاظ الكتاب المُرسل إلى ابن عباس لتصديق أنه لا محالة من كلام أمير المؤمنين عليه السلام، إذ هو يفصح عن لسانه لا لسان غيره. وقد أدرجه الشريف الرضي في النهج. ثم إن كون الخبر وارداً أيضاً من طرق أهل

(١) المصادر نفسها.

(٢) أي جلس للقضاء وفصل النزاع بينهما.

(٣) الكافي للكليني ج٨ ص٢٥٩، وداود هو ابن علي بن عبد الله بن عباس، عمّ السفاح والدوانيقي.

الخلاف مع جلالة قدر ابن عباس عندهم يساعد على الاطمئنان بصدقه، وخبراء الحديث والمحقّقون من أصحابنا لم يشكوا في وقوعه، ولذا تراهم عبّروا عن التوقّف فيه والحيرة إذ لم يقدروا على دفعه، حتى قال المحدّث الخبير الشيخ عباس القمي رضوان الله تعالى عليه: «**أما قصة حمله المال من بيت مال البصرة وذهابه إلى مكة، وكتابة أمير المؤمنين (عليه السلام) إليه بهذا الخصوص، وجوابه له، وبهذه العبارات الجسورة، فأمر حيّر المحقّقين**».(١)

أما محاولة بعضهم ادعاء أن هذا الكتاب من الأمير (عليه السلام) إنما وجهه إلى عبيد الله ابن عباس لا عبد الله، فهو مما لا ينبغي الالتفات إليه، لأن عبيد الله إنما كان والياً على اليمن لا البصرة، ولم يكن عبيد الله ممن له تلك المنزلة عند أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) حتى يوصف بمثل قوله فيه: «**فإني كنتُ أشركتك في أمانتي، وجعلتك شعاري وبطانتي، ولم يكن من أهلي رجلٌ أوثق منك في نفسي لمواساتي ومؤازرتي وأداء الأمانة إليَّ.. أيها المعدود - كان - عندنا من ذوي الألباب**» فمثل هذه الكلمات تومئ إلى أن الخيانة وقعت من قريبٍ كان من أقرب المقرّبين إليه ممن كان يعتمد عليهم، وليس ذلك إلا عبد الله بن عباس كما هو واضح.

فهذه إذن جملة من روايات ذمّه وإظهار فساده وانحرافه وخيانته وهلاكه وسوء عاقبته. وتقابلها رواية في مدحه ظاهرة في ورودها مورد التقية من وُلده من طغاة بني العباس، وأخرى لا تقوم لها قائمة في الاعتبار لأنها من طرق أهل الخلاف. ولو سلّمنا بوقوع التعارض؛ فإن الترجيح هو للجرح على التعديل، لا لأنه مبنى مشهور الرجاليين فحسب، بل لأن روايات مدحه لم تصح،(٢) فيما روايات ذمه مصحّحَة كما مرّ عليك، ولها بعدُ

---

(١) منتهى الآمال للمحدث القمي ج١ ص٢٨٨

(٢) وقد أقرّ بذلك المحقق الخوئي في معجمه ج١١ ص٢٥٠ رغم ميلانه إلى حفظ ابن عباس من الخدش والجرح، فقال: «**ونحن وإن لم نظفر برواية صحيحة مادحة، وجميع ما رأيناه من الروايات في إسنادها** =

الاستفاضة والاشتهار، ويؤيدها واقع الحال، فإنّا لا نجد - من واقع ملاحظة السيرة ومجريات التاريخ - لابن عباس موقعاً حقيقياً في التشيع، بل نرى موقعه عند أهل الخلاف مستقراً إذ هو حَبرهم وترجمانهم، وخدمته لابن الخطّاب (لعنة الله عليه) حتى كان مستشاره الأوّل أوضح من الشمس في رابعة النهار، ولا يُقال أن ذلك كان كأمر سلمان (عليه السلام) في قبوله الاستعمال فإن الفرْق بيّنٌ بين المثالَيْن، فسلمان كان مجازاً من الأمير (عليه السلام) على المستظهر وقد خدم الإسلام لا ابن الخطاب، في حين أن ابن عباس لا يظهر أنه أجيز في ذلك، ونراه قد أضحى لابن صهاك خير ظهير ومعاون، يخدمه ويمتدحه ويترحّم عليه!

ولو أدرنا الوجه عن ذلك سألنا عن سبب كثرة رواياته من طرق أهل الخلاف ومحدوديتها من طرقنا، وهذا وحده كافٍ لتبيان موقعه وعلى أي الطرفين هو محسوب، إذ لو كان من رجال التشيّع حقاً لطغت رواياته من طرقنا على التي من طرقهم، ولوجدنا أصحابنا ممن كانوا في عصره يحدثون عنه ويأخذون منه، فإعراضهم عنه يكشف عن واقع أنه أجنبي عنهم، وأنه من رجال أهل الخلاف وأصحابهم، لا من رجالنا وأصحابنا الذين كانوا يلازمون الأئمة (صلوات الله عليهم) ويحضرون مجالسهم.

ويزيدك يقيناً في هذا أن الروايات المادحة له والتي عرفتَ أنها ضعيفة؛ إنما جلّها واردة من طرقهم وفي مصادرهم، كزعم أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) دعا له بالعلم ومعرفة التأويل وما أشبه ذلك، فكون هذه الروايات واردة من طرقهم وفي مصادرهم يكفي في طرحها مقابل روايات الذم الواردة من طرقنا وفي مصادرنا ومن بعض طرقهم

= **ضعف، إلا أن استفاضتها أغنتنا عن النظر في إسنادها، فمن المطمأن به صدور بعض هذه الروايات عن المعصومين إجمالا. وبازاء هذه الروايات روايات قادحة..**» ونحن إنما نجعل الاستفاضة المغنية لتلك التي تقدح فيه، والاطمئنان إنما هو بها لا بتلك الظاهرة في التقية، فلا تغفل.

ومصادرهم أيضاً، بملاك أن أهل الخلاف لا يروون عادةً من مثالب أصحابهم إلا ما كان لـه حقيقة وواقع، إذ لا مصلحة لهم في وضع أخبار من هذا القبيل.

ويزيدك بصيرةً أن ألقابه المشتهرة عند أهل الخلاف كحَبر الأمة وترجمان القرآن وما أشبه؛ لم تُطلق عليه ولم يوصف بها قط من قبل الأئمة المعصومين عليهم السلام، بل لا تجد له أدنى مقامٍ عندهم إذا تتبّعت رواياتهم وأخبارهم. فيما تجد لنظرائه كسلمان والمقداد وأبا ذر شأناً ومقاماً إذ يثني عليهم الأئمة أعظم الثناء، هذا مع ابن عباس عاش إلى زمان الباقر صلوات الله عليه، وهذا أدعى لأن تُرى من الأئمة (عليهم السلام) إشارات إلى فضله وإشادات به إنْ كان مستقيماً حقاً، بيد أنك لا تجد مثل ذلك، بل تجد ابن عباس بعيداً عن أجوائهم، بخلاف جابر بن عبد الله الأنصاري - مثلاً - فرغم أنه عاش مثله إلى زمان الباقر (عليه السلام) إلّا أنّا وجدنا الأئمة (عليهم السلام) يثنون عليه وينوّهون باسمه ويرتبطون به في علاقة وثيقة. أما ابن عباس فأجنبي عن ذلك كله.

لاحظ مثلاً أنه لم يرد إلينا خبر تردّده على الأئمة المعصومين كالحسن والحسين والسجّاد والباقر (صلوات الله عليهم) بالمستوى الذي نرى فيه جابراً يتردّد عليهم، وكلاهما كانا مكفوفيْن، فما بال جابر يصل في خدمة السجّاد والباقر (صلوات الله عليهما) ويتمسح بأعتابهما طلبا للنجاة ورغبة في العلم مع قدمه وصحبته، ثم هو يتحمّل المشقة لزيارة قبر أبي عبد الله (صلوات الله عليه) في كربلاء، ويحدّث عن الأئمة بما لا يسع المرء إلا اعتباره من أعلام التشيّع، فيما ابن عباس غائب عن ذلك كلّه وكأنه يرى نفسه أعظم شأناً ومقاماً من الأئمة المعصومين (صلوات الله عليهم أجمعين) فيفسّر القرآن برأيه ويفتي بهواه ويدخل الأمة في مهالك الظنون؟!

أما عن القول بأنه قد لازم أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) وكان يختلف عليه طلباً للعلم، فلا شأن له بما نحن بصدده إذ إن جمعاً عظيماً كان يأخذ من الأمير ومن الأئمة (صلوات الله عليهم) ما ينفعهم، وحتى الحسن البصري كان يأخذ ما يساعده على ترويج نفسه واكتساب الشهرة حتى وُصف على لسان الإمام (عليه السلام) بأنه «**سامريّ هذه الأمة**»، وحتى أبو حنيفة كان يصنع مثل ذلك، فمَن هم من هذا الصنف تراهم يخالطون أهل بيت الوحي (عليهم السلام) للاستفادة والتأكّل ليس إلا، وليكتسبوا شيئا من العلم يكون لهم زادا في باطلهم عندما يضيفون إليه آراءهم وظنونهم ويكيّفونه بأهوائهم.

إنما العبرة في أن نرى للرجل ملازمة حقيقية لأئمة الوحي (صلوات الله عليهم) على طول الخط، بحيث لا تُرى فجوة بين الطرفيْن حتى أخريات حياته. عندئذ يمكن الاطمئنان للرجل أنه كان بحق من أصحابهم وثقاتهم والمسلّمين لهم بالإمامة.

ومع هذه القرائن وغيرها التي تُظهر أن الرجل إنما كان أقرب إلى البكرية لا يُرى في تاريخه تواصل مع رجال التشيع وأعلامه كما لمسناه في ما بينهم، ومع وضوح أن تراثه يباين في التعاليم تراث آل محمد (صلوات الله عليهم) حتى في الخطوط العريضة؛ ترجح روايات الذم وتكون أقرب إلى تصديق العقل والوجدان.

وعليك أن تكون نبيهاً في أن اشتباه بعض الأعلام في مدحه وتوثيقه وتجليله إنما جاء مما ورد من بعض أدواره التي قد يُستَشَفُّ منها وقوفه في نصرة أهل البيت عليهم السلام، كمواقفه في نصرة أمير المؤمنين (عليه السلام) والانتصار له في الاحتجاجات، ومواقفه في مناجزة عائشة لعنها الله، وكذا مواقفه في مناهضة معاوية لعنه الله، ونحو ذلك. لكنك إذ عرفت أنه من المتأكّلين فليس بالوسع الإعراض عن أنه إنما صنعها تزلّفاً لأهل البيت (عليهم السلام) حتى ينال منهم ما ينفعه في الدنيا وما يتزيّن به في أعين الناس ويجرّ به النار إلى

قرصه، سيّما تلك المواقف التي كانت منه حين تولّى أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) الحكم، فالرجل يدور مع السلطان أينما دار.

وحتى لو سلّمنا أن مواقفه تلك كانت صادقة فلا يبعد أن يكون حاله حال الزبير (لعنه الله) الذي ساءت عاقبته بعد الاستقامة وبعد أن كان «**سيفا طالما كشف الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله**»، فإنما الأعمال بخواتيمها. **فإن قيل**: إن الأمير (عليه السلام) اختاره بدواً لمناظرة عمرو بن العاص (عليهما اللعنة) في التحكيم بعد صفين وهو ما يشهد على حسن حاله بل جلالته؛ **قلنا**: إن ترتيب هذا على ذاك غير صحيح، وإلا لكان اختيار الحسن (صلوات الله عليه) لعبيد الله بن عباس وتأميره إياه على الجيش شاهداً على حسن حاله وجلالته، ولا يقول بهذا قائل، وإنما كان اختيار الأمير (عليه السلام) لابن عباس للمناظرة لما رآه فيه من فطنة وسرعة بديهة في كسر الخصم. والاستعانة بذوي الفطنة حتى وإن لم يكونوا من أهل الإيمان جائز من أجل تحقيق مصلحة أهم، ولذا استعان النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) ببعضهم مع الإجماع على كونهم منافقين أو منحرفين، كخالد ابن الوليد، بل كأبي سفيان بن حرب لعنة الله عليهم.

فإن قيل: إن له مواقف وملاسنات مع عمر (لعنه الله) مما ينبيء عن اعتقاده بالولاية وإقراره بإمامة أمير المؤمنين (عليه السلام) وأحقيّته بالخلافة؛ **قلنا**: إن عمر نفسه وفي نفس تلك المحاورات أو الملاسنات كان يعترف بحقّ الأمير ولا ينكره، بل وحتى أبو سفيان وأمثاله، فكيف يدفع ابن عباس حق علي (عليه السلام) مع أنه ابن عمّه؟! وهذا الإقرار منه بمجرّده ليس كافياً لتعديله أو توثيقه، فلطالما أقرّ أعداء أهل البيت (عليهم السلام) بحقّهم حتى كأمثال معاوية عليه لعائن الله. أضف إلى هذا أن العصبية الجاهلية كانت آنذاك سائدة لا تزال في المجتمع الإسلامي، فعندما يحين موعد الانتصار للقوم والعشيرة كان عرق

التعصب ينبض، وإنما كان أمثال ابن عباس من بني هاشم يجرّونها بذلك إلى أنفسهم، إذ لم يكن يتأتّى لهم أن يرفعوا أنفسهم بغير أن يرفعوا عليّاً (عليه السلام) آنذاك، كونه كان وجه بني هاشم بعد النبي صلى الله عليه وآله. وهذا كما رفع بنو العباس أنفسهم بإعلاء وإعلان الولاية لآل محمد وآل علي (صلوات الله عليهم) وإنما كانوا في الحقيقة يجرّونها إلى أنفسهم. وعلى فرض أنه كان صادقاً في اعتقاده بالولاية، فإنما الأعمال بخواتيمها كما مرّ.

والحصيلة أنه بملاحظة هذه السيرة وهذا التاريخ، وبالتمعّن في القرائن والشواهد؛ يُستبعد تماماً كونه ممن لهم في الوثاقة والجلالة مكانٌ اتكاءً على روايات ضعيفة أو منحولة أو صادرة للتقية أو آتية من طريق أهل الخلاف، فنأخذ بما صحّ معنى واستفاض روايةً في ذمه على لسان أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم، فيكون ابن عباس منحرفاً خائناً، ولا أقلّ من إعمال التساقط لتعارض الروايات فيه، فيُتوَقَّف في حاله.

وعلى هذا؛ فأية قيمة لقول ابن عباس: «**ما زنت أو ما بغت امرأة نبي قط**»؟! على أنّا لو تنزّلنا عن أن القائل ممن لا يعتدّ بقوله؛ لأمكن توجيه قوله أيضاً بما لا ينافي ما انتهينا إليه من وقوع عائشة في الزنا، كأن يُقال: إنما المنفي هو أن تزني امرأة نبي ما دامت في حياته وحبالته، أما بعد ذلك فلا، ونحن إنما نقول أن عائشة قد زنت بعده صلى الله عليه وآله، فلا منافاة في البين. أو أن يُقال: إنما كان النفي بحسب استقرائه للظاهر، وكشف المعصوم (عليه السلام) في شأن زنا عائشة إنما كان عن الباطن، فيزول التنافي. ونحو ذلك من التوجيهات التي لا حاجة في الإكثار منها، إنما أوردنا هذيْن لمن يرى التعارض - ونحن لا نراه - فيكون اللازم عليه الجمع، إذ الجمع أولى من الطرح بالاتفاق.

هذا كله في ما لو ثبتت نسبة هذه المقولة لابن عباس عندنا، وقد عرفتَ أنها لم تثبت إذ هي واردة عن أهل الخلاف ولا عبرة بما يروون.[١] فالنتيجة أنه لا معارض لروايات أئمتنا (صلوات الله عليهم) في تأويل الخيانة بفاحشة الزنا.

• **قد يُقال**: بلى إن ثمة معارضاً، وهو ما رواه علي بن إبراهيم القمي في قصة قذف مارية وتبرئتها أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**الحمد لله الذي يصرف عنا السوء أهل البيت**»[٢] وهو يدل بعمومه على أن كل عِرضٍ لأهل البيت لا بدّ أن يصرف الله عنه السوء. وقد أُنزلت مارية في هذا منزلة (أهل البيت) رغم أنها أَمَة، فتنزيل عائشة وهي زوجة أولى، فينتفي إمكان تلوّث عرضها بالزنا إذ يصرف الله ذلك حتماً.

والجواب: إن الدلالة المذكورة غير آبية عن المناقشة، إذ قد يُراد بصرف السوء أن الله تعالى يصرف سوء القاذفين لأبناء أهل البيت (عليهم السلام) والخادشين في انتسابهم إليهم، كإبراهيم عليه السلام، حيث انكشف واقع الحال بما أثبت انتسابه إلى أبيه رسول الله صلى الله عليه وآله، وذلك أن المعصوم إذا وُلد له ولد وأقرَّ به؛ فلا يمكن أن يكون لغير رِشْدَة.

وبعبارة أخرى؛ إن (صرف السوء) ههنا إنما هو بالأصل عن إبراهيم لا أمّه مارية سلام الله عليها، إذ هي بالتبع والملازمة يُصرف عنها السوء وتنكشف براءتها وطهارتها لأنها ولدت لأهل البيت عليهم السلام، ولا تلد لأهل البيت (عليهم السلام) إلا التي تكون أهلاً لذلك

(١) ننبّه ههنا على أن بعض مَن اشتغلوا بالتفسير - وليسوا له بأهل - قد أوقعتهم الغفلة في نسبة هذه المقولة للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله! وتعدّوا من ثَمَّ إلى إطلاق القول بعدم إمكان أن تنحرف زوجة نبي عن جادة العفة! من هؤلاء **ناصر مكارم شيرازي** حيث قال في تفسيره الأمثل ج١٨ ص٢٩٤: «**والخيانة هنا لا تعني الانحراف عن جادة العفة والنجابة، لأنهما زوجتا نبيين، ولا يمكن أن تخون زوجة نبي بهذا المعنى للخيانة، فقد جاء عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: ما بغت امرأة نبي قط**»! وبعد هذا اقعد وابكِ على العلم وأهله!

(٢) تقدّم الخبر بتمامه في ص٤١٣ من هذا الكتاب.

في دينها وتقواها وعفّتها، حيث إنهم (صلوات الله عليهم) كانوا يتخيّرون لنطفهم خيرة النسوان.

أما اللواتي لم يلدن لهم (عليهم السلام) فلا حتمية لانصراف السوء عنهنَّ إذا لم يكنَّ من المتقّيات الورعات، لأنهم (عليهم السلام) كانوا ينكحون المؤمنة العفيفة وغيرها بحسب المصالح، غير أن الاستيلاد لا يكون إلا من العفيفة لئلا يُخدش في النسب، وعليه فعدم ولادة هؤلاء لأهل البيت (عليهم السلام) يجعل أمرهنّ مردّداً، وعلى كل حال فلا تشملهن دلالة هذا الحديث لأنه ما من ولد تكون الخدشة في نسبه ورِشْدَته خدشةً في أعراضهنّ حتى يُنَزَّهْنَ عن السوء بهذا اللحاظ.

ثم لو تنزّلنا عن ذلك وسلّمنا بأن (صرف السوء) هو عن أعراض النساء بالأصل مع قطع النظر عن تحقق الاستيلاد وعدمه، أي قلنا بأن المصروف عنها السوء في مدلول الحديث هي مارية أصلاً لا إبراهيم، فإن عائشة لا يشملها ذلك لأنها لا تدخل في مدلول الحديث، ذلك لأن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «**الحمد لله الذي يصرف عنا السوء أهل البيت**» ومارية إنما أُلحقت بأهل البيت (عليهم السلام) وأُنزلت هذه المنزلة باعتبار إيمانها وطاعتها لله تعالى، فيصرف الله تعالى عنها السوء لذلك، أما التي لم تؤمن ولم تُطع؛ فلا تلحق بأهل البيت (عليهم السلام) بهذا الاعتبار، فلا ينصرف عنها السوء.

وبتوضيح أكثر؛ إن مَن كانت منهنّ صالحة مطيعة فإنها تُلحَق بأهل البيت (عليهم السلام) اعتباراً، فقد جاء في الخبر عن الرضا عليه السلام: «**وأنت إذا أطعت الله فأنت منا أهل البيت**».[1] وبهذا الاعتبار يُصرف عنها السوء، إذ الأمر في الحقيقة صرفٌ للسوء عن المؤمنة الصالحة المطيعة.

---

(١) معاني الأخبار للصدوق ص١٠٦ وعيون أخبار الرضا عليه السلام ج١ ص٢٥٨

أما مَن لم تكن منهنّ صالحة مطيعة فإنها لا تُلحَق بأهل البيت (عليهم السلام) اعتباراً، ففي الخبر نفسه عن الرضا عليه السلام: «**مَن كان منا لم يطع الله عز وجل فليس منا**».[١] هذا إذا كان منهم دماً ونسباً، فكيف بالتي تكون متصلة سبباً فحسب وما هي إلا وصلة مستعارة؟ فلا يُصرف عنها السوء، إذ لا يمكن أن يعمّها اعتبار (أهل البيت) فتنقلب من منافقة إلى مؤمنة، ومن طالحة إلى صالحة، ومن عاصية إلى مطيعة! إلا أن نقول بالجبر!

فعلى الفرضيْن؛ عائشة خارجة عن حتمية صرف السوء عنها لأنها ليست من (أهل البيت)، وكذا كل امرأة أشبهتها في النفاق والعصيان، إذ لا يعمّ الحديث هؤلاء.

● **قد يُقال:** قد رُويت روايات عن الأئمة (عليهم السلام) تؤكد أن ابن نوح (عليه السلام) كان ابنه حقّاً، وذلك ردّاً على بعض العامة الذين قالوا بأنه لم يكن ابنه بل وُلد على فراشه لزَنْيَة. ومن تلك الروايات ما رواه الصدوق عن الوشاء عن الرضا (عليه السلام) قال: «**قال أبي: قال أبو عبد الله عليه السلام: إن الله عز وجل قال: يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ؛ لأنه كان مخالفاً له، وجعل من اتبّعه من أهله. قال: وسألني: كيف يقرأون هذه الآية في ابن نوح؟ فقلتُ: يقرؤها الناس على وجهين: إنه عَمِلَ غيرَ صالح، و: إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ. فقال: كذبوا! هو ابنه، ولكن الله عز وجل نفاه عنه حين خالفه في دينه**».[٢] وفي لفظ آخر قال عليه السلام: «**كيف تقرأون: قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إنه عَمِلَ غيرَ صالحٍ؟ فقلتُ: من الناس مَن يقرأ: إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ؛ نفاه عن أبيه. فقال عليه السلام: كلا؛ لقد كان ابنه، ولكن لمّا عصى الله عزو جل نفاه عن أبيه**».[٣] ومن هذا يمكن استفادة استحالة وقوع الزنا

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) علل الشرائع للصدوق ج١ ص٣١ وعيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق أيضاً ج١ ص٨٢

(٣) معاني الأخبار للصدوق ص١٠٦ وعيون أخبار الرضا عليه السلام ج١ ص٢٥٨

من أزواج الأنبياء عليهم السلام، وعائشة من بينهنّ، وهذا هو قول أئمتنا (عليهم السلام) بخلاف قول العامة الذين نسبوا إلى زوجة نوح (عليه السلام) الزنا وأن الابن العاصي هو منها.

والجواب: إن هذا الاستدلال مردود لقصوره عن إثبات المطلوب، فإن هذه الرواية ومثيلاتها ليس فيها إلا تأكيد انتساب الابن إلى أبيه نوح عليه السلام، وهذا يلازم أن أمّه لم تفجر، ولا يلازم أكثر من ذلك، أعني الحكم بأن سائر نساء نوح (عليه السلام) لم يفجرن، إذ ليس يُدرى أيّتهنّ أم هذا الولد، أَ هي الكافرة الخائنة أم غيرها، حيث حُكيَ أنه كانت لنوح (عليه السلام) امرأتان، إحداهما المؤمنة وهي **عمورة بنت ضمران بن أخنوخ وهو إدريس عليه السلام** – وقيل اسمها **هيكل** – والأخرى الكافرة واسمها **رابعا** أو **والغة** أو **والهة**،[1] فلعلّه كان ابن المؤمنة لكنه كفر.

فإن استقربنا من باب المناسبة أن يكون ابن الكافرة الخائنة؛ فالحكم إنما هو بتنزيهها وحدها عن الزنا، لما تقدَّم من أن ابن مَن أقرّ به المعصوم لا يمكن أن يكون لغير رِشْدَة.

ولا يمكن بحال تعميم هذا الحكم بتنزيه سائر نساء الأنبياء (عليهم السلام) عن الزنا حتى اللاتي لم يلدن، إذ ليس في الرواية ذلك، بل على فرض أنه جاءت فيها زيادة من قبيل: «ولا تزني نساء الأنبياء» لكان عاماً غير ممتنع التخصيص إذا ورد الدليل الخاص، وقد ورد في شأن عائشة. كما على فرض الزيادة يمكن حصر النفي بحال بقاء الأنبياء وبقاء الزوجية، أما بعدهم وبعدها فلا، سيّما إذا ارتدّت المرأة. وعائشة قد ارتدّت بعد النبي (صلى الله عليه وآله) وانفسخت عصمتها الزوجية فنكحت طلحة، تماماً كحال قتيلة بنت قيس التي ارتدّت بعده

(١) راجع سعد السعود لابن طاووس ص٢٣٨ عن قصص الأنبياء للطبري، وعنه بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج١١ ص٣٤٢

وانفسخت عصمتها الزوجية فنكحت ابن أبي جهل،[١] ووقوع هذا الأخير يفضي إلى إمكان وقوع الأول، حيث لا فرق بين عائشة وقتيلة من هذه الجهة إلا أن الأولى مدخول بها على الظاهر دون الثانية، وإلا أن الأولى نكحت سرّاً والثانية علانية.

ولو أدرنا الوجه عن هذا وقلنا بتمامية الاستدلال بالرواية المزبورة على تعميم تنزيه نساء الأنبياء (عليهم السلام) جميعاً عن الزنا، سواءً ولدن أم لم يلدن، وسواءً في حياتهم أم بعد مماتهم، وسواءً ارتددن وبِنَّ أم لا، لما أمكن التسليم بنتيجة هذا الاستدلال أيضاً، لأن للرواية ما يعارضها ويدافع الاستدلال بها، فقد جاء عن الأئمة (صلوات الله عليهم) أيضاً أن ابن نوح (عليه السلام) لم يكن ابنه حقيقةً بل كان ابن امرأته، وفي هذا المعنى أكثر من رواية معتبرة.

منها؛ ما رواه الحميري عن بكر بن محمد الأزدي قال: «**سمعتُ أبا عبد الله عليه السلام يقول: وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ، أي ابنها، وهي لغة طي**».[٢]

ومنها؛ ما رواه علي بن إبراهيم القمي عن عثمان الأحمر عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله: «**وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ**» قال: «**ليس بابنه، إنما هو ابنه من زوجته على لغة طي، يقولون لابن المرأة ابنه**».[٣]

ومنها؛ ما رواه العياشي عن موسى بن العلاء بن سيابة عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله: «**وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ**» قال: «**ليس بابنه، إنما هو ابن امرأته، وهو لغة طي، يقولون لابن**

---

(١) راجع طبقات ابن سعد ج٨ ص١٤٧

(٢) قرب الإسناد للحميري ص٤١ وعنه بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج١١ ص٣١٦

(٣) تفسير القمي ج١ ص٣٢٩ وعنه بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج١١ ص٣٣٧

المرأة ابنه».[١]

ومنها؛ ما رواه العياشي أيضاً عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «**وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ، بنصب الألف، يعني ابن امرأته**».[٢]

والظاهر أن هذا القول هو المشهور عن الأئمة عليهم السلام، إذ نجد نسبته إليهم عندنا وعند أهل الخلاف على السواء، فقد قال الطبرسي في تفسيره: «**ورُوي عن علي بن أبي طالب عليه السلام، وأبي جعفر محمد بن علي، وجعفر بن محمد، عليهم السلام، وعروة بن الزبير: وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهَ** (بفتح الهاء فحُذف الألف تخفيفاً) **ورُوي عن عكرمة: ابْنَها**».[٣] وقال الرازي: «**القول الثاني: أنه كان ابن امرأته، وهو قول محمد بن علي الباقر وقول الحسن البصري، ويروى أن علياً رضي الله عنه قرأ: وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَها؛ والضمير لامرأته. وقرأ محمد ابن علي وعروة بن الزبير: ٱبْنَهَ؛ بفتح الهاء، يريد أنه ابنها، إلا أنهما اكتفيا بالفتحة عن الألف**».[٤]

وهذه الروايات يمكن تأويلها بأن المراد كون ابن نوح (عليه السلام) ربيبه، أي أنه ابن امرأته من زوج سابق، لا أنه وُلد على فراشه لزَنْيَةٍ. غير أن ثمة روايةً لا يمكن تأويلها بهذا، إذ جاءت ظاهرة في أنه لزَنْيَةٍ وأن نوحاً (عليه السلام) لم يعلم ذلك ولذا خاطبه بالبنوّة، وهي التي رواها العياشي عن زرارة عن أبي جعفر (عليه السلام) في قول نوح: «**يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا**»

---

(١) تفسير العياشي ج٢ ص١٤٨ وعنه بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج١١ ص٣٣٧

(٢) المصدر الأول نفسه، وعنه بحار الأنوار ج١١ ص٣١٦، غير أن فيه: «**بنصب الهاء**» وهو الأوفق ظاهراً، وتكون القراءة: «**وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهَ**» بفتح الهاء.

(٣) مجمع البيان للطبرسي ج٥ ص٢٧٣ وعنه بحار الأنوار ج١١ ص٣١٦ وما بين القوسين فيه.

(٤) تفسير الرازي ج٨ ص٤١٢ وعنه بحار الأنوار ج١١ ص٣١٦

قال: «**ليس بابنه. قال** (زرارة): **قلتُ: إن نوحاً قال: يَا بُنَيَّ! قال: فإن نوحاً قال ذلك وهو لا يعلم**».[(١)]

ولعلّ الصنعة الدرائية تقوّي حمل تلك الروايات على هذه فيكون المعنى واحداً، وهو أن امرأة نوح (عليه السلام) زنت فولدت هذا الابن على فراشه فنُسب إليه ظاهراً لأن الولد للفراش. ثم لعل الصنعة الأصولية تقتضي المصير إلى هذا دون ما جاء في رواية الرضا (عليه السلام) من أنه كان ابنه حقيقةً لكن نُفي عنه لكفره وعصيانه، وذلك لأن هذه الروايات موافقة **أولاً** لمشهور القراءة، أعني قوله تعالى: «**إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ**» فيما رواية الرضا (عليه السلام) مبنية على قراءة: «**إنه عمِلَ غيرَ صالح**». ولأن هذه الروايات **ثانياً** أكثر وأشهر وفيها المعتبر سنداً، بخلاف رواية الرضا (عليه السلام) وإنْ كانت إحداها معتبرة على قول. ولأن هذه الروايات **ثالثاً** خلاف ما هو مشهور العامة وما هم إليه أَمْيَلْ، فيما رواية الرضا (عليه السلام) موافقة لمشهورهم.

بيان ذلك: إن العامة انقسموا في مسألة ابن نوح (عليه السلام) إلى فريقيْن رئيسيين، أحدهما قال بأنه وُلد لزَنْيَةٍ، والآخر قال بأنه لرِشْدَةٍ إذ ما بغت امرأة نبي قط. فأما الذي قال بالأول فالحسن البصري، ومجاهد، وابن جريج، وعبيد بن عمير، والشعبي. وأما الذي قال بالثاني فابن عباس، وسعيد بن جبير، والضحاك، ومجاهد وعكرمة على رواية، ووافقهم على ذلك جمهور العامة وذهب أكثرهم إليه.

قال ابن الجوزي في تفسيره: «**واختلفوا في هذا الذي سأل فيه نوح على قوليْن: أحدهما؛ أنه ابن نوح لصلبه. قاله ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد والضحاك والجمهور. والثاني أنه وُلد على فراشه لغير رِشدة ولم يكن ابنه. روى ابن الأنباري باسناده عن الحسن أنه**

---

(١) تفسير العياشي ج٢ ص١٤٩ وعنه بحار الأنوار ج١١ ص٣٣٧

قال: لم يكن ابنه، إن امرأته فجرت! وعن الشعبي قال: لم يكن ابنه، إن امرأته خانته! وعن مجاهد نحو ذلك. وقال ابن جريج: ناداه نوح وهو يحسب أنه ابنه، وكان وُلد على فراشه! فعلى القول الأول، يكون في معنى قوله: إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ؛ قولان: أحدهما؛ ليس من أهل دينك. والثاني؛ ليس من أهلك الذين وعدتك نجاتهم. قال ابن عباس: ما بغت امرأة نبي قط، وإنما المعنى: ليس من أهلك الذين وعدتك نجاتهم. وعلى القول الآخر؛ الكلام على ظاهره. والأول أصح، لموافقته ظاهر القرآن، ولاجتماع الأكثرين عليه، وهو أولى من رمي زوجة نبي بفاحشة». [1]

وقال ابن كثير في تفسيره: «ويُحكى القول بأنه ليس بابنه، وإنما كان ابن امرأته، عن مجاهد والحسن وعبيد بن عمير وأبي جعفر الباقر وابن جريج، واحتج بعضهم بقوله: إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ. وبقوله: فَخَانَتَاهُمَا. فممن قاله الحسن البصري، احتج بهاتين الآيتين، وبعضهم يقول: ابن امرأته، وهذا يحتمل أن يكون أراد ما أراد الحسن، أو أراد أنه نسب إليه مجازاً؛ لكونه كان ربيباً عنده، فالله أعلم. وقال ابن عباس وغير واحد من السلف: ما زنت امرأة نبي قط، قال: وقوله: إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ؛ أي الذين وعدتك نجاتهم. وقول ابن عباس في هذا هو الحق الذي لا محيد عنه، فإن الله سبحانه أغير من أن يُمَكِّن امرأة نبيٍّ من الفاحشة، ولهذا غضب الله على الذين رموا أم المؤمنين عائشة بنت الصديق زوج النبي صلى الله عليه وسلم وأنكر على المؤمنين الذين تكلموا بهذا وأشاعوه». [2]

---

(١) تفسير ابن الجوزي ج٤ ص١١٣

(٢) تفسير ابن كثير ج٢ ص٤٦٤، وقوله: «**فإن الله سبحانه أغير من أن يُمَكِّن امرأة نبيٍّ من الفاحشة**» ظاهر في عقيدتهم في الجبر كما لا يخفى، وبها نزّه عائشة عن الفاحشة في قصة الإفك المزعومة، فلاحظ.

وقد سرد الطبري رواياتهم في ذلك، وإليك كلامه: «**واختلف أهل التأويل في معنى قوله: لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ؛ فقال بعضهم: معناه ليس من ولدك هو من غيرك. وقالوا: كان ذلك من حِنْث. ذكر من قال ذلك: حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، عن عوف، عن الحسن، في قوله: إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ؛ قال: لم يكن ابنه. حدثنا أبو كريب وابن وكيع، قالا: ثنا يحيى بن يمان، عن شريك، عن جابر، عن أبي جعفر:[1] وَنادَى نُوحٌ ابْنَهُ؛ قال: ابن امرأته. حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن عُلَية، عن أصحاب ابن أبي عَروبة فيهم الحسن، قال: لا والله ما هو بابنه! قال: ثنا أبي، عن إسرائيل، عن جابر، عن أبي جعفر: وَنادَى نُوحٌ ابْنَهُ؛ قال: هذه بلغة طيّ لم يكن ابنه، كان ابن امرأته. حدثني المثنى، قال: ثنا عمرو ابن عون، قال: ثنا هشيم، عن عوف، ومنصور، عن الحسن في قوله: إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ؛ قال: لم يكن ابنه. وكان يقرؤها: إِنَّهُ عَمِلَ غيرَ صَالِحٍ. حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة قال: كنت عند الحسن فقال: لعمر الله ما هو ابنه قال: قلت يا أبا سعيد؛ يقول: وَنادَى نُوحٌ ابْنَهُ؛ وتقول: ليس بابنه! قال: أفرأيتَ قوله: إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ؟ قال: قلتُ: إنه ليس من أهلك الذين وعدتك أن أنجيهَم معك، ولا يختلف أهل الكتاب أنه ابنه. قال: إن أهل الكتاب يَكْذِبون! حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: سمعت الحسن يقرأ هذه الآية: إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمِلَ غَيْرَ صَالِحٍ؛ فقال عند ذلك: والله ما كان ابنه! ثم قرأ هذه الآية: فخانَتاهُما. قال سعيد: فذكرت ذلك لقتال، قال: ما كان ينبغي له أن يحلف! حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: فَلا تَسأَلْنِ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ؛ قال: تبيَّن لنوح أنه ليس بابنه. حدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: فَلا تَسأَلْنِ ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ؛ قال: بيَّن الله**

---

(١) هو الباقر صلوات الله عليه، وسيورد له روايتيْن أخرتيْن بعدها.

لنوح أنه ليس بابنه. حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا عبد الله، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد مثله. حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله. قال ابن جريج في قوله: وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ؛ قال: ناداه وهو يحسبه أنه ابنه وكان وُلِد على فراشه. دثني الحرث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا إسرائيل، عن ثور، عن أبي جعفر: إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ، قال: لو كان من أهله لنجا. حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا سفيان، عن عمرو، وسمع عبيد بن عمير يقول: نرى أن ما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم «الوَلَدُ لِلْفِرَاشِ» من أجل ابن نوح. حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن عُلَية، عن ابن عون، عن الحسن، قال: لا والله ما هو بابنه.

وقال آخرون: معنى ذلك؛ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ الذين وعدتك أن أُنجيهم. ذكر من قال ذلك: حدثنا أبو كريب وابن وكيع، قالا: ثنا ابن يمان، عن سفيان، عن أبي عامر، عن الضحاك، عن ابن عباس، في قوله: وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ قال: هو ابنه. حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو أسامة، عن سفيان، قال: ثنا أبو عامر، عن الضحاك، قال: قال ابن عباس: هو ابنه، ما بغت امرأة نبيّ قطُّ. حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوريّ، عن أبي عامر الهمدانيّ، عن الضحاك بن مزاحم، عن ابن عباس، قال: ما بغت امرأة نبيّ قطّ، قال: وقوله: إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ الذين وعدتك أن أنجيهَم معك. حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة وغيره، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: هو ابنه، غيرَ أنه خالفه في العمل والنية. قال عكرمة في بعض الحروف: إنه عمل عملاً غير صالح، والخيانة تكون على غير باب. حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: كان عكرمة يقول: كان ابنه، ولكن كان مخالفاً له في النية والعمل، فمن ثمَّ قيل له: إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ. حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري وابن عيينة، عن موسى بن أبي عائشة عن سليمان بن قَتَّة، قال:

سمعت ابن عباس يُسأل وهو إلى جنب الكعبة عن قول الله تعالى: فخانَتاهُمَا؛ قال: أَمَا إنه لم يكن بالزنا، ولكن كانت هذه تخبر الناس أنه مجنون، وكانت هذه تدلّ على الأضياف. ثم قرأ: إنَّهُ عَمَلٌ غيرُ صَالِحٍ. قال ابن عيينة: وأخبرني عمار الدُّهْنِيّ أنه سأل سعيد بن جبير، عن ذلك فقال: كان ابن نوح، إن الله لا يكذب. قال: وَنادَى نُوحٌ ابْنَهُ. قال: وقال بعض العلماء: ما فجرت امرأة نبيَ قط. حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن عيينة، عن عمار الدهني، عن سعيد بن جبير، قال: قال الله وهو الصادق، وهو ابنه: وَنادَى نُوحٌ ابْنَهُ. ثنا أبو كريب، قال: ثنا ابن يمان، عن سعيد، عن موسى بن أبي عائشة، عن عبد الله ابن شداد عن ابن عباس، قال: ما بغت امرأة نبيّ قطُّ. - إلى أن يقول: - **وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: تأويل ذلك إنه ليس من أهلك الذين وعدتك أن أنجيهم، لأنه كان لدينك مخالفاً وبي كافراً».**[1]

تبيَّن من هذا أن ما هُم إليه أَمْيَل من القولَيْن هو القول بأن ابن نوح (عليه السلام) كان لصلبه، وأن مشهورهم أخذوا بقول ابن عباس: «**ما زنت امرأة نبي قط**». وعليه يقوى الأخذ بروايات أئمتنا (عليهم السلام) في نفي ابن نوح (عليه السلام) لأنها تخالف مشهورهم دون رواية الرضا (عليه السلام) لأنها توافق مشهورهم، وذلك بمقتضى أصول الترجيح، ففي مقبولة ابن حنظلة: «**جُعِلتُ فداك؛ فإن وافقهما الخبران جميعاً؟ قال عليه السلام: يُنظر إلى ما هم إليه أَمْيَل - حُكّامهم وقضاتهم - فيُترك ويؤخذ بالآخر**».[2]

إلا أن هذه النتيجة يخدش فيها أن رواية الباقر (عليه السلام) في أن نوحاً (عليه السلام) لم يعلم بأن ابنه هو لغيره؛ مخالفة لاعتقادنا في علم المعصوم، كما أنها مخالفة لما سبقت الإشارة

---

(١) تفسير الطبري ج١٢ ص٦٥ وما بعدها.

(٢) الكافي للكليني ج١ ص٦٨

إليه من أنه لو وُلد ولد أقرَّ المعصوم بنسبته إليه فلا يمكن أن يكون لغير رِشْدَةٍ، لأن ذلك يلزم منه إما كذب المعصوم أو خفاء الأمر عليه، وكلاهما ممنوعان. وحمل إقراره على نحو من التورية بداعي المصلحة بعيد جداً ويُعْوُزِهُ الدليل.

لذا قد يكون الأقرب التفكيك بين الروايات، فتُحمل التي تذكر أنه كان ابن امرأته على أنه كان ربيبه من زوجها السابق، وإنما أُطلق عليه الابن بلغة طي. وتُترك رواية الباقر كما تُترك رواية الرضا صلوات الله عليهما.

ومهما يكن؛ فإن الاستدلال برواية الرضا (عليه السلام) على نفي الزنا عن عائشة لا وجه له مطلقاً، إذ ليس فيها العموم ولا تفيده، وهي بعدُ معارضة بغيرها، ولا تقاوم الروايات والأدلة الخاصة في وقوع عائشة في الفاحشة. ولعل رواية الرضا (عليه السلام) صادرة على سبيل التقية كما هو غير بعيد بعد ملاحظة ما هو المشهور عند أهل الخلاف.

وفذلكة المقام؛ أنه ليس من دليل نقلي واحد ينفي إمكان وقوع عائشة أو غيرها من زوجات الأنبياء (صلوات الله عليهم) في الزنا إذا لم يلدن لهم، وإنْ شُكِّك في الإمكان أثناء بقائهن زوجات لهم وهم على قيد الحياة؛ فلا سبيل للتشكيك في الإمكان بعد تلك الأثناء. وما نقوله في عائشة على نحو القطع إنما هو بعد تلك الأثناء، أي أنها زنت في الطريق إلى البصرة، وكان ذلك بعد استشهاد رسول الله (صلى الله عليه وآله) بزمن طويل.

على أن مما يُشعر بإمكان وقوع الزنا من زوجات الأنبياء (عليهم السلام) في حياتهم؛ ما رواه أحمد بن محمد بن خالد البرقي بسنده عن محمد بن قيس عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**عرض إبليس لنوح عليه السلام وهو قائم يصلي، فحسده على حسن صلاته، فقال: يا نوح!**

إن الله عز وجل خلق جنة عدن بيده، وغرس أشجارها واتخذ قصورها وشقّ أنهارها، ثم اطلع إليها فقال: قد أفلح المؤمنون، لا وعزتي وجلالي لا يسكنها ديّوث».[١]

وتقريب الاستشعار هو أن إبليس (لعنه الله) أراد أن يبكِّتَ نوحاً (عليه السلام) بما يصرفه عن الخشوع والتوجه القلبي في صلاته، ولا بد أن يكون وراء هذا التبكيت واقعٌ ما أراد إبليس به استفزاز نوح (عليه السلام) لقطع رجائه بالجنة، وليس هذا الواقع إلا أن نوحاً (عليه السلام) أعرض عن فجور امرأته، وبذا يكون محروماً من الجنة لأن الله تعالى أقسم على أن لا يسكنها ديوث.

وليس الكلام في صدق الدياثة على نوح (عليه السلام) من عدمها؛ فإنه على فرض إعراضه عن فجور امرأته لا يكون ديّوثاً ولا محروماً من الجنة، لأن الديّوث هو من لا غيرة له على أهله، أي الذي يستمرئ فجورها في نفسه ويرضى به ولا ينتابه شيء من الغيرة بسببه، لا الذي يغار إلا أنه لا يقدر على منع أهله أو هو ممنوع عن ذلك. ولا شك في أن نوحاً (عليه السلام) هو من الثاني، لأنه في إعراضه يكون ممتثلاً لأمر الله سبحانه وتعالى في الصبر على فجور امرأته للمصلحة، كتألّف قومها مثلاً، فهو إذن في قرارة نفسه غيور، غير أنه لا يقدر على إعمال غيرته بحبس امرأته لمنع الله إياه عن ذلك.

إنما الكلام في أنه لا بد أن يكون وراء تبكيت إبليس (لعنه الله) لنوح (عليه السلام) واقع ما أراد أن يستفزّه أو يعيّره به، وإلا فلا معنى لكلام إبليس إذا لم يكن ثمة واقع، لأنه لا يحقق حينها غرضه في صرف نوح (عليه السلام) عن الخشوع والتوجه في صلاته، وليس إبليس

(١) المحاسن للبرقي ج١ ص١١٥ وعنه وسائل الشيعة للحر العاملي ج٢٠ ص٣٢٨ وبحار الأنوار للعلامة المجلسي ج٨ ص١٩٥

بهذه البلاهة قطعاً. فلا بدّ إذن من أن يكون هذا الواقع هو فجور المرأة، فيثبت إمكان وقوع امرأة نبي في الزنا في حياته.

وهذه النتيجة حَريّة بأن يُصار إليها لولا أن معنى الديوث لا يختص بمن تزني امرأته ولا يغار، بل يعمّ كثيراً من المصاديق هي أخفّ من ذلك، كمن تخرج امرأته سافرة متبرّجة ولا يغار، وهذا ما جاء في بعض الأحاديث، ومنها ما رواه السبزواري عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال في حديث: «**وأيّما رجل تتزيّن امرأته وتخرج من باب دارها فهو ديوث، ولا يأثم من يسمّيه ديّوثاً. والمرأة إذا خرجت من باب دارها متزيّنةً متعطّرة والزوج بذلك راضٍ يُبنى لزوجها بكل قدم بيت في النار**».[1]

فعلى هذا لا يمكن القول بوقوع الزنا من امرأة نوح (عليه السلام) في حياته بضرس قاطع، فلعلّ فجورها كان يقتصر على خروجها من دار زوجها متزيّنةً مثلاً، وكان نوح (عليه السلام) مضطراً لأن يصبر على ذلك بأمر الله تعالى، ولعل هذا هو الواقع الذي أراد به إبليس (لعنه الله) أن يبكّتَ به نوحاً (عليه السلام) ويستفزّه برميه إياه بالدياثة حاشاه.

والحاصل؛ أنّا في خصوص عائشة (لعنها الله) لا نجزم بوقوعها في فاحشة الزنا في حياة النبي (صلى الله عليه وآله) إذ لا نجد دليلاً على هذه الصغرى ولا قرينة، مع قطع النظر عن الإمكان في الكبرى، فنلتزم فقط بوقوعها في الزنا بعده صلى الله عليه وآله.

● **قد يُقال**: إنْ لم يكن هناك دليل نقلي ينفي إمكان وقوع زوجات الأنبياء (عليهم السلام) في الزنا؛ فإن الإجماع قام على ذلك، فهذا شيخ الطائفة الطوسي في تفسيره لقوله تعالى: «**فَخَانَتَاهُمَا**» يقول: «**قال ابن عباس: كانت امرأة نوح وامرأة لوط منافقتيْن فَخَانَتَاهُمَا.**

---

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج١٠٠ ص٢٤٩ عن جامع الأخبار للسبزواري.

قال ابن عباس: كانت امرأة نوح كافرة تقول للناس إنه مجنون، وكانت امرأة لوط تدلُّ على أضيافه، فكان ذلك خيانتها لهما، وما زنت امرأة نبي قط. لما في ذلك من التنفير عن الرسول وإلحاق الوصمة به، فمن نسب أحداً من زوجات النبي إلى الزنا فقد أخطأ خطأً عظيماً، وليس ذلك قولاً لمحصِّل».[١]

والجواب: إن دعوى الإجماع مجازفة حتى مع هذا القول للشيخ رضوان الله تعالى عليه، إذ ليس في كلامه مثل هذه الدعوى، إنما الذي فيه نفيه أن يكون ذلك قولاً لمحصِّل، فإما أن يكون مراده أن القائل بذلك يكون مخطئاً غير محصِّلٍ ذاك التحصيل العلمي؛ وإما أن يكون مراده أنه لم يبلغه أن أحداً من المحصِّلين قال بذلك. وعلى كلا الاحتمالَيْن؛ أين هذا من دعوى الإجماع؟

ولو سلّمنا بأنه إنما يدّعي الإجماع ههنا، لكان من قبيل إجماعاته في المبسوط والخلاف التي لا قبول لها ولا احتجاج بها، لما عُرف من أنها - على الأكثر - مدركية أو لطفية أو جارية على القاعدة، ناهيك عمّا فيها من التناقضات.[٢] وهذا الذي هنا - إنْ قلنا أنه دعوى إجماع -

---

(١) التبيان للشيخ الطوسي ج١٠ ص٥٢

(٢) عدّد الشهيد الثاني (رضوان الله تعالى عليه) نيفاً وسبعين من دعاوى الإجماع التي تناقض فيها الشيخ رضوان الله تعالى عليه، وذلك في رسالة خاصة تجدها ضمن رسائله ج٢ ص٨٤٧، وقال في ديباجتها: «**قد أفردناها للتنبيه على أن لا يغتر الفقيه بدعوى الاجماع فقد وقع فيه الخطأ والمجازفة كثيراً من كل واحد من الفقهاء سيّما من الشيخ والمرتضى**».

ولا تغفل عن أن الإجماع الذي يُحتج به عندنا يختلف عن ذاك الذي يُحتج به عند أهل الخلاف، فإنه عندنا لا حجة فيه إلا إذا كان كاشفاً عن حكم المعصوم صلوات الله عليه، أي كان إجماعاً كشفياً دخولياً أو تضمنيّاً. أما عندهم فالإجماع حجة مستقلة مخترعة ضربوا بها أحكام الله ورسوله (صلى الله عليه وآله) عرض الجدار! وقد ذمّهم إمامنا الصادق (صلوات الله عليه) على ذلك، فقال في رسالته إلى شيعته التي أمرهم بمدارستها =

ليس إلا إجماعاً مدركيّاً، لابتنائه على قول ابن عباس نقلاً، ودعوى التنفير عقلاً، كما هو نـص كلامه. والإجماع المدركي ليس من الإجماع الاصطلاحي الكاشف عن دخول المعصوم (عليه السلام) في المجمعين، فلا يمكن التمسك به لرد ما انتهى إليه البرهان.

وليت شعري كيف يمكن قبول دعوى الإجماع مع خروج مثل علي بن إبراهيم عنه وهـو شيخ مشايخ الشيخ؟! وكيف يمكن نفي التحصيل عن مثله؟! بل كيف تُقبل هـذه الـدعوى مع ما مرّ من نصوص الأئمة (عليهم السلام) على وقوع الفاحشة مـن عائـشة وحفـصة بـل وغيرهما من نساء النبي (صلى الله عليه وآله) اللاتي نُكحن بعده رغم حرمة ذلك؟!

ثم لو قبلنا هذه الدعوى لأمكن حصر الإجماع فيها على زمان بقاء المـرأة زوجـة في حيـاة النبي لا بعده، وهو الظاهر من كلام الشيخ إنْ تأمّلتَ، لأنه كان في مقام نفي الخيانة الفراشـية عن زوجتي نوح ولوط (عليهما السلام) في حياتهما. ونحن إنما نقول على نحو البتّ أن عائشة قد خانت بعد استشهاد النبي (صلى الله عليه وآله) في طريق البصرة، فلا تنسَ.

= والنظر فيها وتعاهدها والعمل بها كما في الكافي ج٨ ص٦: «**وأولئك الـذين يأخـذون بـأهوائهم وآرائهـم ومقاييسهم حتى دخلهم الشيطان! لأنهم جعلوا أهل الإيمان في علم القرآن عنـد الله كـافرين! وجعلـوا أهـل الضلالة في علم القرآن عند الله مؤمنين! وحتى جعلوا ما أحلَّ الله في كثير من الأمر حراماً! وجعلوا ما حرَّم الله في كثير من الأمر حلالاً! فذلك أصل ثمرة أهوائهم. وقد عهد إليهم رسول الله صلى الله عليه وآله قبـل موتـه، فقالوا: نحن بعدما قبض الله عز وجل رسوله يسعنا أن نأخذ بما اجتمع عليه رأي الناس بعـدما قـبض الله عـز وجل رسوله وبعد عهده الذي عهده إلينا وأمرنا به مخالفاً لله ولرسوله صلى الله عليه وآله! فما أحدٌ اجرأ على الله ولا أبيَنُ ضلالةً ممن أخذ بذلك وزعم أن ذلك يسعه**».

لهذا فإن الإجماعات التي يمكن التمسك بها عندنا في غاية الندرة.

• **قد يُقال**: فإنْ لم يكن ثمة إجماع فيبقى دليل العقل الذي ذكره الشيخ، وهو أن زنا امرأة نبي يستلزم التنفير عنه وإلحاق الوصمة به، وفي هذا إبطال للغرض من بعثته إذ لا يستجيب له الناس بعد ذلك. فينتفي على هذا إمكان وقوع إحداهن في الزنا.

والجواب: إن هذا في واقع الأمر هو الدليل الوحيد الذي قد يصحّ الاتكاء عليه للحكم بوجوب طهارة أزواج الأنبياء عليهم السلام، فبعدما تبيّن غياب أي دليل نقلي من كتاب أو سنة؛ أو إجماعي - وهو راجع أيضاً في حقيقته إلى النقلي - لم يتبقَّ إلا هذا الدليل العقلي، وهو أن كل ما يلزم منه التنفير عن صاحب الرسالة محال، ووقوع إحدى نسائه في الزنا هو من قبيله، فيكون محالاً.

وهذا الدليل في صغراه غير ممتنع الخدش، إذ يمكن أن يُقال: أنه لو تمَّ صدق منفِّريَّة زنا المرأة، فأي فرقٍ بينه وبين كونها قوّادةً في هذا الصدق حتى يمتنع الأول ويمكن الثاني؟

بيان ذلك: إنّا علمنا أن زوجة لوط (عليه السلام) كانت قوّادةً تحضُّ على الفاحشة، فكانت حين يستضيف زوجها رجالاً حِساناً تصفّر أو تصفّق أو توقد ناراً وتدخِّنَ لتُعلِم ولتدلَّ أهل الفاحشة عليهم ليفجروا بهم. قيل للصادق عليه السلام: «**كيف كان يعلم قوم لوط أنه قد جاء لوطاً رجال؟ قال: كانت امرأته تخرج فتصفِّر، فإذا سمعوا التصفير جاءوا، فلذلك كُرِهَ التصفير**»[1] وفي رواية عنه عليه السلام: «**فلما أبصرت بهم امرأته؛ أبصرت هيئة حسنة، فصعدت فوق السطح فصفَّقَتْ فلم يسمعوا، فدَخَّنَتْ، فلمّا رأوا الدخان أقبلوا**

(١) علل الشرائع للصدوق ج٢ ص٥٦٤

يُهرعون إليه».[١] وفي أخرى عن الباقر عليه السلام: «**كانت العلامة بينها وبين قومها إذا كان عند لوط أضياف بالنهار تدخِّنُ فوق السطح، وإذا كان بالليل توقد النار**».[٢]

فإذا لم يكن هذا منفِّراً مع أنه في العلانية؛ فكيف يكون زنا المرأة منفِّراً سيّما إذا كان في السر؟! واعرض ذلك على العقلاء لتستكشف حكم العقل في أن الأمرين من جهة القبح واحد، بل إن الأول أقبح، فإن القوّادة التي تدعو إلى الفجور واللواط جهاراً؛ أقبح وأشنع في العقل كما العرف من التي زنت سرّاً.

وحيث لم يكن حضّ امرأة نبي على الفجور واللواط منفِّراً عنه وإلا لم يقع؛ بطلت دعوى عدم إمكان وقوعها في الفجور والزنا لأنه لا يكون منفّراً كذلك.

وإنك لو تأمّلتَ تجد ذلك واضحاً، إذ لو سمعتَ اليوم بأن أحداً من أكابر الصلحاء أو العلماء قد خانته زوجته أو فجر ابنه؛ لما رأيتَ ذلك قادحاً فيه أو منفّراً عنه، ولما ابتعدت عنه إنْ كانت لك به صلة، بل لتعاطفت معه أكثر، إذ لا تزر وازرة وزر أخرى.

وحتى إن قلتَ إنك قد تنفر عنه إذا وقعت الخيانة من امرأته في حياته؛ فإنك لا يمكن أن تحتمل النفور عنه بعد مماته، إذ تقول في نفسك: لبئس ما خلفتْ ذلك الرجلَ الصالحَ امرأتُه ولبئس ما خلفه ابنُه.

إذن؛ لا تكون دعوى التنفير هذه إلا استحسانية ذوقية، ولا ينبغي أن يُحتج بها. ولو تنزّلنا وقلنا بها؛ فإنما تتم في ما لو كان وقوع الزنا أثناء حياة النبي لا بعد استشهاده واستقرار

---

(١) قصص الأنبياء عليهم السلام للجزائري ص١٢٠

(٢) تفسير أبي حمزة الثمالي رضوان الله تعالى عليه ص١٧٤

دعوته. ونحن إنما نقول على نحو الجزم أن عائشة قد زنـت بعـد استـشهاده (صـلى الله عليـه وآله) ورحيله بزمن طويل، حين كانت دعوته مستقرة متعاظمة.

كما لو تنزّلنا وقلنا بهذه الدعوى؛ فإنما تتم في ما لو كان وقوع الزنا ظـاهراً في العلانيـة، إذ قد يُنفر من صاحب الدعوة لظهور فجور امرأته في مهدها أو أثناء حياتـه، أمـا أن يقـع ذلـك الفجور سرّاً ثم تكشف عنه إخبارات الأنبياء والأوصياء (عليهم السلام) في جملة ما تكـشفه من الغيب عن أحوال الماضين، فلا نفور ولا تنفير مطلقاً كما هو المحسوس، وإنكاره مكابرة، فقد مرّ عليك في التوطئة أن الله تعالى كشف ما صـنعت زليخـا وكيـف أنهـا راودت يوسـف (عليه السلام) عن نفسه، ثم عُلِم أنه (عليه السلام) قـد تزوّجهـا، ومـع ذا لا أحـد يستـشعر النفور في نفسه بسبب ذلك الإخبار.

• **قد يُقـال**: إن القول بأن عائشة زانية يستلزم المـسّ برسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه) والطعن فيه، لا من جهة أنها عرضه فحسب؛ بل من جهة أنه كيف قَبِلَ على نفـسه أن يتـزوج زانية؟ مع أن الله تعالى يقول: «**الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَـةُ لَا يَنكِحُهَـا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِـكَ عَـلَى الْمُـؤْمِنِينَ**» ويقـول: «**الْخَبِيثَـاتُ لِلْخَبِيثِـينَ وَالْخَبِيثُـونَ لِلْخَبِيثَـاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ**».[1]

والجـواب: إن هذه مغالطة؛ فإنه قد تبيَّنَ لك أنّا لا نقول بأن عائشة قد زنت قبل زواجها برسول الله (صلى الله عليه وآله) أو أثناء حياته، إنما نقول أنها ارتكبت ذلـك بعـد استـشهاده. وعليه فإن نكاحه لها لم يكن نكاحاً لزانية حتى يتوجّه إليه هذا الإشـكال، إذ الزنـا وقـع منهـا لاحقاً.

---

(١) النور: ٤ و٢٧

وقد عرفتَ في التوطئة أن شيئاً لا يدخل على النبي إذا ما فسقت أو فجرت امرأته بعده، كما عرفت في الفصل الثاني أن زيجات الأنبياء (عليهم السلام) لها مقاصد متنوعة تدور مدار مصلحة الدعوة والدين، وأن زواجه (صلى الله عليه وآله) بعائشة كان ابتلاءً لها وللأمة، ولا يلزم من ذلك الحكم بإيمانها وطهارتها الذاتية عن الخبث والدنس والفاحشة. وعرفتَ أيضاً في الفصل الثاني أن عائشة قد انفسخت عصمتها من النبي (صلى الله عليه وآله) فلم تعد عرضاً له، فليس في نسبة الزنا إليها حرج ولا يمس ذلك به صلى الله عليه وآله. فراجع.[١]

على أنّا حتى لو قلنا بأنها قد زنت قبل أن يتزوجها النبي صلى الله عليه وآله؛ لما كان في ذلك محذور، ولا كان ذلك قادحاً فيه صلى الله عليه وآله، لما تقرّر من أن زيجات الأنبياء (عليهم السلام) كانت لها مصالح تقتضي أحياناً الزواج بمن ليس لها من الإيمان والعفة نصيب، تقديماً لما هو أولى وأهم، ولا بد للنبي أن يتحمّل ويضحّي.

ومثال ذلك زواج لوط (عليه السلام) من تلك المرأة الخبيثة، فقد جاء في الخبر أنها كانت من قوم يأتي رجالهم الرجال والنساء النساء، ومع ذلك تزوّج لوط هذه منهم مع علمه بها وبهم، ما يعني أنها كانت مثلهم في الفجور، سيّما مع ما ظهر منها بعد ذلك من القيادة والحضّ على الفاحشة.

روى علي بن إبراهيم القمي في حديث قوم لوط: «**فاستغنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء، فشكا الناس ذلك إلى إبراهيم عليه السلام، فبعث إليهم لوطاً عليه السلام يحذرهم وينذرهم، فلمّا نظروا إلى لوط قالوا: من أنت؟ قال: أنا ابن خال إبراهيم الذي ألقاه الملك في النار فلم يحترق وجعلها الله عليه برداً وسلاماً، وهو بالقرب منكم، فاتقوا الله ولا تفعلوا هذا، فإن الله يهلككم! فلم يجسروا عليه وخافوه وكفّوا عنه. وكان لوط كلما مرَّ به رجلٌ يريدونه**

(١) التوطئة ص١٣ والفصل الثاني ص٢٤٩ وص٢٦٩

بسوء خلّصه من أيديهم، وتزوّج لوط فيهم ووُلِد له بنات (...) فوقفوا على لوط في ذلك الوقت وهو يسقي زرعه فقال لهم: من أنتم؟ قالوا: نحن أبناء السبيل، أضفنا الليلة. فقال لهم: يا قوم إن أهل هذه القرية قوم سوء لعنهم الله وأهلكهم، ينكحون الرجال ويأخذون الأموال. فقالوا: فقد أبطأنا فأضفنا. فجاء لوط إلى أهله وكانت منهم.. إلخ».[1]

وروى الصدوق عن أبي جعفر الباقر صلوات الله عليه: «**فلمّا انتصف الليل سار لوط ببناته وتولّت امرأته مدبرة، فانقطعت إلى قومها تسعى بلوط وتخبرهم أن لوطاً قد سار ببناته**».[2]

ومفاد هذه الأخبار ونظائرها أن هذه المرأة كانت من أولئك القوم الفَجَرة الذين ينكح الرجال منهم الرجال وتساحق النساء منهم النساء، ومع ذا وجدنا لوطاً النبي (صلوات الله عليه) يتزوّجها، فهل يقول قائلٌ بأن ذلك يمسّ به ويطعن فيه بدعوى أنه كيف قَبِلَ على نفسه أن يتزوّج امرأة فاجرة من قوم سوء كهذه؟! فإن قيل: كان ذلك للمصلحة؛ قلنا: وكذلك زواج رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعائشة على تقدير أنها كانت فاجرة منذ ذلك الحين.

ثم لا يُغفل عن أن لوطاً (عليه السلام) عرض بناته على أولئك الرجال الفَجَرة للزواج، إذ قد نطق كتاب الله تعالى بذلك في قوله: «**وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ ۚ قَالَ يَا قَوْمِ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَاتَّقُوا اللهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ**».[3] وقوله: «**قَالَ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ * وَاتَّقُوا اللهَ وَلَا تُخْزُونِ ***

---

(١) تفسير القمي ج١ ص٣٣٤ وعنه بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج١٢ ص١٥٥ وقصص الأنبياء عليهم السلام للجزائري ص١٥٦

(٢) علل الشرائع للصدوق ج٢ ص٥٥١

(٣) هود عليه السلام: ٧٩

قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ * قَالَ هَـٰؤُلَاءِ بَنَاتِي إِن كُنتُمْ فَـاعِلِينَ» وفي تفسيرهما قال الأئمة عليهم السلام: «**عرض عليهم بناته بنكاح**».[1]

وعلى هذا لا وجه لاعتراض المعترض المستقبح بالقول: كيف قَبِلَ على بناته وأعراضه أن يتزوَّجْنَ برجال كفرة فَجَرة كانوا ينكحون بعضهم بعضاً؟! فإن قيل: يرفع القبح أن هذا كان أملاً في هدايتهم بإحصانهم؛ قلنا: فكذلك التمسوا من الدواعي لزواج رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعائشة على تقدير أنها كانت فاجرةً من قبل.

فالحاصل؛ إن القول بوقوع عائشة في الفاحشة لا يلزم منه الطعن في رسول الله (صلى الله عليه وآله) بحال من الأحوال من تلك الجهة المدّعاة، سواءً قيل بأنها كانت فاجرة قبل زواجها به؛ أم بعد رحيله واستشهاده فقط كما نقوله نحن.

● **قد يُقال**: إنه مع كل هذا لا مناص من الكف عن نسبة الزنا إلى عائشة، إذ هو شرعاً قذفٌ ما دام لم يشهد بوقوعه أربعة عدول عياناً، فالقائل به اليوم قاذفٌ يثبت عليه الحد.

والجواب: إن هذا أطرف ما قد يُشكَل به، فإنه لا دخل له في موضوع البرهنة العلمية على وقوعها في الفاحشة، إذ إن هذه البرهنة إنما تدور في فلك الأدلة وتجري مجرى الاستنباط، ولا ينطوي عليها إلا القطع أو الظن أو عدمهما. أما موضوع القذف فيدور في فلك الأحكام، بمعنى أنه يترتّب عليه حكم إما بالجواز فلا يوجب الحد أو عدم الجواز فيوجب، وهذا موضوع آخر لا يُبحث في مقام البرهنة والاستنباط، ولا يُتَّخذ حربةً لردِّ النتائج أو سيفاً على رقاب المحققين، وإلا لانهدم البحث العلمي من رأس.

---

(١) الآية في سورة الحجر: ٦٩- ٧٢، والرواية في تفسير العياشي ج٢ ص١٥٦

وبعبارة أخرى؛ إن الفقيه أو المحقق إذا أراد البحث في مسألة وقوع عائشة في الفاحشة من عدمها، فإنه يتعامل مع الأدلة والحجج العقلية والنقلية لينتهي إلى نتيجة يكون محجوجاً بها أمام الله تعالى، سلباً أم إيجاباً، نفياً أم إثباتاً، وهذا طريق رسمه الشارع للاستنباط والاحتجاج، وموضوعه مستقل عن موضوع القذف، إذ الأخير لا يبتني على تلك الأدلة والحجج، إنما يبتني على تحقق اتهام القاذف للمقذوف بغير بيّنة، فإن كان المقذوف ممن لم يحترمه الشارع كالكافر والناصب فلا حد، وإن كان محترماً كالمؤمن فالحد ثابت في حق القاذف.

وإنْ شئتَ قلتَ: إن من يعتقد في رجل أو امرأة أنها زنيا بحجة من الحجج الشرعية أو الطرق الممضاة شرعاً، كقول الله تعالى أو قول المعصوم عليه السلام، فإنه لا يكون قاذفاً، إذ تلك الحجة تقوم مقام البينة الشرعية، فتدرأ عنه الحد حتى وإنْ لم تثبت تلك الحجة عند الحاكم، فكونها ثابتة عند المعتقِد كافيةٌ في سلب عنوان القاذف عنه، فلا يُقام عليه حد.

مثال ذلك: إن أحداً لا يكون قاذفاً بما يوجب عليه الحد لو اعتقد أن عمر بن الخطاب وأبا جعفر الدوانيقي زانيان أو أن أمهما زنتا لما رواه العلامة المجلسي عن أبي الصلاح الحلبي عن إسماعيل بن يسار عن غير واحد عن جعفر بن محمد عليهما السلام قال: «**كان إذا ذُكِر عمر زَنَّاهُ، وإذا ذُكِرَ أبا جعفر الدوانيقي زَنَّاهُ، ولا يُزَنِّي غيرهما**».[1] ففي الحقيقة إن المعتقِد متمسك بحجة شرعية، وهذا التمسك يسلب عنه عنوان القاذف، فلا يرتّب عليه شيئاً من الحدود، لأن موضوعه مستقل عن موضوع القذف. وهكذا فإن المتمسك بما جاء عن الأئمة الأطهار (عليه السلام) وأصحابهم الأبرار في ارتكاب عائشة الفاحشة، لا يكون قاذفاً.

---

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج٣٠ ص٣٨٤ عن أبي الصلاح الحلبي رضوان الله تعالى عليه. وقول الرواة عنه عليه السلام أنه «**لا يُزَنّي غيرهما**» معناه أنهم لم يسمعوا منه ذلك في غيرهما على الخصوص.

ولا ينبغي أن يناقش في هذا متفقّه، إذ يكفي علمه بما استفاض عن الأئمة (عليهم السلام) وأصحابهم من المتشرّعة في رمي جماعة من الرجال والنساء بالزنا والأبنة، كعمر وعثمان والمغيرة وخالد ومعاوية وابن ملجم وزياد ويزيد وطغاة بني أمية وطغاة بني العباس وأمهاتهم وأخواتهم. ثم علمه بنقل العلماء العظام كل ذلك في كتبهم ومصنفاتهم بلا نكير، فأي عاقل يقول أنه وجب على هؤلاء جميعاً حد القذف لغياب شهود أربعة عدول على ما نقلوا؟! وأي فقيه يجسر على أن يحكم بثبوت حد القذف على مثل علي بن إبراهيم القمي (رضوان الله تعالى عليه) لأنه روى عن مشايخه عن الأئمة (عليهم السلام) أن عائشة خانت فزوّجت نفسها من طلحة في طريق البصرة وأقسم على أن القائم (صلوات الله عليه) حين يظهر سيقيم عليها حد الزنا بسببه؟!

ثم على فرض أن عنوان القاذفية لا يكون مسلوباً ههنا؛ فإن المقذوف من هؤلاء لا يترتّب على قذفه شيء، لأنه غير محترم شرعاً لكونه ناصبياً، وهو أهون عند الله تعالى من الكلب، فعن أبي عبد الله الصادق صلوات الله عليه: «**إن الله لم يخلق خلقاً شرّاً من الكلب، والناصب لنا أهون على الله من الكلب**».[1] وعائشة رأس النُّصب والنواصب بلا خلاف، فحرمة قذفها ساقطة في ميزان الشرع، وكيف لا تكون كذلك وهي قاتلة رسول الله صلى الله عليه وآله؟!

بل قد ادُّعِيَ جواز قذف مطلق المخالف على كراهة، لما رُوي عن أبي حمزة عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال أبو حمزة: «**قلتُ له: إن بعض أصحابنا يفترون ويقذفون مَن خالفهم. فقال لي: الكفّ عنهم أجمل. ثم قال: والله يا أبا حمزة إن الناس كلهم أولاد بغايا ما خلا شيعتنا. قلت: كيف لي بالمخرج من هذا؟ فقال لي: يا أبا حمزة، كتاب الله المنزل يدلّ عليه. إن**

(١) جواهر الكلام للشيخ الجواهري ج٦ ص٦٣

الله تبارك وتعالى جعل لنا أهل البيت سهاما ثلاثة في جميع الفيء، ثم قال عز وجل: واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، فنحن أصحاب الخمس والفيء، وقد حرّمناه على جميع الناس ما خلا شيعتنا. والله يا أبا حمزة ما من أرضٍ تُفتح ولا خمس يخمّس فيُضرب على شيء منه إلا كان حراماً على من يصيبه فرجاً كان أو مالاً، ولو قد ظهر الحق لقد بيع الرجل الكريمةُ عليه نفسه فيمن لا يزيد حتى أن الرجل منهم ليفتدي بجميع ماله ويطلب النجاة لنفسه فلا يصل إلى شيء من ذلك، وقد أخرجونا وشيعتنا من حقنا ذلك بلا عذر ولا حق ولا حجة».[1]

وقد قال الشيخ الأعظم (رضوان الله تعالى عليه) في مقام الاستدلال بها: «**وفي صدرها دلالة على جواز الافتراء وهو القذف على كراهة، ثم أشار عليه السلام إلى أولوية قصد الصدق بإرادة الزنا من حيث استحلال حقوق الأئمة عليهم السلام**».[2] هذا وإن كنّا نرى أن الحكم بالكراهة أبعد من مدلول قوله عليه السلام: «**الكفُّ عنهم أجمل**» إذ مفهومه أن قذفهم جميل، غير أن الكف أجمل، فالأقرب أن يكون الحكم بالأولوية، أي أن الكف أولى وأفضل. ثم إنّا نحمل المُراد «**ممن خالفهم**» على النواصب ومَن لا تُرتجى هدايته من أهل الخلاف، لا على مطلق المخالف سيّما الذي تُرتجى هدايته من المستضعفين والمخدوعين.

وعائشة على أقل تقدير مخالفة، فعلى فتوى الشيخ الأعظم ومَن تبعه إلى اليوم، يكون قذفها في أسوأ الفروض مكروهاً ليس إلا.

---

(١) الكافي للكليني ج٨ ص٢٨٥

(٢) المكاسب للشيخ الأعظم الأنصاري ج٢ ص١١٩

وأيّاً كان؛ فإنه لا يمكن التفصّي من ثبوت جواز قذف عائشة، هذا إنْ كان قذفاً الإخبارُ عن كونها قد زنت في طريق البصرة اعتماداً على حجة شرعية، وقد عرفت أنه ليس بقذف، لا موضوعاً ولا حكماً، بل ولا اصطلاحاً شرعيّاً أو متشرّعيّاً.

وإنّا نعلم أن منشأ هذا الإشكال ليس في الحقيقة إلا انسياقاً وراء المزاج البكري السائد الذي أشرنا إليه في ما مضى، وإلا فإن مَن أشكَل به أو قد يُشكِل تراه يطبق شفتيْه عما هو جارٍ على المنابر في عالم التشيع من ثلب بقية ظلمة آل محمد (عليهم السلام) بنسبة الزنا إليهم وإلى آبائهم وأمهاتهم، كيزيد وشمر وهارون العباسي مثلاً، فلا يعترض بدعوى أن هذا قذفٌ لا يجوز دون بيّنة الأربعة شهود، فيما تثور ثائرته حين يُنسَب الزنا إلى عائشة صارخاً: هذا قذف! أين الأربعة الشهود؟!

فليراجع هذا نفسه، وليُظهر لنا أي فرق شرعي بين عائشة وقطام بنت سخينة مثلاً حتى يحرم قذف الأولى ويجوز قذف الثانية في كتب الأصحاب وعلى المنابر بالقول أنها كانت فاجرة تبذل نفسها لرجال كانت تأتي بهم قوادة عجوز اسمها لبابة؟![1] مع أن عائشة وقطام كلتاهما مسلمتان ظاهراً، بل ما كان من قطام بالنسبة إلى ما كان من عائشة من الفجور والتهتك والنُّصب والضلالة والإجرام والعداوة لله ولرسوله ولأهل بيته الطاهرين عليهم السلام؛ كالقطرة بالنسبة إلى البحر! فما لكم كيف تحكمون؟!

إنما الفرق هو في المزاج البكري السائد ليس إلا، فإنه يهتم بصون عائشة أكثر من أية امرأة أخرى في التاريخ، رغماً عن أنف الحق والحقيقة! مع أن عائشة لا تستحق أن تُصان

---

(١) كمثال؛ روى العلامة المجلسي في البحار ج٤٢ ص٢٩٨ في مجريات شهادة أمير المؤمنين عليه السلام: «**وأقبلوا إلى قطام الملعونة الفاسقة الفاجرة فقطعوها بالسيف إرباً إرباً**».

بعدما قذفت عرض رسول الله (صلى الله عليه وآله) حين رمت مارية القبطية (عليها السلام) بالزنا كما عرفتَ في الفصل الثاني.

● **قد يُقـال**: إن القول بوقوع عائشة في الزنا يجعلنا في موقـع أصـحاب الآراء الـشاذة في الأمة، كما أنه قد يؤدي إلى استثارة نزعة الإجرام عند النواصب والمخالفين فيعود الأمـر عـلى الموالين بالضرر، فاللازم إذن هو التخلي عن هذا القول ولا أقل من الامتناع عن التصريح به.

والجـواب: وهذا الإشكال كسابقه؛ لا دخل له بما نحن فيـه مـن البرهنـة العلميـة، فـإن البرهان إذا قام على أمر من الأمور فلا ينقضه أن تكون نتيجته شاذة عن الآراء، وإلا لوجـب تعطيل حركة الاجتهاد والبحث العلمي، لأنها إنما تقوم على النقض والإبرام، ولطالما نُقضت آراء كانت أقرب إلى الإجماع فضلاً عن الشهرة، فرُمِيَ الرأي الناقض لها بالشذوذ، ثم سرعان ما تبيَّن أن الحجة والدليل والبرهان معه فأُخِذَ به وصار مع تقدّم الزمان هـو الـرأي المـشهور والمنصور. ومثال ذلك ما كان مشهوراً عند الفقهاء من الحكم بتفاعل ماء البئر مـع النجاسـة إلى ما قبل زمن المحقق الحلي رضوان الله تعالى عليه، فكان الرأي في أنه معتصم لا يتفاعل مـا دامت له مادة شاذاً، ثم ظهر أن هذا الرأي هو الأوجه فآل الفقهاء إليـه مـن بعـد المحقـق إلى يومنا هذا. وكم لهذا من نظير.

على أنه بالإمكان دعوى أننا بهذه البرهنة إنما نعود بالأمة إلى المتقدّم المشهور، أي أن رأينا الذي قد يبدو شاذاً الآن لم يكن شاذاً عند أصحابنا الأوّلين، وذلك بتقريب أنك إنْ فتَّشْتَ في كتبهم وما جاء فيها من الأخبار والآثار؛ لما وجـدتَ للقـول بحتميـة عفـة زوجـات الأنبيـاء (عليهم السلام) من عين ولا أثر، ولما رأيتَ أقل إشارة إلى أنهـن معـصومات مـن الوقـوع في الفاحشة، لا سيّما عائشة، إنما تجد مثل هذه الـدعوى قـد بـدأت بـالظهور مـع أمثـال الـسيد المرتضى والشيخ الطوسي نزولاً إلى تلامذتهما وتلامذة تلامذتهما، وقد تبيّن لك أنهـم اعتمـدوا

فيها على قول ابن عباس الذي تسلّل إلينا أصلاً من طرق أهل الخلاف، وعلى حجة تنفير استحسانية ذوقية لا عقلية، ولم تكن في أيديهم أية رواية عن المعصومين (عليهم السلام) يمكن أن تساعدهم على الاستدلال، وإلا لاستدلوا بها ولما اضطروا للاستعانة بقول ابن عباس.

وفي مقابل ذلك ترى أن مَن تقدَّم على هؤلاء من القدماء الأوَّلين كعلي بن إبراهيم القمي (رضوان الله تعالى عليه) وهو شيخ مشايخهم يقطع بوقوع عائشة في الفاحشة، صعوداً إلى مشايخه ومشايخ مشايخه الذين روى عنهم ما روى، كما وتجد الأخبار والروايات الشريفة عن المعصومين (صلوات الله عليهم) صريحة في ذلك وظاهرة في صدور خيانة الفراش عن بعض نساء الأنبياء عليهم السلام، وأن بعض زوجات النبي (صلى الله عليه وآله) قد نُكحنَ بعده، ثم لا تجد في وسط ذلك بينهم نكيراً من أحد ولا خبراً في ردّه، فهذا كلّه يقوّي أن هذا هو ما كان مشهوراً بينهم إلا أنه كان طيّ الكتمان، إذ التصريح به لم يتأتَّ لكل أحد لمكان التقية.

ومهما يكن؛ فإن اعتبار هذا الرأي شاذاً أو مشهوراً لا دخل له بسلامته وثبوته من ناحية البرهنة العلمية، ولا سبيل لنقضه إلا باتباع القواعد والأصول العلمية، أما التهويل بأنه شاذ أو مخالف للمشهور الآن فلا ينفع بشيء.

وأما أن تبنّي هذا الرأي أو التصريح بهذه الحقيقة قد يستثير نزعة الإجرام لدى النواصب والمخالفين؛ فقد تعرّضنا إليه في التوطئة بما لا مزيد عليه، حيث نفينا الموضوع الضرري، بل ذكرنا أن هذا الكتاب سيُسهم مع مرور الوقت في نزع الحساسية عن مناقشة هذه المسألة بما يدرأ وقوع الصدام العنيف، فراجع.

ومن أكثر فوائد هذا الكتاب في هذا الخصوص أنه يوضّح لأهل الخلاف الفرق بين ما هو شائع عنّا بينهم في موقفنا من مسألة (شرف عائشة) وبين ما نتبنّاه ونقول به حقاً، فإن

الشائع عندهم هو أننا نقول بأنها زنت في حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله) مع صفوان ابن المعطل في طريق العودة من المريسيع، في حين أنّا لا نقول بذلك، لأن (قصة الإفك) التي يروونها في ذلك نعتقد بأنها محرفة ومختلقة من عائشة، والذي نقوله في هذا الشأن هو أنها زنت بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) مع طلحة بن عبيد الله في طريق البصرة.

وهذا فرق مهم؛ إذ إنهم ظنّوا أننا نضاهي «المنافقين» الذين رموا عائشة بالزنا حسب ما جاء في قصة الإفك المزوّرة، ورتّبوا على ذلك الحكم بكفرنا وإهدار دمائنا بدعوى أننا كذّبنا القرآن الذي نزل في تبرئتها «من فوق سبع سماوات»! في حين أننا ندفع أن آيات الإفك قد نزلت في تبرئتها ونقول أنها نزلت في تبرئة مارية القبطية (سلام الله عليها) وأن القاذفة هي عائشة حسب رواياتهم أيضاً! ولا نسلّم أصلاً بوقوع (قصة الإفك) حسب ما روته عائشة، كما لا نجزم بنسبة الزنا إليها في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله، بل نقول بأنها أقدمت على هذه الخيانة بعده. وعليه فلا يسوغ الحكم علينا بالكفر وإهدار الدم، لأنّا لم نكذّب القرآن، والعياذ بالله من ذلك. فليبرزوا إذن إلى ساحة المناقشة العلمية ليثبتوا أولاً أن هذه الآيات الكريمة قد نزلت في تبرئة الحميراء ثم ليحكموا بما يشاءون!

ثم يُقال لهم: على رسلكم! فإن ما قلناه في عائشة أهون بكثير مما قاله سلفكم «الصالح» في زوجات الأنبياء السابقين! فقد تقدّم أن جماعة منهم كالحسن البصري ومجاهد وابن جريج وعبيد بن عمير والشعبي قالوا بضرس قاطع أن امرأة نوح (عليه السلام) قد زنت في حياته وولدت من الزنا ذلك الابن العاصي! ونحن لم نجزم بذلك، ولم نقل أن عائشة زنت في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا ولدت من الزنا! إنما نقول أنها ارتدّت بعده فخانته ووقعت في الفاحشة، وقولنا أهون من ذلك القول لسلفكم، فإذا كان قولنا موجباً لتكفيرنا عندكم؛ فالإنصاف يقتضي منكم أن تكفِّروا سلفكم أيضاً من باب أولى! لأن القولَيْن – على

التنزّل – من جنس واحد، وأعراض الأنبياء (عليهم السلام) في الحرمة واحدة ولا دليل على التفكيك بينها في ذلك حتى يجوز الطعن في عرض نوح (عليه السلام) دون عرض محمد (عليه وآله السلام) هذا مع أنّا لم نطعن في عرضه (صلى الله عليه وآله) والعياذ بالله، إذ قد ذكرنا أن عائشة بارتدادها بعده وخروجها على وصيه الشرعي (صلوات الله عليه) قد بانت منه ولم تعد عرضاً له، تماماً كما تقولون أنتم في قتيلة بنت قيس التي ارتدّت بعده وبانت منه ولم تعد عرضاً له فأنكحها سيدكم أبو بكر سيدكم عكرمة بن أبي جهل!

ثم ما بال أوداجكم تنتفخ حين تسمعون منا هذه المقالة ولم نرها تنتفخ بالمستوى ذاته حين نفى شيخكم الألباني المعاصر استحالة وقوع زوجات النبي (صلى الله عليه وآله) في الزنا واعترف بأن ذلك ممكن «**من الناحية النظرية**» ولذا شكّ النبي (صلى الله عليه وآله) في براءة عائشة منه ودعاها إلى الاعتراف؟!

قال الألباني تعليقاً على زعم عائشة أنها رُمِيَت بالزنا: «**ولكن الله سبحانه صان السيدة عائشة رضي الله عنها وسائر أمهات المؤمنين من ذلك كما عُرف ذلك من تاريخ حياتهن، ونزول التبرئة بخصوص السيدة عائشة رضي الله عنها، وإنْ كان وقوع ذلك ممكناً من الناحية النظرية لعدم وجود نصٍّ باستحالة ذلك منهن، و لهذا كان موقف النبي صلى الله عليه وسلم في القصة موقف المتريث المترقب نزول الوحي القاطع للشك في ذلك، الذي ينبئ عنه قوله صلى الله عليه وسلم في حديث الترجمة: إنما أنتِ من بنات آدم، فإنْ كنتِ بريئة فسيبرئكِ الله، وإن كنتِ ألممتِ بذنب فاستغفري الله**»![1]

وقال الألباني أيضاً مؤكداً انتفاء عصمة زوجات النبي (صلى الله عليه وآله) من اقتراف الكبائر كالزنا تعليقاً على هذا الحديث وحديث قذف مارية (عليها السلام) بالإفك: «**فيهما**

(١) السلسلة الصحيحة للألباني ج٦ ص٢٦

رد قاطع على من ابتدع القول بعصمة زوجاته صلى الله عليه وسلم محتجاً بمثل قوله تعالى فيهن: إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا؛ جاهلاً أو متجاهلاً أن الإرادة في الآية ليست الإرادة الكونية التي تستلزم وقوع المُراد، وإنما هي الإرادة الشرعية المتضمنة للمحبة والرضا، وإلا لكانت الآية حجةً للشيعة في استدلالهم بها على عصمة أئمة أهل البيت وعلى رأسهم علي رضي الله عنه! و هذا مما غفل عنه ذلك المبتدع مع أنه يدّعي أنه سلفي»![1]

ويقصد الألباني من «**المبتدع الذي يدّعي أنه سلفي**» أحد كبار تلامذته الملازمين له، وهو **محمد نسيب الرفاعي** رئيس الجماعة السلفية في حلب سابقاً، الذي انشقّ عن أستاذه بعدما سمع منه هذه المقالة التي اعتبرها طعناً في عائشة وزوجات النبي صلى الله عليه وآله، فناوأه أشياع الألباني وعزلوه عن منصب رئيس الجماعة السلفية، فألّف كتاباً هاجم فيه أستاذه الألباني ووصفه بأنه أصبح للشيطان «**مطيّة طيّعة هنيّة ليّنة**» ركبها وأسرعت به إلى داخل السلفيين حتى صال وجال!

كتاب الرفاعي عنوانه: «**نوال المُنى في إثبات عصمة أمهات وأزواج الأنبياء من الزنا**»، وجاء في ديباجته: «**لقد ظهر في الأونة الأخيرة في صفوف بعض المسلمين الذين اخذوا على عواتقهم إحياء سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمر عظيم الأهمية كبير الخطر عميق الأثر وإنه أول حدث يدخل صفوفهم بل وبدعة سيئة منكرة شوهت جمال الدعوة الطيبة التي**

---

(١) السلسلة الصحيحة للألباني ج٤ ص٥٢٧، وكلامه مبني على دعواهم أن الآية عامة في أهل البيت (عليهم السلام) ونساء النبي (صلى الله عليه وآله) وهو باطل بمقتضى السياق والدليل الحديثي، كما أن قوله أن الإرادة فيها تشريعية لا تكوينية هو أيضاً من نتائج حماقته وعدم تمييزه بين الإرادتيْن في اللسان القرآني. ولنا محاضرة مفصّلة في بيان هذا فليرجع إليها مَن أراد إذ لا مجال ههنا للتفصيل.

أوقوا أنفسهم على حمل لوائها الهادي أكثر من ربع قرن. وإن الشيطان كعادته صغّرها في أعينهم وحقّر شأنها في نظرهم من جانب ثم سوّلها وزيّنها في قلوبهم من جانب آخر على أنها هي الحق! نعوذ بالله من الخذلان وسوء العاقبة ومن همز الشيطان ونفخه ونفثه. إنها وأيم الله لثغرة نافذة في صف كاد أن ييأس الشيطان من النفوذ إليه لولا أنه لعنه الله وُفِّقَ إلى مطيّة استطوع ظهرها فوجده هيّناً ليّناً! فقفز إليه وركبه فجرت هذه المطيّة الطيّعة مسرعةً به إلى أن دخل الصف فصال وجال! فلا حول ولا قوة الا بالله (...) الشيطان قبل أن يعصي الله كان من أعبد العابدين، فلمّا أصابه الغرور والتكبّر ولم يسجد لآدم فكان سبباً للطرد واللعنة إلى يوم الدين، وكذلك مطيّته كانت إلى أمد قريب من ركوبها من أشد الدعاة قوةً ومراساً في الدعوة! ولكن الغرور الذي يعتري الإنسان ابتلاءً واختباراً كان مزلقاً والعياذ بالله للوقوع في البدعة المنكرة الضالة المضلة. ولا أدري ما ستجر هذه البدعة وراءها من البدع؟! هذه البدعة هي إحدى وساوس الشيطان وايحاءاته بإمكانية وقوع أمهات وزوجات الانبياء في الزنا! وحاشاهن رضي الله عنهم من ذلك، أجل - إنها البدعة النكراء والقولة الشنعاء التي صغّر الشيطان خطرها في أعين البعض وحقّر شأنها في نظرهم بل سولها وحسنها في قلوبهم لما يأمل - لعنه الله - من ورائها إلى إدخال بدع عديدة ومميتة لكثير من من السنة الهادية المهدية حتى تحل البدع محل السنن كما حصل ذلك في الأمم السابقة (...) هذه البدع التي لا يبعد أن تتناول أقدس المقدسات في صفوف أهل الحق والخير والهدى ما دام إبليس لعنه الله قد نجح في الحصول على مطيّة طيّعة هنيّة ليّنة يركبها متى شاء وكلما أراد أن يحدث حدثاً في تلك الصفوف! ويتدّرج هكذا شيئاً فشيئاً حتى يَرِدَ بهم مهاوي الضلال السحيقة العميقة المخيفة»![1]

---

(١) نوال المنى لمحمد نسيب الرفاعي - نسخة الكترونية.

مع هذا لم يتراجع الألباني عن رأيه، بل سفّه رأي تلميذه واستجهله، حيث عاد وقال: **«واعلم أن الذي دعاني إلى كتابة ما تقدّم؛ أن رجلاً عاش برهة طويلة مع إخواننا السلفيين في حلب، بل إنه كان رئيساً عليهم بعض الوقت، ثم أحدث فيهم حدثاً دون برهان من الله ورسوله، وهو أنْ دعاهم إلى القول بعصمة نساء النبي صلى الله عليه وسلم وأهل بيته وذريته من الوقوع في الفاحشة! و لمّا ناقشه في ذلك أحد إخوانه هناك وقال له: لعلّك تعني عصمتهن التي دل عليها تاريخ حياتهن فهن في ذلك كالخلفاء الأربعة وغيرهم من الصحابة المشهورين المنزّهين منها ومن غيرها من الكبائر؟ فقال: لا! إنما أريد شيئاً زائداً على ذلك وهو عصمتهن التي دلَّ عليها الشرع، و أخبر عنها دون غيرها مما يشترك فيها كل صالح وصالحة، أي العصمة التي تعني مقدماً استحالة الوقوع! ولّما قيل له: هذا أمرٌ غيبيٌّ لا يجوز القول به إلا بدليل، بل هو مخالف لما دلّتْ عليه قصة الإفك، و موقف الرسول وأبي بكر الصديق فيها، فإنه يدل دلالة صريحة أنه صلى الله عليه وسلم كان لا يعتقد في عائشة العصمة المذكورة، كيف وهو يقول لها: إنما أنت من بنات آدم فإن كنتِ بريئةً فسيبرئكِ الله، وإنْ كنتِ ألممتِ بذنبٍ فاستغفري الله.. الحديث؟ فأجاب بأن ذلك كان من قبل نزول آية الأحزاب: إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا! جاهلاً أو متجاهلاً أن الآية المذكورة نزلت قبل قصة الإفك بدليل قول السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها عن صفوان بن المعطل السلمي: فعرفني حين رآني، و كان يراني قبل الحجاب»![1]**

ونحن لا تعنينا هذه الحرب الكلامية بين الطرفين «السلفيين»؛ إنما يعنينا الاحتجاج بما وقع من الألباني على أهل الخلاف ممن هم «مطايا طيّعون» له كما أنه «مطيّة طيّعة» للشيطان

---

(١) السلسلة الصحيحة للألباني ج٦ ص٣١، وراجع ص٣٤٤ من هذا الكتاب لتعرف أن هذا الذي استدلّ به من قول عائشة إنما يدلّ على أنها اختلقت قصة الإفك لا على ما زعم جاهلاً أو متجاهلاً!

على حد قول تلميذه الرفاعي! فنقول: إذا كان شيخكم هذا ينفي وجود الدليل على عصمة عائشة من الوقوع في الزنا، وأن ذلك ممكن نظرياً، إذن يكون قولنا متفقاً مع الأصل والقاعدة لا مخالفاً لهما حتى تنتفخ أوداجكم كل هذا الانتفاخ، إذ عمدة ما يمكن للألباني وقومه الاستدلال به لتنزيه عائشة وتطهير «عرضها» هو ما ذكره من النظر في تاريخ حياتها للقول بأنها لا ترتكب فاحشة. وحيث أنّا ناقشنا في مطاوي هذا الكتاب ذلك التاريخ المزعوم، ونقّحنا منه السليم من غيره؛ فإنّا انتهينا إلى إمكان وقوعها في الفاحشة عملياً لا نظرياً فحسب، لما دلّت عليه أفعالها وتصرّفاتها التي كانت تحوم فيها حول العهر والفساد، ولما دلّت عليه أكاذيبها الظاهرة في تلميع صورتها ومحاولة الإيهام بأنها مُصانة مبرّأة من الله تعالى. ثم لمّا وجدنا الأدلة الخاصة قد قامت من طرقنا وطرق أهل الخلاف على أنها ارتكبت الفواحش بالفعل؛ قطعنا بأنها قد ارتكبتها، نزولاً عند تلك الدلائل، ورجوعاً إلى الأصل والقاعدة حسب ما نطق به الألباني، فأيُّ شيء في ذلك؟!

ونحن على كل حال «مجتهدون» قد اجتهدنا في هذه المسألة، فإنْ أصبنا فلنا أجران، وإنْ أخطأنا فلنا أجرٌ واحد! أم أن الاجتهاد حكر على أمثال عائشة ومعاوية؟!

بمثل هذا البيان يمكن محاصرة أهل الخلاف في زاوية حرجة، هي زاوية الجدل الكلامي، فلا يعود شيء من الضرر على أهل الحق، كما هو المحسوس المعايَن، فإنه كلما نوقشت القضايا الخلافية - على ما فيها من التناقضات الخطيرة - كلما اعتادت أُذُن الناس عليها فلا يكون طرحها مؤدّياً لشيء من الانفعال الجوارحي، إذ يغدو ذلك عادة تستمرئها الناس.

أما إنْ أُبقِيَت هذه القضايا طيّ الكتمان؛ فذلك أدعى لإثارة الآخر إذ يتصوّر بناءً على الشائعات أموراً خلاف ما هو الواقع، ثم يرتّب عليها أحكاماً، ثم ينتهز أية شاردة أو واردة

لإعمال الجوارح، فإذا طرقت أذنه كلمة عابرة هنا أو هناك مخالفةً - ولو في نغمها - لما يعتقد؛ كانت عنده بمثابة شرارة الانفجار، ومن هنا تقع الكارثة.

قد قلنا غير مرة أن خير وسيلة في هذا الزمان لتحصين أهل الحق ودفع المكاره عنهم؛ الانفتاح بكل ما نحمله من عقيدة وآراء على أهل الملل والنحل الأخرى، ليكونوا على بيّنة منها، فذلك على الأقل يجعلهم يستوعبون أن لنا مبررات ودواعي لاتخاذ هذه المواقف والآراء، وبذلك ينتقل الصراع إلى حلبات المناقشة العلمية، إذ يضطر المخالف إلى أن يبذل جهده في نقض تلك المبررات والدواعي، فينحصر الأمر برمته في الكلام ورده، وبذلك يُنزع فتيل التوتر الميداني.

■ ومع المخض يبدو الزُّبد

إن الباحث المحقّق المتجرّد من كل هوى؛ حين يستوقفه قوله تعالى: «**يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ**» ويعقد العزم على البحث في مدلول هذه الآية الكريمة ومصداقها؛ فإنه يتّجه في رحلة بحثه أولاً صوب تفسيرها وتأويلها، فيجد أولى مصاديق الفاحشة هو الزنا، بملاك الظهور واللسان العرفي وكثرة الاستعمال، ويستيقن من ذلك بملاحظة اللسان الشرعي في الأحاديث والأخبار، وورود الدليل الخاص في تفسير الآية.

ثم ينطلق الباحث ثانياً ليفتش في سيرة نساء النبي (صلى الله عليه وآله) ليرى أيّاً منهنَّ يمكن أن يتوجّه لها هذا التحذير في المقام الأول، فيجد امرأة منهنَّ تدعى عائشة نشأت في شرّ بيوت الرذيلة والفُحش في قريش، ويلاحظ في سيرتها أنها لم تكن تتورّع عن شيء من الحرام إذا ما كانت لها فيه رغبة، فيميل به الشك إلى احتمال أنها هي المقصودة بالتحذير في الآية.

ثم إنه ينقّب سابراً الأغوار، فيجد أحوال هذه المرأة تبعث على الريبة أكثر، لتبرّجها للرجال غير مرّة، وتزيينها الجواري لاصطيادهم، واستدعائها إياهم إلى بيتها فيبيتون عندها، واستثارتها شهواتهم بالأمر بإرضاعهم، مع ما ظهر منها من التكشّف لهم والتهتّك وقول الخنا والإيحاء بما يكون بين الرجل والمرأة وغير ذلك. ثم إنه يجد جمعاً من الرجال والنساء ممن كان لها مؤالفاً وكذا ممن كان لها مخالفاً؛ قد وصموها بالفجور وإبداء الشعور، وأنكروا عليها ما تفعل، ونصحوها بخفر العِرض وغض الطرف والتزام الحياء والعفة.

وكلما مضى الباحث في بحثه؛ كلما برزت أمام عينيه أحاديث وروايات وأدلة تلتقي في أمر واحد، وهو أن المرأة كانت تحوم حول العهر والفجور، وأنها كانت تطلبه طلب الظمآن للماء، فيغلب على ظنه أنها قد أوقعت نفسها في الفاحشة فعلاً، وأن الآية ناظرة في مقام التحذير إلى ذلك.

ولمّا يجد الباحث الأدلة الصريحة عن الأئمة الأطهار (صلوات الله عليهم) وأصحابهم الأخيار (رضوان الله عليهم) في أن المرأة وصاحبتها هما المعنيّتان تعريضاً في قوله تعالى: «**فَخَانَتَاهُمَا**» وأنه تعالى لم يعنِ بذلك إلا الفاحشة، وأن المرأة قد زنت مع ابن عمٍّ لها في سفر، وأنه هو الآخر كان ممن يلهث وراءها عاشقاً وكان لا يبالي بالحرام في سبيل فرج من الفروج.. لمّا يجد الباحث كل ذلك فإن ظنه يتقوّى ويناهز اليقين بحقيقة وقوع الفاحشة منها، لولا أنه يحتمل وجود معارض أو مانع، فيفحص تالياً فلا يجد معارضاً، وينظر في أقوال المانعين فلا يرى لها وجهاً صامداً، عندئذ لا يتردّد الباحث في قطعه ويقينه بأن هذه المرأة قد ارتكبت فاحشة الزنا فعلاً.

الفصل السابع

بالـت حمـارة فاستبـالت أحمـرة

تقدّم العمر بالحميراء وقاربت الموت بعدما صارت عجوزاً حملت من الخطايـا والأثقـال ما لم تحمله امرأة أخرى في التاريخ الإسلامي، بل والتاريخ الإنساني، فعلمت أن مـا ينتظرهـا هو نار الجحيم بما أجرمت وأحدثت في الإسلام.

لذا تمنّتْ لو لمْ تُخلَق بشراً سويّاً وكانت بدلاً من ذلك خُرْءاً! فقـد قالـت ذات مـرة حـين رأت عَذِرَةً في الطريـق: «**والله لـودِدْتُ أني كنـت هـذه ولم أخـرج في وجهـي الـذي خرجـت فيه**»![1] وبمثل هذا عبّر أبوها مـن قبـل إذ قـال: «**والله لـودِدْتُ أني كنـتُ شـجرةً إلى جانـب الطريق فمرّ بي بعـيرٌ فأخـذ بي وأدخلنـي فـاهُ فلاكنـي ثـم ازدردني فـأخرجني بَعْـراً ولم أكـن بشراً**»![2]

ولّما احتضرت الحميراء جزعت جزعاً شديداً فـسُئلت عـن ذلـك فقالـت: «**اعـترض في حلقي يوم الجمل**»![3]

---

(١) شرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي ج٢ ص٧٠

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر ج٣٠ ص٣٣٠

(٣) ربيع الأبرار للزمخشري ج١ ص٣٣٤

واستيقنت الحميراء أنها لن تجتمع برسول الله (صلى الله عليه وآله) أبداً، وأنها لن تراه إلا في موقف القيامة غاضباً ساخطاً سائلاً الله تعالى عقابها أشد العقاب لما أحدثت في أمته بعده، ولذا لمّا قيل لها في احتضارها: «**ندفنك عند رسول الله؟ قالت: إني أحدثتُ بعده! فادفنوني مع أخواتي. فدُفنت بالبقيع**».[١]

أجل؛ هذا هو مصير عائشة.. أن يُدخلها الله تعالى أشد العذاب، فعن سليمان الديلمي قال: «**قلتُ لأبي عبد الله عليه السلام: جُعِلتُ فداك؛ مَن الآل؟ قال: ذرية محمد صلى الله عليه وآله. قال: قلتُ: فمن الأهل؟ قال: الأئمة عليهم السلام. فقلتُ: قوله عز وجل: أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ؟ قال عليه السلام: والله ما عنى إلا ابنته**»[٢] أي ابنة أبي بكر، إذ هو منعوت في الروايات الشريفة بفرعون.[٣]

هلكت عائشة وماتت! إلا أن ما أحدثته لم يمت حتى الآن، فما زالت تداعيات وآثار بدعها ومحدثاتها مستمرة إلى اليوم في إيقاع هذه الأمة المنكوبة في الرزايا والموبقات والانحرافات والمآزق على اختلاف أنواعها. وما زال اسم عائشة ومازالت سيرتها مثار إرباكات بعضها خطير فيما بعضها الآخر يبعث على السخرية من باب شر البلية ما يضحك!

---

(١) المعارف لابن قتيبة ص٢٩

(٢) معاني الأخبار للصدوق ص٩٤

(٣) كما في حديث المفضّل عن الصادق (عليه السلام) المروي في مختصر البصائر للحلي ص١٩١ والبحار ج٥٣ ص١٧ في تأويل قوله تعالى: «**وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ**» قال المفضل: «**يا سيدي؛ ومَن فرعون ومَن هامان؟ قال عليه السلام: أبو بكر وعمر**». وقال العلامة المجلسي في البحار ج٢٩ ص٥٨٧: «**وأهلك فرعون؛ يعني أبا بكر**».

وفي هذا الفصل ارتأينا أن نوثّق بعضاً من الصور المعاصرة لتلك الآثار والإرباكات، ليُعرف حجم الورطة التي أوقعت عائشة فيها هذه الأمة!

■ دعوة للتبول على باحث سوري وقتله بعدما كتب عن الحياة المرعبة لعائشة!

نشر موقع (العربية نت) بتاريخ ٨ محرم ١٤٢٩ خبراً جاء فيه: «قال باحث وكاتب سوري بارز إنه قرر الهجرة إلى أوروبا بعد تلقيه تهديدات بالقتل ونشر فتاوى على مواقع محسوبة على تنظيم القاعدة تعتبر قتله «فرض كفاية»، وذلك على خلفية نشر مكتبة مصرية شهيرة لكتابه «**أم المؤمنين تأكل أولادها**»!

ويتناول الكتاب الذي اعتبرته هذه المواقع مسيئاً للسيدة عائشة روايات مختلفة تضمنتها مراجع سنية - حسب المؤلف نبيل فياض- حول قصة الخلاف بين أم المؤمنين السيدة عائشة وبين الخليفتين الراشدين عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما.

وكانت محكمة استئناف سودانية أخلت، بداية هذا الشهر، سبيل مصريين ادانتهما محكمة أول درجة في الخرطوم بالسجن ستة أشهر بتهمة ادخال كتاب «أم المؤمنين تأكل أولادها» إلى البلاد، معتبرة أنه يتضمن إساءات الى عائشة زوجة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) حسبما أفاد مصدر رسمي مصري لوكالات الأنباء.

وأوضح المتحدث باسم وزارة الخارجية المصرية حسام زكي لوكالة الصحافة الفرنسية أن عبد الفتاح عبد الرؤوف ومحروس محمد عبد العزيز وصلا إلى القاهرة بعدما أخلت محكمة استئناف سودانية سبيلهما.

وأعلن وزير العدل السوداني محمد علي المرضي في ١١ ديسمبر- كانون الأول الماضي ملاحقة المصريين لأنهما عرضا كتابا بعنوان «أم المؤمنين تأكل أولادها» الصادر عن دار النشر المصرية «مدبولي».

وقال الباحث السوري نبيل فياض لـ (العربية.نت) إن فتوى نشرت على مواقع محسوبة على تنظيمات مسلحة مثل القاعدة دعت لهدر دمه، ولذلك «أرسلت كتبي وبعض أشيائي الشخصية إلى ألمانيا وقريبا سأهاجر إليها». وأضاف «ليس عندي أي نشاط ولم أكتب منذ فترة طويلة ولا أعرف مبرر هذا الهجوم ضدي»، داعياً «لحجب هذه المواقع في سوريا».

وأوضح فياض أنه حصل على تطمينات أمنية لحمايته إلا أنه قال: «لا آخذها على محمل الجد .. وقالوا لي أن الوضع هنا تحت السيطرة وأفضل من الدول الأوربية حيث الخلايا في كل مكان، ولكن أنا أريد الآن الهدوء والابتعاد عن أجواء التهديد .. حتى أن رسائل تصلني وتدلني لطرق التوبة»! وتابع «كنت في الماضي قلت إنني سأهاجر إلى ألمانيا ولكن اليوم أقولها وقراري نهائي لأنني أخذت الفتوى على محمل الجد».

يُشار إلى أن مجلة (الاجتماعية) الشهرية السورية التي يرأس تحريرها محمد أنور وردة؛ دعت قراءها للتبوّل على فياض! الباحث بشؤون الأقليات والمعروف بآرائه المثيرة للجدل».

■ القرضاوي يدعو لقيادة المرأة لأن «سيدتنا عائشة قادت معركة ضد سيدنا علي»!

نشرت جريدة (الرأي العام) الكويتية بتاريخ ١٥ مارس ٢٠٠٥ خبراً جاء فيه: «أكد الدكتور يوسف القرضاوي أن من حق المرأة اذا درست وأصبحت مؤهلة للقيادة أن تنتخب وتشارك في السياسة، وأنها يجب أن تصوِّت وتنتخب، مشيراً الى أنه عارض الأخوة في الكويت الذين قالوا بعدم مشاركتها السياسية. وقال القرضاوي في لقائه السنوي بنقابة

الصحافيين المصريين، في ندوة بعنوان (التعددية في الإسلام) أن سيدتنا عائشة قـادت معركـة ضد سيدنا علي! واشتركت المرأة في صدر الإسلام في المبايعة للخلفاء».

أقـول: إنه بتصريحه هذا يعترف بأن عائشة (لعنها الله) هي التـي «قـادت» الحـرب ضـد أمير المؤمنين صلوات الله عليه، أي لم تكن خارجة للإصلاح بين الناس كما يزعم الزاعمـون، وإنما كانت زعيمة (ميليشيا) مسلحة.

■ إهدار دم كاتبة مصرية لتأليفها كتاباً يعتمد على أحاديث عائشة الجنسية!

نشر موقع (العربية نت) بتاريخ ٧ صفر ١٤٢٩ خبراً جاء فيه: «أصـدرت مؤلفـة كتـاب (الحب والجنس في حياة النبي) الذي أثـار ضـجة كبـيرة بعـد عرضـه لأول مـرة في معـرض القاهرة الدولي للكتاب في يناير - كـانون الثـاني المـاضي؛ بيانـاً تؤكـد فيـه أن شـيوخاً قـاموا بتكفيرها وأهدروا دمها علنا في قناة فضائية تلفزيونية، كما أن كتابها تعـرض للاسـتجواب في مجلس الشعب (البرلمان) بتهمة الاساءة للرسول محمد صلى الله عليه وسلم.

وقالت الكاتبة المصرية بسنت رشاد لـ (العربية نت) إن شخصاً ملتحياً جاء إلى منزلهـا في ساعة مبكرة من صباح الخميس ١٤ فبراير ٢٠٠٨ وهددها بناء على هذه الفتوى.

وفي بيانها الذي أرسلته إلى (العربية نت) قالت بسنت رشاد إن الكتـاب «يتنـاول مـسألة المعرفة الجنسية كأحد العلوم التي أولاها الإسلام اهتماماً خاصاً ولائقـاً بأهميتهـا في اسـتمرار الجنس البشري والتي ما زالت تتعامل معها العقلية العربية بطريقة خاطئة، فالجنس كان ومـا زال أحد المجاهيل لدى التركيبة العربية قديماً وحديثاً نظراً لعـدم وجـود مـا يـشرحه شرحـاً سليماً وصحيحاً، وهو ما أدى إلى تعامل الرجل العربي مع المرأة بصورة معقدة نفسيا».

وقالت: «حاشا لله أن أكون كافرة أو مرتدة، أو أن أسيء للنبي عليه الصلاة والسلام. أنا حالياً أخوض حملةً بشكل فردي للدفاع عن حقيقة ما جاء في كتابي، فلا توجد مؤسسة تساندني ولا أنا محترفة لخوض مثل هذه الحروب».

وتابعت في تصريحاتها لـ (العربية نت) «لا يمكن لأحد أن يزايد على ديني، ولن أستعدي أناساً، ولن أقف مع طائفة ضد أخرى أو أخوض حرباً وأجلس لأتفرج عليها». وأشارت إلى أنها كتبت ردا اليوم الخميس لتهدئة النفوس ولمزيد من توضيح الموضوع وفهم مقاصده.

واستطردت قائلة: «إن الهدف من كتاب (الحب والجنس في حياة النبي) لم يكن الإساءة للنبي، ومن فهم ذلك فقد جاء فهمه خاطئاً. ظللتُ صامتةً طوال الفترة الماضية بعد الفتوى الفضائية التي أهدرت دمي لعلي أسمع من يطلب الجلوس معي ومناقشتي وسماع رأيي لكن ذلك لم يحدث».

وكان النائب المستقل مصطفى الجندي تقدم باستجواب إلى وزير الثقافة فاروق حسني يوم ٣ فبراير – شباط الحالي حول الكتاب الذي قال إنه يباع بسعر ٢٠ جنيها للنسخة، ويتضمن «إساءات بالغة لشخص النبي وزوجاته، وعلى الأخص السيدة عائشة رضي الله عنها».

وأضاف النائب أنه «يحمل فصولاً عن الجنس بصفة عامة، والأوضاع الجنسية وفن الشهوة، وغير ذلك من الأمور التي لا يصح أبدا أن يتضمنها مؤلف يحمل اسم الرسول الأعظم».

من جهته تساءل عضو مجلس الشعب مصطفى الجندي في طلب استجواب عن كيفية طباعة هذا الكتاب وطرحه في الأسواق دون أن يمر على مجلس البحوث الإسلامية

لمراجعته، وقال: «إن ذلك أمر لا يمكن السكوت عليه أو التهاون بشأنه لأنه يحمل عنواناً يدخل في اختصاص المجمع».

وتناول بعض عناوين الكتاب مثل «مهارة على الفراش! فن الشهوة! الجنس على الهواء! ثقافة الجنس! القبلة الفرنسية أسرع طريق للنشوة الجنسية! ومهارة على الفراش تتناول فيه أوضاع الجماع! وفصل محنة الحبيبة الذي تتناول فيه بما لا يليق السيدة عائشة! وصور البخاري الجنسية الكاذبة! ومعدّل زواج النبي! وهل خانت عائشة النبي؟! وفن القبلة الطريق للانسجام الجنسي»!

وأضاف: «كل هذه الفصول تنطوي على عبارات تخدش الحياء وإيماءات وإيحاءات جنسية فجة».

من جهته علق المفكر الإسلامي جمال البنا بقوله: «إن إهدار الدم مسألة خطيرة جداً». وطالب وزراء الإعلام العرب «بإصدار تشريع يحد من خطر فتاوى التكفير وإهدار الدم التي تبثها بعض القنوات الفضائية الدينية دون رقابة أو خطوط حمراء، مما يشكل خطورة كبيرة على أمن المجتمعات والناس، ويصيب المثقفين وأصحاب الرأي بالرعب».

وتابع: «عندنا تخلف عقلي في فهم الإسلام. نريد ثورة حقيقية في فهمه، فظاهرة إهدار الدم والتكفير يتم القضاء عليها بإظهار الحق وبإعمال العقل وتفنيد الأباطيل الطارئة على الدين، إذا فعلنا ذلك فلن يكون لهؤلاء الشيوخ التكفيريين سوق».

وقال البنا: «اتخذنا الإجراءات العملية لإصدار كتاب يدعو لتجريد البخاري والمسلم من الأحاديث التي لا تلزم، وقد قمنا بالانتهاء من عملية مسح هذه الأحداث، وحالياً نحن بصدد الترتيب النهائي للكتاب وسنطبعه قريباً».

وأفاد بأن في صحيح البخاري وحده أكثر من ألف حديث من هذه النوعية «الكتاب من جزأين، سنخصص الجزء الأول للبخاري». وواصـل قـائلاً: «في البخـاري أحاديـث أقـف أمامها مستغرباً ولا أصدقها، مثل أنه كان يقبِّلُ زوجتـه أم المـؤمنين عائـشة ويمـصُّ لـسانها! وحديث آخر عن شكل علاقته معها أثناء الحيض! وأنه كان يمرُّ في ليلةٍ واحدةٍ على زوجاتـه كلهنَّ! وأنه أوتي قوة ٣٠ رجلاً»!

وأضاف: «كل أمثال هذه الأحاديث وردت في البخاري، ونجد أنها غير لازمـة ونـسعى لتخليص صحيحه منها، لأنها أحاديث موضوعة وضعها أعداء الإسلام للكيد للرسـول،[١] وسرّبوا هذا الكيد إلى المحدّثين، وكان مـن أسـهل الأشـياء في الفـترة الأولى للإسـلام عمـل السند في الأحاديث، فالسنة بحر متلاطم الأمواج، وها نحن نجد القمص زكريـا بطـرس في حربه على الإسلام يعتمد على الأحاديث الموضوعة، ثم يقول: إن هذه هي كتبكم»!

واستطرد بقوله: «تكفير هذه المؤلفة وإهدار دمها ضلال، ومن يفعـل هـذا يبـوء بـالكفر طبقا للحديث».

■ **أحداث عنف وتهديدات بسبب رواية عن الحياة المثيرة لعائشة!**

نشر موقع (بي بي سي عربي) بتاريخ ١٩ أغسطس ٢٠٠٨ خـبراً جـاء فيـه: «سـحبت دار نشر صربية كتابا من المكتبات فى صربيا للكاتبة الأمريكية (شيري جونز) يتناول حياة السيده عائشة زوجة النبي محمد. وتم سحب نحو ألف نسخة من المكتبـات إثـر ضـغوط مـن قـادة

(١) نعم هي أحاديث موضوعة وضعتها عدوة الإسلام الأولى.. عائشة! ومشكلة البنّا وأمثاله أنهـم وصـلوا إلى نصف الطريق، فامتلكوا الجرأة على التصريح بأن هـذه الأحاديـث التـي وردت في البخـاري وغـيره هـي أحاديث موضوعة، إلا أنهم نسبوا وضعها إلى «أعداء الإسلام» المجهولين، ولم يمتلكوا الجرأة عـلى التـصريح بأن الواضع لهذه الأحاديث المكذوبة ليست إلا عائشة! وكل منصف يعرف ذلك حين يفحص طرقها.

المنظمات الإسلامية في صربيا. جاء القرار بعدما قارن (معمر زوكورليتش) أحد قادة الجالية الإسلامية فى صربيا بين الكتاب والرسوم الكاريكاتورية المسيئة للنبي محمد التي نشرت فى الدانمارك عام ٢٠٠٦ وأثارت غضباً واحتجاجات من المسلمين حول العالم.

وقد رحب قادة المنظمات الاسلاميه فى صربيا بقرار سحب الكتاب. كانت صربيا الدولة الوحيده التى سمحت بنشر الكتاب بعد ان تراجعت دار النشر الامريكيه (راندم هاوس) عن نشره إثر تحذير أكاديمي من أنه قد يثير غضب المسلمين لما يحتويه من تفاصيل عن قصة حياة عائشة منذ خطوبتها للنبي محمد حتى وفاته.

وتقول مؤلفة الكتاب وعنوانه (جوهرة المدينة) أن الهدف منه هو تكريم زوجات النبي وإبراز دورهن في الإسلام. وقالت جونز إنها «تعمدت كتابة قصتها باحترام تجاه الإسلام والنبي محمد، وأنها كانت ترى في كتابها وسيلة لبناء الجسور، لا العكس».

أما دار (راندوم هاوس) للنشر فذكرت في بيان لها أن الشركة تلقّت نصحاً بأن الكتاب قد يؤذي مشاعر بعض المسلمين «بل إنه قد يؤدي إلى نشوب أعمال عنف على يد قلة متشددة». وأكد مسؤول بالشركة أنه بعد تدارس الموضوع، تقرر إلغاء نشر الكتاب حفاظاً على أمن وسلامة الكاتبة والموظفين بدار النشر وباعة الكتب وكل من قد تكون له علاقة بتوزيع الكتاب.

يُذكر أن الكاتبة انتهت من كتابة جزء ثان يروي بقية حياة السيدة عائشة.

وقد اثار قرار (راندوم هاوس) الجدل في الأوساط الأكاديمية وبين المدوّنين، حيث ذكّر بعضهم بما سبق من قضايا أثيرت بسبب تطرق كاتب أو فنان لمقدسات الدين الإسلامي».

ولاحقاً نشر موقع (العربية نت) بتاريخ ٧ أكتوبر ٢٠٠٨ خبراً ذا صلة جاء فيه: «وُزِّعَت على عجل رواية مثيرة للجدل بشأن السيدة عائشة زوجة النبي محمد صلى الله عليه وسلم في الأسواق الأمريكية الاثنين ٦ أكتوبر ٢٠٠٨ قبل موعدها المقرر بتسعة أيام، وذلك بعد تعرض مكتب ناشر الكتاب البريطاني لهجوم. وتصدت دار (بيوفورت بوكس) لنشر رواية (جوهرة المدينة) للكاتبة الصحفية شيري جونز، بعد أن تخلّت دار (راندوم هاوس) في مايو – أيار عن فكرة نشرها بسبب مخاوف من إثارة أعمال عنف. وقالت دار النشر البريطانية إنها أرسلت مبدئياً ٤٠ ألف نسخة من الرواية إلى الأسواق الأمريكية. وتسرد الرواية قصة حياة السيدة عائشة منذ خطبتها للنبي محمد صلى الله عليه وسلم وحتى وفاته.

وأضرمت النيران في مقر الناشر البريطاني للكتاب، وهو (جيبسون سكوير بوكس) في ٢٧ سبتمبر – أيلول. ولم يصب أحد جراء الحريق ولكن موعد النشر تأجل. واعتقلت الشرطة البريطانية ثلاثة رجال بشبهة ارتكاب أعمال إرهاب».

■ لعبة الجسد هي اللغة التي تتكلم بها عائشة!

نشرت جريدة (إيلاف) الإلكترونية بتاريخ ٢٨ فبراير ٢٠٠٨ بقلم غالب حسن الشابندر مقالة بعنوان «**أم المؤمنين عائشة والوعي الجسدي**»! وجاء في المقال: «إيه أيها الحبيبة! عائشة! وهل هي نجم ألق ثم هوى؟ أم هي نجم يهوي ليعاود الألق من جديد؟ نقطة بداية، ونقطة نهاية، وبين البداية والنهاية مسافة محسوبة بكسور الأعداد الصحيحة، وليس بالأعداد الصحيحة، لأنها تأبى الفراغ، ولأنها تأبى النهاية!

عائشة! دعها تغار من صويحباتها كي نتعلم فن الغيرة لا عفوية الغيرة! ودعها تقود الجيوش حتى وإن أخطأت كي نتعلم من خطأها فن التصحيح! ودعها تتمرّد على الفراغ كي

نتعلم من تمردها كياسة التمرد، وفنونه الماهرة! دعها تتكلم عن الجسد، كي نتجسد بجسدنا، كي نكتب حرية جسدنا، كي ننقش على الجسد ما نريده فيستجيب بكل حنان وعفوية بل وبـ (فن) يفوق من يدعي فنون الجسد بامتياز!

رضي الله عنها! أمنا.. وأكرم بها من أم!

تقول الرواية: «عن أبي النضر، أن عائشة بنت طلحة أخبرته إنها كانت عند عائشة، فدخل عليها زوجها وهو عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر، فقالت له عائشة: ما يمنعك أن تدنو من أهلك فتلاعبها وتقبّلها؟ قال: أقبّلها وأنا صائم؟ قالت: نعم»![(١)]

لعبة الجسد هنا هي اللغة التي تتكلم بها أم المؤمنين رضي الله عنها! وهي لعبة كاملة الأوصاف في مسيرتها، تبدأ من الملاعبة! لتمرَّ بالقبلة! لتنتهي بما يمكن أن تنتهي إليه القبلة العميقية في أكثر الاحيان![(٢)]

يخطئ مَن يتصور إنها القبلة العابرة! قبلة الصمت الشفوي! بل هي هنا قبلة الإلتصاق الشفوي بما يذيب سكّراً في سكَّر! فإن القبلة العميقة لذة مضاعفة، تلتذ الشفة بحرارتها وحرارة الشفة الأخرى في لحظة سحرية خالدة، ترى كيف تكون القبلة بعد الملاعبة»؟!

■ شيخ بكري يعتبر نكاح عائشة في سن التاسعة قضية عين لا يقاس عليها!

نشرت جريدة (شمس) السعودية بتاريخ ١٠ صفر ١٤٣٠ لقاءً مع عضو المجمع الفقهي السعودي الدكتور محمد النجيمي عقّب فيه على بيان رسمي صادر عن وزارة الصحة السعودية أن زواج القاصرات له آثار صحية ونفسية خطيرة على الفتيات الصغيرات، فكان

---

(١) موطأ مالك نقلا عن فتح الباري ٥ج ص٤

(٢) يريد بمنتهى القبلة الجماع والمضاجعة!

من جملة ما قال: «مَن أجاز تزويج القاصرات بحجة أن الرسول صلى الله عليه وسلم تزوّج عائشة عليها السلام[1] في سن التاسعة، فإن ذلك أمر لا صحة له! فزواج الرسول عليه الصلاة والسلام من عائشة في هذا السن يعتبر من خصائصه، كما أن ذلك كان قبل حديثه عليه السلام «تُستأذن البكر وتُستأمر الثيب»، بالإضافة إلى أن هذه قضية عين، وقضايا العين لا يقاس بها».

وأضاف: «إنه لا يجوز تزويج الفتاة القاصر التي تكون دون سن الخامسة عشرة سنة، وذلك لقول الرسول محمد صلى الله عليه وسلم «تُستأذن البكر وتُستأمر الثيب»، وإنه لا بد أن تكون الفتاة بالغة راشدة وذلك لا ينطبق على مَن لم تبلغ الخامسة عشر عاماً».

■ شيخ وهابي كبير يرقص على أحاديث عائشة!

انتشر في الأرجاء مقطع مرئي لشيخ وهابي كبير هو مستشار الملك السعودي ويدعى عبد المحسن العبيكان وهو يرقص في حفلة عرس! فشنّ عليه قومه هجوماً شديداً ورموْه بالفسق، فما كان منه إلا أن ردّ عليهم الصاع صاعيْن بالاحتجاج بأحاديث عائشة في إباحة الرقص والضرب بالدف!

وكان مما قاله العبيكان كما جاء في جريدة (الشرق الأوسط) اللندنية بتاريخ ١١ مارس ٢٠٠٨: «نعم شاركت في الرقصة! ولا أعير بالاً لمن يريد أن يقلب أفراحنا الى مأتم وإلى أحزان! عجبتُ من موقف المهاجمين الذين استنكروا ظهوري في الرقصة المعروفة بالعرضة، وهم يعلمون أن اللعب بالحراب أو بالسيوف جائز شرعاً وأقره النبي صلى الله عليه وسلم،

(١) بخ بخ! باتوا يُتبعون اسم الحميراء بـ (عليها السلام)! وثمة مثل بدوي مشهور تذكّرته في ذهني حين قرأتُ هذا، وهو «**يا شين السرج على البقر**»!

كما في صحيح البخاري، أن بعض مهاجري الحبشة كانوا يلعبون في فناء مسجد الرسول، فدعا النبي زوجته عائشة لتشهد الأحباش، ومكّنها من النظر إليهم، وهو ما يعتبر إقرارا، علماً أن ذلك اللعب كان في المسجد الذي يعلمون أنه أقيم لذكر الله والصلاة وقراءة القرآن! وروى الترمذي عن جارية نذرت أن تضرب بالدف، وقالت للنبي: يا رسول الله إني كنت نذرت إن ردك الله صالحاً أن أضرب بين يديك الدف وأتغنّى! فقال لها رسول الله: إنْ كنتِ نذرتِ فاضربي وإلا فلا»!

■ إمام المسجد الحرام يبيح الغناء كله حتى بالمعازف لما جاء عن عائشة!

بعدما رقص العبيكان على إيقاعات أحاديث عائشة في الغناء ومزمارة الشيطان، وتعرّض إلى هجوم شديد بسبب ذلك؛ جاء إمام المسجد الحرام الوهابي عادل الكلباني لينتصر له بإصداره فتوى تجيز الغناء بما في ذلك ما يسمى بـ (السامري) وبقية (العرضات) الغنائية الشعبية.

قال الكلباني كما نقلت صحيفة (عكاظ) السعودية بتاريخ ١٢ من ربيع الأول ١٤٢٩: «**النص في ذلك صحيح وصريح وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم استمع إليه ورآه وأذن به وضُرِبَ الدف على رأسه! ومن الذي يقدر أن يحرّم الغناء والنبي عليه الصلاة والسلام في صحيح البخاري تقول عائشة رضي الله عنها: دخل عليّ أبو بكر وعندي جاريتان تغنيان والنبي عليه الصلاة والسلام منسدح ويستمع لذلك؟! ولا يفوتنا ذكر موقف شيخ الاسلام ابن تيمية حين وقف عند النص وما استطاع ان يرده، وقال أن هذا يخصص بالنساء والأطفال، واستدل في الرواية أنها كانت جارية وحديثة سن بالنسبة لعائشة، لكن الكلام أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يسمع معها**»!

ثم إن الكلباني جاء بعد فترة وجدّد فتواه بأخرى أكثر توسيعاً وإباحةً! إذ أفتى بجواز كل أنواع الغناء حتى بالمعازف! قائلاً كما نشرت جريدة (سبق) بتاريخ ٢٠ يونيو ٢٠١٠: «**إن الذي أدين الله تعالى به، هو أن الغناء حلال كله، حتى مع المعازف، ولا دليل يحرمه من كتاب الله ولا من سنة نبيه صلى الله عليه وسلم! وكل دليل من كتاب الله تعالى استدل به المحرمون لا ينهض للقول بالتحريم على القواعد التي أقروها واعتمدوها. ومن أكبر دلائل إباحته أنه مما كان يُفعل إبان نزول القرآن، وتحت سمع وبصر الحبيب صلى الله عليه وسلم! فأقرّه! وأمر به! وسمعه! وحثّ عليه في الأعراس وفي الأعياد! وقد صحّ عن عمر رضي الله عنه أنه قال: الغناء من زاد الراكب! وكان له مغني** (كذا) **اسمه خوات ربما غنّى له في سفره حتى يطلع السحر! ويعلم كلُّ أحدٍ مَن عمر**»؟!

يُذكر أن الكلباني هذا كان قد تطاول على شيعة آل محمد (عليهم الصلاة والسلام) حين كفّر علماءهم وأخرجهم من الملة في لقاء له مع قناة (بي بي سي) العربية. وإذا أتتك مذمّتي من ناقص..!

■ إمام المسجد الكبير في الكويت يتحوّل إلى مطرب بسبب عائشة!

اسمه الدكتور الشيخ صلاح الراشد، الأمين العام السابق للجنة التعريف بالإسلام، كان يؤم المصلّين في المسجد الكبير في الكويت ويُبكيهم بصوت تلاوته، وله عشرات المحاضرات والكتابات في التقوى والعمل الصالح والدعوة إلى الخير.

فجأةً؛ هندم مظهره وخلع (الدشداشة والغترة) ولبس (الجينز) وأعاد تصفيف شعره وأطاله من الخلف على أسلوب المراهقين وأنتج (ألبوماً) غنائياً جاءت فيه أغنية مهداة إلى رئيس الولايات المتحدة الأميركية (باراك أوباما)!

ثارت الثائرة في الكويت والخليج، وكتب محبّـوه في الجرائـد «**خـذلتنا يـا دكتـور صـلاح الراشد**» إلا أنه لم يكترث ومضى قدماً في التحوّل إلى مطرب لامع يجني الأرباح تلو الأرباح!

أجرت معه قناة (الوطن) الكويتية بتاريخ ٢٨ ديسمبر ٢٠٠٩ لقـاءً حـول أسـباب هـذا التحوّل فكان تبريره حديث عائشة في مزمارة الشيطان! قائلاً: «حديث مزمـارة الـشيطان في صحيح البخاري نصّه أنه هناك جاريتان تدفّفان وتغنّيان والنبي صلى الله عليه وسلم جالس، وكان معرضاً بوجهه عنهما لأنهما بالنتيجة لا ينظر إلى بنتيْن مغنّيتـيْن. عنـدما دخـل أبـو بكـر نهرهما قائلاً: مزمارة الشيطان عند رسول الله! لكن النبي ردّه وقال: دعهما يا أبا بكر فهذا يوم عيد! لذلك هنا أثبتت السنة عدم صحة كلام أبي بكر وصـحة كـلام النبـي. فالـذي يـستدل بكلام أبي بكر في قوله: «مزمارة الشيطان» على تحريم الغناء هو إنسان مخل بالأدب! لأنه يـرد كلام النبي ويأخذ بكلام أبي بكر! وهذا لا يجوز. وقد قلتُ لأحد المـشايخ الـذي ردّ عـليَّ ردّاً عنيفاً عندما اتجهت إلى الغناء: لو كنتُ مكانك لدعوتُ مغنّيتـيْن إلى بيتـي في العيـد لتغنّيـان، فبهذا نحن نطبق سنة النبي! نعم.. إن الغناء سنة مهجورة! فإذا كانوا في بيت النبي يجلـسون يغنون، فكيف ببيوت بقية الصحابة في المدينة؟! وكيف ببيوت العراق والشام؟! والأصـل في الأشياء الإباحة، ومن يريد أن يحرّم فهو حر في ذلك لكن لا يلزمنا بشيء بعد هـذا الحـديث، بل هو المطالب بالحجة على التحريم».

■ **فتوى بإباحة إرضاع الموظفة زميلها في العمل منعاً للخلوة المحرمة!**

نشر موقع (العربية نت) بتاريخ ٢٩ ربيع الآخر ١٤٢٨ خبراً جاء فيه: «احتدم جدل بين علماء دين في مصر ووصل إلى البرلمان بعد فتوى لرئيس قسم الحديث بجامعة الأزهـر، تبـيح (إرضاع الكبير) في وقـت انتقـدت عـدة صـحف تـدريس كتـاب في هـذا القـسم يؤكـد أن الإرضاع يحلّل الخلوة بين رجل وإمرأة غريبة عنه في مكاتب العمل المغلقة!

وقال عضو مجلس الشعب عن كتلة الإخوان المسلمين صبري خلف الله إن نحو ٥٠ نائباً في البرلمان تدارسوا هذا الموضوع مساء الأربعاء وأعربوا عن قلقهم من انتشار هذه الفتوى إعلامياً، واقترح بعضهم تقديم طلبات إحاطة، لكنهم اتفقوا على إرجاء ذلك، وإعطاء فرصة للأزهر والإعلام لوقف الخوض في هذا الموضوع الذي أثار حالة من اللغط الشديد في الشارع المصري خصوصاً في أماكن العمل التي تضم موظفين وموظفات، وعندها قد يمتنعون عن طلبات الإحاطة منعاً لحدوث زوبعة برلمانية قد تساهم في تضخيم المسألة وتضر بالإسلام.

كان الدكتور عزت عطية رئيس قسم الحديث بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر فجَّرَ مفاجأة حيث أباح للمرأة العاملة أن تقوم بإرضاع زميلها في العمل منعاً للخلوة المحرمة! إذا كان وجودهما في غرفة مغلقة لا يفتح بابها إلا بواسط أحدهما.

وأكد عطية لـ (العربية نت) أن إرضاع الكبير يكون خمس رضعات وهو يبيح الخلوة ولا يحرّم الزواج! وأن المرأة في العمل يمكنها أن تخلع الحجاب أو تكشف شعرها أمام من أرضعته! مطالباً توثيق هذا الإرضاع كتابةً ورسمياً ويكتب في العقد أن فلانة أرضعت فلاناً!

وقال الدكتور عزت عطية إن بعض الناس قد نظر إلى رضاع الكبير نظرة جنسية بحتة وتساءلوا: كيف يجوز لشاب أو لرجل أن يرضع من امرأة غريبة عنه؟! وفاتهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي رخَّصَ في ذلك! وأن من ينفذ أمراً شرعياً أو رخصة شرعية يقوم بعمل ديني في اتباع الشرع، وفي الأعمال الدينية يستشعر المؤمن عبوديته وخشوعه لله فتنمحي النواحي الشيطانية، وحينما يقوم الكبير بذلك للحصول على رخصة شرعية فإنه يتنزّل منزلة الصغير في حالة الرضاعة، وإلا كان متلاعباً بالدين يستغله لأغراض خسيسة ويجرَّم في حقه.

وأضاف: إن أحداً من دارسي الحديث وعلمائه لا يمكنه أن يشك في أن حديث إرضاع الكبير حديث ثابت وصحيح، أما المشكلة في تطبيقه فهي التي انتشرت في كتب الشروح، وكانت خاصة بأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وهي التي يحرم نكاحها على أي مسلم لقوله تعالى: (**النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ**) وقوله: (**وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا**) ويشرح ذلك بقوله: مع حرمة النكاح من السيدة عائشة شرعاً، فإن دخول الأجنبي عليها ممنوع، وقد استخدمت رخصة الرسول صلى الله عليه وسلم فكانت تأمر بنات أخيها وبنات أختها بإرضاع من تحوج الظروف إلى دخوله عليها ليكون محرماً لها من جهة الرضاعة! وما فعلته عائشة رضي الله عنها استثمرت به رخصة الرسول في دخول سالم مولى أبي حذيفة بعد رضاعه وهو كبير من زوجة أبي حذيفة! وهذه الرخصة مقيَّدة بالحاجة أو الضرورة، وشرعها الرسول صلى الله عليه وسلم لإباحة دخول من ترغب الأسرة في دخوله بغير تحرج شرعي.

وأكد الدكتور عزت عطية أنه لو كان رضاع الكبير فيه أدنى شك لعاتب الله نبيه في تشريعه أو تقريره، ولثار الصحابة جميعاً على عائشة رضي الله عنها لمخالفتها الشرع واستباحتها الخلوة بهذا الرضاع! أما أمهات المؤمنين – في ما عدا حفصة – فقد رأين عدم الحاجة لاستعمال الرخصة، وهذا أمر متروك للمسلم أو المسلمة في ما بينهما وبين الله، في تقرير الحاجة إلى الخلوة، مع عدم وجود ما يبيح الخلوة من النكاح أو الرضاعة في الصغر.

وأضاف أن رضاع الكبير يبيح الخلوة ولا يحرِّم النكاح! وذلك تبعاً لرأي الليث ابن سعد، مؤكداً إن المرأة في العمل يمكنها أن تخلع الحجاب أو تكشف شعرها أمام من أرضعته! وهذه هي الحكمة من إرضاع الكبير، فالعورات الخفيفة مثل الشعر والوجه والذارعين يمكن كشفها، أما العورات الغليظة فلا يجوز كشفها على الإطلاق.

سألته عمن يطيل اليوم مع زميلة داخل غرفة واحدة ولا يدخل عليهما أحد إلا بإذن منهما؟ فقال: إن هذه خلوة محرمة شرعاً، وعليكَ أن ترضع منها حتى تختلي بها بهذا الشكل المحرم! موضحاً أن الخلوة تتحقق بإغلاق باب الحجرة على رجل وامرأة، وعدم إمكانية رؤية من بداخل المكان.

وأكد أن الإرضاع يكون بالتقام الثدي مباشرة! وذلك لأن سالم الذي رضع كان كبيراً وله لحية! والحديث صحيح ومن يعترض عليه فيكون اعتراضه على رسول الله!

وحول معارضة أمهات المؤمنين لما قالته عائشة قال: لأنهن رأين أنهن لا يحتاجن[١] للخلوة، أي أنها ليست ضرورة لهن، كما أن سبب الإشكال كله في هذه الناحية أنه لا يوجد في الفقه كله باب اسمه الخلوة، بل باب اسمه (النكاح) ومن خلاله ذكروا أن (رضاع الكبير)لا يؤثر فيه، ولم يتحدث واحد منهم بأن هذا الرضاع لا يجيز الخلوة.

وأضاف أن أمهات المؤمنين أقررن السيدة عائشة على الفعل، لكنهن لم يفعلن مثلها، في ما عدا السيدة حفصة التي بعثت ابن أخيها سالم بن عبدالله بن عمر يرضع من أخت السيدة عائشة حتى يدخل عليها! فرضع ثلاث مرات وتعبت! ولم يتم خمس رضعات فلم تدخله السيدة عائشة وماتت قبل أن يحدث ذلك»!

يُشار إلى أن (مجلس التأديب) في الأزهر قد قرّر عزل هذا الدكتور المسكين وإحالته على المعاش لأن «فتواه أحدثت بلبلة داخل المجتمعين المصري والإسلامي وأنها قامت على سند غير صحيح من الحديث الشريف![٢] كما أنها أضحت تمثل إهانة للإسلام بعد أن أصبحت مصدرا لامتهان المرأة وإطلاق النكات على رجال الدين»!

---

(١) كذا، والصواب: يحتجن.

(٢) وهذا كذب على الرجل، فإن سند الحديث صحيح وهو مستفيض عندهم.

أقول: إن عبد المحسن العبيكان، شيخ الوهابية الذي رقص على فتاوى عائشة، عاد وانتصر لفتوى رضاع الكبير هذه! وذلك اعتماداً على ما ذهب إليه ابن تيمية من الجواز حال الاضطرار، مؤكداً على أن هذا الجواز «لا يختص بزمن معين وإنما هو للعامة في جميع الأزمان» بحسب ما جاء في لقاء تلفزيوني معه.

■ **سلفيون يأمرون زوجاتهم بإرضاع أصدقائهم رضاع الكبير في رمضان!**

نشرت جريدة (الشروق) الجزائرية وكذا جريدة (السياسة) الكويتية بتاريخ ٢٣ سبتمبر ٢٠٠٧ خبراً جاء فيه: «شكت سيدة جزائرية من أن زوجها الذي وصفته بأنه (متدين سلفي ملتزم) طلب منها إرضاع صديقه (المتدين أيضاً) حتى يتمكن الأخير من قضاء شهر رمضان في بيتهما والإفطار معهما!

وأشارت السيدة إلى أن زوجها هدّدها بتطليقها إن لم تمتثل وتنفّذ أمره! وفق ما كشف الشيخ شمس الدين بوروبي، وهو أحد أشهر رجال الإفتاء في الجزائر.

قال الشيخ بوروبي أن هناك العديد من الحالات التي وصلته حول موضوع رضاعة الكبار، لكنه يذكر ما يقول أنه «حزّ في نفسي كثيراً» و تحدّث عن اتصال سيدة من العاصمة تبكي بكاء مراً وهي تقول أن زوجها السلفي المتدين الملتزم طلب منها بمناسبة شهر رمضان المبارك أن تُرضِع صديقه المتديّن أيضاً وذلك حتى يتمكن من قضاء شهر رمضان في بيتهم والإفطار معهم! وكانت المرأة شديدة الانفعال والتأثر. مشيراً إلى أن زوجها هددها بالطلاق في حال عدم تنفيذ أمره! «فلتسمع الجمعيات النسوية هذا الخبر»! مؤكداً أنه اكتشف عند الاستفسار منها أن زوجها جزائري، ليتساءل عن «النيف» الجزائري و النخوة عندما يسمح

رجل لغريب بكشف زوجته عن ثديها ورضاعته! وعلق على ذلك بالقول: «أي إسلام محرف هذا»؟!

و تلقى الشيخ شمس الدين إتصالا آخر من رجل أعمال و تاجر من الحميز شرق العاصمة بعد أن انتشرت الفتوى ومارافقها من ضجة إعلامية، ومن جملة ما أخبره: «عندي موظفة في الطابق العلوي من المحل التجاري الذي أملكه، وأنا معجب بهذه الفتوى! فهل يمكن أن أعمل بها فأرضع منها»؟ وأشار الشيخ شمس الدين أن هذا الرجل كان يريد رخصة بحجة تسهيل عمله (...)![١]

وطلب بوروبي من رجال الدين والسياسة بوقف خطر هذه (الفتاوي المستوردة) مؤكداً أن جزائريين ذبحوا بناءً على فتوى، معرباً عن تعجبه من هذه الفتوى التي تستبيح الأعراض!

جدير بالذكر أن الفتوى تنص على جواز إرضاع الموظفة لزميلها في العمل حال وجودهما معاً في مكتب واحد لمنع وجودهما في خلوة شرعية لتأمين السلام والأمن والاستقرار للمسلمين الموظفين كافة ولتقوية وإثارة الوشائج العاطفية بين الموظفين بهدف تقوية لحمة النظام الاجتماعي القائم على الإسلام الدستوري وعلى الإيمان بالقدرة الفحولية للرجل المسلم! وقد أجازت الفتوى أن يرضع الرجل من صدر زميلته متى شاء في وقت الخلوة الوظيفية»!

---

(١) المحذوف معروف!

■ **شيخ بكري: حديث رضاع الكبير طعن في شرف السيدة عائشة!**

نشرت جريدة (الوطني اليوم) المصرية بتاريخ ١٥ مايو ٢٠٠٧ خبراً جاء فيه: «التقت (الوطني اليوم) عبدالفتاح عساكر الباحث في التراث الإسلامي وصاحب أول كتاب للرد على الدكتور عبد المهدي وهو بعنوان «دفع الشبهات» والذي يفند فيه أسانيد وآراء أستاذ الحديث بشأن إرضاع الكبير.

أكد عبدالفتاح عساكر أن حديث رضاعة الكبير باطل باطل! وأنكره وينكره جميع العقلاء من العلماء وحتى العوام من الناس، وأن ما يقوله الدكتور عبد المهدي أكبر طعنة توجه للمسلمين! وتساءل عساكر: هل يُقبل عقلاً وديناً أن تكون عائشة أماً للمؤمنين وتفعل ذلك وهي محرمة بنص قرآني؟![1]

وقال عساكر إن هذه المرويات لايزال هناك من يرددها بغير تبصر أو تعقل من بعض أهل الحديث والوعاظ وخطباء المساجد المؤمنين بروايات تخالف كتاب الله.

وفي تساؤل صادم وغاضب وجه عساكر كلامه إلى الدكتور عبد المهدي قائلاً: هل يقبل الدكتور عبد المهدي أن تُرضِعَ امرأته أو ابنته أو أخته أو حتى أمه رجلاً بالغاً غريباً أوقريباً؟! وهل يقبل علماء الإسلام أن يقول البعض إن نساءنا يُرضِعْنَ من يحبّون أن يدخل عليهنّ من الرجال؟!

وأوضح عبدالفتاح عساكر أن أحاديث رضاعة الكبير الواردة في كتب التراث باطلة! لأنها تخالف القرآن الكريم وذلك لثلاثة أسباب، أولها قول الحق تبارك وتعالى: **وَالْوَالِدَاتُ**

---

(١) وجوابنا: نعم! وإلا أعمينا أبصارنا عن الحقيقة.

يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ. وأي روايات تخالف النص القرآني باطلة حتى ولو وردت في البخاري ومسلم!

والسبب الثاني هو أن حادثة سالم وسهلة الواردة في كتب الحديث أسطورة من نسج خيال أعداء الإسلام! أما السبب الثالث فهو محاولة الطعن في السيدة عائشة رضي الله عنها»!

■ **ولكن لماذا كل هذا النفاق؟!**

كتب دكتور كويتي يدعى أحمد البغدادي مقالاً في جريدة (الإتحاد) الإماراتية بتاريخ ٢٩ مايو ٢٠٠٧ جاء فيه: «قامت الدنيا ولم تقعد على صاحب فتوى جواز رضاع الموظف من صدر الموظفة التي تجاوره في مكتب العمل حتى تتحقق الخلوة الشرعية! وهذا «العالم» لم يقل كفراً يخرج من الملة، بل إن كل ما في الأمر أنه قاس قياساً فاسداً على حديث نبوي صحيح ورد في صحيح البخاري في باب رضاع الكبير.

وفي اعتقادي أن الآثار التي ترتبت على إثارة هذه الفتوى كانت بسبب الإحراج الذي سببته، وأدت إلى وصف الدين الإسلامي بما لا يليق، لا أقل ولا أكثر. لكنها فتوى صحيحة من جهة الأصل الديني الذي اعتمدت عليه، فلماذا كل هذا النفاق؟! والرجل لم يأتِ بجديد، فالحديث موجود في البخاري، والفقهاء تلقته بالقبول ما دام الحديث أسيراً في بطون الكتب، لكن ما إن ظهر إلى العلن حتى أخذ المزايدون في دين الله يتبرؤون منه! ومن جهة ثانية لا بد من الاعتراف بحق الإنسان في أن يقول رأيه، هذا إذا كنا نؤمن بحقوق الإنسان، وهذه الفتوى ليست ملزمة لأحد، إلا لأصحاب النوايا السيئة، وهي في النهاية مجرد رأي، وصاحبها ليس بذلك المقام الديني الذي يفرض فتواه على الناس، مثل شيخ الأزهر أو سيادة مفتي الجمهورية».

■ مسرحية تعرض مشهد إرضاع الكبير.. طابور رجال أمام زميلة العمل!

هكذا جاء عنوان خبر نشره موقع (العربية نت) بتاريخ ٧ رجب ١٤٣٠، وجاء فيه: «تقدم مسرحية مصرية باسم (قهوة سادة) مشهداً لطابور طويل من الرجال في انتظار دورهم للرضاعة من زميلة العمل تطبيقاً لفتوى (رضاع الكبير) التي أثارت ضجة عالمية عنيفة عند صدورها من أحد علماء الأزهر الكبار قبل نحو عامين. (القهوة السادة) صورة رمزية استخدمته المسرحية في هذا المشهد للترحم على علماء الدين الكبار الذين كانوا يقدمون الفتاوى الدينية استمداداً من صحيح الدين. وقال مخرج العرض الذي حضره كبار رجال الدولة ووزراء حاليون وسابقون إن المشهد لم يثر أي اعتراض من الأزهر أو من دار الأفتاء أو من صاحب الفتوى الدكتور عزت عطية، وأن الداعية الاسلامي الشيخ خالد الجندي أطرى على المسرحية بعد حضوره للعرض ووصفها بالفن الحلال»!

■ جريدة حزب مصري: أسوأ عشر شخصيات في الإسلام أولهنّ عائشة!

نشرت جريدة (الغد) التابعة لحزب الغد المصري المعارض بتاريخ ٣ أكتوبر ٢٠٠٦ تحقيقاً صحفياً بعنوان: «**من عائشة أم المؤمنين وعثمان الخليفة الراشد وحتى الأب الرئيس والابن الوريث.. أسوأ عشر شخصيات في الإسلام**»! وبجانبه رسمة كاريكاتورية لامرأة بلباس تراثي بدوي ترميزاً لعائشة.

والمقصود من «الأب الرئيس والابن الوريث» معاوية بن أبي سفيان وولده يزيد، وقد اختارت الجريدة ذلك تعريضاً بالرئيس المصري الحالي محمد حسني مبارك الذي يُقال أنه يعدّ لتوريث السلطة لابنه جمال.

وفي تبرير رئيس تحرير الجريدة أحمد فكري لنشر هذا التحقيق الملتهب قال: «الملف يقول إن هؤلاء العشرة هم الأسوأ سياسياً لأنهم كانوا الأكثر تأثيراً وخطراً على الشورى والخلافة، وحوّلوها من حكم ديموقراطي يتم انتقال السلطة فيه بإرادة الناس إلى حكم وراثي عضود، حيث بدأت في ما بعد الدولة الأموية ثم العباسية. إن البعض اعتبر أن هذا هو كلام الشيعة ونوع من التشيع والتعرض لصحابة رسول الله، لكن هذا كلام غير صحيح أو معقول إطلاقاً، وحقيقة القضية هو الجدل السائد في مصر حالياً عن توريث السلطة، والناس كلها ضد ذلك التوريث، ومن ثمَّ نحن قلنا إن مفهوم توريث السلطة ابتدأ في الاسلام من هؤلاء العشرة، ومع كل تقديرنا لهم كأشخاص وكمبشرين بالجنة ولهم قيمتهم في حياتنا، إلا أنهم كانوا شركاء أساسيين ورؤوس الممارسة السياسية في حادث الفتنة الذي راح ضحيته عثمان ابن عفان وعلي بن أبي طالب وآل البيت وأكثر من ١٥ ألف مسلم في موقعة الجمل وفي المواقع الأخرى».

هذا وقد جاء ترتيب أسماء هؤلاء العشرة المسوَّأة على النحو التالي:

(١) عائشة بنت أبي بكر.

(٢) عثمان بن عفان.

(٣) الزبير بن العوام.

(٤) طلحة بن عبيد الله.

(٥) عمرو بن العاص.

(٦) المغيرة بن شعبة.

(٧) معاوية بن أبي سفيان.

(٨) يزيد بن معاوية.

(٩) عبد الملك بن مروان.

(١٠) الحجاج بن يوسف الثقفي.

* * *

كانت هذه بضع صور معاصرة للإرباكات والرزايا التي أحدثتها عائشة في هذه الأمة المخدوعة. وإنك لو تتبّعتَ لوجدت أكثر الانحرافات والمصائب التي تعاني منها الأمة ترجع إلى ما أحدثته عائشة، ولا أقلّ من أن لها ضلعاً فيها، لأنها اختلقت كمّاً هائلاً من الأحاديث المكذوبة التي صارت ديناً مستقلاً، وأقدمت على ما لم تقدم عليه امرأة أخرى من الفساد والإفساد فاضطر المشايخ من أبنائها إلى تجويز أفعالها فصارت أسوة لكل امرأة خبيثة بل ولكل رجل متسافل، ناهيك عن جرائمها الدموية وأدوارها السياسية التي خلقت واقع الظلم والاضطهاد وعاونت الظالمين على بلوغ ما يريدون من السلطة والقدرة ومنحتهم الحجج والذرائع التي تسوّغ لهم قتل الناس وظلمهم واضطهادهم أكثر فأكثر.

إن الحميراء كانت بحق، أسوأ شخصية عرفها التاريخ الإسلامي من النساء، فقد لوّثت صفاء هذا الدين العظيم، وهدمت قواعده، وقتلت أوليائه، وفرّقت أهله، وأحدثت من المنكرات والبدع والمحدثات ما اتسع به الخرق على الراتق.

ولعمري.. إنها بما أجرمت وأحدثت قد فست في هذه الأمة كما فسا الظَّرِبّانُ بين الإبل! فنسأل الله تعالى أن يضاعف عذابها في سقر، وأن يُرينا فيها آية انتقامه وهو عزيز ذو انتقام.

لواحـق وتتمـات

بعدما تجاوزنا مباحث الكتاب؛ التفتنا إلى أمور وفوائد لها ارتباط ببعضها، فارتأينـا أن لا نهملها وأن ندرجها في آخر الكتاب كلواحق وتتمات، وها هي ذا:

■ **يشينك أن تقول: أنا ابن تَيْمٍ**

في موضوع خسة ودناءة قبيلة تَيْم التي تنتسب إليها عائشة[1] يُضاف إلى الـشواهد شـعر آخر لجرير تجده في ديوانه، وفيه قوله:

إذا نُسِبَ الكِرَامُ إلى أبِيهِمْ ... فـما للتَّيْمِ ضَرْبُ أبٍ كَـريمِ

وتَيْمٌ لا تقيمُ بـدارِ ثغرٍ ... وتَيْمٌ لا تحكمُ في الحُكومِ

يَشِينُكَ أنْ تَقُولَ: أنا ابنُ تَيْمٍ ... وتَيْمٌ منتهىٰ الحسبِ اللَّئيمِ

وَلَوْ عَلِمَ ابنُ شَيْبَةَ لُؤمَ تَيْمٍ ... لَمَا طافوا بزَمْزَمَ والحَطيمِ

و ما للتَّيْمِ منْ حَسَبٍ حَديثٍ ... و ما للتَّيْمِ مِنْ حَسَبٍ قَديمِ

مِنَ الأصلابِ يَنْزِلُ لُؤْمُ تَيْمٍ ... وفي الأَرْحامِ يُخْلَقُ والمشيمِ

و ما جُعِلَ القَوادمُ كالذَّنابي ... و ما جُعِلَ المَوالي كالصَّميمِ

---

(١) تقدّم في الفصل الأول ص١٠٣

■ **حميراء تحيض من دبرها**

في موضوع تفسير معنى الحميراء بالمحياض[١] يبدو أن كثرة الحيض والاستحاضة لدى عائشة ترجع إلى وجود اعتلال ما يجعلها تحيض من دبرها أيضاً، وهذا هو ما جعل ساقيها حمراويْن دائماً لسيلان آثار الدم والنجاسة عليهما، ولذا وصمها النبي (صلى الله عليه وآله) بالحميراء وحمراء الساقيْن.

والدليل على كونها تحيض من الدبر حديث رواه الحاكم الحسكاني والصدوق عن جابر ابن عبد الله الأنصاري وفيه قول النبي (صلى الله عليه وآله) لأمير المؤمنين عليه السلام: «**والله يا علي لا يبغضك من قريش إلا سفاحي، ولا من الأنصار إلا يهودي، ولا من العرب إلا دعي، ولا من سائر الناس إلا شقي، ولا من النساء إلا سلقلقية**».[٢]

والسلقلقية هي المرأة التي تحيض من دبرها، وحيث ثبت أن عائشة كانت مبغضة لعلي عليه السلام؛ فلا بد أن تكون سلقلقية. ولعل لهذا كان النبي (صلى الله عليه وآله) يتحاشاها ويتجنّب وطأها إذ لم تكن تنفك عن النجاسة. ولعل أحاديثها عن الحيض ودعواها أنه (صلى الله عليه وآله) كان لا يصبر عليها حتى وهي حائض؛ كانت محاولة منها لتجاوز هذه العقدة وإيهام الناس بأنها صحيحة لا بأس فيها، والحال أنها كانت سلقلقية، لا تحيض من قُبُلها فحسب؛ بل من دبرها أيضاً. وصارت إذ ذاك مصداقاً لقول الشاعر:

فَغَدَتْ كِلا الفَرْجَيْنِ تَحْسَبُ أَنَّهُ ... مَوْلَى المَخافَةِ خَلْفَها وأَمامَها!

(١) تقدّم في الفصل الثاني ص٢٣٢

(٢) شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني ج١ ص٤٤٨ وعلل الشرائع للصدوق ج١ ص١٤٣

■ **لا بد لهذا النبي من عدوّة يُمتحن بها**

في موضوع الحكمة من زواج رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعائشة[١] حيث انتهينا إلى أن ذلك كان امتحاناً لرسول الله (صلى الله عليه وآله) من جهة، وامتحاناً للأمة من جهة أخرى، وامتحاناً لعائشة من جهة ثالثة؛ قد يُستغرب القول بأن الله تعالى أمر نبيّه (صلى الله عليه وآله) بأن يتزوّج عدوّةً له حتى يقاسي منها، إلا أن ذلك ليس بمستغرب، ونضرب ههنا مثلاً بنبي الله هود (عليه الصلاة والسلام) حيث جاء في الآثار أن الله تعالى أمره بالزواج من امرأة شمطاء عوراء كانت من ألدّ أعدائه، ومع هذا صبر هود (عليه السلام) عليها بل كان يدعو الله تعالى لها بطول البقاء لأنها عدوّته التي يملكها!

فقد روى علي بن إبراهيم القمي (رضوان الله تعالى عليه) في تفسيره: «**إن عاداً كانت بلادهم في البادية من الشقيق إلى الأجفر أربعة منازل، وكان لهم زرع ونخيل كثير، ولهم أعمار طويلة وأجسام طويلة، فعبدوا الأصنام. وبعث الله إليهم هوداً يدعوهم إلى الإسلام وخلع الأنداد، فأبوا ولم يؤمنوا بهود وآذوه، فكفّت السماء عنهم سبع سنين حتى قحطوا. وكان هود زرّاعاً، وكان يسقي الزرع. فجاء قوم إلى بابه يريدونه، فخرجت عليهم امرأة شمطاء عوراء، فقالت: مَن أنتم؟ فقالوا: نحن من بلاد كذا وكذا، أجدبت بلادنا فجئنا إلى هود نسأله أن يدعو الله حتى تمطر وتخصب بلادنا. فقالت: لو استجيب لهود لدعا لنفسه فقد احترق زرعه لقلة الماء! قالوا: فأين هود؟ قالت: هو في موضع كذا وكذا. فجاءوا إليه فقالوا: يا نبي الله؛ قد أجدبت بلادنا ولم تمطر، فاسأل الله أن يخصب بلادنا وتمطر. فهيَّأ للصلاة وصلّى ودعا لهم، فقال لهم: ارجعوا، فقد أُمطِرْتُم وأُخْصِبَ بلادكم! فقالوا: يا نبي الله؛ إنّا رأيْنا عجباً. قال: وما رأيتم؟ قالوا: رأينا في منزلك امرأةً شمطاء عوراء. قالت لنا: مَن أنتم وما تريدون؟ فقلنا:**

---

(١) تقدّم في الفصل الثاني ص٢٥١

جئنا إلى هود ليدعو الله لنا فنمطَر. فقالت: لو كان هود داعياً لدعا لنفسه فإن زرعه قد احترق. فقال هود: تلك أهلي، وأنا أدعو الله لها بطول البقاء! فقالوا: وكيف ذلك؟! قال: لأنه ما خلق الله مؤمناً إلا وله عدوّ يؤذيه، وهي عدوّتي، فلئن يكون عدوّي ممن أملكه خيرٌ من أن يكون عدوّي ممن يملكني»!(١)

فلاحظ كيف أن هوداً (عليه السلام) استقدم امرأة هي عدوة له إلى داخل بيته، وجعلها زوجة له، وكان يدعو الله تعالى لها بطول البقاء! وما ذاك إلا لأنه بهذا يمتثل لأمر الله تعالى ليرى صبره على عدوّته التي تؤذيه. فكذلك كان حال نبينا الأكرم (صلى الله عليه وآله) مع عائشة وحفصة وأضرابهما.

■ **مجازاة الإحسان بالإساءة**

في موضوع تعمّد عائشة حرمان رسول الله (صلى الله عليه وآله) من الطعام رغم جوعه وذلك بكسر الأواني ونثر ما فيها من الطعام(٢) يُشار إلى أنها كانت تفعل هذه النذالة رغم أن النبي وأهل بيته الطاهرين (صلوات الله عليهم) كانوا يتفضّلون عليها بالطعام دائماً، وكانوا يجعلون لها فيه نصيباً رغم ما ينالهم منها من الأذايا.

ففي حديث رواه الحميري القمي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: «**دخلتُ السوق فابتعتُ لحماً بدرهم وذرة بدرهم، فأتيتُ به فاطمة عليها السلام، حتى إذا فرغت من الخَبْز والطبخ قالت: لو دعوتَ أبي صلى الله عليه وآله. فأتيتُه وهو مضطجع وهو يقول: أعوذ بالله**

---

(١) تفسير القمي ج١ ص٣٢٩

(٢) تقدّم في الفصل الثالث ص٥١٧

من الجوع ضجيعاً.[١] فقلتُ له: يا رسول الله إن عندنا طعاماً. فقام واتّكأ علـيَّ ومـضينا نحـو فاطمة عليها السلام، فلمّا دخلنا قال: هَلُمَّ طعامكِ يا فاطمة. فقدَّمتْ إليـه البرمـة والقـرص، فغطّى القرص وقال: اللهم بارك لنا في طعامنا. ثم قـال: اغـرفي لعائـشة. فغرفـت. ثـم قـال: اغرفي لأم سلمة. فغرفت. فما زالت تغرف حتى وجَّهَتْ إلى نسائه التسع قرصة قرصة ومرقاً. ثم قال: اغرفي لأبيك وبعلك. ثم قال: اغرفي وكلي واهدي لجاراتك. ففعلـت وبقـي عنـدهم أياماً يأكلون».[٢]

والشاهد أنه (صلى الله عليه وآله) جعل ابنته (عليها السلام) تغرف لعائشة وتُرسـل لهـا بالطعام، ومع ذا كانت الملعونة تقابل الإحسان بالإساءة، والكرم باللؤم!

■ **عائشة اليوم معلّقة برجليها في تنوّر من نار تأكل لحم جسدها!**

قد علمتَ أن عائشة خالفت أمر الله تعالى في قوله: «**وَقَرْنَ فِي بُيُـوتِكُنَّ وَلَا تَـبَرَّجْنَ تَـبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ**» فخرجت عاصيةً لله تبارك وتعالى، وعاصيةً لنبيّه (صلى الله عليه وآله) الـذي ضرب عليها الحجاب ولم يأذن لها بالخروج من بيتها أبداً، إذ هي مأمورة بالقرار فيه.

وخروجها هذا بلا اضطرار كما فعلت حين توجهت إلى البصرة قائدةً لجيش؛ يوجـب أن تكون الآن معلّقةً برجليها في تنوّر من نار! وذلك لما رواه الصدوق عن الرضـا (صـلوات الله عليه) في حديث طويل فيه أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال في بيـان مـا رأى ليلـة الإسراء:

---

(١) وهذا يكشف عن أنه (بأبي وأمي) كم كان يعاني من الجوع، حتى أنه حين قام اتكأ على أمير المؤمنين (عليه السلام) إذ لم يكن يقوى على النهوض! ومع ذا كانت عائشة (لعنها الله) تحرمه من الطعام حين يُهدى له!

(٢) قرب الإسناد للحميري القمي ص٣٢٥

«**ورأيتُ امرأةً معلّقَةً برجليها في تنّورٍ من نار** - إلى أن قال صلى الله عليه وآله: - **وأما المعلّقة برجليها فإنها كانت تخرج من بيتها بغير إذن زوجها**»![١]

وقد علمتَ أيضاً أنها خرجت متبرّجة تبدي زينتها للناس، وهذا يوجب أن تكون الآن تأكل لحم جسدها والنار توقَد من تحتها! ففي الحديث نفسه قال صلى الله عليه وآله: «**ورأيتُ امرأةً تأكل لحم جسدها والنار توقَدُ من تحتها** - إلى أن قال صلى الله عليه وآله: - **وأما التي تأكل لحم جسدها فإنها كانت تزيِّنُ بدنها للناس**»![٢]

■ **يستحي الرجال وهي لا تستحي!**

في موضوع وقاحة عائشة وانعدام حيائها[٣] يُشار إلى أن ما لم تكن تستحي من التحدّث به أمام الرجال من أحاديث الشهوة والملاعبة الجنسية؛ كان الرجال أنفسهم يستحون حين يتحدّثون به في ما بينهم! فقد أخرج البيهقي عن الشافعي قال: «**أخبرنا سفيان قال: قلتُ لعبد الله بن القاسم: أخبركَ أبوكَ عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقبّلها وهو صائم؟! قال: فطأطأ رأسه واستحى وسكت قليلاً! ثم قال: نعم**»![٤]

فها أنت تجد أن عبد الله بن القاسم بن محمد حين سأله سفيان بن عيينة عن حقيقة ما حدّثه أبوه عن عائشة «**طأطأ رأسه واستحى وسكت قليلاً**» لأنه وجد ما ينطق به الحديث خادشاً للحياء، ولم يطق أن يفضي به إلى غيره، مع أن عائشة عمّة أبيه، ومع أن الحديث ليس

(١) عيون أخبار الرضا (عليه السلام) للصدوق ص١٣

(٢) المصدر نفسه.

(٣) تقدّم في الفصل السادس ص٨٢١ وص٨٣٣، وأُشير إليه في الفصل الثاني ص٢٤٢

(٤) معرفة السنن والآثار للبيهقي ج٣ ص٣٨٢

فيه إلا تقبيل النبي (صلى الله عليه وآله) لها وهو صائم حسب زعمها، ومع أن الذي يفضي إليه هو رجل مثله.

هكذا كان الرجال يستحون في ما بينهم من رواية أحاديث عائشة حتى لو اقتصر مضمونها على مسألة التقبيل حال الصيام، غير أنها لم تكن تستحي بأن تحدّثهم لا بالتقبيل حال الصيام فحسب؛ بل بالتزام الثدييْن ومصّ اللسان ووضع الخد على الفخذيْن والتقاء الختانيْن والإدخال بغير إنزال وقول: «**واوجعاه**» من افتضاص البكارة! هذا مع أنها امرأة تحدّث بذلك رجالاً أجانب لا يملك الواحد منهم «**إربَه**»!

أخرج البخاري والترمذي عن الأسود عن عائشة قالت موجهةً كلامها للرجال: «**كان النبي صلى الله عليه وسلم يقبِّلُ ويُباشر وهو صائم، وكان أملكَكُم لإربِه**»![1] أي لحاجته في أن يطأ المرأة ويهرق فيها ماءه بعد تلك الملاعبة والمداعبة!

بهذا الأسلوب الوقح البذيء كانت عائشة تتحدّث أمام الرجال دون أن تستحي أو تطأطئ رأسها!

■ **بلى يمكن أن تخالف الشرع مخالفة صريحة**

في موضوع رضاع الكبير[2] قد يستبعد المخالف وقوع عائشة في هذه المخالفة الصريحة حين أباحت رضاع الكبير مع أنها نفسها التي تروي قوله صلى الله عليه وآله: «**إنما الرضاعة من المجاعة**»، فيظن أن أحاديث رضاع الكبير مكذوبة عليها.

---

(١) صحيح البخاري ج٢ ص٢٣٣ وسنن الترمذي ج٢ ص١١٦ وغيرهما كثير.

(٢) تقدّم في الفصل السادس ص٨٦٢

ولا ينبغي استبعاد ذلك، فقد سجّل التاريخ لعائشة أكثر من مخالفة صريحة للشرع المقدس، إحداها ما أقرَّ به إمام السلفيين ومحدّث عصرهم **محمد ناصر الدين الألباني** في تعليقه على حديث امتناع عائشة عن إخراج الزكاة من حُلِيِّ بنات أخيها، حيث قال: «**فهذه مخالفةٌ صريحة من عائشة رضي الله عنها لحديثها**»![١]

والمثير للسخرية أن الألباني مع حكمه بأن هذه مخالفة للشرع زعم أن عائشة مأجورة عليها**!** فقال: «**فإذا جاز في حقها ذلك فبالأحرى أن تخالف حديث غيرها لم تروه هي، وهي على كل حال مأجورة**»![٢]

وقد ردّ عليه في ذلك أحد مشايخ السلفيين ويُدعى **إسماعيل بن محمد الأنصاري** حيث قال: «**موقف الألباني هذا لا يرضاه مسلم! بل يفرح به عدوّه! إذ ليس من المعقول أن تتعمد عائشة مخالفة حديث ثبت عندها عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا أن تكون مأجورة على ذلك**»![٣]

■ **ينبغي اتخاذ يوم هلاك عائشة عيد فرح وسرور**

روى ابن سعد عن عثمان بن أبي عتيق عن أبيه قال: «**رأيتُ ليلة ماتت عائشة؛ حُمِلَ معها جريدٌ في الخِرَق فيه النار ليلاً، ورأيتُ النساء بالبقيع كأنه عيد**».[٤] وهذا يُظهر كثرة اجتماع النساء للتشييع في تلك الليلة كما كُنَّ يجتمعن في الأعياد.

---

(١) آداب الزفاف للألباني ص١٦٥

(٢) المصدر نفسه.

(٣) إباحة التحلي بالذهب المحلّق لإسماعيل بن محمد الأنصاري - نسخة الكترونية.

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد ج٨ ص٧٧

وإن من المناسب بل اللازم أن يجتمع الناس في هـذا التـاريخ كـل عـام كـما يجتمعـون في الأعياد، لا للبكاء على عائشة، بل لشكر الله تعـالى عـلى هلاكهـا، فـإن مـن الحـريّ أن يفـرح المؤمنون في هذا اليـوم الـذي هلكـت فيـه أكثـر النـساء إجرامـاً وإرهابـاً وأعظمهـنّ فحـشاً وفجوراً، قاتلة رسول الله صلى الله عليه وآله، المؤذية لابنته الـصديقة الكـبرى (صـلوات الله عليها) المسرورة في يوم استشهادها، الخارجة على وصيّه الشرعي أمـير المـؤمنين صـلوات الله عليه، المعادية لأهل بيته الأطهار صـلوات الله علـيهم، المحاربـة للحـق والنـاصرة للباطـل، المسبّبة هلاك ألوف المسلمين، المحرّفة للشرع المقدس، والباعثـة لخـط الـضلال والانحـراف والزيغ والفسق.

قال الله تعالى في محكم كتابه: «**بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ * الم * غُلِبَـتِ الـرُّومُ * فِي أَدْنَـى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ لله الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِـن بَعْـدُ وَيَوْمَئِـذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ**»[1] فإذا كان المؤمنون قـد فرحـوا بانتـصار الـروم عـلى الفـرس، مـع أن كِـلا الطرفيْن كافران، غاية ما هنالك أن الروم كـانوا أبعـد عـن تهديـد الإسـلام والمـسلمين مـن الفرس؛ فكيف لا يفرحون بانتصار الله تعالى على أكبر عدوّة له ولرسوله ولأوليائـه (علـيهم السلام) وهي التي كانت تمثّل - بل لا تزال بآثارها - أكبر تهديد للإسلام للمسلمين؟! فـإن انتصار الله تعالى يتمثّل ههنا بإهلاكه عدوّه ونقله إلى حيث العذاب الأبدي.

فليكن يوم هلاك عائشة عيداً للفرح والسرور إذن، كما هو يوم هلاك الطاغية عمـر ابـن الخطاب (لعنة الله عليه) حيث يحتفل المؤمنون فرحين مسرورين امتثالاً للأمر الإلهي واقتـداءً بالنبي الأعظم وأهل بيته الأطهار (صلوات الله عليهم) الـذين نطقـت الأحاديـث الـشريفة بأنهم تعيّدوا فيه.

---

(١) الروم: ١ - ٥

وليس في هذا حرج، أعني أن يفرح المؤمن بموت عدو لله، فهذا أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) قد علّمنا ذلك، كما في إحدى أدعيته الشريفة حيث يقول: «**اللهم إني أعوذ بك أن أعادي لك وليّاً أو أوالي لك عدوّاً، أو أرضى لك سُخْطاً أبداً. اللهم مَن صلّيْتَ عليه فصلواتنا عليه، ومَن لعنتَه فلعنتنا عليه. اللهم مَن كان في موته فرح لنا ولجميع المسلمين فأرحنا منه، وأبدل لنا مَن هو خيرٌ لنا منه حتى تُرينا من علم الإجابة ما نتعرّفه في أدياننا ومعايشنا يا أرحم الراحمين، وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله وسلم**».[١]

وقد ذُكرت ثلاثة أقوال في تأريخ هلاك عائشة، **الأول** أنه كان في ليلة السابع عشر من شهر رمضان لسنة ثمان وخمسين،[٢] **والثاني** أنه كان في التاسع والعشرين من رجب منها،[٣] **والثالث** أنه كان في آخر ذي الحجة منها.[٤] فأيٌّ اتُّخِذَ عيداً للفرح والسرور كان حسناً، واتخاذها جميعاً أحسن، سيّما أن مما يوافق السابع عشر من رجب انتصار رسول الله (صلى الله عليه وآله) في بدر ومعراجه إلى السماء على قول، ومما يوافق التاسع والعشرين من رجب هلاك أبي حنيفة والشافعي على قول، ومما يوافق آخر ذي الحجة هلاك أبي قحافة – جدّ عائشة – وهند آكلة الأكباد. وهذا من محاسن الاتفاق.

* * *

(١) الأمالي للمفيد ص١٦٦ وعنه بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج٩٥ ص٣٥٥

(٢) مستدرك الحاكم ج٤ ص٦ وأسد الغابة لابن الأثير ج٥ ص٥٠٤

(٣) وقائع الأيام للمحدث القمي ص٣٥٤

(٤) الطرائف للسيد ابن طاووس ص٥٠٣

■ **شقشقة أخيرة**

إني لأعلم أني أكتب هذا الكتاب وسيف أهل الجور يقطر دماً، وأن حياتي بعده قد لا تكون كحياتي قبله، فالقتل إليَّ قد يكون أقرب بعده، إلا أني لست أبالي ما دام الأمر في سبيل الله تعالى، فإني لستُ بأول من سُفك دمه بسبب عائشة، وقد قال إمامنا العسكري صلوات الله عليه: «**شيعة علي عليه السلام هم الذين لا يبالون في سبيل الله أَوقع الموت عليهم أو وقعوا على الموت**»![1]

إني لأقتدي في ذلك بأئمتنا صلوات الله عليهم، فهذا إمامنا الرضا (صلوات الله عليه) كان قد عرّض نفسه للخطر في واحد من أحلك أزمنة الظلم ظلمةً، وهو زمان هارون العباسي لعنه الله، حين تكلم الإمام بما يصعب من الحق، فخاف أصحابه وقالوا له: «**إنك تتكلم بهذا الكلام والسيف يقطر دماً! فقال: إن لله وادياً من ذهب حماه بأضعف خلقه؛ النمل! فلو رامه البخاتي لم تصل إليه**».[2]

فكفى بالأجل حارساً، ولئن كان كونٌ فمرحباً بالشهادة في سبيل الله تعالى، وهي مطلوبي في آخر سجدة من كل فريضة، ولئن أمضي مقتولاً بسيف عدو من أعداء الله تعالى خيرٌ لي من أن أموت على فراش! هكذا تعلمتُ من إمامنا زين العابدين (صلوات الله عليه)

---

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام ص٣١٩ وعنه بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج٦٥ ص١٦٢

(٢) الكافي للكليني ج٢ ص٥٩، والبخاتي جمع بُخت وهي الإبل الخراسانية المشهورة بالقوة والتحمّل، والمراد أنه حيث شاءت الإرادة الإلهية حماية ذلك الوادي فإنه حتى لو استُعين بأقوى الإبل على بلوغه فلن تبلغه إذ يؤذيها النمل حتى تهلك. وقد حكى العلامة المجلسي في بحاره ج٧٠ ص١٥٨ عن بعض المؤرخين أن عسكر بعض خلفاء الجور وصلوا إلى موضع فنظروا عن جانب الطريق إلى واد يلوح منها ذهب كثير، فلما توجهوا إليها خرج إليهم نمل كثير كالبغال فقتلت أكثرهم.

الذي كان يقول في دعائه: «**الحمد لله.. حمداً نسعد به في السعداء من أوليائه، ونصير به في نظم الشهداء بسيوف أعدائه**».[(١)]

لقد ذقتُ مرارة السجن في هذا الطريق، وثبّتني الله تعالى فلم أنكص ولم أتراجع، ثم أحسن بي إذ أخرجني وفكّ قيودي رأفةً منه وتفضّلاً، حين غلبت إرادته إرادة مَن أودعوني السجن لأبقى فيه عشرين سنة حسب الأحكام الصادرة، فصار اللازم عليَّ أن أشكر النعمة، وما هذا الكتاب إلا قليلٌ مما أحسبه عند الله تعالى شكراً للنعمة، وهو سبحانه كافٍ عبده المؤمن، يلقي في قلبه الشجاعة والبأس ويقذف في قلوب أعدائه الخوف والرعب، وقد قال إمامنا الصادق صلوات الله عليه: «**إن المؤمن مَن يخافه كل شيء، وذلك أنه عزيزٌ في دين الله، ولا يخاف من شيء، وهو علامة كل مؤمن**».[(٢)] وقال عليه السلام: «**إن المؤمن يخشع له كل شيء. إذا كان مخلصاً قلبَه لله، أخاف الله منه كل شيء حتى هوام الأرض وسباعها وطير السماء**».[(٣)]

ومنذ سنين خلت صدر بعض فتاوى زعماء الفرقة الوهابية بإهدار دمي ووجوب قتلي، فلم يهزّ ذلك فيَّ شعرةً بحمد الله تعالى، ثقةً به وتوكلاً عليه، وما لي إلى هؤلاء الإرهابيين من ذنب إلا أني انتصرت للحق على الباطل، وللعدل على الظلم، وللإنسانية على الوحشية. ثم إني قد عَجِمْتُ هؤلاء وسبرتُهم، فما علمتهم بعد التحدّي إلا خوراً! فقُل لجماعتهم فلتضجّ ضجيجها! وقد قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: «**مالي ولقريش؟! أما والله لقد قتلتهم**

---

(١) الصحيفة السجادية الكاملة ص٢٩، دعاؤه (عليه السلام) في ابتداء الدعاء بالتحميد لله عز وجل والثناء عليه.

(٢) صفات الشيعة للصدوق ص٣٥

(٣) المصدر نفسه ص٣٦

كافرين، ولأقتلنّهم مفتونين! وما لنا إلى عائشة من ذنبٍ إلاّ أنّا أدخلناها في حيّزنا! والله لأبقرنّ الباطل حتى يظهر الحقّ من خاصرته، فقل لقريش فلتضجّ ضجيجها»![١]

كل ما أتوخّاه أن لا يُطمر الحق الذي أظهره هذا الكتاب بضجة مفتعلة حول ماتنه، فينتقل الانشغال الذهني مما في المؤلَّف إلى ما في المؤلِّف، وينصرف النقاش عن المؤلَّف إلى المؤلِّف، حين تتحرك جهات معادية للحق في الخارج وأخرى منهزمة للباطل في الداخل؛ فتجتمع يد هذه مع يد تلك، ويجتمع لسان هذه مع لسان تلك؛ لإشغال الأمة بالشخص بغية إسقاطه لإسقاط نتاجه.

ألا لا ينطلينَّ ذلك على أحد، فإنما هي شنشنة نعرفها من أخزم! ولا ينظرنّ أحدٌ إلى مَن قال ولينظرنَّ إلى ما قال، فليس الكلام في الشخص والأشخاص، إنما الكلام في ما حوته دفّتا هذا الكتاب من معارف وحقائق وما انتهى إليه من نتائج قوامها الدليل والبرهان.

إنما نهضتُ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حين رأيتُ أنه قد قعد عنه الآخرون، هذه هي حجتي أمام الله تعالى على أقل تقدير، ولو أن القاعدين تركوني وشأني مع النواصب، لا لي ولا عليَّ، لم يمجّدوا بي ولم يفتروا عليَّ أو يقذفوني، لكان أسلم لهم يوم القيامة.

أذكّر هؤلاء بما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**بئس القوم قومٌ لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر! بئس القوم قومٌ يقذفون الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر»!**[٢]

وغير هؤلاء أوصيهم بأن لا ينخدعوا بما يروّجه المناوئون، فيجيب الواحد منهم قبل أن يسمع! ويعارض قبل أن يفهم! ويحكم بما لا يعلم! أذكّر نفسي وهؤلاء بما قال الصادق

(١) مضت مصادره في ص٦٤٢ من هذا الكتاب.

(٢) مستدرك الوسائل للميرزا النوري ج١١ ص٣٧٠ عن نوادر الراوندي.

صلوات الله عليه: «**من أخلاق الجاهل: الإجابة قبل أن يسمع، والمعارضة قبل أن يفهم، والحكم بما لا يعلم**».(١)

وأما غير هؤلاء وهؤلاء؛ من الذين فُتنوا بعائشة وخدعتهم رؤوس النُّصب والضلالة بها، فأقول لهم: إن كتاب الله تعالى في جانب، وعائشة في جانب آخر! وإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) في جانب، وعائشة في جانب آخر! وإن آل النبوة (عليهم السلام) في جانب، وعائشة في جانب آخر! وإن الإسلام في جانب، وعائشة في جانب آخر! وإن الحق في جانب، وعائشة في جانب آخر! وإن العفة في جانب، وعائشة في جانب آخر! فالله الله! لا تدوسوا على الحق لإعزاز عائشة! ولا تُشربوا في قلوبكم حبّ عائشة كما أشرب بنو إسرائيل في قلوبهم حبّ العجل!

إنما هو عِجلٌ بجمل! وسامريٌّ بعائشة!

* * *

إلى هنا ارتأينا أن نضع القلم، حامدين الله تعالى على أن وفّقنا لهذا، مستغفرينه جلّ وعلا من أي قصور أو تقصير، سائلينه سبحانه أن يتقبّله منا برحمته وفضله ومنّه، وأن يكتبنا في عداد مَن صدعوا بالحق وجهروا بالبراءة من أعدائه.

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّـهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

ياسر الحبيب

لندن – في ذكرى الميلاد الميمون للإمام محمد الجواد صلوات الله عليه

العاشر من رجب لسنة ١٤٣١ من الهجرة النبوية الشريفة

---

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي ج٢ ص٦٢ عن الدرة الباهرة.

الفهــرس

توطئــة لتنشيـط العقــل

الفصـل الأول

الفصـل الثانـي

الفصــل الثالــث

الفصـل الرابـع

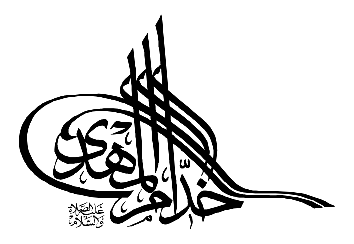
الفصـل الخامـس

الفصـل السادس

الفصـل السابع

لواحق وتتمات

In the name of Allah, the Most Gracious, the Most Merciful
All praise is due to Allah the Lord of the worlds
May the peace and blessings of Allah be upon Mohammed and his pure progeny
May Allah curse the enemies of the pure household of the prophet from now until the day of Judgement



Khoddam al-Mahdi organisation

PO Box 864
Wembely - London
HA9 1BL
UK

www.k-almahdi.org
www.alqatrah.net

© Khoddam al-Mahdi organisation, 2010

All rights reserved
copyright under berne convention
A CIP record for this title is available from the British Library

ISBN 978-0-9566230-0-3

Obscenity

The other face of Aisha

Alfahesha, alwajh alakhar le-Aisha

Yasser Alhabib



Khoddam al-Mahdi organisation